المجلس الأعلى للثقافة

الكسندر كوكبرن - جيفرى سانت كلير



التحالف الأسود

المشروع القومي للترجمة

446

المشروع القومى للترجمة

التحالف الأسود

وكالة الاستخبارات المركزية والمخدرات والصحافة

الكسندر كوكبرن - جيفرى سانت كلير

ترجمة
أحمد محمود



٢٠٠٣

المشروع القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٤٤٦
- التحالف الأسود
وكالة الاستخبارات المركزية
والمخدرات والصحافة
- الكسندر كوكبرن - جيفرى سانت كلير
- ترجمة: أحمد محمود
- الطبعة الأولى - يونيو ٢٠٠٢م
- الطبعة الثانية - يناير ٢٠٠٣م

هذه ترجمة كاملة لكتاب

Whiteout
The CIA, Drugs and the Press

ALEXANDER COCKBURN
and
JEFFREY ST. CLAIR

VERSO
London, New York
1999

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezeira, Cairo
Tel: 7352396 Fax: 6358084
E.Mail: asfour@onebox.com

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة.

تقديـم

هذه إلى حد كبير قصة سلوك إجرامى، هو فى جزء كبير منه من فعل وكالة الاستخبارات المركزية CIA. إنها قصة عدد من تواطئوا فى الصحافة الأمريكية فى تغطية آثار الوكالة. وعندما يُجْبَر هؤلاء الصحفيون على الرضوخ لأنشطة الوكالة الإجرامية فإنهم كثيراً ما يلجئون إلى فكرة «العملاء المارقين». أو على الأقل إلى «الوكالة المارقة» كملاذ أخير. ونحن لا نقبل هذا الفصل بين أنشطة وكالة الاستخبارات المركزية عن سياسات الحكومة الأمريكية وقراراتها. وسواء أكان تدخل ترومان فى الصين ـ الذى أوجد ملوك الأفيون البورميين ـ أم فكرة قتل كاسترو التى تسلطت على الإخوة كنيدى، أو أوامر نيكسون بـ «مزيد من الاغتيالات» فى فيتنام، فقد كانت وكالة الاستخبارات المركزية على الدوام المنفذ المطيع لإرادة الحكومة الأمريكية، التى تبدأ بالبيت الأبيض.

وهذا الكتاب كذلك سجل للشجعان من الرجال والنساء الذين لم يكن لهم أى تعامل مع هذا السلوك أو مع أية تغطية: وهم عملاء سابقون فى وكالة الاستخبارات المركزية مثل رالف ماكجيهى، الذى لا يزال يحتفظ بقاعدة بيانات عظيمة القيمة عن جهة عمله السابقة، التى لا تزال تطارده؛ والمؤرخ آل ماكوى، الذى خاطر بحياته فى جنوب شرقى آسيا وأنجز ما قد يكون أفضل كتاب عن الوكالة وعلاقتها بتجار المخدرات؛ وبوب بارى؛ وبرايان بارجر؛ وليزلى وأندرو كوكبرن؛ ومارثا هونى؛ وعملاء وكالة مكافحة المخدرات الأمريكية تيليرينو كاستلو الثالث، ومايكل ليفين، وريتشارد هورن؛ وجون ماركس موظف وزارة الخارجية السابق الذى كشف النقاب عن أكثر فصول وكالة الاستخبارات المركزية ظلاماً. وهو سعيها للسيطرة على العقول؛ وكريستوفر سيمسون ولندا هانت، اللذين كشفا تجنيد الوكالة للنازيين، ومنهم كلاوس باربى والعلماء النازيون؛ وكارى وِب، الصحفى الجيد الذى عامله زملاؤه فى المهنة معاملة بغيضة؛ والصحفيون المكسيكيون الشجعان، الذين فضحوا ما بين أمراء المخدرات فى المكسيك

وجهاز الأمن بالحكومة المكسيكية الذى تموله الوكالة من صلات، وهم يعلمون أنهم بإقدامهم على ذلك يسعون إلى حتفهم بأيديهم.

ونحن نشكر بيتر كورنبلوه وزملاءه فى أرشيف الأمن القومى على الاحتفاظ بسجل هذه الفترة حياً ومتاحًا للباحثين والصحفيين؛ والعاملين بمشروع الحكام على المعلومات الخاصة بتفاوت أحكام قضايا المخدرات؛ وجون كيلى؛ وتيرى ألن؛ وهيبر ينتش؛ ورالف ماكجيهى؛ ودوجلاس فالنتين، الذى كتب واحداً من أفضل الكتب عن وكالة الاستخبارات المركزية فى فيتنام؛ وسو وجارى وِب على كرم ضيافتهما؛ ونِك شو، الصحفى الممتاز الذى شارك بسخاء بمعلومات لم يسبق له الكشف عنها تتعلق بأنشطة متعهدى الوكالة فى سادرن كاليفورنيا؛ وفيل كونورز؛ وبيكى جرانت؛ وإلينور لندهايمر؛ وكريج فان نوتى؛ وبرناردو أتياس، على الاحتفاظ بصفحة مفيدة على الإنترنت عن وكالة الاستخبارات المركزية وتجارة المخدرات؛ وستيفن هيات؛ وجوناثان لوبل؛ وأندرو كوكبرن؛ وجوآن وايبيوفسكى؛ وبرايس هوفمان؛ وكيمبرلى ويلسون-سانت كلير على السماح لهذا الكتاب بالاستيلاء على بيتها لمدة عام وعلى مهاراتها العظيمة فى المكتبة؛ وباربرا ييلى؛ وكِن سيلفرشتاين الذى نكتب معه نشرتنا Counter Punch التى تصدر كل أسبوعين.

●●●

1

التحالف الأسود

وكالة الاستخبارات المركزية والمخدرات والصحافة



قصة وب الكبيرة

لم يكن يوم الأحد ١٨ أغسطس ١٩٩٦ يومًا ذا أخبار مهمة بالنسبة لمعظم الصحف الأمريكية. وكان خبر الساعة نظرة تمهيدية حول مؤتمر الحزب الديمقراطى فى شيكاغو.

وعلى بعد حوالى ٢٥٠٠ كيلومتر غربى شيكاغو يقع وادى السيليكون Silicon Valley. وصحيفته الكبرى هى "سان هوزيه ميركورى نيوز" San José Mercury News التى لها سمعتها الطيبة كصحيفة إقليمية جيدة. وهى كأى من أملاك نايت ريدر الأخرى، مثل "فيلادلفيا إنكوايرر" Phildelphia Inquirer و "ديترويت فرى بريس" Detroit Free Press ، لديها فريقها من الصحفيين السياسيين المعتدلين الذين يميلون ميلاً خفيفًا ناحية الجانب الديمقراطى.

وبينما كان مواطنو مقاطعة سانتا كلارا Santa Clara يقلبون أوراق صحيفتهم صباح ذلك الأحد، من المؤكد أن الكثير منهم توقف عند أول مقال من ثلاث مقالات مسلسلة يحمل عنوانًا ينذر بالشر إلى حد ما، هو "التحالف الأسود"، وعنوانه الفرعى "القصة التى وراء زيادة تدخين الكوكايين المفاجئة". وقد وضع الكلام فوق صورة داكنة لرجل أسود يدخن غليون كوكايين زجاجيا ، ووضعت الصورة على خاتم وكالة الاستخبارات المركزية Central Intelligence Agency. وكان العنوان الرئيسى فى اليوم الأول هو "بلاء أمريكا جذوره فى حرب نيكاراجوا"، موضوعاً تمامًا فوق اسم كاتب السلسلة، وهو صحفى فى مكتب "ميركورى نيوز" فى ساكرامنتو اسمه جارى وِب Gary Web.

وخلال أسبوعين، أثارت القصة التى نشرها وِب فى أيام ١٨ و١٩ و٢٠ أغسطس فى "سان هوزيه ميركورى نيوز" أمريكا السوداء ودفعت وكالة الاستخبارات المركزية أولاً إلى الإنكار الغاضب ومن ثم إلى واحدة من أشد حملات التشهير بأحد الصحفيين

ضراوة منذ ملاحقة الوكالة لسيمور هيرش Seymour Hersh فى منتصف السبعينيات. وخلال ثلاثة أسابيع، أذعن كل من وزارة العدل ووكالة الاستخبارات المركزية للمطالب الشرسة من جانب السناتور باربرا بوكسر Barbara Boxer من كاليفورنيا وعضو مجلس النواب ماكسين ووترز Maxine Waters من لوس أنجلوس بإجراء تحقيق. وفى منتصف نوفمبر، جعل حشد يضم ١٥٠٠ من سكان دائرة ووترز فى جنوب وسط لوس أنجلوس مدير وكالة الاستخبارات المركزية جون دويتش John Deutch يعيش أصعب أمسية فى حياته. وفيما يتعلق بالقلق العام بشأن الأنشطة السرية التى تقوم بها الحكومة الأمريكية، كانت سلسلة وب أهم حدث منذ قضية إيران/كونترا Iran/Contra التى كادت تطيح برونالد ريجان Ronald Reagan.

ومما تعرض له وب من هجوم شرس شنه عليه أبناء مهنته، قد يفترض من هم على غير علم بالسلسلة أن وب قد ساق سلسلة من الاتهامات الشرسة التى لا أساس لها، تقوم على قدر كبير من التخمين وتفتقر إلى البيانات المحددة أو التوثيق. والواقع أن سلسلة وب كانت تتسم بالإيجاز وشدة التركيز.

وقد التزم وب بخيط واحد فى القصة، وهو كيف أنشأت مجموعة من أبناء نيكاراجوا فى المنفى عصابة للكوكايين فى كاليفورنيا، حيث أقاموا صلات بعصابات الشوارع فى جنوب وسط لوس أنجلوس التى تُصَنِّع كوكايين التدخين من شحنات الكوكايين البودرة. وبعد ذلك أوضح وب مقدار الأرباح التى سربها أبناء نيكاراجوا فى المنفى وجيش كونترا - الذى أنشأته وكالة الاستخبارات المركزية فى أواخر السبعينيات بهدف تخريب ثورة ساندينيستا Sandinista التى أطاحت بأنستاسيو سوموثا Anastasio Somoza وبطانته الفاسدة فى عام ١٩٧٩.

وتلخص الفقرة الأولى من السلسلة الموضوع تلخيصًا رائعًا. فقد كانت ـ كما يقولون فى المهنة ـ مقدمة قوية، ولكن لها ما يبررها: "على مدى ما يقرب من عشر سنوات باعت عصابة مخدرات بمنطقة خليج سان فرانسيسكو San Francissco Gulf أطنانًا من الكوكايين لعصابتى الشوارع "كريبس" Crips و"بلادز" Bloods فى لوس أنجلوس وسربت الملايين من أرباح المخدرات إلى جيش لحرب العصابات فى أمريكا اللاتينية تديره وكالة الاستخبارات المركزية." وعصابة المخدرات هذه الموجودة فى سان

فرانسيسكو يرأسها شخص من نيكاراجوا يعيش فى المنفى اسمه نوروين مينيسيس كانتاريرو Norwin Meneses Cantarero ، عمل "رئيساً للأمن والاستخبارات" فى تنظيم كبير فى تحالف كونترا، وهو Fuerze Democratico Nicaraguenese (FDN) وكان يرأس تنظيم "إف دى إن" إنريكى بيرموديث Entique Bermude3 وأدولفو كاريرا Adolfo Carera، اللذان وضعا فى هذين المنصبين برعاية وكالة الاستخبارات المركزية، وقد ولد مينيسيس فى عائلة على صلة وثيقة بالدكتاتور سوموثا. وكان أحد إخوته رئيساً للشرطة فى ماناجوا Managua. وكان أخوان آخران جنرالين فى قوة الحرس الوطنى الأكثر ولاء لسوموثا. وبينما كان شقيقاه يساعدان سوموثا فى حكمه الدكتاتورى الذى أظلم نيكاراجوا عشرات السنين، استغل نوروين مينيسيس طاقاته فى الغالب فى مشروعات إجرامية صريحة فى إجرامها فى القطاع المدنى. فقد أدار عصابة لسرقة السيارات، كما كان واحداً من أكبر تجار المخدرات فى نيكاراجوا، حيث كان يعرف باسم "إل رى ديل دروجاس" El Rey del Drogas(ملك المخدرات). وعمل مينيسيس بموافقة من عشيرة سوموثا، التى كانت تتسلم حصتها من الأرباح فى موعدها.

وفى ١٩٧٧، شعر نوروين مينيسيس بضرورة تسجيل قلقه من تقصى جمارك نيكاراجوا عن تهريبه السيارات الأمريكية الفاخرة من الولايات المتحدة إلى نيكاراجوا. وقتلت عصابة مينيسيس رئيس الجمارك. وبسبب نفوذ عائلة نوروين القوى لم يحقق فى القضية قط.

وكانت وكالة مكافحة المخدرات الأمريكية Drug Enforcement Agency وغيرها من الوكالات تحتفظ بملفات عن مينيسيس منذ عام ١٩٧٤ على الأقل. ومع ذلك مُنح وضع اللاجئ السياسى فى يوليو ١٩٧٩ . عندما هرب هو وغيره من أفراد نخبة سوموثا إلى الولايات المتحدة. وهبط مينيسيس فى سان فرانسيسكو كجزء مما بات يعرف محلياً باسم "التدفق على الذهب" النيكاراجوى Nicaraguan "gold rush". وهنا لم يضيِّع وقتاً فى إعادة بناء مشروعاته الإجرامية فى السيارات المسروقة والمخدرات.

وكان مينيسيس فى لوس أنجلوس على معرفة بمواطن نيكاراجوى آخر يعيش فى المنفى اسمه دانيلو بلاندون Danilo Blandon. وكان بلاندون قد ترك ماناجوا فى يونيو

١٩٧٩، قبل وصول مينيسيس بشهر، عشية سقوط سوموثا. وبلاندون ابن لصاحب أملاك في العشوائيات، وكان قد حصل على درجة الماجستير في التسويق من جامعة بوجوتا في كولومبيا ورأس برنامج سوموثا للصادرات الزراعية. وكانت الصادرات الزراعية مكونًا مهمًا من مكونات اقتصاد البلاد الذي يقوم في الأساس على تربية الحيوانات والبن، حيث تملك أسرة سوموثا نفسها ما لا يقل عن ربع الأراضي الزراعية في البلاد.

وكوّن بلاندون وهو في منصبه كرئيس لبرنامج الصادرات علاقات وثيقة مع وزارة التجارة الأمريكية ووزارة الخارجية الأمريكية. وأمّن مبلغ ٢٧ مليون دولار من تمويل وكالة التنمية الدولية الأمريكية **USAID** وكان معروفًا لدى الجيش الأمريكي ووكالة الاستخبارات المركزية. وكان لكل منهما وجود قوي في نيكاراجوا سوموثا. (وكان سوموثا قد أرسل ضباطه للتدريب في الولايات المتحدة، وكان رئيس مركز وكالة الاستخبارات المركزية أقوى شخصية أجنبية في ماناجوا).

كما أن زوجة بلاندون، شيبيتا **Chepita**، تنحدر كذلك من عشيرة ذات نفوذ، وهي عائلة موريّو **Murillo**. وكان أحد أقاربها عمدة ماناجوا. وكشأن غيرهما من مؤيدي سوموثا، فقدت عائلتا بلاندون وموريّو معظم ثروتيهما في ثورة عام ١٩٧٩ وكانتا تتحرقان شوقًا إلى خلع الحكومة الشعبية التي يرأسها قادة ساندينيستا.

واستقر بلاندون وزوجته في لوس أنجلوس، حيث بدأ تجارة السيارات المستعملة. كما بدأ يقحم نفسه في سياسة المهاجرين النيكاراجويين. وعندما أدلى بلاندون بشهادته في ٣ فبراير ١٩٩٤ كشاهد حكومي أمام هيئة محلفين تجري تحقيقات حول عصابة عائلة مينيسيس للمخدرات في سان فرانسيسكو، أفاد بأنه ذهب إلى سان فرانسيسكو لعقد لقاءات عديدة مع نوروين مينيسيس "لبدء الحركة، أي ثورة كونترا **Contra**. وكان بلاندون قد تعرف على عائلة مينيسيس في نيكاراجوا. والواقع أن بلاندون قال إن أمه كانت تشترك مع مينيسيس في اسمه الأخير كانتاريرو **Cantarero**، "ولذلك تربطنا صلة القربى". كما قال إنه ومينيسيس "التقيا برجال السياسة ولكنهما لم يجدا طريقة لجمع مبالغ كبيرة من المال.

وفي ربيع ١٩٨١، تلقى بلاندون مكالمة تليفونية من صديق قديم وشريك في العمل من ماناجوا اسمه دونالد باريوس **Donald Barrios**. وكان باريوس – الذي كان يقيم وقتها في ميامي – يتحرك في دوائر المهاجرين النيكاراجويين رفيعة المستوى. وتشمل

هذه المجموعة الجنرال جوستابو ميدينا Gustavo Medina الذى كان فى يوم من الأيام ضابط استخبارات في حرس سوموثا الوطنى، وهو المنصب الذى كانت له من خلاله صلات استمرت طويلاً مع وكالة الاستخبارات المركزية. وفيما بعد شهد بلاندون بأن باريوس "أخذ يخبرنى بأن علينا جمع بعض المال وإرساله إلى هُندوراس". ووجه باريوس بلاندون للذهاب إلى مطار لوس أنجلوس الدولى لمقابلة مينيسيس. وبعد ذلك سافر بلاندون ومينيسيس إلى هُندوراس، حيث التقيا فى العاصمة تيجوثيجالبا Tegocigalpaبإنريكى بيرموديث، ضابط الحرس الوطنى القديم والقائد العسكرى فى "إف دى إن".

وكان الرئيس جيمى كارتر Jimmy Carter قد بذل فى أواخر أيام سوموثا مسعى أخيراً للحفاظ على النظام الذى تدعمه الولايات المتحدة فى نيكاراجوا، حتى وإن كان لابد من إجبار سوموثا على التنحى. وكانت الخطة تقوم على الاحتفاظ بالحرس الوطنى المتعطش للدماء كراع للمصالح الأمريكية. وعندما فشلت هذه الخطة واستولت ساندنيستا على السلطة، أمر كارتر بالتنظيم المبدئى لما باتت تُعرف بعد ذلك بكونترا، لتعمل من هُندوراس. واستدعت وكالة الاستخبارات المركزية ضباطًا أرجنتينيين عادوا للتو من حملات فرق الموت، حيث بدأ هؤلاء الرجال تنظيم رجال الحرس الوطنى فى المنفى ليكونوا قوة عسكرية.

وكان بيرموديث مهمًا لهذه العملية التى تنظمها وكالة الاستخبارات المركزية منذ البداية. وكان من قبل عقيداً فى الحرس الوطنى وتلقى تدريباً فى كلية الدفاع الوطنى الأمريكية خارج واشنطن العاصمة، وخدم فى الفترة من ١٩٧٦ حتى يوليو ١٩٧٩ كملحق عسكرى لسوموثا فى واشنطن. وبعد تزويد بيرموديث بمبلغ ٣٠٠ ألف دولار من أموال وكالة الاستخبارات المركزية، تولى قيادة قوة كونترا الناشئة فى هُندوراس. وفى صيف ١٩٨١ ـ فى بداية حكم ريجان ـ عقد بيرموديث مؤتمراً صحفيًا فى هُندوراس. وبلغة أعدها مدربو وكالة الاستخبارات المركزية، أعلن بيرموديث تكوين "إف دى إن" وتوليه منصب كقائد للجناح العسكرى. وفى وقت لاحق جعل نص وكالة الاستخبارات المركزية أدولفو كاليرو Adolfo Calero، صاحب امتياز كوكاكولا السابق فى ماناجوا رئيسًا مدنيًا لـ"إف دى إن"، حيث يعمل فى المقام الأول من الولايات المتحدة، وكان تحت مراقبة وكالة الاستخبارات المركزية.

ووصل بلاندون ومينيسيس لمقابلة بيرموديث فى وقت يعانى فيه جيش كونترا، الذى كان فى طور التكوين، من ضائقة مالية. وكانت وكالة الاستخبارات المركزية قد وفرت المبلغ الأساسى، ولكن لم يكن ريجان قد وافق حتى ٢٣ نوفمبر ١٩٨١ على قرار الأمن القومى رقم ١٧ الذى وفر ميزانية مقدارها ١٩.٣ مليون دولار لكونترا من خلال وكالة الاستخبارات المركزية. وقال بيرموديث إن كونترا كانت فى حاجة ملحة إلى المال، وشهد بلاندون فى وقت لاحق أمام هيئة المحلفين الكبرى بأنه فى هذا اللقاء اقتُرحت أموال المخدرات لتمويل كونترا. وشهد بلاندون بأن "هناك قولاً مفاده أن "الغاية تبرر الوسيلة". وهذا ما قاله لنا السيد بيرموديث فى هُندوراس".

ولم ترد آثار تهريب المخدرات الأخلاقية بيرموديث عن ذلك. والواقع أن الأدلة التى جُمعت أثناء جلسات الاستماع التى عقدها الكونجرس فى منتصف الثمانينيات تشير إلى أن بيرموديث نفسه كانت له من قبل يد فى تجارة المخدرات. فقد قال السناتور جون كيرى John Kerry، الذى رأس اللجنة التى حققت فى تهمة تهريب كونترا للمخدرات: "كان بيرموديث هدف عملية سرية للمخدرات ترعاها الحكومة. لقد كان مشاركًا فى إدارة المخدرات". واتهم كيرى وكالة الاستخبارات المركزية بحماية بيرموديث من الاعتقال. وانتهى كيرى إلى أن "مسئولى تنفيذ القانون يعرفون أن العملية استُلزمت لمصلحة حماية كونترا".

وهناك فى سان فرانسيسكو، بدأ مينيسيس تثقيف بلاندون، الحاصل على شهادة فى التسويق، فى أمور أشد دقة تتعلق بتجارة الكوكايين بالجملة. وبما أن بلاندون كان مدربًا على المحاسبة، فقد تولى مسك بعض دفاتر مينيسيس وسرعان ما أدرك ضخامة حجم عملية الكوكايين. وشهد بلاندون فى وقت لاحق بأنه فى عام ١٩٨١ وحده نقلت عصابة مينيسيس ٩٠٠ كيلو من الكوكايين، وفى ذلك الوقت كان سعر كيلو الكوكايين بالجملة ٥٠ ألف دولار. وكان الكوكايين يأتى من كولومبيا عبر المكسيك وميامى ومن ثم إلى منطقة الخليج، حيث يخزن فى حوالى اثنى عشر مخزنًا. كما كان مينيسيس يحتفظ بالكوكايين فى منزل عشيقته بلانكا كاستانيو Blanca Castano، التى كانت تقيم بالقرب من كاو بالاس Cow Palace فى منطقة هنترز بوينت Hunters Point. وفى النهاية دفعت تعقيدات الرومانسية مينيسيس إلى نقل زوجته وأطفاله الصغار إلى لوس أنجلوس، حيث توارت زوجة مينيسيس وراء مشروع للسلكسكرين تحت عين

بلاندون، الذى افتتح مطعمًا باسم "تشيكالينا" Chickalina. وأصبح محل السلكسكرين والمطعم واجهتين لتجارة المخدرات. وأوضح بلاندون الأمر بقوله: "كان تسويقًا، أليس كذلك؟ تسويق."

وكانت بداية بلاندون لتجارة الكوكايين بالجملة فى لوس أنجلوس بداية متواضعة، فقد كان يأخذ كيلوين من مينيسيس ومعهما قائمة بالمشترين المحليين، ثم يدور عليهم بسيارته التويوتا البيضاء. إلا أن العمل ظل على حاله إلى أن أبرم اتفاقًا مصيريًا مع شاب أسود فى ساوث سنترال اسمه ريك روس Rick Ross. وروس من مواليد تروب بتكساس Troup, Texas، ثم انتقل وهو طفل إلى لوس أنجلوس مع أمه. وكان روس قد أبدى براعة كلاعب للتنس فى المدرسة الثانوية وكانت عيناه على منحة دراسية بإحدى الكليات، عندما وجد مدربه أنه لا يقرأ ولا يكتب أسقطه من الفريق. وتوجه روس إلى كلية لوس أنجلوس المهنية الفنيةLos Angeles Trade Technical College، وكان رقم ثلاثة فى فريق التنس، والتحق بدورة لتجليد الكتب. ولكى يكسب بعض المال، بدأ فى بيع أجزاء السيارات المسروقة، وقُبض عليه واضطر لترك الدراسة.

وسمع روس عن الكوكايين لأول مرة، وكان مخدر الطبقة الوسطى، من زميل بالكلية، وكان ذلك قبل وقت طويل من معرفته بتاجر من نيكاراجوا اسمه هنرى كوراليس Henry Corrales. وعرض كوراليس سعرًا جيدًا على روس، واستطاع أن يحقق ربحًا متواضعًا بإعادة بيعه لعصابة كريبس فى ساوث سنترال South Central وكومبتون Compton.

وكما سنرى، أصبح اقتصاد الكوكايين مسألة مؤلة فى الضجة التى أُثيرت حول سلسلة وِب. هل صحيح أن أسعار الكوكايين التى حددها النيكاراجويون جعلت فى مقدور الفقراء شراء هذا المخدر لأول مرة؟ يمكن القول إن الأمر كذلك - والواقع أن هناك من الأدلة التى تؤيد هذه الفرضية ما يزيد على ما استطاع وِب تقديمه فى سلسلته التى حررها بإحكام، فقد بدأ الكوكايين الرخيص يظهر فى جنوب وسط لوس أنجلوس فى أوائل ١٩٨٢. وقد حصل عليه روس من كوراليس، الذى كان يعمل لدى مينيسيس وبلاندون، ولم يمض وقت طويل حتى توجه روس مباشرة إلى بلاندون.

وطبقًا لما قاله روس فيما بعد لـ «وِب»، فقد جعلته الأسعار التى عرضها عليه بلاندون يسيطر على سوق لوس أنجلوس، إذ كان فى بعض الأحيان يشترى تموينه من

الكوكايين بما يقل عن السعر السائد بـ ١٠ آلاف دولار على الأقل للكيلو الواحد. ويقول روس: "كان شيئًا رائعًا. إذ كنا نزيح الجميع". وحلت صلاته بعصابتى الشوارع بلادز و كريبس مشاكل التوزيع التى كانت تشغل بال بلاندون من قبل. وما أن حل عام ١٩٨٣ حتى كان روس - الذى كان معروفًا وقتها باسم "فريواى ريكى" Freeway Ricky - يبيع ما يزيد على ١٠٠ كيلو من الكوكايين أسبوعيًا ويبيع ما قيمته ٣ ملايين دولار من كوكايين التدخين يوميًا.

ولم تكن المخدرات السلعة الوحيدة التي يبيعها بلاندون لروس. فقد كان المستثمر الصغير يتلقى من النيكاراجوى كذلك سيلاً لا ينقطع من الأسلحة ومعدات المراقبة، بما فى ذلك رشاشات عوزى، والمسدسات نصف الآلية، وكاميرات الفيديو الصغيرة، ومعدات التسجيل، وآلات كشف الشرطة، وبنادق كولت AR-15. وأبلغ روس وب أن بلاندون حاول أن يبيع لشريكه جهازًا لإطلاق القذائف.

وكان مصدر بلاندون فيما يتعلق بالمعدات رجلا اسمه رونالد ج. ليستر Ronald J. Lister. وكان ليستر ــ الذى يظهر بوضوح فى القصة ــ محققًا فى شرطة لاجونا بيتش Laguna Beach وكان يدير فى ذلك الوقت شركتين للأمن – هما "ماندى سيكيوريتى Mundy Security و"بيراميد إنترناشونال سيكيورتى كونصلتانتس" Pyramid Security Consultants. وشهد بلاندون فى محاكمة ريك روس فى مارس ١٩٩٦ بأن ليستر كان سيحضر اجتماعات مؤيدى كونترا فى ساذرن كاليفورنيا لعرض ترسانته. وكان ليستر قد عمل مرشداً فى وكالة مكافحة المخدرات الأمريكية ومكتب التحقيقات الفدرالىFBI. وهو يتباهى بصلاته بوكالة الاستخبارات المركزية فى الثمانينيات، حين كانت حكومة ريجان تشن حربًا على أمريكا الوسطى.

كانت التجارة مزدهرة بحق. وطبقًا لقراءة بلاندون لدفاتر حسابات مينيسيس، فقد كان ينقل فى عام ١٩٨١، ٩٠٠ كيلو فى السنة. وبعد عامين قفز الرقم إلى ٥ آلاف كيلو فى السنة – ويمثل هذا الرقم الكمية التى تتعامل فيها عملية بلاندون فى لوس أنجلوس. وكان روس رجل أعمال ذكيًا، وكانت أكبر ضرباته هى التعرف على قدرة الابتكارات التكنولوجية الحديثة فى تسويق الكوكايين بالجملة. ولم يخترع روس العملية التى يحول بها الكوكايين البودرة إلى "أحجار" من كوكايين التدخين التى يمكن بيعها بأسعار

محتملة فى الشوارع؛ فقد ظهر كوكايين التدخين لأول مرة فى الأحياء الفقيرة من مدن الساحل الغربى عام ١٩٧٩ . ولكن روس كان أول من يستفيد الاستفادة الكاملة. فكوكايين التدخين كان يباع بأربعة إلى خمسة دولارات للجرعة الواحدة. وكانت تحدث «سطلة» مكثفة، ولكنها قصيرة، ويدمنها من يتعاطاها إدمانًا شديداً. وبناء على ذلك، وكما يدلنا رد الفعل الأسود الغاضب تجاه سلسلة وِب، تسبب كوكايين التدخين فى كارثة اجتماعية فى أحياء مثل ساوث سنترال. فقد تحطمت أسر بسبب الإدمان. وكان المدمنون يسرقون ليشتروا الجرعة التالية. وكانت العصابات تدخل فى معارك دامية للسيطرة على مناطق النفوذ. وأثار هذا البلاء رد فعل شرسا من جانب الدولة. وكانت أحكام السَجن فى الجرائم المتصلة بكوكايين التدخين أشد مئات المرات من الكوكايين البودرة.

وبحلول عام ١٩٨٥ كان روس والتابعون له فى عصابات الشوارع قد بدءوا فى تصدير عملية كوكايين التدخين إلى ما قدرته وكالة مكافحة المخدرات بما لا يقل عن اثنتى عشرة مدينة أخرى. ومن الواضح أن المبالغ التى ربحها دانيلو بلاندون من تجارة المخدرات كانت ضخمة، وشهد هو فى محاكمة روس بقوله "مهما كان ما كنا نقوم به فى لوس أنجلوس، كان الربح يذهب إلى ثورة كونترا". وأنكر دوان "ديوى" كلاريدج Duane "Dewey" Clarridge، ضابط وكالة الاستخبارات المركزية المسئول عن العمليات السرية فى أمريكا اللاتينية ـ فى الصحافة وفى مذكراته ـ الادعاءات التى تقول إن الوكالة سمحت بشحنات مخدرات كونترا أو تغاضت عنها لأسباب تمويلية. وقال كلاريدج إن عملية كونترا الخاصة بالوكالة "كانت تمولها الحكومة الأمريكية. وكان هناك ما يكفى من المال لتمويل العملية. ولم نكن نحن ولا كونترا بحاجة إلى المال من أى إنسان آخر."

إلا أن خطط كلاريدج الخاصة بكونترا كانت منذ البداية أكثر طموحاً من مشروع حكومة ريجان المبدئى، الذى كان يقضى باستخدام مقاتلى كونترا كجزء من مسعى لإحكام محاصرة نيكاراجوا ومحاولة منعها من مساعدة رجال حرب العصابات فى البلاد المجاورة. وكان كلاريدج يرغب فى شن حرب غير معلنة. وفى صيف ١٩٨١، وبعد أسبوع من توليه رئاسة عمليات أمريكا اللاتينية، تقدم بتوصيات لمدير وكالة

الاستخبارات المركزية ويليام كيسي William Casey. وعن ذلك يقول: "كان خطتي بسيطة: ١ـ نقل الحرب إلى نيكاراجوا ٢ـ بدء قتل الكوبيين." وسرعان ما تطور ذلك إلى برنامج بعيد المدى للاغتيالات، والتخريب الصناعي، وغزو أراضي نيكاراجوا انطلاقًا من قواعد في هُندوراس وكوستاريكا.

وكانت المشكلة التي تواجه كلاريدج وتواجه وكالة الاستخبارات المركزية هي ميل الكونجرس إلى الشك في مثل تلك الخطط الكبيرة، التي لم تكن تحظى بشعبية من الناحية السياسية. ولذلك كان المبلغ المبدئي الذي خصص لها ضئيلاً، وهو ١٩ مليون دولار فقط في عام ١٩٨٢ لعمليات الوكالة السرية ضد نيكاراجوا. وفي ربيع ١٩٨٢ زادت تلك التكاليف السرية زيادة كبيرة حين سُحب الأرجنتينيون الذين كانوا يشرفون على التدريب اليومي لقوة كونترا الناشئة في هُندوراس عند نشوب حرب الفوكلاند. وفي وقت لاحق من ذلك العام، تحرك الكونجرس لحظر مساعدات وكالة الاستخبارات المركزية لمقاتلي كونترا. وفي اللحظة الأخيرة تقدم عضو مجلس النواب إدوارد بولاند Edward Boland من ماساتشوستش Massachusetts بتعديل لمشروع قانون مخصصات الدفاع للعام المالي ١٩٨٣ يمنع الوكالة من إنفاق أية أموال "بغرض قلب حكومة نيكاراجوا". وأعطيت الوكالة ٢١ مليون دولار فقط خارج حظر بولاند على الأنشطة المتصلة بمقاتلي كونترا.

وفي ديسمبر ١٩٨٣، أكمل الكونجرس تمويل كونترا للعام المالي ١٩٨٤ ليصل إلى ٢٤ مليون دولار فقط، وهو ليس سوى الربع تقريبًا مما قالت حكومة ريجان إنه ضروري لوجود قوة مقاتلة مناسبة. وكان ذلك النقص هو ما دفع روبرت ماكفرلين Robert McFarlane وأوليفر نورث Oliver North إلى البحث عن مصادر تمويل بديلة – مثل طلب مبلغ مليون دولار من السعوديين شهريًا. وذهب كلاريدج في مهمة مشابهة إلى جنوب أفريقيا. وكان نورث في سبيله لفتح حساب مصرفي سري في منتصف عام ١٩٨٤.

وفي أبريل ١٩٨٤، اتضح أن وكالة الاستخبارات المركزية كانت قد زرعت ألغامًا في موانئ نيكاراجوا. وأدت الضجة السياسية في الولايات المتحدة إلى أكثر تعديلات بولاند تشددًا، ووافق عليها الكونجرس في أكتوبر ١٩٨٤. وخلال العام المالي ١٩٨٥ كان التعديل ينص على "عدم تخصيص أو إنفاق أية أموال متاحة لوكالة الاستخبارات المركزية، أو وزارة الدفاع، أو أية وكالة أو جهة أخرى في الولايات المتحدة تشارك في

الأنشطة الاستخباراتية، فى غرض العمليات العسكرية أو شبه العسكرية فى نيكاراجوا التى تقوم بها أية دولة أو جماعة أو منظمة أو حركة أو فرد، أو فيما يؤدى إلى دعمها بصورة مباشرة أو غير مباشرة." وشهد عام ١٩٨٥ كذلك ذروة مبيعات بلاندون من المخدرات، فى الوقت الذى كانت فيه وكالة الاستخبارات المركزية فى أشد الحاجة إلى المال لجيش كونترا الخاص بها. وانتهى العمل بتعديل بولاند فى ١٧ أكتوبر ١٩٨٦، وعلى الفور زادت الحصة المخصصة لمقاتلى كونترا فى ميزانية الوكالة إلى ١٠٠ مليون دولار.

وخلال الفترة العصيبة التى كانت تحتاج فيها كونترا إلى المال بشدة، حين أصدر ريجان قرارًا فى السر إلى مستشار الأمن القومى ماكفرلين يقضى بضرورة الإبقاء على مقاتلى كونترا معًا "جسمًا وروحًا"، بغض النظر عما يضعه الكونجرس من شروط، عاشت عملية المخدرات التى يديرها مؤيدا كونترا، مينيسيس وبلاندون، حياة رغدة، دون أية منغصات لأنشطتها من جانب جهات تنفيذ القانون. فالواقع أن العديد من ضباط تنفيذ القانون اشتكوا علنًا من أن العمليات التى تستهدف مينيسيس كان ضباط مجلس الأمن القومى NSC فى حكومة ريجان أو وكالة الاستخبارات المركزية يمنعونها.

وبعد أسابيع فقط من بدء شراكة بلادون-مينيسيس فى صيف ١٩٨١، بدأت عميلة شابة بوكالة مكافحة المخدرات فى سان فرانسيسكو اسمها سوزان سميث Suzan Smith التحرى عن نوروين مينيسيس. وكانت سميث قد سمعت فى الشارع شائعات بأن مجموعة من أبناء نيكاراجوا فى المنفى يبيعون الكوكايين فى منطقة الخليج Bay Area ويرسلون المال والسلاح إلى أمريكا الوسطى. راجعت العميلة ملفات وكالة مكافحة المخدرات الخاصة بمينيسيس ووجدت سجلاً متنفخًالنشاط الرجل الإجرامى يبدأ من تقرير لمكتب التحقيقات الفدرالى يشير إلى أن نوروين وشقيقه إرنست Ernest "يُهَرِّبان ٢٠ كيلو من الكوكايين فى المرة الواحدة إلى داخل الولايات المتحدة". ويبدو أن نيو أورليانز New Orleans كانت أحد مداخل كوكايين مينيسيس، حيث عثرت سميث على سجلات "العملية تمساح" Operation Alligator من وكالة مكافحة المخدرات. وقد داهمت العملية السرية عصابة كبيرة للكوكايين فى نيو أورليانز. وأبلغ أحد المقبوض عليهم، واسمه مانويل بورو Manuel Porro، عميل وكالة مكافحة المخدرات بيل كننجهام

Bill Cunningham أن مينيسيس هو مصدر المخدرات. ومع ذلك لم يلق القبض على مينيسيس.

واكتشفت سميث بعد بضعة أشهر أن مكتب وكالة مكافحة المخدرات تلقى إخبارية تفيد بأن مينيسيس كان كذلك مورد الكوكايين الذى ضُبِط فى مداهمة كبيرة فى تامبا بفلوريدا Tampa, Florida فى شهر فبراير من عام ١٩٨٠. ويبدو أن الكوكايين نُقِل جواً إلى تامبا من مزرعة مينيسيس فى كوستاريكا، كى يوزعه أقارب مينيسيس. وعلمت سميث كذلك، اعتباراً من أوائل يونيو ١٩٨١، أن المحقق جوزيف لى Jpseph Lee من إدارة شرطة بولدوين بارك Baldwin Park فى لوس أنجلوس كان يتحرى عن تاجر مخدرات من نيكاراجوا اسمه خوليو بيرموديث Julio Bermudez كان يسافر مرتين شهرياً على سان فرانسيسكو، حيث كان يأخذ فى كل مرة حوالى ٢٠ رطلاً من الكوكايين من مخازن مينيسيس.

جمّعت سميث هذه المعلومات فى إقرار كتابى بقَسَم من أجل الحصول على إذن بالقبض عليه، بتاريخ ١٦ نوفمبر ١٩٨١، وبدأت فى تعقب مينيسيس وموزعيه. وفى إحدى المرات اتبعت سميث رجال مينيسيس إلى منزل فى دالى سيتى Daly City الواقعة جنوب سان فرانسيسكو يملكه كارلوس كابيثاس Carlos Cabezas، وهو محام ومحاسب من نيكاراجوا كان قد عمل طياراً فى الحرس الوطنى التابع لسوموثا. وكان كابيثاس شخصية أساسية فى الحركة المناوئة لساندينستا فى كاليفورنيا.

وفجأة أوقف رؤساء سميث تحرياتها وكلفوها بالتحرى عن تجارة المخدرات التى تقوم بها عصابات راكبى الدراجات النارية فى أوكلاند Okland. وذكرت سميث لوِب أنه رغم ملفها الضخم عن مينيسيس، لم يبد مديرو وكالة مكافحة المخدرات أى اهتمام. واستقالت سميث عام ١٩٨٤، حيث سألت رؤساءها إن كانوا يريدون ملفاتها الموسعة عن عصابة مينيسيس أم لا. وأجاب هؤلاء بالنفى وفُرِمت الملفات.

والشيء الذى يزيد قليلاً عن كونه غريباً بشأن عدم اهتمام وكالة مكافحة المخدرات بمينيسيس عام ١٩٨٤ هو أنه فى فبراير ١٩٨٣ سجل مكتب التحقيقات الفدرالى أكبر قدر من مضبوطات الكوكايين فى تاريخ كاليفورنيا، فيما تسمى بقضية فروجمان Frogman. وكان قد أُمسك بأفراد عصابة مينيسيس لتجارة المخدرات وهم يحاولون السباحة إلى

الشاطئ عند ميناء سان فرانسيسكو من فرقاطة كولومبية اسمها ثيوداد دى كوتا Ciudad de Cuta ومعهم ٤٠٠ رطل من الكوكايين. وطبقًا لما ذكرته مصادر وكالة مكافحة المخدرات، كانت القيمة السوقية للمخدرات فى ذلك الوقت تزيد على ١٠٠ مليون دولار. وفى النهاية، ألقى القبض على خمسة وثلاثين شخصًا فى قضية فروجمان بينهم خوليو ثابالا Julio Zavala، وصاحب البيت الذى كانت سوزان سميث تراقبه، وهو كارلوس كابيثاس. وكانت محاكمة فروجمان تجرى فى نفس الوقت الذى تقول فيه وكالة مكافحة المخدرات لسوزان سميث إن المعلومات الخاصة بكابيثاس ومينيسيس ليس فيها ما يهمها.

ولكن قضية فروجمان لم تكن فى ذلك الوقت محاكمة مخدرات عادية. ففى ٢٨ نوفمبر ١٩٨٤، شهد كابيثاس فى المحاكمة بأن عملية تهريب الكوكايين كانت مصدر تمويل لكونترا. بل إنه شهد كذلك بأن الكوكايين الذى جلبه للولايات المتحدة مصدره مزرعة مينيسيس فى كوستاريكا. وكانت شهادته فى المحاكمة محدودة، لأن القاضى لم يسمح للدفاع ببحث دور وكالة الاستخبارات المركزية بشىء من التفصيل. وفى مقابلة لاحقة سُجلت للتلفزيون البريطانى، ذكر كابيثاس أن الوكالة كانت على علم بمرحلة مهمة من عملية تهريبه للمخدرات، وكانت تشرف عليها فى واقع الأمر. وقال كابيثاس: "لم أضطر للسفر إلى كوستاريكا إلا فى الرحلة الثانية، حين قابلت ذلك الشخص [إيفان جوميث Ivan Gomez] الذى يفترض أنه عميل وكالة الاستخبارات المركزية. وقد أخبرونى من هو والسبب فى وجوده هناك، وذلك كى أتأكد من أن المال أعطى للأشخاص المناسبين وليس هناك من ينتهزون الموقف ويجنون أرباحًا لا يفترض أن يجنوها. وكان الأمر كذلك. وكان يتأكد من أن المال يذهب إلى ثورة كونترا."

ولم تكن المخاوف من احتمال تحويل أموال المخدرات إلى حسابات قادة كونترا بلا أساس. وكان اثنان من زملاء كابيثاس فى مشروع الكوكايين هذا فى كوستاريكا وسان فرانسيسكو، وهما تروليو Trolio وفرديناند سانشيز Ferdinand Sanchez قريبى قائد كونترا أريستيديس سانشيث Aristides Sanchez. وكان سانشيث أحد أفراد إدارة "إف دى إن". وكان هو وأقاربه يحتفظون بحساب فى أحد بنوك الأوفشور[1] فى جزر الأنتيليز الهولندية، التى شك روبرت أوين Robert Owen مساعد

(١) أى فى بنك يقع فى الخارج ولا يخضع لقوانين الضرائب، وعادة ما يكون على إحدى الجزر، وهو فى هذه الحالة فى جزر الأنتيلز بمنطقة الكاريبى. **(المترجم)**

أوليفر نورث في أنه يُنَشِّط بالأموال الموجهة لجهود كونترا. وكتب أوين مذكرة إلى نورث تفيد بأنه يعتقد "أنهم يخدعون وكالة الاستخبارات المركزية". ولم يتخذ أوين أى إجراء. ومن الواضح أن مسئولى الأمن القومى فى حكومة ريجان كانوا يعرفون تمام المعرفة أنه من المفترض أن تذهب أموال المخدرات الواردة من عصابة مينيسيس إلى المجهود الحربى الخاص بكونترا، بموافقة من الوكالة، وأنه أزعجهم احتمال تحويل تلك الأموال عن تلك المهمة.

وكان خوليو ثابالا من بين قادة آخرين فى عملية فروجمان، وهو صهر كابيثاس. وبعد إلقاء القبض عليه، ضبط عملاء مكتب التحقيقات الفدرالى مبلغ ٣٦٨٠٠ دولار نقدًا من ثابالا، اعتبرتها الحكومة أموال مخدرات وبالتالى تخضع للضبط. وادعى ثابالا أن الأموال مبلغ نقدى مخصص لشراء أسلحة لمقاتلى كونترا. وقدم محاميه جد أيفرسون Judd Iverson للمحكمة خطابات من اثنين من قادة كونترا تؤيد رواية ثابالا. واشترط جوزيف ب. روسونيلو Joseph P. Russoniello نائب المدعى العام إعادة الأموال فى طلب تقدم به للمحكمة فى ٢ أكتوبر ١٩٨٤. وفى سنة ١٩٨٧ استرعت هذه الصفقة انتباه جاك بلوم Jack Blum المحقق فى لجنة السناتور جون كيرى التى تحقق فى قصص متاجرة كونترا فى المخدرات. واتصل كيرى برو سونيلو ليسأله عن القضية. وقال بلوم أثناء شهادته أمام لجنة الاستخبارات بمجلس الشيوخ فى ٢٣ أكتوبر ١٩٩٦: "كانت لنا محادثة تليفونية مع مستر روسونيلو، وشخط فينا. وشخط فى السناتور جون كيرى، الذى كان يرأس اللجنة. واتهمنا بأننا هدامون لأننا نريد أن نتدخل فى الأمر."

وهكذا استرد ثابالا أمواله، وإن أمضى بعض الوقت فى السجن. أما نوروين مينيسيس، وهو أهم شخص فى العملية، فلم يوجه له أى اتهام ولم يقبض عليه فى قضية فروجمان. وشهد الشهود أمام لجنة كيرى فى عام ١٩٨٨ بأن مينيسيس كان قد أبلغ باعتزام القبض عليه "عن طريق مصادره فى جهات تنفيذ القانون الأمريكية". وذكر شاهد آخر أنه يعتقد أن مينيسيس كان يعمل "مرشدًا لمكتب التحقيقات الفيدرالى" وقت إلقاء القبض.

والواقع أن الحكومة الأمريكية لم توجه أى اتهام لنوروين مينيسيس حتى عام ١٩٨٩، بعد انتهاء حرب كونترا، وقد اتهم بالاتفاق لبيع كيلو واحد فقط من الكوكايين فى عام ١٩٨٤. وفى ذلك الوقت، وشعورًا من مينيسيس بأن الحاجز الذى يحتمى به

ربما يكون قد رق وتآكل، غادر سان فرانسيسكو إلى مزرعته فى كوستاريكا. ولم تبذل أية محاولة لضمان إلقاء القبض على مينيسيس أو إقناع حكومة كوستاريكا بإبعاده. ولم يعلن عن الاتهام وبقى طى الكتمان فى سان فرانسيسكو بناء على طلب الحكومة الفدرالية. والأمر اللافت للنظر إلى حد كبير هو أن عام ١٩٨٤ - وهو العام الذى اختارت فيه الحكومة الأمريكية اتهام مينيسيس بتجارة الكوكايين - هو نفسه العام الذى كان فيه أكثر بروزاً كشخصية كبيرة فى حركة مهاجرى نيكاراجوا المؤيدة لمقاتلى كونترا. وفى ذلك العام كان مينيسيس يستضيف قادة كونترا، ويقيم فى بيته حفلات لجمع الأموال لكونترا، وكانت تلتقط له الصور مع أدولفو كاليرو.

وكشف وِب عن أدلة تبين أنه حتى مؤيدى كونترا فى سان فرانسيسكو كانوا غير مرتاحين بشأن مصدر إنفاق مينيسيس فى قضية كونترا. وتضمنت سلسلة "ميركورى نيوز" مقابلة مع دينيس أينزورث Dennis Ainsworth أستاذ الاقتصاد السابق بجامعة هيوورد بولاية كاليفورنيا Cal State/Hayward الذى كان جمهورياً من أتباع ريجان يتمتع بصلات قوية وكان له دور فعال فى قضية كونترا. وفى عام ١٩٨٥ أبلغه ريناتو بينيا Renato Peña، قائد "إف دى إن" فى سان فرانسيسكو، "أن 'إف دى إن' تشارك فى تهريب المخدرات بمساعدة من نوروين مينيسيس الذى يشترى كذلك السلاح لإنريكى بيرموديث، أحد قادة 'إف دى إن'". وأخيراً أبلغ أينزورث أصدقاءه فى حكومة ريجان بأمر مينيسيس، وسألهم عما يعرفونه عن ذلك النيكاراجوى. وقد أبلغوه أن وكالة مكافحة المخدرات بها ملف عن مينيسيس "سُمكه قدمان". وأدلى اينزورث بإفادة مفصلة لمكتب التحقيقات الفدرالى فى ٢٧ فبراير ١٩٨٧، رفع الأرشيف القومى الأمريكى الحظر مؤخراً عن نسخة منه حُذف منها الكثير. وفى ذلك الحديث لم يؤيد أينزورث فقط مقولة أن مينيسيس كان يستخدم أرباح المخدرات لشراء السلاح لكونترا، بل قدم كذلك تفاصيل عن مدى ما كان يشعر به عملاء الجمارك الأمريكية ووكالة مكافحة المخدرات الذين يحاولون التحرى عن مينيسيس "من تهديد وترهيب من جراء تدخل الأمن القومى فى تحقيقات تهريب المخدرات المشروعة".

وأخيراً أُلقى القبض على مينيسيس فى عام ١٩٩٠، عندما ضبطته سلطات نيكاراجوا وهو يحاول نقل ٧٥٠ كيلو من الكوكايين. وسرعان ما كشف الصحفيون فى ماناجوا النقاب عن اتهام سان فرانسيسكو الذى تكتموا عليه. وعبرت شرطة نيكاراجوا

والقاضى النيكاراجوى الذى تولى محاكمة مينيسيس عن غضبهم لمعرفة الولايات المتحدة أمر أنشطة أمير المخدرات طوال خمس عشرة سنة، دون أن تقبض عليه. وقال رينيه بيتا Rene Vita محقق المخدرات السابق لفريق الفيلم التسجيلى الذى صوره التليفزيون البريطانى: "كنا نشعر دائمًا أن هناك دائمًا سؤالاً بلا جواب: كيف كان ذلك الرجل، المعروف أنه متورط فى أنشطة تتصل بالمخدرات، يتنقل بحرية فى أنحاء أمريكا الوسطى والولايات المتحدة والمكسيك؟"

الذى سلم مينيسيس لشرطة نيكاراجوا هو شريكه القديم إنريكى ميراندا Enrique Miranda ضابط الاستخبارات السابق فى الحرس الوطنى التابع لسوموثا، وكان حلقة الوصل بين مينيسيس ومنتجى الكوكايين فى كولومبيا. وشهد ميراندا أنه فى الفترة من ١٩٨١ وحتى ١٩٨٥ كان مينيسيس ينقل الكوكايين من كولومبيا من خلال خدمات ماركوس أجوادو Marcos Aguado، وهو نيكاراجوى أصبح كبير الضباط فى قاعدة السلفادور الجوية. وكان أجوادو طيارًا متعاقدًا للقيام برحلات "المساعدات الإنسانية" إلى مقاتلى كونترا، وكان مقيمًا فى قاعدة إلوبانجو Ilopango الجوية فى سان سلفادور San Salvador. وكان المشرف على تلك العمليات فى هذا المطار ضابطًا بوكالة الاستخبارات المركزية اسمه فيلكس رودريجيث Felix Rodriguez. وشهد ميراندا بأن أجوادو كان يقود طائرات السلاح الجوى السلفادورى إلى كولومبيا لإحضار شحنات الكوكايين وتسليمها لقواعد السلاح الجوى الأمريكى فى تكساس. وطبقًا لشهادة ميراندا، فقد حكمت المحكمة النيكاراجوية على نوروين مينيسيس بالسجن لمدة ثلاثين سنة.

وكان دانيلو بلاندون يتمتع بحظ طيب فيما يتعلق بأى تدخل من جانب جهات تنفيذ القانون فى شئونه. فطوال النصف الأول من الثمانينيات، لم يتعرض أكبر تاجر كوكايين بالجملة فى لوس أنجلوس لأية مداهمة أو إزعاج بأى حال من الأحوال من جانب أية سلطات. وانتهى العمل بتعديل بولاند الذى يفرض الحظر على مساعدات كونترا فى ١٧ أكتوبر ١٩٨٦. وفى ٢٧ أكتوبر ١٩٨٦ أصدر مكتب التحقيقات الفدرالى ووكالة الإيرادات الداخلية ومكتب مأمور مقاطعة لوس أنجلوس أوامر بالقبض على بلاندون وزوجته. وكانت أوامر القبض الصادرة من مكتب مأمور لوس أنجلوس تتضمن

إقرارًا كتابيًا بقَسَم من السيرجنت توم جوردون Tom Gordon يقول فيه إن "دانيلو بلاندون مسئول عن تنظيم معقد لتهريب الكوكايين وتوزيعه في جنوب كاليفورنيا. وإن الأموال التي تحصَّل من مبيعات الكوكايين تنقل إلى فلوريدا وتغسل من خلال أورلاندو موريّو، وهو موظف رفيع المستوى في سلسلة بنوك في فلوريدا تحمل اسم "هيئة التأمينات الحكومية". ومن هذا البنك كانت الأموال تنقل إلى متمردي كونترا لشراء الأسلحة في الحرب في نيكاراجوا." وكان أورلاندو موريليو ابن عم زوجة بلاندون، شيبيتا. وداهمت الشرطة اثني عشر مخزنًا يشتبه في أن بلاندون يستخدمها. ولم يعثر على مخدرات. واقتنعت الشرطة بأن بلاندون تلقى إخبارية بشأن المداهمات الوشيكة فأخلى المخازن من المخدرات.

وكان أحد أهداف المداهمات في ذلك الصباح من يوم ٢٧ أكتوبر بيت رونالد ليستر، محقق شرطة لاجونا بيتش السابق الذي كان يورد السلاح لعصابة بلاندون، في ميشن فييهو Mission Vieho. فتح بلاندون الباب وهو يرتدي روب الحمام، فتدفق نواب المأمور للداخل. وأصبح ليستر عدوانيًا وقال للنواب إنهم "يرتكبون غلطة كبيرة". كما أخبر الشرطة أنه لا يتاجر في المخدرات، ولكنه يقوم بأعمال تجارية كثيرة في أمريكا اللاتينية لمصلحة الحكومة الأمريكية، وأن أصدقاءه في الحكومة لن يسعدهم خبر تفتيش النواب لمنزله.

وبعد ذلك رفع ليستر سماعة التليفون وقال إنه يتصل بصديقه "سكوت ويكلي Scott Weekly في وكالة الاستخبارات المركزية". واستمر رجال الشرطة في تفتيشهم، ومع أنهم لم يعثروا على أي كوكايين، فقد عثروا على مخبأ مذهل من الأسلحة والكتب الحربية وأشرطة فيديو للتدريب. ورغم إفلات ليستر من الاعتقال، ضبطت الشرطة صناديق من المواد الحربية. ومرة أخرى كانت الشرطة مقتنعة بأن شخصًا ما أخبر ليستر مقدمًا بالمداهمة الوشيكة. وازدادت تلك الشكوك اختفت كل الأدلة التي عُثر عليها في منزل ليستر في ظروف غامضة بعد أقل من أسبوع من غرفة الأحراز في إدارة المأمور.

ولم تذهب تحريات ليستر إلى أي مكان طوال عشر سنوات. وبعد ذلك عثر وِب على اسم ليستر وتفاصيل عن علاقاته ببلاندون وريك روس. طلب وِب من مكتب المأمور معلومات عن مداهمتهم لمنزل ليستر. وأنكرت إدارة المأمور حدوث مثل هذه المداهمة في

يوم من الأيام، كما أنكرت مشاركة الإدارة فى تحريات ١٩٨٦ عن عصابة بلاندون للمخدرات. ولم تظهر المستندات الخاصة بمداهمة منزل ليستر إلا بعد زيارة عضو مجلس النواب ماكسين ووترز المفاجئة لمكتب مأمور لوس أنجلوس فى سبتمبر ١٩٩٦، فى أعقاب سلسلة وِب. وسلمت إدارة المأمور كشفًا يتضمن جزءًا مما ضُبط فى منزل ليستر. وكانت من محتويات الكشف أفلام عن العمليات الحربية فى أمريكا اللاتينية، وكتب تقنية، ومعلومات عن معدات واتصالات حربية متنوعة، والعديد من المستندات التى تبين استخدام أموال المخدرات لشراء معدات للقوات التى تدعمها الولايات المتحدة فى أمريكا الوسطى. وكانت هناك كذلك صور لليستر مع مقاتلى كونترا فى السلفادور تظهر فيها معدات وقواعد عسكرية، وأسماء وعناوين ضباط وكالة الاستخبارات المركزية ومتعهدى الوكالة فى أمريكا الوسطى.

وحتى فى وجود هذه المستندات، لم تقدم صحيفة "لوس أنجلوس تايمز" Los Angeles Times الجزء الخاص بليستر فى القصة فى أعقاب سلسلة "ميركورى نيوز". وكانت مهمة "لوس أنجلوس تايمز" الوحيدة هى تدمير وِب. إلا أن الصحفى نِك شو Nick Shou من صحيفة "أورانج كاونتى ويكلى" Orange County Weekly اكتشف أن شركة ليستر "بيراميد إنترناشونال سيكيوريتى كونصلتانتس" كانت متعهداً لدى وكالة الاستخبارات المركزية، حيث تساعد فى توصيل الأسلحة فى قواعد كونترا فى هُندوراس.

وكان من بين شركاء ليستر فى هذه العملية تيموثى لافرانس Timothy LaFrance الذى يقوم بتصنيع الأسلحة فى سان دييجو San Diego. وأبلغ لافرانس شو أنه هو وليستر أقاما مصنعًا للذخيرة لوكالة الاستخبارات المركزية فى سان سلفادور. كما أورد شو فقرات من ملاحظات ليستر التى تصف علاقته بسكوت ويكلى، الذى كان فى أوقات كثيرة متعهداً لدى وكالة استخبارات الدفاع ووكالة الاستخبارات المركزية، ولدى رجل اسمه بيل نيلسون Bill Nelson. وفى الثمانينيات كان نيلسون - الذى توفى - نائب رئيس تنفيذياً للأمن فى "فلوور كوربوريشن" Fluor Corporation ومقرها أورانج كاونتى. والشىء المحير أكثر أن نيلسون كان قد عمل مع وكالة الاستخبارات المركزية من ١٩٤٨ حتى ١٩٧٦. وكان رئيسًا للعمليات السرية فى أوائل السبعينيات، ثم استقال من الوكالة بعد انتقاد الكونجرس له بسبب دوره فى عمليات الوكالة فى شيلى Chile وأنجولا Angola.

وكان ضمن شبكة ليستر لتوريد السلاح رجل اسمه ريتشارد ويلكر Richard Wilker، الذى وصفه لافرانس لشو بأنه ضابط سابق بوكالة الاستخبارات المركزية ثم متعهد لدى الوكالة فيما بعد. وقال لافرانس: "كانت الفكرة كلها هى الإعداد لعملية فى السلفادور تسمح لنا بالالتفاف حول القوانين الأمريكية وتوريد المدافع لمقاتلى كونترا. وكانت الطريقة الذكية للقيام بذلك هى العثور على قاعدة حربية. فصنع السلاح هناك أسهل بكثير" وذكر لافرانس أنه ذهب إلى السلفادور ومعه "صندوقان عملاقان مليئان بالبنادق الآلية والذخيرة"، وأثناء الإقامة مع كتيبة أتلاكاتل Atlacatl Battalion، وهى إحدى الوحدات السلفادورية التى يدربها الأمريكان، جهزا عمليتهما فى مخزن بوسط مدينة سان سلفادور. وعثر على عقد خاص بهذه العملية مؤرخ فى أكتوبر ١٩٨٢ ضمن ملفات ليستر. وأوضح العقد أن مصدر ليستر فى السلفادور هو وزير الدفاع الجنرال خوزيه جييرمو جارثيا Jose Guillermo Garcia. (ارتبط اسم جييرمو جارثيا بالعديد من الفظائع، ومنها مذبحة الموزوتى El Mozote التى قتلت فيها كتيبة أتلاكاتل ألفًا من فلاحى السلفادور.)

وفى نهاية عام ١٩٨٦ لم تكن هناك حاجة إلى خدمات أناس من قبيل ليستر ولافرانس وبلاندون. ويقول شريط التليفزيون "تظاهرت وكالة الاستخبارات المركزية بأنها لا تدرى شيئًا عن هذا الأمر ... وأشار برونون Brunon إلى أنه بما أن الكونجرس الأمريكى صوّت بالموافقة على اعتمادات لحركة كونترا فى نيكاراجوا، فيبدو أن الحكومة الأمريكية تتنكر الآن للمنظمات التى مثل هذه المنظمة."

وفى ١٩٨٦ غادر بلاندون لوس أنجلوس وانتقل إلى ميامى ومعه ما يزيد على المليون دولار، حيث افتتح مطعمًا ومتجرًا لبيع السيارات. وخلال عامين كانت مشروعات بلاندون التجارية فى ميامى تتعرض للفشل، وعاد هو وزوجته إلى كاليفورنيا وحاول بناء إمبراطورية الكوكايين من جديد. وفى عام ١٩٩٠ سجل عميل بوكالة مكافحة المخدرات محادثة بين بلاندون وتاجر مخدرات آخر وصف فيها بلاندون علاقته بريك روس قائلاً: "بعت له ما بين ألفين وأربعة آلاف كيلو. وهناك سود، وهم من يسيطرون على لوس أنجلوس." وعلى امتداد الستة عشر شهرًا التالية باع بلاندون ٤٢٥ كيلو من الكوكايين، قيمتها ١٠,٥ مليون دولار. وفى ذلك الوقت كان روس قابعًا فى أحد سجون أوهايو Ohio يقضى فترة عقوبة مدتها عشر سنوات لاتجاره فى المخدرات بعد انتقاله إلى

سينسيناتي Cincinnati. وفي عام ١٩٩١ ألقت وكالة مكافحة المخدرات القبض على بلاندون وزوجته بتهمة الاتجار في الكوكايين. وأثناء المحاكمة نعت وكيل النائب العام ل.ج. أونيل L.J. O'Neale بلاندون بأنه "أكبر تاجر كوكايين نيكاراجوى". وأوصى مكتب المراقبة الأمريكي بالسجن مدى الحياة وغرامة قدرها ٤ ملايين دولار. وفي ٢ مايو ١٩٩٢، حُكم على بلاندون بالسجن لمدة أربع سنوات فقط. وفي سنة ١٩٩٣ عُدِّلت هذه الخدمة، عندما تقدم أونيل بالتماس للمحكمة يذكر فيه أن بلاندون قد وافق على أن يصبح مرشداً لوزارة العدل ووكالة مكافحة المخدرات. وطالب أونيل مقابل تعاونه هذا بتخفيف حكم بلاندون إلى المدة التي قضاها بالفعل في السجن وبالإفراج عنه بدون مراقبة أو غرامة. ووافقت المحكمة على الطلب وأطلق سراح بلاندون في ١٩ سبتمبر ١٩٩٤. وكان قد أمضى في السجن ثمانية وعشرين شهراً فقط، وأمضى كل هذه الفترة تقريباً في إفادة وكالة مكافحة المخدرات ووزارة العدل والظهور كشاهد للحكومة في محاكمات مثل محاكمة رفاييل كورنييخو Rafael Cornejo. وأعد المسرح لاتهام عصابة لوس أنجلوس رسمياً.

وفي ربيع ١٩٩٥ اتصلت وكالة مكافحة المخدرات ببلاندون بشأن الإعداد لعملية سرية تستهدف الإيقاع بعميله السابق ريك روس. وخططت العملية بينما كان روس ينتظر الإفراج المبكر عنه من سجن أوهايو. وكان قد خفف عنه الحكم لشهادته بشأن الفساد في إدارة مأمور لوس أنجلوس. وعاد روس إلى لوس أنجلوس واتصل ببلاندون الذي سأله إن كان يرغب في بدء شراء الكوكايين منه مرة أخرى. وأجاب روس بالنفي؛ فقد أراد أن يبقى نظيفاً. وضغط بلاندون على روس كي يعطيه أسماء مشترين محتملين غيره، مدعياً حاجته الشديدة إلى المال. ووافق روس على مقابلة بلاندون في مركز تجاري بسان دييجو في ٢ مارس. وعندما اقترب روس من سيارة بلاندون وجد نفسه محاطاً بضباط تنفيذ القانون، فحاول الهرب واصطدمت شاحنته الخفيفة بسور وألقى القبض عليه.

وجهت لروس تهمة الاتفاق على بيع الكوكايين مع اعتزام توزيعه وأدين بشهادة بلاندون، وحُكم عليه أخيراً بالسجن المؤبد دون أن يكون من حقه طلب الإفراج عنه قبل انتهاء المدة ـ وتلقى بلاندون مبلغ ١٦٦ ألف دولار على الأقل مقابل خدماته كعميل

لوكالة مكافحة المخدرات وعاد إلى نيكاراجوا ما بعد الثورة، حيث يمتلك الآن شركة لتصدير الأخشاب تدر عليه ربحًا وفيرًا.

ويبدو أن الرجل الذى جمَّع أجزاء هذه الأسطورة، وهو جارى وِب، من النوع المستقيم أخلاقيًا، شأنه شأن الكثير من الصحفيين الذين يكتسبون أولى خبراتهم فى الغرب الأوسط. فقد نشأ متنقلاً من مكان لمكان، كابن لأحد مشاة البحرية. ويقول وِب: "كنا تابعين مستقيمين لمشاة البحرية. وقد ربيت أنا وأخى على ازدراء الهيبيز."

وفى عام ١٩٧٨ حصل على وظيفة فى صحيفة "كنتاكى بوست" Kentucky Post. وهناك تولت تدريب وِب كصحفى جين جولتز Gene Goltz محررة التحقيقات الحائزة على جائزة بوليتزر Pulitzer قرب انتهاء حياتها العملية الطويلة. وبعد خمس سنوات فى "كنتاكى بوست"، عمل وِب محررًا للتحقيقات فى "كليفلاند بلين ديلر" Clevelan Plain Dealer فى عام ١٩٨٣، حيث كان يكتب قصصًا إخبارية عن سياسة الولاية وفساد الاتحاد. وفى عام ١٩٨٨ ذهب للعمل فى "سان هوزيه ميركورى نيوز". ومرة أخرى كُلِّف وِب بعمل تحقيقات فى أنحاء الولاية لتغطية الفساد فى حكومة الولاية.

وفى عام ١٩٩٥كتب وِب سلسلة من المقالات عن قوانين مصادرة أموال المخدرات. وكانت تلك القصة الإخبارية هى ما قاده إلى العلاقة الكاملة بين وكالة الاستخبارات المركزية وكوكايين التدخين وكونترا. ويقول وِب: "كتبت قصة إخبارية عن قضية مصادرة أموال المخدرات، وهى قضية مهمة وكبيرة كانت ستؤدى إلى رفض برنامج وزارة العدل الخاص بمصادرة أموال المخدرات." وكان الذى رفع الدعوى نزيل بأحد السجون فقَّه نفسه فى القانون اسمه مايكل مونتالبو Michael Montalbo اتضح أنه اكتشف ثغرة فى القانون. وكانت القضية هى احتمال الحكم ببطلان كل المصادرات التى تمت منذ ١٩٩١. ويقول وِب: "قلت لِنفسى إن هذه قصة مدهشة، لأن ذلك الشخص كان يقضى عقوبة السجن المؤبد بتهمة الاتجار فى الكوكايين، دون أن يكون له الحق فى طلب الإفراج عنه قبل انتهاء مدة العقوبة. وذهبت إلى سجن لومبوك Lompoc لإجراء مقابلة معه وكتبت القصة الإخبارية."

وبعد ظهور قصة مونتالبو فى "ميركورى نيوز" تلقى وِب مكالمة تليفونية من امرأة فى أوكلاند. وأخبرت المرأة الصحفى أن تلك القصة أثارت فضولها. كما قالت إنها اتصلت بمونتالبو لتسأله عن وِب، وإن تاجر المخدرات أبلغها أن وِب جدير بالثقة. وذكرت المرأة لوِب

أنه قد يهتم بقضية صديقها رفاييل كورنييخو. وكان كورنييخو قد ألقى القبض عليه بتهمة تجارة المخدرات فى عام ١٩٩٢، ومازال فى السجن منذ ثلاث سنوات بدون محاكمة. وكانت المرأة مقتنعة بأن كورنييخو لن يحاكم أبداً لأنه كان يعمل مع رجل على صلة مع وكالة الاستخبارات المركزية ومقاتلى كونترا. واسم ذلك الرجل هو نوروين مينيسيس.

ويقول وب: "كانت تلك هى المرة الأولى التى أسمع فيها اسم مينيسيس. وقالت إن الشخص الوحيد الذى أفرج عنه من عصابة المخدرات هذه هو عازف الإيقاع بفرقة "سانتانا" Santana لموسيقى الروك، وكان على ما يبدو نيكاراجوياً آخر."

وأبلغت كارول Carol صديقة كورنييخو وب أن لديها معلومات مدمرة ضد الشاهد الرئيسى ضد كورنييخو، وهو رجل من نيكاراجو اسمه أوسكار دانيلو بلاندون. وتشير المعلومات إلى أن بلاندون كان مرتبطاً بوكالة الاستخبارات المركزية وأنه كان يهرب الكوكايين من أجل مقاتلى كونترا. وأشارت كارول إلى أن الادعاءات الخاصة بصلات بلاندون بالوكالة تتضمنها مضابط هيئة المحلفين الفدرالية الكبرى.

ويمضى وب قائلاً: "لا أدرى كيف حصلت على تلك الأشياء. فقد كنت أقوم بمثل هذا العمل منذ تسع عشرة سنة ورأيت مضابط هيئة المحلفين الفدرالية الكبرى مرة واحدة فى حياتى." وكانت الحكومة قد سلمت بالصدفة التفريغات، وتقارير وكالة مكافحة المخدرات، ومستندات مكتب التحقيقات الفدرالى، وغيرها من المعلومات الخاصة بصلات بلاندون بوكالة الاستخبارات المركزية كجزء من عملية الاكتشاف.

ويضيف وب: "كان هناك من يفسد الأمور فى مكان ما. ولكنى قلت لنفسى عندما رأيت تلك المستندات إن تلك قصة مختلفة. فنحن لا نكتب قصة عن شخص مسكين فى السجن صودرت أملاكه. بل إننا نكتب قصة عن تاجر مخدرات على صلة بوكالة الاستخبارات المركزية." وعرض وب الفكرة على دون جارسيا Dawn Garcia التى كانت تدير ديسك الولاية فى "ميركورى نيوز"، حيث شجعت وب على المضى فى كتابة القصة.

عاد وب إلى المادة التى كُشف عنها النقاب بخصوص بلاندون فى قضية كورنييخو. وكانت المستندات تشير إلى أن بلاندون شهد بأنه كان يدير تجارة المخدرات لمصلحة مقاتلى كونترا وأن الوكالة أخبرته فى وقت من الأوقات أنها لم تعد بحاجة إلى أموال المخدرات لأن الكونجرس أقر اعتمادات جديدة لمقاتلى كونترا. وأشار بلاندون إلى أنه بدأ حينذاك فى تجارة المخدرات لنفسه.

وقال وِب: "الشيء الذى أدهشنى بشأن بلاندون هو أنه كان يبدو وكأنه شاهد حكومى. فهو لم يكن موجوداً من أجل أى شيء سوى الإدلاء بالشهادة باعتباره مرشداً لوكالة مكافحة المخدرات بشأن تاريخ عائلة مينيسيس. وما جعلنى أصدق الأمر هو أنه لم يكن هناك ليحاول النجاة من العقوبة. بل كان موجوداً بصفته شاهداً متعاوناً لمصلحة الحكومة."

وسأل وِب كارول عما تعرفه عن تجار المخدرات النيكاراجويين وخلفياتهم. أجابت كارول بأنها نشأت مع الكثير منهم وكانت تواعدهم. كما أخبرت وِب بأن الرجل الذى لا بد من أخذه فى الاعتبار حقًا هو نوروين مينيسيس. وكان صديقها يعمل لدى مينيسيس، وكذلك دانيلو بلاندون. وقالت كارول لوِب: "كان مينيسيس الرجل الكبير فى عصابة المخدرات." وبذلك أخذ وِب يتحرى عن ماضى مينيسيس. وقد عثر على قصة خاصة بالقبض على مينيسيس ومحاكمته بتهمة الاتجار بالمخدرات فى نيكاراجوا عام ١٩٩٢. وبعد ذلك عثر على قصة إخبارية طويلة كتبها سث روزنفيلد Seth Rosenfeld نشرت فى صحيفة "سان فرانسيسكو كرونيكل" San Farncisco Chronicle عام ١٩٨٦. ووصفت القصة بالتفصيل صلة مينيسيس بفصيل تابع لكونترا فى هُندوراس.

ويقول وِب: "كنت أعتقد أن شخصًا ما كان يتابع تلك القصة منذ عشر سنوات." واستمر فى بحث القصة حتى ديسمبر ١٩٩٥، حيث كان يصفها بأنها مسألة جمع خيوط، والحصول على قوائم بالأسماء، واكتشاف كل ما يمكنه بشأن هؤلاء المتورطين، ونفض الغبار عن السجلات والمقابلات التى أجرتها الشرطة والمحققون.

وفى نهاية ديسمبر عاد إلى جارسيا وأخبرها أن القصة بلغت حداً يجب عليه عنده البدء فى السفر من مكان لآخر. فقد كان يريد السفر إلى سان دييجو وإلى نيكاراجوا لمعرفة مكان بلاندون ومينيسيس. وحينذاك ذهبت جارسيا ووِب لمقابلة مدير تحرير "ميركورى نيوز" ديفيد يارنولد David Yarnold. وعرض الاثنان القصة بكاملها عليه، وأعطى يارنولد الضوء الأخضر لوِب كى يذهب إلى نيكاراجوا.

لم يكن وِب يتحدث الأسبانية، ولذلك اتصل بمارثا هنى Martha Honey محررة التحقيقات التى لها سنوات طويلة من الخبرة فى نيكاراجوا. واقترحت هنى أن يصطحب معه جورج هودل George Hodel الذى اشتركت معه فى تأليف كتاب عن أمريكا الوسطى. وهودل صحفى سويسرى سبق له تغطية حرب كونترا لمجلة "دير شبيجل" Der Spiegel؛ وكان قد تزوج من امرأة من نيكاراجوا بعد هزيمة ساندينستا. واتصل وِب بهودل وعرض عليه الخطوط العامة للقصة. واتضح أن هودل كانت لديه بالفعل خلفية لا بأس بها عن الموقف وكان على معرفة بالكثير من الفاعلين الرئيسيين. ويقول وِب: "كان جورج يعرف الجميع فى نيكاراجوا. لقد كان عظيماً." وهكذا ذهب وِب إلى ماناجوا وفتش هودل فى سجلات المحاكم والقصص الإخبارية. كما أجريا مقابلات مع مينيسيس. إلا أنهما لم يتمكنا من تحديد مكان الرجل الذى ذهب وِب إلى نيكاراجوا للعثور عليه، وهو دانيلو بلاندون.

وعاد وِب إلى كاليفورنيا. وكانت زيارته التالية لسان دييجو. ووقتها ظهر أخيراً اسم بلاندون المراوغ فى قضية نظرت فى عام ١٩٩٢. وعن ذلك يقول وِب: "بدأت فى تتبع قائمة من المحامين الذى كانوا يمثلون بلاندون وزملاءه المتهمين. وبدأت فى الاتصال بهم وتوجيه الأسئلة التالية لهم: 'هل رأيت بلاندون؟ هل تعرف أين هو؟ هل وصلتك منه أية أخبار؟'" ولم يكن وِب على قدر كبير من التوفيق. فقد بدا الأمر وكأن بلاندون اختفى وحسب. ثم اتصل بمحامية اسمها خوانيتا بروكس Juaninta Brooks كانت قد مثلت زوجة بلاندون فى إحدى قضايا المخدرات. وأخبرت بروكس وِب أنه كان من المقرر أن يكون بلاندون فى سان دييجو خلال شهرين للإدلاء بشهادته فى قضية متورط فيها أحد موكليها. وقالت بروكس لوِب: "إنه يعمل الآن مع وكالة مكافحة المخدرات." فسألها وِب الذى لم يصدق ما سمع: "هل أنت متأكدة من أن هذا هو الشخص الذى أقصده؟" فردت عليه بقولها: "نعم. فقد مثلت زوجته ثم اختفى من القضية واتضح أنه يعمل مع الحكومة. وقد أوقع بأحد عملائه القدامى فى عملية سرية."

وكان الاسم الذى شهد ضده بلاندون هو ريك روس، أو "فريواى" ريك، نفس الاسم الذى عثر عليه وِب أثناء تحرياته فى قصة مصادرة أموال المخدرات. وكان روس معروفاً كأحد أكبر الشخصيات فى كاليفورنيا، بصفته أحد أمراء كوكايين التدخين.

وقد داهمت الشرطة ريك، ولكنه لم يفقد أيًّا من أملاكه. كما اتضح لوِب أن الفاعلين الكبار ذهبوا لحال سبيلهم وأن تجار التجزئة على نواصي الشوارع والأمهات اللائي يتلقين مساعدة الضمان الاجتماعي فقدوا كل شيء. في البداية لم يدرك كنه الصلة التي بين بلاندون وروس. وحينذاك أكملت بروكس ما نقص بقولها: "كان دانيلو بلاندون أحد أكبر موردي روس. فقد كان يمد روس بالكوكايين لفترة طويلة. وانطباعي هو أنه ربما يكون بلاندون هو الذي أخذ بيد روس في التجارة.

وعلى عكس بلاندون، كان العثور على روس سهلاً. فقد كان محتجزًا في إصلاحية متروبوليتان Metropolitan Correctional Center في سان دييجو انتظارًا لمحاكمته. وكتب وِب خطابًا لروس يطلب فيه إجراء مقابلة مع تاجر المخدرات. ويقول وِب: "وبعد ذلك حدث أغرب شيء. فقد تلقيت مكالمة تليفونية من جيسي كاتز Jesse Katz في صحيفة 'لوس أنجلوس تايمز'. وسألني كاتز عما أرغب في التحدث فيه مع روس." وقد اتضح أن كاتز كان قد كتب صورة من قريب عن روس لصحيفة "لوس أنجلوس تايمز". وبعد نشر القصة استمر روس وكاتز في تبادل المراسلات. وعندما تلقى روس خطاب وِب الذي يطلب فيه إجراء المقابلة، اتصل بكاتز وسأله إن كان وِب صحفيًا بالفعل أم لا وعما إذا كان ينبغي التحدث إليه أم لا.

وبعد بضعة أيام اتجه وِب إلى سان دييجو لإجراء أول مقابلة له مع روس. وفوجئ وِب أن روس ومحاميه لم يكونا على علم بأن بلاندون سوف يشهد ضد تاجر كوكايين التدخين. فلم تكن الحكومة قد أمدت فريق الدفاع عن روس بقائمة بأسماء شهودها. وقال وِب: "عندما ذكرت أن بلاندون هو الذي فعلها، عرف روس فجأة أنه أوقع به."

وأبلغ روس وِب أنه عندما قبضوا عليه، ألقي به في مكان وببلاندون في آخر. وما أن علم روس بأن بلاندون كان يعمل مع وكالة مكافحة المخدرات حتى بدأ في التحدث بصراحة. فقد أبلغ وِب كل ما يعرفه عن أبناء نيكاراجوا – كيف التقى بهم، وعلاقتهم الخاصة بالمخدرات والمال، وشركاء بلاندون. ويقول وِب: "في ذلك الوقت وضعت الأمور بجوار بعضها وانتهيت إلى أن عصابة المخدرات هذه كانت تبيعها لعصابتي "كريبس" و"بلادز"، لأن ريكي روس كان أكبر تاجر جملة يبيع للعصابات في ساوث سنترال لوس أنجلوس."

والآن على وِب أن يتخذ قراراً ما.

وبعد بضعة أسابيع ذهب وِب إلى سان دييجو لحضور جلسة استماع فى قضية روس. وكان على جلسة الاستماع أن تقرر إذا ما كان محامى روس، آلن فِنسْتَر Alan Fenster، يمكنه سؤال بلاندون عن صلاته المحتملة بوكالة الاستخبارات المركزية أم لا. وكان المحققون الفدراليون قد تقدموا للمحكمة بطلب لمنع الدفاع من بحث قضايا وكالة الاستخبارات المركزية وكونترا. وكان وِب واحداً من القلائل الموجودين فى قاعة المحكمة عندما فُتح الباب ودخل جيسى كاتز. وجلس كاتز بجوار وِب وقال: "مرحباً يا جارى، كيف تسير الأمور معك؟"

"لا بأس."

"إنهم يعقدون جلسة استماع اليوم بشأن موضوع وكالة الاستخبارات المركزية الذى تتكتمه، أليس كذلك؟"

فى تلك اللحظة نهض وكيل النائب العام ل. ج. أونيل ونظر إلى وِب وكاتز. وبعد أن تحدث مع زملائه اقترب من القاضية وتحدث إليها همساً. وأشارت القاضية إلى محامى روس وقالت: "مستر فنستر، سوف نعقد جلسة الاستماع هذه عند المنصة. تفضل بالاقتراب من المنصة." وطوال حوالى خمس وأربعين دقيقة تناقشت القاضية والمحامون حول إذا ما كان بالإمكان إدخال علاقة بلاندون بوكالة الاستخبارات المركزية فى القضية. وحول هذه النقطة يقول وِب: "كل ذلك الوقت كان كاتز كالمجنون. فقد كان يحاول سماع ما يقولونه. ولكن ذلك كان مستحيلاً. وفى النهاية غضب وغادر المحكمة. ولم يعد قط لتغطية المحاكمة."

بقى وِب فى سان دييجو لحضور محاكمة روس وسمع دانيلو براندون وهو يشهد ضد فريواى ريك. وبعد ذلك تقرب محامى روس، آلن فنستر، من وِب ودعاه إلى الغداء. وأبلغ المحامى وِب أنه فى حيرة من أمره فيما يتعلق بكيفية استجواب بلاندون. وأضاف فنستر: "لم تخبرنى جهة التحقيق بشىء عن موضوع كونترا هذا. ولم يذكروا شيئاً عن وكالة الاستخبارات المركزية. إننى لا أعرف ما يكفى حتى لإثارة أى من هذا الهراء فى المحكمة."

وسأل فنستر وِب إن كان يعرف أية أسئلة يمكنه طرحها على بلاندون. ولم يفوت وِب الفرصة وقال: "كنت سأسأله الكثير من الأسئلة" وطلب وِب من فنستر الرجوع إلى

سجلات وكالة مكافحة المخدرات ومضابط هيئة المحلفين الكبرى التى سلمت كجزء من عملية الاكتشاف فى التحرى عن عصابة مينيسيس فى منطقة الخليج. وعلى الفور راجع فنستر المستندات واستطاع توجيه سلسلة من الأسئلة لبلاندون عن صلاته بكونترا، ولقاءاته بالكابتن إنريكى بيرموديث، وعلاقته بنوروين مينيسيس. ويقول وِب: "ظل المحقق أونيل يهب واقفًا معترضًا على كل سؤال. ولكن القاضية كانت جالسة فى مكانها تعبث فى أظافرها أو تفعل أى شىء وظلت تردد «الاعتراض مرفوض». وأدلى بلاندون بشهادته عن الطريقة التى تورط بها فى تجارة الكوكايين. وروى قصة لقائه بإنريكى بيرموديث وكيف وجهه قائد كونترا إلى العودة إلى الولايات المتحدة وبدء بيع الكوكايين الرخيص وإعادة الأرباح إلى مجهود كونترا الحربى. ووصف بلاندون بشىء من التفصيل أسلوب العمل الداخلى فى عصابة المخدرات الخاصة به، ومن أين يحصل على الكوكايين، وكم كيلو باعها، والمبلغ الذى باعها به.

ولكن شهادة بلاندون لم تساعد ريكى روس على إبعاد شبح الإدانة وتركته يواجه حكمًا بالسجن المؤبد. ولكنها زودت جارى وِب بأهم جزء من قصته الإخبارية. فهاهو شاهد حكومى يعترف بعد القسم ببيعه الكوكايين لمصلحة مقاتلى كونترا وبتلقيه توجيهات من الكولونيل إنريكى بيرموديث، عميل وكالة الاستخبارات المركزية مدفوع الأجر.

وبعد المحاكمة، جلس وِب وكتب قصته الإخبارية. وفى نهاية شهر مارس كان قد سلم لمديرة التحرير دون جارثيا حوالى ٢٥ ألف كلمة. وبعد ذلك بدأ المحررون العمل. ويقول وِب: "أجيزت القصة، ويبدو كما لو أنه أعيدت كتابتها ٥٠ ألف مرة." وظلت فى ذهاب وإياب بين جارسيا ومدير التحرير يارنولد ورئيس التحرير جيرى سيبوس Jerry Ceppos. ولم يبد أى منهم أية اعتراضات على المقالات. ولم يأت أحد لوِب ويقول إن الموضوع الذى يكتبه فيه مخاطرة.ومن المؤكد أن رد الفعل كان سيختلف لو أن القصة نشرت فى ذروة حرب كونترا خلال معركة انتخابات الرئاسة التى خاضها بيل كلينتون Bill Clinton عام ١٩٩٢ ضد جورج بوش. فقد رأى أنه ربما يكون من الأمان الكتابة عن تلك القضايا فى ذلك الوقت.

وكانت الرغبة فى نشر كل شىء أحد أسباب فكرة وِب الخاصة بإنشاء موقع على الإنترنت للسلسلة. وهو يقول: "كتبت مذكرة تشير إلى أن هذه السلسلة تحمل فى

طياتها عامل عدم تصديق كبيراً جداً. وأفضل طريقة لحمايتها هى نشر وثائق أخرى، ويمكننا تحقيق ذلك بسهولة على شبكة الإنترنت. وكانت إدارة الصحيفة تردد على أسماع الصحفيين ضرورة التفكير دائمًا فى طرق للاستفادة من موارد الإنترنت الضخمة للتفاعل مع القراء. وقد كانوا ينظرون على "ميركورى نيوز" على أنها صحيفة وادى السليكون Silicon Valley." وهكذا ذهب وِب ليتحدث إلى الناس فى "مركز ميركورى" Mercury Center، وهو موقع الصحيفة على الإنترنت. وكان الوصول إلى "مركز ميركورى" أحد ملامح "أمريكا أون لاين" America Online، وهى أكبر خدمة إنترنت فى البلاد. وأبلغ وِب العاملين فى "مركز ميركورى" أنه يريد استخدام الموقع لعرض كل المادة التى اعتمد عليها فى كتابة القصة الإخبارية – مضابط المحكمة، وتقارير وكالة مكافحة المخدرات ومكتب التحقيقات الفدرالى، ومضابط هيئة المحلفين الكبرى. بل إنهم ابتكروا رقائق صوتية لشهادة بلاندون فى محاكمة روس. كما تضمن الموقع كذلك التسلسل التاريخى، وصور وسير الفاعلين الرئيسيين فى القصة، والمستندات الحكومية المتصلة بها مثل التقرير الذى نشره السناتور جون كيرى بعد جلسة الاستماع الخاصة بتجارة مخدرات كونترا التى عقدها فى عام ١٩٨٨.

وأخيراً بدأت قصص وِب فى الظهور على الصفحة الأولى من "سان هوزيه ميركورى نيوز" فى ١٨ أغسطس ١٩٩٦. ولم تثر فى البداية اهتمامًا قوميًا كبيراً. وتلقى وِب مكالمة من الكاتب الصحفى نورمان سولومون، الذى كتب مقالة امتدح فيها السلسلة، وطلب منه الظهور فى برنامج دينيس برنستاين Dennis Bernstein فى محطة "كى بى إف إيه" KPFA التى يملكها بيركلى Berkeley. وكان أول مذيع مهم يستضيف وِب هو مايكل جاكسون صاحب البرنامج الشهير فى محطة "كى إيه بى سى" KABC من لوس أنجلوس. وكان ظهور وِب فى برنامج جاكسون هو المرة الأولى التى يسمع فيها الناس فى ساوث سنترال لوس أنجلوس South Central los Angeles قصة صلات وكالة الاستخبارات المركزية بيلاء كوكايين التدخين الذى ألحق أضراراً كبيرة بأحيائهم. ويقول وِب: "وهنا انفتحت كل أبواب جهنم على مصاريعها. وفجأة كان ذلك فى برامج الإذاعة فى أنحاء البلاد. وعندما كنت أتحدث فى برامج إذاعية كنت أعطى عنوان موقع الإنترنت، بحيث يمكن لأى إنسان فى أنحاء البلاد قراءة القصة. وكانت البداية الفعلية للإثارة حين أخذ الناس يقرءون هذا بأنفسهم." وسرعان ما بدأ "مركز ميركورى" يستقبل أكثر من ١,٣ مليون زائر يوميًا.

وتزامن نشر سلسلة وِب التى تحمل عنوان "التحالف الأسود" مع بدء أعمال المؤتمر القومى للحزب الديمقراطى. وكان هذا أحد أسباب عدم استرعاء القصة للقدر الكبير من الاهتمام فى البداية الذى كانت ستحظى به لولاه. ولكن عندما عادت عضو مجلس النواب عن ساوث سنترال لوس أنجلوس ماكسين ووترز إلى دائرتها، وجدت أن مكتبها غارق فى مكالمات حول القصص الإخبارية. وكان أبناء دائرتها يطالبون بإجراء تحقيق حول دور وكالة الاستخبارات المركزية فى وباء كوكايين التدخين الذى تتعرض له المدينة. واتصلت ووترز بوِب الذى قبل دعوتها لمخاطبة اجتماع فى ساوث سنترال حول قصته.

وبذلك كانت أول موجة من الدعاية بشأن "التحالف الأسود" فى مصلحته. ودُعى وِب للتحدث فى برامج تليفزيونية يقدمها جيسى جاكسون Jesse Jackson ومونتل ويليام Montel William. وظل الأمر موضوعًا ساخنًا فى الإذاعة. وعندما يعود وِب إلى ذلك يعتقد أن الهجوم عليه شُن عندما كانت القصة جاهزة لاقتحام المجال العام. وكان قد ظهر فى أواخر سبتمبر فى البرنامج الإخبارى "سى بى إس مورننج نيوز" CBS Morning News مع ماكسين ووترز واستقبل استقبالاً إيجابيًا.

وفى ٢٠ سبتمبر دعى للظهور فى برنامج فى شبكة "سى إن إن" CNN من تقديم لو ووترز. وظهر مع وِب ذلك المساء رونالد كيسلر Ronald Kessler مؤلف كتاب "داخل وكالة الاستخبارات المركزية" Inside the CIA. وبدأ ووترز الكلام بأن طلب من وِب ذكر قصته الإخبارية، ومن ثم ألح عليه أن يروى بعضًا من عناصرها الدقيقة، مثل كيفية معرفة وِب أن أموال كوكايين التدخين كانت تحول إلى أسلحة من أجل مقاتلى كونترا. وكان وِب فى منتصف الإجابة عن استفسارات ووترز عندما انقطع إرسال "سى إن إن" من سان فرانسيسكو.

وفى تلك اللحظة قال ووترز: "لدينا مشكلة صغيرة فى القمر الاصطناعى. ولنتصل برونالد كيسلر الموجود فى مكتبنا بواشنطن. فربما لا تكون هناك مشاكل فى القمر الاصطناعى هناك. هل تقبلون هذا؟"

أخذ كيسلر، المشهور بكونه محرر تحقيقات ليبراليًا، يكيل الاتهامات لوِب فيما يعد نذيرًا لما سيأتى من هجوم، زاعمًا أن وِب ليست لديه "أية أدلة" تدعم قصته.

أما وِب، الذى أعيد ربطه بالقمر الاصطناعى، فرد عليه بشراسة قائلاً: "هو يقول إنه ليس هناك توثيق. لقد بحثنا بكل المستندات على الإنترنت. إن لدينا تقارير لمكتب التحقيقات الفدرالى رفع عنها الحظر؛ ولدينا تقارير لوكالة مكافحة المخدرات. والشيء الذى يجب إدراكه هو أنه ليست هناك حقائق متنازع عليها. فدانيلو بلاندون يعترف ببيع الكوكايين لمصلحة مقاتلى كونترا. ويعترف فريواى ريك بشرائه وتحويله إلى كوكايين تدخين وبيعه للعصابات. ولدينا صور لمينيسيس وهو يقابل أدولفو كاليرو. ولدينا شهادة بأنهما التقيا بإنريكى بيرموديث. ولذلك فإن ادعاء عدم وجود توثيق يدل على الغباء".

وحينذاك غير كيسلر زاوية هجومه قائلاً إنه "ليست هناك أدلة لاستعمالها فى بيان أن هناك أى سبب لذكر تورط وكالة الاستخبارات المركزية."

فرد عليه وِب قائلاً: "ما تقوله عار من الصحة بالمرة. وأنا أعنى بوضوح أن ذلك الشخص لم يطلع على المستندات. إن لدينا تقرير مكتب التحقيقات الفدرالى لعام ١٩٨٦. ولدينا شهادة بعد أداء اليمين أدلى بها فى لوس أنجلوس المحقق الذى كان يتحرى عن بلاندون فى عام ١٩٨٦. ولذلك فهذا ليس تاجر مخدرات مدانا. فإن من أدلى بها شرطى؛ وها هو محامى الشخص يدلى بها. وها هو الشخص نفسه يعترف بها بعد أداء اليمين."

وألح كيسلر فى سؤاله قائلاً: "يعترف بماذا؟ يعترف بماذا؟ ما صلة ذلك بوكالة الاستخبارات المركزية؟"

فأجابه وِب: "يعترف بأن وكالة الاستخبارات المركزية كانت تدير العملية. قال بلاندون ذلك أمام هيئة المحلفين الكبرى الفدرالية. وشهد فى سان دييجو بأنه التقى بإنريكى بيرموديث لمناقشة هذا، ومن الواضح أن اسم بيرموديث موجود على كشوف مرتبات وكالة الاستخبارات المركزية."

ربما يكون وِب قد فاز فى الاشتباك، ولكن المعركة كانت لا تزال فى بدايتها.

■ ■ ■

المصــادر

يعتمد هذا الفصل في معظمه على هذه المصادر: قصص «التحالف الأسود» التي كتبها جاري وب وزملاؤه في صحيفة "سان هوزيه ميركوري نيوز"، بيت كاري وباميلا كرامر وتوماس فاراجر؛ مقابلة موسعة للمؤلفين مع وب ومقابلات ليست للنشر مع العديد من المحررين والصحفيين في "ميرك"؛ وقصص إخبارية كتبها نِك شو، محرر التحقيقات الجيد في صحيفة "أورانج كاونتي ويكلي". وكان شو كذلك سخيًا في مشاركته المعلومات التي لديه عن عملية السلاح الخاصة برونالد ليستر وتيم لافرانس. وكان من بين مصادر هذا الفصل الأخرى العديد من القضايا التي شملت روس ودانيلو بلاندون وغيرهما من أبناء نيكاراجوا في المنفى. ومصدر محاكمة ريكي روس في سان دييجو، التي تشمل شهادة دانيلو بلاندون، هو كتاب "الولايات المتحدة ضد جيمس" United States v. James. وقد استفدنا كذلك من شهادة بلاندون أمام هيئة المحلفين الكبرى الفدرالية التي كانت تتحرى عن عصابة المخدرات الخاصة بمينيسيس ومضابط وطلبات من محاكمة خوليو ثابالا.

Associated Press. "Ex-Contras Say CIA Cleared Planes, Cash From Narcotics Suspect." San Jose Mercury News, Oct.31, 1996.

Bernstein, Dennis, and Robert Knight. "Federal Court Cases Offer Plenty of Leads on CIAContra Drug Trafficking." Pacific News Service, Nov.15, 1996.

Blum, Jack. "Former Senate Special Counsel Discusses Controversy." Baltimore Sun, Oct.23. 1996.

Carey, Pete. "'Dark Alliance' Series Takes On a Life of Its Own." San Jose Mercury News, Oct.13, 1996.

Diamond, John. "CIA Promises Independent Probe of Drug Link." San Jose Mercury News, Sept.20, 1996.

Early, David. "MN Series Stirs National Debate." San Jose Mercury News, Oct. 6, 1996.

Farragher, Thomas. "Capital Hill Probes of Alleged CIACrack Link Begin." San Jose Mercury News, Oct.24, 1996.

Kramer, Pamela, and Pete Carey. "Results Released from Los Angeles Sheriff's Investigation." San Jose Mercury News, Dec.11, 1996.

Kramer, Pamela. "Cheers, Jeers at 'Crack' Inquiry." San Jose Mercury News, Oct.20, 1996.

"CIA Chief Braves South-Central's Anger." San Jose Mercury News, Nov. 16, 1996.

Kramer, Pamela, and Gary Webb. "No Proof of CIA-Drug Link, Sheriff Says." San Jose Mercury News, Oct. 8, 1996.

Los Angeles Sheriff's Office. "Report on Nov.19, 1996 Interview with L. J. O'Neale."

Los Angeles Times, staff report. "CIA Says It Finds No Link to Nicaraguan Cocaine Ring in Its Records." Los Angeles Times, Nov. 6, 1996.

New York Times, editorial. "The CIA and Drugs." New York Times, Nov. 5, 1996.

Perry, Tony. "Ross Gets Life; His Case Fueled CIA Crack Furor." Los Angeles Times. Nov.20, 1996.

San Jose Mercury News, editorial. "Another CIA Disgrace: Helping the Crack Flow." San Jose Mercury News, August 21, 1996.

Schou, Nick. "Secret Agent Men." Orange County Weekly, Nov. 5,1997.

"Who Is Ron Lister?" LA Weekly, Nov. 22,1996.

"New Dope on the ContraCrack Connection: Mystery Man Lister Had Ties to US Intelligence, as Did His Partners." LA Weekly, Dec.20, 1996.

"Tracks in the Snow."LA Weekly, May22, 1997.

United States District Court, Northern District of California. "Grand Jury Testimony of Danilo Bland6n." Federal Grand Jury Investigation 9301035. Feb. 3, 1994.

United States District Court, Northern District of California. United States v. Julio Zavala, et al. No. 83-CR-0l 54.

United States District Court, Southern District of California. "Testimony of Danilo Bland6n." United States of America v. Curtis James, Ricky Ross, Michael Ross. Case No. 95-0353-H-Crim. March 6 and 7, 1996.

"Motion in Lirnine to Predude Reference to the Central Intelligence Agency and for Reciprocal Discovery." United States of America v. Curtis James, Ricky Ross, Michael Ross. March 4, 1996.

Webb, Gary. "America's 'Crack' Plague Has Roots in Nicaraguan War." San Jose Mercury News, August18, 1996.

"Testirnony Links US to Drugs-Guns Trade." San Jose Mercury News, August 18, 1996.

"Shadowy Origins of 'Crack' Epidemic." San Jose Mercury News, August 19, 1996.

"Drug Agent Thought She Was on to Something Big." San Jose Mercury News, August 19, 1996.

"Drug Expert: 'Crack' Born in SF Bay Area in '74." San Jose Mercury News, August 19, 1996.

"War on Drugs Has Unequal Impact on Black Americans." San Jose Mercury News, August20, 1996.

SF Bay Area Man Tangled in Drug Web." San Jose Mercury News, August 20, 1996.

"'Dark Alliance' Series Leads to CIA Probe." San Jose Mercury News, Sept. 6, 1996.

"Dealer's Sentencing Postponed; Lawyer Gets Time to Seek Documents on Alleged CIA-Crack Link." San Jose Mercury News, Sept.14, 1996.

'Legendary Drug Dealer Gets Life." San Jose Mercury News, Nov.20, 1996.

"US Gave Visa to Nicaraguan Drug Trafficker." San Jose Mercury News, Dec. 31,1996.

Webb, Gary, and Pamela Kramer. "Black Groups Seek Probe of CIA Drug Links." San Jose Mercury News, August24, 1996.

Gag Order Concealed Possible Drug Link." San Jose Mercury News, Sept.29, 1996.

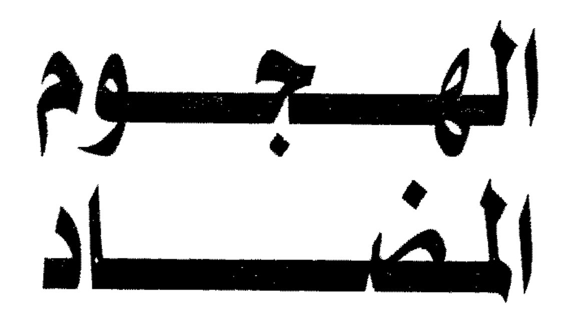
"Affidavit: Cops Knew of Drug Ring." San Jose Mercury News, Oct. 3,1996. "Drug Raid Documents Reveal Allegations of CIA Involvement." San Jose Mercury News, Oct. 6, 1996.

Webb, Gary, and Thomas Farragher. "Ex-Contras: We Saw No CIA Link to Drugs." San Jose Mercury News, Nov.27, 1996.

2

التحالف الأسود

وكالة الاستخبارات المركزية
والمخدرات والصحافة



يظل الهجوم الذى تعرض له جارى وِب وسلسلته التى نشرت فى "سان هوزيه ميركورى نيوز" واحداً من أشد الهجمات التى شنت على قدرة صحفى محترف يذكره الناس، بل وأكثرها سخافة. وهو لم يجد فى صحافة التيار العام من يدافع عنه، وأصبح من تجرءوا على مساندته أنفسهم هدفًا لإساءة وتشويه بالغين. وفى البداية صاغ ل.ج. أونيل، المحقق فى وزارة العدل الذى كان راعيًا لدانيلو بلادون ومحققًا مع ريك روس، البرنامج الجدلى المضاد له. وعندما نعود بالنظر إلى الهجوم فى هدوء ما بعد انتهاء الحدث، فإننا نجد أن الأمر المدهش هو الطريقة التى كرر بها أعداء وِب فى الصحافة تلك الهجمات.

كان هناك خيط عنصرى مزعج وراء الهجمات التى تعرضت لها سلسلة وِب، وتعرض لها من أخذ اكتشافاته مأخذ الجد. ومن الواضح، عند تفحص الهجمات المضادة لوِب فى "لوس أنجلوس تايمز" و"واشنطن بوست" Whashington Post و"نيويورك تايمز" New York Times، أن رد الفعل فى المجتمعات المحلية السوداء تجاه السلسلة كان فى رأى النخبة مزعجًا إلى حد كبير. وكان ذلك بداية اندلاع موجة من الغضب، ولم يكن مجرد ثورة لشديدى الفقر فى ساوث سنترال والمناطق الشبيهة، بل كل السود تقريبًا والكثير من البيض كذلك. وفى الهجمات المضادة، نشعر بأن هناك برنامجًا ما لتهدئة الأمور يجرى تنفيذه. فقد أثارت كارين دى يونج Karen De Young مساعدة رئيس تحرير "واشنطن بوست" ذلك الشعور عندما أجرت أليشا شبرد Alicia Shepard من مجلة "أمريكان جورناليزم ريفيو" American Journalism Review مقابلة معها وقالت: "نظرت إلى [سلسلة "ميركورى نيوز"] عندما ظهرت لأول مرة وقررت أنها شىء لا بد لنا من متابعته. وعندما صار ذلك قضية فى المجتمع الأسود وفى البرامج الجماهيرية، بدا أنه ظاهرة مختلفة." ولنتذكر كذلك أن قرار هيئة محلفى أو جى

سيمسون O.J. Simpson كان كذلك مصدر إزعاج كبير فى رأى البيض. وفى تلك الحال احتشد السود حول رجل كان معظم البيض يعتقدون أنه قاتل أثيم، وكانت هناك فى المقابل "ثورة رأى بيضاء". أما فى هذه الحالة فكان السود يحتشدون تأييداً لقصة إخبارية تفيد بصحة أشد شكوكهم الخاصة بما يرتكبه البيض ضدهم من سوء. ولذلك تضمن الهجوم المضاد إشارات مؤيدة لا تنتهى إلى "البارانويا السوداء"، مع التأدب بحشوه بقبول عارض لفكرة أن تلك البارانويا قد يكون لها أساس صحيح ما.

وهناك عامل آخر زاد من حدة الهجمات. فقد كانت تلك هى المرة الأولى التى تضطر فيها الصحافة بصورتها المعروفة لمواجهة الظروف المتغيرة فى صناعة الخبر، فيما يتصل بتسجيل الرأى العام وتوفير وسيلة شعبية للوصول إلى المعلومة. فقد تزامنت سلسلة وِب مع وصول عصر الإنترنت. وأجبر الوجود الأمريكى الكوبى شديد التحفظ ذو الصوت العالى فى ميامى صحيفة "ميامى هيرالد" Miami Hrald، وهى صحيفة أخرى من صحف نايت ريدر ضمن نفس عائلة "ميركورى نيوز"، على تغيير خطها التحريرى فى منتصف الثمانينيات. وقد اختارت الصحيفة ألا تعيد نشر سلسلة وِب. إلا أن هذا لم يمنع أحداً فى جنوبى فلوريدا من العثور على السلسلة كاملة على الإنترنت، إلى جانب المستندات المدعمة لها.

وعبارة "تهدئة الأمور" ليست فى غير محلها عند وصف ردود الأفعال تجاه سلسلة وِب. ففى منتصف الثمانينيات، كان من الممكن تجاهل الادعاءات الخاصة بمتاجرة كونترا فى المخدرات - وكانت كذلك تدعمها الأدلة الموثقة - دون أية عقوبات. وفى ظل وجود الإنترنت ورد فعل محطات الإذاعة السوداء، لم يكن ذلك ممكناً فى منتصف التسعينيات، وكان على وسائل الرأى العام المعروفة أن تشن أشرس هجوم على وِب وعلى صاحب صحيفته. وكانت تلك حملة إبادة؛ فقد كان الهدف منها القضاء على وِب وإجبار "ميركورى نيوز" على التراجع عن الفرضية الأساسية فى القصة الإخبارية. وفى الوقت ذاته، حاول هؤلاء المناورون الإعلاميون التقليل من أثر قصة وِب على المجتمع الأسود.

والنقطة المهمة الأخرى فى سياسة هذه الحملة هى أن أشرس مهاجمى وِب لم يكونوا على حق. لقد كانوا ليبراليين من التيار العام، مثل والتر بنكس Walter Pincus وريتشارد كوين Richard Cohen من "واشنطن بوست" وديفيد كورن David Corn من

صحيفة "نيشن" Nation. وكان هناك على الدوام شك متحفظ فى وكالة الاستخبارات المركزية، حتى وإن امتدح المحافظون - خارج الجناح الليبرالى - دور الوكالة الإمبريالى بشدة. وكان الوسط الليبرالى هو أشد أصدقاء الوكالة تأثيراً على الدوام، على صفحات الرأى فى "واشنطن بوست" و"نيويورك تايمز" وفى تأييد شخص مثل رئيس "واشنطن بوست" كاثرين جراهام Katharine Graham. وفى عام ١٩٨٨ قالت جراهام لدوائر وكالة الاستخبارات المركزية: "نحن نعيش فى عالم قذر وخطير. وهناك بعض الأمور التى يجب ألا يعرفها الجمهور العام، ولا ينبغى له معرفتها. وأعتقد أن الديمقراطية تزدهر عندما يتخذ رجال الحكومة خطوات مشروعة للحفاظ على أسرارها وعندما تقرر الصحافة إن كان عليها نشر ما تعرفه أم لا."

وفى منتصف سبتمبر من عام ١٩٩٦ كانت موجات الطاقة التى خلقتها سلسلة وِب فى سبيلها لأن تصبح تراكماً له أهميته وآخذة فى التحول إلى جزء لا يمكن التغاضى عنه من أجندة الأخبار القومية. فعلى سبيل المثال، صوَّر برنامج "إن بى سى ديتلاين" NBC Dateline الإخبارى الذى يذاع فى فترة الذروة مقابلات مع وِب وريك روس، وأرسل فريقًا إلى نيكاراجوا صور مقابلة مع نوروين مينيسيس وغيره من الشخصيات الموجودة فى القصة. ويحكى وِب عن محادثة جرت مع أحد منتجى "ديتلاين" الذى سأله: "لماذا لم يظهر هذا الهراء من قبل على شاشة التليفزيون؟" فأجابه وِب: "قل لى أنت. إنك رجل التليفزيون."

وبعد بضعة أسابيع من تلك المحادثة أبلغ البرنامج وِب أن الأمر يبدو وكأنهم لن يمضوا أكثر من ذلك فى القصة. وفيما بين الموعدين، كان الهجوم المضاد قد شُن، وتغير الموقف تغيراً تاماً فى كافة الشبكات. وفى ١٥ نوفمبر قالت أندريا ميتشل Andrea Mitchell من شبكة "إن بى سى" NBC (صديقة رئيس مجلس إدارة بنك الاحتياط الفدرالى آلن جرينسبان، التى تبدو وهى مستكنة بأناقة وكأنها واحدة من نخبة واشنطن كأحسن ما يكون) فى برنامج "نيوز إن دبث" News in Depth فى شبكة "إن بى سى" إن قصة وِب "كانت نظرية مؤامرة نشرتها برامج الإذاعة الجماهيرية".

وبدأت سحب العاصفة فى التجمع بمحادثة جرت تحت رعاية "سى إن إن" بين وِب ورون كيسلر. وكانت لكيسلر تعاملاته مع الوكالة. ففى سنة ١٩٩٢ نشر كتاب "داخل وكالة الاستخبارات المركزية"، وهو كتاب زاخر بالحواديت إلى حد كبير ومتعاطف

نسبيًا مع الوكالة، وخال تمامًا من النقد الحاد الذى تميز به كتاب كيسلر "مكتب التحقيقات الفدرالى" The FBI. وسجلت بضعة تقارير كتبت فى عامى ١٩٩١ و١٩٩٢ رأى الوكالة فى تجربة العمل مع كيسلر وغيره من الصحفيين.

وتناقش مذكرة لوكالة الاستخبارات المركزية فى عام ١٩٩١طلب كيسلر الحصول على معلومات وتتباهى بإقامة علاقة وطيدة مع كيسلر، "وهو ما ساعد على تحويل بعض قصص «فشل الاستخبارات» إلى قصص «نجاح الاستخبارات». وبطبيعة الحال قد تكون هذه مجرد محاولة فاشلة من جانب أحد ضباط الوكالة يخدم بها نفسه، ولكن من المؤكد أن كيسلر كان غير موضوعى بالنسبة للوكالة. وتمضى مذكرة وكالة الاستخبارات المركزية ذاتها لتبين أن الوكالة تحتفظ بـ"علاقات مع صحفيين من كل خدمة سلكية وصحيفة ومجلة أسبوعية وشبكة تليفزيون كبرى". وتضيف المذكرة أنه "فى الكثير من الحالات أقنعنا الصحفيين بتأجيل قصص إخبارية قد يكون لها أثر عكسى على المصالح الأمنية القومية أو تلحق الأذى بالمصادر أو الإجراءات، أو تغييرها، أو حجبها، أو حتى إلقائها فى سلة المهملات."

وجاء الهجوم التالى ضد وِب من صديق قديم فى الوكالة، هو أرنو دى بورشجراف Arnaud de Borchgrave. وكان دى بورشجراف قد عمل كاتبًا صحفيًا فى مجلة "نيوزويك" Newsweek لعدة سنوات ولم يخف حقيقة النظر إلى الكثير من زملائه على أنهم عملاء لـ"كى جى بى". وكان هو نفسه يتباهى بعلاقاته الحميمة مع أجهزة الاستخبارات الفرنسية والبريطانية والأمريكية، وكان شديد اليمينية فى آرائه. وهو يكتب فى السنوات الأخيرة لصحيفة "واشنطن تايمز" Washington Times النشطة، وهى صحيفة محافظة يملكها القس صن مايونج مون Sun Myung Moon.

وكان جوهر هجوم دى بورشجراف، الذى ظهر فى "واشنطن تايمز" فى ٢٤ سبتمبر ١٩٩٦، هو أن فرضية وِب الأساسية خاطئة، لأن مقاتلى كونترا كانوا يتمرغون فى أموال وكالة الاستخبارات المركزية. وكشأن كل المنتقدين تقريبًا، لم يبذل دى بورشجراف أى جهد فى التعامل مع المستندات الكثيرة، مثل مضبطة هيئة المحلفين الكبرى التى حصل عليها وِب وتوجد على موقع "ميركورى نيوز" فى شبكة الإنترنت. والواقع أن بعض هؤلاء الصحفيين الذين يتمتعون بأكبر قدر من الخبرة فى واشنطن أبدوا ضمن انتقاداتهم عزوفًا ملحوظًا عن دراسة مثل تلك المستندات. وأشار دى

بورشجراف إلى أنه عندما تنتهى كل التحريات، فإن أغلب ما سيظهر سيكون هو أن بضعة ضباط من وكالة الاستخبارات المركزية كانوا يتربحون لحسابهم الخاص.

وفى نفس يوم ٢٤ سبتمبر ١٩٩٦ وقع هجوم أشد خبثًا اتخذ شكل مقابلة مع وِب أجراها كريستوفر ماثيوز Christopher Matthews على محطة تليفزيون الكيبل "سى إن بى سى" CNBC. وهنا نجد بعض المفارقات. فقد عمل ماثيوز فى يوم من الأيام لدى رئيس مجلس النواب تيب أونيل Tip O'Neill. وكان أونيل متعاطفًا مع التعديل المعارض لتمويل كونترا المقدم من زميله من ماساتشوستس إدوارد بولاند. ومن ناحية أخرى كان رد فعل أونيل سريعًا تجاه الغضب العارم من الكوكايين عقب وفاة لين بياس Len Bias، نجم كرة السلة بجامعة ميريلاند Maryland والمرشح للانضمام لفريق "سيلتكس" Celtics. وفى ذلك الوقت تقدم من خلال مجلس النواب ببعض تشريعات "الحرب على المخدرات" المخيفة التى لا تزال آثارها الرهيبة قائمة حتى الآن.

وترك ماثيوز مكتب أونيل ولديه خطة عمل محسوبة بدقة لتسويق نفسه ككاتب صحفى ينشر مقالاته فى عدة صحف فى وقت واحد وكناقد تليفزيونى. وبعد أن وصف ماثيوز نفسه بأنه ليبرالى من يمين الوسط، اعتاد تحاشى قول الحقيقة فى آرائه، ويعتبره كثيرون من محررى صفحة الرأى شخصًا متباهياً حريصًا كل الحرص على اقتناص أحسن الفرص. ومن الواضح أن إحساسًا من ماثيوز بالاتجاه الذى تهب منه الريح جعله يستغل برنامجه لشن هجوم شرس على وِب. وفى البداية ألح فى مضايقة الصحفى بافتراضه أنه لم يقدم دليلاً على "تورط ضباط وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية بشكل مباشر". ورد عليه وِب بقوله: "من الذى قال أى شىء عن عملاء وكالة الاستخبارات المركزية؟ هذه أكثر وجهات النظر التى رأيتها فى حياتى عنصرية. فوكالة الاستخبارات المركزية تستخدم على الدوام مواطنين أجانب. وفى تلك العملية كانت تستخدم أبناء نيكاراجوا فى المنفى."

ومن الواضح أن ماثيوز كان قد درس مقالة بورشجراف ذلك الصباح. وكان تحديه التالى لوِب بخصوص إن كان مقاتلو كونترا فى حاجة إلى أموال المخدرات أم لا. وكان مساعدو ماثيوز فى الأبحاث قد أعدوا تسلسلاً زمنيًا بغرض بيان أن مقاتلى كونترا كان لديهم فيض من الأموال خلال الفترة التى تشير قصص وِب إلى أنهم كانوا بحاجة ماسة إلى المال من أى مصدر.

إلا أن وِب الذى عاش التسلسل الزمنى لمدة ثمانية عشر شهراً، كان مسلحًا بالمعلومات. وبكل أناة وصبر أوضح لجمهور ماثيوز بالأدلة كيف أن عملية مينيسيس وبلاندون لمقايضة المخدرات بالسلاح بلغت ذروتها خلال الفترة التى خفض فيها الكونجرس فى البداية التمويل الأمريكى لجيش كونترا المتمركز فى هُندوراس، ثم أوقفه تماما بعد ذلك. وقال وِب لماثيوز: "عندما أعيد تمويل وكالة الاستخبارات المركزية، قبض على كل هؤلاء الأشخاص." ويقول وِب إن ماثيوز غضب غضبًا شديداً من طاقمه بعد المقابلة ووبخ العاملين معه قائلاً: "هذا أمر غريب. لقد تعرضت للتخريب."

وأخذ الإيقاع يزداد سرعة. ففى ١ أكتوبر تلقى وِب مكالمة تليفونية فى سان دييجو من هوارد كورتز Howard Kurtz المحرر الإعلامى فى "واشنطن بوست". ويقول وِب: "اتصل بى كورتز، وبعد بضعة أسئلة بريئة ظننت الأمر سينتهى عند هذا الحد." ولكن هذا لم يحدث. فقد ظهر نقد كورتز فى ٢ أكتوبر وكان نموذجًا لهجمات كثيرة أعقبته. وكان الأسلوب هو البساطة بعينها: سلسلة من الأشخاص الوهميين الذين استحضروا على عجل، واختفوا بنفس السرعة. وبدأ كورتز بوصف الطريقة التى "يذيع" بها السود والساسة الليبراليون و"بعض" الصحفيين "إحدى قصص 'ميركورى نيوز' التى يقولون إنها تربط وكالة الاستخبارات المركزية بتجارة المخدرات فى الولايات المتحدة". وروى كورتز الطريقة التى أصبحت بها قصة وِب " موضوعًا ساخنًا" من خلال وسائل الإنترنت غير الموثوق بها وبرامج الإذاعة الجماهيرية السوداء. ومضى كورتز يقول: "هناك مشكلة واحدة وحسب. فالسلسلة لا تقول بالفعل إن وكالة الاستخبارات المركزية كانت على علم بأمر تجارة المخدرات." ولكى يعزز كورتز هذا الزعم، كتب يقول إن وِب "اعترف" فى دردشتهما القصيرة بذلك بقوله "إننا لم ندَّع غير ذلك قط. وهذا لا يثبت أن وكالة الاستخبارات المركزية كانت تستهدف السود. وهو لا يقول إن هذا كان بأوامر من وكالة الاستخبارات المركزية. ونحن أساسًا توقفنا عند باب وكالة الاستخبارات المركزية، حيث لم يردوا على مكالماتى التليفونية."

إن ما فعله وِب فى السلسلة هو أنه أوضح بالتفصيل كيف أن أزمة تمويل كونترا أوجدت مبيعات كوكايين التدخين الضخمة فى ساوث سنترال، وكيف أن التجار الذين يبيعون هذا الكوكايين بالجملة كانوا محميين من التحقيق حتى انتهاء أزمة التمويل، وكيف أن تجار الجملة هؤلاء أنفسهم لم يودعوا السجن قط، بل وظفهم المحققون

الفدراليون مرشدين. وقد يقال إن قضية وِب تتعلق بالظروف، ولكن التحقيقات التى أجريت بشأن نفس القدر من الأدلة المتعلقة بالظروف شهدت أناسًا يحكم عليهم بالسجن المؤبد. وكان وِب يقول الصدق بشأن نقطة أخرى كذلك، وهى أن وكالة الاستخبارات المركزية لم ترد على مكالماته التليفونية. وعلى عكس زملاء كورتز فى "واشنطن بوست" أو تيم جولدن Tim Golden من "نيويورك تايمز"، الذى عرض أربعًا وعشرين مقابلة ليست للنشر فى هجومه، رفض وِب نشر مقتطفات من كلام المسئولين دون نسبها لأصحابها. والواقع أن وِب كان لديه مصدر فى وكالة الاستخبارات المركزية. ويقول وِب: "أبلغنى أنه يعرف من هم هؤلاء الأشخاص وكان يعلم أنهم تجار مخدرات، ولكنه لم يسمح لى بالنشر، ولذلك لم أستغل مادته فى القصة. وسبب عدم استغلالنا لها أنهم لم يردوا على مكالماتى التليفونية وأنكروا مطالبتى بتطبيق قانون حرية المعلومات."

ولنفترض أن وكالة الاستخبارات المركزية ردت على مكالمات وِب. فما الذى كان سيقوله المتحدث الرسمى سوى أن ادعاءات وِب غير معقولة وغير صحيحة؟ إن وكالة الاستخبارات المركزية جهة حكومية تلتزم السرية بشأن أنشطتها، وظلت فى عشرات المناسبات غير صادقة عند استدعائها للإدلاء بشهادة أمام أية لجنة حكومية. ولم ينتظر من الوكالة أن تجيب بصراحة عن سؤال مزعج من أحد الصحفيين؟ ومع ذلك ظلت التعويذة التى يرددها مهاجمو وِب مرارًا وتكرارًا هى أن وكالة الاستخبارات المركزية أنكرت اتهاماته وهو لم يقدم هذا الإنكار باعتباره وجهة نظر الوكالة.

إن وكالة الاستخبارات المركزية ليست روضة أطفال. فالوكالة مسئولة عن أية أفعال رهيبة، بما فى ذلك أعمال القتل. ومع ذلك ظل الصحفيون يعاملونها كما لو كانت جهة لا تخضع للمساءلة مثل المحكمة الدستورية العليا. وافترض الكثير من المهاجمين أن وِب شخص مقصر لعدم عثوره على أمر موقع من ويليام كيسى يفوض ضباط الوكالة توجيه إنريكى بيرموديث للترتيب مع نوروين مينيسيس ودانيلو بلاندون لبيع "س كيلو من الكوكايين". وهذا تكتيك قديم يعرف باسم "البحث عن دليل دامغ". ولكن هذا الأمر المباشر لن يجده صحفى أبدًا. وحتى إذا كان هناك دليل دامغ بشكل واضح، مثل الإشارة إلى معجون الكوكايين فى دفاتر أوليفر نورث، فإن الدليل الدامغ نادرًا ما يظهر فى القصص الجديدة. وقد أفرج عن دفاتر نورث ليطلع عليها الجمهور فى أوائل

التسعينيات. وكان بإمكان الجميع أن يروا مادة بتاريخ ٩ يوليو ١٩٨٤ تصف محادثة مع رجل وكالة الاستخبارات المركزية ديوى كلاريدج: "أراد طائرة للذهاب بها إلى بوليفيا لجلب المعجون." ومادة أخرى بنفس التاريخ تقول: "يريد طائرة لجلب ١٥٠٠ كيلو."

ويقول عميل وكالة مكافحة المخدرات السابق مايكل ليفن Michael Levine، الذى أمضى أكثر من عشر سنوات متعقبًا تجار المخدرات فى المكسيك وجنوب شرقى آسيا وبوليفيا: "فى بوليفيا ليس لديهم سوى نوع واحد من المعجون. إنه معجون الكوكايين. ولدينا شخص يعمل فى مجلس الأمن القومى يتحدث إلى أحد عملاء وكالة الاستخبارات المركزية عن مكالمة تليفونية إلى أدولفو كاليرو. وفى مكالمة التليفون هذه يناقشان جلب معجون الكوكايين من بوليفيا ويريدان طائرة لنقل ١٥٠٠ كيلو." ولم يذكر أى من مهاجمى وِب هذه المواد التى تحويها المذكرات.

وساد نوع من الحرفية المهووسة الهجمات التى اتخذت نمط الجدل العقيم الخاص بكورتز. فعلى سبيل المثال كان المنتقدون يعودون مرارًا وتكرارًا لاتهام وِب للمفهوم الضمنى بأن وكالة الاستخبارات المركزية كانت تستهدف السود. وكما لاحظنا، فإن وِب لم يقل ذلك فى واقع الأمر، بل وصف وحسب السياق الذى جعل السود مستهدفين من قبل تجار الجملة. إلا أننا نرى أن هناك أمثلة كثيرة استهدفت فيها وكالة الاستخبارات المركزية، ومعها جهات حكومية أخرى، السود بصراحة تامة - مثل اختبار سُمِّية جراثيم الأمراض، أو آثار الإشعاع والمخدرات المغيبة للعقل. إلا أن وِب لم يقترب بحال من الأحوال من التفاصيل الراسخة الخاصة بهذا الاستهداف. بل إنه اعتمد على الكلام عن "البارانويا السوداء" التى تفضل الليبراليون وقالوا إنه يمكن إرجاعها إلى التجربة التاريخية السوداء، والتى يعرِّفها المحافظون بلا لف ولا دوران بأنها "اللاعقلانية السوداء".

ولم يضيِّع كورتز وقتًا فى السعى وراء أخلاقيات وِب الصحفية واتهام "ميركورى نيوز" بتسويق السلسلة القائم على الاستغلال. وباعتبار كورتز محكمًا للأخلاق الصحفية، فقد انتقد وِب بشدة لإشارته إلى مقاتلى كونترا على أنه "جيش وكالة الاستخبارات المركزية"، قائلاً إن وِب استخدم هذه الجملة لمجرد توريط الوكالة. وتكرر هذا الاتهام إلى ما لا نهاية فى الهجمات التى شنت على وِب، وكان أسخف الاتهامات

إلى حد بعيد. والحقيقة التى اتفق عليها الجميع إلا قليلاً من الماويين الشرسين الذين تحولوا إلى ريجانيين، مثل روبرت لَيكن Robert Leiken بجامعة هارفارد Harvard. وتلك الحقيقة هى أن مقاتلى كونترا كانوا يجندون ويدربون ويمولون بإشراف من الوكالة. وصحيح أن فى أكبر الغارات - تفجير موانئ نيكاراجوا والغارات التى تعرضت لها معامل تكرير البترول - استغلت الوكالة رجالها، ولم تثق فى وكلائها. إلا أن قوة كونترا الأساسية ظلت لعشر سنوات جيش وكالة الاستخبارات المركزية بالفعل، وكانوا يطيعون أوامرها.

وفى الهجوم على الصحفيين الذين تعدوا حدود الذوق السياسى الطيب، يبذل المهاجمون جهداً فى دق إسفين بين الصحفى والمؤسسة التى يعمل بها. فعلى سبيل المثال، عندما أرسل راى بونر Ray Bonner، الذى كان يراسل "نيويورك تايمز" من أمريكا الوسطى، برقية تقول ما لا يجب قوله - وجود أمريكيين فى جلسة تعذيب - هاجمت صحيفة "وول ستريت جورنال" والساسة فى واشنطن "نيويورك تايمز" باعتبارها غير مسئولة لنشرها هذا التقرير. ولم تقف "نيويورك تايمز" مع بونر، وسمحت بتحدى مصداقيته المهنية بنجاح.

وحدث صدع بين وب وصحيفته عندما استصدر بياناً من جيرى سيبوس رئيس التحرير التنفيذى لصحيفة "ميركورى نيوز" قال فيه إنه "منزعج لأن كثيرين قفزوا إلى نتيجة أن وكالة الاستخبارات المركزية متورطة." وهذه الملاحظة الاعتذارية من جانب سيبوس لم يضيِّعها مهاجمو وِب الذين نجحوا فى توسيع الصدع بين الصحفى ورئيس التحرير.

والتكنيك المقدس الآخر فى مهام التدمير هذه هو الاتهام بأن تلك كلها "أخبار قديمة" - فى مقابل السلعة السخيفة الأخرى "تخمين لا أساس له". واستخدم كورتز مناورة "أخبار قديمة" عندما كتب: "حقيقة أن مقاتلى كونترا كانوا متورطين فى تجارة المخدرات معروفة منذ عشر سنوات." ولا بد أن كورتز شعر بشيء من العار وهو يكتب تلك السطور، ذلك أن صحيفته كانت حريصة كل الحرص على تحاشى إبلاغ قرائها بهذه الحقيقة. وزعم كورتز، بطريقة تدعو للضحك، أن "حكومة ريجان اعترفت بذلك فى الثمانينيات، إلا أن التحقيقات التى أجريت بعد ذلك لم تثبت أن وكالة الاستخبارات المركزية تغاضت عن الموضوع أو حتى كانت تعلم به." وأثارت هذه الجملة الغريبة أسئلة

محيرة: متى "اعترفت" حكومة ريجان "بذلك"؟ وإذا كانت حكومة ريجان تعلم بالأمر، فكيف ظلت وكالة الاستخبارات المركزية على جهلها به؟ ولنتذكر أنه فى الثمانينيات كانت حكومة ريجان تشير إلى مقاتلى كونترا على أنهم "المعادل الأخلاقى للآباء المؤسسين"، وكانت تتهم أعضاء ساندينستا بأنهم مهربو مخدرات.

وانتقد كورتز وِب على نحو شخصى، قائلاً إنه "بدا واعيًا بصنع الأخبار". ولتوضيح ذلك، استشهد كورتز برسالة كان وِب قد كتبها لريك روس فى يوليو ١٩٩٦ بشأن توقيت السلسلة. وأبلغ وِب روس أنها قد تنشر تقريبًا فى وقت صدور الحكم عليه، لكى "توجد أكبر قدر ممكن من اهتمام الجماهير". وكما أبلغ وِب روس صراحة، كانت تلك هى الطريقة التى تعمل بها صناعة الخبر. وهى بالفعل كذلك، فى "واشنطن بوست" أكثر بكثير من "ميركورى نيوز". كما يعترف أى شخص متابع لترويج "واشنطن بوست" لكتب بوب وودورد Bob Woodward، ولكنهم يصورون وِب كمتهم بتضخم الذات لإخباره روس بحقيقة من حقائق الحياة الصحفية.

وفى يوم الجمعة ٤ أكتوبر كانت "واشنطن بوست" شديدة الشراسة فى هجومها على وِب و"ميركورى نيوز". وتضمن الهجوم ما لا يقل عن خمسة آلاف كلمة فى خمس مقالات. وكانت الصفحة الأولى تحمل مقالاً رئيسيًا بقلم روبرتو سورو Roberto Suro ووالتر بنكص بعنوان "وكالة الاستخبارات المركزية وكوكايين التدخين: افتقاد الأدلة على وجود مؤامرة تتصل بكونترا". وكان على الصفحة الأولى كذلك مقال بقلم مايكل فليتشر Michael Fletcher عن البارانويا السوداء. وتضمن القسم A من الصحيفة مقالاً آخر على إحدى الصفحات الداخلية، وكان صورة من قريب لنوروين مينيسيس كتبها دوجلاس فاراه Douglas Farah. وكان هناك عمود جانبى كتبه والتر بنكص بعنوان "تاريخ طويل لادعاءات المخدرات" يلخص كل تاريخ تورط وكالة الاستخبارات المركزية فى إنتاج المخدرات فى جنوب شرقى آسيا - وهى القصة التى عرضها آل ماكوى Al McCoy فى ٦٣٤ صفحة - فى ٣٠٠ كلمة. وأخيرًا الصفحة الأولى من قسم الموضة فى "واشنطن بوست" التى تضمنت فى ذلك الصباح من يوم الجمعة مقالاً كتبته دونا بريت Donna Britt بعنوان "البحث عن أحق الحقائق". وكان موضوع بريت هو كيف يروى السود الحكايات لبعضهم البعض ويحسدون الأمور أثناء ذلك.

وعلاقة والتر بنكص بقطاع الاستخبارات قديمة ومعروفة. فقد عمل فى الفترة من ١٩٥٥ حتى ١٩٥٧ مع الاستخبارات المضادة فى الجيش الأمريكى بواشنطن العاصمة. وبنكص نفسه مصدر مفيد بشأن صلاته الأولى بوكالة الاستخبارات المركزية. ففى سنة ١٩٦٨، عندما كانت كشفت المجلة الراديكالية "رامبارتس" Ram-parts قصة اختراق الوكالة لاتحاد الطلبة القومى، كتب بنكص اعترافًا خطيرًا على نفسه فى "واشنطن بوست". فقد حكى بأسلوب اعترافى كيف رعت الوكالة ثلاث رحلات قام بها اعتبارًا من عام ١٩٦٠. حيث ذهب إلى مؤتمرات فى فيتنام، وأكرا، ونيودلهى كمراقب لوكالة الاستخبارات المركزية. وكان من الواضح أن تلك تلمذة كان بنكص - كما كان هو يعرف جيدًا - يقيم فيها باعتباره مرشحًا لأن يكون ضابطًا. ومن الواضح أنها تركت انطباعًا جيدًا، لأن وكالة الاستخبارات المركزية طلبت منه القيام بمزيد من العمل. ويقول بنكص إنه رفض، مع أنه سيكون من الصعب أن نكتشف من تقاريره الصحفية ـ على الأقل ـ أنه لم يكن عميلاً من عملاء الوكالة. وتصف "واشنطن تايمز" بنكص بأنه شخص "يشير إليه البعض فى الوكالة على أنه "الصحفى المقيم بوكالة الاستخبارات المركزية".

وبما أن قصة وِب تدور حول شخصيتى بلاندون ومينيسيس الرئيسيتين، فمن الطبيعى أن يركز بنكص وسورو على ابنى نيكاراجوا، زاعمين أنهما لم يكونا فى يوم من الأيام فاعلين مهمين فى دوائر كونترا. ومن أجل دعم هذا الرأى، ساق كُتَّاب "واشنطن بوست" تأكيدات أدولفو كاليرو المشكوك فيه إلى حد ما. وكما هو الحال بالنسبة لتكذيبات وكالة الاستخبارات الأخرى، فإن المرء يدخل هنا منطقة الوهم. فقد كان الصحفيون يستخدمون ما يفترض أنه مصدر موثوق به لديه دافع قوى لإنكار أن منظمته كان لها أية علاقة بتجارة الكوكايين التى يتهمونها بها. واستشهد بنكص وسورو بقول كاليرو إنه عندما التقى بمينيسيس وبلاندون "لم تكن لدينا بلورة مسحورة كى نعرف من هما أو ماذا كانا يفعلان". وقد أبرز رأى كاليرو باعتباره موثوقًا به، بينما اعتبر أن بلاندون ومينيسيس يبالغان فى وضعهما داخل "إف دى إن".

وهكذا نجد أن وِب يكتب - بناء على شهادة بلاندون كشاهد حكومى أمام هيئة المحلفين الكبرى الفدرالية - أن قائد "إف دى إن" الكولونيل إنريكى بيرموديث منح مينيسيس لقب رئيس الاستخبارات والأمن فى "إف دى إن" بكاليفورنيا. ولدينا من

ناحية أخرى تكذيبات لبنكص وسورو تنطوى على المصلحة الشخصية من رجل اتهمه دينيس أينزورث الأستاذ بجامعة هيوارد بكاليفورنيا في مكتب التحقيقات الفدرالى بأنه "مريض بالكذب".

وكما فعل كورتز، تحرك بنكص وسورو فى اتجاه اتهام وب بأنه تصرف بطريقة غير أخلاقية. وهذه المرة كان الاتهام يوحى بسؤال معين يمكن أن يطرحه آلن فنستر محامى روس على بلاندون. وكان رد وب دائمًا هو أنه سيكون من الصعب تخيل مكان أفضل من قاعة المحكمة، حيث يؤدى الشهود اليمين، للحصول على إجابات موثوق بها.

ولكن كيف حدث أن ركز كل كُتَّاب "واشنطن بوست" بكل هذا القدر من المعرفة على مشهد المحكمة هذا على وجه الخصوص؟

لا يذكر كورتز اسمه أبدًا، ويشير إليه بنكص وسورو عرضًا، ولكن وكيل النائب العام ل.ج. أونيل نفسه كان يستجوبه محققو إدارة مأمور لوس أنجلوس فى ٩ نوفمبر ١٩٩٦. وتبين مضبطة المقابلة أونيل وهو ينعم بمقاصته الأمنية شديدة السرية مع وكالة الاستخبارات المركزية ويقول إن "إحساسه الشخصى هو أن مستر وب قد أصبح جزءًا من فريق دفاع ريكى روس. كما قال إن رأيه الشخصى هو أن تورط وب كان على حافة التواطؤ". وبينما كان أونيل يتحدث، كان يفتش عن مستند. وقال المحققون فى تقريرهم: "اتصل فى حضورنا بهوارد كورتز كاتب أول مقال فى 'واشنطن بوست' ولكن أحدًا لم يرد." وعليه، فقد اتصل فى وجودهم كذلك بوالتر بنكص.

ويوحى هذا التلميح إلى العلاقات القائمة من قبل بين "واشنطن بوست" والمحقق الفدرالى بأن أونيل ساهم فى هجمات "واشنطن بوست" على وب بما يزيد قليلاً عما يوحى به ذكر اسمه العارض. والواقع أن المقارنة بين دعوى أونيل ومقال بنكص وسورو تبين أن ثنائى "واشنطن بوست" اتبع بأمانة اتجاه هجوم أونيل. ومرة أخرى يكون الدافع مهمًا. فأونيل لديه سبب قوى لمحاولة تدمير صحفى، وصف بكل دقة الطريقة التى أصبح بها النائب العام الأمريكى راعيًا وموجهًا لدانيلو بلاندون. وكان وب قد وصف كيفية إنقاذ أونيل لبلاندون من السجن المؤبد، وحصل له على وظيفة كعميل حكومى، واستغله كشاهد رئيسى فى سلسلة من المحاكمات. وكان لأونيل نصيب كبير فى تشويه صورة وب.

وزعْم أونيل، الذى ردده بنكص وسورو، هو أن بلاندون شارك فى المقام الأول فى إرسال أرباح الكوكايين إلى مقاتلى كونترا فى أواخر ١٩٨١ و١٩٨٢، قبل أن تكون له علاقة بريك روس. بل إن كمية الكوكايين التى باعها بلاندون كانت مجرد جزء صغير من السوق القومية للمخدرات، وبذلك لم يكن لها دور حاسم فى تنشيط بلاء كوكايين التدخين فى لوس أنجلوس. بعبارة أخرى، فإن بلاندون، طبقًا لاتجاه أونيل فى "واشنطن بوست"، باع كمية بسيطة نسبيًا من الكوكايين فى ١٩٨١ و١٩٨٢ (فيما بعد صار الرقم السحرى الذى يساوى ٥٠ ألف دولار نصًا مقدسًا فيما بين منتقدى وِب). وكان اشتراكه مع روس قد بدأ بعد تخلى بلاندون عن توزيعه الخيرى على مقاتلى كونترا، وبذلك كان الأمر عملاً إجراميًا صرفًا دون أن تكون له أية تشعبات سياسية. وعليه لا يمكن أن تكون هناك صلة ـ ولو ضمنية ـ بين وكالة الاستخبارات المركزية وزيادة كوكايين التدخين.

وعكس أونيل الموقف الذى كان قد اتخذه عندما كان يحقق مع بلاندون ويسميه "أكبر تاجر كوكايين من نيكاراجوا فى الولايات المتحدة". فهاهو يزعم أن إجمالى مبيعاته من الكوكايين بلغت ٥ أطنان فقط، وبذلك لا يمكن اعتباره مسئولاً عن زيادة كوكايين التدخين. وهذه المقولة المحددة تلقاها بنكص وسورو بامتنان. وكتب بنكص وسورو: "تقول تقديرات جهات تنفيذ القانون إن إجمالى ما تعامل فيه بلاندون بلغ حوالى خمسة أطنان من الكوكايين خلال حياته العملية التى دامت عشر سنوات."

تخيل لو أن "واشنطن بوست" كانت تتعامل مع قول للعمدة ماريون بارى Marion Barry بأنه خلال فترة توليه العمودية تعامل تجار المخدرات فى المربعات السكنية المحيطة بمكتبه فى حوالى ١٠ آلاف رطل "فقط" من كوكايين التدخين!

لقد هاجموا وِب لقوله فى السطور الأولى من سلسلته إن "ملايين" الدولارات أرسلت إلى مقاتلى كونترا. وفى إفاداته التى أدلى أونيل بها لمحقق إدارة مأمور لوس أنجلوس، قال إن " ... إجمالى ما تعامل فيه بلاندون هو ٤٠ كيلو من الكوكايين فى الفترة من يناير إلى ديسمبر ١٩٨٢. واستخدمت الأرباح لشراء أسلحة ومعدات لمقاتلى كونترا". وكان أونيل يحاول تقليل حجم مبيعات الكوكايين "السياسى". إلا أن بلاندون كان يبيع فى ذلك الوقت ما تزيد قيمته على المليونى دولار – خلال جزء فقط من الفترة التى عرفها وِب بأنها الوقت الذى كانت تحول فيها أرباح الكوكايين إلى هُندوراس.

ويمكن قياس درجة العداء الموجه إلى وب ليس فقط من خلال الملخصات الدؤوبة لما يقوله معارضو وب التى يقدمها أونيل، بل كذلك من خلال مداهمة عملاء وزارة العدل ووكالة مكافحة المخدرات لمكتب وكيل جارى وب الأدبى جودى هوتشكيس Hody Hotchkiss فى "وكالة سترلنج لورد" Sterling Lord Agency. وقد جاء رجال الحكومة شاهرين أمرًا من المحكمة بإحضار كل نسخ المراسلات بين "وكالة سترلنج لورد"، وريك روس، ومحامى روس آلن فنستر، ووب. وبررت وكالة مكافحة المخدرات التفتيش بأنها كانت ترغب فى معرفة إن كانت لروس أية أصول يمكن ضبطها لدفع غراماته الضخمة. ولكن وب يظن أنهم "كانوا يفتشون فى واقع الأمر عن اتفاق ما بينى وبين روس. فقد كانوا يريدون تشويه سمعتى كصحفى بقولهم إنه يعقد اتفاقات مع تجار المخدرات". ولم تسفر المداهمة عن أى دليل على مثل هذا الاتفاق، لأنه لم يكن لها وجود.

وكان يجاور بنكص وسورو على الصفحة الأولى فى ذلك اليوم الرابع من أكتوبر مقال فلتشر عن سوسولوجيا البارانويا السوداء. وزعم فلتشر أن السود يتمسكون بالمعتقدات بغض النظر عن "عدم وجود الأدلة الفعلية" وعن "تكذيب المسئولين الحكوميين". وأورد فلتشر ما ينبغى من المواقف بخصوص تاريخ الأمريكيين السود "المرير". ثم جمع بعض المؤامرات المفترضة (ذلك أن الحكومة تعمدت إصابة السود بفيروس الإيدز، وأن دجاج الكنيسة المحمر ومشروبات "سنابل" Snapple أضيفت إليها كيماويات لتعقيم الرجال السود) ولمَّح إلى أن الادعاءات الخاصة بوكالة الاستخبارات المركزية وتجارة الكوكايين كانت على نفس النمط. واعترف فلتشر أنه صحيح أن السود لديهم أسبابهم للشعور بعقدة الاضطهاد. وكتب بحساسية قائلاً إن "الكثير من إدارات الشرطة فى الجنوب اتهمت بأن لها صلات مع جماعة 'كو كلوكس كلان' Ku Klux Klan".[(١)] وذكر عرضًا تجسس مكتب التحقيقات الفدرالى على حياة مارتن لوثر كنج Martin Luther King Jr. الخاصة والعملية السرية الخاصة بعمدة واشنطن العاصمة ماريون بارى. كما تناول بشكل عارض تجارب السفلس (الزهرى) التى أجرتها الحكومة على السود فى تسكيجى بولاية ألاباما Tuskegee, Alabama. "إن تاريخ ظلم السود يسمح للخرافات - والبارانويا الصريحة فى بعض الأحيان - أن تنتشر." وبعبارة

---

(١) منظمة سرية فى جنوب الولايات المتحدة نشطت لمدة سنوات بعد الحرب الأهلية لقمع السلطات التى حصل عليها السود حديثًا، وكانت مسئولة عن الكثير من الأعمال غير القانونية والعنيفة ضد السود. وعادت المنظمة للظهور عام ١٩١٥ فى الجنوب وأماكن أخرى. **(المترجم)**

أخرى، فالسود هم الذين وراء كل شيء. ذلك أن أشياء رهيبة تحدث لهم، ثم يعاملونهم بتعال فى "واشنطن بوست" لتخيلهم أن هذه الأشياء الرهيبة يمكن أن تحدث مرة أخرى. وانتهى فليتشر إلى أنه "حتى وإن أُجرى تحقيق كبير، فمن غير المحتمل الحد من تأكد الكثير من الأمريكيين الأفارقة من أن الحكومة كان لها دور فى إدخال وباء كوكايين التدخين فى مجتمعات السود المحلية".

وبعد بضعة أيام، استكمل مقال افتتاحى فى "واشنطن بوست" فكرة اللاعقلانية السوداء وعدم وجود أساس لفرضية وِب. وأشار الكاتب إلى أن "'ميركورى نيوز' استعارت الكثير جداً من رأى معين خاص بسلوك وكالة الاستخبارات المركزية غير السوى الذى انتشر قبل عشر سنوات." ومضى المقال الافتتاحى قائلاً: "ولم تكن أكبر صدمة هى القصة الإخبارية، بل المصداقية التى يبدو أن القصة أوجدتها حين بلغت بعض أجزاء مجتمع السود." وكانت هذه الجملة المدهشة ترجمة دقيقة لما كان يزعج "واشنطن بوست" فى الواقع، وهو ليس اتهامًا لوكالة الاستخبارات المركزية بالتواطؤ فى تهريب المخدرات، بل هو احتمال شك السود فى نوايا الحكومة تجاههم. وقال مقال "واشنطن بوست" الافتتاحى بجدية إنه "إذا كانت وكالة الاستخبارات المركزية قد شاركت تجار المخدرات، فلم يكن هدفها إفساد الأمريكيين وإنما دعم مشروع وكالة الاستخبارات المركزية وأهدافها فى الخارج."

وفى الأسابيع التالية، أجج كُتَّاب "واشنطن بوست" النار. وقالت مارى ماكجرورى Mary McGrory عميدة النقاد الليبراليين إن "واشنطن بوست" نجحت فى "تشويه صورة" "ميركورى نيوز". وانتقد ريتشارد كوين، الذى يشعر دومًا بضيق من موضوع أمريكا السوداء، عضو مجلس النواب ماكسين ووترز لمطالبتها بإجراء تحقيق بعد أن انتهت "واشنطن بوست إلى أن اتهامات وِب "لا أساس لها" كما قالت: "عندما يتعلق الأمر بالسذاجة – أم أن الأمر لا يعدو كونه انتهازية سياسية؟ – فلا نظير لووترز."

وكانت هناك قصة ضمن هجوم ٤ أكتوبر تختلف اختلافًا بينًا عن المقالات التى معها. وكانت تلك هى صورة من قريب عن مينيسيس كتبها دوجلاس فاراه حسنت بالفعل موقف قصة وِب. وأرسل فاراه، مراسل "واشنطن بوست" فى أمريكا الوسطى، برقية من ماناجوا تقدم رواية مفصلة عن حياة مينيسيس العملية كتاجر مخدرات، منذ عام ١٩٧٤. ووصف فاراه كيف أن مينيسيس " عمل مع مقاتلى كونترا لمدة خمس

سنوات، حيث كان يقوم بجمع الأموال وتدريب الرجال وإرسالهم إلى هُندوراس". وقد أكد المقابلة التى جرت بين مينيسيس وإنريكى بيرموديث، وأضاف إحدى التفاصيل – وهى العرّادة[1] التى أهداها مينيسيس للكولونيل. ثم قدم فاراه أمرًا مدهشًا، كان قابعًا فى الفقرة الثانية عشرة من قصته. فقد نقل عن "مصادر عليمة" أن وكالة الاستخبارات المركزية استأجرت مينيسيس عام ١٩٨٨ فى محاولة للإيقاع بقادة ساندينستا السياسيين والعسكريين فى عمليات سرية للمخدرات. وأورد فاراه اسم عميل وكالة مكافحة المخدرات فيديريكو بيّاريال Federico Villareal. ولم تختلف وكالة مكافحة المخدرات على هذه الرواية للأحداث. بعبارة أخرى، فقد جعل فاراه مينيسيس يؤدى مهمة سياسية لمصلحة الحكومة الأمريكية، إلى جانب القصة التى رواها زميلاه بنكص وسورو مدعيين أن مينيسيس لم تكن له تلك الصلات.

وبعد وقت قصير من هجمات "واشنطن بوست" فى ٢ أكتوبر و٤ أكتوبر، أرسل رئيس تحرير "ميركورى نيوز" جيرى سيبوس رسالة مفصلة إلى "واشنطن بوست" مدافعًا فيها بشدة عن وب ومفندًا الانتقادات. وكتب سيبوس: "إن 'واشنطن بوست' لها كل الحق فى التوصل إلى نتائج مختلفة عن تلك التى توصلت إليها 'ميركورى نيوز'. ولكنى أشعر بخيبة أمل بسبب نبرة 'وما أهمية ذلك' المنتشرة فى نقد 'واشنطن بوست'. وإذا كانت الوكالة على علم بالأنشطة غير المشروعة التى يقوم بها شركاؤها، فإن القانون الفدرالى والأسس الأخلاقية كانت تقتضى إبلاغ السلطات المحلية. ويبدو لى أن هذا هو على وجه الدقة نوع القصص الذى ينبغى لأية صحيفة أن تسلط عليه الضوء."

ورفضت "واشنطن بوست" نشر الرسالة. واتصل سيبوس بستيفن روزنفيلد Ste-phen Rosenfeld، نائب محرر صفحة الرأى، الذى اقترح تعديل سيبوس لرسالته وإرسالها مرة أخرى. وعلى الفور فعل سيبوس ذلك، ومرة أخرى رفضت "واشنطن بوست" نشر رده. وقال روزنفيلد إن رسالة سيبوس "تضليل". وفى وقت لاحق كتب سيبوس فى "ميركورى نيوز": "ذهلت عندما رفضت 'واشنطن بوست' طلبى للرد على نقدها الطويل لسلسلة 'التحالف الأسود'. وكانت 'واشنطن بوست' قد شجعتنى فى البداية، حيث طلبت منى إعادة كتابة المقال ثم الموافقة على تغييرات أخرى. وأعدت الكتابة وأجريت التغييرات. ثم تلقيت منذ بضعة أيام فاكسًا من فقرة واحدة يقول إن

(١) قاذفة سهام على هيئة منجنيق صغير. **(المترجم)**

«واشنطن بوست» «لا يمكنها نشر ردى». وبالإضافة إلى أسباب أخرى، قالت 'واشنطن بوست' إن صحفًا أخرى أكدت "بصورة كبيرة' نقد 'واشنطن بوست' لسلسلتنا. وأنا أصر منذ سنوات على عدم ممارسة الصحف لـ"التفكير الجماعى'. ولا أزال متأكداً من أن الغالبية لا تفكر بهذه الطريقة. ولكن مقولة 'واشنطن بوست' تعطى بالتأكيد وسيلة هجوم لأشد النقاد خبثًا فى الصحافة الأمريكية. كما قالت 'واشنطن بوست' كذلك إننى تراجعت - فى مكان آخر - عن المواقف التى اتخذتها فى المقال الذى كتبته لـ'واشنطن بوست'. ولكنى لم أتراجع. إننى أصيح لمن أصغى السمع (وكتبت ذلك فى رسالة أخرى لـ'واشنطن بوست'). كان الوقت قد فات. ففى اليوم الذى بعثت فيه 'واشنطن بوست' إلىّ الفاكس، كانت صحيفة 'لوس أنجلوس تايمز' قد كتبت إن الصحفى جارى وِب الذى كتب سلسلة 'التحالف الأسود' وأنا، تراجعنا عن العديد من النقاط الأساسية. وأصبح الخيال حقيقة. وكأن ليس لى لسان ولا آلة كاتبة، وفقدت فجأة القدرة على الوصول إلى الصحيفة التى كانت أول من انتقد سلسلتنا انتقاداً مريراً."

وفحصت مسئولة الشكاوى فى "واشنطن بوست" جنيفا أوفرهولزر Geneva Over-holzer فى ١٠ نوفمبر الإجراءات الوضيعة التى اتخذتها الصحيفة لمهاجمة وِب بشراسة. وفى النهاية أدانت صحيفتها بـ"الحماس الذى أسىء توجيهه"، ولكنها انتهزت الفرصة فى البداية لغرس بضع سكاكين أخرى فى جسم وِب المسكين. فقد قالت أوفرهولزر: "كانت سلسلة 'سان هوزيه' زاخرة بالأخطاء. ويبدو أن من كتبها شخص أهوج يميل إلى جعل الناس يقفزون إلى النتائج التى لم يدعمها ما كتبه – وخاصة أن وكالة الاستخبارات المركزية تورطت وهى عالمة فى إدخال المخدرات إلى الولايات المتحدة." ثم حولت أنظارها إلى محررى "واشنطن بوست"، قائلة إن "واشنطن بوست" أبدت من الغضب لحماية وكالة الاستخبارات المركزية أكثر مما أبدته لحماية الناس من تجاوزات الحكومة. وأضافت قائلة: "كان صحفيو 'واشنطن بوست' يعلمون أن هناك دليلاً قويًا على أن وكالة الاستخبارات المركزية على أقل تقدير اختارت التغاضى عن تورط مقاتلى كونترا فى تجارة المخدرات. إلا أنه عندما انكشف ذلك فى الثمانينيات، أحدث 'بعض الإثارة'، كما أشارت 'واشنطن بوست' بلطف. ولو كان الأمر كما قيل، لرحبنا بفورة الرأى العام كمناسبة للعودة إلى موضوع لم تعره 'واشنطن بوست' ولا

الجمهور القدر الكافى من الاهتمام. ولكن لسوء الحظ أن رفض قصة الآخرين باعتبارها أخباراً قديمة هو الرد الأكثر طبيعية."

ورغم غضب سيبوس من 'واشنطن بوست'، فإن الهجمات الشرسة من جانب بعض الهيئات التى كان يرى أنها تتمتع بسمعة مهنية عظيمة كانت فى سبيلها لأخذ دورها فى الهجوم. ومن الممكن جداً كذلك أنه كان يشعر بالضغط من داخل إمبراطورية نايت ريدر. واستناداً إلى مقالات سيبوس التى تتضح فيها نبرة الشكوى بشأن سلسلة وِب فى "ميركورى نيوز" ـ ومقاله المنشور فى ٤ نوفمبر مثال لذلك ـ ربما لم يكن لدى سيبوس ما يلزمه من العزم الذى يبديه أثناء تعرضه للضغط.

وكلف سيبوس محرر تحقيقات آخر فى "ميركورى نيوز"، وهو بيت كارى Pete Car-ey، بمراجعة ما كتبه وِب ضد اتهامات النقاد الإعلاميين. وفى ١٢ أكتوبر نشرت "ميركورى نيوز" ما توصل إليه كارى، وهو ما دعم عمل وِب وأضاف بالفعل معلومات جديدة، وخاصة فيما يتعلق بإذن التفتيش الخاص ببلاندون وشريكه فى تجارة السلاح رونالد ليستر. ولكن رغم إثبات صحة ما كتبه وِب، فإن تكليف كارى كان نذيراً بتزايد موقف الصحيفة الدفاعى.

وكان النذير الآخر هو رد فعل سيبوس تجاه اتهام وِب بأن له مصلحة خاصة فى القصة الإخبارية لأنه كان لديه عرض لتأليف كتاب وعروض لكتابة قصة فيلم. وأوردت "لوس أنجلوس تايمز" أن وِب وقَّع اتفاقًا، وهو ما ليس صحيحًا. ويقول وِب: "هذه القصة أفقدت سيبوس صوابه، وقال إنها جعلت الصحيفة تبدو فى صورة سيئة." وأبلغ وِب سيبوس أنه لم يوقع أية اتفاقات. وهنا قال له سيبوس: "لا أريدك أن توقع أية اتفاقات، وفى حال توقيعك أية اتفاقات على كتاب أو اتفاقات على فيلم سينمائى فلن يعود بإمكانك الاستمرار فى كتابة هذه القصة لنا."

ويقول وِب إنه رد عليه بقوله: "هذا معناه أنك تطلب الكثير. فهذا هو ما يحلم به معظم الصحفيين."

فقال سيبوس: "عليك إذن أن تحزم أمرك. فإما أن تعقد اتفاقًا على تأليف كتاب، أو أن تستمر فى العمل معنا."

عاد وِب إلى بيته ليناقش ذلك الإنذار مع زوجته سو Sue، معالجة الجهاز التنفسى، التى قالت له: "اضحك عليهم. ألف الكتاب، واكتب قصة الفيلم، ودع 'ميركورى نيوز' تحل مشاكلها بنفسها."

فرد عليها وِب بقوله: "إنى أدين بالكثير للصحيفة. وهى الآن تتعرض لهجوم شرس." ثم اتصل بهوتشكيس فى "سترلينج لورد" Sterling Lord وقال له "انس الكتب. انس اتفاقات الفيلم. إنهم يريدون منى كتابة المزيد من القصص. وبعد ذلك سأؤلف الكتاب".

كانت قدرة سو على فهم "ميركورى نيوز" أفضل من فهم زوجها لها. فبعد أن طلب سيبوس من وِب التخلى عن الاتفاقات وكتابة القصص للصحيفة، أضاع بذلك على الصحفى الذى يعمل لديه فرصة الكتاب والفيلم، ثم لم ينشر القصص، وأخيرًا سعى إلى تدمير مستقبله المهنى.

وكان الهجوم التالى هجومًا مزدوجًا من جانبى القارة، فى يوم الأحد ١٧ أكتوبر فى صحيفة "نيويورك تايمز"، حيث أُعطيت صفحة كاملة للصحفى تيم جولدن يوجه فيها ضربات عنيفة لوِب. وفى "لوس أنجلوس تايمز"، أعد جيش من أربعة عشر محررًا وثلاثة مديرى تحرير سلسلة من ثلاثة أجزاء تستهدف القضاء على وِب إلى الأبد.

وكان مقال جولدن بعنوان "حكاية وكالة الاستخبارات المركزية والمخدرات لها خصوصيتها" بارزًا لأسباب منها عداء مصادره المتزايد. فقد زعم جولدن أنه أجرى مقابلات مع "أكثر من عشرة من المتمردين الحاليين والسابقين، وضباط وكالة الاستخبارات المركزية، وعملاء المخدرات". وطبقًا لما قالته تلك المصادر، انتهى جولدن إلى أن هناك دليلاً "ضئيلاً" يدعم زعم الصحيفة أن المسئولين النيكاراجويين المتمردين الذين كانوا على علاقة بوكالة الاستخبارات المركزية قاموا بدور أساسى فى نشر كوكايين التدخين فى أنحاء لوس أنجلوس وغيرها من المدن. والصلة المشتركة الواضحة بين كل المسئولين الذين أورد جولد كلامهم باعتبارهم منتقدين لوِب هو أنهم ظلوا غفلاً لا نعلم أسماءهم. وسمح أدولفو كاليرو وحده بذكر اسمه. كما سمح محررو كاليرو فى "نيويورك تايمز" له بعرض عشرات من الأقوال المُجَهَّلة دون أى ذكر لأسماء المصادر. ولم تمنح "ميركورى نيوز" مثل هذا التسهيل، ولم يطلبه هو منها.

والواقع أن قصة جولدن لم يكن لها أى مغزى. فقد أخذ القول الفصل بشأن القصة من ذلك الأسود المتودد للبيض الدكتور ألفين بوسنت Alvin Poussaint الأستاذ فى كلية الطب بجامعة هارفارد. وقد أرجع بوسنت، الذى يصدرونه دائمًا فى مثل هذه المواقف، رد فعل أمريكا السوداء تجاه قصة "ميركورى نيوز" إلى البارانويا السوداء. ولم يكن التعاطف مع سمعة وكالة الاستخبارات المركزية بالشىء الجديد على "نيويورك تايمز". ففى سنة ١٩٨٧، أسهم الصحفى كيث شنايدر Keith Schneider بسلسلة من ثلاثة أجزاء تنفى ادعاءات تجارة كونترا فى المخدرات. وبعد شهر أوضح شنايدر لمجلة "إن ذيس تايمز" In These Times سبب انتهاجه ذلك النهج. فقد قال إن تلك القصة يمكن أن «تحطم الجمهورية». وأظن أن نشرنا القصة أمر على قدر كبير من الضرر، ومعانيها الضمنية شديدة الغرابة، وكان من الأحرى أن تستند إلى أقوى ما يمكن تجميعه من أدلة. بعبارة أخرى، كان لا بد من إقرار الوكالة لها.

وكانت سلسلة "لوس أنجلوس تايمز" الأكثر تفصيلاً والأكثر مراوغة من بين كل الهجمات التى شنت على وب. فعلى مدى شهرين كانوا يستهزئون بالصحيفة الأوسع انتشارًا فى سادرن كاليفورنيا لتضييعها القصة الموجودة على عتبة بابها. وكانت الطريقة الوحيد لإنقاذ سمعتها هى ادعاء عدم وجود قصة كبيرة تضيعها. وكان ذلك هو السبيل الذى اتخذته. وكان سيصبح من الغريب لو أن "لوس أنجلوس تايمز" ربتت على ظهر "ميركورى نيوز" وامتدحت عملها الجيد، خاصة فى ظل اتجاه رئيس تحريرها شيلبى كوفى الثالث Shelby Coffee III. وقد جاء كوفى إلى لوس أنجلوس من "واشنطن بوست"، حيث كان محرر قسم الموضة. وكانوا يعتبرونه هناك واحدًا من حاشية كاثرين جراهام ولا يمكن أن يقلب الموازين بحال من الأحوال. وكان من المستحيل أن يوافق كوفى على قصة تزعج النخبة الليبرالية. ويقول دينيس ماكدوجال Dennis McDougal، الصحفى فى "لوس أنجلوس تايمز" سابقًا، فى مقابلة أجرتها معه "نيو تايمز": "إنه التعريف المعجمى للشخص الذى يريد حماية الوضع الراهن. وهو يزن الأمور ليعرف إن كان التحقيق ستكون له ردود أفعال بين النخب الحاكمة أم لا. وإذا كان كذلك، فإن فرص نشره فى "لوس أنجلوس تايمز" تقل بناء على هذا".

ولا يمكن وصف الحالة النفسية للمجموعة التى كانت تعد السلسلة تحت قيادة دويل ماكماناس Doyle McManus بأنها تجرد موضوعى عن الأهواء. فقد أشاروا إلى

أنفسهم على أنهم "فريق تدمير جارى وِب" كما أورد بيتر كورنبلوه فى "كولومبيا جورناليزم ريفيو"، وتباهى فى المكتب بحرمان وِب من جائزة بوليتزر.

وكان أهم عمل بالنسبة لفريق الإعدام هو التعامل مع فنائه الخلفى فقد كلفوا خصم وِب القديم جيسى كاتز بنسف تأكيد وِب على أن عصابة بلاندون/روس للكوكايين ساعدت على انتشار وباء كوكايين التدخين فى لوس أنجلوس. وعلى الفور نشر كاتز مقالاً يزعم أن "انتشار الكوكايين الرخيص القابل للتدخين فى الثمانينيات كان ظاهرة تتسم بالمساواة بشكل فريد، حيث كان عمليات صغيرة أكثر منه الجانب الشرير فى مؤامرة تحظى بموافقة الحكومة." ومضى كاتز ليقلل من أهمية دور روس بقوله: "لم يكن للطريقة التى بلغ بها وباء كوكايين التدخين ذلك الحد أية علاقة بروس إلى حد ما." ثم أكد كاتز بعد ذلك أن العصابات كانت لها علاقة ضعيفة بتجارة كوكايين التدخين، أو ليس لها بها أية علاقة، مشيراً بصراحة إلى أن مبيعات كوكايين التدخين لم "تملأ خزائن بلادز و"كريبس". كما عارض فكرة أن تعاطى كوكايين التدخين انتشر إلى سائر أنحاء البلاد من لوس أنجلوس.

وكان ذلك تغيراً فيما سبق أن أوردته "لوس أنجلوس تايمز" وكاتز من آراء، قبل أن تحتل مهمة تدمير "ميركورى نيوز" المرتبة الأولى. فقد كانت القضية التى تحظى بتأييد شديد من الصحيفة خلال منتصف وأواخر الثمانينيات هى أن إدارة شرطة لوس أنجلوس اضطرت لسحق العصابات. وفى قصة إخبارية نشرت سنة ١٩٨٧، وصفت "لوس أنجلوس تايمز" العصابات بأنها "مشاة اتحادات نيكاراجوا الاحتكارية". وفى ٤ أغسطس ١٩٨٩ كانت قصة إخبارية أخرى نشرت بتعاطف تقريراً لوزارة العدل: "تسيطر عصابات الشوارع الآن على تجارة كوكايين التدخين فى لوس أنجلوس وغيرها، وهو ما يرجع إلى حد ما إلى لجوئها المتكرر للعنف الدموى لفرض التفوق التجارى الإقليمى، ولمنع الغش، ولمعاقبة منافسى العصابة. وحددت إدارة شرطة لوس أنجلوس ٤٧ مدينة، من سياتلSeatle إلى كانساس سيتى Kansas City، إلى بلتيمور Baltimore، حيث ظهر تجار عصابات الشوارع."

وبالنسبة لروس، نشرت "لوس أنجلوس تايمز فى ٢٠ ديسمبر ١٩٩٤ تحقيقاً من ٢٤٠٠ كلمة كتبه كاتز بعنوان "إطلاق سراح ملك كوكايين التدخين المخلوع بعد خمس

سنوات فى السجن. هذا المورِّد الرئيسى كان له دور أساسى فى نشر المخدرات فى لوس أنجلوس." وقد أزال كاتز كل علامات الوقف فى مقدمته التى تقول: "إذا كان للعاصفة عين، وإذا كان هناك عقل إجرامى مدبر وراء عهد كوكايين التدخين الذى دام عشر سنوات، وإذا كان هناك رأسمالى خارج على القانون مسئول أكثر من غيره عن إغراق شوارع لوس أنجلوس بالكوكايين الذى يُسَوِّق على نطاق واسع، لكان اسمه فريواى ريك." وأورد كاتز فى مقاله أن "روس فعل أكثر مما فعله أى إنسان سواه لمقرطته، وزيادة حجمه، وتخفيض أسعاره، ونشر المرض على نطاق واسع لم يخطر على بال أحد من قبل." ودعا كاتز روس بـ"أول أمير لكوكايين التدخين تقدر ثروته بالملايين" وقال إن "مؤسسته الممتدة من الساحل للساحل كانت تبيع يوميًا ما تزيد قيمته على ٥٠٠ ألف دولار، وهو حجم مبيعات مذهل جعل المخدر فى متناول أى إنسان مقابل بضعة دولارات."

وبعد يوم واحد، كان دويل ماكماناس هو الذى يسعى للقضاء على عمل وب بشأن صلات كونترا. ويأمل المرء أن يكون ماكماناس قد شعر بقليل من الإحراج لمهاجمة صحيفته لوب بسبب سلوكه مسلكًا غير أخلاقى بتوقيعه اتفاق كتاب (وهو ما لم يفعله وب فى الواقع، كما سبق وأشرنا). وكان ماكماناس نفسه قد كتب عن فضيحة إيران/كونترا، وأصدر فى الوقت نفسه كتابًا عن تلك القضية، بالاشتراك مع جين ماير Jane Mayer. وسلك ماكماناس السبيل المألوف الخاص بحشو قصته باقتباسات مجهلة لمقاتلى كونترا ورجال وكالة الاستخبارات المركزية وشركاء بلاندون، وجميعهم بطبيعة الحال يعلنون براءتهم. وقال ماكماناس لأليشا شبرد من"أمريكان جورناليزم ريفيو" برياء: "أتمنى بالطبع لو أننا استطعنا ذكرهم بأسمائهم." واعترف ماكماناس ـ فيما يبدو نوعًا من السباق الصحفى نحو القاع مع شريكيه فى الهجوم بنكص وجولدن ـ بأن مينيسيس أعطى مقاتلى كونترا ما بين ٢٠ و٣٠ دولارًا فى كل مرة، وأكد أن إجمالى مساهمة مينيسيس وبلاندون كانت أقل بكثير من ٥٠ ألف دولار. وهذا الاستنتاج مستمد من مصادر ماكماناس التى لم يذكر أسماءها، ولا بد من مضاهاتها بشهادة المحكمة التى أدلت بها مصادر معلومة الاسم بعد أداء اليمين استشهد بها وب. ولم تكن هناك سلطة أقل من وكيل النائب العام الفدرالى ل.ج. أونيل، الذى كان يقلل أرقام الدولارات لأسباب سبقت الإشارة إليها، تقدم حتى ذلك الوقت الدليل على رقم يزيد على المليونى دولار فى السنة الواحدة.

وحاول ماكماناس وضع سيناريو يعطى فيه بلاندون ومينيسيس القليل جداً لمقاتلى كونترا، الذين لم تكن تربطهم به أية صلة من الناحية الرسمية، وفيه لم يتح كوكايين مينيسيس لريك روس تحويله إلى كوكايين تدخين. وزعم ماكماناس أن كوكايين تدخين روس لم تكن له صلة بأبناء نيكاراجوا. وفى رواية ماكماناس ، كان بلاندون ومينيسيس مخلبى قط لا حول لهما ولا قوة. إلا أنه وسط كل هذا السعى الذى لا يهدأ لتدمير تسلسل وِب الزمنى، أخطأ ماكماناس خطأً كبيراً فى الحساب. فقد زعم أن بلاندون ومينيسيس قطعا علاقتهما "تماماً فى عام ١٩٨٣". وبعد بضع فقرات، ووسط حكاية قصد بها إثبات أن مينيسيس رئيس عصابة لا تحسن التصويب، أورد ماكماناس وصفاً مفصلاً لمشهد فى منزل مينيسيس فى سان فرانسيسكو فى نوفمبر من عام ١٩٨٤. وعرَّف المصدر بأنه عضو فى عصابة بلاندون للكوكايين. وهو يصف رد فعل مينيسيس وبلاندون تجاه الأخبار التى تقول إن خايرو مينيسيس Jairo Meneses، ابن عم مينيسيس، وريناتو بينيا كابريرا، المتحدث الرسمى باسم مجموعة "إف دى إن" فى سان فرانسيسكو، قد ألقى القبض عليهما بتهمة الاتجار فى الكوكايين. ومع أن ماكماناس كان قد قال للتو إن مينيسيس وبلاندون انفصلا قبل ذلك بعامين، فقد جعلهما الآن وسط تقسيم الربح الذى حققته إحدى صفقات الكوكايين. "أتم دانيلو ونوروين صفقة تجارية ما. وكان مقدار الصفقة ٤٠ كيلو. قُسِّم المبلغ كله. وكانت هناك عملات ورقية فى كل أرجاء المكان. وكان لدى نوروين شرائح لحم على الفحم. فسيكون هناك حفل كبير. ويدق جرس التليفون وتصرخ مارجريتا 'قبضوا على خايرو'. وأخلى الجميع المكان فى لمح البصر. سحبوا النقود وفروا. ولا أظن أن أحداً أطفأ فحم الشواء."

ومن الصعب تخيل أية حكاية يمكنها أن تفند بهذه الفاعلية كل شىء سبق أن أجهد ماكماناس نفسه كى يجعله مقبولاً.

وكان هدف ماكماناس الآخر هو تأكيد طهارة وكالة الاستخبارات المركزية. وفى نهاية المقابلة كان فنسنت كانيسترارو Vinsent Cannistraro الضابط السابق بالوكالة وعضو هيئة العاملين بمجلس الأمن القومى فى فترة أوليفر نورث يكافح برجولة بناء على طلب ريجان العاجل من أجل إخراج مقاتلى كونترا من أزمتهم المالية. وأبلغ كانيسترارو ماكماناس أن رؤساء مركز وكالة الاستخبارات المركزية كانوا فى بعض الأحيان يتغاضون عن "الأعمال المشينة التى يرتكبها المتعاونون الأجانب الذين

يجندونهم". وأشار كانيسترارو إلى هذه السمة على أنها "وقوع فى غرام عميلك". إلا أن كانيسترارو أصر بعناد على "عدم وجود اتجاه للتغاضى عن تجارة المخدرات. فهذه مسألة شديدة الحساسية. وهى ليست منطقة مستترة يمكنك فيها التوارى عن القوانين." (فى ١٩٩٨ اعترف المفتش العام بوكالة الاستخبارات المركزية فى النهاية بأن الوكالة تلقت فى عام ١٩٨٢ إذنًا من وزارة العدل بعدم الإبلاغ عن تجارة المخدرات التى يقوم بها عملاء الوكالة.) وما لم يسر به ماكماناس إلى قرائه هو أن كانيسترارو كانت له مصلحة شخصية قوية فى إنكار أى تغاض عن الاتجار فى المخدرات من جانب الوكالة. فقد أشرف على الكثير من عمليات الوكالة/كونترا ثم نقل بعد ذلك إلى مجلس الأمن القومى، حيث أشرف على مساعدات الولايات المتحدة للمجاهدين الأفغان. وكما سنرى، فقد كان المجاهدون متورطين بقوة فى تهريب الأفيون والهيروين، وربما كان أكثر الأجزاء لفتًا للانتباه فى الوقاحة التى فى هجوم ماكماناس هو تأكيده على أنه حتى مينيسيس كان يبيع المخدرات فى كاليفورنيا ويحول الأرباح إلى مقاتلى كونترا، وكان على وكالة الاستخبارات المركزية أن تغض الطرف عن ذلك، لأن الوكالة كان محظورًا عليها التجسس محليًا!

وحتى بعد اللكمات التى كالتها صحف الساحلين الشرقى والغربى لوِب، شعر الرجل أنه لا يزال يحتفظ بتأييد رؤسائه، حيث قال: "لقد شجعونى على الاستمرار فى كتابة القصة لكى يمكننا الصمود أمام "واشنطن بوست". وواصل وِب بحثه طوال الشهرين التاليين. وقد ازداد ما لديه من أدلة على معرفة وكالة الاستخبارات المباشرة بعمليات مينيسيس فى كوستاريكا والسلفادور. فقد تتبع الطريقة التى جعلت بها وكالة مكافحة المخدرات من مينيسيس واحدًا من مرشديها فى بداية ١٩٨٥. كما وفر المزيد من الأدلة بشأن زاوية المال المثيرة للجدل، حيث اكتشف أن مبلغًا قدره ٥ ملايين دولار حولته عصابة بلاندون/مينيسيس إلى مقاتلى كونترا فى عام ١٩٨٣ وحده. وسلم وِب القصص لمديرة تحريره دون جارثيا فى يناير ١٩٩٧، ونامت عليها الصحيفة. ويقول وِب: "لم يحرروها. قالوا لى إنهم قرءوها، ولكنهم لم يطلبوا منى أية مستندات مؤيدة. كما أنهم لم يوجهوا لى أى سؤال عنها."

وبعد ذلك تلقى وِب مكالمة تليفونية من صديق يقول فيها إن صحفية طلبت منه نسخًا من كل قصاصات وِب. ويبدو أن الصحفية كانت مهتمة بالتنقيب فى خلفية وِب

الشخصية. وقد سألت على وجه التحديد عن حدث أطلق فيه وِب النار من مسدسه عيار ٢٢, ٠ على رجل كان يحاول سرقة سيارته القيمة طراز TR6 وهدد وِب وزوجته التى كانت حاملاً وقتها. (اتضح أن الرجل كان لصًا محليًا معروفًا سبقت إدانته بالقتل) وكانت الصحفية التى تسعى وراء تلك القصة هى أليشا شبرد من "أمريكان جورناليزم ريفيو". وكانت شبرد تعمل قبل ذلك فى "سان هوزيه ميركورى نيوز". وكانت قصتها محاولة أخرى للنيل من أخلاق وِب الصحفية، ولكن محاولة النيل منه كانت فى تلك المرة آتية من مصدر أقرب إليه. وروى وِب كيف أن شارون روزنهاوس Sharon Rosen-hause مدير تحرير "سان فرانسيسكو اجزامينر" San Francisco Examiner، (وهى صحيفة تتباهى بأن كريس ماثيوز مراسلها فى واشنطن العاصمة)، قدمت التماسًا إلى جمعية الصحفيين المحترفين لتجريد وِب من جائزة العام التى كانت قد منحت له منذ فترة قصيرة. وكان ذلك سببًا فى إرسال خطاب شديد اللهجة من رئيس جمعية الصحفيين المحترفين يؤكد فيه كيف أن لدى روزنهاوس أهدافًا خاصة، وكيف أن الجمعية تقف وراء وِب.

وجعلت شبرد العديد من العاملين فى "ميركورى نيوز" يعلنون عن انتقادهم لوِب وقصصه. ومن هؤلاء الكاتب الاقتصادى سكوت ثرام Scott Thrum، ومحررا التحقيقات: جوناثان كريم Jonatha Krim، وكريس شميت Chriss Shmitt ، ومحررة صفحة الرأى روب إلدر Rob Elder، وكان أكثر النقد بغضًا من فيل يوست Phil Yost كبير كتَّاب الافتتاحية فى "ميركورى نيوز". وكان النقد يتكون فى معظمه من تعبير مبالغ فيه عن الضيق والقلق من جانب زملائه القلقين الذين شعروا أن وِب عرض للخطر "مصداقيته الصحفية التى اكتسبها بشق النفس". وكرر يوست الاتهامات التى وجهتها الصحف الأخرى. لقد كان عرضًا مثيرًا للاشمئزاز للطعن فى الظهر. كما أوضح بجلاء أن "ميركورى نيوز" كانت فى سبيلها لأن تنأى بنفسها عن وِب.

ولكن ما هى أسباب ذلك العنف الشرس الذى تميزت به الهجمات التى تعرض لها وِب؟ أحد أسباب عداء صحفيي كاليفورنيا يمكن إرجاعه إلى أحد تحقيقات وِب المبكرة لصحيفة "ميركورى نيوز". فقد كشفت قصته الإخبارية أن عددًا من الصحفيين كانوا يقومون بأعمال إضافية فى الوكالات التى يفترض أنهم يغطون أخبارها – من أمثلة ذلك أن محرر التليفزيون فى سكرامنتو Sacramento كان يحصل على راتب من دورية

الطريق السريع فى كاليفورنيا مقابل تدريب الضباط على كيفية التعامل مع الصحافة. كما كشف النقاب عن منهج دراسى لفصل محرر التليفزيون يصف الطريقة التى تتصل بها دورية الطريق السريع برؤساء التحرير وتشتكى من القصص غير المرغوب فيها. وكذلك كشف وِب الصحفيين فى "سكرامنتو بى" Sacramento Bee و"يونايتد بريس إنترناشونال" United Press International الذين حصلوا على عقود رسمية من "لجنة يانصيب كاليفورنيا" Californai Lottery Commision. ويقول وِب إنه بعد ظهور هذه القصة اعتبره زملاؤه غريباً.

وقد يكون السبب الآخر لاستبعاد زملائه له هو ما يصفه وِب بالاتجاهات العنصرية بين هيئة العاملين فى "ميركورى نيوز" نحو محررة السلسلة دون جارتيا. "لا أظن أن لها الكثير من الأصدقاء فى صالة التحرير، لأنها جاءت كأجيرة من أصول أسبانية بالقطعة، وينظرون إليها على هذا النحو. وهذا ظلم. فهى صحفية جيدة، وقد حلت فى هذه الوظيفة محل شخص كان يحظى بحب شديد فى صالة التحرير."

وبينما كانت تلك القصص لا تزال بدون نشر على مكتب مديرة تحريره، تلقى وِب مكالمة تليفونية فى أوائل ١٩٩٧ من جورج هودل، الذى كان قد جمع له المعلومات فى نيكاراجوا. وقال هودل إنه حدد مكان أربعة من أفراد عملية مينيسيس/بلاندون على استعداد للتحدث إلى وِب. اتصل وِب برؤسائه وقال إنه ذاهب إلى نيكاراجوا. فقالوا له إنهم لا يريدونه أن يذهب حتى يحددوا ما يفعلونه بقصصه. ولخوف وِب من اختفاء تجار المخدرات، قال إنه سوف يذهب بأى حال من الأحوال، على حسابه الخاص.

وبعد عودة وِب إلى سكرامنتو من نيكاراجوا بقليل، تلقى مكالمة تليفونية من جيرى سيبوس، الذى أمضى جزءاً كبيراً من شهور الشتاء فى العلاج من سرطان البروستاتا. وأبلغ سيبوس وِب أنه سوف ينشر رسالة فى "ميركورى نيوز" يعترف فيها أن "هناك أخطاء وقعت" فى سلسلة "التحالف الأسود". وكان سيبوس يريد فى الأصل نشر اعتذار فى طبعة عيد الفصح. وعندما رأى وِب مسودة العمود استشاط غضباً. وهو يتذكر قوله لسيبوس: "هذا أمر فى منتهى السخف. فنصف هذا الكلام ليس صحيحاً. ومن المبالغة نشر هذا الكلام." وطلب سيبوس من وِب ألا يأخذ الموضوع على محمل شخصى، فهو ليس سوى عمود ولا يعنى أن الصحيفة تريد تعليقه فى الهواء حتى يجف.

وأصر وِب على أنه يرى أن عمود سيبوس غير أخلاقى لعدة أسباب منها أنه رغم ذكره أن هناك عيوبًا فى السلسلة، فإنه لم يشر إلى حقيقة أن ستة أشهر من البحث الجديد قد أكدت ودعمت معظم اكتشافات وِب الأولى. ورد سيبوس بأنهم لا "يريدون الدخول فى ذلك النوع من التفاصيل".

ونشر عمود سيبوس فى ١١ مايو. وقد كان تراجعًا على كل جبهة، ويومًا مخزيًا للصحافة الأمريكية. فقد اتهم وِب بالامتناع عن نشر معلومات متناقضة، وعدم إبراز أن رقم الملايين العديدة كان تقديريًا، وبعدم تضمين التكذيبات الإجبارية لوكالة الاستخبارات المركزية. وأشار سيبوس إلى أن السلسلة سطحت أصول وباء كوكايين التدخين. كما أعلن سيبوس أن السلسلة أخطأت بإشارتها ضمنًا إلى علم وكالة الاستخبارات المركزية بعصابة مخدرات كونترا.

وكما هو معروف مقدمًا، فقد قوبلت خيانة سيبوس المريعة لمحرره بحماس شديد من جانب "نيويورك تايمز"، حيث استغلها تود بردم Todd Purdum لإضفاء الشرعية على هجوم "نيويورك تايمز" الأول ومهاجمة وِب باعتبار أنه يعانى من عقدة الاضطهاد. وادعى بردم كذلك أن عمود سيبوس كان يقوم على "مراجعة مضنية" كتبها فريق يضم سبعة أفراد من المحررين ومديرى التحرير فى "ميركورى نيوز". ولم يكن هناك وجود لأى من "المراجعة المضنية" ولا الفريق، كما يقول وِب. ومع أن وِب كان قد سلم أربع قصص تضم فى مجملها ١٤ ألف كلمة، فقد أبلغ سيبوس بردم أنه سلم فقط "ملاحظات وأفكارًا". كما حشد بردم اقتباسات مجهلة تخلو من المجاملة من زملاء فى "ميركورى نيوز".

لقى عمود سيبوس ترحيبًا مصحوبًا بابتهاج على صفحة الرأى فى "نيويورك تايمز"، حيث حصل سيبوس على تأييد شديد لـ"العمل الشجاع" الذى قام به. ومرة أخرى ألقت الافتتاحية باللوم على وِب، مشيرة إلى أن عمل سيبوس "يضع معيارًا رفيعًا للقضايا التى يرتكب فيها الصحفيون أخطاء شنيعة". ولم يكن وِب قد ارتكب تلك الأخطاء. وفى لانجلى Langley، أسرعت وكالة الاستخبارات المركزية باستغلال خطاب سيبوس لتأكيد أن الوكالة برئت من التهم الموجهة إليها. وقال مارك مانسفيلد Mark Mansfield من الوكالة: "من دواعى السرور أن نرى أن شريحة كبيرة من الإعلام، بما فى ذلك 'سان هوزيه ميركورى نيوز'، تنظر نظرة موضوعية إلى الطريقة التى أعدت بها هذه القصة وكتبت."

ولم تغب رسالة سيبوس عن الجناح اليمينى فى نيكاراجوا، حيث بعض العواقب الخطيرة بالنسبة لهؤلاء الذين عكفوا عليها مع وِب وهؤلاء الذين أجرى معهم المقابلات. ونشرت صحافة نيكاراجوا، التى كانت تمولها وكالة الاستخبارات المركزية لسنوات، قصصاً تنتقد وِب وتحث الناس على مقاضاته، إلى جانب هودل وغيره ممن شاركوا فى القصة الإخبارية. وادعت صحف نيكاراجوا أن "ميركورى نيوز" لن يسعها الدفاع عن هذا التشهير.

ولم يمض وقت طويل حتى أصبح جورج هودل هدفًا للتحرش ومحاولة اغتيال محتملة. وفى منتصف يونيو ١٩٩٧، وبعد شهر من تبرؤ سيبوس من وِب، طاردت مجموعة من البلطجية المسلحين هودل ومحاميا عن العديد من الرجال الذين أجريت معهم المقابلات وأجبرتهما على الخروج عن الطريق بسيارتهما وهددتهما. هرب هودل والمحامى وذهبا إلى مركز للشرطة لتقديم شكوى. وبعد بضعة أيام، ظهرت قصة إخبارية على صفحات الصحف اليمينية تشير إلى أن هودل ورفاقه سكروا وخرجوا عن الطريق بأنفسهم.

وفى تلك الأثناء كانت "ميركورى نيوز" قد أبلغت وِب أن قصص المتابعة التى كتبها لن تنشر وأنه نقل للعمل فى مكتب الصحيفة فى كوبرتينو Cupertino على بعد ١٥٠ كيلومتراً من ساكرامنتو. وتقدم وِب بتظلم من الصحيفة.

ومضت "نيويورك تايمز" فى ثأرها. وفيما قد يكون أكثر الهجمات انحطاطًا، عاد إيفر بيترسون Iver Peterson، وهو أحد الصحفيين الأقل تميزًا فى الصحيفة، إلى التحقيقات التى كتبها وِب قبل أن يبدأ سلسلة "التحالف الأسود". واتهم بيترسون وِب بأن له تاريخًا من عدم الأمانة فيما يورده من حقائق وبأنه "مولع بالدعاية لنفسه". وقد توصل إلى هذه النتيجة بعد أن كشف عن أربع دعاوى تشهير، رفضت اثنتان منها وسويت الأخريان. ويقول وِب إنه لم تطلب منه تصويبات كبيرة. (رفضت "نيويورك تايمز" نشر رسالة وِب التى تصحح السجل، ونوردها فيما بعد) كما نقل بيترسون كلامًا على لسان من استهدفتهم تحقيقات وِب، الذين ينتظر ألا يكنوا أى تقدير لهذا الصحفى. وفى الفترة التى كان وِب يعمل فيها بأوهايو Ohio محرراً فى صحيفة "كليفلاند بلين ديلر" Cleveland Plain Dealer، كان قد كشف تلقى قاضى محكمة أوهايو العليا فرانك د. سيليبرتسى Frank D. Celebrezze مساهمات سياسية من

منظمات ترتبط بعصابات الجريمة المنظمة. ورفع سيليبرتسى دعوى ضد وِب. وتمت التسوية دون أن يطالب بنشر تكذيب. ويورد بيترسون بدقة قول سيليبرتسى إن وِب "كذب فيما قاله عنى وأظن أنه يستحق كل ما يجرى له". بدا الأمر وكأن صحفيًا ما لجأ إلى ريتشارد نيكسون كمصدر موثوق به بشأن جودة ما تكتبه صحيفة "نيويورك تايمز".

إلا أن السعى لإخفاء الحقائق والهجمات المضادة لم يتوقف. وكان هناك الأمر الحساس الخاص بكيفية التعامل مع التحقيق الداخلى فى وكالة الاستخبارات المركزية. إنها خدعة رائعة أن تحصل على تغطية عظيمة لتقرير لم تنشره ولم يره أى صحفى فى واقع الأمر. فما تحتاجه لتحقيق ذلك هو التواطؤ. ومرة أخرى استغلت وكالة الاستخبارات المركزية أصدقاءها فى الصحيفة لإصدار نشرة صحفية لخدمة مصالحها عن التحقيقات الخاصة بالاتهامات التى تغاضت عنها الوكالة فيما يتعلق بتهريب كونترا للمخدرات إلى لوس أنجلوس فى أوائل الثمانينيات.

وفى هذا الجزء من إدارة الأخبار على وجه التحديد، تفوقت وكالة الاستخبارات المركزية على نفسها. ففى الماضى كانت تعتمد على حلفائها الصحفيين كى يرسموا لها أحسن صورة بشأن تحقيقاتها وكانت تظهر الوكالة بمظهر غير مرض، رغم الرقابة الشديدة. إلا أنه فى أواخر ديسمبر من عام ١٩٩٧، انتزعت الوكالة تغطية ودية، وإن ظل تقرير المفتش العام بوكالة الاستخبارات المركزية بلا نشر ويخضع لسرية أمنية شديدة.

ويذكر أنه بعد شهر من ظهور قصة وِب لأول مرة، أعلن مدير وكالة الاستخبارات المركزية جون دويتش أن مفتش الوكالة العام الجنرال فردريك هيتز Fredrick Hitz يقوم بـ"أشمل تحليل جرى حتى الآن" لأنشطة الوكالة فى هذا المجال. وكانت مناورات التحقيق الداخلى تقتصر فى البداية على الادعاءات التى ساقها وِب، ثم اتسع مداها لتشمل أية إشارات إلى صلات المخدرات فى ملفات الوكالة. كما بدأت فى خريف ١٩٩٦ مراجعة وزارة العدل لاتهامات وِب. وفى البداية تعهد دويتش بإنهاء تقرير وكالة الاستخبارات المركزية ونشره بحلول نهاية سبتمبر ١٩٩٦. ومضت ستة عشر شهراً، دون أن يفى بتعهده.

وفى ١٨ ديسمبر ١٩٩٧ ظهرت قصص إخبارية فى "لوس أنجلوس تايمز" و"سان هوزيه ميركورى نيوز" تحت عناوين من قبيل "وكالة الاستخبارات المركزية تبرئ نفسها

فى تحقيق كوكايين التدخين". والتقطت "سى إن إن" قصة "ميركورى نيوز" على الفور وأخبرت المشاهدين أن نفس الصحيفة التى نشرت الاتهامات فى البداية ضد الوكالة تورد الآن أن "تحقيقًا" برأ ساحة الوكالة.

ولكن أين تقرير وكالة الاستخبارات المركزية الذى كان وراء القصص الإخبارية التى نشرت فى "لوس أنجلوس تايمز" و"ميركورى نيوز"؟ إنه غير متاح. وما هو السبب؟ كان الأمر يتوقف على الشخص الذى يتصل. والقصص المنشورة فى "ميركورى نيوز" عن التقرير الغامض قدمت يوم الأربعاء ١٧ ديسمبر ونشرت فى اليوم التالى. وفى يوم الخميس أعلنت وزارة العدل رأيها القائل بأن نشر تقرير الوكالة قد يضر بالتحقيقات الجنائية التى تجرى فى ذلك الوقت. وعندما كان أحد يتصل بالقسم الصحفى بالوكالة، كان يقال إن الوكالة ترغب فى الانتظار حتى منتصف شهر يناير، حيث يفترض أن تنتهى كتابة الجزء الثانى من تقرير المفتش العام. وفى وقت لاحق من ذلك الخميس، ذكرت وزارة العدل أنها سوف تعيد كتابة تحقيق وكالة الاستخبارات المركزية وتحقيقها لتخليصهما من أية مادة فيها خطورة.

بعبارة أخرى، كان مطلوبًا منا تصديق أن تفبرك وكالة الاستخبارات المركزية ووزارة العدل بعد ستة عشر شهرًا بصورة أو بأخرى "حدثًا" إخباريًا يبرئ ساحة الوكالة بعناوين رئيسية، دون تقديم أى دليل يدعم مثل تلك النتيجة. وتخيل الغضب الذى كان يمكن أن يطلق له العنان لو أن وِب كتب قصة إخبارية عارية تمامًا من أى دعم وثائقى.

وأتى يوم ١٩ ديسمبر بقصص إخبارية فى "نيويورك تايمز" كتبها تيم وينر Tim Weiner ووالتر بنكص فى "واشنطن بوست"، الذى كان قد بدأ الهجوم الصحفى على وِب فى خريف ١٩٩٦. وكانت قصة وينر بعنوان "وكالة الاستخبارات المركزية تعلن عدم عثورها على أى صلة لها بتجارة كوكايين التدخين". ولم يورد وينر أية مصادر معروفة الاسم واعتمد اعتمادًا تامًا على صديقنا القديم، "مسئول حكومى لم يسمح باستخدام اسمه". وأورد بنكص ما قاله ثلاثة مسئولين مجهولى الهوية من أن تقرير وكالة الاستخبارات المركزية لا يبين "أية صلة مباشرة أو غير مباشرة" بين الوكالة وتجار الكوكايين.

ولكن ما مدى دقة ذلك التحقيق الذى أجرته وكالة الاستخبارات المركزية عن نفسها وروجوا له كثيرًا؟ إن كل الدلائل تشير إلى أنه كان بعيدًا عن الشدة. فلم تكن لدى

المفتش العام سلطة الاستدعاء للإدلاء بالشهادة. وقد ذكر كبير ضباط الوكالة السابق في أمريكا الوسطى ديوى كلاريدج، وهو متقاعد الآن ويعمل فى شركة "جنرال ديناميكس" General Dynamics صحيفة "لوس أنجلوس تايمز" أن الوكالة "أرسلت لى أسئلة كانت عبارة عن هراء". وقد رفض أن يجرى محققو الوكالة معه أية مقابلات. ولا بد أن نلاحظ أن كلاريدج كان شخصية مهمة فى عمليات الوكالة مع مقاتلى كونترا، الذين انتقاهم هو من التجنيد الأولى لخبراء التعذيب العسكريين الأرجنتينيين، والذى يتباهى بأنه هو الذى أوصى بخططهم الخاصة بالاغتيالات. ويزعم آخرون أجرت معهم الوكالة مقابلات أن محققيها كانوا يعنفونهم كلما أبدوا ما يدل على تأييدهم لوِب. ولكن ماذا عن كاتب السلسلة جارى وِب؟ لم يجر أحد معه أية مقابلات.

إننا نصل مع وِب إلى قلب العاصفة الترابية. ففى يوم السبت ١٣ ديسمبر، أعلنت "سان هوزيه ميركورى نيوز" أن جارى وِب استقال من الصحيفة، بعد تسوية التظلم الذى كان قد تقدم به بشأن نقله من سكرامنتو إلى كوبرتينو. وفى "واشنطن بوست" و"نيويورك تايمز" خفت حدة الاهتمام بترك وِب لـ"ميركورى نيوز"، بما يعنى ضمنًا أنه يقدم بصورة أو بأخرى دليلاً آخر على انتهاء الفحص الذاتى الذى تقوم به وكالة الاستخبارات المركزية.

وفى نظرة إلى السلسلة المنشورة فى منتصف ١٩٩٧، قال وِب إنه ليس لديه ما يعتذر عنه. وأضاف قائلاً: "وإذا كان هناك ما أقوله، فهو أننا كنا نحوم حول شىء ما كان ينبغى لنا الحصول عليه، مثل تورط وكالة الاستخبارات المركزية ومقدار علمها. ويسعدنى أننى كتبت السلسلة، لأن هذه قصة إخبارية ظلت صحف الساحل الشرقى التى تفتقر إلى الشجاعة تتحاشاها طوال عشر سنوات. وهى الآن مجبرة على التصدى لها. ومع أنها اختارت التصدى لها، فلا يزال عليها أن تذكر ما تتحدث عنه القصة."

■■■

المصادر

كان الهجوم الذى تعرض له جارى وِب من زملائه فى الصحافة القومية عنيفًا. وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، إلا أنه ربما لم يكن هناك ما هو أكثر صخبًا من هجوم إيفر بيترسون على وِب فى "نيويورك تايمز"، بعد عام تقريبًا من نشر قصة وِب. وكانت الهجمات الأولى يشنها صحفيون "أربع نجوم" فى أكبر صحف فى البلاد: هوارد كورتز ووالتر بنكس فى "واشنطن بوست"، وتيم جولدن فى "نيويورك تايمز"، ودويل ماكماناس (قائد "فريق القضاء على وِب") فى "لوس أنجلوس تايمز". وبعد أن صفت هذه الأوزان الثقيلة دمه، دخلت صفحات الرأى فى أنحاء البلاد للإجهاز عليه. وكان سلوك كبار المحررين فى صحيفة وِب "سان هوزيه ميركورى نيوز" يتسم بالخسة والجبن. وحتى ما تسمى بالصحافة التقدمية كان لها نصيب فى الهجوم على وِب، ومن أبرزها "نيشن" التى قال فيها ديفيد كورن إن ما كتبه وِب غير صحيح.

ومن ناحية أخرى كان هناك من دافعوا عن وِب. فقد سارعت "لوس أنجلوس ويكلى" بكشف الثغرات التى فى القصف الشامل الذى شنته "لوس أنجلوس تايمز" على سلسلة "التحالف الأسود". ومقال نورمان سولومون بعنوان "محاولة خداع" الذى كتبه فى "إكسترا!" !Extra مجلة جماعة مراقبة الإعلام "فير" FAIR، مقال جديد استفدنا منه. وكتب روبرت بارى Robert Parry وزملاؤه فى "ذا كونسورتيوم" The Consortium نقدًا صحفيًا جيدًا وعملوا على تعضيد القصة الإخبارية. كما نشرت "كونسورتيوم" كذلك رواية محزنة من نيكاراجوا كتبها شريك وِب جورج هودل، تبين أخطار الكتابة عن هذه الموضوعات المحظورة فى مناخ عدائى. وبالمثل، كتب بيتر كورنبلوه المحقق فى أرشيف الأمن القومى مقالاً جيدًا فى "كولومبيا جورناليزم ريفيو". وقصة أليشا شبرد فى "أمريكان جورناليزم ريفيو" ليست متعاطفة ولا نزيهة بالنسبة لوِب، ولكنها تكشف تحيز الزملاء وغيرتهم.

وكمثال لعداء "نيويورك تايمز"، المتسم بالقسوة والحقد الشديدين، تجاه وِب، نورد هنا رسالتين إلى "نيويورك تايمز" تصححان ما فى تقارير الصحيفة من مغالطات خطيرة وتحيز.

والرسالة الأولى رد من وِب على هجوم بيترسون الذى سبقت الإشارة إليه، ورفضت "نيويورك تايمز" نشره. أما الثانية فهى تعليق آخر يتحدث عن نفسه حول قصة بيترسون. وبالمثل رفضت "نيويورك تايمز" نشر هذه الرسالة.

إلى المحرر

بما أن "نيويورك تايمز" تزعم أنها تقدر الدقة تقديراً كبيراً، فإنى أود توضيح بعض الأخطاء والحذف فى قصتكم الإخبارية المنشورة فى ٣ يونيو عنى وعن "سلسلة "التحالف الأسود" التى كتبتها فى العام الماضى.

إن القول بأن مراجعاً حكومياً "برأ ساحة" "تاندم كمبيوترز" Tandem Computers فيما يتعلق بدورها فى كارثة الكمبيوتر التى تقدر بخمسين مليون دولار فى إدارة كاليفورنيا التابعة لـ"موتور فيكلز" Motor Vehicles غير صحيح. فالمراجعة، التى قام بها المراجع العام بكاليفورنيا كورت سيوبرج Kurt Sjoberg، تعضد الاكتشافات التى توصل إليها تحقيقى. وقد أهمل مشروع "تاندم"، مما كلف دافعى الضرائب فى الولاية مبالغ ضخمة. بل إن مسئولى الولاية الذين وافقا على هذا المشروع وأشرفا عليه – ثم حصلا بعد ذلك على وظيفتين فى "تاندم – دفعا أتعاباً كبيرة لتسوية النزاع الخاص باتهامات تقدمت بها لجنة الممارسات السياسية العادلة Fair Political Practices Commision. وقد قدمت تلك الاتهامات نتيجة لما كتبته وحصل على جائزة كاليفورنيا للصحافة فى عام ١٩٩٤.

والقول بأن ميركورى نيوز "لم تنشر قط قصة إخبارية لمتابعة" سلسلة تاندم غير صحيحة كذلك. إذ نُشر العديد من المتابعات، ومن السلسلة التى كتبتها عن تقرير المراجع العام والغرامات التى دفعها المسئولون الحكوميون السابقون.

(وربما كان من المفيد ملاحظة أن الصحفى الذى انتقد السلسلة التى كتبتها عن "تاندم"، وهو لى جوميز Lee Gomes، كان يغطى أخبار "تاندم" حين كان مشروعها "دى إم فى" الخاص بها الذى أعلنت عنه كثيراً، ينهار، ومع ذلك نجحت بطريقة أو بأخرى فى إغفال القصة تماماً).

وبما أن محرركم إيفر بيترسون لم يسألنى عن سلسلة "تاندم" التى كتبتها، فقد لا يكون حدوث تلك الأخطاء والحذف مستغرباً.

وأخيراً، وجدت أنه من المضحك أنه بينما أضاع مستر بيترسون العديد من البوصات فى إرسال شكاوى غامضة من أشخاص تناولهم تحقيقى، فقد أهمل ذكر أننى فزت بأكثر من ٣٠ جائزة صحافة، وأننى رشحت لجائزة بوليتزر أكثر من اثنتى عشرة مرة، وأرسلت عدداً من

المسئولين الحكوميين ورجال الأعمال الفاسدين أو غير الأكفاء إلى السجن أو التقاعد المبكر بكشف مخالفاتهم.

والشيء المؤكد أن هذا النوع من الكتابة يقلل عدد الأصدقاء ويتسبب في الكثير من قضايا التشهير، ولكن لم يكن من مهام الصحفي، كما أفهمها، أن يكون محبوباً من الناس وأن يكون خلواً من الدعاوى.

٣ يونيو ١٩٩٧ - جارى وب

إلى المحرر

رأى محرر فى "نيويورك تايمز" (إيفر بيترسون) أن من المناسب أن يبدأ قصة إخبارية (٣/٦) عن سلسلة "التحالف الأسود" المنشورة فى "سان هوزيه ميركورى نيوز" بخبر مذهل مفاده أن طلباً وضع على جدول أعمال فرع نورذرن كاليفورنيا لجمعية الصحفيين المحترفين SPJ لتجريد كاتب السلسلة جارى وب من جائزة الجمعية التى حصل عليها عام ١٩٩٦. ويسرنى كرئيس للمنظمة أن أرى أن جدول أعمالنا الشهرى يحظى بهذا القدر من اهتمام إحدى الصحف القومية، لمصلحة الأخلاق الصحفية التى تعمل الجمعية على نشرها، وأود أن تسمحوا لى بتصحيح الانطباع المضلل الذى تعمدتم تشجيعه بتلك المقدمة.

فوضع حكاية خيالية فى مقدمة قصة إخبارية يشير ضمناً إلى أنها ذات مغزى نموذجى. والواقع أن كاتبكم يمضى فى كلامه ليقول إن أحد بنود جدول الأعمال "يوضح" كيف أن سلسلة وب "مازالت أصداؤها تتردد بين الصحفيين".

وحقيقة الأمر أنه لا يوضح ذلك. وتصر إنسانة واحدة، وهى محررة فى صحيفة منافسة، منذ عام تقريباً على سحب الجائزة، حيث كررت طلبها مراراً بعد ظهور عمود فى "ميركورى نيوز" يوضح أمر سلسلتها (ولا يتراجع عنها). واحتراماً لتلك الإنسانة، وضع البند على جدول أعمالنا. ولكن كما يعلم محرركم - لأنه سألنى عن ذلك - فإن تلك الإنسانة لم تكن نموذجية بحال من الأحوال. إنها فى الواقع الشخص الوحيد الذى عبر لنا عن وجهة النظر هذه، كما أنها تعترف بأن لديها أسباباً أخرى لغضبها من "سان هوزيه ميركورى نيوز".

وعندما ناقش مجلس الإدارة الأمر فى النهاية بناء على طلب العضو، لم يكن هناك اتجاه لسحب الجائزة. وكانت المناقشة قصيرة، حيث تركزت فى معظمها على عدم مسئولية قصة "نيويورك تايمز".

وتصميم محرركم على إثبات نقطة ما بمثال مضلل أمر مزعج. ولكن الأمر الأكثر إزعاجًا هو أنه يعلم مقدمًا أنه مضلل، بل وكتب أن "فرص فقدان وِب للجائزة بناء على طلب واحد ضئيلة". كما يعلم المحرر أن الشخص الذى لفت انتباهه إلى اجتماعنا كانت له مصلحة فى تضخيم أهمية طلبه. بعبارة أخرى، فإن اهتمام مصدره كان يشى بمصالح مصدره. انتهى الكلام.

والواقع أنه إذا كان لاجتماع فرع الجمعية الأهمية التى أوحى بها مقال "نيويورك تايمز"، أفلم يكن ينبغى على الصحيفة أن تورد نتائج الاجتماع بعد انعقاده؟

وإذا كان اقتراح السحب المحتمل للجائزة التى منحتها الجمعية لجارى وِب لا يزال صداه يتردد بين الصحفيين، فذلك لأن هؤلاء الصحفيين قرءوه فى "نيويورك تايمز" وأيَّدوا الانطباع الخاطئ بدعوتنا إلى اكتشاف ما حدث فى الاجتماع، وهو ما بالغت فيه "نيويورك تايمز" ومصدرها.

وقد اقترحت أن يقابل الجهد الذى تبذله "نيويورك تايمز" فى ضرب العيوب التى فى سلسلة "ميركورى نيوز" ومهاجمة كاتبها هجومًا شخصيًا، تصميم مساو له أو أشد منه قوة على بحث القصة الأكثر أهمية بكثير الخاصة بقدر التواطؤ الحكومى فى متاجرة كونترا فى المخدرات التى دمرت الكثير من المجتمعات الأمريكية. وتلك هى القصة التى قللت من شأنها وسائل الإعلام الكبرى طوال أكثر من عشر سنوات، بينما تخصص صحف مثل صحيفتكم مساحات غير مسبوقة لكشف زيف ادعاءات محرر فى صحيفة أخرى، لدوافع شخصية.

بيتر سوسمان
رئيس فرع جمعية الصحفيين المحترفين
بنورذرن كاليفورنيا

Associated Press. "Oliver North Labcls CIA-Drug Allegations 'Garbage. " Son Jose Mercury' News, Sept.22. 1996.

Barris, Rick. "A Barracuda Tries to Fat the Messenger." New Times. Oct. 31,1996.

Bernstein. Dennis, and Julie Light. "Closing the Loop on the Contra-CIA Connection. Pacifica. Nov.1996.

Billiter. Bill, Ralph Frammolino and Jim Newton. "Deputies S:iid in '86 Deug Rih was Tied to the Contras." Los Angeles Times. Oct. 8, 1996.

Boston Jlerald, editorial. "Courage at the Mere. Boston Herald, May 14 .1997

Britt, Donna. "Finding the Truest Truth." Washington Post. Oct. 4. 1996.

Brown, Joseph. "Typecast for Genocide or Suicide?" Tampa Trihune, Sept.29. 1996.

Carey, Peter. "CIA Clears Itself in Crack Investigation." San Jose Mercury News. Dec. 18, 1997.

Ceppos, Jerry. "Perspective: In the Eye of the Storm." San Jose .Wereoiy .Mercury News, Nov 3, 1996.

A Letter to the Washington Post." San Jose Mereort' Neos. Oct.18. I 996. A Letter to Our Readers." San Jose Mercury' News, May Il. 1997

Chicago Tribune, editorial. "A Newspaper Says 'Mea Culpa.'" Chicago Chicago Tribune, May. 1997.

Ciolli, Rita. "Paper Admits Flaws." New'sday, May 13.1997.

Clairborne, William. "Hearing on CIA Drug Allegations Turns into Rally." Wash in Post, Oct. 20,1996.

Cockburn, Alexander, and Jeffrey St. Clair. "Drugs. Contras. and the CIA: Coverint

for the Agency." CounterPunch. Nov. 1-15.1996. Up "The CIA's Latest Coup." Counterpt_nch. Dec. 16-30.1997.

Cohen, Richard. "A Racist Past and a Wars' Present." Washington Post, Oct.27. 1996. Connell, Rich. "Congressional Inquiry Probes CIA Allegations.Los Anglos Times. Oct.20. 1996.

Corn, David. "Crack Reporting." Natloti. Nov. 18. 1996.

Crogan, Jim. "Snow Hits Spring Street." LA Weekly. Feb, 21.1997

Davis, Deborah. Katharine the Great: Katharine Graham and HerWashing ton Empire Empire. Sheridan Square Press, 1991.

Diamond. John. "CIA Promises Independent Probe of Drug Link." wire. Scpt. 2~. 1996.

"Questions Arise About Series on CIA-Crack Link." AP Wire, Oct. 4.1996.

Deutch. John. "The CIA Fights Drugs." Baltimore Son, Nov. 24. 1996.

Daughen. Joseph. "Belief May Persist." Milo'aokee Journal Sentinel, Nlav 18. 1997.

Dokes .Jennifer" .Media Need to Fill Holes in CIA—Contra Crack Storv ". At1/2o,t~t he public, Oct.24, 1996.

Parly, David F. "Contra-Drug Story Stirs National Debate." San Jose Mercury News Oct. 6.1996.

Farragher. Thomas. "Justice Department to Continue CracklCIA Inquiry." San Jose Mercurn. 'Veu's, May 14, 1997.

Fletcher. Michael. "Deutch Assures Caucus on Drug Charges." Washi~tgton Posi, Sept. 20, 1996.

"Black Caucus Urges Probe of CIA DraB Charge." Washington Post, Sept.13.1996.

"History Lends Credence to Conspiracy Theories." Washington Post, Oct. 4.1996.

Flynn. Kitson. "Attesting Talker." Washington Times, Sept. 16.1996.

Glassman. Jim. host. "CIA and Crack." CNN Capital Gang Sunday. Nov. 17.1996.

Golden. Tim. "Tale of CIA and Drugs Has Life of Its Own." New York Times. Oct.17. 1996.

Goulden. Joseph. "Wake Up. Associated Press! The CIA Did Not Introduce Crack into LA." Washington Times Dcc. 20. 1996.

Graham, Katha tharine. ASecrecy and the PressS. Speech at the CIA. Nov. 16, 1988.

Greene. Leonard. ~ditor s Apology for Paper's Crack-CIA Series Clouds Truth." Bostot Heral~l. M tv 14 1997

Gregory. Dick. "White Press Doesn't Believe It'? What Else Is New'?" Baltimore Sun. Nov.24. 1990

Hackett, Thomas. The CIA Crack Story - Anatomy of a Journalistic Train Wreck." Salon. May 30, 1997.

Herman. Fdward S. "Gary Webb and the Media's Rush to Judgment." ZMagazine. Feb. 1997.

Hinckle. Pia. "Soul Searching in San Jose: How the Mercury' News Painfully Distanced Itself from a Bic But Flawed Storv." Columbia Journalism Review, August 1997.

Hodel. Georg. "Hung Out to Dry: 'Dark Alliance' Series Dies." The Consortium, lJune 30, 1997.

Holmes. Steven. "CIA Critics Seek Study of Implied Cocaine Link." New York Time. April 15.1997.

Horgan. John. "Credibility and America's Fourth Fstate." Tampa Tribune. Oct. 5.1996. Irvine. Reed. and Joseph Goulden. "Partnership for Public Profits." Washington Time'

Nov.14. 1996.

"Knight-Ridder Defends Botched Stories." Watshington Inquirer. Dec. 9.1996.Jones. Christopher. "Colorblind Drug Hurts All People." Arizona Republic. Oct.1996.

Katz. Jesse. "Deposed Kine at' Crack." Los Aneeles Titmes. Dec.20. 1994.

"Trackine the Genesis ofthe Crack Trade." Los Angeles Titmes. Oct.20. 1996.

Kayc. Jeffrev. "Drug Conspiracy?" The Newshour with Jim Lehrer. PBS. Nov.1996.

Kornbluh. Peter. "Crack. Contras and the CIA: The Storm over Dark Alliance." Colitt~. hia Journalism Recieo, Jan.{Feb. 1997.

Kurtz. Howard. "Running with the CIA Story." Washington Post. Oct. 2, 1996.

"CIA Hooking Blacks on Crack? That's Not Quite the Story." Washington P- St.

Oct. 4,1996.

"Fditor Criticizes His Paper's CIA Series." Washbigtott Post, May 14, 1997. Lane. Charles. "An Imaginary Conspiracy." Baltimore Sun. Nov. 8, 1996. Lewis. Claude. "CIA Drug Plot? Blacks Didn t Have to Use Them." Philadelphia Inm quirer, Sept.30, 1996.

Mcmanus. Doyle. "Fxamining Charges of CIA Role in Crack Sales." Los A'tet~ Titnes. Oct.21, 1996.

Maxwell Bill. "It's Time to Put the Scape good out to Postares." Memphis Commercial Appeal Oct.20, 1996.

Memphis Commercial Appeal. editorial. "A Destructive Newspaper Series " Memphis CommercialAppeal, May. 14,1997

Merina, Victor, and William Rempel. "Ex-Associates Doubt Onetime Drut Traftpicker's Claim of CIA Ties." Los At geles Times, Oct.21, 1096.

Mitcheil, Andrea. "Crack Cocaine. the CIA and Oliver North." .\'ltC Nen's: ht D~l)tlt. Nov. 16, 1996.

Mitchell, John, and Sam Fullwood III. "History Fuels Outrage Over crack Allegations Los Angeles Times. Oct.23. 1996.

Muller, Judy. "Crack and the CIA: Conspiracy or Myth? ABC New Letter. Nov. 15, 1996.

Nation. editorial. "CIA Crack an the Media," Nation, June 2, 1997.

Orrick, Phyllis,and Susan Rasky, "Unspun: Heard It Through the Grapevine," Dallas Obserf-er, Sept. 25,1996.

Osborne, Barbora, "Are you Sure You Want Your Career?" Extra! April 1998.

Page, Clarence. "Crack: CIA Is Not Alone as Drug Suspect," Phoenix Gazette, Sept. 24, 1996.

"What Did the CIA Know and When Did It Know It?" Balo'otore Son N ov. 16.
1996.

Parry, Robert. "Contras. Crack. The CIA," Nation. Oct.21, 1096.

"CIA. Drugs and the National Press." Cotisotnum. Dec.23. 1996.

Parry. Sam. "Contra-Crack: Investigators v. Brick Wall." The Cottsttrttttot. Feb. ?. 1997.

"Contra-Crack Controversy Continues." The Consortium Jan. 6. 1997.

Parry. Sam, and Nat Parry. "'Conspiracism' : Who's at Fault for the Distrust.?Consortium Jan 20, 1997.

Peterson Iver "Repercussion from Flawed News Article". New York Times, May 13, 1997.

Pincus Walter. How I Traveled Abroad on a CI 'A Sob~td\ Subsidy. San José Mércury News. Feb. 16, 1967.

Internal Investigator Extends Probe of CIA - Contra Crak Cocaine Auigations. Post. Oct. 12.1

"Along History of Drug Allegations" Washington Post. Sep. 23, 1996

"Justica Opens Prob on CIA Drug Charges" Washington Post, Sept. 13, 1996.

Purdum, Tod. "Exposé on Crack was Flawed, Paper Says". New York Times, May 13, 1997.

Randolph. Fleanor. and John M. Broder. Cypers pace Contributes to Vitality of Allegations." Los Atigeles Times. Oct.22. 1996.

Rappleye. Charles. "The Times Cracks Back." LA Weekly. Nov. 1.1096.

Raspberry, William. "The Crack Story: Who's Bayine It?" Washittgtott Post. Sept.23. 1996.

Reed. Christopher. "Dirty Hands and Finger of Guilt." Guardian (London), Nov. 19. 1996.

Reeves, Richard. "A Pacification Plan for the Troublemakers." Baltittiore Sun. Nov.22. 1996.

St. Petersburg Times, editorial. "An Fditor Comes Clean." St. Petersistirk Times. May 15,1997.

San Jose Mercury News, staff report. "'Dark Alliance' Reporter Resigns." San Jose Mercury-News, Dec.13, 1997.

Schiraldi, Vincent. "Black Paranoia or Common Sense?" Pacific News Service, Dec. 18, 1996.

Schorr. Daniel. "Weekly Review." Weekend Edition, NPR, Oct.26, 1996.

Shepard, Alicia. "The Web Gary Spun." American Journalism Review, lan./Feb. 1997.

Solomon, Norman. "Snow Job." Extra! Jan.IFeb. 1997.

Stewart, Jill. "Bah-Bah-Bah." New Times, June 5, 1997.

Stein, ML. "Reporter Reined In." Editor and Publisher, June21, 1997.

Suro, Roberto, and Walter Pincus. "The CIA and Crack: Evidence Is Lacking of Contra-Tied Plot." Washington Post, Oct. 4.1996.

Terzian. Philip. "CIA Rumors Not All They're Cracked Up to Be? Familiar Thesis." Washington Times, Oct.19, 1996.

Tucker, Cynthia. "CIA's Drug Dealing Role." San Francitea Chronicle, Sept.21, 1996. Waters, Lou. "Journalist Points to CIA Involvement in Drugs." (Interview with Gary

Webb and Ronald Kessler.) CNN Today, Sept.20, 1996.

Washington Post, editorial. "The Story of the Crack Explosion." Washington Post, Oct. 9,1996.

Washington Times, editorial. "The CIA and Drugs." Washington Times, Oct.23, 1996.

Webb. Gary. "Webb on 'Dark Alliance."' (Letter) American Journalism Review, April 1997.

Weise, Elizabeth. "Series Draws Black Community to the Web." AP Wire, Dec. 9, 1996.

Weinberg. Steve. "Crack and the Contras." Baltimore Sun, Nov. 17, 1996.

Weiner, Tim. "CIA Says It Has Found No Link Between Itself and Crack Trade." New York Times, Dec.19, 1997.

White. Jack E. "Crack, Contras and Cyberspace." Time, Sept.30, 1996.

'Caught in the Middle: The CIA-Crack Story Put Black Reporters in a Bind."

Time. May26, 1997.

Wickliam. DeWayne. "Clinton Must Act on CIA!Crack Case." Tampa Tribune, Oct.21. 1996.



التحالف الأسود

وكالة الاستخبارات المركزية
والمخدرات والصحافة

تاريخ "البارانويا" السوداء

كان الغضب الذى ساد بين السود الأمريكيين وأطلقت شرارته الأولى سلسلة "التحالف الأسود" التى كتبها وِب من القوة بحيث أحدث قلقًا شديدًا لدى الحكومة الأمريكية، وعمد المدن، والصحف الكبرى، بل إنه دفع مدير وكالة الاستخبارات الأمريكية جون دويتش إلى الظهور العلنى غير العادى فى اجتماع بإحدى المدن الصغيرة فى ساوث سنترال لوس أنجلوس.

وكان من بين أول من اغتنموا فرصة أهمية سلسلة وِب هو جو ماديسون Joe Madison المذيع الأسود الذى يقدم أحد البرامج الجماهيرية فى شبكة "دابليو دابليو آر سى" WWRC ومركزها واشنطن العاصمة. وقرأ ماديسون سلسلة وِب على الهواء وخصص أسبوعين كاملين من برنامجه لشرح الاتهامات، وإلقاء نظرة مدققة على وكالة الاستخبارات المركزية وتاريخها فى التجسس الداخلى ودورها فى خلع الزعماء السود فى أنحاء العالم. ولم تكن برامج ماديسون أحاديث حماسية مبالغاً فيها بطريقة رش ليمبو Rush Limbaugh، بل محاولات عاقلة للفت الأنظار إلى القصة. وأجريت عدة مقابلات مع جارى وِب فى البرنامج، حيث كان هناك مؤرخون سود يشرحون قيام دولة الأمن القومى، بينما يبحث المتخصصون فى علم الاجتماع الحضرى تاريخ وباء كوكايين التدخين فى الثمانينيات. كما استضاف ماديسون فى برنامجه رجل وكالة مكافحة المخدرات السابق سيليرينو كاستيلو الثالث Celerion Castello III، الذى سبق له أن كان عميلاً للمخدرات فى السلفادور فى ذروة حرب كونترا. وبيَّن كاستيلو لجمهور ماديسون كيف كان يراقب طائرات إمداد وتموين كونترا فى قاعدة إلوبانجو الجوية خارج سان السلفادور تصل محملة بالأسلحة وتعود إلى الولايات المتحدة محملة بالكوكايين. كما روى كيف أنه فتح ملفات حالة موسعة لعمليات التهريب التى يقوم بها مقاتلو كونترا الذين تدعمهم وكالة الاستخبارات المركزية، بما فى ذلك الأرقام المسلسلة

الخاصة بالطائرات المستخدمة وأسماء الطيارين والمرشدين الذين يمدونه بالإخباريات. وكان يرسل معلوماته إلى مقر وكالة مكافحة المخدرات. وقال كاستيلو: "كل تقاريري كان يبتلعها ثقب أسود[1] وكان رؤسائي يقولون لي إن حياتي العملية ستنتهي في أمريكا الوسطى إن بقيت على هذا الحال." واستمر كاستيلو في جمع تحرياته ونفذت وكالة مكافحة المخدرات تهديدها بنقله من السلفادور ثم أجرت تحقيقًا معه.

وتعاون ماديسون كذلك مع النشط الأسود ديك جريجوري Dick Gregory. وفي ١١سبتمبر عقد الاثنان مؤتمرًا صحفيًا في نادي الصحافة القومي للمطالبة بإجراء تحقيق فيدرالي بشأن الاتهامات التي أوردتها "ساون هوزيه ميركوري نيوز"، وكذلك لإجبار وكالة الاستخبارات المركزية على رفع الحظر المفروض على الوثائق المتصلة بأنشطة تتعلق بتجارة المخدرات. وبعد ذلك غادر ماديسون وجريجوري نادي الصحافة، وعبرا حي بوتوماك Potomac ليظهرا في مقر وكالة الاستخبارات المركزية في لانجلي بفرجينيا. وكانت خطتهما أن يسلما نسخًا من سلسلة "ميركوري نيوز" لجون دويتش" يدًا بيد. إلا أن الأمن الداخلي أوقفهما عند المدخل، وألقى القبض على ماديسون وجريجوري اللذين رفضا الانصراف دون إجراء لقاء شخصي مع دويتش، وأبعدوا عن المكان.

وعلى الجانب السياسي، اغتنمت عضو مجلس النواب عن ساوث سنترال لوس أنجلوس ماكسين ووترز فرصة سلسلة "ميركوري نيوز". وقد ضغطت على رئيس المجلس نيوت جنجريتش Newt Gingrich كي يأمر بأن يجري الكونجرس تحقيقًا في الاتهامات، وقدمت التماسًا لكل من دويتش والنائب العام الأمريكي الجنرال جانيت رينو Janet Reno لبدء التحقيقات. وبعد ذلك نظمت عقد جلسة في المؤتمر التشريعي للهيئة البرلمانية السوداء بعنوان "الكوكايين وكونترا ووكالة الاستخبارات المركزية: كيف أدخلت كوكايين التدخين في الأحياء الشعبية". وحضر الجلسة التي عقدت في واشنطن العاصمة ألفا شخص.

واستغلت ووترز قاعة مجلس النواب بقوة لوضع القصة أمام مشاهدي "سي سبان" C-SPAN، ونظمت اجتماعات في المدن الصغيرة، ليس في لوس أنجلوس وحدها، بل

(١) الثقب الأسود منطقة في الفضاء الخارجي تبتلع كل ما يقترب منها، حتى الضوء نفسه. والمقصود هنا اختفاء التقارير بحيث لم يعرف عنها أحد شيئًا. **(المترجم)**

فى: ديتـــرويت Detroit ودنفـــر Denver وأطــلانـطــا Atlanta، حيث قوبلت جـهـودها بتعاطف، رغم ما لقيته من سخرية على الطريق الدائرى. وفى لوس أنجلوس حصلت على الأدلة المؤيدة المهمة التى كانت إدارة مأمور لوس أنجلوس قد تخلصت منها؛ كما ذهبت إلى سجن سان دييجو وأجرت مقابلة مع ريك روس. وكذلك سافرت على ماناجوا، حيث تتبعت أثر إنريكى ميراندا، ضابط استخبارات سوموسيستا الذى كان حلقة الوصل بين مينيسيس واتحاد كالى Cali الاحتكارى لمنتجى الكوكايين. وذكرت ووترز أن ميراندا "أعطانى معلومات عن الصلة بين مينيسيس وبلاندون وأشار إلى أنهم ورطوه فى تهريب المخدرات مع مينيسيس واتحاد كالى الاحتكارى".

وكانت ووترز على الدوام شوكة فى جانب صحيفة مسقط رأسها، حيث كانت تلوم باستمرار "لوس أنجلوس تايمز" على موقفها العدائى من القصة برمتها. وهى توضح أن ذلك العداء لم يترك أمامها خياراً سوى الخروج إلى الشارع ونشر القصة عقب اجتماعات مع جماعات الكنائس وأجهزة الإعلام البديلة والظهور فى برامج الإذاعة الجماهيرية. وهى تقول: "تساءلنا فى ساوث سنترال لوس أنجلوس عن المكان الذى يأتى منه ذلك السلاح. فهو لم يكن مجرد مسدسات، بل كان مدافع «عوزى» و AK-47، وهى أسلحة متطورة جاء بها نفس عملاء وكالة الاستخبارات المركزية الذين كانوا يبيعون الكوكايين، لأنه كان لا بد لهم من إعادة الأرباح. وكان ذلك تقريباً هو الوقت الذى كنت ترى فيه السلاح يدخل مجتمعنا، وكنت ترى المزيد والمزيد من أعمال القتل، والمزيد من العنف. والآن فهمنا ما كان يجرى. كانت المخدرات تنشر فى مجتمعاتنا المحلية بنظام الأمانات[1]، بإرسالها إلى العصابات وغيرها. وإذا لم يعودوا بالأرباح، كان يؤتى بالسلاح بحيث يمكنها فرض سيطرتها. وازداد عدد أعمال القتل، وكان الناس يتســاءلون 'ما الذى يتقاتلون عليه؟ ما أسباب إطلاق النار من السيارات المتحركة؟ ما هذه الحرب الدائرة بين العصابات؟' وكانت الصحافة تقول 'إنها الألوان. البعض يحب الأحمر والبعض يحب الأزرق.' وأنتم تعلمون أن ذلك كان سببه المخدرات؛ وذلك الكوكايين الذى أدخله فى مجتمعاتنا المحلية أناس أتوا به لغرض ما فى نفوسهم."

---

(١) أى ترسل البضاعة إلى الموزع بشرط ألا يسدد إلا ثمن ما يباع بالفعل. **(المترجم)**

وفيما يتعلق بهجمات "نيويورك تايمز" و"لوس أنجلوس تايمز" على وِب، تشير ووترز إلى أنهما اعترفتا على الأقل بأن المال كان يذهب إلى مقاتلى كونترا، وقالت: "لم أهتم قط بمقدار المال الذى يدخل، بل بأن ذلك حدث وحسب."

لم تقلل من عزم ووترز تلك الهجمات الوضيعة والعنصرية فى كثير من الأحيان التى شنَّها عليها منتقدوها من الصحفيين، وخاصة فى صحيفة "نيو ريببليك" New Re- public. وبعد وقت قصير من كشف وكالة الاستخبارات المركزية النقاب أخيراً عن ميزانية الاستخبارات السنوية السرية - ٢٦.٧ مليار دولار - لجأت ووترز إلى قاعة مجلس النواب، وفى كلمة استغرقت ستين دقيقة، طالبت بتصفية الوكالة وقالت: "أعلم أن هناك البعض ممن سيقولون إن هذه توصية غاية فى القسوة، ولكنها ليست بأقسى من التوصية التى وصلت هذا المجلس من الجانب الآخر من الممر، عندما طالبوا بالتخلص من وزارة التعليم."

وبالطبع، اتُهمت ووترز بإذكاء نار "البارانويا السوداء". ويحدد القسم التالى باختصار الخطوط العامة لأسباب وجود مبرر قوى لهذه "البارانويا"، والأسباب المعقولة التى جعلت سلسلة وِب تلمس وتراً حساساً فى المجتمع الأسود.

فى كل المناقشات التى دارت حول "البارانويا السوداء" فى قضية وِب، أقر المعلقون السود بدرجات متفاوتة - وهو ما كان يجب عليهم عمله - بأن النموذج الذى جعل لتلك المخاوف ما يبررها هو تجارب تسكيجى الشائنة. إلا أن كل التغطية الصحفية لم تخص سوى جملة أو جملتين لأية رواية عما حدث بالفعل فى تسكيجى.

إن الحقائق مرعبة. ففى عام ١٩٣٢، جُنِّد ٦٠٠ من السود المساكين من مقاطعة ماكون بولاية ألباما Macon, Alabama من أجل دراسة تجريها هيئة الصحة العامة الأمريكية United States Public Health Service ومعهد تسكيجى. وأظهرت الدراسة أربعمائة من بين الستمائة مصابين بالسفلس، وكان المائتان الآخرون رجالا غير مصابين موضوعين تحت الملاحظة باعتبارهم عينة ضابطة. وقيل للأربعمائة رجل الآخرين إنهم يعالجون من "الدم الفاسد" وكانوا يعطون علاجاً يسميه الأطباء "الدواء الوردى" لم يكن فى حقيقته سوى أسبرين وحديد. ولم يعط ضحايا تسكيجى أى علاج طبى فعال، لأن الباحثين كانوا يريدون دراسة التطور الطبيعى لذلك المرض التناسلى. وعندما كان أطباء آخرون يشخصون السفلس لدى بعض الرجال، كان باحثو هيئة الصحة العامة يتدخلون

لمنع إعطاء أى علاج. وعندما اكتشف البنسلين كعلاج للسفلس عام ١٩٤٣، لم يكن يقدم للمرضى. والواقع أن ابتكار علاج لم يكن يبدو سوى أن الغرض منه هو حث باحثى تسكيجى الذين يقول عنهم المؤرخ جيمس جونز James Jones، مؤلف كتاب Bad Blood إنهم كانوا ينظرون إلى تسكيجى على أنه "فرصة لا سبيل إلى تكرارها".

وكنوع من الإقناع باستمرار البرنامج على مدى عقود عديدة، كانت تقدم للرجال وجبات ساخنة، وشهادة موقع عليها من الطبيب العام، ووعد برعاية صحية مجانية و٥٠ دولاراً بدل دفن. وكان ذلك البدل أبعد ما يكون عن كونه لوجه الله، لأنه كان يسمح لباحثى هيئة الصحة بتشريح جثث الرجال بعد موتهم. واستمرت التجارب حتى عام ١٩٧٢، ولم تلغ إلا بعد تسرب معلومات عنها إلى الصحافة. وأثناء إجراء التجارب، توفى أكثر من مائة رجل لأسباب تتصل بالسفلس، ولكن حتى بعد انكشاف الأمر ظل كبار الباحثين على عدم استعدادهم للاعتذار. وقال الدكتور جون هيلر John Heller، الذى كان يرأس قسم الأمراض التناسلية فى هيئة الصحة الأمريكية: "كان الأطباء والموظفون المدنيون يؤدون عملهم فى الغالب. وكان البعض يتبعون الأوامر وحسب، بينما كان آخرون يعملون من أجل المجد العلمى."

وفى عام ١٩٩٦ أصدر الرئيس كلينتون اعتذاراً علنياً لضحايا تسكيجى. وحتى ذلك لم يكن عملاً محايداً تماماً للتعبير عن ندم الحكومة. ففى وقت سابق من العام نفسه فاتحت وزيرة الصحة والخدمات الإنسانية دونا شالالا Donna Shalala كلينتون بشأن ندرة السود المستعدين للتطوع لإجراء التجارب عليهم. وأرجعت عدم الاستعداد ذلك إلى "مخاوف غير طبيعية" ناشئة عن تجارب تسكيجى. ويشير جورج أناس George Annas مدير برنامج "القانون والأخلاق والطب" بجامعة بوسطن Boston University إلى أن الاعتذار كان ملتوياً وكان ينبغى على كلينتون وشالالا أن يبحثا عن طرق لتجنيد المزيد من السود كدارسين للطب وليس كموضوعات للبحث. وطبقاً لما قالته الدكتورة فانيسا جامبل Vanessa Gamble أستاذ تاريخ الطب المساعد بجامعة ويسكونسن Wisconsin University فى ماديسون Madison: "إذا اطلعت على السجل التاريخى، فسوف تجد أن عدم ثقة السود يعود إلى تسكيجى. وهناك تجارب تعود إلى مائة عام كان البيض يجرونها على العبيد والسود الأحرار أكثر مما يجرونها على البيض الفقراء".

ويشار إلى تفسير كثيراً ما يستشهد به بالنسبة لاستعداد السود لتصديق الأسوأ بشأن نوايا الرجل الأبيض على أنه "تجسس مكتب التحقيقات الفدرالى على خصوصيات مارتن لوثر كنج"، كما أوضح تيم جولدن وسط تأملاته بشأن البارانويا السوداء فى "نيويورك تايمز". إلا أن اهتمام الحكومة بالدكتور كنج تعدى "التجسس على الخصوصيات" بقدر كبير ليشكل واحدة من أطول المراقبات المفروضة على أية عائلة فى التاريخ الأمريكى. وفى أوائل القرن العشرين أنشأ المقدم رالف فان ديمان Ralph Van Deman شبكة استخبارات بالجيش تستهدف أربعة أعداء أساسيين: "عمال العالم الصناعيون" Industrial Workers of the World[1]، ومعارضو التجنيد الإجبارى، والاشتراكيون، و"القلاقل السوداء". وكان الخوف من استغلال الألمان مظالم السود عظيمًا، وكان فان ديمان مشغولاً بصورة كبيرة بدور كنائس السود كمراكز للتمرد.

ومع نهاية عام ١٩١٧ فتح قسم الاستخبارات العسكرية بوزارة الحربية ملفاً عن جد مارتن لوثر كنج لأمه، القس أ.د. ويليامز A.D. Williams راعى كنيسة إبينيزر المعمدانية Ebenezer Baptist Church وأول رئيس للاتحاد القومى لتقدم الملونين NAACP[2]. كما دخل والد كنج، مارتن الأب Martin Sr. الذى خلف ويليامز فى كنيسة إبينيزر المعمدانية ، ملفات الجيش هو الآخر. وظهر مارتن الابن لأول مرة فى تلك الملفات (وتحتفظ بها مجموعة الاستخبارات العسكرية الحادية عشرة بعد المائة فى فورت ماكفرسون Fort McPherson بأطلانطا) عام ١٩٤٧، عندما كان يدرس فى مدرسة دوروثى ليلى Dorothy Lilley؛ وكان الجيش يشك فى وجود صلات بين ليلى والحزب الشيوعى.

وأصبح ضباط استخبارات الجيش مقتنعين بصلات مارتن لوثر كنج الابن بالشيوعية حين تحدث عام ١٩٥٠ فى الذكرى الخامسة والعشرين لافتتاح مدرسة

---

(١) اتحاد صناعى اشتراكى شكله عام ١٩٠٥ الاتحاد الغربى لعمال المناجم وعدد آخر من المنظمات العمالية. وكان أعضاؤه يدعون إلى شن حرب طبقية دائمة ضد أصحاب العمل، كما كانوا يؤمنون بأن الديمقراطية الصناعية سوف تحل محل الرأسمالية بعد الإضراب العام. **(المترجم)**

(٢) أقدم منظمة للحقوق المدنية فى الولايات المتحدة الأمريكية هدفها "إزالة كل الحواجز التى تحول دون المساواة السياسية والاجتماعية" من أمام السود وغيرهم من الأقليات العرقية. وقد تأسست عام ١٩٠٩ بانضمام أعضاء حركة "نياجرا" السود إلى الليبراليين والاشتراكيين البيض. **(المترجم)**

هايلاندر الشعبية Highlander Folk School المتكاملة فى مونت إيجل Monteagle بولاية تنيسى. وكان أحد ضباط استخبارات الجيش قد أبلغ رؤساءه قبل ذلك بعشر سنوات بأن مدرسة هايلاندر تدرس دورة توجيهية لتطوير المنظمين السود فى ولايات القطن الجنوبية.

وذكر ستيفن تومبكينز Stephen Tompkins الصحفى فى "ممفيس كوميرشال أبيل" Memphis Commercial Appeal أنه فى عام ١٩٦٣ كانت طائرات U-2 تصور الاضطرابات فى برمنجهام Birmingham بولاية ألاباما، متوجة بذلك نظام تجسس متعدد الطبقات كان يضم فى عام ١٩٦٨ ثلاثمائة وأربعة مكاتب فى أنحاء البلاد، إلى جانب "ملفات أمن قومى مدمِرة" عن ٨٠٧٣١ أمريكياً، بالإضافة إلى ١٩ مليون ملف شخصى مودعة فى فهرس التحريات المركزى بوزارة الدفاع.

وينبع خيط أكثر شؤماً من الغضب والخوف اللذين قابلت بهما قيادة الجيش العليا انتقاد كنج لحرب فيتنام فى كنيسة ريفرسايد Riverside Church عام ١٩٦٧. وسجل جواسيس الجيش كلام ستوكلى كارمايكل Stokely Carmihael وهو يقول لكنج: "الرجل لا يهمه وصفك للجيتوهات بأنها معسكرات اعتقال، ولكن عندما تقول له إن آلته الحربية ليست إلا قتلة مأجورين، فإنك توقع نفسك فى مشاكل."

وبعد أحداث الشغب التى وقعت فى ديترويت عام ١٩٦٧، أجرى عملاء مجموعة العمليات النفسية فى الجيش الذين يرتدون الملابس المدنية مقابلات مع ٤٩٦ أسود مقبوضاً عليهم. وقد اتضح أن كنج كان حتى ذلك الوقت أكثر الزعماء السود شعبية. وفى العام نفسه انتهى الميجور جنرال ويليام ياربره William Yarborough مساعد رئيس هيئة الأركان للاستخبارات إلى أن الإمبراطورية تتفكك عند المفاصل، بينما كان يراقب المسيرة الضخمة المناوئة للحرب فى واشنطن من فوق سطح البنتاجون. وأشارت ياربره كذلك إلى قلة القوات التى يعتمد عليها فى القتال فى فيتنام والحفاظ على النظام فى الداخل.

ورداً على ذلك، زاد الجيش من مراقبته لكنج. وبدأ ذوو البيريهات الخضر Green Berets وغيرهم من قدامى أفراد القوات الخاصة، العائدون من فيتنام فى رسم خرائط للشوارع لتحديد مناطق الإنزال ومواقع القناصة المحتملة فى المدن الأمريكية الكبرى. وجندت الفرقة العشرون للقوات الخاصة، التى اتخذت مقراً لها فى ألاباما ليكون شبكة

استخبارات معاونة، جماعة كو كلوكس كلان. وبدأ الجيش فى تزويد إدارات الشرطة، ومنها إدارة ممفيس، ببنادق قناصة عيار ٠٦ , ٣٠.

وأورد تومبكنز فى تحقيقه الجيد تفاصيل هستيريا رؤساء استخبارات الجيش المتزايدة بسبب الخطر الذى كانوا يرون أن كنج يمثله على الاستقرار القومى. وكان ج. إدجار هوفر J. Edgar Hoover مدير مكتب التحقيقات الفدرالى تسيطر عليه الفكرة نفسها، وكانت وحدات التجسس تتعقب كنج خلال الجزء الأول من عام ١٩٦٧. وكانت وحدة خاصة من ذوى البيريهات الخضر تعمل فى ممفيس حين أطلقت عليه النار. وقد قتل برصاصة من بندقية عيار ٠٦ , ٣٠ اشتريت من محل فى ممفيس، وهى جريمة القتل التى حكم بسببها على جيمس إيرل راى James Earl Ray بالسجن لمدة ٩٩ عاماً فى أحد سجون تنيسى. وأثار فحص أمرت به المحكمة لبندقية جيمس إيرل راى أسئلة تتعلق بما إذا كانت هى بالفعل التى أطلقت الرصاصة التى قتلت كنج أم لا.

وكانت شخصيات سوداء بارزة، من بطل الملاكمة جاك جونسون Jack Johnson إلى بول روبسون Paul Robeson إلى و.إ.ب. دوبويس W.E.B. Du Bois، هدفاً لتحرش دائم من جانب سلف مكتب التحقيقات الفدرالى. ولفق مكتب التحقيقات الفدرالى لجونسون، وهو أول سوبر ستار أمريكى، يقع تحت قانون مان Mann Act[(١)]. وفى النهاية أمضى جونسون ٤ سنوات فى السجن لعبوره حدود الولاية مع صديقته البيضاء (التى أصبحت زوجته فيما بعد). وكان دوبويس مؤسس الاتحاد القومى لتقدم الملونين نفسه يخضع للمراقبة قرابة سبعين عامًا وألقى القبض عليه وقيد بالأصفاد بسبب دعوته لإجراء محادثات سلام مع كوريا الشمالية.

ولا يزال حاضراً فى أذهان الكثيرين من السود برنامج مكتب التحقيقات الفدرالى "كوينتلبرو" COINTELPRO الذى بدأ عام ١٩٥٦ وفُهم على أنه برنامج محلى لمواجهة التمرد. ومع أن مجاله كان يمتد إلى اليسار الجديد، وثوار بويرتو ريكو، وسكان أمريكا الأصليين، فإن أكثر التحقيقات قوة فى ظل كوينتلبرو كانت تلك الخاصة بالزعماء

---

(١) نسبة إلى النائب جيمس مان الذى تقدم بمشروعه وأقره الكونجرس عام ١٩١٠. ويحظر هذا القانون نقل أية أنثى بالإكراه أو الإغواء عبر حدود الولايات بغرض الدعارة أو غيرها من الأنشطة غير الأخلاقية. وعقوبة ذلك غرامة قدرها ٥ آلاف دولار أو السجن لمدة تصل إلى ٥ سنوات، أو كلتاهما. وتتضاعف العقوبة فى حال كون الضحية قاصراً. **(المترجم)**

السود. ووصفت مذكرة من مدير مكتب التحقيقات الفدرالى ج. إدجار هوفر البرنامج على ما كان عليه فى أغسطس ١٩٦٧ قائلة: إن الغرض من كوينتلبرو هو "فضح، أو إرباك، أو تضليل، أو تحييد" المنظمات السوداء التى لم يكن مكتب التحقيقات الفدرالى يهتم بها. وإذا ظهر أى زعيم أسود، كانت أوامر هوفر هى أنه ينبغى على مكتب التحقيقات الفدرالى "تحديد المشاغبين المحتملين وتحييدهم، قبل أن يستغلوا إمكانياتهم فى العنف".

ومنذ فترة طويلة تعنى كلمة "تحييد" فى لغة الحكومة الاغتيال. فعلى أقل تقدير قتل ستة أو سبعة من زعماء الفهود السود Black Panthers[1] بتحريض من مكتب التحقيقات الفدرالى، وكانت أبشع حلقة هى اغتيال فريد هامبتون Fred Hampton ومارك كلارك Mark Clark فى شيكاغو. وأطلقت شرطة شيكاغو النار على زعيمى الفهود السود وهما نائمان، بعد حصولها على خريطة مفصلة للمنزل من أحد مرشدى مكتب التحقيقات الفدرالى قام كذلك بتخدير هامبتون وكلارك.

وخلال جلسات الاستماع التى رأسها السناتور فرانك تشرش Frank Church من إيداهو فى منتصف السبعينيات، وُجد أن مكتب التحقيقات الفدرالى نفذ أكثر من ٢٠٠ مما تسمى مهام "الحقيبة السوداء"، التى اقتحم فيها مكتب التحقيقات الفدرالى مكاتب وبيوتًا وشققًا لتدمير معدات، وسرقة وتدمير ملفات، وضبط أموال ومخدرات نباتية. وارتبط مكتب التحقيقات الفدرالى كذلك بالحريق العمد الذى دمر "ورشة عمل كتَّاب واتس" Watts Writers Workshopفى لوس أنجلوس.

وفى كل القصص الخاصة بـ"البارانويا السوداء" التى ساقها مهاجمو وب، كان هناك موضوع قوبل بتجاهل واضح؛ إنه تاريخ التطبيق العنصرى الطويل لقوانين المخدرات الأمريكية.

وكان أول تطبيق عنصرى لقوانين المخدرات فى الولايات المتحدة ضد عمال كاليفورنيا. فبعد الحرب الأهلية الأمريكية كان إدمان الأفيون مشكلة كبيرة؛ حيث كان

---

(١) منظمة عسكرية سوداء أسسها فى أوكلاند بولاية كاليفورنيا عام ١٩٦٦ هيوى ب. نيوتن وبوبى ج. سيل. وطالب زعماء المنظمة السود بتسليح أنفسهم من أجل الكفاح ضد مضطهديهم، وجمعوا ترسانات أسلحة صغيرة. وتدهور حال المنظمة بعد المشاجرات التى وقعت بين زعمائها، وبعد أن خفت حدة تشدد السود فى السبعينيات. **(المترجم)**

الجنود الجرحى يستخدمونه للتغلب على الألم، ومن ثم صاروا معتادين عليه. وتقدر إحدى الدراسات أنه بحلول ١٨٨٠ كان واحد من بين كل ٤٠٠ شخص بالغ فى الولايات المتحدة مدمنًا للأفيون. وكان العمال الصينيون يؤتى بهم إلى الولايات المتحدة فى أعقاب الحرب الأهلية لبناء السكك الحديدية العابرة للقارة، ولنقل الحجارة فى مناجم الذهب فى جبال سييرا Sierras بكاليفورنيا. كما جُلب آلاف الصينيين إلى الجنوب ليحلوا محل العمال العبيد فى مزارع القطن والأرز. وجاء الصينيون معهم بتدخين الأفيون، حيث لقى إدمانهم تشجيعًا كبيرًا خلال حروب الأفيون التى شنها البريطانيون الذين نجحوا فى ضرب جهود الحكومة الصينية لكبح جماح تلك العادة.

وبعد ذلك جاء كساد سبعينيات القرن التاسع عشر. وكان ينظر إلى الصينيين فى ذلك الوقت كمنافسين، بسبب تدنى عدد فرص العمل المتاحة. وفى عام ١٨٧٥ أصبحت سان فرانسيسكو أول مدينة تجرم تدخين الأفيون بناء على تشريع كان من الواضح أنه يستهدف الصينيين، الذين كانوا يدخنون ذلك المخدر، فى مقابل الجماعة الرئيسية من المتعاطين، وهم الرجال والنساء البيض، الذين كانوا يتعاطون الأفيون فى صورة سائلة. وكانت تلك هى الفترة التى شاع فيها استخدام الأدوية المسجلة التى يدخل فى صناعتها الأفيون. وكان النساء يتعاطينه على هيئة "مشروبات منعشة" tonics لتخفيف الألم عند الولادة، وكذلك بغرض "تهدئة" أعصابهن. إلا أنه مقابل "شياطين المخدرات الصفر"، كان المتعاطون البيض يطلق عليهم "متعودين" habitues. وفى عام ١٨٨٧ أسهم الكونجرس بقانون استبعاد الصينيين Chinese Exclusion Act، الذى يسمح، بالإضافة إلى أشياء أخرى، بإلقاء القبض على المدمنين الصينيين وترحيلهم.

وصاحبت مواقف عنصرية شبيهة ظهور تعاطى الكوكايين. فقد كان الكوكايين يسوق على نطاق واسع فى الولايات المتحدة فى أواخر ثمانينيات القرن التاسع عشر عن طريق شركة بارك-ديفيز Park-Davis Company (التى حصلت بعد سنوات على عقود لتزويد وكالة الاستخبارات المركزية بالمخدرات فى برنامج "إم كى ألترا" MK-ULTRA). وكانت الشركة تبيع كذلك منتجًا يبشر بكوكايين التدخين، حيث كانت تسوِّق سجائر محشوة بالكوكايين فى تسعينيات القرن التاسع عشر. وفى ذلك العقد نفسه، عرض كتالوج "سيرز أند روبوك" Sears & Roebock، الذى كان يوزع بالملايين على المنازل، حقنة وكمية صغيرة من الكوكايين بسعر دولار ونصف. ولكن مع بداية القرن

العشرين، كان موقف المؤسسة الطبية والقانونية من الكوكايين قد بدأ يتغير. ففى عام ١٩٠٠، نشرت "مجلة الاتحاد الطبى الأمريكى" Journal of the American Medical Association مقالاً افتتاحيًا يحذر قراءها من خطر جديد: "يقال إن السود فى الجنوب يدمنون شكلاً جديداً من أشكال الرذيلة – إنه 'شم الكوكايين' أو 'كيف الكوكا'".

وتجاوب الرئيس تيودور روزفلت Theodore Roosevelt مع حالة الخوف الجديدة بأن أوجد لأول مرة فى البلاد منصب قيصر المخدرات الذى تولاه الدكتور هاملتون رايت Hamilton Wright. وكان رايت عنصريًا متعصبًا، حيث أعلن أنه "ورد من مصادر عليمة أن الكوكايين هو فى الغالب الدافع المباشر وراء جرائم الاغتصاب التى يرتكبها السود فى الجنوب وغيرها من المناطق". وكان أحد المصادر العليمة لدى رايت هو الدكتور كريستوفر كوخ Christopher Koch رئيس مجلس الصيدلة فى بنسلفانيا. وقد شهد كوخ أمام الكونجرس عام ١٩١٤ لمصلحة مشروع قانون هاريسون Harrison Bill قبل وقت قليل من تحويله إلى قانون يجرم لأول مرة تعاطى المخدرات. فقد قال كوخ: "إن معظم الهجمات التى تتعرض لها النساء البيض فى الجنوب نتيجة مباشرة للمخ الزنجى الذى أصابته المخدرات بالجنون." وفى جلسة الاستماع نفسها، ادعى رايت أن المخدرات جعلت السيطرة على السود غير ممكنة، وأعطتهم قوة فوق قوة البشر، ودفعتهم إلى التمرد على السلطة. ورددت الصحافة تلك الاتهامات الهستيرية، وخاصة "نيويورك تايمز" التى نشرت فى عددها الصادر فى ٨ فبراير ١٩١٤ مقالاً ذكر فيه إدوارد هنتنج ويليامز Edward Hunting Williams كيف زاد مأمورو الشرطة فى الجنوب عيار أسلحتهم من ٣٢,٠ إلى ٣٨,٠ لقتل السود وهم تحت تأثير الكوكايين. وكان العنوان الذى وضعته "نيويورك تايمز" لهذا المقال هو "'شياطين' الكوكايين الزنوج تهديد جديد فى الجنوب: تزايد القتل والجنون بين السود من الطبقة الدنيا". ووسط تلك الهجمات الشرسة، تمت الموافقة على مشروع هاريسون ليصبح قانونًا.

وفى عام ١٩٣٠ أنشئت إدارة جديدة فى الحكومة الفدرالية، وهى مكتب المخدرات والعقاقير الخطيرة Narcotics and Dangerous Drugs، برئاسة هارى أنسلنجر Harry Anslinger، لشن الحرب على متعاطى المخدرات. وكان أنسلنجر – وهو عنصرى آخر – داهية فى الدعاية وأصبح الصائغ الرئيسى للمواقف الأمريكية تجاه تعاطى المخدرات، حيث فرض رأيه بأن هذا الإدمان غير قابل للعلاج، وإنما يمكن القضاء عليه بالعقوبات

الجنائية المغلظة. وكانت أولى حملات أنسلنجر الكبرى لتجريم المخدر المعروف فى ذلك الوقت باسم القنب hemp. ولكن أنسلنجر أسماه "ماريوانا" marijuana لربطه بالعمال المكسيكيين الذين كانوا، كالصينيين قبلهم، منافسين غير مرحب بهم فى فرص العمل النادرة فى فترة الكساد. وزعم أنسلنجر أن الماريوانا "يمكن أن تثير فى السود وذوى الأصول الأسبانية حالة من السورة التى تهدد بالخطر أو الهجوم القاتل. وخلال هذه الفترة يرتكب المدمنون بعض الاعتداءات الغريبة والرهيبة والجرائم الجنسية المعروفة فى دفاتر أحوال الشرطة."

وربط أنسلنجر بين الماريوانا وموسيقى الجاز وأجرى تحقيقات مع الموسيقيين السود، ومنهم ذيلونيوس مونك Thelonius Monk، و ديزى جيليسباى Dizzy Gilles-pie، وديوك إلنجتون Duke Elington. وألقى القبض كذلك على لويس أرمسترونج Louis Armstrong[1] بتهم تتعلق بالمخدرات، وتأكد أنسلنجر من تشويه سمعته فى الصحافة. وفى الكونجرس، شهد بأن "الملونين ذوى الشفاه الغليظة يغوون النساء البيض بموسيقى الجاز والماريوانا".

وبحلول خمسينيات القرن العشرين، ووسط دوى الحرب الباردة، كان أنسلنجر يعمل مع وكالة الاستخبارات المركزية على اتهام جمهورية الصين الشعبية الوليدة بأنها تسعى إلى تدمير أمريكا ببيعها الأفيون لعصابات الجريمة المنظمة فى الولايات المتحدة. (وكان ذلك فيه قدر كبير من التبجح من جانب وكالة الاستخبارات المركزية، التى كانت طائراتها فى ذلك الوقت تنقل الأفيون من قواعد جيانج كاى شيك Chiang Kai-shek[2] فى بورما إلى تايلاند والفليبين لتصنيعه وتصديره إلى الولايات المتحدة) وأقنع أنسلنجر مجلس الشيوخ الأمريكى بالموافقة على قرار ينص على أن "التدمير من خلال إدمان المخدرات هدف ثابت من أهداف الصين الشيوعية".

وفى عام ١٩٥١ عمل أنسلنجر مع الديمقراطى هيل بوجز Hale Boggs على حشد التأييد من خلال الكونجرس لأول حد أدنى من الأحكام القضائية الخاصة بحيازة

(١) أشهر عازف ترومبيت أمريكى (١٩٠٠-١٩٧١) وكان له تأثير كبير على تطور موسيقى الجاز، واشتُهر كمغن بصوته الأجش. **(المترجم)**

(٢) شخصية عسكرية وسياسية صينية. قاد القوات الوطنية ضد القوات الشيوعية الثائرة ثم طُرد من بر الصين إلى تايوان عام ١٩٤٩، حيث أصبح رئيساً للصين الوطنية حتى وفاته عام ١٩٧٥. **(المترجم)**

المخدرات: وهى عامان لأول إدانة بحيازة مخدرات الجدول ١ (الماريوانا والكوكايين) ومن خمس إلى عشر سنوات للمرة الثانية، ومن عشر إلى عشرين سنة للإدانة الثالثة. وفى عام ١٩٥٦ جند أنسلنجر مساعده بوجز مرة أخرى لإقرار قانون يسمح بفرض الحكم بالإعدام على أى شخص يبيع الهيروين إلى شخص قاصر، وكان أول ربط بين المخدرات والحكم بالإعدام.

وكان ذلك آخر أعمال أنسلنجر المثيرة. وكانت "الحدود الجديدة" New Frontier[١] التى أعلنها جون كنيدى مصاحبة لعلماء الاجتماع المهاجمين لفلسفة أنسلنجر العقابية. لقد تغير إيقاع الزمن، وبدأت الأموال الفدرالية تستهدف العلاج والوقاية قدر استهدافها فرض القانون والسجن. ولكن الفترة المؤقتة لم تدم طويلاً. فمع تخفيف حدة الحرب فى جنوب شرقى آسيا، عاد ملايين المجندين ليواجهوا سورة برنامج حرب نيكسون ضد المخدرات. فقد تبنى نيكسون أساليب أنسلنجر الخاصة بتضخيم الخطر، حيث قال فى لوس أنجلوس: "عندما أتفحص مشاكل هذا البلد، أرى أن إحداها تبرز بروزًا كبيرًا، ألا وهى مشكلة المخدرات."

وتعهد نيكسون بشن حرب على المخدرات، وبالعودة إلى الأسلوب العقابى، وعدم السماح لأية فكرة غريبة تتعلق بالحريات المدنية والحقوق الدستورية بالوقوف فى سبيل ذلك. وبعد بيان ألقاه نيكسون فى عام ١٩٦٩، كتب كبير مساعديه هـ.ر. هادلمان H.R. Hadelman فى مذكراته: "أكد نيكسون على أن علينا مواجهة حقيقة أن المشكلة برمتها تكمن فى السود. والحل هو وضع نظام يعترف بهذا، بينما لا يبدو أنه كذلك."

ولكن رغم كل ما أبداه نيكسون من صخب، فقد كان مجرد فاتحة لغضب تام فى سنوات ريجان وبوش وكلينتون، عندما أصبحت الحرب على المخدرات صراحة حربًا على السود. وكانت أولى خطوات حكومة ريجان مد العمل بقوانين مصادرة الأملاك التى أقرت فى عهد حكومة كارتر. وفى عام ١٩٨١ وضع مستشارو ريجان لسياسة المخدرات الخطوط العريضة لخطة ظنوا أنها ستكون أفضل بعض الشىء من العلاقات العامة، وهى عرض الشدة المطلوبة. وقد اقترحوا السماح لوزارة العدل بمصادرة الأملاك الثابتة وما تسمى "أملاك بديلة" (وهى الأصول المملوكة بطريقة مشروعة

---

(١) مبادئ الجناح الليبرالى فى الحزب الديمقراطى الأمريكى فى ظل قيادة الرئيس جون كنيدى، وهى التوزيع العادل للثروة والمجتمع العظيم والخطة الاقتصادية الجديدة. **(المترجم)**

وتساوى فى قيمتها المكاسب غير المشروعة). كما اقترحوا مصادرة الحكومة الفدرالية لأتعاب المحامى الذى يُشك فى احتمال حصوله على تمويل من ريع المخدرات. بل إنهم اقترحوا السماح باستدعاء المحققين الفدراليين للمحامين للمثول أمام هيئة المحلفين الكبرى للإدلاء بشهادتهم بشأن مصدر أموال موكليهم. وكانت خطة ريجان تستهدف السماح بالمصادرات على أساس "احتمال عرض القضية" أمام قاض فدرالى. ويعنى هذا أن المصادرات يمكن أن تتم بالنسبة لأناس ليسوا متهمين ولا مدانين فى جرائم مخدرات، بل مشتبه فيهم وحسب.

وعلى عكس ما توقعته الحكومة، أخذت هذه الخطة طريقها إلى الكونجرس، وحظيت بتأييد كبير من اثنين من ليبراليى الحزب الديمقراطى، هما السناتور هيوبرت هـ. همفرى Hubert H. Humphrey والسناتور جو بيدن Joe Biden، حيث كان ثانيهما فى عهد كارتر مهندس تعديل قانون "ريكو" RICO[1]، وتوسيع ضخم فى قوانين التآمر الفدرالية. وعلى مدى السنوات القليلة التالية كانت الصحافة تكتب من حين لآخر عن بعض التطبيقات شديدة الغرابة لقوانين المصادرة الجديدة، كمصادرة يخت قيمته ٢٥مليون دولار فى مداهمة مخدرات أسفرت عن حفنة من سيقان الماريوانا وبذورها. ولكن كانت العادة أن تتجاهل الصحافة النمط الأساسى للمصادرات الخالية من الإثارة، التى كانت تركز فى الغالب على الأصول العادية كالمنازل والسيارات. وفى مقاطعة أورانج Orange County بولاية كاليفورنيا، صودرت سبع وخمسون سيارة فى قضايا تتصل بالمخدرات فى عام ١٩٨٩. وقال أحد محققى المخدرات فى مقاطعة أورانج: "حتى لو عُثر على كمية صغيرة من المخدرات فى الداخل، فإن القانون يسمح بمصادرة المركبات كى تبيعها جهات تنفيذ القانون لتمويل برامج تنفيذ قانون مكافحة المخدرات."

وحقيقة الأمر أن برنامج المصادرة أصبح مورداً ضخماً من موارد الشرطة. وفى الفترة من ١٩٨٢ حتى ١٩٩١ صادرت وزارة العدل أصولاً قيمتها ٢,٥ مليار دولار. وصادرت وزارة العدل أملاكًا تقدر بخمسمائة مليون دولار فى عام ١٩٩١ وحده، ٨٠٪ منها مصادرات من أشخاص لم يسبق اتهامهم بجريمة واحدة.

---

(١) قانون التنظيمات القائمة على الاحتيال والفساد الصادر فى عام ١٩٧٠. **(المترجم)**

وفى ١٧ يونيو ١٩٨٦ توفى نجم كرة السلة فى جامعة ميريلاند لين بياس، حيث قيل إن سبب الوفاة جرعة زائدة من الكوكايين. وعن ذلك يقول دان باوم Dan Baum فـى كتابه الممتاز "الدخان والمرايا: الحرب ضد المخدرات وسياسة الفشل" Smoke and Mirrors: The War on Drugs and the Politics of Failure: "كـان لين بيـاس فى حياته لاعب كرة سلة رهيباً، وبعد مماته أصبح أرشيدوق فرديناند الحرب الشاملة على المخدرات." فقد قيل زوراً عن بياس إنه كان يدخن الكوكايين فى الليلة السابقة لوفاته. (كان فى الواقع يتعاطى الكوكايين البودرة، وطبقًا لما قاله الطبيب الشرعى فلا وجود لعلاقة واضحة بين تعاطيه وتوقف قلبه عن العمل.)

وكان بياس قد وقع عقداً للعب مع فريق سيلتس بوسطن، وفى غمرة غضب بوسطن وحزنها، اندفع رئيس مجلس النواب ونائب ماساتشوستس تيب أونيل Tip O'Neill إلى العمل. وفى أوائل يوليو دعا لعقد اجتماع لقيادة الحزب الديمقراطى وقال: "اكتبوا لى تشريعًا. الجميع فى بوسطن يتحدثون على لين بياس. إنهم يريدون الانتقام. وإذا تحركنا بسرعة كافية يمكننا أن نسبق البيت الأبيض." وكان البيت الأبيض نفسه يتحرك بسرعة. وكانت وكالة مكافحة المخدرات قد صدرت لها التوجيهات، بالإضافة إلى أشياء أخرى، بالسماح لشبكة "إيه بى سى" بمصاحبتها فى مداهماتها ضد بيوت كوكايين التدخين. ويقول رئيس مكتب وكالة مكافحة المخدرات فى نيويورك بفرح: "إن كوكايين التدخين هو أسخن قصة إخبارية عن القتال منذ حرب فيتنام."

صب ذلك كله فى رغبة الكونجرس المحمومة فى صياغة قوانين أشد صرامة. ووصف زعيم الأغلبية فى مجلس النواب جيم رايت Jim Wright إساءة استعمال المخدرات بأنها "خطر استنزف من اقتصادنا هذا العام ٢٣٠ مليون دولار، حيث يبلى نسيج مجتمعنا ويغرى شبابنا ويقتلهم". وأعلن نائب ساوث كارولينا الجمهورى توماس أرنـت Thomas Arnett أنه ما لم يقض عليها "فستكون المخدرات خطراً أسوأ من الحرب النووية أو أية حرب كيماوية شنت على أية ساحة قتال". ووفق على قانون ١٩٨٦ المضاد لإساءة استعمال المخدرات فى الوقت المناسب. وقد تضمن تسعة وعشرين حدا أدنى جديداً للأحكام القضائية. وحتى ذلك الوقت من تاريخ الجمهورية، كان هناك فقط ستة وخمسون حدا أدنى للأحكام القضائية. وكان القانون الجديد يتضمن بنداً يقضى بالحكم بإعدام "العقول المدبرة" لتجارة المخدرات ومنع طلب تخفيف الأحكام، حتى فى

جرائم الحيازات الصغيرة. ولكن الهدف الرئيسى من القانون كان كوكايين التدخين. وحدد الكونجرس معدل أحكام بنسبة ١٠٠ إلى ١ بين حيازة كوكايين التدخين والكوكايين البودرة. وبناء على هذا البند فإن حيازة ٥ جرامات من كوكايين التدخين عقوبتها السجن خمس سنوات فى أحد السجون الفدرالية. ولم يتحقق هذا الحد الأدنى من الأحكام القضائية بالنسبة لأية كمية من الكوكايين البودرة التى يقل وزنها عن ٥٠٠ جرام. ويقوم ذلك التفاوت الكبير فى الأحكام على الشهادة التى تقول إن كوكايين التدخين أشد خمسين مرة من ناحية إدمانه عن الكوكايين البودرة. وحينذاك ضاعف الكونجرس هذه النسبة باعتبارها ما يسمى "عقوبة العنف". وليس هناك فرق طبيعى بين المخدرين، وهو ما اعترف به قيصر المخدرات فى حكومة كلينتون بارى ماكافرى Barry McCaffery. ووجدت لجنة الأحكام الفدرالية، التى شكلها الكونجرس لمراجعة الأسس الإرشادية للأحكام، أن ما تسمى "عقوبة العنف" يمكن إرجاعها إلى تجارة المخدرات، وتتصل أكثر بالبيئة التى يباع فيها كوكايين التدخين؛ إذ يباع كوكايين التدخين فى الشارع، بينما يباع الكوكايين البودرة من خلال الزيارات المنزلية. وكما أشار نيكسون وهادلمان فى إقرارهما للقانون الجديد، فقد كان من الواضح أنه يستهدف السود، ويذكرنا باستهداف الصينيين الذين يدخنون الأفيون، وليس السيدات اللائى يرتشفن مشروبهن المنعش المضاف إليه الأفيون.

وفى عام ١٩٩٥، راجعت لجنة الأحكام الأمريكية ثمانى سنوات من تطبيق هذا البند ووجدت أنه عنصرى بصورة لا سبيل إلى إنكارها فى تطبيقه؛ ذلك أن ٨٤ بالمائة ممن ألقى القبض عليهم لحيازتهم كوكايين التدخين كانوا من السود، بينما ١٠ فى المائة فقط من البيض و٥ بالمائة من ذوى الأصول الأسبانية. بل إن التباين فى تحقيقات تجارة كوكايين التدخين كان أوسع؛ ذلك أن ٨٨ بالمائة كانوا من السود، و٧ بالمائة من ذوى الأصول الأسبانية، و٤ بالمائة من البيض. وفى المقابل كان ٥٨ بالمائة من المتهمين المقبوض عليهم لحيازة بودرة الكوكايين من البيض، و٢٦ بالمائة من السود، و١٥ بالمائة من ذوى الأصول الأسبانية.

وفى لوس أنجلوس كان الأربعة والعشرون متهمًا فى قضايا كوكايين التدخين عام ١٩٩١ جميعهم من السود. وأوصت لجنة الأحكام الكونجرس وحكومة كلينتون بضرورة أن تكون النسبة ١ إلى ١ بين الأحكام بالنسبة للجرائم التى تنطوى على كوكايين

الفدراليون إلى تطبيق عقوبة الإعدام لم يكن هناك أبيض واحد؛ فقد كان ٧٨ بالمائة منهم سوداً والباقون من ذوى الأصول الأسبانية. وفى الفترة من ١٩٣٠ حتى ١٩٧٣ (عندما وجدت المحكمة العليا الأمريكية أن عقوبة الإعدام الفدرالية غير دستورية) كان ٨٥ بالمائة ممن صدرت ضدهم أحكام بالإعدام من البيض. وعندما أعيد تطبيقها من جديد فى عام ١٩٨٤، بموجب قانون إساءة استعمال المخدرات، ارتفع عدد السود الذين حكم عليهم بالإعدام بصورة كبيرة. وسواء أكانت الجريمة تتصل بالمخدرات أم لا تتصل، فإن الأكثر احتمالاً هو أن ينتهى الحال بالأسود فى عنبر المحكوم عليهم بالإعدام. ومن بين هؤلاء المحكوم عليهم بالإعدام، على مستوى الولايات والمستوى الفدرالى، هناك ٥٠٪ من السود. ويمثل السود ١٦ بالمائة من عدد سكان الولايات المتحدة. ومنذ عام ١٩٧٦ كان ٤٠ بالمائة من ضحايا جرائم القتل فى البلاد من السود، ولكن ٩٠ بالمائة من أحكام الإعدام الصادرة بسبب جرائم القتل كانت تشمل ضحايا من البيض.

كانت لوس أنجلوس الهدف الرئيسى فى حرب المخدرات. ففى شوارع لوس أنجلوس، كانت أعمال القتل المتصلة بالعصابات ماثلة باستمرار لسكان المناطق الفقيرة فى معظمها التى تقع فيها، حيث تدخل العصابات فى معارك على مناطق النفوذ من أجل حقوق توزيع كوكايين التدخين الذى يوفره ريك روس ورفاقه فى عملية تواطأت عليها وكالة الاستخبارات المركزية. وبما أنها كانت قاصرة على المناطق السوداء من لوس أنجلوس، فقد أعير القليل من الاهتمام الرسمى لهذه المجزرة - وكانت تقع جريمة قتل كل يوم فى المتوسط منذ ١٩٨٨ وحتى ١٩٩٠. إلا أنه فى ديسمبر ١٩٨٧ قتلت إحدى العصابات بطريق الخطأ شابة عمرها ٢٧ عاماً اسمها كارين توشيما Karen Toshima أمام مجمع للسينما فى ويست ستود Weststood بالقرب من حرم جامعة كاليفورنيا لوس أنجلوس UCLA مما أثار غضب الحكم المحلى فى المدينة. وصرخ وكيل النيابة فى لوس أنجلوس كينيث هان Keneth Hahn قائلاً: "إن الحماية المستمرة لنشاط العصابات تحت ستار دعم دستورنا يحدث دماراً يأتى بالوبال على مدينتنا."

وعلى الفور نفذ رئيس إدارة شرطة لوس أنجلوس داريل جيتس Darryl Gates حملته لتهدئة المناطق القديمة من المدينة باسم "العملية مطرقة" Operation Hammer. وحتى قبل هذه الحملة لم يكن معروفاً عن إدارة شرطة بلوس أنجلوس حساسيتها تجاه

السود. ففى السبعينيات كان هناك أكثر من ٣٠٠ حادث قتل لأشخاص من غير البيض قامت بها إدارة شرطة لوس أنجلوس، وكانت عنصرية جيتس لا تخفى على أحد. واستجابة للشكاوى من حالات الوفاة خنقًا، ألقى جيتس باللوم فى تلك الحوادث على نفسية السود، حيث قال: "لقد اكتشفت أنه فى بعض السود، حين يقع [الخنق] فإن الأوردة أو الشرايين لا تنفتح بالسرعة التى تنفتح بها عند الأشخاص العاديين."

وكانت العملية «مطرقة» برنامج مضادا للتمرد يشبه فى بعض الأحيان برنامج "فينكس" Phoenix فى فيتنام. فقد كانت هناك مئات الغارات بأسلوب الكوماندوز على "منازل العصابات". وألقى القبض على أكثر من ٥ آلاف مشتبه فيهم لإجراء تحقيق معهم يقوم على عوامل مثل أسلوب الملبس، وإذا ما كان المشتبه فيه ذكرًا شابًا أسود يسير فى الشارع وقت حظر التجوال. وأفرج عن ٩٠ بالمائة ممن ألقى القبض عليهم فى مداهمات المطرقة تلك فى وقت لاحق دون توجيه أى اتهام، إلا أن أسماءهم حفظت فى قاعدة بيانات على الكمبيوتر تضم أسماء أعضاء العصابات اتضح فيما بعد أنها تضم ضعف عدد أسماء الشبان السود الموجودين فى لوس أنجلوس. وأغلق جيتس مناطق كبيرة من ساوث سنترال باعتبارها "مناطق دعم المخدرات". وكان هناك حظر تجوال صارم، وتواجد شرطى دائم، وتفتيش ذاتى فورى لمن يقبض عليهم خارج منازلهم وقت حظر التجوال.

فى تلك الحرب كان هناك الكثير من الضحايا البريئة. ففى سنة ١٩٨٩ أردت إدارة شرطة لوس أنجلوس رجلاً فى الحادية والثمانين من العمر لاعتقادها خطأً أنه تاجر كوكايين تدخين. وقال الشهود إن الرجل المسن كان يرفع يديه عاليًا عندما أطلقوا النار عليه. وفى عام ١٩٨٩، كان ٧٥ بالمائة من كل القضايا المنظورة فى محاكم لوس أنجلوس الجنائية تتصل بالمخدرات.

قد يكون من الصعب العثور على أى دليل موثق على أن هذه الحرب ضد المخدرات كان لها أى أثر سوى أثرها الضار. فبحلول عام ١٩٩٠ كانت نسبة البطالة بين الشباب الأسود فى منطقة لوس أنجلوس الكبرى ٤٥ بالمائة. وكان نصف الذكور السود تحت ٢٥ سنة قد مروا على نظام القضاء الجنائى. وكان متوسط العمر بين السود يتناقص لأول مرة فى هذا القرن، وكانت وفيات الأطفال الرضع تزداد فى المدينة. وكان حوالى ٤٠ بالمائة من الأطفال السود يولدون فى عائلات فقيرة.

ومن بين البيض الذين اهتموا بالظروف السيئة التى اتسمت بها الحياة فى الأحياء الفقيرة المعالج النفسى الحكومى فريد جودوين Fred Goodwin. وفى عام ١٩٩٢ كان مديراً لهيئة حماية اسمها "إدارة إساءة استعمال الكحول والمخدرات والصحة العقلية" ADAMHA، وكان جودوين شديد الحرص على تنفيذ برنامج حيوى طبى قومى للحد من العنف، حيث كانت الفكرة الجوهرية هى البحث عن جين "العنف". وبحثًا عن الأساس البيولوجى المفترض، كان جودوين يردد كل الوساوس المالثوسية[1] التى تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر والمفكرين والساسة الأمريكيين البيض فى أوائل القرن العشرين. فقد كان الكثير ممن يفترض أنهم أناس مستنيرون، مثل وودرو ويلسون Woodrow Wilson[2] يعتقدون أن التعقيم هو أفضل طريقة للحفاظ على نقاء مجمع الجينات القومى. وكان الوقت قد فات بالنسبة لوقف وصول الأفارقة، ولكن هؤلاء المالثوسيين أوحوا بفكرة قوانين استبعاد الأجناس فى عام ١٩٢٣، حيث كان المقصود هو استبعاد السلاف واليهود والإيطاليين وغيرهم من الدهماء المشكوك فى أمرهم من الناحية الجينية. – وهو التشريع الذى حظى بإعجاب النازيين.

وفى ١١ فبراير ١٩٩٢ ألقى جودوين كلمة المجلس الاستشارى القومى للصحة العقلية Ntional Mental Health Advisory Council عن مستقبل سياسة الصحة العقلية، حيث دعا إلى مقاربة تركز على العوامل الجينية والطبية الحيوية. ومن بين ملاحظات جودوين فى خطابه:

تدور مناقشات حول "العلاقات البيولوجية المتبادلة" و"العلامات البيولوجية". فهؤلاء الأفراد لديهم أدمغة مختلة ذات "تغيرات جبهية أمامية" يمكن تحديدها، وقد تنبئ كذلك بعنف لاحق. وهؤلاء الأفراد ذوو ذكاء أصابه التلف، هو فى هذه الحالة "نقص معرفى" ... والآن يمكن القول بأنه إذا أزال شيء من فقدان البناء الاجتماعى فى هذا المجتمع – وخاصة داخل المناطق القديمة ذات الأثر الكبير – بعض ما عززناه من ارتقائية تحدث التمدين وقد لا يكون مجرد استخدام غير مكترث للكلمة حين يسمى بعض الناس

---

(١) نسبة إلى عالم الاقتصاد البريطانى مالثوس الذى قال إن عدد سكان الأرض يزداد بمعدل أسرع من معدل زيادة الموارد الغذائية، مما ستكون له عواقب وخيمة حتماً، ما لم يحد من زيادة عدد السكان عن طريق القيود الأخلاقية أو الحرب والمجاعة والمرض. **(المترجم)**

(٢) الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة (١٩١٣-١٩٢١). **(المترجم)**

مناطق بعينها فى مدن معينة غابات استوائية، ذلك أننا ربما عدنا إلى ما قد يكون أكثر طبيعية، ويخلو من كل الضوابط الاجتماعية التى فرضناها على أنفسنا كحضارة على امتداد آلاف السنين فى تطورنا وارتقائنا.

وإذا نظرنا على سبيل المثال إلى القرود الذكور - وخاصة فى البرية - لوجدنا أن نصفها تقريبًا يعيش حتى البلوغ، والنصف الآخر يموت بسبب العنف. وهذه هى الطريقة الطبيعية بالنسبة للذكور، حيث يقضى كل منهم على الآخر. والواقع أن هناك بعض المعانى الضمنية الثورية اللافتة للانتباه لذلك، ذلك أن القرود المفرطة فى العدوانية التى تقتل بعضها تتسم كذلك بالإفراط الجنسى، ولذلك فهى تسافد أكثر، وبالتالى تتكاثر القردة بصورة أكبر لتعوض حقيقة أن نصفها يموت.

ودعا جودوين إلى التعرف المبكر على هؤلاء الرجال القرود، وقال: "سيكون هناك تركيز على التحديد المبكر للأنماط السلوكية ذات القيمة التنبؤية، والأمر الثانى هو ماذا نعرف وما يمكن أن نعلمه عن التدخلات الوقائية."

ولم يتناول جودوين قضايا العلاج أكثر من ذلك، ولكن قصة إخبارية فى "واشنطن بوست" كتبها بويس ريزنبرجر Boyce Resenberger أشارت إلى أن المعالجين النفسيين فى المجلس القومى الاستشارى للصحة العقلية الذين أيدوا جودوين ومبادرته الخاصة بالعنف كانوا يجربون أدوية جديدة لتصحيح الاختلالات البيوكيماوية التى يفترض وجودها فى كل من القرود والرجال المتسمين بالعنف.

ونقلت الصحافة ملاحظات جودوين فخلقت حالة من الهرج والمرج. وكانت هناك نوبة قصيرة من التحذير ولفت النظر، وبعد ذلك "أُنزل" إلى منصب مدير المعهد القومى للصحة العقلية National Institute of Mental Health، وهو المنصب الذى كان مقررًا سلفًا أن يتولاه.

ألا يمكن أن يزداد ما لدى الرجل الأسود - أو المرأة السوداء - الذى يعانى بالفعل من "البارانويا" بشأن فكرة علاج مشكلة الفقر على يد كيميائيين حكوميين يحملون فى حقنهم عوامل "إعادة التوازن"، من بارانويا عند رؤيته آثار وساوس قديمة لدى الجهات الحكومية مثل وكالة الاستخبارات المركزية؟

وكان جودوين نفسه يتبع خطوات "جولي" ويست "Jolly" West. وويست معالج نفسي في جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس اشتهر بهيمنته على معهد العلاج العصبي النفسي Neuropsychiatric. وكان نجمه قد علا في عام ١٩٦٩بكشفه عن خطته لوضع الكترودات [أقطاب كهربية] electrodes في أدمغة المشتبه فيهم من الجناة الذين يتسمون بالعنف في جزء تابع للمركز اسمه "مركز دراسة العنف والحد منه". وأجبر الغضب العام ويست على التخلي عن تلك الخطة. وفي عام ١٩٧٣ سعى ويست من جديد لإقامة مركز لإجراء التجارب على البشر، وكان تلك المرة في قاعدة سابقة للصاروخ "نايكي" Nike في جبال سانتا مونيكا. فإجراء التجارب على البشر في تلك البيئة الرعوية سوف يمضي دون إزعاج من أحد. وكتب ويست بفرح إلى برلمان كاليفورنيا: "الموقع يتوفر فيه الأمن، ويمكن إجراء الدراسات المقارنة هناك، في مكان منعزل ولكنه مريح، بالنسبة للبرامج النموذجية التجريبية لتعديل السلوك غير المرغوب فيه."

وكان ويست يعمل لفترة طويلة مع كيميائيي وكالة الاستخبارات المركزية وغيرهم من العلماء والباحثين في استخدام عقار الهلوسة LSD لتعديل السلوك البشري - ولكن ليس سلوك البشر وحسب. ففي عام ١٩٦٢ قتل ويست "تاسكو" وكان فيلاً مشهوراً في حديقة حيوان أوكلاهوما سيتي. فقد حقن جلده السميك القوي بعقار الهلوسة وعلى الفور سقط تاسكو. وزعم ويست أن حارس الحديقة هو الذي أحضر له الفيل لعلاجه.

وفي أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات كان علماء الأعصاب والمعالجون النفسيون مشغولين إلى حد كبير بمشاكل العنف الحضري. وكان أحد أساتذة ويست هو الدكتور إرنست رودين Ernest Rodin، وكان رجلاً من نمط الدكتور سترنجلاف Strangelove يرأس قسم الأعصاب في مستشفى لافاييت كلينيك Lafayette Clinic وكان يوصي بإجراء جراحات المخ النفسية والإخصاء باعتبارها التكنولوجيات الطبية المناسبة للطبقات الخطيرة.

وكان رودين يساوي بين "الذكور الصغار الأغبياء" والثيران، وأعلن أن "الثور المخصي سوف يجر محراثه" وأن "الخصيان من البشر لا يميلون إلى العنف، رغم كونهم في بعض الأحيان مخططين مهرة. ويميل عصرنا العلمي إلى رفض هذه الحكمة التي تعود إلى الماضي".

وأدلى ويست بتصريح مشابه بعد تمرد واتس Watts [1]، ولكنه أوصى بأن تحل محل منجل الخصائين أسيتات السيبرتيرون cyperoterone acetateK، وهي مادة كيماوية معقمة ابتكرها الألمان الشرقيون. وبحلول عام ١٩٧٢ اقترح ويست استغلال نزلاء السجون «مواد للبحث» في ذلك العلاج. وكان هناك لغط كبير حول ذلك. وفي ١٩٧٤ أدت الاحتجاجات التي شملت الولاية إلى خفض تمويل الولاية لمشروع ويست. وكتب والتر بوارت Walter Bowart في كتابه Operation Mind Control أن ويست "قد يكون المدافع الرئيسي عن ضبط العقل في أمريكا اليوم".

ووضع ويست إصبعه بحق على عدم جدوى المخدرات كطريقة لفرض الضبط الاجتماعي الانتقائي. وكتب في Hallucinations: Behavior, Experience and Theo-ry، وهو كتاب حرره عام ١٩٧٥: " يخضع دور المخدرات في ممارسة الضبط السياسي كذلك لمناقشة مستفيضة. فالضبط يمكن فرضه إما من خلال المنع أو المنح. فالمنع الكامل أو حتى الجزئي للمخدرات يمنح الحكومة نفوذًا كبيرًا بالنسبة لأنماط أخرى من الضبط. وقد يكون مثال ذلك التطبيق الانتقائي لقوانين المخدرات ... على مكونات مختارة من السكان مثل أفراد أقليات أو منظمات سياسية بعينها."، وكما رأينا فإن أنماط الأحكام تدعم تحليل ويست.

إنها إذن ليست البارانويا التي تجعل أي شخص أسود يستنتج أنه منذ تكريس المفكرين والساسة البيض البارزين في القرن التاسع عشر الكثير من جهدهم لتقليل عدد السود عن طريق وسيلة التعقيم، أو الاعتداء الطبي الانتقائي، الذي يوصف تأدبًا بـ"علم" اليوجينيا eugenics[2].

وفي عام ١٩١٠، كان ونستون تشرشل Winston Churchill وزير الداخلية وقتها فظًا كعادته حين استغل منصبه ليقترح سرًا تعقيم ١٠٠ ألف من "المنحطين عقليًا" في المملكة المتحدة، مستغلاً في ذلك الدعم العلمي الذي يقدمه كتاب من تأليف الدكتور هـ.ك. شارب H.C. Sharp عن إصلاحية إنديانا Indiana Reformatory في الولايات

---

(١) حي من أحياء لوس أنجلوس. **(المترجم)**

(٢) العلم الذي يدرس تحسين النسل البشري. **(المترجم)**

المتحدة، وفى العقدين الأولين من القرن العشرين كانت النخب الأمريكية مشغولة كذلك إلى حد كبير بشأن مجمع الجينات القومى (فقد كان مؤسسو معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا، على سبيل المثال، متعصبين لتحسين النسل البشرى). وفيما بين ١٩٠٧ و١٩١٣، وضعت اثنتا عشرة ولاية - أولاها إنديانا - لوائح للتعقيم. ووقع حاكم ولاية إنديانا ج. فرانك هانلى J. Frank Hanley قانونًا يسمح بالتعقيم الإجبارى لأى شخص يثبت أنه مجرم أو معتوه أو مغتصب أو أبله موجود فى مؤسسة حكومية تقرر لجنة من الأطباء أن حالته "غير قابلة للتحسن".

ويورد آلان تشيس Allan Chase فى كتاب The Legacy of Malthus أن ٦٣٦٧٨ شخصًا عقموا تعقيمًا تامًا فيما بين ١٩٠٧ و١٩٦٤ فى ثلاثين ولاية ومستعمرة واحدة بموجب تلك القوانين. إلا أنه يشير كذلك إلى أن تلك الضحايا تمثل "أقل جزء من العدد الحقيقى للأمريكيين الذين أخضعوا فى هذا القرن لعمليات تعقيم إجبارية لتحسين النسل البشرى أجرتها جهات فدرالية وأخرى تابعة للولايات". ويورد تشيس ما قاله القاضى الفدرالى جيرهارد جيسيل Gerhard Gessell عام ١٩٧٣ فى قضية رفعت باسم ضحايا التعقيم الإجبارى الفقراء: "على مدى السنوات القليلة الماضية كان يعقم ما بين ١٠٠ ألف و١٥٠ ألف شخص من ذوى الدخل المنخفض سنويًا فى إطار برنامج ممول فدراليًا." وكما يشير جيسيل، فإن هذا المعدل يساوى ما تحقق فى ألمانيا النازية. فعلى امتداد سنوات الرايخ الثالث الاثنتى عشرة ـ وبعد تنفيذ قانون التعقيم الألمانى فى ١٩٣٣ (الذى أوحى به القانون الأمريكى) ـ عُقِّم مليونا ألمانى باعتبارهم غير ملائمين اجتماعيًا.

وذكر جيسيل أنه رغم إصرار الكونجرس على ضرورة قيام كل برامج تنظيم الأسرة على أساس اختيارى صرف، فإن "عددًا غير محدد من الفقراء أكرهوا بطريقة غير صحيحة على قبول عملية التعقيم تحت التهديد بسحب العديد من المساعدات الاجتماعية المدعمة فدراليًا ما لم يستسلموا للتعقيم الذى لا رجعة فيه. ومن الواضح أن المرضى الذين يتلقون مساعدة "ميديكيد" Medicaid[1] عند الولادة هم أكثر من يتعرضون لهذا الضغط."، ومن بين من رفعوا دعاوى ضد هذا الإجراء كاتى ريلف

(١) برنامج أمريكى يمول من حكومات الولايات والحكومة الفدرالية يدفع أتعاباً للمستشفيات والأطباء مقابل تقديم الرعاية الطبية لتأهيل الأشخاص العاجزين عن دفع نفقاتهم الطبية. **(المترجم)**

katie Relf من ألاباما، التى دفعت المعقمين عنها بأن أغلقت باب غرفتها عليها، وبينما كان تشيس يكتب فى نهاية السبعينيات أشار إلى أنه من المحتمل أن يكون هناك ٢٠٠ ألف أمريكى على الأقل فى كل عام من ضحايا التعقيم الإجبارى وغير القابل للعلاج.

وكانت نبرة العمل من أجل خير البشرية تتردد باستمرار فى برنامج التعقيم الكبير، فعلى سبيل المثال كان المعقم والعنصرى بول بوبينو Paul Popenoe من كاليفورنيا رجلاً مقربًا من عائلة تشاندلر Chandler التى كانت تمتلك "لوس أنجلوس تايمز". وفى عام ١٩٣٠، حذر كتيب بعنوان "التعقيم من أجل مصلحة البشر" ألفه بوبينو بالاشتراك مع إ.س. جوسنى E.S. Gosney قائلاً: "من أشد الأخطار عند استخدام التعقيم هو أن الأشخاص المفرطين فى الحماس الذين لم يفكروا فى الموضوع تفكيرًا متأنيًا سوف ينظرون إليه على أنه علاج شاف لكل داء، ويطبقونه لتحقيق كل الغايات التى لم يُعَد لها. فهو ليس سوى واحد من إجراءات كثيرة يمكن للدولة- بل يجب عليها - استخدامها لحماية نفسها من التدهور العنصرى، وهو فى العادة مجرد عامل مساعد للرعاية التى تقدم للمختلين والمرضى.

"والاعتراض فى بعض الأحيان يكون على أن التعقيم سوف يحرم العالم على الأقل من الكثير من المواطنين المفيدين، المتثلين للقانون، الذين يرعون أنفسهم، وهناك إقرار بأنهم قد لا يكونون أذكياء؛ ولكن أليست هناك حاجة إلى نسبة كبيرة من أصحاب القدرات المحدودة فى الحضارة الحديثة للقيام بالأعمال الصعبة والروتينية التى لا استعداد لدى المفكرين للقيام بها؟ ولو توقف إنجاب محدودى الذكاء كافة، فمن ذا الذى سيحفر المجارير ويجمع القمامة؟

"ولحسن الحظ أو لسوئه أنه ليست هناك إمكانية لمنع إنجاب محدودى الذكاء منعًا تامًا. فكثيرون منهم يولدون فى عائلات ذات ذكاء عادى، من خلال توافقية غير مرغوب فيها للجينات التى تحمل الصفات الوراثية. وسيكون هناك على الدوام ما يكفى منهم لحفر المجارير وجمع القمامة، دون تشجيع تكاثر من يحتمل أن ينجبوا محدودى الذكاء فقط."

ومع أن اليوجينيين، الذين يفضلون كلمات من قبيل "ضعاف العقول" أو "البلهاء" (التى يفضلها أوليفر وندل هولمز Oliver Wendell Holmes المتحمس للتعقيم، وهو حجة فى القانون يحظى بإعجاب الليبراليين)، يتحاشون عادة المصطلحات التى تنطبق على

جنس بشرى بعينه، فقد كان الهدف فى الغالب هو السود. وما لم يمنعه التعقيم المباشر، كان الحبس أو العزل المبرر طبياً يسعى كذلك لتحقيقه.

وفيما يتعلق بالعزل الطبى، وثقت مجلة "ساذرن إكسبوجر" Southern Exposure عدداً كبيراً جداً من السود الذين حبسوا فى مستشفيات تديرها الدولة فى جنوب الولايات المتحدة، وفى عام ١٩٨٧ كان حوالى ٣٧ بالمائة من هؤلاء المحتجزين قسراً من السود. وكان السود يشخصون دائمًا على أنهم مصابون بأمراض أكثر خطورة، ويعطون الأدوية المهدئة لفترات أطول، ويحتجزون بأعداد أكبر لفترات غير محددة دون العرض على القضاء. ويرى المقال أن هذا النمط قد يمتد إلى ما هو أكثر من الجنوب.

ويوحى بذلك أيضًا تاريخ الحرب البيوكيماوية.

ويعود استخدام الولايات المتحدة للأسلحة البيولوجية إلى توزيع البطاطين الملوثة ببكتيريا الكوليرا على قبائل الهنود الحمر فى ستينيات القرن التاسع عشر. وفى عام ١٩٠٠، نقل أطباء الجيش الأمريكى فى الفليبين إلى خمسة من السجناء نوعًا من الطاعون، كما نقلوا البرى برى إلى ٢٩ آخرين. ومات أربعة على الأقل من هؤلاء. وفى عام ١٩١٥، عرَّض طبيب يعمل بمنح حكومية ١٢ سجينًا فى الميسيسيبى للبلاجرا، وهو مرض مُقْعِد يهاجم الجهاز العصبى.

وفى عام ١٩٤٢ أصاب أطباء الجيش والبحرية الأمريكيون ٤٠٠ سجين فى شيكاغو بالملاريا فى تجربة قصد بها الحصول على "صورة عن المرض وابتكار علاج له". وكان معظم النزلاء من السود ولم يبلَّغ أى منهم بمخاطر التجربة. واستشهد الأطباء النازيون الذين حوكموا فى نورمبرج بتجارب الملاريا فى شيكاغو كجزء من دفاعهم.

وفى عام ١٩٥١ لوث الجيش الأمريكى سراً مركز نورفولك للتموين البحرى فى فيرجينيا بالبكتيريا، واختير نوع من البكتيريا كان يعتقد أن السود أكثر قابلية للتأثر به من البيض. وكانت سافاناه بولاية جورجيا Savannah,Georgia وأفون بارك بولاية فلوريداAvon ParkFlorida هدفين لتجارب الأسلحة البيولوجية التى أجراها الجيش مراراً فى عامى ١٩٥٦ و١٩٥٧. فقد أطلق باحثو الحرب الكيماوية والبيولوجية فى الجيش ملايين البعوض على مدينتين صغيرتين لاختبار قدرة هذه الحشرة على نقل وتوصيل الحمى الصفراء وحمى الدنجى. وأصاب المرض المئات من السكان، وكانوا يعانون من الحمى وضيق النفس وولادة أطفال ميتين والتهاب المخ. وأُبلغ عن العديد من الوفيات.

وقد بدأ التعاون بين وكالة الاستخبارات المركزية والأنظمة ذات النظرة النازية تماماً باستقدام العلماء النازيين. وكان من بين أصدقاء الوكالة في السنوات التالية نظام التفرقة في جنوب أفريقيا. وعلى سبيل المثال، كانت نصيحة من الوكالة هي التي أدت إلى القبض على نيلسون مانديلا Nelson Mandela وسجنه لأكثر من عشرين سنة. وظل تعاون الوكالة الوثيق مع وكالات استخبارات جنوب أفريقيا على قوته، بل ازداد قوة في عهد ريجان، حيث كان هناك تعاون وثيق في الهجمات التي شنت على موزمبيق وغيرها من جارات جنوب أفريقيا التي كانت تشكل خطراً على مصالح بريتوريا وواشنطن.

وفي عام ١٩٧٠، وفي مقال نشرته "ميليتاري ريفيو" Military Review المجلة التي يصدرها الجيش الأمريكي وكلية الأركان العامة، ناقش عالم وراثة سويدي في جامعة لوند اسمه كارل لارسون Carl Larson الأسلحة المنتقاة وراثياً. وذكر لارسون أنه رغم أن دراسة الإنزيمات المؤيضة للمخدرات لا تزال في بدايتها، فإن "التفاوتات الملحوظة في الاستجابة للعقاقير أوضحت احتمال وجود اختلافات وراثية كبيرة في قابلية الإصابة بالعوامل الكيماوية بين الشعوب المختلفة." ومضى لارسون ليتوقع أنه في عملية أشبه بخرطنة الجماعات العرقية في العالم[1] "قد يكون لدينا عما قريب شبكة نضع عليها الملاحظات الجديدة من هذا النوع". وفي نفس الاتجاه، أشار تقرير للجيش الأمريكي صادر في ١٩٧٥ في خاتمته إلى أنه "من الممكن نظرياً ابتكار ما تسمى 'أسلحة عرقية' يمكن تصميمها بحيث تستغل الفروق الطبيعية في قابلية الإصابة بين جماعات سكانية محددة".

وفي ليلة ١٤ نوفمبر ١٩٩٦ دعا عضوا الكونجرس خوانيتا ميليندر-ماكدونالد وماكسين ووترز، اللتان تمثلان معاً ساوث سنترال لوس أنجلوس، مدير وكالة الاستخبارات المركزية جون دويتش لحضور اجتماع لمجلس المدينة في مدرسة ثانوية بحي وات. كان هناك ألف شخص غاضب متأهبين لمواجهة الأستاذ السابق بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا MIT، الذي أصبح مساعداً لوزير الدفاع، ثم كبير الجواسيس. ولو لم تثر قصص وِب الأولى اهتمام صحافة التيار العام، فإن هذا الحدث

---

(١) المحاكمة التي أجراها الحلفاء في نورمبرج الواقعة في جنوب شرقي ألمانيا خلال عامي ١٩٤٥ و١٩٤٦ للقادة النازيين وغيرهم من مجرمي الحرب. **(المترجم)**

ـ تحقق هذا من خلال ما يعرف بمشروع الجينوم البشري **(المترجم)**

هو الذى أثار اهتمامها. وكان هناك كذلك أصحاب النفوذ: فكان هناك طاقم تصوير برنامج تيد كوبل Ted Koppel "نايتلاين" Nightline، والشبكات الإخبارية الكبرى، والصحف الرئيسية.

ومنذ اللحظة الأولى، اتبعت النائبة ميليندر - ماكدونالد، المعلمة السابقة التى انتخبت حديثًا لعضوية الكونجرس، أسلوبًا شديدًا. فقد قالت للحاضرين: "ليس مطلوبًا منا إثبات أن وكالة الاستخبارات المركزية شاركت فى تجارة المخدرات فى ساوث سنترال لوس أنجلوس. ولكن عليهم هم أن يثبتوا أنهم لم يشاركوا فى ذلك." وبعد ذلك أشارت لدويتش كى يقترب من الميكروفون، وهنا علت أصوات الحضور بصيحات الاستهزاء. وحذرت ميلندر - ماكدونالد من تصدر عنهم تلك الأصوات، وبعد ذلك بدأ دويتش جهدًا وضع له تصورًا جيدًا، حيث قال: "سأوجز كلامى. أريد أن أوضح أربع نقاط، أربع نقاط فقط: أولاها أن الناس فى وكالة الاستخبارات المركزية وأنا نفهم الرعب الضخم الذى تمثله المخدرات بالنسبة للأمريكيين، وما تحدثه المخدرات للأسر والمجتمعات، والطريقة التى تقتل بها المخدرات الأطفال الصغار. ونحن نفهم مقدار ما تحدثه المخدرات من دمار وخراب فى هذا البلد. والعاملون فى الوكالة وأنا نشارككم غضبكم مما يواجهه ضحايا المخدرات من ظلم وانعدام للرحمة."

كان هناك المزيد من صيحات الاستهزاء، وصرخ أحد الحضور قائلاً: "إنه يتحدث مثل كلينتون."

ومضى دويتش قائلاً: "خلال العامين الماضيين، وأنا أشغل منصب مدير وكالة الاستخبارات المركزية، كانت عمليات الاستخبارات التى قام بها ضباطنا تستهدف مباشرة الإمساك بكل أمراء المخدرات فى اتحاد كالى الاحتكارى. وقد أعقنا بصورة كبيرة تدفق معجون الكوكا بين مناطق الزراعة فى بيرو وبوليفيا ومنشآت تجهيز الكوكايين فى كولومبيا. كما ضبطنا كميات ضخمة من الهيروين المزروع فى حقول الخشخاش فى جنوب غرب آسيا. وغرضنا من ذلك هو منع المخدرات من دخول الولايات المتحدة" وبذلك تكون النقطة الثانية فى حديثى هى أن وكالة الاستخبارات المركزية تحارب المخدرات." وكانت شكوى دويتش المتكررة تبدو للأذن الخبيرة كأنها عودة حنينية إلى مسرح جرائم وكالة الاستخبارات المركزية العديدة. وبناء على الهمهمات، فإن جمهور ساوث سنترال لم يتأثر بما قاله على الإطلاق.

ومضى دويتش متحدثًا بنبرة فيها استعلاء قائلاً: "إن أنشطتنا سرية. وبناء على ذلك، فليس هناك فهم عام لما نعمله. أعلم أن هناك شكًا فى وكالة الاستخبارات المركزية وفى طريقة تجنيد عملاء للقضاء على تلك الجماعات التى تجلب المخدرات إلى الولايات المتحدة، وفى ضباطنا، ولكن رجالنا ونساءنا يتعاملون مع أشرار، بل مع أشخاص غاية فى الشر، ويخاطرون فى بعض الأحيان مخاطرة كبيرة بحياتهم. وهؤلاء هم المجرمون الذين يجب أن نتعامل معهم، إن كان لا بد لنا أن نمنع المخدرات من دخول البلاد. وهم فى بعض الأحيان يكذبون فيما يتعلق بعلاقاتهم معنا لأغراض فى نفوسهم. ولذلك فمن الصعب على الجمهور معرفة ما هو صحيح وما هو غير ذلك."

وأكد دويتش وحسب أن الوكالة لم تضع قط قدمًا فى غير موضعها.

"والآن نعلم جميعًا أن الحكومة الأمريكية ووكالة الاستخبارات المركزية ساعدتا مقاتلى كونترا فى سعيهم لخلع حكومة ساندينستا فى نيكاراجوا فى منتصف الثمانينيات. ويدعون أن الوكالة ساعدت مقاتلى كونترا كذلك فى جمع الأموال لشراء السلاح عن طريق إدخال كوكايين التدخين إلى كاليفورنيا. إنه اتهام مخيف موجه إلى قلب هذا البلد. بل هو اتهام لا يمكن السكوت عليه." وفى هذه اللحظة كان دويتش يدق بيده على الطاولة، ثم مضى قائلاً: "إنهم يقولون إنه اتضح أن وكالة الاستخبارات المركزية، وهى إحدى وكالات حكومة الولايات المتحدة التى وجدت لتحمى الأمريكيين، ساعدت على إدخال المخدرات والسموم إلى أولادنا وساهمت فى اغتيال مستقبلهم. ولا يمكن لشخص يقود إحدى وكالات الحكومة – سواء كنت أنا أم غيرى – أن يترك مثل هذا الادعاء دون تفنيد، وسأتجه مباشرة إلى لب الموضوع وأطلعكم على نتائج ما اكتشفته."

وعلى الفور لقى تعهد دويتش نفس مصير الكثير من وعود وكالة الاستخبارات المركزية الخاصة بإفشاء الأسرار: "لقد أمرت بإجراء تحقيق مستقل فى هذه الاتهامات. والنقطة الثالثة التى أود توضيحها لكم هى شرح طبيعة التحقيق. ذلك أننى أصدرت أوامرى إلى المفتش العام بالوكالة بإجراء تحقيق كامل." وهنا ازدادت المقاطعات حدة ولم يكن دويتش مسموعًا لمدة دقيقة كاملة قبل أن يتمكن من استئناف الكلام قائلاً: "دعونى أخبركم لماذا هو المسئول المناسب للقيام بهذه المهمة. أولاً، ينص قانون الكونجرس على استقلال المفتش العام، وعلى قيامه بالأنشطة، وعلى البحث عن التلاعب

والجرائم داخل وكالة الاستخبارات المركزية. الأمر الثانى هو أن المفتش العام يمكنه الوصول إلى كل سجلات الوكالة ومستنداتها، بغض النظر عن مدى سريتها. والأمر الثالث هو أن المفتش العام يتمتع بسلطة إجراء مقابلات مع الأشخاص المناسبين. أما الأمر الرابع فهو أنه قادر على التعاون مع الجهات الحكومية الأخرى، كوزارة العدل ووكالة مكافحة المخدرات ووزارة الدفاع، وجميعها كانت لها عمليات تدور فى نيكاراجوا فى تلك الفترة، وأخيراً فإن المفتش العام له سجل جيد فيما يتعلق بكشف مخالفات الوكالة السابقة. ففى الشهر الماضى ـ على سبيل المثال ـ كشف النقاب عن قيام بعض العاملين بالوكالة بإساءة استغلال بطاقات الائتمان، وهم الآن فى السجن". مقاطعة أخرى: "وماذا عن جواتيمالا، ماذا عن هؤلاء القتلة ..."

ومضى دويتش فى تعهده قائلاً: "والأمر الأكثر أهمية هو أننى أعتزم عند الانتهاء من هذا التحقيق إذاعة نتائجه كى يحكم أى شخص على صحة التحقيق، وأى شخص من الجمهور يرغب فى الاطلاع على التقرير سيمكنه الاطلاع عليه، وأود أن أؤكد على أننى لست الشخص الوحيد فى وكالة الاستخبارات المركزية الذى يريد من أى أمريكى تصديق أن الوكالة لم تكن مسئولة عن مثل هذا النوع من الاتهامات المقززة، وأخيراً أريد أن أقول لكم إنه كما هو الحال الآن، فليس تحت أيدينا ما يدل على تآمر وكالة الاستخبارات المركزية للمشاركة فى تشجيع تجار المخدرات فى نيكاراجوا أو أى مكان سواها فى أمريكا اللاتينية، فى هذه الفترة أو غيرها."

لقد تحمل دويتش عذاباً من ذلك الصنف الذى ربما اضطر أحد أساتذة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا لتحمله فى فترة حرب فيتنام خلال اعتصام للطلاب. وكان أحد أول الأسئلة من إحدى خريجات معهد تسكيجى فى ألاباما. فقد كانت تريد أن تعرف سبباً لضرورة تصديق الحكومة الأمريكية بشأن قضية كوكايين التدخين بعد أن أخفت أمر التجارب الطبية التى أجريت على رجال سود مصابين بالسفلس لمدة أربعين سنة: "أود معرفة مدى اختلاف هذا الحدث عما حدث فى مدرستى، حيث أنكرت الحكومة طوال أربعين سنة إصابة رجال أمريكيين أفارقة بالسفلس."

قال دويتش وقد بدت عليه الدهشة إنه هو نفسه يعتقد أن ما حدث فى تسكيجى غاية فى الفظاعة، ثم تعلق ببارقة أمل قائلاً: "دعونى أقول لكم شيئاً آخر. فلم يكن هناك من تقدم قبل أربعين سنة وقال إنهم سيجرون تحقيقاً."

وفى ذلك الوقت جاءت روايات شخصية مخيفة عن الدمار الذى أحدثه كوكايين التدخين فى أحيائهم. قالت امرأة: "فى بولدوين فيليدج Baldwin Village، حيث أقيم، ليست هناك فرص عمل للأولاد وينظر إلى أطفالنا على أنهم سلع. إنهم يدوّرون من خلال السجون، ويعودون بعد ذلك إلى الشارع ليظلوا بقية حياتهم موسومين. وأنت والرئيس وكل إنسان آخر ينبغى أن يحزن بشدة. يجب أن تقولوا كيف وصل هذا السرطان إلى هنا؟"

لم يكن لدى دويتش أى رد. ثم وقف رجل وقال: "والآن هل يفترض منا أن نثق فى تولى وكالة الاستخبارات التحقيق حول نفسها؟" فرد عليه دويتش بالتأكيد على استقلالية المفتش العام، فازداد الحضور غضباً وسأل سائل: "لماذا لا تعهدون به لمحقق مستقل، لشخص لديه سلطة الاستدعاء للشهادة؟ سيكون ذلك أكثر مصداقية." كان أفضل ما يمكن لدويتش أن يفعله مع هذا أن يقول إن السبب هو أنه ليس هناك محقق مستقل لأنه ليست هناك شكوى جنائية تقدم بها أحد.

وهنا وقعت واحدة من أكثر المناوشات إثارة فى تلك الأمسية. فقد نهض مايكل روبرت Michael Ruppert ضابط المخدرات السابق فى لوس أنجلوس لمواجهة دويتش وقال: "سأقول لك أيها المدير دويتش، باعتبارى محقق مخدرات فى إدارة شرطة لوس أنجلوس، إن وكالتك تتعامل فى المخدرات فى أنحاء هذا البلد منذ زمن بعيد." وعندها علا الصياح والتصفيق. فقال دويتش: "إذا كانت لديك معلومات عن وكالة الاستخبارات الأمريكية [وأى] نشاط غير مشروع ومخدرات، عليك فوراً تقديم هذه المعلومات لمن تريد. ولكن دعنى أقترح عليك ثلاثة أماكن: إدارة شرطة لوس أنجلوس ..." فتعالت صرخات قائلة: "لا، لا." ثم كان السؤال التالى: "لو حدث أنكم عثرتم أثناء تحقيق المفتش العام على أدلة على نشاط جنائى إلى حد كبير ومحظور نشره، هل ستستخدمون هذا الحظر لإخفاء النشاط الجنائى، أم أنكم ستخبرون الشعب الأمريكى بالحقيقة؟"

ووسط عداء مستمر من جانب الحضور، وعد دويتش بأنه فى حال اتضاح أن هذه المعلومات تنطوى على ارتكاب أخطاء "فإننا سوف نقدم الأشخاص للعدالة".

وكانت هناك مواجهة أخرى، من رجل أسود يبدو أنه ينتمى للطبقة الوسطى، حيث قال: "سؤالى لك هو أنه إذا كنتم تعرفون كل ما قامت به الوكالة من قبل، فلماذا

نصدقكم الآن وأنتم تقولون إن هذا لم يحدث قط فى لوس أنجلوس بكل تأكيد، بينما وكالة الاستخبارات المركزية تقوم به فى كل أنحاء العالم؟"

فرد عليه دويتش قائلاً: "أنا لم آت إلى هنا وأنا أظن أن الجميع سيصدقون ما أقوله. بل جئت إليكم فى مهمة أبسط بكثير. فقد كان سبب مجيئى هو أن أعرض عليكم موقفى وأبلغكم بأننى سوف أحقق فى تلك الادعاءات الرهيبة. وكل ما عليكم هو الاستماع إلى ما أقوله والانتظار حتى تروا النتائج."

وتوجه شخص أسود آخر من الحضور بهذا السؤال: "ولكن كيف لنا أن نعرف عدد المستندات المفيدة التي فرمتموها، وكيف نتيقن من أن المزيد من المستندات لن يفرم؟" فرد دويتش قائلاً: لا أعلم أن أحداً وجد أن هناك مستندات مفقودة من ملفات العمليات. ولا أدرى إن كان هناك من اكتشف أية ثغرات فى التسلسل، أو ملفات مفقودة، أو أوراق ضائعة تخص أى فترة من ذلك الوقت. وقد يتضح أن هذا ..." وقاطع دويتش رجل قائلاً: "أتعرف والتر بنكص؟" فرد دويتش بأنه سمع عن والتر بنكص. ولكن لماذا؟ "هل هو عميل من عملاء وكالة الاستخبارات المركزية؟" فأمسك دويتش برأسه وهزها نفياً.

وفى تلك اللحظة كان الحضور فى شدة الغضب وبدءوا يضيقون بالنائبة ميليندر-ماكدونالد لدعوتها مدير وكالة الاستخبارات المركزية إلى ساوث سنترال. وصاح أحد الحضور قائلاً: "لا أدرى سببًا لتحية هذه السيدة دويتش على شجاعته بمجيئه إلى هنا اليوم، حيث يعلم الجميع أن هذا المبنى به المئات من الخنازير[1]، هناك خنازير خلف هذه الستائر، وهناك خنازير فوق السطح، إننا لن نحقق عدالة الجيتو اليوم."

صاحت ميليندر- ماكدونالد فى الرجل كى يجلس، ولكن يبدو أن مشاعره كانت لها أصداؤها لدى الحضور. وأشار الرجل الأسود الذى وقف بعده إلى دويتش وقال: "إن رؤيتك تأتى إلى هذا المجتمع اليوم بهذه الطريقة ليست سوى حركة علاقات عامة لمصلحة البيض فى هذا البلد. ولذلك فأنت تأتى إلى هذا المجتمع اليوم لإهانتنا، وتقول لنا إنك ستحقق مع نفسك. من المؤكد أنك مجنون."

---

(١) يقصد ضباط الشرطة، حيث إن العامة يستخدمونها Pigs تحقيراً لهم وتعبيراً عن كراهيتهم لهم. (المترجم)

وكانت تلك القشة التى قصمت ظهر البعير بالنسبة لجون دويتش. فقد أُخرج صاحب السؤال من القاعة وتحدث مدير وكالة الاستخبارات المركزية ببضع كلمات قبل أن ينصرف: "تدرون أننى أعلم كم هو مهم بالنسبة لحكومتنا ووكالتنا أن تتغلب على هذه المشكلة وتقضى عليها. وقد أتيت اليوم كى أحاول بيان طريقة ذلك وأغادر هذا المكان ولدى تقدير أفضل لما يدور فى عقلكم."

ربما عاش جون دويتش لحظة أو لحظتين غير مريحتين، ولكنه كان يعلم ما يقوم به، ومن المؤكد أنه شعر بعد إلقاء نظرة على التغطية الإعلامية للمناسبة بأن حساباته كانت صحيحة. وفى تلك الأمسية ذاتها استغل تيد كوبل اللقاء كمدخل للمرة الأولى التى يذكر فيها الصلة بين وكالة الاستخبارات المركزية والمخدرات فى برنامجه Nightline – بعد نشر القصة بثلاثة أشهر. وأمضى كوبل نصف ساعة فى مقابلات مع الحضور فى لقاء ساوث سنترال عن طريق القمر الاصطناعى من كابينة المراقبة الخاصة به فى واشنطن العاصمة. وقد سعى سعيًا حثيثًا للعثور على من يقول إن زيارة دويتش لها أهميتها، ذلك أنها أول خطوة مفيدة فى عملية الحد من الشكوك. ولكن خاب مسعاه. فقد قوبل المحاور الكبير فى الغالب بأسئلة لاذعة من قبيل "إنكم تأتون إلى هنا وتسألون عن الحلول. إن لنا أولادًا يموتون، ولدينا مستشفيات لأطفال ولدوا مدمنين للمخدرات. فمتى تأتون بآلات تصويركم إلى أحيائنا؟" فرد كوبل بقوله: "لست متأكدًا إن كان هناك من فكر فى سبب مجىء مدير وكالة الاستخبارات المركزية اليوم. إنه يأتى اليوم لأن كثيرين منكم ملتاعون. الكثير منكم غاضبون. الكثير منكم محبطون مما تعتقدون أنه تورط لوكالة الاستخبارات المركزية فى جلب المخدرات إلى ساوث سنترال لوس أنجلوس. والآن أود أن يكلمنى أحد يعتقد أن الزيارة حققت بعض الخير."

وكان أقرب ما توصل إليه كوبل من هذا الهدف كلام عمدة كومبتون Compton[1] المؤقت مارسين شو Marcine Shaw: "سعدت بوجود مستر دويتش هنا اليوم، ويسعدنى أن عضو الكونجرس ماكدونالد جاءت به إلى هنا، لأن هذا هو ما جعلك تحضر آلات تصويرك إلى هنا يا مستر كوبل."، هز كوبل رأسه وقال: "هذا صحيح، ولكن الأمر ليس كذلك."، ثم أنهى برنامجه بحزن قائلاً إنه "إذا كانت الشكوك قد أزيلت أو تغيرت الأفكار، فليس هناك أى دليل على ذلك فى ساوث سنترال هذا المساء."

---

(١) مدينة سكنية وصناعية فى جنوبى كاليفورنيا تقع بين لوس أنجلوس ولونج بيتش. **(المترجم)**

وكان التعليق على زيارة دويتش فى الصحافة البيضاء إيجابيًا فى مجمله. فقد مد يد العون، وواجه "البارانويا السوداء" مواجهة مباشرة. وكانت الملاحظة الحادة الوحيدة من جيمس جلاسمان James Glassman " الكاتب فى واشنطن بوست" الذى قال إن دويتش حط من قدر الحكومة بذهابه إلى ساوث سنترال و "الاستماع بشكل سلبى إلى المصابين بعقدة الاضطهاد والمخبولين الذين يصيحون فى وجهه بالشتائم. وليست هذه هى الطريقة التى ينبغى لمسئول حكومى رفيع المستوى أن يتصرف بها فى مواجهة الإهانات الأثيمة."

ولكن بصرف النظر عن انتقاد دويتش الشديد لجلاسمان فى برنامج Capitol Gang التليفزيونى، فقد دافع عن اقتراح كان قد تقدم به هو ولجنة العلاقات الخارجية قبل ذلك بعدة أشهر وقوبل بانتقاد قليل جداً. وكان دويتش قد قال فى شهادة بالكونجرس إنه يرغب فى تغيير سياسة الوكالة التى مضى عليها عشرون عاماً وتقضى بعدم استغلال الصحفيين المعتمدين من الهيئات الإخبارية الأمريكية، ولا رجال الدين، ولا أفراد هيئة السلام Peace Corps[1]، كما قال إن على الصحفيين أن يشعروا بالمسئولية المدنية كى يخطو خارج دورهم كصحفيين، (قد يكون الحظر سياسة رسمية، وإن كانت وكالة الاستخبارات المركزية تحتفظ دائمًا بعملاء صحفيين) ويفخر كوبل بشهادته فى الكونجرس ضد اقتراح دويتش، وإن لم يردد بالتأكيد ليلة لقاء دويتش مع مجلس المدينة ما قاله فى الكونجرس، وهو: "إنى أعارض أن يكون هناك خيار قانونى باستغلال التغطية الصحفية. فقد انتهكت وكالة الاستخبارات المركزية القوانين، وستنتهكها مرة أخرى. وعندما ينتهك مسئول استخبارات القوانين الأمريكية، فإن الكونجرس يتساهل إن كانت حجتهم مقنعة، وإذا كان لا بد للوكالة من استغلال الصحفيين، فسوف تستغلهم، ولكنها ستنتهك القانون بإقدامها على ذلك."

■■■

(١) هيئة حكومية فدرالية تأسست عام ١٩٦١تتولى تدريب متطوعين أمريكيين وإرسالهم للخارج للعمل مع أهل الدول النامية فى مشروعات للتنمية التكنولوجية والزراعية والتعليمية. **(المترجم)**

المصــادر

كانت ماكسين ووترز واحدة من أبطال هذه القصة. ونحن ندين بالفضل لووترز والعاملين معها الأكفاء على تزويدنا بالوثائق المهمة ونسخ كلمات عضو الكونجرس العديدة عن وكالة الاستخبارات المركزية وغسيل الأموال وتجارة المخدرات. وكتب جيمس جونز الرواية شديدة الدقة الخاصة بتجارب السفلس التى أجريت فى تسكيجى، المعروفة باسم "الدم الفاسد". وبالنسبة للمعلومات الخاصة بالتجسس على حياة مارتن لوثر كنج وعائلته الخاصة، رجعنا إلى تحقيق ستيفن تومبكنز المدهش فى "ممفيس كوميرشال أبيل"، وكتاب تايلور برانش Pillars of Fire (المجلد الثانى من سيرة كنج)، وكتاب ديفيد جارو The FBI and Martin Luther King. ويروى لنا كتابا وورد تشرشل وجاى فندر قصة العملية "كونتلبرو" التى أجرتها وكالة الاستخبارات المركزية ضد الفهود السود وحركة الهنود الحمر. وبالنسبة لإحصاءات التطبيق العنصرى لعقوبة الإعدام، فإننا ندين بفضلها محامى الدفاع ستيفن برايت ومركز معلومات حكم الإعدام. وقد أمدنا مشروع الأحكام بالمادة الخاصة بالتفاوت فى الأسس الإرشادية للأحكام على مستوى الولاية والمستوى الفدرالى بين الكوكايين البودرة وكوكايين التدخين. كما أنهم قدموا لنا إحصائيات عن معدلات الاحتجاز الإجبارى على مدى العشرين سنة الماضية، حسب الجريمة والعرق، والعمر، والنوع. وليس هناك دليل عن التاريخ الثقافى للوس أنجلوس أفضل من كتاب مايك ديفيز City of Quartz. وكتاب دان بـــاوم Smoke and Mirrors رواية مضحكة ومبكية عن سياسة المخدرات الأمريكية منذ عهد نيكسون. وكتاب Cracked Coverage من تأليف جيمى ريفز وريتشارد كامبل عرض مفصل لطريقة تحويل متعاطى كوكايين التدخين إلى شياطين، وسجنهم، وقتلهم من أجل الساسة والتقديرات. إلا أن كتاب كلارنس لوزان Pipe Dream Blues لهو أفضل نقد لطبيعة حرب المخدرات العنصرية. وهو كتاب يحتاج بشدة إلى تحديثه ونشره من جديد ليتضمن رجال الشرطة الآثمين الذين تحركهم النزعة العنصرية فى فترة كلينتون.

Alder, Patricia. Wheeling and Dealing: An Echnography of the Upper Letel Drug Dealing and Smuggling Community. Columbia Univ. Press, 1985.

American Bar Association. New Directions for National Substance Abuse Policy. ABA. 1994.

Armstrong, Scott. "US Women's Prisons Overflow." Christian Science Monitor. July 24. 1990.

Associated Press. "Waters May Force Vote to Establish Probe." Sari Jose Mercit~ News. Sept.18. 1996.

-. "South Central Residents Condemn CIA's Reputed Role." Sari Jose Merciery News, Sept.29, 1996.

Baum. Dan. Smoke and Mirrors: The War on Drugs arid the Politics of Failure. Little. Brown, 1996.

Blackman. Morris, and Kenneth E. Sharpe. "The War on Drugs: American Democracy Under Assault." World Policy Journal, Winter I 989-90.

Blackstock. Nelson. COINTELPRO: The FBI's Secret War On Political Freedom. Vintage. 1976.

Boyer, Peter. "Whip Cracker." New Yorker, Sept. 5, 1994.

Branch. Taylor. Parting the Waters: America in the King Years, 1954-1963. Simon and Schuster, 1988.

-. Pillar of Fire: America in the King Years, 1963-1965. Simon and Schuster, 1997.

Britt. Donna. "Finding the Truest Truth." Washington Post, Oct. 4.1996.

Brown. Joseph. "Typecast for Genocide or Suicide?" Tampa Tribune, Sept.29. 1996.

Chaiken, Jan, and Marcia Chaiken. "Drugs and Predatory Crime." In Drugs and Crime. edited by James Q. Wilson et al. Univ. of Chicago Press, 1990.

Chase. Allan. The L_gacy of Malthus: The Social Costs of the New Scientific Racism. Knopf. 1975

Churchill. Ward. and Jim Vander Wall. Agents of Repression: The FBI's Secret Wars Against the Black Panther Party' and the American Indian Movement. South End Press. 1988.

COINTELPRO Papers: Documents from the FBI's Secret Wars Against Dissent in the United States. South End Press. 1989.

Cockburn. Alexander. "Clinton and Drugs: Drug War Without End." Nation, Nov.15. 1993

"Churchill, the Nazis and the US Sterilizers." In The Golden Age Is in Us. Verso, 1995.

Cohen. Richard. "A Racist Past and a Wary Present." Washington Post. Oct.27. 1996.

Currie. Elliot. Reckoning: Drugs. Cities arid the American Future. Hill and Wang, 1983.

Davis. Mike. City' of Quartz. Verso. 1990.

De Benedicts. Don. "How' Long is Too Long?" American Bar Association Journal, vol. 79.1993

Dominick. Joe. "Police Power: Why No One Can Control the LAPD." LA Weekly. Feb. 16-22.1990.

Duster. Troy. The Legislatioii of Moraliy: Laws, Drugs and Moral Judgement. Free Press. 1970.

Edsall. Thomas, and Mary Edsall. "Race." Atlantic Monthly. May 1991.

Epstein. Edward Jay. The Agency of Fear. Verso. 1990.

Farragher. Thomas. "Pair Arrested While Urging Probing of CIA." San Jose Mercury News. Sept. 12,1996.

"Civil Rights Leader Calls Possible CIA-Drug Link 'Dastardly.'" Sari Jose Mercury News. Sept.24. 1996.

Finkleman. Ipa~. "The Second Casualty of War: Civil Liberties and the War on Drugs." Southern California Lav' Review. vol.66:1389.1993.

Eletcher. Michael. "Deutch Assures Black Caucus on Drug Charges." Washington Post. Sept.20. 1996.

"Black Caucus Urges Probe of CIA Drug Charge." Washington Post, Sept.13. 1996

"History Lends Credence to Conspiracy Theories." Washington Post, Oct. 4. 1996.

Fotman. James. The Making ofblack Revolutiotiaries. Macmillan. 1972. Gallman, Vanessa. and Lewis Karub. "Congressional Black Caucus Demands Investigation," San Jose Mercury-News. Sept.13, 1996.

Garrow, David. The FBI and Martin Luther King. Jr. Norton, 1981.

Click. Brian. War at Home: Coi'ert Action Against US Activists and What We Can Do Aboutit. South End Press, 1989.

Gregory. Dick. "White Press Doesn't Believe It? What Else Is New?" Baltimore Stir. Nov. 24.1996

Gordon. Diana. The Return of the Dangerous believes: Drug Prohibition and Poliyv Politics. Nocton. 1994.

Gorsney. E., and Paul Popenoe. Sterilization for Human Betterment. Macmillan, 1930.

Haldeman. H. R. The Haldeman Diaries: Inside the Nixon White House. Putnam. 1994.

Harris. Ron. "Blacks Feel Brunt of Drug War." Los Angeles Times, April 22, 1990.

Helmer. John. Drugs and Minority Oppression. Seabury Press, 1975.

Home. Gerald. "Genes. Violence, Race and Genocide." Covert Action Quanerly. Winter 1992.

Inciardi. James. The War on Drugs: Heroin. Cocaine. Crime and Public Policy, May-field, 1986.

Handbook od Drug Control in the United States, Greenwood Press, 1990.

Isikoff. Michael. "From Justice Department to Drug Defendant." Washington Post, August 23. 1990.

"Bennett Exits Drug War with Potshots." Washingron Post, Nov. 9, 1990.

"Drug Buy Sd Up for Bush Speech; DEA Lured Seller to Lat.'iyet te Park." Wa5h-ingron Post. Sept.22, 1987.

Jones, James. Bad Blood: The Tuskegee Syphilis Erperimentv. Simon and Schuster, 1993.

Keller, William. The Liberals and the Edgar Hoover, Princeton Univ. Press, 1989.

Kelly, Jack and Sam Meddis. "Critics Say Bias Spurs Police Focus on Blacks." USA Today. Dec. 20, 1990.

Kinder, Douglas Clark. "Shutting Out the Evil: Nativism and Narcotics Control in rhe U.S." Journal of Policy History vol.3. no.4.1991.

Kramer, Michael. "Clinton's Drug Policy Is a Bust." Nation, Dec.20. 1993.

LaCroix, Susan, "Jailing Mothers for Drug Abuse," Nation,may 1, 1989.

Lapham, Lewis. "A Political Opiate: The War on Drugs Is a Folly and a Menace." Harper's, Dec.1989.

larson. Carl. "US Army Decontamination of War Containing Chemical Warfare agents," Military Review, 1970.

Legon, Jordan, "Activist Vows to Continue Protests Over Alleged CIA-Crack Link. 'San Jose Mercury News, Sept. 27, 1996.

Lusane, Clarence. Pipe Dream Blites: Racism and the War on Drugs. South End Press, 1991.

"Cracking the CIA-Contra brug Connection." Covert Action Quarterly. Fall 1996.

McWilliams, John. The Protectors: Harry J. Anslinger and the Federal Bureau of Narcotics. University of Delaware Press, 1990.

Maxwell, Evan. "G&d, Drugs and Clean Cash." Los Angeles Times Magazine, Feb. 18. 1990.

Meddis, Sam. "Whites, Not Blacks. at the Core of the Drug Crisis." USA Today. Dec. 20, 1989.

Meier, Kenneth. "Race and the War on Drugs: America's Dirty little Secret," Policy Currents 2. no .20. 1992.

Muller, Judy. "Crack and the CIA: Conspiracy or Myth?" ABC News, Nightline. Nov. 15, 1996.

Musto, David. Tire American Disease. Oxford Univ. Press. 1987

National Center on Institutions and Alternatives. Hobbling a Generatian: Young African-American Males in the Criminal Justice System. NCIA. 1 992.

O'Reilly, Kenneth. Rac'ial Matters: The FBI's Secret File on Black America 1960-1972. Free Press, 1988.

Petras, James. "Drug War Rhetoric Conceals Cartel's Capital Ties." In These Times. Nov.15. 1989.

Ram, David. "Overcommited." Southern Exposure, Fall 1989.

Reed, Ishmael. "Living at Ornund Zern." Image. March 13.1988.

Reinarman, Craig, and Har'rr' Levine. "Crack in Context: Politics and the Media in the Making of a Drug Scare." Contemporary' Drug Problems. Winter 1989.

Reeves, Jimmie, and Richard Campbell. Cracked Coverrige: Television News, the Anti-Cocaine Crusade and the Reagan Legacy. Duke Univ. Press, 1994.

Ridgeway, James. "Prisons in Black." Village Voice, Sept.. 19.1988.

St. Clair, Jeffrey. "Germ War: The U5 Record." CounterPunch. Feb. 15-28.1998.

"A Brazen Racial Animus." CortnterPtt,iiz. Feb. 15-28.1998.

Stark. Evan. "The Myth of Black Violence ·.New York Times, July 15, 1990.

Stevenson. John. "Norfolk Site of Gerrn War Tests." Virginia Pilot. Sept.13, 1980.

Stober. Dan. "Jackson Calls for Investigation." San Jose Mercury News, Sept. 8.1996.

Stone. Randolph. "The War on Drugs: The Wrong Enemy and the Wrong Battlefield." National Bar Associatioii Magazine. Dec.1989.

Sullivan. Joseph. "NJ Police Are Accused of Minority Arrest Campaign." New York Tines. Feb.19. 1990.

Tompkins. Stephen. "Spying on ~laitin Luther King." Memphis Commercial Appeal. March 1993.

Trocheck. Kathy, "Savannah Residents Angered by Army's '56 Mosquito Test." Atlanrta Journal. Nov. 10, 1980.

Unger. Santtrd. FRI. Little. Brown. 1976.

United Press International. "Army Used Miosquitoes in 1950s as a Test of Biological warfare." Bowling Green [Ohio]- Sentinel-Tribune. Oct. 29,1980.

US Congress. Senate. Subcommittee on Constitutional Rights of the Committee on the Judiciary. Individual Rights and the Federal Role in Behavior Modification. Government Printing Office. 1974.

US Department of Justice. Bureau of Justice Statistics. Federal Drug Case Processing. 1982-1991]. Government Printing Office. March 1994.

US Sentencing Commission. Special Report to the Congress: Mandatory Minimum Penalties in the Federal Criminal Justice System. Government Printing Office, August 1991.

Walker. William III. Drug Control in the Americas. Univ. of New Mexico Press, 1989.

Water. Maxine. "Drugs. Democrats and Priorities." Nation, July 24, 1989.

"Cocaine in South-Central LA" (Special Orders Speech). Congressional Record. Sept.20, 1996.

Webb. Can'. "Flawed Sentencing the Main Reason for Race Disparity." San Jose Mercury News. August 20,1996.

Webb. Jim. "Ethnic Weapons Planned. May Be Developed." Brairie Sun, May, 1980.

Welsh. Patrick. "Young. Black. Male and Trapped." Washington Post, Sept.1989.

Williams. Edward Hunting. "Negro Cocaine 'Fiends' Are New Southern Menace." New York Times. Feb 8, 1914

Wisotsky, Steven. Beyond the War on Drugs: Overcoining a Failed Public Policy, Prometheus, 1990.



التحالف الأسود

وكالة الاستخبارات المركزية
والمخدرات والصحافة

تعريف بوكالة الاستخبارات المركزية

بينما كان جون دويتش عائداً بالطائرة إلى مقر وكالة الاستخبارات المركزية فى لانجلى بولاية فيرجينيا من لقائه فى ساوث سنترال لوس أنجلوس، كانت وزارة العدل الأمريكية تعد لتوجيه الاتهام الذى يلقى أسوأ ضوء على اعتراضات دويتش، كما أوردها هو فى مقال بصفحة الرأى فى "نيويورك تايمز"، بأن وكالة الاستخبارات المركزية لم "تتغاض بصورة مباشرة أو متعمدة عن تهريب المخدرات إلى الولايات المتحدة" قط.

وفى ٢٢ نوفمبر ١٩٩٦، وجهت وزارة العدل الأمريكية إلى الجنرال رامون جيين دافيلا Ramon Guillen من فنزويلا اتهامات تتعلق بتوريد الكوكايين إلى الولايات المتحدة. وادعى المحققون الفدراليون أنه أثناء رئاسة الجنرال جيين لوحدة مكافحة المخدرات فى فنزويلا، هرَّب ما يزيد على ٢٢ طنًا من الكوكايين إلى داخل الولايات المتحدة وأوروبا لمصلحة اتحادى كالى وبوجوتا الاحتكاريين. ورد جيين على الاتهام من ملاذه فى كاراكاس Caracas، حيث رفضت حكومته إرساله إلى ميامى، بينما منحته عفواً عن أية جرائم يحتمل أن يكون قد ارتكبها أثناء الخدمة. وقد أكد أن شحنات الكوكايين إلى الولايات المتحدة كانت بموافقة من وكالة الاستخبارات المركزية، ومضى قائلاً إن "بعض المخدرات كانت تضيع ولا تقبل أى من الاستخبارات المركزية ولا وكالة مكافحة المخدرات أية مسئولية عنها."

وكانت وكالة الاستخبارات المركزية قد استأجرت جيين فى عام ١٩٨٨ لمساعدتها فى اكتشاف شىء عن اتحادات المخدرات الاحتكارية فى كولومبيا. وأعدت الوكالة وجيين لعملية تهريب مخدرات باستخدام عملاء جيين فى الحرس الوطنى الفنزويلى من أجل شراء الكوكايين من اتحاد كالى وشحنه إلى فنزويلا، حيث يخزن فى مخازن يملكها مركز استخبارات المخدرات بكاراكاس، الذى كان يديره جيين وتموله الوكالة بالكامل.

ولتحاشى توجيه اتحاد كالى أسئلة مزعجة بشأن المخزون المتزايد من الكوكايين فى مخازن مركز استخبارات المخدرات، أو كما يقول أحد عملاء وكالة الاستخبارات المركزية، "للحفاظ على مصداقيتنا لدى التجار"، قررت الوكالة أنه من الكياسة جعل بعض الكوكايين يتجه إلى شبكة موزعى الاتحاد داخل الولايات المتحدة. وكما يقول عميل آخر من عملاء الوكالة، كانوا يريدون "أن يسير المخدر" - بعبارة أخرى، السماح له بأن يباع فى شوارع ميامى ونيويورك ولوس أنجلوس.

وفيما يتصل بما تسمى "الشحنات الموجهة" من المخدرات إلى الولايات المتحدة، فإن القانون الفدرالى يقتضى حصول مثل هذه الواردات على موافقة وكالة مكافحة المخدرات، التى سعت وكالة الاستخبارات المركزية للحصول عليها على الفور إلا أن ملحق وكالة مكافحة المخدرات فى كاراكاس رفض ذلك، فاتجهت وكالة الاستخبارات المركزية إلى مقر وكالة مكافحة المخدرات فى واشنطن لتقابل برفض مماثل. وبناء على ذلك أخذت ترسل الشحنات بأى شكل. وكان مارك ماكفارلين Mark McFarlin أحد رجال وكالة الاستخبارات المركزية العاملين مع جيين. وفى ١٩٨٩، وطبقًا للشهادة التى أدلى بها فيما بعد بإحدى المحاكم الفدرالية فى ميامى، أبلغ ماكفارلين مركز وكالة الاستخبارات المركزية التابع له فى كاراكاس أن عملية جيين، التى بدأت بالفعل، لم يشحن من خلالها إلى الولايات المتحدة سوى ٣ آلاف رطل. وعندما سأل رئيس المحطة ماكفارلين إن كانت وكالة مكافحة المخدرات على علم بذلك، أجاب ماكفارلين بالنفى. فقال له رئيس المركز: "ليبق الأمر على ما هو عليه."

وعلى مدى السنوات الثلاث التالية سار أكثر من ٢٢ طنًا عبر خط الإمداد هذا إلى الولايات المتحدة، حيث كانت الشحنات تصل إلى ميامى، إما فى ألواح الشحن المفرغة أو فى صناديق الجينز. وفى عام ١٩٩٠ علم عملاء وكالة مكافحة المخدرات فى كاراكاس بما يجرى، ولكن الأمن كان متراخيًا، حيث كانت عميلة لوكالة مكافحة المخدرات فى فنزويلا تنام مع أحد رجال وكالة الاستخبارات المركزية هناك، وقيل إن أخرى كانت مع الجنرال جيين نفسه. وفى الوقت المناسب غيرت وكالة الاستخبارات المركزية وجيين أنماط العمل، واستمرت شحنات الكوكايين من كاراكاس إلى ميامى عامين آخرين. وفى النهاية أزاحت هيئة الجمارك الأمريكية الستار عن العملية، وضبطت فى عام ١٩٩٢ شحنة مقدارها ٨٠٠ رطل من الكوكايين فى ميامى.

وألقى القبض على أحد مساعدى جيين واسمه أدولفو روميرو Adolfo Romero وفى النهاية أدين بتهم تتعلق بالتآمر لتهريب المخدرات. ولم يزعج البرنامج قط أيًا من أمراء المخدرات الكولومبيين، رغم زعم وكالة الاستخبارات المركزية تعقبها اتحاد كالى. ووجه الاتهام لجيين ولكنه بقى آمنًا فى كاراكاس. وفى النهاية أستبعد ماكفرلين ورئيسه من الوكالة. ولم يسقط أحد سواهما بعد عملية لم تسفر سوى عن وصول ٢٢ طنًا من الكوكايين إلى الولايات المتحدة، تحت إشراف وكالة الاستخبارات المركزية. وأجرت الوكالة مراجعة داخلية لهذه النكبة وأكدت على أنه "ما من دليل على الخطأ الجنائى."

إلا أن تحقيقًا أجرته وكالة مكافحة المخدرات توصل إلى نتيجة مختلفة إلى حد ما، وهى اتهام بمشاركة وكالة الجواسيس فى "شحنات موجهة غير مصرح بها" من الكوكايين إلى الولايات المتحدة، وبحجب الوكالة "معلومات مهمة" تتعلق باتحاد كالى عن وكالة مكافحة المخدرات والمحققين الفدراليين.

والإنكار غير المباشر سمة تتميز بها وكالة الاستخبارات المركزية منذ زمن بعيد. ففى عام ١٩٧١، ألقى أحد أسلاف دويتش، وهو ريتشارد هيلمز Richard Helms، كلمة فى اتحاد محررى الصحف الأمريكى فى لحظة كانت الوكالة متهمة فيها باختراق المنظمات الجديدة وإدارة عملية تجسس داخلية لمصلحة الرئيس ريتشارد نيكسون. وقال هيلمز للمحررين المجتمعين إن الأمة "عليها أن تصدق أننا أناس شرفاء كرسنا حياتنا لخدمتها". ونادرًا ما كان هيلمز يتخذ موقفًا عدائيًا يزيد عما اتخذه دويتش فى "نيويورك تايمز" التى نشر فيها مقاله الذى يؤكد براءة وكالة الاستخبارات المركزية. وكان هيلمز - أكثر من أى مدير آخر - جزءًا من دائرة جورجتاون، وكان على وفاق مع صحفيين مثل جوزيف ألسوب Joseph Alsop وجيمس ريستون James Reston، وجوزيف كرافت Joseph Kraft، وتشالمرز روبرتس Chalmers Roberts وك.ل. سالزبرجر C. L. Salzberger. وكثيرًا ما كان هيلمز يتباهى بالأيام التى كان يعمل فيها صحفيًا فى وكالة "يونايتد برس" United Press، التى أجرى فيها مقابلات صحفية حصرية مع أدولف هتلر Adolf Hitler ومع بطلة التزحلق على الجليد سونيا هينى Sonja Henie[1].

(١) بطلة تزحلق على الجليد (١٩١٢-١٩٦٩) نرويجية الأصل كانت وراء جعل التزحلق على الجليد skating رياضة تنافسية تتمتع بشعبية كبيرة. وفازت سونيا بميداليات ذهبية فى دورات ١٩٢٨ و١٩٣٢ و١٩٣٦ وبعشر بطولات عالمية متوالية من ١٩٢٧ حتى ١٩٣٦. **(المترجم)**

وبعد أقل من عامين على إنكار هيلمز أمام اتحاد محررى الصحف، وقف أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ حيث وجه له اللوم على تورط وكالة الاستخبارات المركزية فى ووترجيت Watergate[1]. ورداً على ذلك، كذب بتبجح بشأن علاقة هوارد هانت Howard Hunt وجوردون ليدى Gordon Liddy بوكالة الاستخبارات المركزية. ورغم عدم تصديق رئيس اللجنة السناتور ويليام فولبرايت William Fulbright لشهادة هيلمز، فلم يضغط عليه بشكل رسمى.

ولم تكن تلك هى المرة الأولى التى يكذب فيها هيلمز الذى قاد الوكالة منذ ١٩٦٦ حتى ١٩٧٢، كما لم يكن ذلك أكثر تصريحاته التواء. فأثناء حرب فيتنام، حجب هيلمز عن الكونجرس معلومات بشأن القوة العسكرية لجبهة التحرير الوطنى الفيتنامية (المعروفة باسم فيت كونج) توصل إليها محلل شاب لدى وكالة الاستخبارات المركزية اسمه سام آدامز Sam Adams. وقد أظهرت أرقام آدامز أن التأييد الذى تحظى به الجبهة فى فيتنام الجنوبية أكبر بكثير من تقديرات الجيش، وكان من القوة فى واقع الأمر بحيث بدا من المستحيل الانتصار فى الحرب. إلا أن هيلمز وقف مع الجيش وسعى سعياً حثيثاً لمضايقة آدامز كى يترك الوكالة.

وفى وقت لاحق من عام ١٩٧٣ أدلى الجاسوس الهمام مرة أخرى بشهادة زائفة للكونجرس، وكانت هذه المرة عن دور وكالة الاستخبارات المركزية فى خلع حكومة سلفادور الليندى Salvador Allende فى شيلى. وبطبيعة الحال كان دعم الانقلاب ضد الليندى بمساعدة من الشركات الأمريكية مثل "آى تى تى" ITT و"أناكودا كوبر" Ana-coda Copper. ويقال إن الوكالة أرسلت أحد مهربى المخدرات إلى سانتياجو Snatia-go بأجر قاتل محترف لاغتيال الليندى. وفى ١٩٧٧اتهمت وزارة العدل التى كان على رأسها جريفين بيل Griffen Bell – على كره منها – هيلمز بالشهادة الزور. وأخذ مدير وكالة الاستخبارات الأمريكية السابق بنصيحة إدوين بينيت ويليامز Edwin Ben-nett Williams المحامى الكبير فى واشنطن ودفع بعدم الخصومة ـ وحُكِم عليه بغرامة قدرها ٢٠٠٠ دولار والسجن مع وقف التنفيذ.

---

(١) فضيحة اقتحام مجموعة لمقر الحزب الديمقراطى فى مبنى ووترجيت فى واشنطن أثناء حملة انتخاب الرئيس الأمريكى نيكسون، للحصول على معلومات. وأظهرت تسجيلات البيت الأبيض بعد ذلك تورط الرئيس ومعاونيه فى محاولات لإعاقة سير العدالة ووجهت لهم تهم خيانة ثقة الشعب وازدراء الكونجرس. وفى النهاية اضطر نيكسون للاستقالة فى أغسطس ١٩٧٤ ليخلفه نائبه جيرالد فورد. **(المترجم)**

وهناك ألحان مصاحبة تاريخية أخرى لتأكيدات دويتش. ففى عام ١٩٧٦، وفى لحظة من أكثر لحظات التوتر فى علاقة الوكالة بالكونجرس منذ إنشائها، وقف المدير ويليام كولبى William Colby (الذى كان قد كشف أكاذيب هيلمز بشأن شيلى) أمام لجنة الاستخبارات برئاسة السناتور فرانك تشرش Frank Church من إيداهو Idaho. وفى تلك المرة كان اتجاه الكونجرس أكثر حدة، مدفوعًا بفضح سيمور هيرش Seymour Hersh للتجسس الداخلى على صفحات "نيويورك تايمز"، وكذلك اتهام وكالة الاستخبارات المركزية بإدارة برنامج اغتيالات فى الخارج.

أقر كولبى بأن إمكانية استخدام الاغتيال كانت موضع تفكير فى الوكالة، ولكنها لم تبلغ فى يوم من الأيام مستوى التطبيق العملى الناجح. وبالنسبة للتجسس الداخلى، كانت هناك برامج لمراقبة البريد وما شابه ذلك، ولكنه كان بعيداً عن العمليات "الضخمة" التى ادعاها هيرش، وكانت قد أوقفت منذ زمن بعيد.

وكان كولبى بسيطًا فى العادة. وكانت وكالة الاستخبارات المركزية قد جمّعت من خلال "العملية فوضى" Operation Chaos، وما شابهها من برامج، ملفات عن أكثر من ١٠ آلاف أمريكى. وكانت تحتفظ بقاعدة معلومات عن أكثر من ٣٠٠ ألف اسم. وكانت تتنصت على المكالمات التليفونية الخاصة بالصحفيين الأمريكيين، وتخترق الجماعات المنشقة، وتحاول إعاقة الاحتجاجات المعارضة للحرب. كما أنفقت ٣٣ ألف دولار لدعم حملة لكتابة خطابات تأييد لغزو كمبوديا.

وكما هو الحال بالنسبة للتواطؤ على تهريب المخدرات، فإن دور الوكالة فى الاغتيال أحد تلك الموضوعات التى كانت تتناولها الصحافة أو الكونجرس بحرص شديد من حين لآخر، ثم تُطرح جانبًا، بناء على الادعاء المعتاد بأن الوكالة ربما حلمت بذلك، وفكرت فيه، بل وربما فعلته من غير اكتراث، إلا أنها فى حقيقة الأمر لم تكن تقطع الشوط كله بنجاح. ولكن الواقع هو أن الوكالة كانت تقطع الشوط حتى آخره فى مرات كثيرة، ولا بد أن ننظر إلى هذا التاريخ بشىء من التفصيل، حيث إن نمط الإنكار فى تلك الحالات موازٍ بقوة لعلاقة وكالة الاستخبارات المركزية بتجارة المخدرات.

ولا خلاف على أن وكالة الاستخبارات المركزية استخدمت الاغتيال كسلاح لإضعاف النظام السياسى أو الاجتماعى، وهو ما يعرفه ويليام كولبى أكثر من غيره. وقد أشرف، باعترافه هو، على "برنامج فينكس" وغيره من العمليات التى تسمى "مضادة للإرهاب" فى

فيتنام. وكان فينكس يستهدف "تحييد" قادة ومنظمي الفيت كونج السياسيين في مناطق فيتنام الجنوبية الريفية. وفي شهادة أدلى بها كولبي أمام الكونجرس، تباهى بمقتل ٢٠٥٨٧ من نشطاء الفيت كونج فيما بين ١٩٦٧ و١٩٧١ فقط. ونشر الفيتناميون الجنوبيون تقديرات أعلى من ذلك بكثير، حيث أعلنوا أن حوالي ٤١ ألفًا لقوا حتفهم. وأوضح بارتون أوزبورن Barton Osborn ضابط الاستخبارات في برنامج فينكس بطريقة تصيب الجسم بقشعريرة الموقف البيروقراطي لكثير من العملاء تجاه مهمات القتل: "في كثير من الأحيان كان القضاء على شخص في الميدان أنسب من العمل المكتبي."

وربما كان الذين قُتلوا على الفور في عمليات فينكس أسعد حظًا من ٢٩ ألف مشتبه فيهم من الفيت كونج قُبِض عليهم واستجوبوا بأساليب مرعبة، حتى بمعايير بول بوت Pol Pot[١] وموبوتو Mobutu[٢]، وفي عام ١٩٧٢ أدلى طابور من الشهود بشهادته أمام الكونجرس بشأن الأساليب التي اتبعها محققو فينكس: كيف كانوا يستجوبون المشتبه فيه ثم يلقون بهم من الطائرات، وكيف كانوا يقطعون أصابعهم وآذانهم، وكيف كانوا يستخدمون الصدمات الكهربية، ويدقون الخوابير الخشبية في أدمغة بعض المسجونين، ويضعون المناظير المكهربة في فتحات شرج غيرهم.

واستغلت الوكالة في كثير من غارات فينكس خدمات القبائل والجماعات العرقية الخارجة عن القانون مثل الخمير الحمر. وكان الخمير الحمر يضمون الكمبوديين المناوئين لحكم الشيوعيين ومهربي المخدرات، الذين يقول عنهم أحد ضباط فينكس السابقين إنهم "يمكن أن يقتلوا أي إنسان مادام هناك شيء يحصلون عليه." بل إن الخمير الحمر عرضوا خلع الأمير سيهانوك لمصلحة الأمريكيين واتهام جبهة التحرير الوطنية زورًا بالقتل.

ونالت فرق الإعدام الأمريكية تلك حظوة لدى الرئيس ريتشارد نيكسون. وبعد مذبحة مالي لاي[٣]، وهي عملية تحمل كل سمات الإبادة بأسلوب فينكس، كان هناك

(١) تولى رئاسة وزراء كمبوديا بعد خلع الأمير نوردوم سيهانوك عام ١٩٧٠ ثم أصبح رئيسًا لجمهورية الخمير (كمبوتشيا). وأدت محاولاته للقضاء على النفوذ الشيوعي في البلاد بمساعدة الولايات المتحدة إلى نشوب حرب أهلية. وفي ١٩٧٥ استولى الخمير الحمر على الحكم وترك هو البلاد ليعيش في المنفى. **(المترجم)**

(٢) تولى موبوتو سيسي سيكو الرئاسة في زائير بعد انقلاب قاده في عام ١٩٦٥ ضد باتريس لومومبا ،وكان يحكم البلاد بقبضة حديدية، إلا أنه فشل في حل مشاكل زائير الاقتصادية. **(المترجم)**

(٣) وقعت هذه المذبحة أثناء حرب فيتنام في قرية ماي لاي بجنوب فيتنام حيث ذبح الجنود الأمريكيون ٣٠٠ من المدنيين العزل بينهم نساء وأطفال. **(المترجم)**

اتجاه لخفض اعتمادات برامج قتل المدنيين تلك. وطبقًا لما رواه سيمور هيرش، فقد عارض نيكسون ذلك بشدة. إذ قال: "لا، لا بد لنا من المزيد من هذا. الاغتيالات. من أعمال القتل." وعلى الفور استعيدت الاعتمادات وارتفع عدد القتلى.

وحتى على مستوى التدابير التنفيذية، كان كولبى يخجل من طموحات وكالة الاستخبارات المركزية ومنجزاتها. ففى عام ١٩٥٥كادت وكالة الاستخبارات المركزية تنجح فى اغتيال الزعيم الصينى الشيوعى شو اين لاى . وقد وضعت القنابل على متن طائرة شو التى استقلها من هونج كونج إلى إندونيسيا لحضور مؤتمر باندونج[١]. وفى اللحظة الأخيرة غير شو الطائرة، وبذلك نجا من السقوط فى بحر الصين الجنوبى، حيث انفجرت الطائرة فى الموعد المحدد. ووصف دور الوكالة فى وقت لاحق بالتفصيل عميل استخبارات بريطانى نقل ولاءه للاتحاد السوفيتى، وأكدت الأدلة التى أتى بها الغواصون من أجزاء من الطائرة، ومنها جهازا توقيت القنبلتين، ما أفاد به ذلك العميل. ووصفت شرطة هونج كونج الحادث بأنه حالة "قتل جماعى خططت بعناية" . وبحلول عام ١٩٦٠ كان رفاييل تروخيو Rafael Trujillo رئيس جمهورية الدومينيكان قد أصبح مصدر إزعاج لواضعى السياسة الخارجية الأمريكية. إذ بدا فساده الواضح وكأنه سيؤدى إلى ثورة أشبه بتلك التى أتت بفيدل كاسترو Fidel Castro إلى السلطة. وكانت الطريقة الوحيدة لتلافى ذلك الاحتمال غير المرغوب فيه هى ضمان انتهاء حياة تروخيو السياسية على الفور، وهو ما حدث فى أوائل ١٩٦١ . فقد أردى تروخيو قتيلاً وهو فى سيارته خارج بيته فى ثيوداد تروخيو Ciudad Trujillo. وظهر أن وكالة الاستخبارات المركزية كانت قد وفرت السلاح والتدريب لمنفذى الاغتيال، وإن حرصت على الإشارة إلى أنها ليست متأكدة مائة بالمائة من أن تلك هى الأسلحة ذاتها التى ذهبت بالطاغية (الذى كانت وكالة الاستخبارات المركزية قد جاءت به إلى السلطة فى البداية).

وفى ذلك الوقت تقريبًا، قرر مدير وكالة الاستخبارات آلن دالاس أن زعيم الكونغو باتريس لومومبا[٢] يمثل تهديداً غير مقبول للعالم الحر وأن التخلص منه "هدف مُلِّح وأساسى". وللحصول على مساعدة فى مهمة إبعاد ذلك الخطر، لجأت إلى قسم

---

(١) مؤتمر دول عدم الانحياز. ٠المترجم)

(٢) أول رئيس وزراء فى الكونغو بعد استقلالها. وقد أُطيح به أولاً ثم اغتاله انفصاليون من إقليم شابا (كاتانجا). **(المترجم)**

الخدمات الفنية TSD بها، وكان يرأسه رجل الغموض سيدنى جوتليب Sidney Gott-lieb (الذى يتضمن الفصل الثامن المزيد من التفاصيل عن حياته العملية). وكان قسم جوتليب يضم بيت رعب من المعامل التى من بين الأبحاث التى تقوم بها غسيل المخ، والحرب الكيماوية والبيولوجية، واستخدام المخدرات والصدمات الكهربية فى الاستجواب، وابتكار السموم القاتلة، إلى جانب أكثر الوسائل فاعلية لتطبيق ذلك على الضحايا، مثل بندقية السهام المسمومة التى عرضها فيما بعد السناتور فرانك تشرش أمام الكاميرات.

وفى حالة لومومبا، ابتكر جوتليب سمًا حيويًا يشبه فى أثره مرضا متوطنا فى الكونغو. وسلم بنفسه الجراثيم المميتة وسلم معها سرنجة للحقن تحت الجلد، وقناعا من الشاش، وقفازات مطاطية للورانس دلفين Lawrence Delvin رئيس مركز وكالة الاستخبارات المركزية فى الكونغو. وأدخلت الأدوات القاتلة البلاد فى الحقيبة الدبلوماسية. وأعطى جوتليب لدلفين وعملائه التوجيهات الخاصة بكيفية وضع السم فى معجون أسنان لومومبا وطعامه. إلا أن قتلة الوكالة الحيويين لم يستطيعوا الاقتراب بالقدر الكافى من لومومبا، ولذلك اتخذت "التدابير التنفيذية" مسارًا أكثر تقليدية. فقد ألقى القبض على لومومبا وعُذب واغتاله جنود البديل الذى اختارته وكالة الاستخبارات المركزية، موبوتو سيسى سيكو، وانتهى الحال بجثة لومومبا فى شاحنة ضابط فى الوكالة دار به فى لومومباشى[1] فى محاولة للتوصل إلى طريقة للتخلص منها.

وعندما جاء دور كاسترو، لم تدّخر الوكالة جهداً على مدى ربع قرن. وأعترف كولبى للجنة تشرش بأن الوكالة حاولت مرات عديد قتل كاسترو وفشلت، ولكن ليس بالعدد الذى ادعاه منتقدوها. وقال كولبى: "لم يكن ذلك مرجعه عدم المحاولة. لقد قدم كاسترو لماكجفرن McGovern[2] عام ١٩٧٥ قائمة بالمحاولات التى قامت بها وكالة الاستخبارات المركزية واستهدفت حياته – وكانت حوالى ثلاثين محاولة وقتها – كما قال. وقد أعطاها لى ماكجفرن وتفحصتها وراجعتها على سجلاتنا، وقلت إننا مسئولون

---

(١) عاصمة إقليم كاتانجا المنشق فى جنوب شرقى زائير أثناء الحرب الأهلية هناك (١٩٦٠-١٩٦٣). **(المترجم)**

(٢) جورج ستانلس ماكجفرن سياسى أمريكى وعضو مجلس الشيوخ(١٩٦٣-١٩٨١)، وكان معارضاً لحرب فيتنام. خسر انتخابات الرئاسة عام ١٩٧٢ كمرشح للحزب الديمقراطى. **(المترجم)**

عن حوالى خمس أو ست محاولات منها. أما المحاولات الأخرى - وأنا أفهم شعور كاسترو بشأنها لأن مرتكبيها كانوا من رجال خليج الخنازير[1] السابقين أو شيئاً من هذا القبيل، ولذلك يعتقد أنها من تدبير وكالة الاستخبارات المركزية. وما أن تدخل فى محاولة واحدة منها حتى يحدث العجب - إذ تلقى عليك تبعة سائر المحاولات. وليست لنا أية صلة ببقية المحاولات، ولكننا لم نقنع كاسترو بذلك قط."

وخمس أو ست مؤامرات اغتيال رقم مخيف، خاصة إذا تصادف أنك الهدف المنشود لكل هذه "التدابير التنفيذية". ولكن حتى فى هذا كان كولبى يخفى الحقيقة. فمن المؤكد أنه كانت لديه الفرصة للرجوع إلى تقرير سرى من عام ١٩٦٧ عن المؤامرات ضد كاسترو كتبه المفتش العام جون إيرمان John S. Earman، وأقره ريتشارد هيلمز. والواقع أن وكالة الاستخبارات المركزية لها محاولات فاشلة للقضاء على الزعيم الكوبى حتى قبل الثورة. ووقعت واحدة من أولى المحاولات فى عام ١٩٥٨، عندما استؤجر ايوتيمو روخاس Eutimo Rojas أحد رجال حرب العصابات الكوبيين لقتل كاسترو وهو نائم فى معسكر بسيرا مايسترا Sierra Maestra.

وفى ٢ فبراير ١٩٥٩ ألقى حراس الأمن الكوبيون القبض على الأمريكى آلان روبرتناى Robert Nye فى غرفة بأحد الفنادق المواجهة للقصر الجمهورى. وكان بحوزة ناى بندقية بعيدة المدى مزودة بتلسكوب، وكان مستأجرًا لقتل كاسترو عندما يصل إلى القصر. وبعد شهر ظهر رونالدو ماسفرير Ronaldo Masferrer، وهو عضو سابق فى فرق الإعدام التابعة لباتيستا[2]، فى اجتماع عقد فى ميامى حضره أفراد من عصابات الجريمة المنظمة الأمريكية وضابط بوكالة الاستخبارات المركزية. وهناك وضع ذلك الجمع المميت سيناريو آخر لقتل كاسترو خارج قصر الرئاسة.

وحاولت الوكالة تصميم طريقة لتشبيع ستوديو الإذاعة الذى يلقى منه كاسترو أحاديثه بعقار الهلوسة البخاخ وغيره من "المنشطات النفسية". ودعت خطة أخرى إلى

---

(١) خليج صغير على البحر الكاريبى فى الجزء الجنوبى من الساحل الكوبى الغربى شهد هجومًا غير موفق شنته قوة قوامها ١٥٠٠ من رجال حرب العصابات الذين دربتهم الولايات المتحدة فى محاولة للإطاحة بحكومة الرئيس كاسترو. **(المترجم)**

(٢) كان فولخنسو باتيستا رئيسًا لكوبا حين بدأ أشد معارضيه فيدل كاسترو حرب عصابات ضده. وعندما ألغت الولايات المتحدة اتفاقا لمبيعات السلاح لكوبا، انهار نظام حكمه وهرب من كوبا ليقيم فى أسبانيا. **(المترجم)**

تشبيع نوع السيجار المفضل لدى كاسترو بالمخدرات المؤثرة على العقل. واحتفظ بالسيجار المخدر داخل خزانة جيك إيسترلاين Jake Easterline الذى كان يرأس قوة العمل المضادة لكوبا قبل خليج الخنازير، بينما كان يسعى لتسليمها لكاسترو دون أن يخاطر بـ"رد فعل مضاد خطير" تجاه الوكالة. وقد ابتدعت مكونات هاتين الخطتين فى معامل سيدنى جوتليب. وفى عام ١٩٦٧ طلب جوتليب من المفتش العام الجنرال إيرمان خطة أخرى طلب منه فيها تشبيع بعض السيجار بالسموم المميتة.

وخلال رحلة كاسترو إلى نيويورك لحضور اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة لعام ١٩٦٠، حاول عملاء وكالة الاستخبارات المركزية إنجاز ما يشار إليه على أنه "تدبير إزالة الشعر". وكانت الخطة تقضى بوضع أملاح الثاليوم فى أحذية كاسترو وعلى الكومودينو أملاً فى أن يُسقط السم شعر لحية الزعيم. وعندما يعطى الثاليوم بجرعات كبيرة، فإنه يحدث الشلل أو الوفاة. ولكن تلك الخطة **ألغيت فى آخر لحظة** .

وبحلول أغسطس ١٩٦٠ كان التخلص من كاسترو قد أصبح على رأس أولويات القيادة فى وكالة الاستخبارات المركزية. ودفع آلن دالاس ونائبه ريتشارد بيسل Richard Bisell أجراً لجونى روسيلى Johny Roselli أحد أفراد عصابات الجريمة المنظمة فى نيويورك وصديق المغنى فرانك سيناترا، ١٥٠ ألف دولار لتدبير قتل كاسترو. وبسرعة أشرك روسيلى رجلين آخرين من المافيا فى المؤامرة، وهما سام جيانكانا Sam Gianca-na رجل العصابات من شيكاغو، وسانتوس ترافيكانتى Santos Traficante مراقب عمليات لانسكى/لوتشيانو Lansky/Luciano فى هافانا. وفى البداية أوصت وكالة الاستخبارات المركزية بأن يكون القتل على طريقة عصابات الجريمة المنظمة، حيث يردى فيه كاسترو قتيلاً بوابل من نيران المدافع الرشاشة. إلا أن جيانكانا اقترح أسلوبًا أكثر دقة، حيث يُدَسُّ قرص مسمم فى طعامه أو شرابه. وأُعدت ستة أقراص بوتولينوم - "فى حجم أقراص السكارين" - فى معامل قسم الخدمات الفنية بوكالة الاستخبارات الفنية، وأُخفيت فى قلم رصاص مجوف وسلمت لروسيلى. وفى يوم ١٣فبراير ١٩٦١، وبعد شهر واحد فقط من اغتيال جون كنيدى، أخذ ترافيكانتى أقراص البوتولينوم وأعطاها لرجله داخل الحكومة الكوبية خورخى أورتا Jorge Orta، الذى كان يعمل ضمن هيئة كاسترو التنفيذية، وعليه ديون قمار كبيرة لرجال العصابات.

وبالإضافة إلى الأقراص، سلم ترافيكانتي كذلك صندوق سيجار مشبع بسم البوتولينوم، الذى يقتل خلال ساعات. وأعد السيجار الدكتور إدوارد جن Edward Gunn رئيس القسم الطبى فى وكالة الاستخبارات المركزية. واحتفظ جن بواحد فى خزانته كتذكار. وقد اختبره المفتش العام سنة ١٩٦٧ ووجد أنه يحتفظ بـ٩٤ بالمائة من مستوى سُمِّيَته الأصلى. وكان السيجار من القدرة على القتل بحيث يكفى لمسه فقط، وليس تدخينه، كى يقتل ضحيته.

وفى وقت لاحق أبلغ ترافيكانتى أن الأقراص والسيجار لم تعط لكاسترو لأن "أورتا لم يجرؤ" على ذلك.

وفى أبريل اقترح روسيلى خطة جديدة على موجهيه فى وكالة الاستخبارات المركزية، وطلب ٥٠ ألف دولار وتشغيلة جديدة من الأقراص. وفى تلك المرة كان الذى سيقوم بالعملية صديق ترافيكانتى الدكتور مانويل أنطونيو دى فارونا Mauel Antonio de Varona قائد الجبهة الثورية الديمقراطية المناوئة لكاسترو. وكان دى فارونا وترافيكانتى قد التقيا من خلال إدوارد موس Edward K. Moss جامع الأموال لتمويل السياسيين وسمسار قضاء المصالح لدى المسئولين فى مقابل المال، فى واشنطن العاصمة. وكان موس يحرك قضية أبناء نيكاراجوا فى المنفى فى الكونجرس، وكان على علاقة جنسية مع جوليا سيلينى Julia Cellini شقيقة الأخوين سيلينى الشهيرين إيدى ودينو اللذين كانا منفذين فى عمليات القمار الخاصة بماير لانسكى Meyer Lansky فى منطقة الكاريبى. وهرَّب فارونا أقراص البوتولينوم إلى نادلة فى مطعم يتردد عليه كاسترو. ولكن طبقًا لما قاله رجل وكالة الاستخبارات المركزية شيفلد إدواردز Sheffield Edwards، فقد فشلت الخطة عندما "توقف" الزعيم الكوبى فجأة "عن التردد على ذلك المطعم بعينه".

وغالبًا ما يشار إلى رجال عصابات الجريمة المنظمة هؤلاء على أنهم عصابة قمار هافانا، نسبة إلى كازينوهات القمار فى الفنادق التى كانوا يديرونها هناك فى عهد نظام باتيستا. ولكن دونات المافيا كانوا مشاركين كذلك فى مشروع أكثر ربحية وهو المخدرات. وكانت هافانا قد أصبحت نقطة النقل الرئيسية إلى الولايات المتحدة بالنسبة لكثير من الهيروين الذى ينتجه لاكى لوتشاينو Lucky Luciano وعصابات كورسيكا Corsica فى مارسيليا Marseilles. وبعد الثورة بوقت قصير، عرض لانسكى، الذى

كان مسئولاً عن أموال لوتشيانو فى الولايات المتحدة، عقداً بمليون دولار مقابل رأس كاسترو.

وعلى امتداد العام التالى، وفى أعقاب كارثة خليج الخنازير، استهدفت وكالة الاستخبارات المركزية كاسترو من خلال برنامجها "كفاءة التدابير التنفيذية" الذى كان يحمل الاسم الكودى ZR/RIFLE. وكان على رأس تلك العملية ويليام هارفى Willam "the Pear" Harvey وهو ضابط سابق بمكتب التحقيقات الفدرالى شك البعض فى أنه عين ج. إدوارد هوفر داخل وكالة الاستخبارات المركزية. وكان هارفى، وهو من الشخصيات الحقيقية فى سنوات تكوين الوكالة، معروفاً بوضعه مسدساته فى وضع الاستعداد وهو فى المكتب، ويغفو فى اجتماعات العاملين، وحقده الشديد على روبرت كنيدى، الذى كان يطلق عليه "ذلك البغيض الصغير".

وكان الوقت أواخر عام ١٩٦١ عندما اتصل سام جيانكانا بهمزة الوصل بينه وبين وكالة الاستخبارات المركزية، وهو مخبر خاص مقيم فى واشنطن العاصمة اسمه روبرت ماهيو Robert Maheu لديه مشكلة شخصية – حيث كان يشك فى أن صديقته فيليس ماكجواير Phyllis McGuire عضو فريق "ماكجواير سيسترز" McGuire Sisters الغنائى، على علاقة فى لاس فيجاس بالممثل الكوميدى دان روان Dan Rowan. ومقابل مساعدته فى مؤامرات اغتيال كاسترو، كان جيانكانا يريد من الوكالة التنصت على غرفة روان فى الفندق بلاس فيجاس. وعلى الفور وضع تليفون روان تحت المراقبة، ولكن إحدى خادمات الفندق اكتشفت جهاز التسجيل وأبلغت الشرطة. وحولت شرطة لاس فيجاس الأمر إلى مكتب التحقيقات الفدرالى، الذى أراد التحقيق مع جيانكانا بشأن التنصت. وفى النهاية كان لا بد من إبلاغ روبرت كنيدى بالقضية لكى يبعد عنه مكتب التحقيقات الفدرالى.

وبعد عدة سنوات قال ريتشارد بيسل، نائب مدير وكالة الاستخبارات المركزية للخطط ومهندس كارثة خليج الخنازير، إنه يأسف على بعض المشروعات الكوبية. وقال بيسل لبيل مويرز Bill Moyers: "أظن أنه لم يكن علينا توريط أنفسنا مع المافيا. وأظن أن أى هيئة تقوم بذلك تفقد السيطرة على معلوماتها. كما أظن أنه كان ينبغى علينا أن نخشى من أن نفتح على أنفسنا باب الابتزاز." وسأل مويز بيسل إن كانت مشاركة أفراد العصابات هى وحدها ما يزعجه، وليس قدرة وكالة الاستخبارات المركزية على اغتيال الزعماء الأجانب. فرد بيسل قائلاً: "هذا صحيح."

وفى رأيى أن روبرت كنيدى لم يكن يشارك بيسل شعوره بالتقزز. فقد قال كنيدى، الذى كانت تسيطر عليه فكرة التخلص من كاسترو، لآلن دالاس إنه لم يكن يهمه إن كانت وكالة الاستخبارات المركزية تستأجر عصابات الجريمة المنظمة فى أعمال القتل، ماداموا يبلغونه بذلك على نحو كامل. وكان روبرت كنيدى مستعدا للموت فى سبيل الدفاع عن الوكالة. كما قال روبرت كنيدى لجاك نيوفيلد Jack Newfield من "فيليدج فويس" Village Voice: "ما لا تعلمونه هو الدور الذى تقوم به وكالة الاستخبارات المركزية فى الحكم. ففى الخمسينيات ـ على سبيل المثال ـ وجد الكثير من الليبراليين الذين أجبروا على ترك الإدارات الأخرى ملاذًا آمنًا فى وكالة الاستخبارات المركزية. ولذلك فإن بعض أفضل الناس فى واشنطن، وفى أنحاء البلاد، أخذوا يتجمعون هناك. ومن نتائج ذلك أن وكالة الاستخبارات المركزية كونت وجهة نظر صحية تمامًا عن الشيوعية، وخاصة بالمقارنة بوزارة الخارجية وبعض الجهات الأخرى. وقد كانوا متعاطفين، على سبيل المثال، مع الحكومات والحركات الوطنية وحتى الاشتراكية. وأظن أن وكالة الاستخبارات فى سبيلها الآن لأن تكون أكثر واقعية وانتقادًا بشأن الحرب من أية إدارة أخرى، أو حتى من الموجودين فى البيت الأبيض. وبذلك فإن الأمر ليس أسود وأبيض كما تتصور."

وبحلول عام ١٩٦٢ كان صديق روبرت كنيدى ديزموند فيتزجيرالد Desmond Fitz-gerald قد تولى مسئولية عمليات كوبا بعد هارفى. وضيع فيتزجيرالد القليل من الوقت فى مطاردة كاسترو. ومن بين أولى خطط فيتزجيرالد أن يجعل جيمس دونوفان James Donovan، وكان وقتها يتفاوض على إطلاق سراح أسرى خليج الخنازير، يسلم دون أن يدرى هدية لكاسترو عبارة عن معدات غوص غالية الثمن. وعالج سيدنى جوتليب بطانة البدلة بفطر مادورا وزرع فيه جراثيم الدرن – وهى توليفة مميتة. وفى الوقت ذاته كان فيتزجيرالد يقرأ عن محار البحار العميقة وطلب من معمل جوتليب تجهيز أنواع جذابة منه بمتفجرات شديدة. وبعد ذلك يسقطون المحار فى المنطقة التى يتردد عليها كاسترو للغوص بحيث تكون جاهزة للانفجار عندما تُرفع.

وفى نوفمبر ١٩٦٣ كان ديزموند فيتزجيرالد فى باريس لمقابلة رولاندو كوبيلا Rolando Cubela، وهو كوبى معارض لكاسترو يشار إليه فى وثائق وكالة الاستخبارات المركزية بالاسم الكودى AM-LASH. وقدم فيتزجيرالد نفسه على أنه مبعوث من روبرت كنيدى

وطلب من كوبيلا المساعدة فى قتل كاسترو. وفى ٢٢ نوفمبر أعطى كوبيلا قلم حبر جاف أعد بحيث يكون سرنجة مملوءة بمبيد حشرى مميت شديد الفاعلية، ٤٠ بالمائة من مكوناته سلفات النيكوتين، اسمه Blackleaf-40. وكما يشير تقرير المفتش العام بسخرية، فإنه "من المحتمل أنه فى نفس اللحظة التى قُتل فيها الرئيس كنيدى، كان عميل وكالة الاستخبارات المركزية مع العميل الكوبى فى باريس ويعطيه جهاز الاغتيال لاستخدامه ضد كاسترو".

ولم يكن فيدل كاسترو هو الهدف الوحيد. فقد كانت هناك كذلك محاولات متكررة لاغتيال شقيقه راؤول Raul وتشى جيفارا Che Guevara. فقد توسل ج.ك. كنج العميل بوكالة الاستخبارات المركزية إلى آلن دالاس كي يقر خطة لقتل فيدل وراؤول وتشى فى وقت واحد، "كحزمة واحدة". وفى النهاية اكتُشف مكان تشى، الذى كانت الوكالة تطارده فى أنحاء المعمورة، فى غابات بوليفيا. وحضر تنفيذ حكم إعدامه عميل وكالة الاستخبارات المركزية فيلكس رودريجيز Felix Rodriguez، وهو رجل كوبى محنك سيصبح فيما بعد الشخصية المحورية فى عمليات المخدرات والسلاح الخاصة بكونترا فى قاعدة إلوبانجو الجوية فى السلفادور.

هوجم مدير وكالة الاستخبارات المركزية فى عهد حكومة جيمى كارتر، الأدميرال ستانفيلد تيرنر Stanfield Turner من كثيرين داخل الوكالة لتسريحه بعض الحرس القديم. ولكن تيرنر لم يكن فى واقع الأمر ذلك المصلح، وكانت له مشاكله مع قول الحقيقة. ففى عام ١٩٧٠، ونتيجة لدعوى تتعلق بقانون حرية المعلومات رفعها الصحفى جون ماركس، أُجبرت وكالة الاستخبارات المركزية على نشر خبر وجود سبعة صناديق من المعلومات عن برنامج أبحاث قامت بها الوكالة على مدى عشرين عاماً عن المخدرات المؤثرة على العقل وتعديل السلوك واسمه الكودى MK/ULTRA.

وكان اكتشاف موظف الأرشيف بالوكالة للسجلات مفاجأة لقيادة وكالة الاستخبارات المركزية، ذلك أن ريتشارد هيلمز فى أواخر أيامه كمدير قد أمر بتدمير كل وثائق MK/ULTRA. وعندما ألقى تيرنر بياناً أمام لجان الكونجرس والصحافة، أصر على أن البرنامج انتهى العمل فيه فى عام ١٩٦٣ وكان ينطوى فقط على إجراء تجارب على المخدرات. والواقع أن MK/ULTRA ومجموعة كبيرة من المشروعات المشابهة ظلت قائمة حتى ١٩٧٣ على الأقل، وشملت السعى لابتكار أساليب لضبط

العقل، بما فى ذلك جراحة المخ النفسية. وكانت وكالة الاستخبارات المركزية ترغب فى خلق نوع من "المرشح المنشورى"، وهى قائمة تضم أسماء القتلة والجواسيس المبرمجين كيميائيًا ونفسيًا.

وبسرعة أثبت تيرنر، الذى تكلم عن إحداث انفتاح جديد فى الوكالة، أنه ليس مؤيدًا لحرية الرأى عندما حاول قمع نشر كتاب **Decent Intervals** الذى ألفه ضابط وكالة الاستخبارات السابق فرانك سنيب **Frank Snepp**. فقد ادعت الوكالة أن سنيب خالف اتفاق توظيفه بعدم تقديم الكتاب للوكالة للحصول على إذن مسبق قبل النشر. وبناء على ذلك كسب محامو الوكالة القضية وطالبوا سنيب بتسليم كل حقوق تأليف الكتاب للحكومة.

وبالنسبة للبلطجة والإجرام، من الصعب أن نجد من هو أفضل من ويليام كيسى، مدير الوكالة خلال معظم عهد ريجان. فقد انتقل كيسى مباشرة من إدارة حملة ريجان إلى مقر وكالة الاستخبارات المركزية فى لانجلى، حيث أتى ببعض كبار شركات العلاقات العامة فى البلاد كى تقدم له المشورة بخصوص كيفية بيع مشروعيه المدللين، وهما مقاتلو كونترا والمجاهدون الأفغان، للجمهور الأمريكى الذى لم يكن متأكدًا من أمره. وأطلق كيسى على هذا العمل "إدارة الفهم"، مع أنه فى حقيقته حملة دعاية داخلية، وجراحة مخ نفسية لأبناء البلد.

وفى ٤ ديسمبر ١٩٨١ وقع ريجان الأمر التنفيذى رقم ١٢٣٣٣الخاص بالاغتيالات. وكان نصه: "لا يشارك أى شخص موظف لدى حكومة الولايات المتحدة، أو يعمل باسمها، فى الاغتيالات، ولا يتآمر على إشراك أحد فيها." ولكن هذا الحظر القانونى لم يردع قائد وكالة الاستخبارات المركزية، الذى كان مشغولاً فى اللحظة ذاتها فى الدعوة إلى التخلص من ديسى بوتيرسى **Desi Bouterse**، زعيم سورينام **Surinam**، ذلك البلد الواقع فى أمريكا الجنوبية الذى دخل فى "المدار الكوبى".

وكذلك كان كيسى ومرءوسوه يشرفون على إنتاج دليل اغتيالات لمقاتلى كونترا النيكاراجويين بعنوان **Psychological Operations in Guerilla Warfare** [العمليات النفسية فى حرب العصابات]. وكان الدليل، الذى يبدو تحديثًا لبرنامج فينكس، يدعو إلى استخدام العنف "للقضاء بحرص على الأهداف المخطط لها بعناية، مثل القضاة ومسئولى الشرطة وأمن الدولة وغيرهم." وكان ينصح مقاتلى كونترا بتكوين "قوات

انفجار قنبلة فى ملهى "لا بل" L Belle فى برلين الذى أودى بحياة جندى أمريكى، هو السيرجنت كينيث فورد Keneth Ford. وفى ١٤ أبريل أرسلت تسع طائرات F-111 لمهاجمة مجمع القذافى تحمل مجتمعة ستًا وثلاثين قنبلة زنة ٢٠٠٠ رطل موجهة بالليزر. ووقتت الضربة لتسبق بقليل نشرة الأخبار المسائية، وأعدت نشرة إخبارية لإعلان أن وفاة القذافى أثر عارض لهذا "العمل الذى يهدف إلى الدفاع عن النفس".

ونجا الزعيم الليبى، وإن أصابت الضربات اثنين من أبنائه وقتلت شقيقته ومائة من السكان القريبين. وعلى الفور كان هناك تكذيب لاستهداف الحاكم الليبى بصفة شخصية. وقال كيسى: "لم يكن هناك قرار لقتل القذافى. فهناك عناصر منشقة داخل ليبيا، وكان من الممكن أن تنتهز الفرصة كى تهب وتقوم بانقلاب. ويؤسفنى أن هذا لم يحدث. وفى وقت لاحق قال كيسى إن الغارة التى شنت على ليبيا كان المقصود بها توجيه رسالة. "فكما تلقى كاسترو وأورتيجا Ortega[١] رسالة عندما ضربنا جرينادا Grenada[٢]، فإن هذا الهجوم سوف يفزع القذافى."

وفى السنوات التالية لم يكن هناك من مديرى وكالة الاستخبارات المركزية من هو فى فظاعة كيسى. وبعد أن آل منصب كيسى إلى ويليام ويبستر، الذى شهد على الفور بأن رجل بنما القوى مانويل نورييجا Manuel Noriega حليف فى حرب المخدرات. وكان ويبستر، الذى كان يقضى الجزء الكبير من وقته فى ملاعب التنس، يراقب الموقف بينما انهيار الاتحاد السوفيتى يربك نصف قرن من تحليلات وكالة الاستخبارات المركزية. وكان اختيار بوش لرئاسة الوكالة هو نائب كيسى، روبرت جيتس، الذى يكاد لم يخرج سليمًا من إحدى جلسات الاستماع المثيرة للجدل بعد أن أبلغ محقق إيران/كونترا لورانس والش Lawrance Walsh أعضاء مجلس الشيوخ أنه ربما كذب جيتس على المجلس بشأن علمه بصفقات السلاح الخاصة بإيران/جيت. ووقف جيتس ساكنًا، بينما البلطجية الذين دربتهم وكالة الاستخبارات المركزية يطيحون برئيس هاييتى جان بابتيست أريستيد ليحلوا محله عصابة من ضباط الجيش برئاسة الجنرال راؤول سيدراس Raovl Cedras. ووصفت وكالة الاستخبارات المركزية سيدراس بأنه

---

(١) رئيس نيكاراجوا من ١٩٨٤ إلى ١٩٩٠. **(المترجم)**

(٢) فى ٢٥ أكتوبر ١٩٨٣، أمر الرئيس الأمريكى رونالد ريجان بغزو جرينادا، الواقعة ضمن جزر الهند الغربية، بحوالى ١٩٩٠ جنديا أمريكيا لحماية ما يقرب من ألف مواطن أمريكى على أراضيها. **(المترجم)**

ضمن أكثر من يبشرون بالخير من "زعماء هاييتى الذين ظهروا منذ خلع دكتاتور عائلة دوفالييه Duvalier[1] عام ١٩٨٦". وقام سيدراس وزملاؤه بذبح خصومهم السياسيين وكسبوا الملايين من تجارة المخدرات.

وأخيراً جاء مع كلينتون أستاذ معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا ومتعهد الدفاع جون دويتش ودفاعه الحميم عن الوكالة باعتبارها حصن الشرفاء. وكان دويتش بصورة أو بأخرى فى حالة تكذيب دائم خلال الفترة التى قضاها فى الوكالة. وهو لم ينكر وحسب تورط وكالة الاستخبارات المركزية فى تجارة المخدرات، ولكنه أنكر بنفس القوة أى دور للوكالة فى أعمال القتل التى وقعت فى جواتيمالا وراح ضحيتها الأمريكى مايكل دوفين Michael DeVine والزعيم المتمرد إفراين باماكا Efrain Bamaca. فقد اختطف دوفين وقُتل عام ١٩٩٠. وألقى القبض على باماكا وعُذِّب وقُتل عام ١٩٩٢. وكان الاغتيالان بأوامر من الكولونيل روبرتو أبيريث Roberto Apirez الذى كان اسمه على كشوف رواتب وكالة الاستخبارات المركزية. وعندما حاول ريتشارد نوتشيو Richard Nuccio المسئول بوزارة الخارجية التحقيق فى الأمر، سحب منه دويتش تصريح الأمن. كما ساعد دويتش فى إخفاء المعلومات التى جمعها محللوه وتشير إلى أن ١٠٠ ألف جندى تعرضوا لأسلحة كيماوية أثناء حرب الخليج، بل وساعد على فبركة خدعة أن أمراض حرب الخليج لم تكن سوى نتيجة للضغط النفسى.

وفى عام ١٩٩٧ أمسك جورج تينيت George Tenet بدفة الوكالة بعد إجبار أنطونى ليك Antony Lake على الانسحاب بعد أن امتنع عن الإعلان بصورة كاملة عما يمتلكه من أسهم فى شركات البترول التى لها مصلحة مالية فى تدابير الوكالة. ويشتهر تينيت بجهوده لضمان اغتيال صدام حسين. وقد وظف تينيت لهذه المهمة مجموعة تعرف باسم "الوفاق الوطنى العراقى" Iraqi National Accord. وعندما فشلت هذه المجموعة فى الاقتراب بأى شكل من صدام نفسه، اتخذت أيسر السبل، وهو ترك القنابل فى دور السينما فى بغداد، حيث قتلت عدداً كبيراً من الناس.

وكما تذكرنا تلك اللمحات الموجزة، فإن وكالة الاستخبارات المركزية هى على وجه الدقة ما يتوقعه المرء من هيئة ذات تفويض يمتد من جمع وتحليل البيانات الاستخبارية

---

(١) تولى جان كلود دوفالييه (المعروف باسم Baby Doc) الحكم بعد وفاة والده الدكتاتور فرانسوا دوفالييه (Papa Doc) عام ١٩٧١، ولكنه فر من هاييتى عقب الاضطرابات التى شهدتها البلاد عام ١٩٨٦. **(المترجم)**

حتى تنفيذ التدمير، والتلاعب فى الانتخابات، والاغتيالات، وإدارة الحروب السرية. والكذب جزء من توصيف وظيفة وكالة الاستخبارات المركزية، حيث تقدم البيانات الزائفة دومًا للحلفاء، والصحافة، وغيرها من الوكالات الفدرالية، والكونجرس. ويقول ضابط الوكالة السابق رالف ماكجيهى Ralph McGehee: "لا بد أن نهدأ ونكذب عليهم باستمرار. خلال سنواتى الخمس والعشرين لم أر الوكالة تقول الصدق لأية لجنة من لجان الكونجرس."

ونادرًا ما كان مسئولو الوكالة يخشون التوبيخ على أكاذيبهم وهم فى موقع القيادة. فقد كذب جوزيف فرنانديز Joseph Fernandez رئيس مركز وكالة الاستخبارات المركزية فى كوستاريكا، أثناء الحرب السرية ضد نيكاراجوا، بشأن دوره فى توصيل المال والسلاح إلى مقاتلى كونترا مخالفًا القانون الأمريكى. وكذلك فعل نائب مدير وكالة الاستخبارات المركزية كلير جورج Clair George. كما أنهم لم يسجنوا. وقال لورانس والش محقق إيران/كونترا: "لقد خلقنا طبقة من ضباط الاستخبارات الذين لا يمكن مقاضاتهم."

وتستلزم هيئات مثل وكالة الاستخبارات المركزية الانغماس فى أوساط الإجرام، وإمدادات يفترض أنه لا آخر لها من الأموال "السوداء" أو المغسولة، ومجموعة طويلة المدى من التنفيذيين الذين لا تعرف قلوبهم الرحمة (الذين لا يتورعون عن تحقيق ثروات شخصية لأنفسهم من عملياتهم السرية). وتجارة المخدرات جزء لا يتجزأ من هذا العالم. وكانت المناطق الأساسية لإنتاج الأفيون والكوكا تقع داخل مناطق الحرب الباردة المتنازع عليها: جنوب شرقى آسيا، وآسيا الوسطى، ودول الأنديز[1]. كما أن شبكات توزيع المخدرات كانت تمر عبر المناطق المتنازع عليها، مثل أفغانستان وفيتنام وأمريكا الوسطى. وكان تجار المخدرات - من أمراء الحرب الريفيين فى لاوس إلى الشرطة التايلاندية وجنرالات هُندوراس - كذلك على قدر كبير من الاهتمام بأية وكالة استخبارات. وأموال المخدرات وفيرة ولا تسجل فى الدفاتر.

كما أن وسط المخدرات، ومسارح الإنتاج والتوزيع العديدة الخاصة به، ترتبط حتمًا بالعنف المنظم، من المنفذين إلى القوات شبه العسكرية إلى المشرفين على رجال حرب

---

(١) الدول التى تقع فيها سلسلة جبال الأنديز التى تمتد لما يزيد على ٨ آلاف كيلومتر من ساحل فنزويلا على المحيط الهادى حتى جزيرة تييرا ديل فويجو المقسمة بين شيلى والأرجنتين، وتشمل فنزويلا وكولومبيا والإكوادور وبيرو وبوليفيا وشيلى. **(المترجم)**

العصابات إلى المفارز العسكرية إلى الجنرالات الذين يفرضون حصتهم من التجارة. ومرة أخرى تصبح هذه المناطق محور اهتمام منظمة مثل وكالة الاستخبارات المركزية. وغالبًا ما يكون تجار المخدرات على الجانب المعارض للسلطة الحاكمة (ما لم يكونوا يعملون كذراع للحكومة، كما فى المكسيك)، وهو الموقف الذى يحظى باهتمام كبير من جهة مثل وكالة الاستخبارات المركزية.

ومن وجهة نظر أمراء المخدرات، فإن التحالف مع وكالة الاستخبارات المركزية أو توظيفها على نفس القدر من الفائدة. إذ يمكنهم الاستفادة من خدمات وكالة الاستخبارات المركزية لقمع خصومهم وحماية مناطق نفوذهم. وممتلكات وكالة الاستخبارات المركزية مثل شركة طيران "إير أمريكا" Air America، يمكن الاستفادة بها للوصول إلى الأسواق الدولية. ورغم تكذيبات دويتش لما هو عكس ذلك، فقد أوقفت وكالة الاستخبارات المركزية مراراً تحقيقات جنائية تجريها مع عملائها هيئة الجمارك، ووكالة مكافحة المخدرات، ومكتب التحقيقات الفدرالى.

وفى ظل مناطق المصلحة المشتركة، فإنه من غير المستغرب أن تتواطأ وكالة الاستخبارات المركزية دومًا منذ إنشائها مع تجار المخدرات، وتوفر لهم المرور الآمن، وتحمى أنشطتهم، وتكافئ أمراء المخدرات، وتستأجرهم لمهامها السرية، وتستغل الأموال الناتجة عن تلك العمليات فى أنشطة أخرى. ولم تردع وكالة الاستخبارات المركزية قط حقيقة أن هذه المخدرات ينتهى بها الحال فى العروق الأمريكية، بل ربما رأت فى ذلك نتيجة إيجابية، نظراً للون الجلد الذى يغطى هذه العروق فى كثير من الأحيان.

■ ■ ■

المصــادر

حظيت إدانة الجنرال رامون جيين دافيلا، رجل وكالة الاستخبارات المركزية وقيصر مكافحة المخدرات فى فنزويلا، بتغطية قديرة من فرانك ديفيز فى صحيفة "ميامى هيرالد" Miami Herald. وبالتنقيب فى مئات الكتب عثرنا على تاريخ كاف واف لتاريخ وكالة الاستخبارات المركزية. وكتاب جون رانيلو The Agency مسح لطيف، وإن اتسم بالتفصيل. وكان كتاب جون برادوس The President's Secret Wars مفيداً هو الآخر، وإن كان يتعامل برفق مع حرب الوكالة الكبرى، وهى النكبة التى حدثت فى أفغانستان. وكتاب ويليام بلوم Killing Hope تقييم موثق توثيقًا جيداً لإنشاء الوكالة وتدخلاتها الكثيرة فى سياسة الدول الأخرى. وكتاب جوناثان كـويتنى Endless Enemies هو كذلك رواية قيمة. ومن بين الكتب التى ألفها ضباط وكالة الاستخبارات السابقون، هناك أربعة بارزة بينها: كتاب رالف ماكجيهى Deadly Deceits، وكتاب جون مارك The CIA and the Cult of Intelligence، وكتاب فرانك سنيب Decent Interval، وكتاب ستوكويل In Search of Enemies.

وأعلنت وكالة الاستخبارات المركزية مؤخراً عن خطط لزيادة أنشطتها فى أفريقيا. ويعرض كتاب ستوكويل حالة صارخة تبين السبب وراء ضرورة حظر دخول الوكالة لهذه القارة. ويقدم تيم وينر، الصحفى الذى يعمل فى صحيفة حاولت كثيراً إخفاء آثار الدم الخاصة بالوكالة، أفضل رواية لكيفية تمويل وكالة الاستخبارات المركزية لعملياتها فى كتابه Bank Check. وديفيد وايز واحد من أفضل الكُتَّاب الذين كتبوا عن وكالة الاستخبارات المركزية. ويظل كتابه الصادر فى عام ١٩٧٣ بعنوان The Politics of Lying خريطة يعتد بها على كذب الوكالة ونظراؤه فى البنتاجون. و Challenging the Secret Government وهو تقييم كاثرين أولستد لتحقيقات الكونجرس الخاصة بوكالة الاستخبارات فى السبعينيات، كتاب ممتاز. وتنتهى أولستد فى كتابها إلى أنه بدلاً من فتح الوكالة أمام التمحيص المفصل والمراقبة التى لها مغزاها، فإن جلسات استماع بايك وتشرش كان لها أثر عكسى، ذلك أنها أتاحت الفرصة للوكالة كى تصبح أكثر منعة

ضد أى محاسبة خارجية. بل إن تسجيلات الاستماع والتقرير النهائى الصادر عن لجنة تشرش تقدم مجموعة قيمة من المعلومات عن تدابير الوكالة السرية وخطط الاغتيال والصلات الحالية مع العناصر الإجرامية. ويحاول تقرير المفتش العام عن محاولات وكالة الاستخبارات المركزية التى لا تنتهى لقتل فيدل كاسترو قراءة مهمة لأى شخص يسعى إلى فهم كيفية عمل الوكالة.

Adams, Samuel. "Vietnam coverup: Playing War with Numbers." Harper's, May 1979.

Agee, Philip. Inside the Company: CIA Diary. Stonehill, 1975.

Alsop, Stuart, and Thomas Braden. Sub Rosa: The OSS and American Espionage. Rey-nal and Hitchcock, 1946.

Anderson, Jack. Confessions ofa Muckraker. Random House, 1979

Aronson, James. The Press and the Cold War. Monthly Review Press, 1990.

Aspin. Les. "Misreading Intelligence." Foreign Policy, 43,.١٩٨١

Barnford, James. The Puzzle Palace. Houghton Miflin, 1984

Bernstein, Carl."The CIA and the Media." Rolling Stone, Oct. 20,1977

Bissell, Richard. "Reflections on the Bay of Pigs: Operation ZAPATA." Strategic Re-view' 8, Fall 1984

Blum, William. Killing Hope. Common Courage Press, 1995.

Braden, Tom. "What's Wrong with the CIA?" Saturday Review, April 5, 1975.

Branch, Taylor. "The Trial of the CIA." New York Times Magazine. Sept.12, 1976.

Church, Frank. "Do We Still Plot Murders? Who Will Believe We Don't?" Los Angeles Times, June 14, 1983.

Cline. Ray. The CIA Under Reagan, Bush and Casey. Acropolis, 1981.

Codevilla, Angelo. "The CIA: What Have Three Decades Wrought" Strategic Review, Winter 1980.

Colby, William, and Peter Forbath. Honorable Men: My Life in the CIA. Simon and Schuster. 1978

Corson, William. Armies of Ignorance: The Rise of the American Intelligence Establishment Dial Press, 1977

Davies, Frank. "Drug Trial May Put CIA Actions in Spotlight." Miami Herald. Sept.13, 1997.

"Agent Tells ofCIA Defeat in Drug War. "Miami Herald, Sept. 18,1997.

"Deposed Venezuelan Drug Czar Denies He's a Dealer." Miami Herald, Nov.25, 1996.

CIA Operative Charged in Drug Smuggling Case." Miami Herald, Jan.14, 1997. Epstein, Edward Jay. "Disinformation: Or Why the CIA Cannot Verify an Arms Control Agreement." Commentary 74, July 1982.

Fallaci. Oriana. "Otis Pike and the CIA." New Republic, April 3, 1976.

Fisher. Roger. "The Fatal Flaw in Our Spy System." Boston Globe, Feb. 1, 1976.

Gelb, Leslie. "The CIA and the Press." New Republic, March 22, 1975.

Greene, John R. The Limits of Power: The Nixon and Ford Administrations. Indiana University Press, 1992.

Harbury, Jennifer. Searching for Everado: A Story of Love, War and the CIA in Guatemala. Warner Books, 1997.

Halperin, Morton. "Led Astray by the CIA." New Republic, June 28, 1975.

"The CIA's Distemper."New Republic, Feb. 9, 1980.

Halperin, Morton, Jerry Berman, Robert Borosage and Christine Marnick. The Lawless State: The Crimes of the US Intelligence Agencies. Penguin, 1981.

Hersh, Seymour. "Underground for the CIA in NY: An Ex-Agent Tells of Spying on Students." New York Times, Dec. 29,1974.

"Hunt Tells of Early Work for CIA Unit."New York Times, Dec.31, 1974.

"Target Qaddafl."Ne't' York Times Magazine, Feb.22, 1987.

Hinckle, Warren. "CIA Reunion." San Francisco Examiner, Jan.27, 1986.

Hougan, Jim. Spooks: The Haunzing of America: The Private Use of Secret Agents. Morrow, 1978.)Secret Agenda: Watergate, Deep Throat and the CIA. Random House, 1984.)"A Suif~it of Spies." Harper's, Dec.1974.

Ignatius,.David. "Dan Schorr: The Secret Sharer." Washington Month/tv. April 1976.

Immerman, Richard. The CIA in Guatemala: The Foreign Poliyv of Intervention. Univ. of Texas Press, 1982.

Jeffries-Jones, Rhodri. American Espionage: From Secret Service to CIA. Free Press, 1972.

Johnson, Loch. America's Secret P~t~er: The CIA in a Democratic Society. Oxford Univ. Press, 1989.

Joselyn, Eric. "CIA Off Campus: Closing the Company Store." Nation, March26, 1988.

Kessler, Ronald. Inside the CIA. Simon and Schuster, 1992.

Kirkpatrick, Lyman. The Real CIA. Macmillan, 1968.

Kwitny, Jonathan. Endless Enemies: The Making yfan Unfriendly WorlJ Congdon and Weed, 1984.

Le Moyne, James. "Testifying to Torture." New York Times Magazine, June 5,1988.

Loory, Stuart. "The CIA's 'Man' in the White House." Columbia Journalism Review, Sept./ Oct., 1975.

)"The CIA's Use of the Press: A 'Mighty Wurlitzer.'"Columbia Journalism Review, Sept./Oct. 1974

McGehee, Ralph. Deadly Deceits: My 25 Years in the CIA. Sheridan Square, 1983.

"The CIA and the White Paper on El Salvador." Nation, April 11, 1981.

Marchetti, Victor, and John Marks. The CIA and the Cult ofIntelligence. Knop{ 1974. Marks, John. "How to Spot a Spook." Washington Monthly, Nov.1974.

"The CIA's Corporate Shell Game."Washington Post, July II, J976.

Melanson, Philip. "The CIA's Secret Ties to Local Police." Nation, March 26, 1983.

Miami Herald, editorial. "CIA Knifes Nuccio." Miami Herald, Dec.16, 1996.

Morris, Roger. "William Casey's Secret Past." Atlanta Constitution, August31, 1987.

Olmsted, Kathryn S. Challenging the Secret Government: The Post Watergate Investi gations of the CIA and FBL Univ. of North Carolina Press, 1996.

Persico, Joseph. Casey: From the OSS to the CIA. Viking Press, 1990

Peterzell, Jay. "Can Congress Really Check the CIA?" Washington Post, April 21, 1983.

Phillips, David Atlee. The Night Watch. Atheneum, 1977

Pincus, Walter. "Covering Intelligence." New Republic, Feb. 1, 1975.

Powers, Thomas. The Man Who Kept the Secrets: Richard Helms and the CIA. Knopf, 1979.

Prados, John. The President's Secret Wars: CIA and Pentagon Covert Operations. Morrow, 1986.

Ransom, Harry Howe. The Intelligence Establishment. Harvard Univ. Press, 1970.

Roosevelt, Kermit. Countercoup: The Struggle for Control ofiran. McGraw-Hill, 1981.

Schlesinger, Stephen, and Stephen Kinzer. Bitter Fruit: The Untold Story of the American Coup in Guatemala. Doubleday, 1982.

Semas, Philip. "How the CIA Kept an Eye on Campus Dissent." Chronicle of Higher Education, Dec. 5, 1977

Stockwell, John. In Search ofEnemies: A CIA Story. Norton, 1978.

Turner, Stansfield. Secrecy and Democracy: The CIA in Transition. Houghton Miflin, 1985.

US Central Intelligence Agency, Office of Inspector General. Report on Plots to Assassinate Fidel Castro. CIA-IG, May 23, 1967.

US Congress. Senate. Select Committee (Church Committee) to Study Governmental Operations with Respect to Intelligence Activities. Alleged Assassination Plots involving Foreign Leaders: An Interim Report. Government Printing Office, 1975.

Select Committee (Church Committee) to Study. Governmental Operations with Respect to Intelligence Activities. Ninety-fourth Congress. Final Report Government Printing Office, 1976

US, Executive Office of the President, Commission on CIA Activities. The Rockefeller Report to the President on CIA Activities. Government Printing Office, 1975.

Valentine, Douglas. The Phoenix Program. Monrow, 1990.

Weissmann, Stephen. "CIA Covert Action in Zaire and Angola: Patterns and Consequences." Political Science Quarterly, Surnrner 1979.

Wills, Gary. "The CIA from Beginning to End." New York Times Book Review, Jan.22, 1976.

Wise, David. The American Police State. Random House, 1976. The Politics ofLying. Random House, 1973

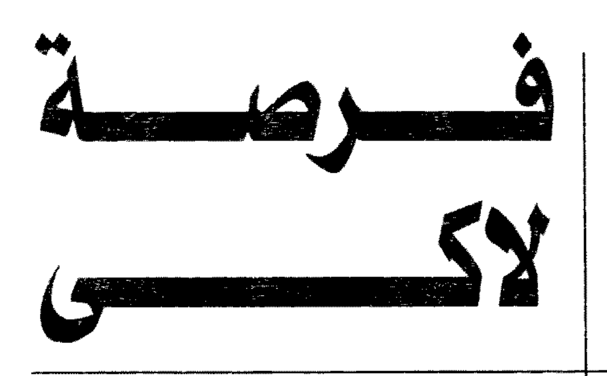
"Is Anybody Watching the CIA?" Inquiry, Nov.1978

Woodward, Bob. Veil: The Secret Wars of the CIA, J981-19&7. Simon and Schuster, 1987



التحالف الأسود

وكالة الاستخبارات المركزية
والمخدرات والصحافة



فى ١٤ يوليو من عام ١٩٤٣، وبعد خمسة أيام من غزو الحلفاء لصقلية، حلقت طائرة على ارتفاع منخفض فوق القرى الواقعة على الجبال خارج باليرمو Plermo وكانت تجر وراءها راية طويلة من القماش الأصفر، ووسط تلك الراية المثلثة كان هناك حرف L أسود كبير. وفوق بلدة فيلالبا Vilalba ألقت الطائرة كيساً من النايلون الأسود بالقرب من ضيعة دون كالوجيرو فيتسينى Don Calogero Vizzini. وكان فيتسينى المعروف بكالو هو أكثر بارونات المافيا نفوذا غربى صقلية. وداخل الكيس كان هناك منديل حريرى ذهبى اللون، وكان يحمل كذلك الحرف L. وكان المنديل رسالة متفقا عليها سلفاً إلى دون كالو تشير إلى أن الوقت قد حان كى يلتقى بممثلى قوات الحلفاء. وعلى الفور غادر الدون فيلالبا مع العديد من مرءوسيه وشق طريقه إلى موعد مع قادة مدرعات الحلفاء فى الجيش السابع الذى يقوده الجنرال جورج باتون George Patton. وبعد مناقشات عديدة، ساعد زعيم المافيا قوات الحلفاء على التفاوض على العبور الصعب لجبال سان فيتو San Vito، وهى مناورة حاسمة تفصل بين قوات المحور. وتسلم دون كالو مكافأته عن تلك الخدمات عندما سمح قائد الحلفاء فيما بعد له ولزملائه فى المافيا بالإشراف على حكومة صقلية أثناء الاحتلال.

وكان حرف L الذى على الراية وعلى المنديل يشير إلى أحد أصدقاء دون كالو القدامى، وهو تشارلز "لاكى" لوتشيانو Charles Lucky Luciano، الذى كان فى تلك اللحظة بالذات نزيلاً فى سجن جريت ميدوز Great Meadows خارج ألبانى Albany بنيويورك. وقصة كيفية وصول أشهر رجل عصابات فى أمريكا بعد آل كابونى Al Capone إلى شراكة تحقق فائدة للطرفين مع اثنين من أسلاف وكالة الاستخبارات المركزية، وهما مكتب الخدمات الاستراتيجية Office of Stratigic Services ومكتب الاستخبارات البحرية Office of Naval Intelligence، توضح بجلاء تام النقطة التى

عرضناها فى نهاية الفصل السابق، وهى وجود تحالف دائم بين منشآت مثل وكالة الاستخبارات المركزية والمافيا. وفى هذه الحالة أدت العلاقة إلى زيادة ضخمة فى تجارة الهيروين العالمية.

وفى عام ١٩٤٢ كان يرأس ما يسمى "مكتب الاستخبارات السرية" التابع لمكتب الخدمات الاستراتيجية بواشنطن العاصمة إيرل برينان Earl Brenan، وهو مسئول سابق بوزارة الخارجية وجمهورى من نيو هامبشاير New Hampshire كان قد أمضى طفولته فى ألمانيا. وكانت مهمة برينان هى الإعداد لغزو صقلية وإيطاليا. وكان قد فتح قناة اتصال مع الفاتيكان، كانت تُسمى "العملية وريد" Operation Vessel. وكان مصدر معلوماته فى الفاتيكان هو المونسنيور جيوفانى باتيستا مونتينى Monsignor Giovanni Battista Montini، وكان مساعداً له كلمته من بين مساعدى البابا بيوس الثانى عشر Pope Pius XII، وقد اقترح تجنيد خدمات مجموعة من الإيطاليين فى المنفى، ومنهم الماسونيون، وكبار رجال الأعمال، وأفراد المافيا. وبعد واحد وعشرين سنة صار جيوفانى مونتينى البابا بولس السادس Pope Paul VI.

وعملاً بنصيحة مونتينى، سافر برنان إلى كندا عام ١٩٤٢ لمقابلة زعماء المافيا الإيطاليين والصقليين فى منفاهم، حيث فروا من حملات بينيتو موسولينى Benito Mussolini النشطة ضدهم. وبدأ هجوم الدوتشى Il Duci على المافيا فى ١٩٢٤ بعد إهانة دون تشيتشيو كوتشيا Ciccio Cuccia العلنية له أثناء رحلة قام بها إلى باليرمو. وطبقًا لما جاء فى الرواية المفصلة لمؤرخ المافيا ميكيلى بانتاليونى Michele pantale-one، فنحن بعد قضية كوتشيا نجد أن موسولينى "بدأ حملته الحقيقية ضد المافيا ولجأ إلى أساليب تهون إلى جوارها محاكم التفتيش". وكان زعماء المافيا يطوقون ويقبض عليهم ويعذبون ويوضعون فى أقفاص كبيرة ليقدموا إلى محاكمات علنية.

والرجل الذى حمّله موسولينى مهمة إبادة المافيا هو سيزارى مورى Cesare Mori الذى كانت الطريقة المفضلة لديه فى الاستجواب هى la casseta. وكان المشتبه فيه يربط فى صندوق خشبى ويضرب بسوط من الجلد المنقوع فى الماء والملح، ويصدم بمنخس الماشية، وكانت تُربط على عضوه التناسلى «الملزمة»، وكان بطن قدميه يحرق بالسجائر. وكان المئات من زعماء المافيا، أو "العُصاة" كما كان مورى يسميهم، يلاحقون ويعذبون ثم يعدمون رميًا بالرصاص فى ميدان عام بباليرمو. إلا أنه سرعان

ما سمح موري لحربه ضد Societa Omorata بدخول عقله. وهنا شرع في بناء أقواس النصر لنفسه وعليها عبارة Ave Caesare، وبدأ محاكمة رفاق موسوليني في صقلية. وسرعان ما أُعفي موري من السلطة وتم التخلص منه بالطريقة المعتادة. ولكن بحلول عام ١٩٤٢، ونتيجة للتطهير الذي قام به موري، كانت المافيا الصقلية موجودة فقط في قرى جبلية صغيرة مثل فيلالبا. وكان زعماء المافيا الآخرون إما في عداد الأموات أو هربوا إلى الملاذ الآمن في الولايات المتحدة. وحظي موسوليني بمدح "نيويورك تايمز" لانتصاره على الدونات، حيث قالت بفرح إن "المافيا ماتت، وولدت صقلية جديدة".

وهكذا فإنه حين التقى إيرل بريتان مع الدونات في مونتريال، كان يسعدهم تقديم العون لأعداء من اضطهدهم، وهو موسوليني، وابتسموا موافقين حين دعاهم رجل مكتب الخدمات الاستراتيجية إلى "تناول نخب في صحة أقاربهم". وساعد زعماء المافيا بريتان على فتح قنوات الاتصال بزعماء المافيا في صقلية، وكذلك بالمهاجرين الإيطاليين الذين وفدوا حديثًا إلى الولايات المتحدة. ولتدعيم هذا العمل، جمع بريتان فريقًا من ثلاثة ضباط استخبارات، هم ديفيد بروس David Bruce، وماكس كورفو Max Corvo، وفيكتور أنفوزو Victor Anfuso. وتدرج بروس - وكان صهر بول ميلون Paul Mellon خصم كبير الجواسيس آلن دالاس الذي كان يكرهه أكثر من أي إنسان - حتى أصبح قائد عمليات مكتب الخدمات الاستراتيجية الأوروبية، وبعد ذلك سفير الولايات المتحدة في لندن ثم باريس، ثم كبير المفاوضين في محادثات السلام الخاصة بفيتنام في أوائل السبعينيات. وكان كورفو جنديًا بالجيش الأمريكي من مواليد صقلية وجند عشرات المهاجرين الجدد إلى نيويورك وكونيتيكت Cnnecticut، ثم أعادهم إلى صقلية في الأسابيع السابقة للغزو. وكان أنفوزو محاميا في نيويورك من مواليد صقلية، وكان جزءًا من آلة الحزب الديمقراطي وكانت تربطه علاقة وثيقة بفرانك كوستلو وغيره من رجال الجريمة المنظمة في شبكة لوتشيانو. وبعد المساعدة في تجنيد المهاجرين الصقليين لمصلحة الحلفاء، ظهر أنفوزو من جديد في إيطاليا بعد خمس سنوات، وكان في تلك المرة عميلاً لوكالة الاستخبارات المركزية للتلاعب في نتائج انتخابات ١٩٤٨، حيث ساعدت أموال الوكالة وبلطجية المافيا في منع انتصار الشيوعيين الذي كان يبدو مؤكداً.

ولم يكن كل إنسان في مكتب الخدمات الاستراتيجية مقتنعًا بفائدة هذا التحالف مع المافيا، وكان الأكثر عداء لذلك الميجور جورج هنتر وايت George Hunter White رئيس عمليات الاستخبارات المضادة في الولايات المتحدة. وكان وايت على معرفة بالكثير من

عصابات المافيا منذ عمله السابق كعميل لمكتب المخدرات والعقاقير الخطيرة BNDD. وكان يبحث عن جواسيس وخونة للعمل في "مشروع مانهاتن" Manhattan Project، وهو برنامج أمريكا لإنتاج قنبلة نووية. كما كان يبحث عن الهدامين داخل مكتب الخدمات الاستراتيجية OSS، الذي كان له اختصاران تهكميان معلقان في رقبته، وهما Oh So Social [آه كم هو اجتماعي] وOh So Socialist [آه كم هو اشتراكي]، إشارة إلى نبرة جورجتاون الخاصة به، وبمجنديه اليساريين، مثل نورمان براون Norman O. Brown وهربرت ماركوز Herbert marcuse[1].

ولتحقيق تلك الغايات التحقيقية، كان وايت يعمل مع علماء مكتب الخدمات الاستراتيجية من أجل التوصل إلى "مصل الصدق" لاستخدامه في التحقيقات. وفي ذلك الوقت، كان أكثر العقاقير التي ابتكرتها معامل المكتب في مستشفى سانت إليزابيث في أوائل الأربعينيات، فاعلية عبارة عن صورة مركزة من الماريوانا، كانت تحث من تعطى له على "أن يكون ثرثاراً وحراً في إفضائه بالمعلومات". وعندما أبلغوا وايت - الذي سيدير فيما بعد بعض أكثر الخطط شراً في برنامج وكالة الاستخبارات المركزية لاختبار المخدرات - باتفاق الوكالة مع المافيا، وجد في شركاء المكتب الجدد فرصة طيبة لاختبار العقار على فئران تجارب بشرية. وفي نهاية شهر مايو ١٩٤٣، رتب وايت اجتماعاً مع أوجستو ديل جراتشيو Augusto Del Gracio، وكان أحد رجال أمير الجريمة في نيويورك لاكي لوتشيانو. قدم وايت لديل جراتشيو سجائر من التبغ المخلوط بمركز الماريوانا THC. وكم كانت فرحة وايت حين فضفض ديل جراتشيو بتفاصيل عمليات الهيروين التي يقوم بها لوتشيانو. وفي موضع ما من الكلام، قال ديل جراتشيو لوايت: "مهما كان ما تفعله، لا تستخدم أياً مما أقوله لك." فلأن هذا الرجل القوي قتل بنفسه الكثير من الواشين والفتانين، فقد كان يعلم جيداً مصير من هو كذلك.

وفي جلسة ثانية زاد وايت من كمية عقار THC، لدرجة أن ديل جراتشيو غاب عن الوعي ساعتين. وكان وايت يغادر الجلسات وهو سعيد بفاعلية "مصل الصدق" ولكنه كان تعيساً بشأن شراكة المكتب للمافيا، حيث سمع ديل جراتشيو يتحدث عن المجال

---

(١) فيلسوف سياسي أمريكي ألماني المولد من أعماله في النقد الاجتماعي Eros and Civilization (الجنس والحضارة) One Dimensional Man (الإنسان ذو البعد الواحد). **(المترجم)**

الكونى لشبكات لوتشيانو للمخدرات. وقد حث بقوة رئيس المكتب بيل دونوفان على النأى بنفسه عن العصابات الإجرامية. ووافقه دونوفان الرأى، ونقل المكتب معظم عملياته الاستخباراتية فى إيطاليا وصقلية إلى مكتب الاستخبارات البحرية ONI، الذى كان يجرى أولى اتصالاته بالمافيا كجزء من جهوده لمنع التخريب فى نيويورك، ولم يرق ذلك القرار لكورفو، الذى طلب منه قطع اتصالاته بالمافيا داخل صقلية وأجبر على البقاء فى شمال أفريقيا انتظاراً للأوامر، بينما كان جيش باتون السابع يضرب شواطئ جيلا Gela وليكاتا Licata بمساعدة عملاء مكتب الاستخبارات البحرية.

وكان هناك سبب وجيه لقلق البحرية، فبين السابع من ديسمبر ١٩٤١ و٢٨ فبراير ١٩٤٢، كان الحلفاء قد فقدوا إحدى وسبعين سفينة تجارية على ساحل الأطلنطى ضربتها غواصات ألمانية. وكانت أجهزة استخبارات الحلفاء تعتقد أن الكثير من الخسائر ناتج عن نجاح التجسس الألمانى فى رصد السفن عند مغادرتها نيويورك. كما كانت هناك أدلة كذلك على أن الغواصات الألمانية يعاد تمويلها على الساحل الأمريكى. وأنشأ مكتب الاستخبارات البحرية فرعاً فى نيويورك برئاسة الكابتن روسكو ماكفول Roscoe McFall، وهو ضابط سابق بالبحرية فى الأربعين من عمره. وكان ماكفول قد كُلِّف من العميد بحرى أرثر ترين Arhur Train، رئيس مكتب الاستخبارات البحرية، بتأمين الواجهة البحرية لمدينة نيويورك بأى ثمن. ويقول ماكفول: "كانت الواجهة البحرية بكاملها موضع قلق رسمى. فقد كانت المعلومات المتعلقة بتخريب عملاء العدو المحتمل لميناء نيويورك، والمعلومات المتعلقة بالأنشطة الهدامة بين من يقومون بشحن وتفريغ السفن وما شابه ذلك من أعمال، موضع اهتمام شديد من جانب الاستخبارات البحرية. بل إن الاستخبارات البحرية كانت تولى اهتماماً كبيراً للحصول على معلومات تفيد احتمال نزول عملاء العدو على الساحل."

وكان فريق ماكفول فى نيويورك يضم الكوماندير تشارلز هافيندن Charles Haffenden، الذى كان يرأس وحدة تحريات تحمل اسم B-3، واللفتنانت أنتونى مارزولو Anthony Marzullo، وهو محام ومساعد سابق لحاكم نيويورك توماس ديوى Thomas Dewey، وكان خبيراً بشئون صقلية. وفى ديسمبر ١٩٤١، أمر ماكفول هافيندن ومارزولو بوضع استراتيجية لتجنيد مساعدة شخصيات من عالم الجريمة فى نيويورك. وقال ماكفول فيما بعد إن "استخدام مرشدى عالم الجريمة كان مخاطرة محسوبة قمت بها كضابط

استخبارات محلى"، وبعد بضعة أشهر كان أكثر من ١٥٠ من ضباط مكتب الاستخبارات البحرية يشاركون فى عملية تجسس مضاد، وهى المجموعة التى أطلق عليها اسم "فرقة النمس" Ferret Squad وأوضح مارزولو فيما بعد أن "استخبارات كهذه ليست وكالة شرطة. فإن وظيفتها هى الوقاية والمنع. ولكى تمنع، لا بد أن يكون لديك نظام، وأن يتوفر للنظام كل الوسائل التى تمنع العدو من تأمين المساعدة والراحة من الآخرين. ولا بد أن أضم ما يسمونه عالم الجريمة بكل وسيلة ممكنة."

وأصبحت مهمة مكتب الاستخبارات البحرية أكثر إلحاحًا فى ٩ فبراير ١٩٤٢، غرقت السفينة الأمريكية نورماندى Normandie، التى طورت بحيث تسير بسرعة تمكنها من الإفلات من الغواصات الألمانية، محترقة وهى فى مرساها عند نهر هدسون. ومع أنه اتضح أن غرق نورماندى كان على الأرجح حدثًا طارئًا، كان التخريب فى ذلك الوقت موضع شك كبير. وبعد كارثة نورماندى، وجه ماكفول ضباطه للاستفادة من مكاتب شرطة مدينة نيويورك ووكيل النائب العام للمساعدة فى بدء الاتصالات بعصابات الجريمة المنظمة.

وفى ٧ مارس، عقد ماكفول أول اجتماع فى سلسلة اجتماعاته مع وكيل النيابة فرانك هوجان Frank Hogan ونائبه المسئول عن مكتب الأنشطة الإجرامية موراى جورفين Murray Gurfein، وأكد هوجان لضباط مكتب الاستخبارات البحرية استعداده للتعاون التام وعرض تسليم كل ملفاته عن كبار شخصيات الجريمة المنظمة فى المدينة. (وكان هوجان، الذى زامل توماس ديوى طويلاً، قد ساعد فى وضع لاكى لوتشيانو فى السجن عام ١٩٣٦ بتهمة الإجبار على ممارسة البغاء)، ويقول هوفيندن، الذى كان وقتها مسئولاً عن تجنيد عملاء لمكتب الاستخبارات البحرية، إنه كان مهتمًا بأكثر من مجرد التوصل إلى مصادر على الواجهة البحرية. وقد سأل هوجان إن كان من الممكن تجنيد زعماء عصابات الجريمة المنظمة للعمل كمراقبين للإشراف على المرشدين. وقال هوجان إن تلك ليست مشكلة، وخاصة أن زعماء الجريمة المنظمة هم فى الغالب معارضون بشدة للفاشية، لأن موسولينى داوم على إبادة أبناء عمومتهم الإيطاليين. كما عبَّر رجال البحرية كذلك عن قلقهم من مصداقية المعلومات الاستخبارية التى تأتى من المافيا. فأكد لهم هوجان أن خطر التحقيقات الانتقائية وغيرها من الإجراءات العقابية سوف يجعلهم لا يحيدون عن الخط.

واقترح موراى جورفين نائب هوجان (الذى سيحكم بعد ثلاثين سنة، بصفته قاضيًا فدراليًا، لمصلحة "نيويورك تايمز" فى قضية أوراق البنتاجون) مقابلة جوى "سوكس" لانزا

Joey "Socks" Lanza، وكان وقتها قد أدين بتهمة التربح. وكان لانزا ـ وهو أحد رجال لوتشيانو ـ يسيطر على سوق أسماك فولتن Fulton ونقابة عمال المأكولات البحرية المتحدة. وترجع إدانة لانزا إلى اعتياده على مطالبة العمال في سوق الأسماك وأعضاء النقابة بإتاوات، وضربه من لا يدفعون. وكانت للانزا صحيفة سوابق طويلة، حيث ألقى القبض عليه بتهم التآمر والسرقة والتعدى والقتل. واعتبره الضابط المسئول عن مراقبته "مجرمًا لا يرحم"، ولكن ذلك لم يمنع البحرية من السعى لمقابلته. وفى ٢٦ مارس رتب جورفين وهافيندن لقاء مع لانزا فى جناح هافيندن فى فندق أستور، حيث طلبوا من رجل العصابات المساعدة فى قطع دابر الجواسيس والمخربين على أرصفة بروكلين Brook-lyn. وعلى الفور أبلغ لانزا وكيل النيابة وعميل البحرية باستعداده للمساعدة. وقال لانزا: "موافق ١٠٠ فى المائة. فأنا أريد أن أضع حدًا لحالات الغرق هذه."

ولكن اتضح أن لانزا ثرثار كبير. فبعد عدة أسابيع، قدم ذلك البلطجى لهافيندن القليل مما يفيد من معلومات. وكانت أهم مساهمة يقدمها هى تزويد جواسيس البحرية ببطاقات النقابة التى تمكنهم من دخول الميناء متخفين. كما اقترح إمكان مساعدة عملية تجسس مضادة بصورة كبيرة إذا جندت مساعدة الرأس الكبير وسأل هافيندن عمن يكون ذلك الرأس الكبير، فرد لانزا بأنه لاكى لوتشيانو. "إنه الرجل الذى يمسك السوط لكل عالم الجريمة."

كان اسم تشارلز "لاكى" لوتشيانو عند مولده فى قرية ليكارا فريدى Lecara Fred-di بالقرب من عاصمة صقلية باليرمو فى ١١ نوفمبر عام ١٨٩٧، هو سلفاتورى لوتشيانا Salvatore Luciana وفى عام ١٩٠٧ انتقلت عائلة لوتشيانو إلى مانهاتن السفلى، حيث وجد أبوه أنطونى عملاً فى مصنع للأسرّة النحاسية. واتجه تشارلز بسرعة إلى حياة الجريمة، وما إن حل عام ١٩١٦ حتى كان قد ألقى القبض عليه بتهمة بيع المخدرات، وكانت المرة الأولى فى سلسلة من المرات التى قبض عليه فيها على مدى العشر سنوات التالية بتهم تتراوح بين التعدى الإجرامى وتجارة المخدرات، ومن حيازة السلاح إلى التعامل المحظور فى الخمور. وكان الكثير من تلك المواجهات مع القانون نابعًا من كفاحه العنيف من أجل السيطرة على عصابة "الخمس نقاط" الشهيرة.

وفى عام ١٩١٨، شاءت الظروف أن يدخل لوتشيانو فى صحبة دامت نصف قرن وجعلته أقوى رجل من رجال الجريمة المنظمة فى العالم. ففى أواخر شهر أكتوبر من

ذلك العام، كان يقوم كالمعتاد بضرب إحدى مومساته بينما كان يراقبه بجزى سيجل Bugsy Siegel، ابن الرابعة عشرة وقتها، الذى لم يكن مرتاحًا لما يراه، وكانت فى يده مطواة. وعندما بلغت صرخات العاهرة الشارع، سمعها شاب اسمه ماير لانسكى اقتحم البيت المبنى من الحجر الرملى، وصعد الدرج، ودفع الباب بقوة، ولكم لوتشيانو فى مؤخرة رأسه وسحب رجل العصابات من على المرأة. وفى أعقاب لانسكى مباشرة، كانت شرطة نيويورك، التى قبضت فى التو على الجميع. وفى "البوكس" تجاذب لانسكى ولوتشيانو أطراف الحديث، وسرعان ما وجدا أن هناك مناطق كثيرة للاهتمام المشترك. وكان لانسكى فى ذلك الوقت صبيًا عبقريًا فى عصابة ليبكى Lepke وجوراه Gurrah التى كانت تسيطر على جزء كبير من تجارة الهيروين فى نيويورك.

ولم يمض وقت طويل حتى أقنع لانسكى لوتشيانو بأن الهيروين هو أفضل سلع السوق السوداء؛ فهو سهل التهريب. وكانت هناك فرصة لاحتكار السوق، كما أن المخدر يحقق قدرًا كبيرًا جدًا من الربحية. وأبعد دخول لوتشيانو نشاط المخدرات عن دونات المافيا الصقليين القدامى، الذين كانوا بعيدين عن تجارة المخدرات؛ ليس بدافع من أية مشاعر إنسانية، بل لأنهم ظنوا أنه ربما ليس هناك ما يدعو لاستعداء الشرطة. وفى ١٦ أكتوبر ١٩٢٩ اختطف الدونات الكبار لوتشيانو، وذهبوا به إلى مستودع فى نيو جيرزى New Jersey، وعلقوه من مرفقيه فى أحد عروق السقف، ووضعوا شريطًا لاصقًا على فمه، وضربوه بمضرب البيسبول، وشرَّحوا رقبته، وطعنوه بمخرز الثلج[1]، وتركوه ليموت، ولكن البلطجية لم يتأكدوا من موته، وكانت تلك غلطة كبيرة، لأن لوتشيانو نجح فى تخليص نفسه، ليبدأ على الفور الانتقام الشامل.

وعلى مدى السنوات الأربع التالية، تخلص لوتشيانو ولانسكى وزملاؤهما فى "مردر إنكوربوريشن" .Murder Inc ممن يزيد على سبعين من رؤساء عصابات الجريمة المنظمة على النمط القديم، وأنشئوا عصابة جريمة منظمة زعم لانسكى أنها على نمط شركة جون روكفلر John D. Rockfeller "ستاندارد أويل ترست" Standard Oil Trust. وكان مجلس إدارة العصابة يضم ليبكى، وجوراه، ولوتشيانو، ولانسكى، وسيجل، وأبنر "لونجى" زويلمان Abner "Longie" Zwellman، وفيتو جينوفيزى Vito Gevonese، ودتش شولتز

---

(١) آلة حادة تشبه المفك تستخدم فى تقطيع الثلج. **(المترجم)**

Dutch Schultz، وجو أدونيس Joe Adonis. وذات مرة تباهى لانسكى بأن إمبراطوريتهم الإجرامية "أكبر من شركة 'يو إس ستيل US Steel' ".

وكدأب بناة الإمبراطوريات، كان لانسكى ولوتشيانو يرغبان فى النظام وغياب المواجهات المثيرة للمشاكل والدموية مع القانون. ولتحقيق تلك الغاية، وضعا نظاماً واسع المدى للإكراميات السياسية والرشاوى. وكان يشرف على ذلك فى نيويورك فرانك كوستلو، الذى أطلق عليه السناتور ايستس كيفوفر Estes Kefauver[1] "رئيس وزراء" الجريمة. كما سعى الثنائى كذلك لفتح سوق فى الخارج لعمليات الهيروين التى يقومان بها، وسافر لانسكى مراراً إلى كوبا فى أوائل الثلاثينيات لعمل ترتيب مع فولخينثيو باتيستا، الدكتاتور الذى تسانده الولايات المتحدة، مما أتاح للعصابة احتكار عمليات القمار فى هافانا، بالإضافة إلى ضمان إنزال شحنات الهيروين الخاصة بهم المصنعة فى صقلية ثم فى مرسيليا بعد ذلك، وتخزينها هناك انتظاراً لتوزيعها فى الولايات المتحدة. ومقابل ذلك كانت نصف أرباح كازينوهات القمار تذهب إلى باتيستا وبطانته.

والرجل الذى اختاره لانسكى ولوتشيانو فيما بعد لإدارة أعمال القمار والمخدرات فى كوبا لمصلحة العصابة هو سانتوس تريفيكانتى، وهو رجل عصابات من مواليد صقلية يقيم فى تامبا. وصار ترافيكانتى ونجله سانتوس الابن صديقين حميمين لباتيستا. وبعد سنوات طلبت وكالة الاستخبارات المركزية من سانتوس الأب المساعدة فى قتل كاسترو وإعادة كوبا إلى جو الماهوجنى الذى تميز به عصر باتيستا.

وفى نيويورك، لم يتخل لوتشيانو عن اهتمامه بأعمال الدعارة التقليدية، ولكنه أضاف إليه وحسب سمة استثمارية. وتأكد لوتشيانو من إدمان العاهرات للهيروين وكان يدفع لهن أجورهن جرعات مذابة من المخدر. وكانت العاهرات المخدرات يجبرن على العمل لفترات طويلة، لدرجة أنه عندما بدأ توماس ديوى من مكتب وكالة مكافحة المخدرات فى مانهاتن فى مراقبة لوتشيانو، كانت المومسات حريصات على الشهادة ضده. وخوفاً من قمع ديوى، أوصى أحد رجال لوتشيانو، وهو دتش شولتز المصاب بالذهان[2]، باغتيال المحقق الذى يشن حملة عليهم. وشعر لوتشيانو ولانسكى - وكان

---

(١) ايستس "كارى" كيفوفر سياسى أمريكى وعضو مجلس النواب ثم مجلس الشيوخ، وقد أدار تحقيقاً حظى بقدر كبير من الدعاية عن الجريمة المنظمة فى عامى ١٩٥٠ و١٩٥١. **(المترجم)**

(٢) اضطراب عقلى حاد قد يكون مصحوباً بتلف عضوى فى المخ، ويتميز باضطراب الشخصية وفقدان الصلة بالواقع، كما يحدث تدهوراً فى أداء الوظائف الاجتماعية الطبيعية. **(المترجم)**

معهما الحق - أن ذلك يفتقر إلى الحكمة من الناحية السياسية، وبدلاً من ذلك أمرا القتلة فى "مردر انكوربوريشن" بقتل شولتز، وبذلك يكف ديوى عن لوتشيانو. وتحدثت العاهرات بصراحة مع فرانك هوجان، الذى أكسبه أسلوبه - الذى يليق بقس - فى الاستجواب لقب "الأب هوجان".

وأخيراً ألقى رجال ديوى القبض على لوتشيانو فى هوت سبرنجز بولاية أركانسو Hot Springs, Arakansas فى عام ١٩٣٦. وأثناء المحاكمة، كان ديوى، الذى كان طموحه السياسى كبيرا، هو الخبر الرئيسى فى صفحات الصحف الأولى يوماً بعد الآخر، وفى النهاية ضمن إدانة زعيم الجريمة فيما لا يقل عن اثنين وستين اتهاماً بالأعمال الإجرامية. وحُكم على لوتشيانو بالسجن من ثلاثين إلى خمسين سنة، وبناء على توصية من الطبيب النفسى بالسجن، الذى أشار إلى مزاجه العنيف وتاريخه فى تعاطى المخدرات، حُكم عليه بالسجن الانفرادى فى أشد سجون نيويورك وحشية، وهو سجن دانيمورا Dannemora، باعتباره النزيل رقم ٩٢١٦٨.

وفيما بين ١٩٣٦ و١٩٤٢، قام لاكى لوتشيانو بثلاث محاولات للحصول على عفو أو تخفيف للحكم، وكان يقابل بالرفض فى كل مرة. وبعد ذلك، وبناء على اقتراح من جون لانزاس تقدم به إلى مدير مكتب الاستخبارات البحرية هافيندن، تغير حظ لوتشيانو فجأة. وقامت الاستخبارات البحرية بأول جس نبض لموقف لوتشيانو من خلال محامى لوتشيانو، موزس بولاكوف Moses Polakof، وهو محقق فيدرالى سابق عمل من قبل فى الاستخبارات البحرية فى الحرب العالمية الأولى، وكانت تربطه صلات قوية بالبحرية منذ ذلك الوقت - وقيل إن بولاكوف حصل على أتعاب مقدارها ١٠٠ ألف دولار مقابل ما أداه من أعمال للوتشيانو فى محاكمة ١٩٣٦، وهو مبلغ ضخم جداً فى ذلك الوقت.

أبلغ بولاكوف هافيندن وكيل النيابة جورفين أنه يسعده مساعدة البحرية بأية طريقة يقدر عليها، وبأنه يشعر أن هذا سيكون كذلك موقف لوتشيانو - وأضاف بولاكوف أنه "إذا سعى لوتشيانو سعياً صادقاً فى تقديم خدماته، فلا بد أن يتذكروا ذلك فيما بعد". ولكن بولاكوف قال إن هناك مشكلة. فقد زعم أنه لا يعرف لوتشيانو على المستوى الشخصى بحيث ينقل له مثل هذا العرض، إلا أن المحامى أشار إلى معرفته الوسيط المناسب، وهو شخص " على أعلى درجة فى وطنيته، أو حبه لبلدنا، بغض النظر عن سمعته." وكان بولاكوف يتحدث عن ماير لانسكى.

وهكذا التقى هافيندن وجورفين وبلاكوف فى ١١ أبريل ١٩٤٢ مع لانسكى على الإفطار فى "لونشاه" Longchaps، وهو مطعم فى الشارع الثامن والخمسين فى مانهاتن، وقال لانسكى إنه سيكون على استعداد لعرض الاقتراح على لوتشيانو، ولكنه أشاد بأن رجل العصابات قد يكون أكثر تعاونًا لو نُقل من شدة دانيمورا إلى حبس أقل تقشفًا، وعلى الفور أرسل مكتب الاستخبارات البحرية خطابًا إلى مفوض سجون نيويورك جون ليونز John A. Lyons، يطلب منه نقل لوتشيانو إلى "منشأة أفضل"، حيث يمكن لضباط مكتب الاستخبارات البحرية و"آخرين" التحقيق معه. وتسجل إحدى مذكرات مكتب الاستخبارات البحرية أن "فرع مكتب الاستخبارات طلب نقل تشارلز 'لاكى' لوتشيانو من سجن كلينتون [وهو سجن دانيمورا] إلى سجن جريت ميدوز لكى يكون الوصول إليه أيسر ... وقد نصحونا بأن نتصل بلوتشيانو بعد ذلك، وقيل لنا إن تأثيره على مصادر الجريمة الأخرى يؤدى إلى تعاونها مع الاستخبارات البحرية، وهو ما يعتبر مفيداً للبحرية".

وفى ١٢ مايو نقل لوتشيانو إلى جريت ميدوز، وهو سجن جديد نسبياً خارج ألبانى وسمح ليونز للوتشيانو بمقابلة لانسكى، كما سمح بأن تجرى المقابلة بدون الإجراءات المنية المعتادة بالنسبة للزوار، مثل أخذ البصمات وحضور أحد الحراس. وذكر جون ليونز مفوض السجون أنه قدم تلك التنازلات راضيًا للوتشيانو "لإنقاذ حياة جندى أمريكى واحد على سفينة أمريكية واحدة".

وفى ١٧ مايو سافر لانسكى وبولاكوف بالقطار إلى جريت ميدوز ونقلا للوتشيانو طلب الاستخبارات البحرية التعاون معها. وفى وقت لاحق شهد لانسكى بأن لوتشيانو فى أول الأمر كان متردداً فى قبول اقتراح البحرية، ثم وافق بعد ذلك شريطة أن يظل ذلك الترتيب سراً. ويقول لانسكى: "كان هناك أمر ترحيل مرفق بأوراقه. ولم يكن يريد أن يصبح تعاونه مع الحكومة الأمريكية معروفًا، لأنه حين يُرَحَّل ويعود إلى إيطاليا قد ينفذ فيه حكم الإعدام بلا محاكمة. فقد كان يخشى الأذى البدنى." ولم يكن لدى ضباط الاستخبارات مشكلة بالنسبة لطلب لوتشيانو، ذلك أنهم هم أنفسهم كان لديهم الدافع لتكتم الأمر.

وفى اللقاءات التالية، حدد لانسكى ولوتشيانو تفاصيل إدارة العملية الخاصة بما تحرص البحرية على الحصول عليه – وهو أمر من عصابات الجريمة المنظمة إلى عمال

الميناء بالتعاون مع الجهود المضادة للتخريب. وطلب لوتشيانو من لانسكى أن يتصل بجونى "كوك أيد" دن Johnny "Cockeyed" Dunn، رئيس عمال نهر هدسون ورجل لوتشيانو القوى فى الاتحاد الدولى لعمال الشحن والتفريغ؛ وبالأخوة كمارادا Camara-da، المهيمنين على الواجهة البحرية لبروكلين؛ وميكى لاسكارى Mikey Lascari، صديق طفولة لوتشيانو الذى كان يتولى عمليات نيو جيرزى؛ وفرانك "ذا هاندس" كوستيلو Frank "the Hands" Costello، نصير لوتشيانو السياسى؛ وألبرت أناستاسيا Albert Anastasia، المدير التنفيذى لمردر إنكوربوريشن الذى يتولى أمر كل من يخرج عن الخط. وقال لوتشيانو للانسكى: "اذهب واذكر اسمى وفى الوقت نفسه سوف أرسل أنا مرسالاً ولن تجد أية صعوبات."

وعلى امتداد الأسابيع التالية كانت هناك رحلات دائمة لزعماء المافيا إلى سجن جريت ميدوز لتلقى التوجيهات من لوتشيانو شخصيًا، وكان من بين الزوار الذين يحملون موافقة مفوض السجون ليونز نفسه لانزا، وكوستيلو، وجو أدونيس، وبجزى سيجل. وكانت العبارة التى استخدمها المفوض ليونز لتبرير تلك الزيارات هى أن "النزيل قد يساعد فى المجهود الحربى".

وفى الوقت ذاته كان لانسكى يلتقى بهافيندن وغيره من ضباط الاستخبارات البحرية فى مقرهم بفندق أستور، حيث كانوا يشرفون على تسلل عملاء الاستخبارات البحرية إلى أرصفة الميناء وداخل النقابات العاملة هناك، وكان ذلك هو الوقت الذى يجرى فيه إرسال الشحنات الخاصة من المعدات الحربية لغزو أوروبا المزمع إلى بريطانيا العظمى وشمال أفريقيا. ولم تكن البحرية قلقة فقط من التخريب، بل كذلك من التوقف عن العمل والإضرابات – وخاصة الجهود المنظمة التى يقوم بها هارى بريدجز Harry Bridges منظم النقابات أسترالى المولد الذى تربطه علاقات وثيقة بالحزب الشيوعى، وقاد الإضراب العام سنة ١٩٣٤ فى ميناء سان فرانسيسكو. وكانت وزارة العدل مشغولة فى محاولة ترحيل بريدجز حين ظهر على الساحل الشرقى عام ١٩٤٢، حيث كان يتنقل بين بوسطن ونيويورك مشجعًا عمال الميناء على ترك الاتحاد الدولى لعمال الشحن والتفريغ ـ الذى يكثر فيه رجال الجريمة المنظمة ـ والالتحاق بالاتحاد الدولى لعمال الشحن والتفريغ وعمال المخازن الخاصة به.

ولم تكن تلك هى المرة الأخيرة التى يكون فيها تلاق فى المصالح بين المنظمات الإجرامية والمنظمات الاستخبارية لسحق النقابات الراديكالية. وسوف نرى القصة نفسها تتكرر فى شنغهاى وفى إيطاليا وفرنسا ما بعد الحرب. ولتشجيع اتحادات الجريمة والمخدرات وسحق الحركات السياسية المستقلة، لم تتردد وكالة الاستخبارات المركزية وسابقاتها لحظة واحدة فى خلق قضية مشتركة مع المجرمين. ولننظر إلى ذلك الحديث الودى بين هافيندن وجوى "سوكس" لانزا عام ١٩٤٢، حيث كانا قلقين بشأن أحد الأنشطة التنظيمية لبريدجز، الذى أعطى الاسم الكودى "كوبرى بروكلين" Brook-lyn Bridge. وقد سجل المكالمة وكيل نيابة مانهاتن فرانك هوجان، الذى كانت له عينه الخاصة على الشراكة بين الاستخبارات البحرية وعصابات الجريمة المنظمة:

هافيندن: "ماذا عن موضوع كوبرى بروكلين؟"

لانزا: "لا شىء بخصوص هذا الموضوع."

هافيندن: "لا أريد أية مشاكل على الواجهة البحرية فى الأوقات الحرجة."

لانزا: "لن تكون هناك أية مشاكل. سوف أهتم بذلك. وسوف أتصل بك. وسوف نلتقى."

هافيندن: "وهو كذلك يا سوكس."

وقد فض بلطجية الجريمة المنظمة إضراب بريدج المزمع بإشراف لانزا وألبرت أنستاسيا، وهو الرجل الذى وصفه لوتشيانو بأنه "مستعد لقتل أى إنسان يخطر على باله أنه غضبان منه. وعندما ظهر بريدجز فى اجتماع تنظيمى فى مدينة نيويورك بعد بضعة أيام، عالج لانزا الأمر بنفسه. ويقول لانزا: "تعاركت معه. ضربته بقوة، وكان ذلك كل ما فى الأمر." وفيما بين ١٩٤٢ و١٩٤٦، كانت هناك ست وعشرون جريمة قتل لم يعرف الفاعل فيها راح ضحيتها منظمو عمال وعمال شحن وتفريغ، وكان من المفترض أن المافيا التى تعمل بالتواطؤ مع الاستخبارات البحرية قتلتهم وألقت بجثثهم فى النهر.

وإذا كان على المرء أن يعمل كشف حساب بشأن من استفاد أكثر من شراكة الاستخبارات البحرية وعصابات الجريمة المنظمة، لكانت النتيجة هى بالتأكيد أنهم رجال العصابات. فقد أثبتت الشراكة فى المقام الأول أنها قاتلة لتنظيم العمال الصادق وأسفرت عن تدمير العصابات والفساد لفروع النقابات على الساحل الشرقى، إلى

جانب الاتحاد الدولى لعمال الشحن والتفريغ. إلا أن انتصارات الاستخبارات ليست خالصة على الدوام. وكانت أنجح عملية تتعلق بزيارة السناتور ديفيد والش David Walshمن ماساتشوستس إلى ما أطلق عليه هو "بيت سيئ السمعة". والمنشأة موضع الحديث هى ماخور للذكور فى إيست ريفر East River يمتلكه أمريكى من أصل ألمانى يتعاطف مع هتلر والرايخ الثالث، وأبلغ لانسكى هافيندن بشأن رعاية والش. وعلى الفور أوحى اسم السناتور بفكرة. ويذكر هافيندن أن والش كان جالسًا فى لجنة مجلس الشيوخ التى تشرف على البحرية، وطلب منه بلطف أن يبحث عن متعته فى مكان أكثر وطنية (ولا شك فى أن عضو مجلس الشيوخ الطيب شعر أنه من الضرورى أن يصوت لمصلحة ميزانية أكبر للبحرية طوال الفترة التى قضاها فى مجلس الشيوخ). وبعد ذلك بفترة قصيرة جرت مداهمة الماخور، وألقى القبض على صاحبه وثلاثة من العملاء النازيين وأدينوا جميعًا بالتجسس وحكم على كل منهم بالسجن لمدة عشرين عامًا.

وكان للبحرية الفضل فى ضربة استخبارية أكثر أهمية فى صقلية. ففى يناير ١٩٤٣ التقى ونستون تشرشل بروزفلت FDR[1] فى الدار البيضاء للتخطيط لغزو جنوب أوروبا. واختيرت صقلية كنقطة بداية للهجوم إلا أنه كانت هناك مشاكل بالنسبة لهذا الاختيار. فقد كان الحلفاء تنقصهم الخرائط، وجداول المد والجزر، ومواقع أرصفة الموانئ، والمعلومات الاستخبارية الطوبوغرافية ذات الصلة بذلك وكان هناك ٤٠٠ ألف من قوات المحور[2] فى صقلية، ورغم وجود أنصار للحلفاء، فإن المعلومات الخاصة بهم لم تكن واضحة، وأصدر مكتب الاستخبارات البحرية توجيهات إلى الكوماندير هافيندن بإجراء مقابلة مع المهاجرين حديثًا من صقلية، وهو ما قام به بالفعل، ومرة أخرى بمساعدة من لوتشيانو، الذى عهد بالأمر إلى جو أدونيس. وجمع أدونيس، الذى قال عنه السناتور ايستيس كيفوفر إنه "أكثر رجال العصابات جميعًا شرًا"، المئات من الصقليين لإجراء المقابلات مع ضابطى مكتب الاستخبارات البحرية بول ألفييرى Paul Afieri وأنطونى ماررزولا Anthony marzulla ومع رسام الخرائط بالمكتب جورج

(١) الرئيس الأمريكى الثانى والثلاثون للولايات المتحدة فرانكلين ديلانو روزفلت الذى تولى الرئاسة من ١٩٣٦ حتى ١٩٤٤ ومات وهو فى السلطة. **(المترجم)**

(٢) التحالف الذى قام بين ألمانيا وإيطاليا عام ١٩٣٦ ثم انضمت إليه اليابان وغيرها بعد ذلك وكان معارضًا للحلفاء فى الحرب العالمية الثانية. **(المترجم)**

تاربوكس George Tarbox. وأسفرت تلك المقابلات عن أكثر من ٥ آلاف ملف، أرسلت نسخ منها إلى مخططي الغزو في واشنطن. ووضع تاربوكس كذلك خرائط ذات مقياس رسم كبير تبين الطرق والممرات الجبلية والموانئ ومواقع المتعاطفين المحتملين.

وكانت تلك هي النقطة التي بدأت عندها فكرة إرسال لوتشيانو إلى صقلية قبل الغزو "للاتصال بالسكان المحليين هناك وكسبهم دعمًا للمجهود الحربي الأمريكي" تراود هافيندن. وقد وضع خطة مفصلة لجعل حاكم نيويورك توماس ديوي Thomas Dewey يصدر عفواً عن لوتشيانو، وتزويد رجل العصابات بتلك الأوراق وإرساله إلى البرتغال ومن ثم إلى صقلية، ووصل الاقتراح إلى وزير البحرية، الذي رفض الخطة على الفور. وكان على لوتشيانو أن يبقى في سجن جريت ميدوز ثلاث سنوات أخرى.

وذهب مع أول موجة من موجات قوات الحلفاء الغازية عام ١٩٤٣ العديد من الضباط المزودين بمعلومات مرت من خلال مصفاة هافيندن/لوتشيانو. وكان يقود هؤلاء اللفتنانت بول ألفييري. وبعد الإنزال مباشرة، أجرى ألفييري اتصالات مع أعضاء المافيا الصقلية الذين أرشدوه إلى مقر قيادة البحرية الإيطالية وساعدوه في الغارة الليلية التي أتت لهم بخرائط الألغام وكتب الشفرة والتفاصيل الخاصة بأماكن نشر قوات المحور.

وكان ذلك انتصاراً بالتأكيد، ومن الصعب تحديد مدى مساهمته في نجاح الغزو. إلا أنه من المؤكد أنه يمكننا القول بأن المافيا الصقلية حصلت على فائدة ضخمة من الشراكة. فقد أطلق سراح المئات من أفراد المافيا الذين كانوا في السجون. وعند إقامة سلطة مدنية في صقلية، جعل الحلفاء العشرات من زعماء المافيا عُمداً. ومن هؤلاء دون كالوجيرو فيتسينسي. بل بلغ الأمر بقادة الحلفاء أن منحوا دون كالو رتبة الكولونيل الشرفية؛ وقد رد الجميل باستخدام سلطته للقضاء على منافسيه وتدمير نسخ سجله الإجرامي.

ويكتب المؤرخ الصقلي فرانشيسكو ريندا Francesco Renda في كتابه الشامل عن الغزو أنه "كان من المستحيل ألا ينتصر الحلفاء. وتوصل من كانوا لا يزالون يملكون مقدراتهم في أيديهم، كي يفكروا ويقرروا بعقولهم هم، إلى النتائج اللازمة ... وكانت آلية تلويث المافيا لإدارة الجزيرة وحكومة الحلفاء العسكرية تحرك نفسها بطريقة عفوية تماماً، وكذلك أي أنها لم تواجه أية عقبة من جانب العديد من ضباط الشئون المدنية."

والمسئول الرئيسى الذى كان يشرف على هذا الانتصار الذى حققه رجال العصابات، وسيكون له أثره على صقلية فى الجيلين التاليين، هو رئيس حكومة الحلفاء العسكرية AMGOT لجنوب إيطاليا وصقلية الكولونيل تشارلز بوليتى Charles Poletti، نائب حاكم نيويورك السابق. وبما أن بوليتى كان عليمًا بشئون نيويورك، فلا يمكن أن يكون جاهلاً بتلك الخلفية المظلمة للرجل الذى اختاره ليكون مترجمه، وهو فيتو جينوفيزى. وكان جينوفيزى الوحشى مدير شبكة لوتشيانو للقمار والمخدرات فى نيويورك حتى عام ١٩٣٦، حين هرب من نيويورك فرارًا من اتهام توماس ديوى له بقتل خصميه من رجال العصابات ويلى جالو Wilie Gallo وفرديناند "ذا شادو" بوتشيا Ferdinand "The Shadow" Boccia. وعندما ذهب جينوفيزى إلى نابولى، أعطى لوتشيانو توجيهات لماير "للتأكد من أن فيتو نزل على قدميه".

ولمعرفة جينوفيزى بعداوة موسولينى لكوزا نوسترا Cosa Nostra[1]، فقد وصل إلى إيطاليا حاملاً الهدية المناسبة للدوتشى، وكانت عبارة عن ٢٠٠ ألف دولار نقدًا. وقد انتعشت الصداقة بين موسولينى وجينوفيزى بعد تخصيبها بهذه الطريقة، إلى حد أنهما كانا يتناولان العشاء معًا، وكان موسولينى يتقصى من جينوفيزى عن الثقافة الأمريكية، وخاصة أفلام السينما. وبحلول عام ١٩٤٢ كان جينوفيزى عميلاً فى شراكة لوتشيانو/الاستخبارات البحرية وكان يمثل حلقة بين جواسيس البحرية وزعماء المافيا غربى صقلية، وخاصة دون كالو. وعندما وصل بوليتى (الذى وصفه لوتشيانو فيما بعد بأنه "صديق جيد لنا") إلى نابولى ليتخذها مقرًا كرئيس للحكومة العسكرية للحلفاء فى جنوب إيطاليا وصقلية، رحب به جينوفيزى بهدية عبارة عن سيارة "باكار" موديل، ١٩٣٩.

واستفاد جينوفيزى استفادة تامة من منصبه بجوار بوليتى لتعزيز عمليات السوق السوداء الخاصة به فى نابولى، حيث كان يستخدم شاحنات الحلفاء العسكرية بالتعاون مع دون كالو لتهريب زيت الزيتون والسكر وغيرهما من السلع عبر موانئ الحلفاء فى صقلية، ليؤيد بذلك نفس التخريب الذى لجأ مكتب الاستخبارات البحرية إلى عصابات الجريمة المنظمة فى نيويورك لضربه.

وتحـــــرى أورانج ديكى Orange Dickey، وهو عميل سابق بمكتب التحقيقات الفيدرالى يعمل مع الجيش الأمريكى ويحقق فى عمليات السوق السوداء فى إيطاليا،

---

(١) عصابة جريمة منظمة نشطة فى أنحاء الولايات المتحدة، تتميز بهيكلها التنظيمى التراتبى. وهى تضم عائلات مستقلة محليًا ويعتقد أن لها علاقة قوية بمافيا صقلية. **(المترجم)**

عن مشروع جينوفيزى-دون كالو، وألقى القبض على جينوفيزى وأعاده إلى نيويورك ليحاكم. وبعد وفاة الشاهد الرئيسى ضده - بما "يكفى من السم لقتل ثمانية خيول" - أفرج عن جينوفيزى وانتعشت أحواله بشدة بعد ذلك، حيث أصبح من جديد رئيسًا لعمليات لوتشيانو الخاصة بالمخدرات فى نيويورك، ليصبح فى النهاية زعيم المدينة وأكثر رجال العصابات تعطشًا للدماء.

وفى ٨ مايو ١٩٤٥ ـ يوم الانتصار[1] ـ تقدم موزس بولاكوف بالتماس إلى الحاكم توماس ديوى، طالبًا العفو عن لوتشيانو بسبب ما قدمه رجل العصابات من "مساعدة قيمة ومهمة لسلطات الجيش الأمريكى، وهى المعلومات والمساعدة التى اعتُرف بدورها فى الحرب"، وتضمن التماس بولاكوف خطابًا من الكوماندير هافيندن مدير الاستخبارات البحرية الذى أثنى على دور لوتشيانو الوطنى: "إنى على ثقة من أن الجزء الأكبر من المعلومات الاستخبارية التى تكونت خلال الحملة الصقلية كانت مسئولة مسئولية مباشرة عن ذلك العدد من الصقليين الذى نتج عن اتصالات تشارلز 'لاكى' لوتشيانو".

وطلب بولاكوف كذلك خطاب تأييد من وكيل النيابة السابقة موراى جورفين، وكان وقتها ضابطًا برتبة كولونيل فى مكتب الخدمات الاستراتيجية، ولكن ما أثار امتعاض بولاكوف هو أن جورفين الماكر أرسل الخطاب إلى وكيل النيابة هوجان وطلب منه عدم نشره إلا فى حال موافقة الاستخبارات البحرية، وبالطبع كانت الاستخبارات البحرية تريد أن يظل الأمر طى الكتمان.

وفى ٣ ديسمبر ١٩٤٥ صوّت مجلس تخفيف الأحكام فى ولاية نيويورك بالإجماع بمنح العفو للوتشيانو، مع شرط ترحيله إلى إيطاليا. وكان ذلك الإجراء ممكنًا، لأن لوتشيانو، على العكس من والده وأشقائه، لم يكن قد حصل على المواطنة الأمريكية. وظل ديوى يدرس الأمر لمدة شهر، وكانت تقدم له خلاله بهدوء مشورة كبار الشخصيات والأصدقاء: وزير البحرية جيمس فوريستال James Forestal، وجون فوستر دالاس John Foster Dulles[2]، ومدير مكتب الخدمات الاستراتيجية آلن دالاس Allen Dalles[3]. وفى ٣يناير ١٤٦ وافق ديوى على قرار المجلس وخفف الحكم على لوتشيانو،

(١) اليوم التالى لانتحار هتلر وفيه استسلمت القوات المسلحة الألمانية استسلاماً رسمياً لينتهى بذلك الرايخ الثالث الذى أقامه هتلر. **(المترجم)**

(٢) صار فيما بعد وزيراً للخارجية من ١٩٥٣ حتى ١٩٥٩. **(المترجم)**

(٣) مدير وكالة الاستخبارات المركزية من ١٩٥٣ حتى ١٩٦١. **(المترجم)**

قائلاً بشكل رسمي: "عند دخول الولايات المتحدة الحرب، سعت الخدمات العسكرية للحصول على مساعدة لوتشيانو لإقناع آخرين بتقديم معلومات تتعلق بهجوم العدو المحتمل. ويبدو أنه تعاون في هذا الجهد، وإن كانت القيمة الفعلية للمعلومات التي تم الحصول عليها غير واضحة."

وفي ٩ فبراير تجمع حشد فرح من رجال العصابات المنظمة على سفينة الشحن "لورا كين" Laura keene التي اقتيد لوتشيانو إليها، بعد الإفراج عنه من سجن جريت ميدوز. وكان فرانك كوستيلو وجو أدونيس وميكي لاسكاري وماير لانسكي يرفعون كئوس الشمبانيا ويلتهمون الإستاكوزا، وقد جاءوا للوتشيانو بحقيبتي سفر، أولاهما تحتوي على ملابس والثانية مليون دولار نقداً. وعندما وصل لوتشيانو إلى إيطاليا، استقبلته فرقة موسيقية ترتدي زياً بالألوان الحمراء والبيضاء والزرقاء وتعزف موسيقى نشيد "النجوم والخطوط إلى الأبد".

وبعد أن استقر لوتشيانو في نابولي، بدأ على الفور عمليات السوق السوداء التي تركها فيتو جينوفيزي. فقد كانت مشروعاً مربحاً. وقال أحد تابعي لوتشيانو فيما بعد إنهم "كانوا يشترون قنطار الحبوب من مجلس المزارع بألفي ليرة ويبيعونه في السوق السوداء بأكثر من ١٥ ألف ليرة". كما أقام علاقات تجارية مع دون كالو في صقلية، حيث أنشأ عدداً من الشركات ليغطي بها نشاطه الحقيقي، ومنها مصنع للحلوى، وشركة لتوريدات المستشفيات، ومشروع لتصدير الفاكهة. بل إن رجال العصابات دخلوا في صفقات عقارية مع الأميرة الفرنسية أنَّا Anna. ولم يكن لوتشيانو زعيم المافيا الوحيد الذي رُحِّل. فعلى مدى الخمس سنوات التالية تبعه إلى إيطاليا أكثر من ٥٠٠ من رجال العصابات إيطاليي الأصل. وكان هؤلاء المجرمون بمثابة قوة العمل الأساسية لأهم مشروعات لوتشيانو، وهو إحياء إمبراطورية المخدرات العالمية الخاصة به.

وكان اسم اللعبة لا يزال هو الهيروين. وفي البداية استطاع لوتشيانو الحصول على إمداد رخيص ويكاد يكون غير محدود من مصدر قانوني، وهو شركة سكياباريللي Schiaparelli، وهي شركة أدوية عملاقة مركزها ميلانو. فكان لوتشيانو يشتري ٢٠٠ كيلو - ما يقرب من ربع الطن - من هيروين سكياباريللي كل عام، ويشحنه إلى كوبا، حيث يخلط بمواد أخرى ثم يُهرَّب إلى ميامي ونيويورك. وكان يشرف على عمليات كوبا سانتوس ترافيكانتي ونجله سانتوس الابن.

وكان لوتشيانو شديد الاهتمام بكوبا، وزار الجزيرة عام ١٩٤٧، حيث عقد اجتماعًا لمجلس الجريمة الوطنى الخاص به. وحضر الاجتماع نفسه جينوفيزى ولانسكى وأنستاسيا وسام جيانكا، حيث وضعت خطة تحركات شبكة الهيروين الجديدة، ووضعت اللمسات الأخيرة على خطط ضرب بجزى سيجل كما كان لوتشيانو يعتزم الاستقرار فى هافانا. وعندما بلغت تلك الأخبار هارى أنسلينجر رئيس مكتب المخدرات والعقاقير الخطيرة، أقنع قيصر المخدرات فلولخينثيو باتيستا أن وجود لوتشيانو فى هافانا سيسبب حرجًا للديكتاتور الذى تدعمه الولايات المتحدة، ويشير تقرير للمكتب يعود إلى تلك الفترة إلى أن لوتشيانو جعل من "كوبا مركزًا لكل عمليات المخدرات الدولية".

كما مارس أنسلينجر كذلك ضغطًا على الحكومة الإيطالية كى تلغى المبيعات القانونية لهيروين سكياباريللى، التى أوقفت فى النهاية فى عام ١٩٥٠. وكان لوتشيانو مستعدًا لذلك الاحتمال، حيث أقام علاقة مع سامى الخورى، تاجر الأفيون اللبنانى. وكان الخورى، الذى كان يستعمل أموال لوتشيانو لشراء ذمم الشرطة اللبنانية ورجال الجمارك اللبنانيين، يجلب الأفيون الخام الذى يزرع فى هضبة الأناضول بتركيا لبيروت، حيث كان يصنعه ليصبح قاعدة مورفين. ومن لبنان، كانت قاعدة المورفين تشحن إلى معامل الهيروين الخاصة بلوتشيانو فى صقلية، ثم إلى مارسيليا. وكان المخدر يشحن بعد ذلك إلى كوبا، غالبًا داخل برتقال من الشمع، تحتوى الواحدة منه ١٢٠ جرامًا من الهيروين.

استمر التسامح الذى عوملت به شبكة مخدرات لوتشيانو حتى الخمسينيات، ومع أن أنسلينجر أرسل العديد من عملاء مكتب المخدرات والعقاقير الخطيرة، وكان أبرزهم تشارلز سيراجوزا Charles Siragusa، لتتبع كل تحركات لوتشيانو فى إيطاليا، فإنهم لم يقبضوا على أحد. والواقع أنه حتى عام ١٩٥٦ لم يلق القبض على شخصية مهمة فى تراتب الهيروين، حتى وإن أمسك سيراجوزا ذات مرة بلوتشيانو ومعه حوالى نصف طن من الهيروين المعد للشحن إلى هافانا. لقد كان لاكى لوتشيانو الدون الأصلى الذى لا يلتصق به شىء.

وكانت البحرية تراقب ظهور لوتشيانو من جديد، باعتباره أمير الجريمة الأول فى العالم، بخوف وحذر. وعندما بدأ الكلام عن دور مكتب الاستخبارات البحرية فى

الإفراج عنه من السجن يتسرب إلى الصحافة (حيث كان والتر ونتشل Walter Win-chell يرى أن لوتشيانو يستحق فى الواقع أن يمنحه الكونجرس وسام الشرف)، أسرعت البحرية بإخفاء كل الآثار. فقد طُلب من موظفى الأرشيف فى الاستخبارات البحرية أن يجمعوا ويدمروا ويحرقوا" كل السجلات والخرائط التى جاءت نتيجة للعلاقة الاستخبارية بين لوتشيانو والاستخبارات البحرية. كما طُلب من كل العملاء الذين شاركوا فى القضية أن ينكروا أية علاقة لهم بأفراد عصابات الجريمة المنظمة. وبناء على تلك الأوامر أبلغ الكابتن ماكفول "نيويورك تايمز" فى عام ١٩٤٨ أن لوتشيانو لم يقدم شيئًا للمجهود الحربى.

وفى عام ١٩٥٠ كان هناك اتهام لتوماس ديوى من خصمه فى السباق على منصب الحاكم النائب والتر لينش Walter Lynch بتقاضى رشوة من لوتشيانو. وتبعت ذلك الاتهام قصة إخبارية فى مجلة "ترو" True التى ادعت أنها تنقل عن لوتشيانو نفسه تباهيه بأنه قدم للحزب الجمهورى فى نيويورك مبلغ ٧٥ ألف دولار لإخراجه من دانيمورا. ونفى كل من لوتشيانو ولانسكى القصة فيما بعد، حيث أشار لانسكى منذرًا إلى أن الصحفيين الذين سينقلون كلامًا غير صحيح عن لوتشيانو سيتحملون تبعة ذلك. وعندما نُقل علنًا عن الكوماندير هافيندن تأكيده تعاون لوتشيانو مع عملاء البحرية، بدأت البحرية تلطخ سمعة هافيندن، حيث قالت للبعض إنه غير متزن من الناحية العقلية، وقالت لآخرين إنه ربما يكون قد دخل فى شراكة غير مشروعة مع عصابات الجريمة المنظمة فى الأربعينيات ويحاول الآن تغطية نفسه.

وفى عام ١٩٥١، حاولت جلسة استماع عن الجريمة المنظمة رأسها عضو الحزب الشعبى فى تنيسى إيستس كيفوفر تتبع القصة. ولم تتحدث المافيا، وأنكر مسئولو وكالة الاستخبارات المركزية (الذين كانوا يتحدثون نيابة عن أسلافهم فى مكتب الخدمات الاستراتيجية) ومكتب الاستخبارات البحرية بشدة وجود أية علاقة فى زمن الحرب مع لوتشيانو. وتبع ذلك اتهام غريب من عضو مجلس الشيوخ، الديمقراطى، عن الولاية لويس سيوفى Louis Cioffi فى قاعة مجلس نيويورك العام بألبانى أن لوتشيانو قدم لديوى رشوة مقدارها ٣٠٠ ألف دولار.

وكان هناك سبب كبير للشك فى احتمال زرع البحرية لقصص ضد ديوى، لتغطية آثارها هى من ناحية، ولرد الضربة للحاكم بسبب الانتقادات التى وجهها ديوى فى

لجنة الاستخبارات أثناء سعيه ضد ترومان Truman[1] عام ١٩٤٨، ومن المفارقة أن هجمات ديوى على سياسة ترومان الخارجية كانت من وضع مستشاريه السياسيين جون فوستر دالاس ووزير البحرية جيمس فوريستال. وبعد أن علم ترومان بتعاملات ديوى السرية، أُبلِغ وزير البحرية أن أيامه فى الحكومة معدودة. وفى آخر يوم له فى البحرية، جلس على مكتبه فى حالة أشبه بالتنويم المغناطيسى لعدة ساعات، وكان يتمتم قائلاً إن الشيوعيين ورجال العصابات واليهود قضوا عليه. وانتهى الحال بفوريستال فى مستشفى بيذزدا البحرى Bethesda Naval Hospital. وفى ٢٢ مايو ١٩٤٩، وبينما كان فوريستال ينسخ ترجمة لمسرحية "أجاكس" Ajax لسوفوكليس Sophocles، أخرج أستك البيجامة وحاول شنق نفسه من نافذة مفتوحة. وانقطع الأستك وسقط هو من ارتفاع ١٢٠ قدمًا ومات.

وفى عام ١٩٥٤، حين وصلت الادعاءات ضد ديوى ذروتها، بدا مفوض التحقيقات فى نيويورك ويليام هيرلاندز William Herlands تحقيقًا فى الأمر. وقد استدعى هيرلاندز للشهادة زعماء المافيا، وأعضاء مكتب وكيل النيابة بنيويورك، وإدارة السجون. وقد نقب فى مئات الساعات من أشرطة المحادثات بين جواسيس البحرية وزعماء المافيا، وحينذاك اصطدم هيرلاندز بجدار فى البحرية الأمريكية. فقد قال مكتب الاستخبارات البحرية أنه سيوافق على التعاون بثلاثة شروط، وهى عدم تسليم أية معلومات محظورة، ومراقبة ضباط أمن البحرية لكل المقابلات التى تجرى مع العملاء السابقين، وألا ينشر تقرير هيرلاندز النهائى.

وكان لدى مدير مكتب استخبارات البحرية، العميد بحرى كارل إسب Carl Espe، مبرر معقول لخوفه من أن نشر تقرير هيرلاندز "قد يلحق الضرر بالبحرية ... [و] يُعَرِّض أية عمليات ذات طابع مشابه فى المستقبل للخطر". وقال إسب فى خطاب بعث به إلى هيرلاندز: "قد يبدو من المحتم أن يوحى نشر هذا التقرير بطفح من القصص "المثيرة" ... ومن الصعب تخمين المدى الذى سيتوقف عنده المروجون غير المسئولين فى بحثهم عن القطع المثيرة لشهية الجمهور. ووجود احتمال لإحراج البحرية أمر واضح."

---

(١) هارى ترومان الرئيس الثالث والثلاثون للولايات المتحدة فى الفترة من ١٩٤٥ حتى ١٩٥٣. وهو الذى صرح بإلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما ونجازاكى اليابانيتين(١٩٤٥) ونفذ مشروع مارشال (١٩٤٨) وبدا إنشاء حلف الناتو (١٩٤٩) وأمر بتدخل الولايات المتحدة فى الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣). **(المترجم)**

خضع هيرلاندز لطلبات البحرية. وقد استخرج شهادات من ماكفول وألفييرى وغيرهما من عملاء البحرية الذين شاركوا فى عملية لوتشيانو. كما تعقب قائد برنامج الاستخبارات المضادة بالبحرية الذى كان يقيم وقتها فى بورتلاند بولاية أوهايو Port-land, Ohio، حيث اعترف بأن الصفقات التى عقدها مع عصابات الجريمة المنظمة كانت تحظى بالموافقة على أعلى مستوى فى الحكومة الأمريكية. وتضمن تقرير هيرلاندز أن "الأدلة تشير إلى أن مساعدة لوتشيانو وتعاونه أمنتّها الاستخبارات البحرية فى سبيل الارتقاء بمتطلبات الأمن القومى وتوسيع مجالها." وكان المحقق عند كلمته. فقد سلم التقرير للبحرية ولديوى، ولكنه لم يسلمه للجمهور. وبعد ذلك ظل تقرير هيرلاندز فى حالة سبات لمدة عشرين سنة. وبعد وفاة ديوى، كشف رودنى كامبل Rod-ney Campbel، الذى أُختير لترتيب أوراق ديوى، النقاب عنه بعد موافقة دائرة ديوى، وألف كتابًا عن الموضوع بعنوان The Luciano Project.

ولكن ثلاثين سنة من إنكار البحرية والفضائح التى نشرتها ضده كانت قد احتلت مكانًا ثابتًا فى حكمة الصحافة التقليدية. فهاهى ممارسة الخيال كلير سترلينج Claire Sterling فى كتابها الصادر عام ١٩٨٦ عن تجارة الهيروين الخاصة بمافيا صقلية بعنوان Octopus تقول إن التعاون بين لوتشيانو والبحرية ما هو إلا ضرب من أساطير رجال العصابات. ومع أن "الكتاب" ظهر بعد عشر سنوات من نشر "مشروع لوتشيانو"، فلم تذكر سترلينج تقرير هيرلاندز، وأوردت بدلاً منه التكذيبات الرسمية أمام لجنة كيفوفر.

وما لا سبيل إلى إنكاره الآن هو أن وكالات الاستخبارات الأمريكية رتبت لإخراج أمير بارز من أمراء المخدرات فى العالم من السجن، وسمحت له ببناء إمبراطورية المخدرات الخاصة به، وراقبت تدفق المخدرات إلى داخل جيتوهات نيويورك وواشنطن العاصمة التى أغلب سكانها من السود وهى تتزايد، ثم كذبت بشأن ما قامت به. وتحدد هذه القصة المؤسسة الخاصة بالعلاقة بين الجواسيس الأمريكيين ورجال العصابات الأنماط التى ستنتقل من لاوس وبورما إلى مارسيليا وبنما.

ومات لاكى لوتشيانو عام ١٩٦٢ بأزمة قلبية فى مطار نابولى. وكان هناك لمقابلة منتج سينمائى من هوليوود يرغب فى عمل فيلم عن حياته، وكان لوتشيانو قد أدلى قبل وفاته بأسابيع قليلة بحديث لصحفى بوكالة "أسوشيتد بريس" Associated Press

سأله عن سبب إخراجه من السجن، فقال لوتشيانو: "لقد حصلت على العفو بسبب الخدمات الكبيرة التى قدمتها للولايات المتحدة."، ثم ضحك رجل العصابات وقال: "ولأنهم قبل هذا وذاك أدركوا براعتى."

وكانت وكالة الاستخبارات المركزية تتمسك منذ إنشائها بنفس سياسات سابقاتها الخاصة بإدخال التشكيلات العصابية فى العمل. وبحلول عام ١٩٤٧ كانت الوكالة تدعم منتجى الهيروين فى مارسيليا، وبورما، ولبنان، وغربى صقلية.

أطلقت الوكالة أول صرخة للحياة البيروقراطية فى ٢٦ يوليو ١٩٤٧، بعد فترة حمل دامت أكثر من السنة. وكان رئيس مكتب الخدمات الاستراتيجية بيل دونوفان أول من اقترح إنشاء هيئة الاستخبارات المركزية Central Intelligence Service على الرئيس فرانكلين روزفلت فى خريف ١٩٤٤. وكان الرئيس شديد الاهتمام بالفكرة، ولكنه توفى دون أن يتخذ أى إجراء بشأن هذا الأمر. وبينما كان هارى ترومان يفكر فى خطة دونوفان، عارضت شخصيتان لهما تأثيرهما هذه الفكرة بقوة. فقد كان مدير مكتب التحقيقات الفدرالى ج. إدجار هوفر يرى أن مثل هذه الوكالة التى تظهر بعد الحرب تهديد لهيئته، وشن حملة دعائية تتسم بالذكاء. فقد نشر أصدقاء هوفر فى الصحافة، مثل والتر تروهان Walter Trowhan فى صحيفة "واشنطن تايمز هيرالد" Washington Times Herald، قصصاً إخبارية للإيحاء بأن دونوفان "يهدف إلى إنشاء هيئة استخبارات ذات نفوذ كبير للتجسس على عالم ما بعد الحرب وتدس أنفها فى حياة المواطنين فى الداخل." وبتحريض من هوفر، ساق تروهان قصصاً فظيعة وليست خيالية تماماً عن ضباط الاستخبارات الذين يعيشون حياة كلها بذخ وينفقون على أنفسهم من الرشوة.

وكان وزير البحرية جيمس فوريستال على نفس القدر من العنف. فبما أن فوريستال كان مصاباً بالفعل بالبارانويا، فلم يكن يحسن الظن بمكتب الخدمات الاستراتيجية باعتباره عشاً للشيوعيين المتخفين الذين يسربون المعلومات للاستخبارات الفرنسية ويبدون حباً لا يليق لشو اين لاى والثورة الشيوعية الصينية. وحث فوريستال ترومان على إغلاق مكتب الخدمات الاستراتيجية وإعادة الإشراف على الاستخبارات إلى مكتب الاستخبارات البحرية وجهاز G-2 بالجيش. وأخذ ترومان بالنصيحة وسرعان ما وقع بعد يوم الانتصار أمر مقتضب يبلغ دونوفان بأن مكتب الخدمات الاستراتيجية، وبالأحرى دونوفان نفسه، قد أوقف عن العمل بشكل دائم.

وبدون موافقة من الكونجرس، وبتمويل من ميزانية البنتاجون، صار الإشراف على هيئات الاستخبارات الأمريكية المختلفة في يد الأدميرال سيدني سورس Sidney Soures رئيس مجموعة الاستخبارات المركزية. وكان سورس قد خدم في الاستخبارات البحرية إبان الحرب وكان أحد رجال فوريستال. وفي ذلك الوقت كان ضباط استخبارات الجيش والبحرية الأمريكيون مشغولين في تجنيد الجواسيس، ورجال وحدة SS[1]، والعلماء النازيين، وإضافة وحوش مثل كلاوس باربي Klaus Barbie إلى كشوف رواتب الحكومة الأمريكية. وكان ذلك الاستخدام يحظى بتأييد كبير من جورج كينان George Kenan بوزارة الخارجية. وكان كينان يعارض بشدة محاكمات نورمبرج. وفي مذكرة إلى وزير الخارجية هنري ليفيرتش Henry leverich، الذي كان يخطط لإعادة بناء ألمانيا ما بعد الحرب اقتصادياً، كتب كينان أنه "شئنا أم أبينا، فإن تسعة أعشار ما هو قوي وقادر ومحترم في ألمانيا صُب في نفس تلك الفئات التي في ذهننا من أجل التطهر من الحكم الألماني – وأعني هؤلاء الذين كانوا أكثر من مجرد أعضاء بالاسم في الحزب النازي."

وفي خطاب يعود إلى الفترة نفسها، حث كينان جون ماكلوي John J. McCloy، المفوض الأمريكي الأعلى في ألمانيا على إطلاق سراح آلاف النازيين من مجرمي الحرب، لأن "درجة الذنب النسبي الذي ربما تظهره تلك التحريات أمر أفضل، بصفتي أمريكيًا، أن أظل جاهلاً به."

وبحلول عام ١٩٤٧، أخذ يتضح لرجال مثل فوريستال وكينان أن وكالة استخبارات جديدة تتسم بالدوام والتمويل الجديد أمر لا بد منه، على ألا تقتصر قدرتها على جمع المعلومات الاستخبارية وحسب، بل كذلك الهدم والتخريب على نطاق واسع. وما جعل أذهان استراتيجيي ما بعد الحرب هؤلاء في حالة من التركيز الشديد هي الانتخابات الإيطالية الوشيكة، التي يمكن أن تخلق أغلبية شيوعية من خلال صناديق الاقتراع. وقال كينان إنه إذا ضاعت إيطاليا، فإن "وضعنا في البحر المتوسط كله، وربما في أوروبا كذلك، قد يقضى عليه."

---

(١) وحدة شبه عسكرية تضم النخبة في الحزب النازي، وكانت بمثابة حرس خاص لهتلر وقوة أمن خاصة في ألمانيا والدول المحتلة. **(المترجم)**

وأوجد قانون الأمن القومى لعام ١٩٤٧، الذى صاغه الديمقراطى الشاب الطموح كلارك كليفورد Clark Clifford، كلاً من القوات الجوية ومجلس الأمن القومى National Security Council، وغير اسم وزارة الحربية Department of War إلى وزارة الدفاع Department of Defense، وجاء بفكرة وكالة الاستخبارات المركزية بعد طول تفكير. وكما قال كليفورد فيما بعد، لم يعر أحد اهتمامًا كبيرًا للجزء الخاص بالاستخبارات فى مشروع القانون. وشهد فوريستال أمام الكونجرس بأن وظيفة وكالة الاستخبارات المركزية ستكون تحليل المعلومات الاستخباراتية وبأنه لن يكون هناك مكون داخلى ضمن أنشطتها. وبعد أشهر حُطِّم هذان القيدان، وكان فوريستال هو البادئ بذلك.

أُقر قانون الأمن القومى فى يوليو. وفى سبتمبر كان فوريستال يصدر أوامره لمدير وكالة الاستخبارات الجديد الأدميرال روسكو هيلينكوتر Roscoe Hillenkoetter كى يبدأ عمليات سرية فى أوروبا، وبالأخص فى إيطاليا واليونان. وكان هيلينكوتر يعتقد أن هذا سوف يتعدى سلطة الوكالة القانونية، وطلب رأى مستشار الوكالة القانونى لورانس هيوستون Lawrence Houston، وفى ٢٥ سبتمبر ١٩٤٧ كتب هيوستون مذكرة قال فيها إنه لم يجد، حتى فى اللغة الغامضة التى صيغ بها تفويض وكالة الاستخبارات المركزية، أى مبرر لتوجيه فوريستال. وعلى الفور أصدر فوريستال، الذى ثارت ثائرته، توجيهاته إلى هيوستن بالنظر من جديد فى الأمر وإعطاء رأى أفضل. وفى الحال امتثل هيوستن للأمر وانتهى إلى أنه "إذا أصدر لنا الرئيس الأمر، وأعطانا الكونجرس المال اللازم لتلك الأغراض، فحينئذ ستكون لدينا السلطة الإدارية لتنفيذ تلك العمليات السرية."

وهكذا وضع أسلوب عمل وكالة الاستخبارات المركزية على مدى خمسين سنة. ومع أن ترومان كان يضغط من أجل القيام بعمليات سرية، فإنه لم يضع توقيعه على أى مستند يعرضه للخطر والشك. فقد أسندت مسئولية العمليات لمجلس الأمن القومى. ولم يكن هناك اعتماد مالى من الكونجرس، ولذلك كان التمويل يأتى من مصادر خاصة داخل الولايات المتحدة، من خلال امتلاك شبكة من الهيئات الواجهة، والمليونيرات، والمشروعات الإجرامية.

وكان تدخل وكالة الاستخبارات المركزية فى الانتخابات المركزية بمثابة النموذج الأمثل. وبسرعة دخلت الوكالة بقوة فى الدعاية، والرشوة، والابتزاز فى إيطاليا، وجاء

فى مذكرات ويليام كولبى التى نشرت عام ١٩٧٨: "يثير التساؤل الخاص بما إذا كان هذا العمل [أى تزوير انتخابات ١٩٤٨] غير أخلاقى أم لا سؤالاً آخر. وشمل الاختبار كلاً من الغايات والوسائل. فلا بد أن تكون الغايات المنشودة دفاعًا عن أمن الدولة بالإنابة، وليس بغرض العدوان أو التوسع، ولا بد أن تكون الوسيلة المستخدمة فى ذلك هى فقط تلك اللازمة لتحقيق هذه الغاية، وليست أية وسيلة مبالغ فيها ... وهذا الإطار لا يبرر كل عمل للتدخل السياسى من جانب وكالة الاستخبارات المركزية منذ عام ١٩٤٧، ولكن من المؤكد أنه يبرره فى حالة إيطاليا."

واستمر التحالف مع المافيا فى صقلية فى ازدهار مع اقتراب الانتخابات. فقد أحرق دون كالوجيرو وبلطجيته، ومنهم ابن عم فيتو جينوفيزى، جيوفانى جينوفيزى Giovanni Genovese، أحد عشر مكتبًا للحزب الشيوعى، وقاموا بأربع محاولات اغتيال ضد الزعيم الشيوعى الصقلى جيرولامو لى كوزى Girolamo Li Causi وأطلقوا النار على حشد من العمال وعائلاتهم كانوا يحتفلون سلميًا بعيد العمال فى أول مايو بباليرمو، مما أدى إلى مقتل أحد عشر شخصًا وجرح سبعة وخمسين. وعثر على أحد منظمى العمال البارزين، وهو بلاسيدو ريتسوتو Placido Rizzotto، عند سفح جُرف ويداه وساقاه مقيدة وقد اخترقت رصاصة دماغه. وكان قاتله هو لوتشيانو ليدجيو Lu-ciano Leggio، وهو قاتل محترف فى الثالثة والعشرين يعمل لدى لاكى لوتشيانو ودون كالو. وفى تلك الفترة من الإرهاب والتدمير المدعوم من وكالة الاستخبارات المركزية، كانت المافيا الصقلية وحدها تقتل فى المتوسط خمسة أفراد فى الأسبوع.

وفى البداية كانت المافيا الصقلية ذات نزعة انفصالية فى طموحاتها السياسية، حيث كانت تسعى لتحويل الجزيرة إلى دولة مستقلة. ونصحت وكالة الاستخبارات المركزية بإسقاط البرنامج الانفصالى الرسمى، بينما تتمتع بترخيص مستقل لعملياتها تحت رعاية حكومة متفاهمة فى روما. وكان البديل غير المقبول هو حكومة مركزية شيوعية معادية تمامًا للمافيا.

وعند حلول يوم الانتخابات، دعا دون كالو إلى اجتماع لرجاله، الذين أعطيت لهم توجيهات بحشو صناديق الاقتراع فى أنحاء صقلية بأصوات مزورة، أن يمدوا أيديهم فى حسابات المخدرات الخاصة بهم ليوزعوا المال الذى يرشون به الناخبين. وكان من الحكمة اتخاذ ذلك الإجراء الوقائى، لأن الشيوعيين كانوا يتمتعون بشعبية، ويتعهدون

بعمل إصلاح زراعى والقضاء على الفساد. وفى أنحاء إيطاليا بصورة عامة كان من المحتمل أن يحصل الشيوعيون على أغلبية مقاعد المجلس التأسيسى؛ وقد خمن كولبى نفسه - وكان معه الحق فى المبالغة - أن يحصل الشيوعيون على ٦٠ بالمائة لولا تخريب وكالة الاستخبارات المركزية.

وكتب ضابط وكالة الاستخبارات المركزية مايلز كوبلاند Miles Copland، بعد تسعة وعشرين عامًا، أنه لولا المافيا لكان الشيوعيون يسيطرون الآن على إيطاليا، حيث كان للتنظيم الإجرامى دور غاية فى الأهمية فى قتل منظمى العمال وترهيب العملية السياسية.

وكانت وكالة الاستخبارات على اتصال وثيق كذلك بالفاتيكان، الذى كان لا يزال متورطًا فى تحالفه إبان الحرب مع النازيين. وكان الفاتيكان يهرِّب إلى الغرب مجرمى الحرب مثل الأب أندريا أرتوكوفيتش Andrija Artukovic، ذلك القس الفرنسيسكانى الذى ساعد فى إبادة آلاف الصرب فى كرواتيا. وكان يختبئ فى الفاتيكان شخص يدعى فالتر راوف Walter Rauff، وهو نازى ألمانى أمضى الشهور الأخيرة من الحرب فى قيادة وحدة إبادة تابعة للقوات الخاصة SS فى أنحاء إيطاليا، حيث قتلت بالغاز حوالى ٢٥٠ ألف ضحية، معظمهم من النساء والأطفال اليهود. وكان هو الذى يحمى صديق آلن دلاس القديم المونسنيور دون جيوسيبى بيكييراى Don Giusseppe Bic-chierai الذى جمَّع عصابة إرهابية كلفها بمهمة ضرب المرشحين اليساريين، وتفريق التجمعات السياسية، وترويع الناخبين. وكانت وكالة الاستخبارات المركزية هى التى تمدهم بما لديهم من مال وسلاح وسيارات الجيب.

وهكذا تم الاحتلال الأمريكى السرى لإيطاليا وسط نمط من هيمنة النزعة العصابية اليمينية المتطرفة والمافيا أدى إلى تخريب الحياة السياسية الإيطالية طوال نصف القرن التالى.

وكانت آليات تمويل وكالة الاستخبارات المركزية لتلك الأعمال المخالفة لميثاقها تأتى فى هيئة منح كبيرة من رجال الأعمال الأمريكيين الذين جمع منهم آلن دلاس وفورستال المال فى نادى بروك Brook Club فى نيويورك، حيث حصلا على مساهمات من المليونيرات الخائفين مثل أرثر أمورى هيوتون Arthur Amory Houghton رئيس "ستوبن جلاس" Steuben Glass، وجون هاى ويتنى John Hay Whitney صاحب

صحيفة "نيويورك هيرالد تريبيون" New York Herald Tribune، وأوفيتا كالب هوبى Oveta Culp Hobby صاحبة صحيفة "هيوستون بوست" Houston Post. وكانت تلك هى الطريقة التى قلدها حرفيًا أوليفر نورث، الذى قوّض إرادة الكونجرس تمامًا بعد ذلك بأربعين عامًا. وكانت مساهمات رجال الأعمال للقضاء على الديمقراطية فى إيطاليا تخصم من الضرائب.

وأمد دلاس النازيين كذلك بالذهب الذى كان قد استولى عليه أثناء عمله فى مكتب الخدمات الاستراتيجية فى سويسرا إبان الحرب، عندما كان يدير مشروع "الملاذ الآمـــــن" Safehaven Project. وغُسلت الأموال من خلال مؤسسات خاصة، وهى الممارسة التى باتت إجراء تشغيل قياسيا.

وانعكست الشراكة مع تجار المخدرات من رجال العصابات فى صقلية على شراكة وكالة الاستخبارات المركزية مع عالم الجريمة الكورسيكى فى مارسيليا، التى كانت ساحة قتال الحرب الباردة. فقد كانت النقابات العمالية قوية، وكان عمال الموانئ يرفضون تحميل العتاد الحربى على السفن الفرنسية المتجهة إلى الهند الصينية، حيث كان هو تشى من[1] يقود معركة الاستقلال. كما كانت مرسيليا كذلك مستودعًا كبيرًا للإمدادات التى يجرى شحنها إلى أوروبا ضمن مشروع مارشال Marshall Plan[2].

وكان الكورسيكيون منقسمين سياسيًا فى فترة الحرب. فكان اثنان من كبار رجال العصابات فى المدينة، وهما فرانسوا سبيريتو Francois Spitito وبول كاربون Paul Carbone، قد تحالفا مع العمدة، سيمون سابيانى Simon Sabiani، وهو من المتعاونين مع النازيين. وكان سبيريتو وكاربون يرأسان شرطة سابيانى السرية وكانا يتعقبان ويقتلان أفراد المقاومة، التى نجحت بدورها فى قتل كاربون عام ١٩٤٣. ونجا سبيريتو من ذلك المصير ثم اتجه إلى نيويورك بعد الحرب، حيث أصبحت له أهميته فى تجارة الهيروين.

---

(١) أول رئيس لفيتنام الشمالية (١٩٥٤-١٩٦٩) وحقق جيشه انتصارًا فى حرب الهند الصينية (١٩٤٦-١٩٥٤) ثم قاد كفاح فيتنام ضد حكومة فيتنام الجنوبية التى تدعمها الولايات المتحدة منذ ١٩٥٤ حتى ١٩٧٥. **(المترجم)**

(٢) برنامج إعادة إعمار أوروبا الذى نظمه الدبلوماسى والسياسى الأمريكى جورج مارشال وحصل بمقتضاه على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٥٣. **(المترجم)**

وكان الكثير من الكورسيكيين معادين بشدة للفاشية، لأسباب من بينها أن هدف موسولينى المعلن هو ضم كورسيكا إلى إيطاليا، وهؤلاء الكورسيكيون كانوا يعملون مع المقاومة الفرنسية، حيث كانوا يحظون بتقدير كبير.

ومن بين رجال العصابات الكورسيكيين البارزين الأخوان أنطوان Antoine وبارتليمى جيرينى Barhelemy Gherini، وكانا قد تتلمذا فى تجارتهما كرجال لبول كاربون، إلا أنهما اتجها بعد ذلك للمقاومة. وكان الأخوان جيرينى يخفيان عملاء الاستخبارات الأمريكيين والبريطانيين فى ملهاهما الليلى، وكانا يكافآن على خدماتهما بالسلاح وغيره من الإمدادات التى كان بإمكانهما الاستفادة منها لتحقيق أرباح فى السوق السوداء.

وفى عام ١٩٤٥، وصل ائتلاف من الشيوعيين والاشتراكيين إلى الحكم فى مارسيليا الذين جعلوا مهمتهم الأولى إعلان الحرب على العصابات الكورسيكية، ولم تفزع تلك التطورات رجال العصابات الكورسيكيين وحدهم، بل أفزعت كذلك الولايات المتحدة وشارل ديجول Charles de Gaulle[(١)]، وسرعان ما نُظِّم هجوم مضاد.

وكان هدف ذلك الهجوم هو هزيمة الائتلاف اليسارى الهش وشق صفوفه. واتجهت وكالة الاستخبارات الأمريكية إلى القوى العاملة الأمريكية المنظمة فى صورة اتحاد العمال الأمريكى AFL ومؤتمر المنظمات الصناعية CIO، وكانا يقدمان منذ نهاية الحرب وحتى أوائل الخمسينيات مبلغ مليون دولار كل عام للاشتراكيين، والثمن هو قطع كل الروابط السياسية مع الشيوعيين. وبحلول عام ١٩٤٧ كان حزب ديجول قد وصل إلى السلطة، وكان عمدة مارسيليا هو اليمينى ميشيل كارلينى Michele Carlini، الذى فرض نظامًا تقشفيًا شمل رفع أسعار تذاكر الأتوبيس، مما أثار على الفور الإضرابات والمقاطعات، ليصل الأمر فى النهاية إلى اجتماع جماهيرى كبير فى ١٢ نوفمبر ١٩٤٧ بعد مهاجمة بلطجية جيرينى، الذين يعملون بأوامر من كارلينى، لأعضاء مجلس المدينة الشيوعيين.

(١) كان شارل ديجول فى ذلك الوقت رئيسًا للحكومة الإقليمية، حيث عمل مع الجمعية التأسيسية على حكم فرنسا ووضع دستور الجمهورية الرابع، ولكنه استقال عام ١٩٤٦ اعتراضًا على الدستور. وانتخب ديجول بإجماع ساحق فى ديسمبر ١٩٥٨ كأول رئيس للجمهورية الخامسة، ليستقيل بعد أن رفضه الناخبون عام ١٩٦٩، حيث توفى فى العام التالى. **(المترجم)**

ورداً على تلك الهجمات، اندفع الناس إلى الشوارع، ليقابلوا بوابل من الرصاص أطلقه عليهم الأخوان جيرينى ورجالهما. وجُرح العشرات وقُتل رجل واحد. ورغم وجود الكثير من الشهود الذين تعرفوا على الأخوين جيرينى، فلم يوجه محققو كارلينى لهما أية تهم. وعم الإضراب فرنسا، حيث أضرب ٣ ملايين عامل عن العمل. وفى مارسيليا خيم الصمت على أرصفة الميناء.

وأرسلت وكالة الاستخبارات المركزية فريقًا بالسلاح والمال إلى الأخوين جيرينى، حيث سُلِّم على الفور لضابط الوكالة إدوين ويلسون Edwin Wilson (الذى سيقوم بعد سنوات كثيرة بأعمال شائنة من أجل عمله الخاص بمعمر القذافى). وشرع عملاء الوكالة من رجال العصابات فى تنفيذ برنامج سريع للتدابير التنفيذية، لقتل منظمى الإضراب الرئيسيين، ودفع أموال للعمال الذين يعملون أثناء الإضراب، وإثارة القلاقل على أرصفة الميناء. وفى أوائل ديسمبر كان الإضراب قد حُل.

وبعد ثلاث سنوات تكرر النمط ذاته. ومرة أخرى أغلق الإضراب واجهة مارسيليا البحرية، وكان يستهدف على وجه التحديد الأسلحة والإمدادات المرسلة إلى القوات الفرنسية فى الهند الصينية. ومن جديد جندت وكالة الاستخبارات المركزية، التى كانت تعمل بالتعاون مع جهاز الاستخبارات الفرنسية SDECE، الأخوين جيرينى لقيادة حملة إرهاب ضد العمال المضربين. وتدفقت أموال الوكالة على مارسيليا، وعلى حسابات جيرينى المصرفية. وأجهض الإضراب كما حدث من قبل، حيث قُتل الكثيرون من منظمى النقابات؛ وكان ذلك فى كثير من الأحيان بإلقائهم من على الأرصفة فى الماء.

وفى ذلك العام نفسه ١٩٥٠، كان لاكى لوتشيانو، الذى كان لا يزال مقيمًا فى نابولى وقد قُطعت عنه إمدادات الهيروين من شركة سكياباريللى للأدوية، يبحث عن مصدر جديد للمخدر. وعبر ماير لانسكى المحيط للتعامل مع الأزمة. وذهب إلى نابولى للاجتماع بلوتشيانو، وإلى مارسيليا لإقامة شراكة مع الأخوين جيرينى، وإلى سويسرا لفتح حسابات مصرفية مناسبة، كان بعضها فى بنك تمتلكه عصابات الجريمة المنظمة يسمى "بنك التحويل والاستثمار" فى جنيف.

وكان لانسكى ولوتشيانو حريصين على الخروج من موضوع إنتاج الهيروين الذى يتعرض للهجوم والتركيز على بيع المخدرات، وقد عُهد بالإنتاج إلى الأخوين جيرينى وغيرهما من العصابات الكورسيكية الموجودة فى مارسيليا. وكان لدى الكورسيكيين

بالفعل شبكة إنتاج عالمية، حيث كانت لهم معامل فى الهند الصينية وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط. كما كانوا يتمتعون بحماية سياسية تكاد تكون تامة. فلم يكن اليمين الفرنسى فحسب هو الذى يكن لهم الشكر والامتنان (فقد كانوا حريصين على بيع الهيروين فى فرنسا)، بل كذلك وكالة الاستخبارات المركزية التى ساهمت فى جعلهم أكثر القوى فى مارسيليا نفوذاً. وهكذا قامت "همزة الوصل الفرنسية" French Con-nection ، التى كان يأتى من خلالها ٨٠ بالمائة من الهيروين الذى يدخل الولايات المتحدة عبر كوبا من مارسيليا بتواطؤ من الجهات الحكومية الأمريكية، وفى مقدمتها وكالة الاستخبارات المركزية. وفيما بين ١٩٥٠ و١٩٦٥ لم يلق القبض على أى مسئول يعمل فى "همزة الوصل الفرنسية". وفى عام ١٩٦٥ أدت الإجراءات الصارمة من جانب الحكومة الفرنسية إلى نقل إنتاج الهيروين إلى الهند الصينية، حيث كانت العصابات الكورسيكية ووكالة الاستخبارات المركزية محصنة تحصيناً تاماً.

وامتدت حماية وكالة الاستخبارات المركزية لعصابة المخدرات الكورسيكية كذلك حتى السبعينيات، كما فى حالة فرانك ماثيوز، وخرج ماثيوز من حى للسود المعدمين فى دورام بولاية نورث كارولينا Durham, North Carolina ليصبح واحداً من أكبر تجار الهيروين على الساحل الشرقى، حيث كان يكسب أكثر من ١٣٠ مليون دولار فى العام. وكانت بداية بيع الهيروين لمصلحة لويس سيريللو Louis Cirillo أحد رجال الجريمة المنظمة فى مدينة نيويورك، ولكنه قرر فى عام ١٩٦٧ الانفصال عنه والشراء مباشرة من العصابة الكورسيكية. وفى مشروع يحقق أرباحاً طائلة، كان ماثيوز يبيع المخدر من خلال شبكة للمغاسل وصالات البلياردو والمحال الرخيصة فى نيويورك، وبالتيمور، وكليفلاند، وفيلادلفيا، وديترويت.

وفى عام ١٩٧٣، ألقى القبض على ماثيوز فى لاس فيجاس وأفرج عنه بكفالة مقدارها ٣٥٠ ألف دولار. ثم عاد إلى نيويورك وأخذ ٢٠ مليون دولار نقداً وصديقته واختفى. وأُسقطت التهم عن تسعة من موردى ماثيوز الكورسيكيين بإصرار من وكالة الاستخبارات المركزية، بناء على تقرير لوزارة العدل صادر فى ١٩٧٦. وكان الكورسيكيون يؤدون خدمات لوكالة الاستخبارات المركزية. وقالت الوكالة إن التحقيق سوف يضر مصالح الأمن القومى.

■■■

المصادر

رواية منديل لاكى لوتشيانو مأخوذة من كتاب ميكيلى بانتاليونى The Mafia and Politics. وتعتمد صفقة لوتشيانو مع الاستخبارات البحرية الأمريكية إلى حد كبير على المعلومات التى أذاعها كتاب رودنى كامبل The Luciano Project ووثائق لجنة هيرلاندز، وهى الآن جزء من مجموعة موجودة فى مكتبة جامعة روتشيستر. ويعد كتاب آل ماكوى The Politics of Heroin المصدر الأساسى الخاص بنمو عصابات الهيروين فى مرسيليا. وتكشف رواياتى توم برادن ووليام كولبى عن التلاعب فى الانتخابات فى إيطاليا وفرنسا قدرًا مذهلاً من الكبرياء والصلف. وهناك نظرة ثاقبة إلى حد كبير جدًا فى كتاب وليام بلوم الرائع عن تاريخ الوكالة بعنوان Killing Hope. ورواية جمع آلن دلاس للمال فى نادى بروك لتمويل عمليات وكالة الاستخبارات السرية من تشريح ديفيد وايز المبكر لوكالة الاستخبارات المركزية فى كتابه The Espoionage Establishment. وكان كتابا تيم وينر Blanck Check ووليام كورسون Armies of Ignorance مصدرين مفيدين بشأن طريقة استخدام وكالة الاستخبارات المركزية الخداع وبث الذعر والسرية فى تجميع ميزانية مقدارها ٢٧ مليون دولار سنويًا.

Aarons, Mark. and John Loftus. Unholy Trinity: The Vatican, the Nazis and Soviet Intelligence. St .Nlartin's Press. 1991.

Anslinger, Harry, The Protectors. Farrar, Strauss, 1964.

Aron, Robert, France Reborn, Scribners, 1964.

Bloch. Alan A. East Side-West Side: Organizing Crime in New York, 1930-1950. Transaction Books. 1983.

European Drug Traffic and Traffickers Between the Wars: The Policy of Suppression and Its Consequences." Journal of Social History vol.23, no.2, 1989.

Dl urn. William. Killing Hope: 5,5 Militan' and CIA Interventions Since World War II. Common Courage. 1995.

Braden. Torn. "I'm Glad the CIA Is Immoral." Saturday Evening Post. May 20,1967.

Campbell. Rodney. The Luciano Project: The Secret Wartime Collaboration Bettveen the Mafia and the US Navy, McGraw-Hill. 1977

Colby, William and Peter Forbath. Honorable Men: My Life in the CIA. Simon and Schuster. 1978.

Copeland. Miles. The Came of Nations, Simon and Schuster, 1969. Without Cloak or Dagger. Simon and Schuster. I 974.

Corson William. Armies of Ignorance: The Rise of the American Intelligence Empire, Dial Press. 1977.

Corvo. Max, The OSS in Italy, 1942-1945. Praeger. 1990.

Deacon. Richard. The French Secret Service. Grafton 1990.

Demaris. Ovid. Lucky Luciano. Monarch Books, 1960.

Dolci. Danilo. Report frorn Palermo, Viking. 1970.

Domenico, Roy P. Italian Fascism on Trial 1943-] 948. Univ. of Nonh Car~ina Press. 1991.

Duggan. Christopher. Fascism and the Mafia, Yale Univ. Press, 1989.

Feder. Sid. and Joachim Joesten. The Luciano Story, David McKay Co., 1954.

Filipefli. Ronald. Arriericari Labor and Postwar Italy, Stanford Univ. Press, 1989.

Gage. Nicholas. The Mafia Is Not an Equal Opponunity; Employer, McGraw-Hill, 1971.

Ginsborg. Paul. A History' of Contemporary Italy, Vikin,. 1990.

Goode. Stephen. The CIA, Franklin Watts, 1982.

Gosch. Martin, and Richard Hammer, The Last Testament of Lucky Luciano, Little, Brown, 1974.

Harper. John Lamberton, America and the Reconstruction of Italy, 1945-1948, Cambridge Univ. Press. 1986.

Herlands, William, Commissioner of Investigations. "Report." Thomas Dewey Papers. University of Rochester, Sept.1954.

Holt, Robert, and Robert van de Velde. Strategic Psychological Operations and American Foreign Policy, Univ. of Chicago Press. 1960.

Hughes. Stuart. The United States and Ital, Harvard Univ. Press, 1965.

Johnson, Malcom. Crime on the Labor Front. McGraw-Hill, 1950.

Kolko, Gabriel. The Politics of War, Randorn House, 1968.

Lacey, Robert. Little Man: Meyer Lansky and the Gangster Life, Little, Brown, 1991.

Lewis, Norman. The Honored Society, Putnam, 1964.

Loftus, John. The Belarus Secret, Knopf, 1982.

Maas. Peter. The Valachi Papers. Putnam, 1968.

Manhunt. Random House, 1986.

Marchetti. Victor, and John Marks, The CIA and the Citlt qflritelligerice. Dell. 1980.

Martinez. E. Edda and Edward Suchinan. "Letters from America and the 1948 Elections in Italy." Public Opinion Quarterly, Spring 1950.

MacKenzie. Norman, ed. Secret Societies. Collier, 1967.

Messick, Hank. Larisky'. Putnam, 1971.

Nash. Jay Rcbert. Bloodletters and Badmen, M. Evans and Company, 1995.

Pantaleone, Michele, The Mafia and Politics, Chatto and Windus, 1966.

Pisan, Sallie, The CIA and the Marshall Plan, Univ. of Kansas Press, 1991.

Ranelagh, John. The Agency': The Rise and Decline of the CIA. Simon and Schuster. 1986.

Servadio, Gaia, Mafioso: A History of the Mafia ,from Its Origins to the Present, Dell Books, 1976.

Smith, R. Harris. OSS: The Secret History' of Arrierica's First Central Iritelllgence Ageny, Univ. of California Press, 1972.

Sterling. Claire. Octopus. Norton, 1990.

Tompkins, Peter, A Spy in Rome, Simon and Schuster, 1962.

Weber, Eugene, Action Franìaise, Stanford Univ. Press, 1962.

Weiner, Tim. Blank Check: The Pentagon's Black Budget, Warner Books, I 990.

Wilhelm. Mariade Blasio, The Other Italy, Norton. 1988.

Wise, David. The Espionage Establishment, Random House, 1967.

Wise, David, and Thomas Ross, the Invisible Government, Random House, 1964.

Zuccotti, Susan, The Italians and the Holocaust, Basic Books, 1987.



التحالف الأسود

وكالة الاستخبارات المركزية
والمخدرات والصحافة

مشبك الورق: العلوم النازية تتجه غرباً

فى أعقاب مقالات جارى وِب، لم يغضب المدافعين عن وكالة الاستخبارات المركزية شىء أكثر من اتهام الوكالة بأنها تعمدت أثناء تعاملاتها مع مستثمرى كوكايين التدخين استهداف المجتمعات السوداء واللاتينية الفقيرة فى الأحياء القديمة، فى محاولة سرية للضبط الاجتماعى. وكما رأينا، فقد سافر مدير وكالة الاستخبارات المركزية جون دويتش إلى ساوث سنترال لوس أنجلوس لمواجهة الجمهور الأسود الغاضب، لينكر إنكارًا شديدًا أيًا من تلك الإيحاءات. وبعض أكثر الهجمات فاعلية على وب لم يُصَغ فى صورة تحديات جوهرية لروايته، بل على هيئة اتهامات بأنه يثير "البارانويا السوداء" بطريقة مهينة، ويشارك فى ترويج غير مسئول للتآمر.

والحقيقة الجلية هى أن أية مراجعة متأنية لأنشطة وكالة الاستخبارات المركزية والهيئات التى انبثقت منها تكشف انشغالاً شديداً بابتداع أساليب ضبط السلوك، وغسيل المخ، وإجراء التجارب الطبية والنفسية السرية على أشخاص لا يعلمون شيئًا عما يجرى لهم، بما فى ذلك الطوائف الدينية، والأقليات العرقية، ونزلاء مستشفيات الأمراض العقلية، والجنود، والمصابون بأمراض مستعصية. ويكشف الأساس المنطقى لتلك الأنشطة، وكذلك الأساليب المتبعة والأشخاص الذين اختيروا كى تُجرَى عليهم التجارب، عن تشابه غير عادى بينها وبين التجارب النازية. ويصبح هذا التشابه أقل غرابة لو تتبعنا الجهود الحثيثة والناجحة فى كثير من الأحيان التى كان ضباط الاستخبارات الأمريكيون يبذلونها للحصول على سجلات التجارب النازية، وكانوا فى كثير من الأحيان يجندون الباحثين النازيين أنفسهم ويجعلونهم يعملون، حيث ينقلون المعامل من داخاو[1]، ومعهد القيصر فيلهلم، وأوشفيتس Auschwitz[2] وبوخينفالت

(١) مدينة فى جنوب شرقى ألمانيا تقع شمال شرقى ميونيخ أقيم فيها معسكر اعتقال نازى عام ١٩٣٥. **(المترجم)**

(٢) مدينة فى جنوب بولندا إلى الغرب من موسكو كانت أثناء الحرب العالمية الثانية موقع أكبر معسكر اعتقال أقامه النازيون. **(المترجم)**

Buchenwalt[1] إلى ترسانة إدجوود Edgewood Arsenal وفورت ديتريك Fort Det-rick، وقاعدة هنتسفيل Huntsville الجوية، وولاية أوهايو، وجامعة واشنطن.

وعندما عبرت قوات الحلفاء القنال الإنجليزى (بحر المانش) أثناء غزو يوم الانتصار فى ٤ يونيو ١٩٤٤، كان حوالى ألف من ضباط الاستخبارات المعروفين باسم T-Forces خلف الكتائب المتقدمة مباشرة. وكانت مهمة هؤلاء هى القبض على خبراء الذخيرة، والفنيين، والعلماء الألمان ومواد أبحاثهم، إلى جانب العلماء الفرنسيين الذين كانوا يتعاونون مع النازيين[2]. وسرعان ما أمسكوا بعدد هائل من هؤلاء العلماء ووضعوهم فى معسكر اعتقال يعرف باسم "صفيحة القمامة" Dustbin. وحسب التخطيط الأصلى للمهمة كان العامل الأساسى هو الرأى القائل بأن المعدات العسكرية الألمانية - الدبابات والطائرات النفاثة وقاذفات الصواريخ وغيرها - كانت متفوقة تقنياً، وأن العلماء والفنيين والمهندسين الأسرى يمكن استجوابهم على عجل فى مسعى من الحلفاء للحاق بالألمان.

وفى ديسمبر ١٩٤٤، حث بيل دونوفان، رئيس مكتب الاستخبارات الاستراتيجية، وألن دلاس، رئيس العمليات الاستخباراتية الخاصة بمكتب الخدمات الاستراتيجية فى أوروبا الذى كان يعمل من سويسرا، الرئيس فرانكلين روزفلت بقوة على قبول خطة السماح لضباط الاستخبارات والعلماء ورجال الصناعة النازيين بأن "يُمنحوا تصريح دخول الولايات المتحدة بعد الحرب وتوضع مكاسبهم وديعة فى أحد البنوك الأمريكية أو ما شابه ذلك". وعلى الفور رفض روزفلت الاقتراح، قائلاً: "نتوقع أن يزيد عدد الألمان الذين يحرصون على الفرار بجلدهم بسرعة. وقد يكون من بين هؤلاء من تجب محاكمتهم كمجرمى حرب، أو على الأقل اعتقالهم بتهمة المشاركة الإيجابية فى أنشطة نازية. وحتى مع الضوابط اللازمة التى ذكرتموها، فأنا لست مستعداً للتصريح بإعطاء الضمانات."

ولكن ذلك الفيتو الرئاسى كان حبراً على ورق، حتى وهو لا يزال فى مرحلة الصياغة. فمن المؤكد أن "عملية السماء الملبدة بالغيوم" Operation Overcast كانت فى

---

(١) قرية فى وسط ألمانيا بالقرب من فايمار كانت تضم معسكر اعتقال أقامه النازيون إبان الحرب العالمية الثانية. **(المترجم)**

(٢) كانت حكومة فيشى برئاسة الجنرال أونرى فيليب بيتان (١٩٤٠-١٩٤٢) متعاونة مع النازيين الذين احتلوا فرنسا بمعركة خاطفة أثناء الحرب العالمية الثانية. **(المترجم)**

سبيلها للتنفيذ بحلول يوليو ١٩٤٥، حيث وافقت قيادة الأركان المشتركة على أن تستقدم للولايات المتحدة ٣٥٠ عالمًا ألمانيًا بينهم فيرنر فون براون Werner Von Braun وفريق الصاروخ V2 الذي يعمل معه، ومصممو الأسلحة الكيماوية، ومهندسو المدفعية والغواصات. وكان هناك حظر نظرى على استقدام النازيين؛ ولكن ذلك الحظر لم يكن مطبقًا، شأنه شأن مرسوم روزفلت. وشملت شحن العملية كذلك النازيين سيئى السمعة وضباط الوحدة الخاصة SS مثل فون براون، والدكتور هربرت أكستر Herbert Axter، والدكتور أرتور رودولف Arthur Rudolph وجورج ريخكى Georg Richkey.

وكان براون يستغل أعمال السخرة التى يقوم بها نزلاء معسكر اعتقال دورا Dora وكان يجعل الأسرى يعملون حتى الموت فى مجمع ميتِلفيرك Mittelwerk، حيث مات أكثر من ٢٠ ألف شخص من جراء الإجهاد أو الجوع الشديد. وكان مراقب عمال السخرة وهو ريخكى. ورداً على التخريب الذى لحق بمصنع الصواريخ – حيث كان الأسرى يتبولون على المعدات الكهربية، مما يؤدى إلى أعطال كبيرة – كان ريخكى يعلق كل اثنى عشر منهم فى رافعات المصنع، وقد حُشرت فى أفواههم عصى خشبية لكتم صرخاتهم. وفى معسكر دورا نفسه كان ينظر إلى الأطفال على أنهم أفواه لا فائدة منها، وكان يأمر حراس الوحدة الخاصة بضربهم بالهراوات حتى الموت، وهو ما كانوا يفعلونه.

ولكن ذلك السجل لم يمنع نقل ريخكى على عجل إلى الولايات المتحدة، حيث وُظِّف فى رايت فيلد Wright Field، وهى قاعدة للقوات الجوية بالقرب من ديتون بولاية أوهايو Dayton, Ohio. وكان ريخكى يشرف على أمن عشرات النازيين الآخرين الذين كانوا يتابعون أبحاثهم الخاصة بالولايات المتحدة. كما كُلِّف بمهمة ترجمة كل السجلات التى جاءوا بها من مصنع ميتِلفيرك. وبذلك أتيحت له الفرصة التى استغلها أقصى استغلال لتدمير المادة التى تضر زملاءه وتضره هو شخصياً.

وبحلول عام ١٩٤٧ كان هناك ما يكفى من القلق العام، الذى أثاره الكاتب الصحفى درو بيرسون Drew pearson – للمطالبة بإجراء محاكمة رسمية لريخكى وبضعة أشخاص غيره على ما ارتكبوه من جرائم حرب. وأُعيد ريخكى إلى ألمانيا الغربية وحوكم محاكمة سرية أشرف عليها الجيش الأمريكى، وكانت لديها كل الأسباب التى تجعلها تبرئ ريخكى، حيث إن الإدانة سوف تكشف أن فريق ميتِلفيرك بكامله الموجود

وقتها في الولايات المتحدة كانت متواطئًا على الاستفادة من السخرة وتعذيب وقتل أسرى الحرب، وبالتالي فهم مذنبون كذلك فيما يتعلق بجرائم الحرب. ولذلك خرّب الجيش محاكمة ريخكي بحجبه السجلات الموجودة وقتها في الولايات المتحدة، وكذلك بمنع أي استجواب لفون براون وغيره ممن في ديتون؛ وصدر الحكم ببراءة ريخكي. ولكن بما أن بعض مواد المحاكمة كانت لها صلة برودولف، وفون براون، وفالتر دورنبرجر، فقد حُظِر السجل بكامله وظل سرًا لمدة أربعين سنة. وبذلك دفن الليل الذي كان من الممكن أن يبعث بفريق الصواريخ كله إلى المشنقة.

وكان كبار ضباط الجيش الأمريكي يعرفون الحقيقة. وفي البداية كان تجنيد مجرمي الحرب الألمان يبرر بأنه ضروري لاستمرار الحرب ضد اليابان. وبعد ذلك كان هناك مبرر أخلاقي اتخذ شكل الاستعانة بـ"التعويضات الفكرية"، أو ما وصفته هيئة الأركان المشتركة بأنه "شكل من أشكال استغلال العقول النادرة المختارة التي نرغب في الاستفادة من إنتاجيتها الفكرية المستمرة". وجاء إقرار هذا الموقف البغيض من لجنة الأكاديمية القومية للعلوم National Academy of Science، التي تبنت الموقف العلمي القائل بأن العلماء الألمان كانوا يتقون الوباء النازي بأن صاروا "جزيرة من عدم التوافق مع الدولة التي صبغت بالصبغة النازية"، هي العبارة التي لا بد أنها حظيت بتقدير ريخكي وغيره من مشرفي السخرة.

وبحلول عام ١٩٤٦، كان أساس منطقي يقوم على الحرب الباردة قد أخذ يزداد أهمية. إذ كانت هناك حاجة إلى النازيين للكفاح ضد الشيوعية، وكان لا بد من حجب قدراتهم عن السوفييت. وفي سبتمبر ١٩٤٦ وافق الرئيس هاري ترومان، بإيحاء من دلاس، على مشروع "مشبك الورق" Paperclip Project الذي كانت مهمته استقدام ما لا يقل عن ألف عالم نازي إلى الولايات المتحدة. وكان من بين هؤلاء أشد مجرمي الحرب شراسة؛ فقد كان هناك أطباء معسكر اعتقال داخاو الذين كانوا يقتلون الأسرى بإخضاعهم لاختبارات الطبقات العليا، ويجمدون ضحاياهم ويعطونهم جرعات كبيرة من الماء المالح كي يدرسوا عملية الغرق. وكان هناك مهندسو الأسلحة الكيماوية مثل كورت بلومه Kurt Blume الذي كان يجرب غاز الأعصاب سارين Sarin على الأسرى في أوشفيتس. وكان هناك أطباء يزيدون من جراح ساحة القتال بأخذهم الأسيرات إلى رافنزبروك Ravensbruck وملء جراحهن بجراثيم الغنغرينا ونشارة الخشب وغاز

الخردل والزجاج، ثم يخيطونها ويعالجون البعض بجرعات من عقاقير السلفا، بينما يتركون الأخريات كي يعرفوا كم من الزمن أخذن للإصابة بحالات مميتة من الغنغرينا.

وكان من بين أهداف برنامج التجنيد الخاص بمشبك الورق هيرمان بيكر-فريزنج Hermann Becke-Freyseng وكونراد شيفر Konrad Schaeffer صاحبا دراسة "الظمأ وإطفاء الظمأ فى حالات الطوارئ فى البحر". وكان المقصود من الدراسة وضع طرق لإطالة الفترة التى يعيشها الطيارون الذين يغرقون فى مياه البحر. ولتحقيق تلك الغاية، طلب العالمان من هاينريش هيملر Heinrich Himmler "أربعين شخصاً صحيحاً لإجراء التجارب عليهم" من شبكة معسكرات الاعتقال التابعة لرئيس الوحدة الخاصة SS، وكان الجدل الدائر بين العلماء حول هل يكون من تجرى عليهم التجارب من اليهود أم الغجر أم الشيوعيين. وأجريت التجارب فى داخاو. وكان هؤلاء الأسرى – ومعظمهم من اليهود – كان الماء المالح يدخل عنوة فى حلوقهم من خلال أنابيب. وكان الماء المالح يحقن مباشرة فى عروق آخرين. وأعطى لنصف من أجريت عليهم التجارب عقّار اسمه بيركاتيت berkatit، كان من المفترض أنه يجعل الماء المالح مستساغا أكثر، مع أن العالمين كانا يشكان فى أن البيركاتيت نفسه سوف يصبح ساماً بصورة مميتة بعد أسبوعين. وكان شكهما فى محله. كما كان الأطباء يستخدمون أثناء الاختبارات إبراً طويلة لاستخراج أنسجة الكبد، دون أى تخدير. ومات كل من أجريت عليهم التجارب. وحصل كل من بيكر-فريزنج وشيفر على عقد طويل الأجل ضمن برنامج مشبك الورق؛ وانتهى المطاف بشيفر فى تكساس، حيث واصل بحثه عن "الظمأ وإزالة ملوحة الماء المالح".

وتولى بيكر-فريزنج مسئولية إعداد مخزن القوات الجوية الضخم من أبحاث الطيران التى قام بها زملاؤه النازيون. وفى ذلك الوقت تعقبوه وساقوه إلى المحاكمة فى نورمبرج. وفى النهاية نشرت القوات الجوية ذلك العمل الذى يضم العديد من المجلدات بعنوان German Aviation Medcine: World War II، حيث استكمل بمقدمة كتبها بيكر-فريزنج من زنزانته فى سجن نورمبرج. وأغفل العمل ذكر الضحايا البشرية للبحث، وامتدح العلماء النازيين كرجال مخلصين وشرفاء "ذوى طابع حر وأكاديمى" يعملون فى ظل قيود الرايخ الثالث.

وكان من بين زملائهم البارزين الدكتور زيجموند راشر Sigmund Rascher، وكان مكلفا كذلك بالعمل فى داخاو. وفى عام ١٩٤١، أبلغ راشر هيملر بالحاجة الماسة إلى إجراء تجارب طبقات الجو العليا على البشر. وطلب راشر ـ الذى كان قد ابتكر غرفة ضغط منخفض أثناء الفترة التى أمضاها فى معهد القيصر فيلهلم ـ من هيملر السماح بأن يجعلوا تحت وصايته "اثنين أو ثلاثة من المجرمين المحترفين"، وهو الاسم الذى يطلقه النازيون على اليهود، وأسرى الحرب الروس، وأفراد المقاومة السرية فى بولندا. ووافق هيملر على الفور، وكانت تجارب راشر تُجرى خلال شهر.

وحُبس ضحايا راشر داخل غرفة الضغط المنخفض، التى كانت تحاكى ارتفاع ٦٨ ألف قدم. وقد مات ثمانون من فئران التجارب البشرية بعد حبسهم داخل الغرفة بلا أوكسجين. وكان العشرات غيرهم يُسحبون من الغرفة وهم شبه غائبين عن الوعى ويغرقونهم على الفور فى براميل من الماء المثلج. وبسرعة يشق راشر رؤوسهم كى يفحص عدد الأوعية الدموية التى انفجرت بسبب انسدادها. وصور راشر تلك التجارب وكذلك عينات الأنسجة، حيث أرسل لقطات مع ملاحظاته شديدة التفصيل إلى هيملر. وكتب راشر: "بعض التجارب أحدثت قدرًا من الضغط فى رؤوسهم جعلهم يجنون ويشدون شعورهم فى محاولة لتخفيف ذلك الضغط. وكانوا يخمشون رؤوسهم ووجوههم بأيديهم ويصرخون فى محاولة لتخفيف الضغط على طبول آذانهم." وقد ضبط عملاء الاستخبارات الأمريكية سجلات راشر وسلموها للقوات الجوية.

وكان مسئولو الاستخبارات الأمريكيون ينظرون إلى انتقاد أشخاص مثل درو بيرسون بازدراء. فقد رفض بوسكت ويف Bosquet Wev رئيس المكتب المشترك لوكالات الاستخبارات JOIA الكلام عن ماضى العلماء النازيين، باعتباره "تفصيلة تافهة"؛ واستمر فى كلامه ليدينهم لأن عملهم لمصلحة هتلر Hitler وهملر لم يكن سوى "نفخ فى قربة مقطوعة". ولعبًا على المخاوف الأمريكية بشأن نوايا ستالين فى أوروبا، قال ويف إن ترك العلماء النازيين فى ألمانيا "يمثل تهديدًا أمنيًا لهذا البلد أكبر بكثير من أى ولاء نازى سابق ربما كان لديهم، أو حتى أى تعاطف قد لا يزال لديهم".

وعبر عن نزعة براجماتية مشابهة أحد زملاء ويف، وهو الكولونيل مونتى كون Colo-nel Montie Cone رئيس قسم الاستغلال فى G-2. فقد قال كون: "من وجهة النظر العسكرية، كنا نعلم أن هؤلاء الأشخاص عديمو النفع بالنسبة لنا. ولكن فكروا فقط

فيما لدينا نتيجة لأبحاثهم – كل أقمارنا الاصطناعية، والطائرة النفاثة، والصواريخ، وكل شيء آخر تقريباً."

وكان عملاء الاستخبارات الأمريكيون من الإعجاب بمهمتهم حتى أنهم بلغوا أقصى حد ممكن لحماية مجنديهم من المحققين الجنائيين في وزارة العدل الأمريكية. ومن بين الحالات الأكثر بغضًا باحث الطيران النازي إميل زالمون Emil Salmon الذي ساعد أثناء الحرب في حرق معبد مليء بالنساء والأطفال اليهود. وكان المسئولون الأمريكيون يؤوون زالمون في قاعدة رايت Wright الجوية بأوهايو بعد أن أدانته محكمة لمحو النازية بألمانيا في جرائم ارتكبها.

ولم يكن النازيون وحدهم هم من يبحث عنهم عملاء الاستخبارات الأمريكية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. ففي اليابان، وضع الجيش الأمريكي على قوائم رواتبه اسم الدكتور شيرو إيشي إي رئيس وحدة الحرب البيولوجية بالجيش الإمبراطوري. وكان إيشي إي قد نشر سلسلة عريضة من الوسائل البيولوجية والكيماوية ضد القوات الصينية وقوات الحلفاء، كما كان يدير مركز أبحاث كبيرا في منشوريا، حيث كان يجري تجارب الأسلحة البيولوجية على أسرى الحرب الصينيين والروس والأمريكيين. وقد نقل إيشي إي عدوى التيتانوس إلى الأسرى؛ كما أعطاهم طماطم ملوثة بالتيفود؛ وأعد براغيث حاملة للطاعون؛ وأصاب النساء بالسفلس؛ وفجر قنابل جرثومية فوق العشرات من أسرى الحرب المربوطين في قوائم خشبية. وبالإضافة إلى فظائع أخرى، يسجل إيشي إي كيف أنه كثيراً ما كان يقوم بـ"أخذ عينات أنسجة" من ضحايا أحياء. وفي صفقة عقدها الجنرال دوجلاس ماك آرثر، سلم إيشي إي أكثر من ١٠ آلاف صفحة من "نتائج الأبحاث" الخاصة به إلى الجيش الأمريكي، وأفلت من العقاب على ما ارتكبه من جرائم الحرب، ودُعي إلى إلقاء محاضرة في فورت ديتريك، بمركز أبحاث الأسلحة البيولوجية التابع للجيش بالقرب من فريدريك بولاية ميريلاند Fredrick, Maryland.

وطبقًا لشروط "مشبك الورق"، كان هناك تنافس شرس، ليس فقط بين حلفاء زمن الحرب، بل كذلك بين الهيئات الأمريكية المختلفة – التي كانت دائمًا هي الأكثر وحشية في القتال. وكان كيرتس لوماري Curtis LeMary يرى قواته الجوية الأمريكية التي أنشئت حديثًا على أنها ستعجل بالتأكيد بانقراض البحرية الافتراضي. وكان يظن أن

هذه العملية سوف تُسرِّع إن هو استطاع الحصول على أكبر عدد ممكن من العلماء والمهندسين الألمان. وبالنسبة لهذا الجزء، كانت البحرية على نفس القدر من الحرص على الإمساك بنصيبها من مجرمي الحرب. وكان من بين أول من التقطتهم البحرية عالم نازى اسمه تيودور بنتسنجر Theodor Benzinger. وكان بنتسنجر خبيراً فى إصابات ميدان القتال، وهى الخبرة التى اكتسبها من خلال تجارب المتفجرات التى أجريت على البشر أثناء المراحل الأخيرة من الحرب العالمية الثانية. وانتهى الحال ببنتسنجر إلى الحصول على عقد مجزٍ للعمل كباحث فى مستشفى بيذزدا البحرى فى ميريلاند.

وأثناء المهمة الفنية التى قامت بها البحرية فى أوروبا، كانت متحمسة فى تعقبها لأحدث الأبحاث النازية من خلال أساليب الاستجواب. وسرعان ما وقعت فى أيدى ضباط استخبارات البحرية أوراق الأبحاث النازية الخاصة بأمصال الصدق، وهى الأبحاث التى كان يجريها فى معسكر الاعتقال بداخاو الدكتور كورت بلوتنر Kurt Plotner. وكان بلوتنر يعطى الأسرى اليهود والروس جرعات من المسكالين ويراقبهم وهم يبدون سلوكًا شيزوفرينيًا. وكان الأسرى يبدءون الكلام بصراحة عن كراهيتهم لمعتقليهم الألمان، ويدلون بتصريحات فيها اعتراف بتركيبتهم النفسية.

وكان لضباط الاستخبارات الأمريكيين اهتمام مهنى بتقارير الدكتور بلوتنر. وكان مكتب الخدمات الاستراتيجية والاستخبارات البحرية وأفراد الأمن فى مشروع مانهاتن يجرون منذ فترة طويلة أبحاثهم على ما كان يعرف اختصاراً بـ TD أو "عقَّار الصدق" truth drug. وكما جاء فى الفصل الخامس عن استخدام ضابط مكتب الخدمات الاستراتيجية هنتر وايت لعقَّار THC على عضو المافيا أوجستو ديل جراشيو، فقد كانوا يجرون التجارب على عقاقير TD اعتباراً من عام ١٩٤٢. وكان من بين أول من أجريت عليهم التجارب أشخاص يعملون فى مشروع مانهاتن. وكانت جرعات THC تعطى لأهداف ضمن مشروع مانهاتن بطرق مختلفة، باستعمال محلول THC سائل يحقن فى الطعام والشراب، أو تشبع به المناديل الورقية. وكتب فريق الأمن بمشروع مانهاتن فرحًا فى إحدى المذكرات الداخلية: "يبدو أن TD يزيل كل الموانع ويميت تلك المناطق من المخ التى تتحكم فى القدرة على التظاهر والحرص لدى الفرد. وهو يقوى الحواس ويظهر أية سمة قوية لدى الفرد."

إلا أنه كانت هناك مشكلة. فقد كانت جرعات THC تجعل الأشخاص الذين تجرى عليهم التجربة فى حالة من التشويش، ولم يكن بإمكان المستجوبين الحصول على العلماء لكشف غموض أية معلومات، حتى ولو بزيادة تركيز العقّار.

وبعد قراءة أوراق الدكتور بلوتنر، اكتشف ضباط استخبارات البحرية الأمريكية أنه أجرى تجارب حققت بعض النجاح باستعمال المسكالين كعقار لاستخلاص الكلام، بل والصدق، مما مكّن المستجوبين من استخلاص "حتى أكثر الأسرار حميمية من الشخص الذى تجرى عليه التجربة عندما توجه الأسئلة بمهارة". كما ذكر بلوتنر أنه أجرى كذلك أبحاثا على قدرة المسكالين كمحفز للتعديل السلوكى وضبط العقل.

وكانت المعلومات موضع اهتمام خاص من بوريس باش Boris Pash، وهو أحد الشخصيات الأكثر شراً فى قائمة العاملين بوكالة الاستخبارات المركزية فى تلك المرحلة المبكرة. وكان باش مهاجراً روسيًا إلى الولايات المتحدة قد عانى من السنوات الثورية عند مولد الاتحاد السوفيتى. وفى الحرب العالمية الثانية، انتهى به المطاف بالعمل مع مكتب الخدمات الاستراتيجية للإشراف على أمن مشروع مانهاتن، حيث كان يقوم، بالإضافة إلى أنشطة أخرى، بالإشراف على التحريات عن روبرت أوبنهايمر Robert Oppenheimer[1] وكان كبيرمستجوبى عالم الذرة الشهير حين كان هناك شك فى أنه يساعد على تسريب أسرار للاتحاد السوفيتى.

وفى إطار سلطة باش كرئيس للأمن، كان يشرف على استخدام ضابط مكتب الخدمات الاستراتيجية چورچ هنتروايت لعقار THC على علماء مشروع مانهاتن. وفى عام ١٩٤٤ اختار دونوفان باش ليرأس ما كانت تسمى مهمة ألزوس Alsos Mission، وكان المقصود بها القبض على العلماء الألمان الذين شاركوا فى أبحاث الأسلحة الذرية الكيماوية والبيولوجية. واتخذ باش مقراً له فى منزل صديق قديم من فترة ما قبل الحرب اسمه الدكتور أويجينه فون هاجن Eugene von Haagen كان أستاذا بجامعة شتراسبورج Strasburg، حيث كان الكثير من العلماء النازيين أعضاء فى هيئة التدريس. وكان باش قد التقى بفون هاجن عندما كان الدكتور متفرغًا للبحث لمدة عام فى جامعة روكفلر Rockfeller University بنيويورك، حيث كان يجرى أبحاثًا على

---

(١) فيزيائى أمريكى كان يدير معمل لوس آلاموس بنيو مكسيكو أثناء صنع أول قنبلة ذرية (١٩٤٢-١٩٤٥). (المترجم)

الفيروسات المدارية. وعندما عاد فون هاجن إلى ألمانيا فى أواخر الثلاثينيات، رأس بالاشتراك مع كورت بلومه Kurt Blume وحدة الأسلحة البيولوجية التى أنشأها النازيون. وأمضى فون هاجن جزءاً كبيراً من فترة الحرب وهو يصيب النزلاء اليهود فى معسكر اعتقال ناتسفايلر Natzweiler بأمراض منها التيفوس. ولم تمنع أنشطة فترة الحرب، التى قام بها صديقه القديم، باش من أن يضع فون هاجن على الفور ضمن برنامج "مشبك الورق"، حيث عمل لدى الحكومة الأمريكية لمدة خمس سنوات وقدَّم خبرته فى أبحاث الأسلحة الجرثومية.

وأوصل باش فون هاجن إلى زميله القديم بلومه الذى ضم على الفور إلى برنامج "مشبك الورق". وكانت هناك فجوة غير مريحة حين ألقى القبض على بلومه وحوكم فى نورمبرج على جرائم الحرب الطبية، ومنها الإصابة المتعمدة لمئات الأسرى من الحركات السرية فى بولندا بالسل والطاعون الدبلى. ولكن لحسن حظ ذلك العالم النازى أن استخبارات الجيش الأمريكى ومكتب الخدمات الاستراتيجية حجبت الوثائق التى تدينه، وكانت قد حصلت عليها من خلال الاستجواب الذى قامت به. وكانت الأدلة لن تكشف ذنب بلومه وحسب، بل كذلك دوره الإشرافى فى بناء معمل الحرب الكيماوية والبيولوجية الألمانى لاختبار الأسلحة الكيماوية والبيولوجية على قوات الحلفاء. وأفلت بلومه من العقاب.

وفى عام ١٩٥٤، وبعد شهرين من تبرئة بلومه، سافر ضباط الاستخبارات الأمريكية إلى ألمانيا لإجراء مقابلة معه. ووصف هـ.و. باتشلور H.W. Bachelor فى مذكرة كتبها إلى رؤسائه الغرض من الرحلة: "لنا أصدقاء فى ألمانيا ـ أصدقاء علماء ـ وهذه فرصة للتمتع بلقائهم لمناقشة مشاكلنا العديدة." وفى الجلسة قدم بلوم لباتشلور قائمة بأسماء باحثى الأسلحة البيولوجية الذين سبق لهم العمل معه أثناء الحرب وناقش سبلاً جديدة لإجراء أبحاث على أسلحة الدمار الشامل. وسرعان ما وقع بلومه عقداً للعمل فى مشروع "مشبك الورق" قيمته ٦ آلاف دولار فى العام وسافر إلى الولايات المتحدة، حيث قام بمهامه فى كامب كنج Camp King، وهى قاعدة تابعة للجيش خارج واشنطن العاصمة. وفى عام ١٩٥١ ألقت السلطات الفرنسية القبض على فون هاجن. ورغم الجهد الذى لا يكل من جانب من يحمونه فى الاستخبارات الأمريكية، أُدين فون هاجن على جرائم الحرب وحُكم عليه بالسجن عشرين عاماً.

وانتقل باش من مهمة "مشبك الورق" إلى وكالة الاستخبارات المركزية الوليدة، حيث تدرج ليصبح رئيس "برنامج الفرع ٧" Program Branch/7، حيث استفيد بصورة كبيرة من اهتمامه بتقنيات الاستجواب. وكانت مهمة "برنامج الفرع ٧" - الذى كشف النقاب عنه فى استجواب السناتور تشرش عام ١٩٧٦ - هو تولى مسئولية أعمال اختطاف واستجواب وقتل عملاء وكالة الاستخبارات المركزية المزدوجين التى تقوم بها الوكالة. وعكف باش على دراسة ما قام به الأطباء النازيون فى داخاو للحصول على أدلة مفيدة بأكثر الطرق كفاءة لاستخراج المعلومات، ومنها عقاقير الحث على الكلام، والصدمات الكهربية، والتنويم المغناطيسى وجراحة المخ النفسية. وفى الوقت الذى كان فيه باش يرأس برنامج الفرع ٧، بدأت وكالة الاستخبارات المركزية فى إغداق الأموال على "مشروع العصفور الأزرق" Project Bluebird، وهو مسعى لعمل صورة من أبحاث داخاو وتوسيعها. ولكن بدلاً من المسكالين، اتجهت وكالة الاستخبارات المركزية إلى عقار الهلوسة، الذى ابتكره العالم السويسرى ألبرت هوفمان Albert Hoffman.

وكان أول اختبار أجراه العصفور الأزرق على عقار الهلوسة قد أجرى على اثنى عشر شخصًا، كان أغلبهم من السود، ومن وصفهم المعالجون النفسيين بوكالة الاستخبارات المركزية الذى فاقوا أطباء النازيين فى داخاو بأنهم "لا يتمتعون بقدرات عقلية عالية". وكان يقال لمن تجرى عليهم التجارب أنهم يعطون عقاراً جديداً. وحسبما تقول مذكرة خاصة بالعصفور الأزرق، فقد أكد لهم أطباء وكالة الاستخبارات المركزية، الذين كانوا على علم تام بأن تجارب عقار الهلوسة تساعد على الإصابة بالشيزوفرينيا، أنه "ليس هناك شيء خطير أو ضار سيحدث لهم". وكان أطباء الوكالة يعطون الاثنى عشر ١٥٠ ميكروجرامًا من عقار الهلوسة ثم يعرضونهم لاستجواب عدائى.

وبعد تلك التجارب، شرعت وكالة الاستخبارات والجيش الأمريكى فى إجراء اختبار واسع المدى فى ترسانة إيدجوود الكيماوية فى ميريلاند اعتباراً من ١٩٤٩ لتستمر طوال العشر سنوات التالية. وأجريت التجارب الطبية على أكثر من ٧ آلاف جندى أمريكى بدون علمهم. وكان يُطلب من الرجال ركوب دراجات التدريب وعلى وجوههم أقنعة الأوكسجين، التى كان يُبخ فيها نوع من عقاقير الهلوسة، ومنها عقار LSD، والمسكالين، وعقار BZ (مولد للهلوسة) وعقار SNA (سيرينيل، وهو قريب لعقار PCP ويعرف كذلك بين العامة باسم تراب الملائكة). وكان أحد أهداف هذا البحث هو العمل

على الوصول إلى حالة من الفقدان التام للذاكرة. وكانت تلك الغاية تتحقق فى حالة الكثير ممن تجرى عليهم التجارب. وخرج أكثر من ألف جندى ممن أجريت عليهم التجارب بإصابات نفسية خطيرة وصرع؛ وقد حاول العشرات منهم الانتحار.

من بين هؤلاء لويد جامبل Lloyd Gamble، وهو رجل أسود مجند فى القوات الجوية. ففى عام ١٩٥٧ أغروا جامبل بالمشاركة فى برنامج لاختبار العقاقير تابع لوزارة الدفاع ووكالة الاستخبارات المركزية. وقد جعلوه يعتقد أنه يختبر ملابس عسكرية جديدة. وكحافز للمشاركة فى البرنامج، منحوه أجازة ممتدة، ومكانًا خاصًا به للنوم، والمزيد من الزيارات الزوجية. وعلى مدى ثلاثة أسابيع كان جامبل يلبس ويخلع العديد من الأزياء الرسمية فى كل يوم، وكان يُعطى وسط ذلك المجهود، على ما يذكر، زجاجتان أو ثلاث زجاجات بها سائل أشبه بالماء، وهو ما كان فى حقيقة الأمر عقار LSD. وكان جامبل يعانى من هلاوس فظيعة وكان يحاول قتل نفسه. وعلم الحقيقة بعد تسع عشرة سنة، عندما أفشت جلسات استماع تشرش أمر وجود البرنامج. وحتى وقتها أنكرت وزارة الدفاع أن جامبل أُشرك فى ذلك. وانهارت محاولات التغطية عندما ظهرت صورة علاقات عامة تابعة لوزارة الدفاع تبين بفخر جامبل واثنى عشر آخرين على أنهم "متطوعون لبرنامج يحقق أكبر فائدة أمنية قومية".

وقليل من أمثلة استعداد وكالات الاستخبارات الأمريكية لإجراء التجارب على أشخاص دون علمهم أكثر حيوية من إغارة منشأة أمن قومى على الأبحاث الخاصة بآثار التعرض للإشعاع. وهناك ثلاثة أنماط مختلفة من التجارب، أحدها كان يشمل آلافًا من أفراد الجيش والمدنيين الذين كانوا يعرَّضون مباشرة للسقط الإشعاعى من التجارب النووية الأمريكية فى جنوب غرب أمريكا و المحيط الهادى. وسمع كثيرون عن الرجال السود الذى راحوا ضحايا أربعة عقود من الدراسات الممولة فدراليًا عن السفلس، حيث كانوا يعطون الضحايا أدوية وهمية كى يتمكن الأطباء من رصد تقدم المرض. وفى حالة سكان جزيرة مارشال، أجرى العلماء الأمريكيون تجربة هيدروجينية – تساوى فى قوتها ألف قنبلة كتلك التى ألقيت على هيروشيما – ثم لم تحذر السكان القريبين فى رونجلاب Rongelap من أخطار الإشعاع، وبنفس برودة أعصاب العلماء

النازيين (وهو ما ليس بمستغرب، لأن من سبق لهم إجراء تجارب الإشعاع من الألمان، وأنقذهم ضابط وكالة الاستخبارات المركزية بوريس باش، كانوا وقتها ضمن الفريق الأمريكى) كانوا يلاحظون كيف يمضون فى حياتهم.

فى البداية سمح لسكان الجزيرة بالبقاء على جزيرتهم لمدة يومين معرضين للإشعاع. وبعد ذلك أجلوا عنها. وبعد عامين طالب الدكتور ج. فيل G. Faill رئيس لجنة البيولوجيا والطب بهيئة الطاقة الذرية بإعادة سكان رونجلاب إلى جزيرتهم "من أجل إجراء دراسة وراثية للآثار على هؤلاء الناس". وأجيب مطلبه. وفى عام ١٩٥٣، وقعت وكالة الاستخبارات المركزية ووزارة الدفاع أمراً يلزم الحكومة الأمريكية بدستور نورمبرج الخاص بالأبحاث الطبية. ولكن ذلك الأمر التوجيهى حُظِر نشره باعتباره سرِّيا للغاية، وظل وجوده سراً بالنسبة للباحثين ومن أجريت عليها التجارب وواضعى السياسة طوال اثنتين وعشرين سنة. وقد أوجز السياسة بشكل محدد الكولونيل و.ج. هيوود O.G. Haywood بمؤسسة الطاقة الذرية الذى صاغ الأمر هكذا: "هناك رغبة بعدم إخراج أى مستند يشير إلى التجارب التى تجرى على البشر. فإن ذلك قد تكون له آثار عكسية على الجمهور أو يؤدى إلى رفع دعاوى قضائية. ولا بد أن تكون المستندات التى تغطى هذا العمل الميدانى سراً يحظر الاطلاع عليه."

ومن بين العمل الميدانى الذى حظر الاطلاع عليه باعتباره سراً خمس تجارب مختلفة أشرفت عليها وكالة الاستخبارات المركزية، وهيئة الطاقة الذرية، ووزارة الدفاع وتنطوى على حقن البلوتونيوم[١] فى ثمانية عشر شخصاً على الأقل أغلبهم من السود، دون موافقة عن علم. وهناك ثلاثة عشر إطلاقا متعمدا للمواد المشعة فى المدن الأمريكية والكندية فيما بين ١٩٤٨ و١٩٥٢ لدراسة أنماط السقط وتحلل الجزيئات المشعة. وكانت هناك عشرات التجارب التى مولتها وكالة الاستخبارات المركزية، ومؤسسة الطاقة الذرية، وكان يقوم بها فى كثير من الأحيان علماء بجامعة كاليفورنيا فى بيركلى، وجامعة شيكاغو، وجامعة فاندربلت Vanderbilt ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وهو ما عرّض أكثر من ٢٠٠٠ شخص دون علمهم للفحص الإشعاعى.

---

(١) عنصر مشع موجود فى خام اليورانيوم ، وهو سم إشعاعى تمتصه العظام والنخاع. **(المترجم)**

وحالة إلمر آلن Elmer Allen من الحالات التقليدية. ففى عام ١٩٤٧، ذهب ذلك العامل الأسود فى السكك الحديد وكان فى السادسة والثلاثين من عمره إلى مستشفى فى شيكاغو يشكو ألمًا فى ساقيه. شخَّص الأطباء مرضه على أنه حالة سرطان عظام واضحة، وحقنوا ساقه اليسرى بجرعات ضخمة من البلوتونيوم على مدى اليومين التاليين. وفى اليوم الثالث بتر الأطباء ساقه وأرسلوها إلى عالم وظائف الأعضاء فى هيئة الطاقة الذرية لبحث كيفية انتشار البلوتونيوم فى الأنسجة. وبعد ستة وعشرين عامًا، أى فى عام ١٩٧٣، أعادوا آلن إلى معمل أرجون القومى Argonne National Laboratory خارج شيكاغو، حيث أجروا له مسحًا إشعاعيًا على كامل جسمه، ثم أخذوا عينات بول وبراز ودم لتقدير رواسب البلوتونيوم فى جسمه منذ تجربة عام ١٩٤٧.

وفى عام ١٩٩٤، قالت باتريشا دربن Patricia Durbin، التى كانت تعمل فى معامل لورانس ليفرمور Lawrence Livermore فى تجارب البلوتونيوم: "كنا دائمًا نبحث عن شخص لديه نوع ما من الأمراض المستعصية الذى ستجرى له عملية بتر. وكانت تلك الأشياء تجرى لابتلاء الناس أو إمراضهم أو جعلهم فى حالة من البؤس. ولم تكن تُجرى لقتل الناس. بل لاكتساب معلومات يحتمل أن تكون قيمة. وحقيقة أنهم كانوا يحقنون ويوفرون هذه المعلومات القيمة، ينبغى أن تكون نوعًا من التذكار وليس شيئًا نخجل منه. فأنا لا أجد حرجًا فى التحدث عن حقن البلوتونيوم بسبب المعلومات التى وفرها ذلك." والمشكلة الوحيدة بالنسبة لهذه الرواية المشوشة هى أن إلمر لم يكن لديه شىء خطير عندما ذهب إلى المستشفى يشكو ألمًا فى ساقه ولم يعلموه قط بما فعله الباحثون فى جسمه.

وفى عام ١٩٤٩، كان يطلب من أولياء أمور الأولاد المتخلفين عقليًا فى مدرسة فيرنلاند Fernland الموافقة على إلحاق أطفالهم بـ"نادى العلوم" فى المدرسة. وكان هؤلاء الأولاد الذين ينضمون إلى النادى تجرى عليهم التجارب دون علمهم، حيث كانت هيئة الطاقة الذرية تقدم لهم بالمشاركة مع شركة "كويكر أوتس" وجبة من الشوفان المعرض للإشعاع. وكان الباحثون يريدون معرفة ما إذا كانت المواد الحافظة الكيماوية فى تلك الحبوب تمنع الجسم من امتصاص الفيتامينات والمعادن، حيث تعمل المشعة كعناصر تتبع. كما كانوا يرغبون فى تقييم آثار المواد المشعة على الأطفال.

وتقليداً للأساليب النازية، كانت التجارب السرية التى تجريها الحكومة الأمريكية تبحث عن الأشخاص الأكثر ضعفًا وأسراً؛ وهم المتخلفون عقليًا، وذوو الأمراض المستعصية، وليس مستغربًا أن يكون معهم السجناء كذلك، وفى عام ١٩٦٣، عُرِّضت أصفان وخصى ١٣٢ سجينًا فى أوريجون وواشنطن لـ ٦٠٠ رونتجن[١] من الإشعاع. وكان من بين الذين أجريت عليهم التجارب هارولد بيبو Harold Bibeau، وهو الآن رسام هندسى فى الخامسة والخمسين يقيم فى تراوتديل بولاية أوريجون Troutdale, Oregon، ومنذ عام ١٩٩٤ وبيبو يخوض معركة بمفرده ضد وزارة الطاقة الأمريكية، وإدارة السجون فى أوريجون، ومعامل باتيل باسيفيك نورثويست Batelle Pacific Northwest Labs، وجامعة علوم الصحة بأوريجون. ولأنه سبق صدور حكم ضده، فهو لم يحصل على كثير من الترضية.

وكان بيبو قد أدين عام ١٩٦٣ بقتل رجل حاول اغتصابه جنسيًا، وحكم عليه بالسجن لمدة اثنتى عشرة سنة بتهمة القتل العمد، وبينما كان بيبو فى السجن أخبره نزيل آخر بالطريقة التى قد يمكنه بها تخفيف مدة عقوبته والحصول على بعض المال، وكان يمكن لبيبو تحقيق ذلك عن طريق الانضمام إلى مشروع أبحاث طبية يفترض أن جامعة علوم الصحة بأوريجون، وهى كلية الطب الحكومية – هى التى تديرها. ويقول بيبو إنه رغم توقيعه على اتفاق لأن يكون جزءًا من مشروع الأبحاث، فلم يخبره أحد قط بأنه قد تكون هناك عواقب خطيرة على صحته. وثبت أن التجارب التى تجرى على بيبو وغيره من النزلاء (فى مجملهم ١٣٣ مسجونًا فى أوريجون وواشنطن) مدمرة إلى أقصى حد. فقد شمل البحث دراسة آثار الإشعاع على الحيوانات المنوية البشرية ونمو الخلايا التناسلية.

وقد غُمر بيبو ورفاقه بـ ٦٥٠ راد[٢]من الإشعاع. وكانت جرعة كبيرة جداً. وعمل كشف بالأشعة السينية يعرض الشخص لحوالى ١ راد، ولكن هذا لا شىء بالمرة. ويقول بيبو إنه على امتداد السنوات القليلة التالية فى السجن كانت تعطى له حقن عديدة من أدوية أخرى، ذات طبيعة غير معروفة له. كما أخذت عينات من أنسجته وغير

(١) وحدة التعرض للإشعاع التى تساوى كمية من الإشعاع المؤين الذى ينتج وحدة كهرباء الكتروستاتيكية فى السنتيمتر المكعب من الهواء الجاف عند درجة صفر مئوية وضغط جوى قياسى. **(المترجم)**

(٢) وحدة الطاقة التى تمتص من الإشعاع المؤين، وهى تسوى ١٠٠ أرغ فى الجرام أو ٠,٠١ جول فى الكيلوجرام من المادة المشعة. **(المترجم)**

ذلك من الجراحات. وهو يقول إنه بعد الإفراج عنه من السجن لم يتصل به أحد مرة أخرى لرصد حالته.

وكانت تجارب أوريجون تجرى لمصلحة هيئة الطاقة الذرية، وكانت وكالة الاستخبارات المركزية جهة متعاونة. وكان المسئول عن اختبارات أوريجون الدكتور كارل هيلر Carl Heller. ولكن الأشعة السينية الفعلية التى كان بيبو يعرِّض لها هو وغيره من السجناء يقوم بها أشخاص غير مؤهلين بالمرة على هيئة نزلاء آخرين، ولم يخفف الحكم على بيبو ودفع له ٥ دولارات شهريًا و٢٥ دولارًا فى كل مرة تؤخذ فيها عينة من أنسجة خصيتيه، وكثير من السجناء الذين خضعوا للتجارب فى السجون الحكومية فى أوريجون وواشنطن أجريت لهم عمليات استئصال الخصيتين، أو جرى إخصاؤهم جراحيًا، وأبلغ الطبيب الذى أجرى عمليات التعقيم، السجناء أن التعقيم ضرورى "لمنع تلوث مجموع السكان بأشخاص حدث لهم تغير مفاجئ فى جيناتهم الوراثية بسبب الإشعاع".

ودفاعًا عن تجارب التعقيم، قال الدكتور ڤيكتور بوند Victor Bond الطبيب بمعهد بروكهافن Brookhaven النووى إنه من المفيد أن نعرف ما هى جرعة الإشعاع التى تصيب بالعقم، ومن المفيد أن نعرف ماذا تفعل الجرعات المختلفة من الإشعاع للكائنات البشرية." وذكر أحد زملاء الدكتور بوند، وهو الدكتور جوزيف هاملتون Joseph Ha-miltom من كلية طب كاليفورنيا بسان فرانسيسكو، صراحة أن تجارب الإشعاع (التى ساعد فى الإشراف عليها) "كانت فيها لمسة من لمسات بوخينفالت".

وفى الفترة من ١٩٦٠ حتى ١٩٧١، كان الدكتور أويجينه زانجر وزملاؤه فى جامعة كونيتيكت يجرون "تجارب إشعاع على الجسم كله" لثمانية وثمانين شخصا من السود والفقراء والذين يعانون من السرطان وغيره من الأمراض. وكان من تجرى عليهم التجارب يعرضون لمائة راد من الإشعاع - ما يساوى إجراء ٧٥٠٠ كشف بالأشعة السينية على الصدر. وكثيرًا ما كانت التجارب تسبب ألمًا حادًا وقيئا ونزيفا من الأنف والأذنين، ومات كل المرضى إلا واحد منهم، وفى منتصف السبعينيات اكتشفت لجنة تابعة للكونجرس أن زانجر زوَّر استمارات موافقة لتلك التجارب.

وفيما بين ١٩٤٦ و١٩٦٣ أجبر أكثر من ٢٠٠ ألف جندى على حضور اختبارات قنابل نووية جوية فى المحيط الهادى ونيفادا، من مدى قريب بصورة خطيرة، ويقول واحد من

هؤلاء - وهو جندى بالجيش الأمريكى اسمه جيم أوكونور Jim O'Connor - إنه "كان هناك شخص يشبه المانيكان، بدا وكأنه كان يزحف خلف مستودع للفحم. وكانت هناك أشياء كالأسلاك موصلة بذراعيه. وساعتها شممت رائحة كأنها رائحة لحم يحترق، وكانت الكاميرا الدوارة التى سبق أن رأيتها تزن وتزن وتزن وذلك الشخص يحاول النهوض." وهرب أوكونور نفسه من منطقة التفجير، إلا أن دوريات هيئة الطاقة الذرية ألقت القبض عليه وأجريت عليه اختبارات مطولة لقياس درجات تعرضه للإشعاع. وقال أوكونور عام ١٩٩٤ إنه منذ ذلك الاختبار وهو يعانى من مشاكل صحية كثيرة.

وفى ولاية واشنطن، وفى المعزل النووى بهاندفورد Handford، كانت وكالة الطاقة الذرية تقوم بأكبر إطلاق للكيماويات النووية حتى ذلك الوقت فى ديسمبر من عام ١٩٤٩، ولم يكن الاختبار ينطوى على أى تفجير نووى وإنما انبعاث آلاف الكوريات[1] من اليود المشع فى مساحة تمتد مئات الأميال فى الجنوب والغرب حتى سياتل وبورتلاند وحدود كاليفورنيا مع أوريجون، حيث أصاب الإشعاع مئات الآلاف من الناس، ولم يعلم السكان المدنيون، الذين لم ينبههم أحد إلى أن هناك اختباراً، بالأمر إلا فى أواخر السبعينيات، رغم وجود شكوك مستمرة بسبب الأعداد الكبيرة من حالات سرطان الغدة الدرقية بين المجتمعات الواقعة فى اتجاه الريح.

وفى عام ١٩٩٧، اكتشف المعهد القومى للسرطان أن ملايين الأطفال الأمريكيين تعرضوا لمستويات عالية من اليود المشع المعروف بأنه يسبب سرطان الغدة الدرقية. وكان معظم التعرض للإشعاع يعود إلى شرب حليب ملوث بالسقط من الاختبارات النووية التى أجريت فوق الأرض فيما بين ١٩٥١ و١٩٥٢، وكان تقدير المعهد المتحفظ هو أنه كان هناك من الإشعاع ما يكفى لإحداث ٥٠ ألف حالة إصابة بسرطان الغدة الدرقية، وقُدِّر إجمالى المرات التى أطلق فيها الإشعاع بأنها أكبر عشر مرات من تلك التى أطلقها الانفجار الذى وقع فى مفاعل تشيرنوبل السوفيتى عام ١٩٨٦.

وبدأت لجنة رئاسية فى عام ١٩٩٥ بحث تجارب الإشعاع على البشر وطلبت من وكالة الاستخبارات المركزية تسليم كل سجلاتها. وردت الوكالة بقول موجز هو أنه "لم يكن لديها أية سجلات أو غير ذلك من المعلومات عن تلك التجارب"، وقد يكون أحد أسباب شعور وكالة الاستخبارات المركزية بالثقة فى هذا الرفض المقتضب للتعاون هو

---

(١) الكورى Curie هى وحدة النشاط الإشعاعى. **(المترجم)**

أن مدير الوكالة فى ريتشارد هيلمز كان قد استغل فى اللحظات الأخيرة السابقة لتقاعده عام ١٩٧٣ فى الأمر بتدمير كل سجلات التجارب التى أجرتها وكالة الاستخبارات المركزية على البشر، ويشير تقرير أصدره المفتش العام بالوكالة عام ١٩٦٣ إلى أنه طوال أكثر من عشر سنوات قبل ذلك التاريخ كانت الوكالة تقوم بـ"أبحاث وابتكار لمواد كيماوية وبيولوجية وإشعاعية يمكن توظيفها فى العمليات السرية لضبط السلوك البشرى. ومضى تقرير عام ١٩٦٣ ليقول إن مدير الوكالة آلن دلاس كان قد أقر العديد من أشكال التجارب على البشر باعتبارها "سبلاً لضبط السلوك البشرى" ومنها "الإشعاع والصدمات الكهربية ومختلف ميادين علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وعلم الفراسة، ودراسات التحرش، والأجهزة والمواد شبه العسكرية".

وظهر تقرير المفتش العام فى جلسات استماع بالكونجرس عام ١٩٧٥ فى صورة جرى تعديلها إلى حد كبير. وهو ما يزال محظوراً حتى يومنا هذا. وفى عام ١٩٧٦، أبلغت وكالة الاستخبارات المركزية لجنة تشرش أنها لم تستخدم الإشعاع قط، إلا أن هذا الزعم انهار عام ١٩٩١ حين كُشف النقاب عن وثائق برنامج "الخرشوف" ARTI-CHOKE الخاص بالوكالة. ويقول ملخص أعدته الوكالة لـ"الخرشوف" إنه "بالإضافة إلى التنويم المغناطيسى والأبحاث الكيماوية والنفسية، فقد أجريت أبحاث على مظاهر أخرى منها الحرارة والبرد والضغط الجوى والإشعاع".

وفى عام ١٩٩٤، تتبعت اللجنة الوزارية، التى شكلها وزير الطاقة هيزل أوليرى Hazel O'Leary، ذلك الأثر من الأدلة وتوصلت إلى نتيجة مؤداها أن وكالة الاستخبارات المركزية أجرت أبحاثًا على الإشعاع باعتبار احتمال الاستفادة منه فى استخدامات دفاعية وهجومية لغسيل المخ وغيرها من أساليب الاستجواب. ويستشهد تقرير اللجنة بسجلات وكالة الاستخبارات المركزية التى تبين أن الوكالة موّلت سرًا إنشاء جناح فى مستشفى جورجتاون فى الخمسينيات. وذلك ليكون ملاذًا آمنًا للأبحاث التى ترعاها الوكالة عن البرامج الكيماوية والبيولوجية. وذهبت أموال الوكالة الخاصة بذلك من خلال باب جانبى إلى الدكتور تشارلز جيشيكتر Charles Geschickter، الذى كان يدير صندوق جيشيكتر للأبحاث الطبية. وكان الدكتور باحث سرطان فى جورجتاون يقوم بتجاربه الشهيرة باستعمال جرعات عالية من الإشعاع. وفى عام ١٩٧٧، شهد الدكتور جيشيكتر بأن الوكالة دفعت ثمن معمل ومعدات النظائر المشعة الخاصة به وكانت ترصد الأبحاث عن كثب.

وكانت وكالة الاستخبارات المركزية فاعلاً أساسيًا فى سلسلة كاملة من لجان الجهات الحكومية الخاصة بإجراء التجارب على البشر، فعلى سبيل المثال، خدم ثلاثة من ضباط الوكالة فى لجنة وزارة الدفاع الخاصة بالعلوم الطبية، وكان هؤلاء الضباط أنفسهم أعضاء أساسيين فى اللجنة المشتركة الخاصة بالجوانب الذرية للحرب الطبية. وهذه هى اللجنة الحكومية التى خططت ومولت وراجعت معظم تجارب الإشعاع البشرية، ومنها وضع القوات الأمريكية على مقربة من الاختبارات النووية التى أجريت فى الأربعينيات والخمسينيات.

وكانت وكالة الاستخبارات المركزية كذلك جزءًا من تنظيم الاستخبارات الطبية التابع للقوات المسلحة الذى أنشئ فى عام ١٩٤٨، حيث كانت الوكالة مسئولة عن "المعلومات الاستخبارية الذرية والبيولوجية والكيماوية، من وجهة نظر العلوم الطبية"، ومن بين الفصول الغريبة فى هذه المهمة إرسال فريق من العملاء للمشاركة فى شكل من أشكال نبش القبور لجمع عينات من الأنسجة والعظام من الجثث لتحديد مستويات السقط بعد الاختبارات النووية، ولتحقيق هذه الغاية، اقتطعوا أنسجة من حوالى ١٥٠٠ جثة – بدون معرفة ذوى المتوفين أو موافقتهم. وهناك أدلة أخرى على أن دور الوكالة الرئيسى هو ما قامت به فى اللجنة المشتركة للطاقة النووية والاستخبارات، وهى غرفة المقاصة الخاصة بالمعلومات الاستخبارية عن البرامج النووية الأجنبية. وكانت الوكالة ترأس لجنة الاستخبارات العلمية. وكانت هاتان الجهتان تخططان أبحاث الإشعاع والتجارب البشرية الخاصة بوزارة الدفاع.

ومن المؤكد أن هذا ليس هو المدى الكامل لدور الوكالة فى إجراء التجارب على أشخاص أحياء. وكما أشرنا، فقد أوقف ريتشارد هيلمز هذا العمل الذى تقوم به الوكالة رسميًا فى عام ١٩٧٣، وأمر بتدمير كل السجلات، قائلا: إنه لا يريد "إحراج" شركاء الوكالة فى هذا العمل. وبذلك أنهى رسميًا إطالة وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية لأمد أعمال "علماء" نازيين مثل بيكر – فريزنج وبلومه.

■ ■ ■

المصـــادر

رويت قصة تجنيد البنتاجون ووكالة الاستخبارات المركزية للعلماء وفنيى الحرب النازيين فى كتابين ممتازين ولكنهما مهملان بغير حق، وهما: كتاب توم باور The Paperclip Conspiracy، وكتاب ليندا هنت Secret Agenda. وما كتبته هنت ـ على وجه الخصوص ـ من الطراز الأول. واستخدامًا لقانون حرية المعلومات، فتحت مئات الصفحات من الوثائق من البنتاجون ووزارة الخارجية ووكالة الاستخبارات المركزية التى يجب أن تشغل الباحثين لسنوات مقبلة. ويأتى تاريخ التجارب التى أجراها الأطباء النازيون فى المقام الأول من سجل محاكمة القضايا الطبية فى محكمة نورمبرج، ومن كتاب ألكسندر متشرليخ وفريد ميلك Doctors of Infamy، ورواية روبرت بروكتور المخيفة فى كتاب Racial Hygiene. وأبحاث الحكومة الأمريكية فى الحرب البيولوجية معروضة عرضًا رائعًا فى كتاب جين ماكدرموت The Killing Winds.

ويظل أفضل ما رُوِى عن دور الحكومة الأمريكية فى ابتكار ونشر وسائل الحرب الكيماوية هو كتاب سيمور هيرش Chemical and Biological Warefare الصادر فى أواخر الستينيات. وفى محاولة لتعقب مسبب متلازمة حرب الخليج، عقد السناتور جاى روكفلر سلسلة من جلسات الاستماع الرائعة عن إجراء الحكومة الأمريكية لتجارب على البشر. ويقدم سجل الجلسات الكثير من المعلومات الخاصة بتلك الأجزاء من الفصل التى تتناول إجراء وكالة الاستخبارات المركزية والجيش الأمريكى تجارب على مواطنين أمريكيين دون علمهم، وتأتى المعلومات الخاصة بإجراء هيئة الطاقة الذرية والهيئات المتعاونة (ومنها وكالة الاستخبارات المركزية) لاختبار الإشعاع على البشر فى أغلبها من العديد من دراسات مكتب المحاسبة العام، ومن تقرير ضخم جمعته وزارة الطاقة فى عام ١٩٩٤ ومن مقابلات أجراها المؤلف مع أربعة من ضحايا تجارب البلوتونيوم والتعقيم.

Allen, Charles. "Hubertus Strughold, Nazi in USA." Jewish Currents, Dec.1974.

Annas. G. J., and M. A. Grodin. Human Rights in Human Experimentation. Oxford Univ. Press, 1992.

Bar-Zohar, M. The Huntfor the German Scientists. Barker, 1967.

Bellant, Russ. Old Nazis, the New Right and the Reagan Administration. Political Research Associates, 1988.

Bernstein, Victor. "I Saw the Bodies of 3,000 Slaves Murdered by Nazis." PM, April 17, 1945.

Beyerchen, A.D. Scientists Under Hitler. Yale Univ. Press, 1977.

Borkin, Joseph. The Crime and Punishment of I. G. Farben, Andre Deutsch, 1979.

Bower, Tom. Blind Eye to Murder. Andre Deutsch, 1981.

The Paperclip Conspiracy. Michael Joseph Ltd., 1987. Clay, Lucius. Decisions in Germany. Doubleday, 1950.

Cole, Leonard. "Risk and Biological Defense Program." Physicians for Social Responsibility Quarterly, March 1992.

Clouds of Secrecy: The Army's Germ Warfare Tests over Populated Areas. Row-man and Littlefield, 1988.

Corn, David. Blond Ghost: Ted Shackley and the CIA 's Crusaders. Simon and Schuster, 1994.

D'Antonio, Michael. Atomic Harvest: Hanford and the Lethal Toll of America's NuclearArsen-al. Crown, 1993.

Dornberger, Walter. V-2. Viking, 1958.

DuBois, Josiah. The Devil's Chemists. Beacon Press, 1952.

Ensign, Tod. and Glenn Alcalay. "Duck and Cover(up): US Radiation Testing on Humans." Covert Action Quarterly, Summer 1994.

Ferenscz, Benjamin. Less Than Slaves. Harvard Univ. Press, 1979.

Gallagher, Carole. American Ground Zero: The Secret Nuclear War. Random House,1993.

Gimble, John. The American Occupation of Germany, Stanford Univ. Press, 1968. "US on Policy German Scientists: The Early Cold War." Political Science Quarterly, 101, 1986.

Goudsmit, Samuel. Alsos. Henry Schuman, 1947.

Herken, Gregg, and James David. "Doctors of Death." New York Times, Jan.13, 1994.

Hersh, Seymour. Chemical and Biological Warfare. Doubleday, 1969.

Hilts, Philip. "Medical Experts Testify on Tests Done Without Consent." Ne"' York Times, June 3, 1991.

Hubner, . "The Americanization of Nazi Scientist." West, Sept.25, 1985.

'The Unmaking ofa Hero." West, Oct. 6, 1985.

Hunt, Linda. "US Coverup of Nazi Scientists." Bullenn of Atomic Scientists, April, 1985.

'Arthur Rudolf, NASA and Dora." Moment. April 1987.

'NASA'sNazis." Natibn, May 23, 1987.

Secret Agenda: The United States Government, Nai Scientists and Project Paperdip,]945-1990. St. Martin's Press, 1991.

Irving, David. The Virus House. Kimber, 1967.

The Mare 's Nest. Panther, 1985.

Kolata, Gina. "In Debate on Radiation Tests, Rush to Judgement Is Resisted." New York

Times, Jan. 1, 1994.

Lasby, Clarence. Project Paperclip. Atheneum, 1971.

Lifton, Robert Jay. The Nazi Doctors: Medical Killing and the Psychology of Genocide. Basic Books, 1986.

McDermott, Jeanne. The Killing Winds: The Menace of Biological Warfare. Arbor House, 1987.

Michel, Jean. Dora. Weidenfeld and Nicol son, 1979.

Middlebrook, J. L. "Contributions of the US Army to Botulinum Toxin Research." Botulinum and Tetanus Neurotoxins. B. R. Das Gupta, ed. Plenum Press, 1993.

Miller, Richard. Under the Cloud. The Free Press, 1986.

Mitscherlich, Alexander, and Fred Mielke. Doctors of Infamy. Schuman, 1949.

Nishimi, Robyn. Research Involving Human Subjects. US Office of Technology Assessment, 1994.

Nuremberg Military Tribunals. United States of America v. Karl Brandt et al. (The Medical Case). Government Printing Office, 1947.

Pash, Boris. The Alsos Mission. Award House, 1969.

Pechura, C. M. and D. P. Rall, eds. Veterans at Risk: The Health Effects ofMustard Gas and Lewisite. National Academy Press, 1993.

Piller, C.. and K. R. Yamamoto. Military Control over the New Genetic Technologies. Beech Tree Books, 1988.

Proctor, Robert. Racial Hygiene: Medicine Under the Nazis. Harvard Univ. Press, 1988.

Rhodes, Richard. The Making of the Atomic Bomb. Simon and Schuster, 1986.

Dark Sun: The Making ofthe Hydrogen Bomb. Simon and Schuster, 1995.

Rodal, Alti. Nazi War Criminals in Canada. Canadian Government Commission of Inquiry on War Criminals, 1986.

St. Clair, Jeffrey. "Germ War; The US Record." CounterPunch, April 15, 1998.

St. Clair, Jeffrey, and Alexander Cockburn. "Meet Harold Bibeau: Human Guinea Pig." CounterPunch, Dec. 1-15,1997.

Schneider, Keith. "Cold War Tests on Humans to Undergo a Congressional Review." New York Times, April 11, 1994.

Schoemaker, Lloyd. The Escape Factory. St. Martin's Press, 1990.

Simon, Leslie. German Research in World War II. Wiley, 1947.

Simpson, Christopher. Blowback. Weidenfeld and Nicolson, 1988.

Somani, S.M. Chemical Warfare Agents. Academic Press, 1992.

Speer, Albert. Inside the Third Reich. Weidenfeld and Nicolson, 1970.

Uhi, Michael, and Tod Ensign. G.L Guinea Pigs. Playboy Press, 1980.

US Army Intelligence Center. History of the Counter-Intelligence Corps. USAIC, 1959.

US Chief Counsel for Prosecution of Axis Criminality. Nazi Conspiracy and Aggress-on. Government Printing Office, 1948.

US Congress. House. Committee on Armed Services. Military Hallucinogenic Experi-

ments. Goverment Printing Office, 1976.

Committee on the Judiciary. Alleged Nazi War Criminals. Government Printing Office. 1977.

Subcommittee on Energy of the Committee on Science, Space and Technology. Human Radiation Experimentation and Gene Therapy. Government Printing Office,

1994.

Subcommittee on Conservation and Natural Resources of the Committee on Government Operations. Environmental Dangers of Open-Air Testing of Lethal Chemicals. Government Printing Office, 1969.

Subcommittee on Administrative Law and Governmental Relations of the Committee on the Judiciary.

Statement of David Gries, Director, Center for the Study of

Human Intelligence, CIA." Government-Sponsored Tests on Humans and Possible Compensation for People Harmed in the Tests. Washington: Government Printing Office, 1994.

US Congress. Senate. Committee on Veterans Affairs (Rockefeller Committee) .Is Military Research Hazardous to Veterans' Health? Lessons Spanning Half a Century. Committee Print. Dec. 8, 1994.

Subcommittee on Health and Scientific Research of the Committee on Human Resources. Human Drug Testing by the CIA: Testimony of Sidney Gottlieb. Government Printing Office. 1977.

US Department of the Air Force. German Aviation Medicine: World War IL Government Printing Office. 1950.

History' ofAAF Participation in Project Paperdip, May 1945-March 1947. Air Materiel Command. Wright Air Force Base, 1948.

US Department of Defense. Research and Development Board, Committee on Medical Sciences. Medical Aspects of Atomic Warfare. Committee Report, 1951.

US Department of Energy. Health and Environmental Research Advisory Committee. Summary of Findings and Recommendations. Review of the Office of Health and Environmental Research Program, Protection of Human Research Subjects. Government Printing Office. 1994.

US Office of the Comptroller General, General Accounting Office. Nazis and Axis Collaborators Were Used to Further US Anti-Communist Objectives in Europe-Some Immigrated to the United States. Government Printing Office, 1985.

Widespread Conspiracy to Obstruct Probes ofAlleged Nazi War Criminals Not Supported by Available Evidence-Controversy May Continue. Government Printing Office. 1978.

Nuclear Health and Safety: Examples of Post-World War II Radiation Releases at US Nuclear Sites. Government Printing Office, 1993.

Human Experimentation: An Overview on Cold War Era Programs. Government Printing Office. 1994.

Weiner, Tim. "CIA Seeks Documents from Its Radiation Tests." New York Times, Jan. 5. 1994.

Welcome, Eileen. "The Plutonium Experiment: Even in Death, Albert's Still Their Guinea

Pig." Albuquerque Tribune, Nov.16, 1993.

Wilkenson, Isabel. "Medical Experiment Still Haunts Blacks." New York Times, June 3, 1991.

Winterbotham, F. W. The Nazi Connection. Weidenfeld and Nicolson, 1979.

كلاوس باربى
وانقلاب الكوكايين

في الوقت الذى وضع فيه اسم كلاوس باربى على كشوف رواتب إحدى هيئات الاستخبارات الأمريكية فى عام ١٩٤٧، كان قد عاش حيوات عدة من الخسة البشرية. ذلك أنه سعى وراء معارضى النازيين فى هولندا، وطاردهم بالكلاب. كما عمل مع فرق الإعدام النازية المتنقلة على الجبهة الشرقية، حيث ذبح السلاف واليهود، ورأس مكتب الجستابو Gestapo[1] في مدينة ليون Lyons، حيث عذَّب اليهود ومقاتلى المقاومة الفرنسية (ومنهم رئيس المقاومة جان مولان Jean Moulin) حتى الموت. وبعد تحرير فرنسا، شارك باربى فى حمى القتل النازية الأخيرة قبل دخول الحلفاء ألمانيا.

ولم يترك مجرم الحرب المخيف هذا شيئًا إلا وفعله فى حياته العملية، قبل أن يوضع اسمه بأمان فى كشوف الرواتب الأمريكية فى ألمانيا ما بعد الحرب، ثم يرسله سادته الجدد سرًا إلى بوليفيا. وهناك يبدأ حياة جديدة تشبه إلى حد كبير حياته القديمة؛ حيث كان يعمل مع الشرطة السرية وأمراء المخدرات ويشارك فى تجارة السلاح غير المشروعة. وكثيرًا ما كانوا يطلبون مهاراته القديمة كخبير تعذيب. ومع بداية الستينيات كان يعمل من جديد مع وكالة الاستخبارات المركزية لوضع بلطجى تدعمه الولايات المتحدة فى السلطة. وفى الأعوام التالية أصبح فاعلاً أساسيًا فى "برنامج الكُنْدُور" Condor Program لقمع الانتفاضات الشعبية وإبقاء أى دكتاتور تدعمه الولايات المتحدة فى السلطة فى أنحاء أمريكا اللاتينية. وقد ساعد فى تنظيم ما سُمى "انقلاب الكوكايين" فى عام ١٩٨٠، حين استولت مجموعة من الجنرالات فى بوليفيا على السلطة وذبحت معارضيها اليساريين وجمعت الملايين أثناء انتعاش تجارة الكوكايين، الذى كانت بوليفيا مورِّده الأول.

---

(١) شرطة الأمن الداخلى الألمانية فى عهد النازية، وكانت معروفة بأساليبها الإرهابية مع من تشك فى خيانتهم أو يكون ولاؤهم موضع شك. **(المترجم)**

وطوال ذلك الوقت كان كلاوس باربى واحداً من أكثر الرجال المطلوبين على الأرض. ولكن أحواله ظلت مزدهرة حتى عام ١٩٨٣، حين عاد أخيراً إلى فرنسا ليحاكم على جرائمه. وعلى مر ذلك التاريخ المقيت من التآمر بين وكالات الاستخبارات الأمريكية والفاشيين والمجرمين، لم يكن هناك من يمثل شرور مثل تلك الشراكات أكثر من كلاوس باربى.

وفى ١٨ أغسطس ١٩٤٧، كان ثلاثة رجال يحتسون الخمر فى مقهى فى ميمينجن Memmingen بألمانيا التى يحتلها الأمريكيون. وكان أحد هؤلاء كورت ميرك Kurt Merck الضابط السابق فى الاستخبارات العسكرية النازية، الأنفير Anwehr. وكان ميرك قد سبق له العمل فى فرنسا إبان الحرب، وكان فى ذلك التاريخ ضمن كشف رواتب الاستخبارات الأمريكية. أما الرجل الثانى فكان اللفتنانت روبرت تايلور Robert Taylor، وهو ضابط أمريكى فى الاستخبارات المضادة بالجيش CIC. أما ثالثهم فكان كلاوس باربى، وكان وقتها هارباً والثالث على القائمة الأمريكية البريطانية للمطلوبين من رجال الوحدة الألمانية الخاصة SS. وكان باربى قد استجوبه البريطانيون بالفعل ولم يأبه بتلك التجربة.

وكان ميرك صديقاً قديماً لباربى. ورغم المنافسات التى بين الجستابو والأنفير، كان الاثنان يعملان معاً فى فرنسا وكانت الأمور بينهما جيدة. وكان ميرك على قدر كبير من الاستعداد لأن يضمن للضابط الأمريكى أن باربى سيكون مأجوراً جيداً. وكانت الاستخبارات المضادة قد جندت ميرك عام ١٩٤٦، فى وقت كان العديد من وكالات الاستخبارات الأمريكية إلى الإيقاع بالمواهب النازية. وكانت قصة الاستخبارات المضادة المضللة عن تلك المطاردة المؤذية هى ضرورة اجتثاث جذور وقمع شبكة مفترضة من "شباب هتلر" ، تعهدت وحداتها بالاستمرار فى القتال، بغض النظر عن شروط الاستسلام الرسمية التى جرى التوقيع عليها. ولكن اهتمام الاستخبارات المضادة بباربى لم يكن له أى علاقة بمن يسمون "مذؤوبو شباب هتلر" Werewolves of the Hitler Youth. فقد كان استئجاره كعميل للاستخبارات المضادة يتوقف على استعداد باربى لنقل معلومات عن الأساليب البريطانية فى الاستجواب وعن هوية رجال الوحدة الخاصة SS الذين ربما حاول البريطانيون تجنيدهم. وكان باربى من السعادة مما جعله يذعن للأمر، وخاصة أن خبير التعذيب المتحمس هذا كان قد أسيئت معاملته عند استجواب البريطانيين له.

وعلى مدى السنوات الأربع التالية، كان ثالث الأكثر طلبًا من رجال الوحدة الخاصة SS فى ألمانيا يعمل مع الاستخبارات المضادة, ووضع الأمريكيون باربى فى فندق فى ميمينجن، وأتوا بأسرته من كاسيل Kassel[1] وكانوا يدفعون جزءًا من أجره سلعًا - سجائر وأدوية وسكرا وبنزينا - كان يبيعها بأسعار جيدة فى السوق السوداء. وبعد الاستجواب المبدئى بخصوص نوايا البريطانيين وأساليبهم، كانت مهمة باربى الأساسية، كما جاءت فى مذكرة للاستخبارات المضادة، هى تقديم تقارير عن "أنشطة الاستخبارات الفرنسية فى المنطقة الفرنسية وعملائها فى المنطقة الأمريكية".

وبحلول عام ١٩٤٨، كان لدى الحكومة الفرنسية معلومات بأن باربى يعيش فى حماية الأمريكيين فى مكان ما من ألمانيا. وكانوا أكثر حرصًا من أى وقت مضى لوضع أيديهم على باربى، الذى كان قد صدر ضده بالفعل حكم غيابى بالإعدام على ما ارتكبه من جرائم حرب. وكان لا بد أن يدلى باربى بشهادته فى محاكمة وشيكة لرينيه هاردى Rene Hardy، رجل المقاومة الذى أنقذ نفسه من تعذيب باربى بتسليمه جان مولان. ولكن الاستخبارات المضادة لم تكن تعتزم إعطاء صيدها للفرنسيين، ولو على سبيل الإعارة من أجل محاكمة هاردى. فقد كان لدى المسئولين عن باربى فى الاستخبارات المضادة، الذين كانوا ينظرون إلى الفرنسيين على أنهم حلفاء لستالين، مخاوف من أن يبوح باربى بأسرار سادته الأمريكيين. ويقول يوجين كولب Eugene Kolb ضابط استخبارات الجيش الأمريكى الذى عمل مع باربى لمدة عام، إنه لم يكن من الممكن إعطاء رجل الجستابو للفرنسيين لأنه "كان يعرف الكثير جدًا عن عملائنا فى أوروبا، وكانت وكالة الاستخبارات الفرنسية مشبعة بالشيوعيين". وتعزز رأى كولب مذكرات الاستخبارات المضادة التى ترى أن ما يعتزمه الأمن Surete الفرنسى هو "اختطاف باربى وكشف صلاته بالاستخبارات المضادة وإحراج الولايات المتحدة".

وهكذا قررت الولايات المتحدة فى ديسمبر من عام ١٩٥٠ إرسال باربى وأسرته سرًا داخل كوة سرية بإحدى السفن أعدها للعملاء النازيين ضابطا الاستخبارات المضادة اللفتنانت كولونيل جيمس ميلانو James Milano وبول ليون Paul Lyon. وكان ليون وبول ينقلان النازيين إلى خارج ألمانيا واستراليا وأوروبا الشرقية من عام ١٩٤٦، حيث كانا يرسلانهم إلى الأرجنتين وشيلى وبيرو والبرازيل وبوليفيا. وكان مرشد

---

(١) مدينة وسط ألمانيا جنوب غربى هانوفر كانت مركزًا لصناعة الذخيرة فى الحرب العالمية الثانية. **(المترجم)**

الرحلة فى تلك العملية هو نفسه مجرم حرب، وهو الأب كرونوسلاف دراجانوفيتش Krunoslav Draganovic، وهو كرواتى أشرف على نقل مئات الآلاف من اليهود من يوغوسلافيا إلى حتفهم فى معسكرات الاعتقال النازية. وعندما بدأت الحكومة الفاشية فى كرواتيا فى الانهيار عند نهاية الحرب، شق القس طريقه إلى الأمان فى الفاتيكان، وحينذاك، نُقل دراجانوفيتش تحت ستار منصبه فى الصليب الأحمر والفاتيكان مئات من مجرمى الحرب إلى خارج أوروبا.

وكان الكثير من مجندى دراجانوفيتش الأوائل أعضاء فى نظام الأوستاشى[1] الحاكم، وهى فرق الإعدام التى كانت تحت إمرة الدكتاتور الكرواتى أنتى بافيلتش الذى أشرف على واحدة من المذابح الكبرى أثناء الحرب. فقد قتلت قوات بافيلتش مئات الآلاف من الصرب - تقول بعض التقديرات إنهم أكثر من مليونين - نتيجة لرغبة مجنونة فى جعل كرواتيا "دولة كاثوليكية ١٠٠ بالمائة". وكان بافيلتش يعرض على زواره فى مكتبه برطمانًا وزنه أربعون رطلاً به مقل أعين استخرجها من ضحاياه الصرب. وبعد الحرب وفر دراجانوفيتش لبافيلتش هروبًا آمنًا إلى الأرجنتين، حيث كثرت المرات التى كان فيها رفيق عشاء لخوان بيرون Juan Peron[2] وزوجته إيفا Eva.

وكان من بين النازيين الآخرين الذين ساعدهم دراجانوفيتش على الهرب من أوروبا الكولونيل هانز رودل Hans Rudel، الذى اتجه إلى الأرجنتين حيث رأس قوات بيرون الجوية وأصبح زعيم الحركة الدولية للنازية الجديدة؛ والدكتور فيلى تانك Willi Tank، وهو أحد المصممين الرئيسيين للقوات الجوية الألمانية Luftwaffe؛ والدكتور كارل فيرنت Karlvarnet، الذى أشرف على التجارب الجراحية على الشواذ جنسيًا فى بوخفالت، حيث كان يخصى الرجال الشواذ ويضع كرات معدنية مكان خصاهم. وكان فيرنت يحظى بإعجاب شديد من بيرون وإيفا اللذين جعلا الطبيب النازى رئيس إدارة الصحة العامة فى بوينس أيرس.

---

(١) النظام الحاكم الذى اصطنعه النازيون فيما كانت تسمى "دولة كرواتيا المستقلة" وكان على رأسه الجنرال أنتى بافيلتش، ذلك المتطرف الذى كان العقل المدبر لاغتيال الملك ألكسندر عام ١٩٣٤. وكان ذلك النظام يجمع بين أسوأ ما فى النازية الألمانية والفاشية الإيطالية. **(المترجم)**

(٢) كان رئيسًا للأرجنتين من ١٩٤٦ حتى ١٩٥٥ حين أقصى عن الحكم، ولكنه استعاد ولاء الأرجنتينيين وعاد للحكم مرة أخرى فى ١٩٧٣ وتوفى فى عام ١٩٧٤. وكان لزوجته الثانية إيفا دور كبير فى حياته السياسية. **(المترجم)**

وفى عـام ١٩٤٧، تعـاقـدت الاسـتـخـبـارات المضـادة مع الأب دراجـانوفـيـتش كى يساعدها على التخلص من بعض العملاء والمجندين المشتبه فيهم، وهم العلماء والأطباء وضباط الاستخبارات النازيون. وأبرم الصفقة ضابط الاستخبارات المضادة بول ليون، الذى أشار إلى أن دراجانوفيتش أوجد "العديد من قنوات الإجلاء السرية إلى العديد من دول أمريكا الجنوبية لعدة أنماط من اللاجئين الأوروبيين".

ولم يكن القس دراجانوفيتش يعمل لوجه الله، حتى ولو لمصلحة زملائه النازيين. فقد طلب من وكالات الاستخبارات الأمريكية ١٤٠٠ دولار عن كل مجرم حرب يمر من بابه، وكانت وكالات الاستخبارات الأمريكية سعيدة بدفع هذا المبلغ.

وتوضح مذكرة من ضابط استخبارات يعمل بوزارة الخارجية أن "الفاتيكان تبرر مساهمتها برغبتها فى أن تسرب أناسًا من كل المعتقدات السياسية، ماداموا معادين للشيوعية وموالين للكنيسة الكاثوليكية، ليس فقط إلى الدول الأوروبية، بل ودول أمريكا اللاتينية كذلك".

وخوفًا من أن يفلت باربى من أيديهم، احتج الفرنسيون مباشرة لدى جون ماكلوى المفوض السامى الأمريكى فى ألمانيا. ورد ماكلوى ببرود بأن الولايات المتحدة لن تسلم باربى إلى الفرنسيين بسبب إعدامه المحتمل، "لأنه يمكن عدم الالتفات إلى ادعاءات مواطنى ليون باعتبارها مجرد كلام". وكان ماكلوى يعلم أن هذا ليس صحيحًا. وفى عام ١٩٤٤ كان اسم باربى يعرض بشكل بارز فى مكتب ماكلوى على قائمة تسمى CROWCASS (السجل المركزى لمجرمى الحرب والمتهمين الأمنيين)، حيث كان باربى يعرَّف بأنه مطلوب القبض عليه بتهمة "قتل المدنيين وتعذيب أفراد الجيش وقتلهم".

ولم يكن باربى رجل SS الوحيد الذى سعى ماكلوى وأتباعه إلى حمايته من العدالة. فقد كان هناك رجل آخر، وهو البارون أوتو فون بولشفينج Otto von Bolschwing ذراع أيخمان Eichmann[1] اليمنى، واستأجرت الاستخبارات المضادة ذلك الضابط عام ١٩٤٥، حيث صار واحدًا من أغزر عملاء الوكالة إنتاجًا، حيث كان يجند ضباط الوحدة الخاصة SS ويستجوبهم ويستأجرهم. وفى وقت لاحق بيع لوكالة الاستخبارات

---

(١) كان أدولف أيخمان (١٩٠٦-١٩٦٠) رئيسًا للقسم الخاص باليهود فى الجستابو، كان مسئولاً بشكل خاص عن مقتل أعداد كبيرة من اليهود إبان الحرب العالمية الثانية. وهرب أيخمان بعد الحرب إلى أمريكا حيث ألقت الاستخبارات الإسرائيلية القبض عليه، ثم حوكم وأعدم فى إسرائيل عام ١٩٦٠. **(المترجم)**

المركزية وعمل فى ألمانيا الشرقية. وكما كان حال باربى، كان فون بولشفنج مجرم حرب من الطراز الأول، حيث كان واحداً من معلمى أيخمان الأيديولوجيين فيما يتعلق بالأمور اليهودية، وساعد فى التخطيط لـ"تطهير ألمانيا من اليهود" وسلبهم ثرواتهم. وكان فون بولشفينج هو الذى أدار أكثر المذابح وحشية فى الحرب، حيث قُتل المئات من اليهود فى بوخارست. وبرنامج بوخارست يصفه وصفًا تفصيليًا المؤرخ كريستوفر سيمسون Christopher Simpson فى كتابه الرائع Blowback. ويقول سيمسون فى كتابه: "جُمع المئات من الناس لإعدامهم. وقد ذبح بعض الضحايا بمعنى الكلمة فى مصنع البلدية لتعبئة اللحوم، حيث عُلِّقوا فى خطاطيف اللحم ووسموا باعتبارهم 'لحم كوشير'[1] بالمكاوى المحمية. ثم قطعت رقابهم فى إهانة متعمدة لشريعة الكوشير، وقد قُطعت رؤوس بعضهم. ويعد البرنامج بعث فرانكلين موت جونتر Franklin Mott Gunther سفير أمريكا فى رومانيا برقية إلى واشنطن يقول فيها '[اكتُشفت] ستون جثة يهودية معلقة فى خطاطيف تستخدم للذبائح، وكانت جميعها قد سلخت حية ... [و] كمية الدم الموجودة [دليل] على أنهم سُلخوا أحياء'. وطبقًا لما قاله الشهود، كان من بين الضحايا فتاة لا يزيد عمرها على الخمس سنوات تُركت معلقة من قدميها كالعجل المذبوح، وكانت جثتها غارقة فى الدم."

وفى عام ١٩٥٤، جاءوا ببولشفينج إلى الولايات المتحدة. ودافع ريتشارد هيلمز، الذى ساعد فى تجنيد العديد من هؤلاء المجرمين، عن الاستفادة من أناس على شاكلة فون بولشفينج قائلاً "لسنا فى الكشافة. وإذا كنا نريد أن نكون فى الكشافة لانضممنا إلى الكشافة"، وهى طريقة رعناء للتعامل مع ممارساته التجنيدية.

وكان المسئولون عن باربى فى الاستخبارات المضادة قد بلغوا حداً غير عادى فى حماية مجندهم. فقد رفض يوجين كولب فكرة تعذيب باربى الناس جسدياً على أساس أن باربى "كان مستجوباً ماهراً وليس بحاجة إلى تعذيب أحد". والواقع أن باربى كان وحشاً سادياً كانت أولوياته المهنية إحداث الألم ثم الموت فى النهاية، وليس استخراج المعلومات. وقد انتهت حياته العملية فى الوحدة الخاصة SS الآخذة فى صعود – وهو ما كانت تشى به مباريات كرة الطائرة التى يلعبها مع هاينريش هيملر – فجأة حين ضرب جان مولان حتى الموت دون الحصول منه على معلومات. وتعتمد خبرة باربى فى

---

(١) اللحم الحلال عند اليهود. **(المترجم)**

التعذيب على استخدام الكرابيج والإبر التى تغرس أسفل الأظافر، والعقاقير. والشىء الذى تفرد به أكثر من غيره هو الكهرباء التى ترسل من خلال أقطاب توصل فى حلمة الثدى والخصية. وبعد جيل كان يسعد باربى ووكالة الاستخبارات المركزية أن يتعاونا فى تطبيق تلك الأساليب على المعارضين اليساريين فى بوليفيا وغيرها.

وعندما بلغ الأمر معاداة باربى للسامية، هب سادته فى الاستخبارات الأمريكية مرة أخرى للدفاع عنه. فقد قال اللفتنانت تايلور إن باربى "لم يكن معاديًا للسامية. بل كان نازيًا مخلصًا". وأشارت مذكرة أخرى من مذكرات الاستخبارات المضادة إلى أن باربى "لم يبد تحمسًا خاصًا تجاه فكرة قتل اليهود". والواقع أن بداية كلاوس باربى كضابط فى وحدة SD الفرعية التابعة لوحدة SS ويرأسها راينهارت هيدريش Reinhardt Heydrich كانت بحل المشكلة اليهودية بأسرع ما يمكن. وفى تطهير سابق فى هولندا، قاد باربى الحملة الشهيرة على قرية فيرينجر Wieringer اليهودية، حيث استخدم هو ورجاله كلاب الرعى الألمانية فى تجميع ٤٢٠ يهوديًا، حيث أرسلوهم إلى حتفهم فى المحاجر وغرف الغاز التجريبية فى ماوتهاوزن Mauthausen.

ونُقل باربى فى يوليو من عام ١٩٤١ من مواقع التدريب فى هولندا على الجبهة الشرقية، حيث انضم إلى ما تسمى "قوات المهام الخاصة" Einsatzruppen التابعة للوحدة SS. وكانت وحدات القتل المتنقلة تلك مكلفة بمهمة قتل كل شيوعى ويهودى يجدونه فى روسيا وأوكرانيا بغض النظر عن "العمر أو الجنس" - كما تقول عبارة هيدريش. وخلال أقل من سنة، قتلت فرق الإعدام المتنقلة تلك التى تعمل تحت إمرة رجال مثل باربى أكثر من مليون شخص. وكان ذلك النموذج الذى قامت عليه فرق إعدام وكالة الاستخبارات المركزية فى فيتنام - برنامج فينكس الخاص بويليام كولبى والعمليات المشابهة له - وفى أمريكا اللاتينية، حيث طبقت الفرق التى ترعاها الوكالة فى جواتيمالا والسلفادور وشيلى وكولومبيا والأرجنتين أساليب مشابهة من الإرهاب الوحشى وقتل مئات الآلاف. ومن ناحية الشراسة، ليس هناك ما يدعو إلى فصل أى عملية قتل أشرف عليها باربى فى روسيا عن العمليات اللاحقة مثل ماى لاى أو الموزوتى.

وبعد مكافأة باربى بترقية جديدة لما قام به فى الجبهة الشرقية، توجه إلى ليون عام ١٩٤٢. وكانت إحدى مهامه المساعدة فى تنفيذ آخر أمر حديث لهيملر بترحيل وحدة

SS في فرنسا لما لا يقل عن ٢٢ ألف يهودي إلى معسكرات الاعتقال في الشرق. وتولى باربي وتابعه إيريخ بارتليموس Erich Bartlemus بحماس. وداهم باربي وبارتليموس مكاتب الاتحاد العام للإسرائيليين الفرنسيين Uniom General des Israelites de France في ليون، حيث استوليا على السجلات التي تبين عناوين الأيتام اليهود وغيرهم من الأطفال المختبئين في الريف. وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، ألقى باربي القبض على مئات اليهود، ليبعث بهم إلى حتفهم في أوشفيتس وزوبيبور. وبعد ذلك اتجه باربي إلى دار اليتامى اليهود في إيزيو Izieu حيث جمَّع واحداً وأربعين طفلاً تتراوح أعمارهم بين الثالثة والثالثة عشرة وعشراً من معلماتهم. وحُمِّلوا جميعاً في الشاحنات إلى معسكرات الموت النازية. وفي تقرير باربي إلى رؤسائه عن تلك الغارة على مقر المدرسة، قال باربي: "ما يؤسف له في هذه العملية أنه لم يكن بالإمكان تأمين أية أموال أو أشياء قيِّمة."

وأثناء الفترة التي أمضاها باربي في ليون، كان يعي بابتهاج معاناة السجناء الذين كان يضعهم في سجن مونلوك Montluc. فمن الواضح أنه كان يستمد متعته السادية من حبس السجناء في زنازين لعدة أيام مع جثث أصدقائهم المشوهة ومقطَّعة الأوصال. وكان يجمع أفراد المقاومة الفرنسية المقبوض أمام فرق إعدام غير حقيقية، ويضع المكاوي الساخنة على بطن أقدامهم وأكفهم، ويغمس رؤوسهم مراراً في قواعد المرحاض المملوءة بالبول والبراز، ويحرض كلبه الألزاسي على عض أعضائهم التناسلية. وكان تعذيب باربي لليز ليزرف Lise Leserve شديد الرعب. فقد ربط جسمها العاري بعمود خشبي وضربها بسلسلة شائكة، ولكن رغم "مهارة باربي العظيمة" كمستجوب، لم يقدر على إجبار ليزرف على الكلام. وخرجت سليمة من تعذيبه ومن عام في معسكر عمل رافينبروك Ravendruck لتشهد ضده في محاكمته عام ١٩٨٤.

وفي عام ١٩٤٤، حين كان الحلفاء يتقدمون صوب ليون، استعد باربي للفرار من فرنسا. ولكن قبل أن يغادرها أمر بإطلاق نيران المدافع الرشاشة على المائة وتسعة نزلاء المتبقين في سجن مونلوك، ثم ألقى بجثثهم في حفرة أحدثتها إحدى القنابل بالقرب من مطار ليون. كما حاول باربي محو آخر زعماء المقاومة الفرنسية الذين كانوا تحت يده. وفي ٢٠ أغسطس ١٩٤٤، حمَّل رجال باربي ١٢٠ من أفراد المقاومة المشتبه

فيهم في شاحنات واتجهوا بهم إلى مخزن مهجور بالقرب من سان جيني لافال St. Genis Laval. واقتيد السجناء إلى داخل المبنى، حيث أردوهم قتلى بالمدافع الرشاشة. ثم ألقى البنزين على تل الجثث ودُمر المبنى بالقنابل الفوسفورية والديناميت. وقذف الانفجار بالأشلاء إلى البلدة الواقعة على مسافة ألف قدم.

تلك كانت العلامات البارزة في الحياة العملية للرجل الذي أرسلته الاستخبارات العسكرية الأمريكية عام ١٩٥١ مع أسرته إلى منزل آمن تابع للاستخبارات المضادة في النمسا. وهناك أعطيت عائلة باربي دورة سريعة في اللغة الأسبانية وزودت بمبلغ ٨ آلاف دولار نقداً؛ وأعطيت لباربي هويته الجديدة، بفضل المزورين المحليين: كلاوس ألتمان Klaus Altman، والمهنة ميكانيكي، والنكتة السخيفة أن باربي اختار بنفسه اسم ألتمان، وهو اسم كبير الحاخامات في بلدة ترير Trier مسقط رأسه. وكان الحاخام ألتمان واحداً من الشخصيات البارزة في المقاومة المعادية للنازية حتى عام ١٩٣٨، حين ذهب إلى المنفى في هولندا، حيث تتبعوه عام ١٩٤٢ وأُرسل إلى حتفه في أوشفيتس.

ونُقلت عائلة باربي من خلال مخبأ دراجانوفيتش على السفينة إلى الأرجنتين ومن ثم إلى بوليفيا. وتشير مذكرة للاستخبارات المضادة بانتصار - في إطار إنقاذ مجرم الحرب هذا - إلى أن "التخلص النهائي من الشخص شديد الحساسية تم التعامل معه".

وفي ٢٣ أبريل ١٩٥١، وصل كلاوس باربي وأسرته إلى لاباث La Paz في بوليفيا، وهي مدينة تشي جيفارا الشاب التي ستسمى فيما بعد "شنغهاي الأمريكتين". ووصف تشي، لاباث التي زارها في صيف عام ١٩٥٣ بأنها "مجموعة من المغامرين من كل الجنسيات". وبعض هؤلاء المغامرين، ومنهم كلاوس باربي، الذين ربما مر عليهم تشي دون أن يدري في شوارع لاباث أو باراتها، سوف يساعدون، بعون من وكالة الاستخبارات الأمريكية، في تعقب ذلك الثائر وقتله بعد خمسة عشر عاماً في الغابات خارج باليجراندي Vallegrande.

وعند وصول عائلة باربي إلى بوليفيا، رحب بهم بحرارة الأب روج روماك Rogue Romac، وهو منفي آخر من منفيي دراجانوفيتش. واسم روماك الحقيقي هو الأب أوزفالدو توت Osvaldo Toth، وهو قس كرواتي مطلوب لارتكابه جرائم حرب. وساعد

توت باربى فى إنشاء عمل تجارى مربح لتدمير غابات بوليفيا المطيرة. فقد حقق النازى ثروة صغيرة من تشغيل مصانع تقطيع الأخشاب فى الغابات البوليفية بالقرب من سانتا كروث Santa Cruz ومخازن الأخشاب فى لاباث. ولكن سرعان ما أصاب القلق باربى ولم يعد بمقدوره إخفاء طموحاته السياسية أكثر من ذلك، وعلى الفور سُحب لخدمة حكومة فكتور باث إستنسورو Victor Paz Estensorro ذات الطابع الفاشى، حيث كان يتشاور بشأن أمور الأمن الداخلى مع النازيين المنفيين هاينتس فولف Heinz Wolf وهر مولر Herr Muller. وكان مولر محققًا نازيًا سابقًا حكم بالموت على القيادات الشابة لـ"مقاومة الوردة البيضاء"، كانت تهمتهم هى توزيع منشورات معادية للنازية فى جامعة ميونخ عام ١٩٤٣.

وأثبت باربى أنه مفيد للحاكم البوليفى، مما أدى إلى مكافأته هو وأسرته فى ٧ أكتوبر ١٩٥٧ بجائزة يسعى كثيرون للحصول عليها ، وهى المواطنة البوليفية، وهو الوضع الذى سيحبط محاولات ترحيله إلى أوروبا. ووقع أوراق مواطنة باربى نائب الرئيس البوليفى إيرنان سيليس ثواثو Hernan Siles Zuazo، الذى سيضطر بعد عدة انقلابات إلى تسليم باربى لصائدى النازيين من الفرنسيين. إلا أن باربى لم يكن يدين بولاء خاص لباث إستنسورو. فالواقع أنه سرعان ما وجد نفسه يشكو من رجل جمعت أيديولوجيته السياسية الغريبة بين الشعبية اليسارية والأفكار الفاشية الخاصة بالنظام الاجتماعى. وكان عدم ارتياح باربى لباث إستنسورو يقابله تذمر مشابه فى واشنطن. فقد خيب باث إستنسورو آمال سادته الأمريكيين بشأن قضيتين أساسيتين؛ فقد احتفظ بعلاقات ودية مع حكومة كاسترو فى كوبا ورفض إرسال الجيش البوليفى لسحق عمال مناجم القصدير المضربين. وأرسلت وكالة الاستخبارات المركزية الكولونيل إدوارد فوكس Edward Fox إلى لاباث للبحث عن مرشح ليحل محل باث.

وكان الرجل الذى حظى برضا وكالة الاستخبارات المركزية هو الجنرال رينيه بارينتوس أورتونيو Rene Barrientos Orummo ولم يكن بارينتوس غريبًا على كلاوس باربى. فالواقع أنهما كانا يخططان فى السر لإقصاء باث عن السلطة منذ فترة، وحانت اللحظة فى عام ١٩٦٤ حين هوجم قصر الرئاسة وخيِّر باث بين أمرين؛ فهو إما أن "يذهب إلى الجبانة أو إلى المطار". وأعد باث حقائبه وركب الطائرة إلى الأرجنتين. وأعاد انقلاب بارينتوس بوليفيا من جديد إلى مخالب الدكتاتورية، ولكن الولايات

المتحدة لم تجازف هذه المرة، فقد سيطرت سيطرة قوية على الجيش البوليفى، حيث أرسلت العشرات من المستشارين العسكريين الأمريكيين إلى لاباث وجاءت بألف وستمائة من ضباط جيش بوليفيا إلى الولايات المتحدة للتدريب فى القواعد العسكرية الأمريكية، وكانت المجموعة التى أرسلت إلى الولايات المتحدة تضم عشرين من أكبر ثلاثة وعشرين جنرالاً فى بوليفيا.

وكان ذلك هو الوقت الذى جدد فيه الفرنسيون مطاردتهم لباربى. فقد بدءوا يبحثون عنه فى أمريكا الجنوبية ـ وأرسلوا برقيات عديدة إلى الحكومة الأمريكية فيما يتعلق بالمكان الذى يتواجد فيه باربى، وأنكرت الولايات المتحدة أى علم بعميلها السابق؛ مع أن وكالة الاستخبارات المركزية وغيرها من وكالات الاستخبار كانت على علم تام بأنه ذهب للعمل مع نظام بارينتوس.

وضمن باربى منصبًا فى قوى الأمن الداخلى التابعة لبارينتوس، المعروفة باسم الإدارة ٤، حيث كان يخطط العمليات المضادة للتمرد وكان يحاضر مرءوسيه عن الأساليب النازية الخاصة بالاستجواب وإرهاب الدولة. كما استغل باربى منصبه كى يضع أيديولوجيته الخاصة باليوجينيا السياسية موضع التنفيذ من جديد. وفى تلك المرة كان الضحايا قبائل الهنود الذين كان يعتبرهم أدنى من الناحيتين الجينية والسياسية.

ولم يضيِّع بارينتوس وباربى وقتًا فى مطاردة عمال مناجم القصدير، حيث نفذا سلسلة من الغارات الدموية عن طريق الجيش وشرطة باربى السرية. وقتل المئات من عمال المناجم ومنظمى العمال. وأجبر زعماء النقابة والحزب السياسى المعارض على العيش فى المنفى، مما قضى على مناجم القصدير التى كانت وقتها مورد العائدات الرئيسى فى الاقتصاد البوليفى. وحاول بارينتوس الاستعاضة بأرباح البترول عن عائد المناجم الذى ضاع، حيث قدم امتيازات ضخمة حول منطقة سانتا كروث لشركة "جلف أويل" Gulf Oil. وفى المقابل، تلقى بارينتوس ما أسمته الشركة تأدبًا "مساهمات الحملة". كما أهدت الشركة لبارينتوس كذلك طائرة هليكوبتر، وهى الهدية التى قالت الشركة إنها صنعت بتوجيه من وكالة الاستخبارات المركزية. وكما سنرى، فهى الهدية التى سوف تعود لتقضى على الجنرال.

وكانت الحركات الثورية تتكاثر فى أنحاء أمريكا الوسطى والجنوبية، وكان مع وكالة الاستخبارات المركزية الحق فى اعتبار بوليفيا، بما فيما من خليط يجمع بين الفلاحين

الهنود وجماعات العمال الراديكالية، أرضًا خصبة للثورة. وضخت الوكالة ملايين الدولارات فى بوليفيا خلال عامى ١٩٦٦ و١٩٦٧. وذهب بعض المال - حوالى ٨٠٠ ألف دولار - مباشرة إلى جيب بارينتوس، مما يسهل، بلا شك، على الجنرال التغاضى عن السيطرة الأمريكية على حكومته. وبررت الوكالة وجودها فى بوليفيا فى مذكرة صادرة فى عام ١٩٦٧ قائلة: "مازال العنف فى منطقة التعدين وفى مدن بوليفيا يتكرر من حين لآخر، ونحن نساعد هذا البلد على تحسين تدريبه ومعداته."

وفى ظل وجود نظام سلطوى أكثر استقرارًا فى السلطة، انتهز باربى الفرصة لتوسيع إمبراطوريته المالية. فقد بدأ مشروعًا يسمى "شركة إستريلا Estrella Company" كانت تبيع لحاء أشجار الكينا، ومعجون الكاكاو، والأسلحة الهجومية. كما كانت تربطه صلات بفريدريش شفينت Fredrich Schwend النابغة المالى فى وحدة SS، الذى انتهى به المطاف فى ليما عاصمة بيرو، وكان مكتب الاستخبارات الاستراتيجية قد أرسل شفينت إلى أمريكا اللاتينية من خلال العمل السرى النازى بعد إبلاغه آلن دلاس أين أخفت وحدة SS مليون دولار نقدًا وذهبًا وحُليًا نهبتها من الضحايا، وكان شفينت يدعى أنه صاحب مزرعة دجاج، ولكنه كان فى واقع الأمر مستشارًا يعمل بالأجر لدى الجنرالات فى بيرو وكولومبيا والأرجنتين.

وضم النازيان جهودهما لينشئا "ترانسماريتانيا" Transmaritania، وهى شركة الشحن التى ستحقق لهما أرباحًا بالملايين. وشارك باربى فى الثروة بدعوته أصحاب النفوذ فى الحكومة البوليفية، ومنهم رئيس البحرية البوليفية ورئيس هيئة الأركان ورئيس الشرطة السرية البوليفية الجنرال الفريدو أوباندو كانديا Alfredo Ovando Candia إلى مجلس إدارة شركته. وبدأت شركة الشحن هذه بالعمل فى الدقيق والقطن والقصدير والبن، ولكنها سرعان ما تحولت إلى شحنات تحقق قدرًا أكبر من الربح؛ وهى السلاح والمخدرات. وكان مصدر معظم الأسلحة، ومنها القوارب الهجومية والدبابات والطائرات المقاتلة، التى كان باربى وشفنت يبيعانها للأنظمة الحاكمة فى أمريكا الجنوبية، شركة فى بون تسمى "ميريكس" Merex. وكان يشرف على ميريكس نازى سابق آخر تستخدمه الولايات المتحدة، وهو الكولونيل أوتو سكورتسينى Otto Skorzeny الذى كان أحد ضباط قوات العاصفة الذين لهم حظوة لدى هتلر، وهو الشخص الذى أنقذ موسولينى من السجن. وفى ذروة حرب كونترا، سوف تعهد عملية

أوليفر نورث إلى ميريكس عقد صفقة سلاح مقدارها مليونا دولار، مما يؤكد التواصل المهم للتحالفات النازية فى الوكالات الأمريكية من استخبارات الجيش إلى مكتب الاستخبارات الاستراتيجية إلى وكالة الاستخبارات المركزية إلى مجلس الأمن القومى فى عهد ريجان.

وكان رجل واحد على الأقل من المرتبطين بترانسماريتانيا عميلاً لوكالة الاستخبارات المركزية، وهو أنطونيو أرجنداس منديبتا Antonio Arguendas Mendieta الذى كان وزيراً للداخلية فى نظام بارينتوس، وكان قبلها بسنوات طويلة ضمن كشوف رواتب وكالة الاستخبارات المركزية، حين دخل فى أعمال تجارية مع كلاوس باربى.

وبعد عام من تولى بارينتوس السلطة، اختفى تشى جيفارا من على شاشات رادار وكالة الاستخبارات المركزية. وكان مدير الوكالة ريتشارد هيلمز يعتقد أن ذلك الثائر قُتل بعد خلاف مفترض مع فيدل كاسترو فى أعقاب دعوة تشى العلنية المتحمسة إلى اتباع خط ثورى، فى الوقت الذى كان فيه فيدل يخفف من حدة خطابه. وكان هيلمز مخطئًا فى اعتقاده. فقد أمضى تشى أكثر من عام فى غابات الكونغو يساعد فى تنظيم الحركة الثورية لإقصاء الدكتاتور موبوتو الذى وضعته وكالة الاستخبارات المركزية فى السلطة. وفى عام ١٩٦٧ علم عملاء الوكالة فى بوليفيا أن تشى يقود ثورة بين الفلاحين فى جبال الأنديز البوليفية. وأرسلت فرقة من ضباط الوكالة وذوى البريهات الخضراء إلى لاباث لجمع التفاصيل، وكان أربعة من المستشارين الجدد من الكوبيين الذين سبق لهم الاشتراك فى مؤامرات للوكالة ضد تشى وكاسترو، ومنهم أوريليو إرنانديث Aurelio Hernadez وفيلكس رودريجيث Felix Rodriguez.

وفى تلك الساعة الحرجة، سعت وكالة الاستخبارات المركزية من جديد إلى مساعدة باربى، وعن طريق عمل الوكالة من خلال وسطاء فى حكومة بارينتوس مثل أوباندو كانديا وأرجنداس، فتحت قناة اتصال سوف تستمر طوال السبعينيات، حيث يرسل باربى من خلالها سيلاً لا ينقطع من المعلومات إلى المسئولين عنه فى لانجلى. وبما أن باربى كان يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالجنرال أوباندو كانديا، فيكاد يكون من المؤكد أنه قام بدور فى تعقب تشى جيفارا وقتله.

وبطريقة نازية حقيقية، طلب الجنرال أوباندو كانديا الدليل على هوية تشى بعد أن أردوه قتيلاً بناء على أوامر من بارينتوس. وكان الجنرال قد أمر فى البداية بقطع رأس

تشى وإرسالها إلى لاباث، ويقول فيلكس رودريجيث، رجل وكالة الاستخبارات المركزية الذى استولى على ساعة تشى وكيس لتبغ الغليون من على جثته، إنه أقنع الجنرال أن ذلك قد يكون له أثر عكسى. وعمل أوباندو بالمشورة وأمر بدلاً من ذلك ببتر كفى تشى ووضعهما فى مواد حافظة. ودفنت جثته بالقرب من ممر المطار فى باليجراندى، ثم استخرجت وأُعيدت إلى كوبا فى عام ١٩٩٧.

وانتهى المطاف بكفى تشى ومذكراته إلى حوزة وزير الداخلية (وعميل وكالة الاستخبارات المركزية) أنطونيو أرجنداس، إلا أن أرجنداس انقلب على نظام بارينتوس وأطلع الجمهور سراً على مذكرات تشى الخاصة بحملته البوليفية وهرب إلى كوبا ومعه كفا قائد حرب العصابات.

وفى عام ١٩٦٩ توفى بارينتوس حين سقطت طائرته الهليكوبتر فى ظروف تدعو للشك. ومهد موته السبيل لتولى الجنرال أوباندو كانديا الرئاسة لفترة قصيرة. فقد استمرت حكومة أوباندو فى السلطة أقل من عام قبل إقصائه على يد الجنرال الوطنى خوان خوسيه توريس Juan Jose Torres وأفرج توريس عن رفيقى تشى، ريجى ديبرى Rgis Debray وثيرو بوستوس Ciro Bustos، من السجن، وأجرى محادثات تمهيدية خطيرة مع حكومتى سلفادور الليندى فى شيلى وكاسترو فى كوبا. كما استولت حكومته على الأراضى المملوكة للشركات الأجنبية، ومنها حقوق التعدين المربحة التى تسيطر عليها شركة جلف أويل.

وهذا المنحنى من الأحداث لم ترحب به وكالة الاستخبارات المركزية، التى كانت قد استثمرت أموالاً طائلة فى بوليفيا. وخططت الوكالة لانقلاب آخر. وكان الجنرال الذى اختارته فى هذه المرة أوجو بانثير سواريث Hugo Banzer Suarez وهو رجل تدرب فى الجيش الأمريكى فى فورت هنت Fort Hunt وفى Escuela de Goples (مدرسة الأمريكان) فى بنما. وأثبت بانثير أنه ذلك الطالب النجيب الذى حصل على نوط الشرف العسكرى من الجيش الأمريكى؛ فقد كان فى الوقت نفسه صديقًا قديمًا لكلاوس باربى، الذى سيكون له دور مهم فى الانقلاب.

وبلغ الانقلاب ضد الرئيس توريس ذروته فى أغسطس ١٩٧٠، قبل أسبوع من رحلة كان من المقرر أن يقوم بها توريس إلى العاصمة الشيلية سانتياجو لمقابلة سلبادور أيندى. وحتى فى بوليفيا، بات خلع حكومة توريس معروفًا بعنفه الشديد والمدى الذى

بلغه النظام الجديد للقضاء على العناصر اليسارية فى الحكومة. وأُغلقت الجامعات باعتبارها "مرتعًا" للراديكالية. ومرة أخرى قُمع عمال المناجم بعنف، واعتقل أكثر من ٣ آلاف يسارى ومنظم نقابات لاستجوابهم و"اختفوا"، وأغلقت السفارة السوفيتية، وجمدت العلاقات مع كوبا وشيلى. وسرعان ما عُوِّضت جلف أويل عن أملاكها المصادرة.

ودافع باربى عن الطابع العنيف الذى اتسم به انقلاب بانثير فى حديثه مع الصحفى البرازيلى دانتكس فيريرا Dantex Ferreira بقوله إن ولاءات توريس اليسارية كانت تهدد كل أمريكا الجنوبية. وقال باربى: "ما فعلته بوليفيا فى عام ٦٧ للدفاع عن نفسها ضد انقلاب يقوم به تشى جيفارا أدين كذلك فى أجزاء كثيرة من العالم."

ومُنح كلاوس باربى رتبة كولونيل الشرفية مكافأة على دوره فى التخطيط لاستيلاء بانثير الدموى على حكم بوليفيا، وأصبح مستشارًا بأجر لكل من وزارة الداخلية والإدارة ٧ الشهيرة، وهى الجناح المضاد للتمرد فى الجيش البوليفى. وكانت المؤسستان مخترقتين اختراقًا تامًا من وكالة الاستخبارات المركزية التى كانت تمولهما. والواقع أن سجلات الوكالة والحكومة البوليفية تبين أن باربى نقل معلومات إلى الوكالة بشأن عملاء سوفييت وكوبيين مشتبه فيهم فى أمريكا الجنوبية. كما أرسل إلى لانجلى نسخًا من المستندات التى استولى عليها من سفارة بيرو والمعلومات الخاصة بوكالة الاستخبارات الشيلية DINA.

ويتحدث تقرير بوليفى خاص بباربى بثناء عن الخدمة التى قدمها لبانثير قائلاً: "كان أحد أهم جوانب العمل الذى قام به باربى هو تقديمه النصح لبانثير بشأن الطريقة التى يعدل بها الجيش بفاعلية من أجل القمع الداخلى وليس العدوان الخارجى. وكثير من ملامح الجيش التى صارت فيما بعد معيارية كان باربى هو الذى حددها فى أوائل السبعينيات، نظام معسكرات الاعتقال ... أصبح معيارا بالنسبة للسجناء العسكريين والسياسيين."

وظل النازى يقدم النصح والمشورة للشرطة السرية التابعة للجيش بشأن أساليب استجواب السجناء، التى لا يبدو أنها تطورت كثيرا عما كانت عليه فى أيام وجوده فى ليون. "فى عهد باربى، تعلم [الجيش البوليفى] استخدام تقنيات الكهرباء واستخدام الإشراف الطبى للإبقاء على المشتبه فيهم أحياء، إلى أن ينتهوا منهم."

وكانت الحكومة البوليفية تدفع لباربى ٢٠٠٠ دولار شهريًا مقابل خدماته الاستشارية، ولكن ذلك كان مجرد جزء صغير مما يحصل عليه، فقد كان يحصل كذلك على أرباح ضخمة من بيع السلاح إلى الجيش البوليفى، وكثير من تلك المشتريات كان يُدفع لاستخدام الأموال التى تقدمها حكومة الولايات المتحدة، وكانت تدعم تكلفة الجيش البوليفى.

وكانت السبعينيات وقتًا مثيرًا بالنسبة لباربى. فقد كان يحاضر على نطاق واسع عن فاشية أمريكا الجنوبية الجديدة، وكثيرًا ما كان يجرى ذلك على ضوء الشموع فيما تسمى قاعات توله Thule المزينة بالأعلام النازية وغيرها من الصور والرسومات الخاصة بالرايخ الثالث. وكان مجرم الحرب يسافر من مكان لآخر بحرية. وقد زار باربى فى أواخر الستينيات والسبعينيات الولايات المتحدة سبع مرات على الأقل. ومما لا يصدق أنه عاد إلى فرنسا، حيث يزعم أنه وضع إكليلاً من الزهور على قبر جان مولان.

وكانت البعثات التبشيرية الكاثوليكية والقساوسة الكاثوليك من بين الجماعات التى طاردها باربى وبانثير بحماس شديد، حيث كان بانثير يعتقد أن "الماركسيين باتوا منتشرين فيها". وكان القساوسة يقبض عليهم لاستجوابهم، ويُتحرَّش بهم، ويُعَذَّبون، ويُقتلون. وكان من بين من قُتلوا مبشر أمريكى من أيوا اسمه ريموند هيرمان Ray-mond Herman. وكانت تلك الحملة القمعية ضد رجال الدين التحريريين تعرف بخطة بانثير، وقد أقرها بحماس كل دكتاتور يشترك معه فى "اتحاد أمريكا اللاتينية المعادى للشيوعية". وكان ذلك القمع يحظى كذلك بدعم وكالة الاستخبارات المركزية، التى كانت توفر المعلومات لرجال باربى بشأن عناوين القساوسة وخلفياتهم وكتاباتهم وأصدقائهم. وكان باربى كذلك قلب عملية "كوندور" التى ترعاها الولايات المتحدة، وهو ضرب من الاتحاد التجارى يجمع الحكام المستبدين فى أمريكا الجنوبية، الذين دمجوا قواهم فى مسعى لسحق أعمال التمرد حيثما نشبت على القارة.

وكان تثبيت بانثير الفظيع لدعائم السلطة تسانده الملايين من صديقين، هما رجل الصناعة الألمانى المولد إدواردو جاسر Eduardo Gasser ومربى الماشية روبرتو سواريث جوميث Roberto Suarez Gome إلا أن سواريث كان له كذلك عمل آخر، فقد كان يشرف على إمبراطورية من أكثر إمبراطوريات المخدرات فى العالم ربحًا، وسوف

ينضم ابن جاسر، خوسيه Jose، في وقت لاحق على سواريث في ذلك المشروع الذي يقدر بمليارات الدولارات، وهو ما سيفعله كذلك ابن عم هوجو بانثير، جييرمو بانثير أوخوبي Guillermo Banzer Ojopi، واثنان من كبار جنرالات بوليفيا، ورئيس مكتب الجمارك في سانتا كروث، وكلاوس باربي.

وأصبحت عصابة مخدرات سواريث تعرف باسم LaMafiacruzena، وكان يتمتع بشبه احتكار للحقول المنتجة للكوكا في العالم؛ ذلك أن ٨٠ بالمائة من كوكايين العالم يأتي من حقوله في ألتو بيني Alto Beni. كما كان المورد الأول للكوكا الخام ومعجون الكوكايين لاتحاد ميديين Medellin. وكان سواريث يحتفظ بواحد من أكبر أساطيل الطائرات الخاصة في العالم، وكان يستخدمه في نقل الكثير من معجون الكوكا الخاص به إلى معامل الكوكايين الكولومبية. وكانت طائرات الكوكايين تنطلق من شبكة سواريث الخاصة لممرات الطائرات. وكان باقي معجون الكوكا يشحن عن طريق شركة باربي، ترانسماريتانيا.

وعندما نمت عملية سواريث لتصبح إمبراطورية متعددة الملايين من الدولارات، لجأ إلى باربي كي يساعده في احتياجاته الأمنية المتزايدة، وعلى الفور جمع باربي عصابته من مرتزقة المخدرات، التي سماها النازي Los Novios de la Muerto، أي "خُطَّاب الموت". وكان بين صفوفهم اثنان من الضباط السابقين في وحدة SS، وإرهابي روديسي[1] أبيض، ويواخيم فيبلكورن Joachim Fiebelkorn، وهو مجنون فاشي جديد من فرانكفورت.

وكلف باربي خمسة عشر من الحراس الخصوصيين بمتابعة سواريث في كل خطوة يخطوها. وقد ضمن أن المشترين الكولومبيين يسددون ما عليهم وأرسل عصابات مسلحة من النوبيوس في غارات على الغابة لتدمير عمليات أمراء المخدرات المنافسين. وكانت أسلحة رجال باربي تقدم مجانًا من حكومة بانزير، التي كانت تشتريها بدورها من شركة باربي للسلاح.

وبحلول منتصف السبعينيات كان الاقتصاد البوليفي مدمرًا. فبعد أن عمل بانثير بنصيحة صديقه المقرب من سانتا كروث، روبرتو سواريث، وضع خطة شجاعة لإنقاذ

---

(١) من روديسيا التي تعرف الآن بزمبابوي، وتقع إلى الشمال الشرقي من جنوب أفريقيا. **(المترجم)**

بوليفيا؛ فقد أمر بأن تزرع حقول القطن المتعثرة فى بلاده بأشجار الكوكا. وفيما بين ١٩٧٤ و١٩٨٠ تضاعف حجم الأراضى التى تُزرع كوكا ثلاث مرات، مما جعل أحد عملاء وكالة المخدرات يقول: "البعض هناك كان يزرع أعداداً ضخمة جداً من الأشجار."، وهذه الزيادة الضخمة فى المعروض أدت إلى انخفاض أسعار الكوكايين، مما أدى إلى فتح سوق جديدة ضخمة وظهور اتحادات المنتجين الكولومبية. وكان سعر بيع الكوكايين بالقطاعى عام ١٩٧٥ هو ١٥٠٠ دولار للجرام، وفى عام ١٩٨٦ هبط السعر إلى ٢٠٠ دولار للجرام.

ويقول عميل وكالة مكافحة المخدرات مايكل ليفين Michael Levine: "أخذ قادة الجيش البوليفى يصدرون الكوكايين وقاعدة الكوكايين وكأنه منتج مشروع، دون أى ادعاء لمكافحة المخدرات، وفى الوقت ذاته كانت هناك زيادة كبيرة فى الطلب من الولايات المتحدة. وسرعان ما أصبح نظام الحكم الدكتاتورى البوليفى المصدر الرئيسى لموارد الاتحادات الكولومبية، التى تشكلت فى تلك الفترة. وصارت الاتحادات بدورها الموزع الرئيسى للكوكايين فى أنحاء الولايات المتحدة. وكانت تلك بحق بداية انتشار الكوكايين فى الثمانينيات."

وقيل إن أرباح بانثير من تجارة المخدرات بلغت عدة ملايين من الدولارات فى السنة. فقد كان مشروعاً يشارك فيه عائلته وأصدقاءه، وبحلول عام ١٩٧٨، كان سكرتير بانثير الخاص، وزوج ابنته، وابن أخيه قد ألقى القبض عليهم فى كندا والولايات المتحدة بتهمة الاتجار فى المخدرات. وشعوراً بالحرج من اكتشاف ذلك، تنحى بانثير عن السلطة عام ١٩٧٨ ووعد بإجراء انتخابات حرة فى عام ١٩٧٩، ورغم انتشار التلاعب، وترويع الناخبين، خسر الجناح اليمينى الانتخابات على غير ما هو متوقع، وهو الحدث الذى شجع على وقوع انقلاب الكوكايين فى عام ١٩٨٠.

وفى تلك المرة كان مخططو الانقلاب يقودهم الجنرال لويس أرثى جوميث Luis Arce Gomez، ابن عم روبرتو سواريث، وشريكه الجنرال لويس جارثيا-ميثا Luis García Meza. وكان أرثى جوميث، الذى كان فى ذلك الوقت رئيساً لوكالة الاستخبارات العسكرية فى بوليفيا، يستخدم الجيش فى المساعدة فى تهريب مخدرات سواريز منذ بداية السبعينيات. وعند التخطيط للانقلاب، لجأ أرثى جوميث لخدمات صديقه المقرب كلاوس

باربى، وهو الرجل الذى يسميه "معلمى". وقد أبلغت وكالة الاستخبارات المركزية بالأحداث المؤدية للانقلاب، والواقع أنه قُدِّم لها شريط تسجيل لإحدى جلسات التخطيط التى تضم: أرثى جوميث وروبرتو سواريث وكلاوس باربى.

ومن أجل مساعدة القضية، استعان باربى بمساعدة الإرهابى الإيطالى ستيفانو "ألفا" ديلى كيايى Stefano "Alfa" Delle Chiaie، وفى ذلك الوقت كان ديلى كيايى مشغولاً فى متابعة جريمة القتل التى وقعت فى واشنطن العاصمة وراح ضحيتها الشيلى أورلاندو ليتلير Orlando Letelier على يد زميله الإيطالى مايكل تاونلى Mi-chael Townley، العميل الأمريكى الذى يعمل فى شرطة بينوتشيت Pinochet السرية. وأحضر ديلى كيايى معه إلى بوليفيا مجموعة تضم ٢٠٠ إرهابى أرجنتينى، كانوا قد شاركوا فى "الحرب القذرة". وفى إشارة إلى قتلة ويليام كولبى فى فيتنام، أطلق ديلى كيايى على فرقته من القتلة اسم "كوماندوز فينكس" the Phoenix Com-mandos.

وكانت لديلى كيايى صلاته بوكالة الاستخبارات المركزية التى تعود إلى نهاية الحرب العالمية الثانية. وأصبح الإيطالى الشاب، الذى كان قد شق طريقه بصعوبة فى شوارع روما ونابولى، يحظى بحماية الكونت جونيو فاليريو بورجيزى Junio Valerio Bor-guese، الفاشى الإيطالى الذى كان يعرف باسم "الأمير الأسود". وترقى بورجيزى فى جهاز استخبارات موسولينى وطارد وقتل الآلاف من مقاتلى المقاومة الإيطالية. وفى نهاية الحرب وقع بورجيزى فى أيدى الشيوعيين الإيطاليين الذين كانوا يعتزمون قتل السفاح جزاء ما ارتكبه من جرائم. ولكن عندما علم رجل وكالة الاستخبارات الأسطورى جيمس جيزس أنجلتون James Jesus Angleton وكان وقتها يعمل مع مكتب الخدمات الاستراتيجية، بمصير الأمير الأسود الوشيك، اندفع إلى ميلانو وأنقذ بورجيزى من فرقة إطلاق النار. وأمضى الأمير الأسود بضعة أشهر فى السجن، ثم ذهب للعمل فى حملة وكالة الاستخبارات المركزية لقمع اليسار الإيطالى.

وجند ديلى كيايى من عصابة الشوارع التى ينتمى إليها فى المجموعة الفاشية الجديدة P-2، حيث تولى ترويع الشيوعيين الإيطاليين، وبدأ سلسلة من التفجيرات، وفى عام ١٩٦٩ خطط انقلاباً ضد الحكومة الإيطالية. وعندما فشل ذلك الانقلاب، فر ديلى كيايى وبورجيزى إلى أسبانيا التى كان يحكمها فرانكو، حيث أشرفا على هجمات

سرية على انفصاليي الباس، ومن مدريد بدأ ديلي كيايي حياته العملية كمستشار دولي في شئون الإرهاب اليميني، حيث قدم خدماته إلى خوناس سافيمبي، زعيم قوات يونيتا UNITA التي تدعمها وكالة الاستخبارات المركزية في أنجولا؛ وخوسيه لوبيث ريجا Jose Lopez Rega مهندس فرق الاغتيال الأرجنتيني؛ والدكتاتور الشيلي أوجستو بينوتشيت، الذي ساعدته وكالة الاستخبارات المركزية على الوصول إلى السلطة.

وفي ١٧ يوليو ١٩٨٠، تكشف أمر انقلاب الكوكايين في بوليفيا شيئًا فشيئًا. فقد فُجِّرت الصحف والإذاعات الليبرالية، وأُغلقت الجامعات، واجتاحت قوات باربي وديلي كيايي التي غطى أفرادها وجوههم بالأقنعة، والمسلحة بالمدافع الرشاشة، شوارع لاباث في سيارات الإسعاف. وقد التقت في مركز المقاومة، وهو مبنى إدارة الاتحاد الوطني البوليفي COB. وكان في الداخل مارثيلو كيروجا Marcelo Quiroga، وهو زعيم عمالي انتخب حديثًا للبرلمان، وكان قد دعا إلى إضراب عام، وفجرت الأبواب، ودخلت قوات "خُطَّاب الموت" وهي تطلق نيران المدافع الرشاشة. وسرعان ما عثروا على كيروجا وأطلقوا عليه النار، وبعد أن جرح هو واثنا عشر غيره من القادة جراحًا شديدة، أخذوهم إلى قيادة الجيش حيث ضربوا وعذبوا بآلات الصدمات الكهربية الخاصة بباربي. وقد اغتُصبت السجينات، وعثر على جثة كيروجا بعد ثلاثة أيام على أطراف لاباث، وكان قد أطلق عليه النار وضُرِب وأُحرق وأُخصي.

وفي اليوم التالي حلف الجنرال جارثيا-ميثا Gartía- Meza اليمين الدستورية رئيسًا جديدًا لبوليفيا، وعلى الفور عين الجنرال أرثي جوميث وزيرًا للداخلية. واختير باربي رئيسًا لقوات الأمن الداخلي البوليفية، وكُلِّف ستيفانو ديلي كيايي بمهمة تأمين الدعم الدولي للنظام، الذي جاء بسرعة من الأرجنتين وشيلي وجنوب أفريقيا والسلفادور.

وطوال الأسابيع القليلة التالية، ألقي القبض على الآلاف من قادة المعارضة وسيقوا إلى ستاد كرة قدم كبير في لاباث. واتباعًا للأسلوب الأرجنتيني الأصيل، أطلقت عليهم النار بشكل جماعي وألقيت جثثهم في الأنهار والأودية العميقة المحيطة بالعاصمة. وبدأ خُطَّاب الموت يرتدون زيًا على غرار ما كانت ترتديه وحدة SS ودعاهم أرثي جوميث وباربي إلى قمع "التقصير المنظم".

وفى عرض لدعم حرب المخدرات الدولية، بدأ النظام البوليفى على الفور حملة لمنع المخدرات. وقد عُين كلاوس باربى مشرفًا عليها. وكان لتلك الحملة ثلاثة أهداف، هى: تخفيف حدة الانتقاد من جانب الولايات المتحدة والأمم المتحدة لدور بوليفيا فى تجارة المخدرات، والقضاء على ١٤٠ منافسًا لاحتكار سواريث، وقمع معارضى النظام السياسيين قمعًا لا رحمة فيه. وعلى مدى السنة التالية، حقق جنرالات الكوكايين حوالى مليارى دولار من تجارة المخدرات.

وفى النهاية بلغ الموقف فى بوليفيا من السوء ما جعل مؤيدى النظام فى الولايات المتحدة يتجهون إلى سحب تأييدهم له. وأُجبر جارثيا ميثا على الاستقالة فى أغسطس ١٩٨١؛ وقد غادر بوليفيا رجلاً ثريًا بعد أن أمَّن وضع بلاده كمورد بارز للكوكايين فى العالم.

وبقى باربى وديلى كيايى عامًا آخر ونصف عام فى بوليفيا. وخططت الشرطة الإيطالية ووكالة مكافحة المخدرات الأمريكية غارة للقبض على ديلى كيايى فى عام ١٩٨٢، ولكنه فر من بوليفيا بعد أن أبلغه بالأمر مصدر فى وكالة الاستخبارات المركزية. وفى ٢٥ يناير ١٩٨٣، أُلقى القبض على كلاوس باربى ثم سُلِّم بعد ذلك إلى الفرنسيين. وقد أعيد إلى ليون وسُجن فى مونلوك، التى كانت مسرحًا للكثير من جرائمه. وبعد إلقاء القبض على باربى فى بوليفيا، سأله صحفى فرنسى إن كان هناك ما يأسف عليه فى حياته. فرد باربى قائلاً: "ليس هناك شيء شخصى، ولكن المرء لا بد أن يكون له اتجاه ما فى العمل، أليس كذلك؟"

ولكن بينما كانت حالة باربى تتدهور فى السجن، كانت إمبراطورية الكوكايين التى ساعد فى بنائها تزدهر. والواقع أن الموقف كان قد تدهور بالفعل بعد هروب عقول انقلاب الكوكايين المدبرة. ثم قفزت كمية الكوكايين التى كانت تنتجها بوليفيا من ٣٥ ألف طن مترى عام ١٩٨٠ إلى ٦٠ ألف طن مترى بحلول أواخر الثمانينيات. وكانت هذه الكمية كلها تقريبًا تباع فى الولايات المتحدة. وكانت المخدرات تمثل ٣٠ بالمائة من إجمالى الناتج القومى، وبحلول عام ١٩٨٧، كانت بوليفيا تجنى ٣ مليارات دولار من مبيعات الكوكايين، وهو ما يزيد بمقدار ست مرات عن كل الصادرات البوليفية الأخرى. وفى عام ١٩٩٨ أشارت التقديرات إلى أن ٧٠ ألف عائلة بوليفية تعتمد على زراعة الكوكا، مع أن كلا منها تحصل فقط على ألف دولار سنويًا مقابل عملها المضنى. ويعلق فلابيو ماتشيكادو Flavio Machicado، وزير المالية السابق فى بوليفيا على ذلك

بقوله إنه "إذا كان لابد للمخدرات أن تختفى بين عشية وضحاها، فستكون لدينا بطالة. وستكون هناك احتجاجات وعنف."

وفى الثمانينيات، ذهبت وكالة مكافحة المخدرات ووكالة الاستخبارات المركزية إلى بوليفيا لتدريب وتسليح القوات الخاصة لمكافحة المخدرات بالشرطة البوليفية، "الفهود". وسرعان ما اتضح أن الكثير من الفهود بدءوا شراكات مثمرة مع مزارعى الكوكا وتجار المخدرات. وأظهرت مراجعة قام بها الكونجرس فى عام ١٩٨٥ أنه "لم يُقض على هكتار واحد من أشجار الكوكا منذ وضع الولايات المتحدة لبرنامج مساعدة المخدرات عام ١٩٧١". ولكن وكالة الاستخبارات المركزية لم تهتم كثيراً، لأن الفهود أداروا فوهات بنادقهم تجاه الهنود المتمردين.

ولم يقل مستوى الفساد الرسمى كذلك بعد نفى باربى وأرثى جوميث وجارثيا ميثا، وتحدث تقرير صادر فى عام ١٩٨٨ عن مكتب المحاسبة العامة "قدر غير مسبوق من الفساد يمتد بالفعل إلى كل مستويات الحكومة البوليفية والمجتمع البوليفى". وأعلن أمير الكوكايين روبرتو سواريث بنفسه عام ١٩٨٩ أنه "منذ انتخابات عام ١٩٨٥ وكل ساسة البلاد متورطون فى الكوكايين". وقد ثبت ذلك فى عام ١٩٩٧ حين تولى أوجوبانثير صديق سواريث القديم السلطة مرة أخرى كرئيس لبوليفيا.

وكما سبق وأشرنا، فإن حياة كلاوس باربى العملية - المستغربة أكثر من سواها - تلقى الضوء على فظائع سلوك وكالة الاستخبارات المركزية، وعلى إمبراطوريات المخدرات التى ساعدت فى إيجادها وحمايتها. ولا بد أن نؤكد مرة أخرى أن هذا السلوك ليس صادراً عن وكالة "مارقة"، ولكنه يعبر على الدوام عن سياسة الحكومة الأمريكية.

■■■

المصــادر

الكثير من الوثائق المتصلة بعلاقة كلاوس باربى بوكالات الاستخبارات الأمريكية مصدرها تقرير آلن رايان السميك لوزارة العدل الأمريكية، ومع ذلك، فإن النتائج التى توصل إليها رايان تغطى على الحقائق. ولا يعقل ما يقوله رايان عن أن باربى هو مجرم الحرب النازى الوحيد الذى ساعدته وكالات الاستخبارات الأمريكية على الهرب من أوروبا، ويؤكد أن الولايات المتحدة لم تكن على اتصال بباربى بعد وصوله إلى أمريكا الجنوبية. وكلا الادعاءين مثير للضحك. وهناك ثلاثة كتب لا يمكن الاستغناء عنها تتناول حياة باربى العملية كنازى ومجند فى الاستخبارات الأمريكية، وهى كتاب تيم باور Klaus Barbie، وكتاب مانجوس لينكلاتر ونيل أشرسون The Nazi Legacy وكتاب جيرهارد دارينجهاوس (وهو أحد المسئولين عن باربى فى الاستخبارات الأمريكية) Klaus Barbie. وكان فيلم مارسيل أوفول التسجيلى الملحمى Hotel Terminus: The Life and Times of Klaus Barbie كذلك مصدراً مهماً. ونجد تجارة الكوكايين البوليفية معروضة بالتفصيل فى كتاب بول إيـــدى Cocaine Wars. ويقدم مايكل ليفن رواية مثيرة لـ"انقلاب الكوكايين" الذى وقع فى عام ١٩٨٠ فى كتابه The Big White Lie. وكتاب Drug War Politics من تأليف إيف بيترام وآخرين هو أفضل رواية توصلنا إليها عن فشل سياسة المخدرات الأمريكية منذ عهد ريجان فى دول أمريكا اللاتينية وداخل الولايات المتحدة نفسها.

Aarons, Mark, and John Loftus. Unholy Trinity. St. Martin's Press, 1992.

Agee, Philip. Inside the Company: CIA Diary. Stonehill, 1975.

Agee, Philip, and Louis Wolf, eds. Dirty Work: The CIA in Western Europe. Lyle Stuart, 1978.

Allen, Charles. Nazi War Criminals in America: Facts... Action. Charles Allen Productions, 1981.

Andreas, Peter. "Drug War Zone." Nation, Dec. 11,1989.

Andreas. Peter, Eve Bertram, Morris Blachman, and Kenneth Sharpe. "Dead End Drug Wars." Foreign Policy, no.85, 1991-1992.

Anderson, Jon Lee. Che Guevara: A Revolutionary Lzfe. Grove Press, 1997.

Anderson, Scott, and Jon Lee Anderson. Inside the League. Dodd & Mead, 1986.

Ashman, Charles, and RobertJ. Wagman. The Nazi Hunters. Pharos Books, 1988.

Bertram, Eve, Morris Blachman, Kenneth Sharpe and Peter Andreas. Drug War Politics: The Price ofDenial. Univ. of California Press, 1996.

Bird, Kai. "Klaus Barbie: A Killer's Career." Covert Action Information Bulletin. Winter, 1986.

Black, George. '~Delle Chiaie: From Bologna to Bolivia." Nation, April 25, 1987.

Blum, Howard. Wanted: The SearchforNazis in America. Fawcett, 1977.

Blum, William. Killing Hope: US Military and CIA Intervention Since World War II. Common Courage, 1995.

Blumenthal, Ralph. "Canadian Says Barbie Boasted of Visiting the US." New York Times. Feb.28, 1983.

Bower. Tom. Klaus Barbie. Pantheon, 1984.

Brill, William. Military intervention in Bolivia: From the MNR to Military Rule. Washington, 1967.

Burke, Melvin. "Bolivia: The Politics of Cocaine." Current History, 90, 1991.

Christie, Stuart. Stefano delle Chiaie. Refract, 1984.

Colby, Gerard, and Charlotte Dennett. Thy Will Be Done: The Conquest of the Amazon. HarperCollins, 1995

Corn, David. "The CIA and the Cocaine Coup." Nation, Oct. 7, 1991.

Dabringhaus, Erhard. Klaus Barbie. Acropolis Books, 1984.

Dulles, Allen. The Craft of Intelligence. Harper and Row, 1963.

Dunkerly, James. Rebellion in the Veins: Political Struggle in Bolivia, 1952-1982. Verso, 1984.

James, Daniel, ed. The Complete Diaries of Che Guevara and Other Captured Documents. Stein and Day, 1968.

Gilbert. Martin. The Holocaust. Holt, Rinehart and Winston, 1985.

Goldhagen, Daniel Jonah. Hitler's Willing Executioners. Vintage, 1997

Hargreaves, Clare. Snow Fields: The War on Cocaine in the Andes. Holmes and Meier, 1992.

Healy, Kevin. "Coca, the State, and the Peasantry in Bolivia." Journal ofInterAmerican Studies and WorldAffairs, 30, 1988.

Higham, Charles. Trading with the Enemy. Delacorte, 1983. American Swastika. Doubleday, 1985.

Hohne, Heinz. The Order ofthe Death '5 Head. Ballantine, 1971.

Gott, Richard. Rural Guerillas in Latin America. Penguin, 1973.

Kahn, David. Hitler's Spies: German Military Intelligence in World War IL Macmillan, 1978.

Klare, Michael. War Without Ei~d. Random House, 1972.

Lee, Martin A. The Beast Reawakens. Little, Brown, 1997.



التحالف الأسود

وكالة الاستخبارات المركزية
والمخدرات والصحافة

بيت رعب للدكتور جوتليب

بحلول أوائل الخمسينيات، كانت علاقة وكالة الاستخبارات المركزية بالمخدرات تمتد من تحالفات مع مهربين مجرمين للهيروين إلى إجراء أبحاث عن العناصر الكيماوية المميتة أو المغيِّرة للعقل وتطبيقاتها. وفى ١٨ نوفمبر ١٩٥٣، اجتمعت مجموعة من سبعة رجال فى لقاء عقد فى دير جريك لودج Deer Greek Lodge فى جبال غربى ميريلاند. كان ثلاثة منهم من مركز الأسلحة البيولوجية بالجيش فى فورت ديتريك؛ وكان الأربعة الآخرون ضباطًا بوكالة الاستخبارات المركزية من قسم الخدمات الفنية بها. وكانت تلك المقابلة ضمن سلسلة منتظمة من جلسات العمل بشأن مشروع MK-NAOMI، حيث الحرفان MK هما السابقة التى تعنى أى عمل تقوم به الخدمات الفنية وNAOMI تشير إلى مشروع لابتكار سموم لاستعمالها فى العمليات التى تقوم به وكالة الاستخبارات المركزية وعملاؤها. وكان الرجال المجتمعون فى فورت ديتريك قد جمعوا ترسانة مميتة من سموم المحار والبوتولينوم botulinum[١] والأنثراكس anthrax[٢] وفيروس التهاب المخ الخيلى equine encephalitis.[٣]

وبعد يوم، وفى مساء ١٩ نوفمبر، اشترك العلماء فى شرب كأس كوانترو Contreau بعد العشاء. ولم يكن الجالسون حول مائدة الأُنس يعلمون أن الدكتور جوتليب قرر مزج الشراب بجرعة كبيرة من عقار الهلوسة LSD. فلم يبلغ جوتليب الضباط أنهم خدروا، وكان فى الواقع قد خالف قواعد وكالة الاستخبارات المركزية بعدم حصوله على إذن مسبق لإجراء التجربة. وبعد حوالى ثلاثين دقيقة من ابتلاعهم مشروباتهم، سألهم

---

(١) مادة تنتج سمًا عصبيًا شديد الفاعلية. **(المترجم)**

(٢) جرثومة الجمرة الخبيثة التى انتشرت من خلال الرسائل فى الولايات المتحدة فى أعقاب أحداث الحادى عشر من سبتمبر. **(المترجم)**

(٣) مرض يصيب الخيل والإنسان تسببه ثلاث سلالات فيروسية. **(المترجم)**

جوتليب إن كان أى منهم قد لاحظ أى شىء غير عادى، ووجد الطبيب أن معظم الرجال حول الطاولة شعروا بقليل من الانتشاء، ولكن لم يكن هناك شىء مهم. وحينذاك اعترف جوتليب بالأمر وكشف لهم سر سرعة عقار الهلوسة.

وفى وقت ما عقب ذلك بفترة قصيرة، شرع أحد أفراد المجموعة، وهو الدكتور فرانك أولسون Frank Olson، فيما سيدخل لغة الستينيات باسم "رحلة سيئة" a bad trip. وقال أحد رفاق أولسون إن أولسون أصبح فى وقت لاحق من ذلك المساء "ذهانيًا". وكان أولسون خبير الجيش الأول فى الحرب البيولوجية، وكان تخصصه هو ابتكار تقنيات النشر الجوى للعناصر المميتة. وفى الصباح التالى كان أولسون لا يزال مضطربًا، ونتيجة لذلك انتهى الاجتماع قبل موعده. وعاد أولسون إلى بيته، حسبما تقول زوجته، حيث كان يقوم بسلوك غير عقلانى. فقد بدا وكأنه تسيطر عليه فكرة أن شخصًا ما "ارتكب خطأ شنيعًا" فى دير جريك لودج، وأنه أهان نفسه، وأن زملاءه سخروا منه. وأمضى أولسون وزوجته عطلة نهاية أسبوع كئيبة، اكتملت بخروجة غير حكيمة لمشاهدة فيلم "لوثر" Luther.

وفى يوم الاثنين وصل أولسون مبكرًا فى الصباح إلى العمل فى فورت ديتريك. وقد اتجه على الفور إلى مكتب رئيسه اللفتنانت كولونيل فنسنت روويت Vincent Ruwet حيث طالبه بفصله، حيث كرر اعتقاده أنه أهان نفسه. وأبلغ روويت أولسون أن من الواضح أن سلوكه فى المنتجع لا عيب فيه. وكان فى ذلك تهدئة لأولسون، ولكن هدوءه لم يستمر طويلاً. ففى اليوم التالى عاد إلى مكتب روويت وقال له إنه "مرتبك الذهن تمامًا". واستنتج روويت أن أولسون كان يعانى من انهيار عقلى وألقى باللائمة على وكالة الاستخبارات المركزية. واتصل بنائب سيدنى جوتليب، ريتشارد لاشبروك Rich-ard Lashbrook، الذى كان موجودًا كذلك فى الفندق. وأبلغ روويت ضابط الوكالة أن أولسون بحاجة فورًا إلى علاج نفسى. وبحث لاشبروك الأمر مع جوتليب واتفقا على إرسال أولسون إلى نيويورك كى يفحصه الدكتور هارولد ابرامسون Harold Abram-son، الذى كان يدير عيادة الحساسية فى مستشفى جبل سيناء Mount Sinai Hospi-tal. ولم يكن ابرامسون معالجًا نفسيًا، ولكنه فيما يهم جوتليب كان يتمتع بميزتين، هما السرية التامة والإخلاص المطلق لجوتليب، باعتباره أكثر باحثى عقار الهلوسة الذين تمولهم وكالة الاستخبارات المركزية حماسًا.

وكما استنتج ليمان كيركباتريك Lyman Kirkpatrick المفتش العام بوكالة الاستخبارات المركزية، فإن أهم ما كان يشغل جوتليب هو الحفاظ على سرية برنامج عقار الهلوسة الخاص بالوكالة وحماية نفسه من أية اتهامات محتملة بتجاهله الإجراءات النظامية، ونقل لاشبروك وروويت أولسون إلى نيويورك، وجاء ابرامسون لرؤية أولسون فى غرفتهم بفندق شيراتون، وعلى الفور أعطى ضابط الجيش المصاب مشروبًا من البوربون والنيمبوتال Nembutal[1]، وبعد مقابلة سريعة قرر ابرامسون أن أولسون فى حالة جيدة بحيث يمكنه العودة إلى بيته للاحتفال بعيد الشكر. ورغم ذلك التقييم المتفائل، استمرت حالة أولسون فى التدهور. وكان وقتها يعتقد أن رجال وكالة الاستخبارات المركزية يطاردونه وكانوا يمزجون شرابه بالبنزدرين benzedrine[2]. وفى الليلة السابقة لعودتهم المقررة على موطنهم، أصبح أولسون موهومًا؛ فقد كان يترنح فى شوارع نيويورك، حيث كان صوت روويت يرن فى رأسه يأمره بتمزيق كل ماله وإلقاء حافظة نقوده، وهو ما فعله المسكين على الفور.

وفى الساعة الخامسة والنصف صباحًا وجد أولسون رابضًا فى بهو فندق هيلتون ستاتلر Statler Hilton. وصعد به لاشبروك وروويت إلى غرفته، ونظفاه واتجهوا إلى الطائرة ليعودوا إلى واشنطن. وفى واشنطن توسل أولسون إلى لاشبروك وروويت ألا يعودا به إلى البيت، لأنه يخشى أن يصبح عنيفًا ويؤذى زوجته وأطفاله، واستدعى جوتليب إلى مسكن لاشبروك لفحص أولسون، حيث انتهى على الفور إلى ضرورة عودة أولسون إلى ابرامسون.

وعاد لاشبروك بأولسون إلى نيويورك حيث أمضى ابرامسون بضع ساعات معه قبل أن يقرر أن أولسون لا يزال فى حالة من الذهان ولا يتحكم بالمرة فى قدراته باعتباره مصابًا بالحساسية من تناول عقار هلوسة أعطى له خلسة. وقد أوصى بإيداعه مصحة تشستنت لودج Chestnut Lodge بروكفيل بولاية ميريلاند Rockville, Maryland، وهى على قائمة وكالة الاستخبارات المركزية الخاصة بالمؤسسات الموثوق بها.

ووافق أولسون على الخطة، إلا أن المسئولين عنه لم يمكنهم حجز الرحلة حتى اليوم التالى. وقال لاشبروك إنه استيقظ فى وقت متأخر من تلك الليلة ليجد أولسون يجرى

---

(١) الأول نوع من الويسكى والثانى الاسم التجارى لصوديوم خماسى البربيتال المهدئ. **(المترجم)**

(٢) الاسم التجارى لنوع من الأمفيتامينات، وهو سائل طيار عديم اللون يستعمل منشطًا للجهاز العصبى المركزى. **(المترجم)**

عبر الغرفة ويقفز من نافذة مغلقة وعليها ستائر. وتحطم الزجاج وسقط أولسون فى الشارع من غرفة فى الطابق التاسع.

وعلى الفور بدأ لاشبروك فى إزالة آثار وكالة الاستخبارات المركزية. ولم يكن أول اتصال له بالمستشفى أو الشرطة، بل بجوتليب. وعندما وصلت الشرطة أبلغها لاشبروك أنه يعمل بوزارة الدفاع وأوحى بأنه ربما قتل أولسون نفسه بسبب ضغوط تتعلق بالعمل. كما أبلغ الضباط أن أولسون "كان يعانى من القرحة" ولم يضف إلا قليلاً. وبعد بحث الظروف، كان أفضل تقدير للموقف من نيويورك، وهو الذى وضع فى ملفات الشرطة، هو أن أولسون قتل نفسه بسبب خناقة عشيقين شاذين جنسياً مع لاشبروك.

وتكتل كل رجال جوتليب، بل وكذبوا على المحققين الداخليين فى وكالة الاستخبارات المركزية. فقد قال لاشبروك وابرامسون إن أولسون كان يعانى من الاكتئاب منذ فترة. كما زعموا أن زوجته أليس Alice كانت قد أخبرتهما أنها حاولت منذ عدة أشهر جعل أولسون يذهب إلى معالج نفسى. وبعد سنوات، عندما بدأ السر ينكشف، شهدت زوجة أولسون بأن ذلك محض كذب. ومن ناحيته، أبلغ ابرامسون محققى وكالة الاستخبارات المركزية أن عقار LSD الذى أعطى لأولسون فى دير جريك لودج كان غير ضار بالمرة وكان فى الواقع جرعة علاجية.

وكان روويت قريباً من أولسون، وربما كان بإمكانه الحفاظ عليه لو كان قد سُمِح له بمصاحبة أولسون فى تلك الرحلة الأخيرة إلى نيويورك. ولكن ما حدث هو أن جوتليب طلب من روويت الاتصال بعائلة أولسون وإبلاغها أن أولسون لن يعود إلى البيت لبضعة أيام. وفى وقت لاحق أبلغ روويت وكالة الاستخبارات المركزية أنه ما لم تتأكد الوكالة من أن زوجة أولسون تحصل على معاش تقاعدى يساوى ثلثى راتب أولسون، فسوف يذيع ما حدث على الملأ. ووافقت الوكالة على شروطه، وعلى الفور صمت روويت بخصوص الظروف الحقيقية المحيطة بوفاة أولسون، مشيراً فى تقريره إلى أن أولسون مات بسبب "مرض محظور البوح به".

وعقب التحقيقات الداخلية التى أجرتها وكالة الاستخبارات المركزية عن وفاة أولسون، أراد المفتش العام الجنرال كيركباتريك أن يوجه لوماً شديداً إلى سيدنى جوتليب. إلا أن الطبيب كان له اثنان على الأقل ممن يحمونه، وهما مدير الاستخبارات المركزية آلن دلاس ونائب المدير للخطط ريتشارد هيلمز. وكل ما سمحا به هو توبيخ

خفيف لعالمهما المفضل، حيث قالا إن جوتليب أصدر "حكمًا سيئًا". ولم تخبر الوكالة عائلة أولسون قط أن فرانك كان دون أن يدرى فأر تجارب فى التجربة التى تجريها الوكالة على العقاقير وأخطأت خطأ شنيعًا. بل إنه لم يسمح لعائلة أولسون بفحص جثة فرانك قبل دفنه. حيث قيل لهم إنها فى حالة بالغة السوء.

وطوال اثنتين وعشرين سنة، ظلت أليس أولسون وأولادها يقاومون استنتاج أن فرانك أولسون تعمد قتل نفسه. وفى عام ١٩٧٥، قرأ إيريك Eric ابن فرانك وأليس أولسون، وكان وقتها عالم نفس إكلينيكيًا فى الحادية والثلاثين، قصة إخبارية فى صحيفة "واشنطن بوست" تتحدث عن اكتشافات خاصة بلجنة روكفلر، التى كونها الرئيس جيرالد فورد Gerald Ford لكتابة تقرير عن الاتهامات المتعلقة بأنشطة وكالة الاستخبارات المركزية الداخلية. ووصفت القصة موت رجل كان قد قفز من نافذة فندق بعد إعطاء وكالة الاستخبارات عقار LSD له سرًا. وبعد بضعة أيام اتصلت عائلة أولسون بزميل قديم لفرانك أولسون، هو فنسنت رooويت، الذى اعترف فى النهاية بما حدث فى الواقع فى دير جريك لودج وفى مانهاتن. ولأن روويت كان دائمًا رجل الحكومة، فقد حثهم على التعقل والحكمة. ولكن فى تلك المرة كان الكيل قد فاض بعائلة أولسون ولم تُجْدِ نصيحة روويت. وتوجهت أليس أولسون الغاضبة وأولادها إلى الجمهور على التليفزيون القومى، حيث طالبوا بإحقاق الحق.

وقال بيان عائلة أولسون المشترك: "إننا بروايتنا للقصة معنيون بضرورة عدم التهوين من الألم الشخصى الذى عانته هذه الأسرة ومما نشعر به من إساءة أخلاقية وسياسية بالغة. وبهذه الطريقة فقط يصبح موت فرانك أولسون جزءًا من ذاكرة أمريكا ويخدم غرض الإصلاح السياسى والأخلاقى المطلوب بشدة فى هذا المجتمع."

وفى مواجهة الشعور المتزايد بالغضب، اعتذر الرئيس فورد علنًا لعائلة أولسون. ولكن خمس عشرة سنة أخرى مرت قبل أن تحصل على تسوية كاملة من الوكالة.

وكلما ازداد ما تعلمه عائلة أولسون عن موت فرانك، كثر ما تطرحه من أسئلة، وفى النهاية عفت أولسون عن أفعال فنسنت روويت. ولكنها وصفت جوتليب بكلمة واحدة، وهى أنه "حقير".

وكانت لدى الابنين إيريك ونلز Nils شكوك كبيرة بشأن موت والدهما. فقد كان أولسون واحدًا من كبار الخبراء فى الحرب البيولوجية، وربما كشف سر العمل الذى

قام به هو وغيره من علماء الجيش بخصوص ابتكار سموم مميتة لوكالة الاستخبارات المركزية كي تستخدمها فى عمليات سرية واغتيالات سياسية، وقال إيريك أولسون "كانت الآثار التى من هذا النوع تخيفنى، ولكن القصة لم يُتحقق منها قط، وكنت أشعر أن الزمن عاد بى إلى الفترة التى كنت فيها فى التاسعة، أحك رأسى مفكراً".

وبينما كانت الأم على قيد الحياة، لم يقدم الابنان على أية مبادرة مهمة، ثم توفيت أليس أولسون عام ١٩٩٣، وعقب ذلك مباشرة قرر إيريك ونلز نقل جثة والدهما من جبانة بالقرب من فورت ديتريك فى فريدريك بولاية ميريلاند إلى الجبانة التى دفنت فيها أمهما. وقد انتهزا فرصة النقل لجعل فريق من الأطباء الشرعيين يفحصون رفات فرانك أولسون.

وكان إيريك أولسون حاضراً عند نقل جثمان والده. ورغم تأكيد الحكومة السابق أن جثة فرانك تمزقت بشدة عند سقوطها، وجد إيريك الجثة فى حالة جيدة إلى حد ما، وقد قال: "لقد دهشت للصورة الجيدة التى بدا عليها. إذ كان لايزال بإمكانى التعرف عليا بعد أربعين سنة."

ووجد الطبيب الشرعى الدكتور جيمس ستارز James Starrs من جامعة جورج واشنطن كدمة عميقة على جبهة أولسون. وكانت الكدمة من الحدة بحيث أفقدت أولسون الوعى، ولكن ربما لم تؤد إلى سقوطه. كما لم يكتشف ستارز كذلك أى دليل على وجود جروح ناتجة عن الزجاج المكسور التى كان لا بد من وجودها لو أن أولسون قفز من النافذة المغلقة. وانتهى ستارز إلى أن الأدلة موحية بشكل واضح. وفى مؤتمر صحفى عقد عام ١٩٩٥، تحدث ستارز عن "الحاجة الماسة إلى سلطة استدعاء الشهود".

ورفض المحققون الفدراليون متابعة البحث. وقال ديف كريستيان Dave Christian المتحدث باسم وكالة الاستخبارات المركزية إنه لا داعى لإجراء مزيد من التحقيقات، حيث إن الكونجرس محص قضية أولسون تمحيصاً تاماً عام ١٩٧٧ أثناء جلسات الاستماع التى رأسها السناتور إدوارد كنيدى. وأعلن كنيدى نفسه أن تحقيقه "أغلق الكتاب عند هذا الفصل المحزن". ولكى يصل كنيدى إلى هذه النتيجة، خطط لمنح الدكتور جوتليب حصانة من التحقيق مقابل شهادته (شديدة الغموض). إلا أنه فى نوفمبر ١٩٩٧أعلن وكيل نيابة مانهاتن روبرت مورجنتاو Robert Morgenthau عزمه فتح التحقيق فى القضية من جديد.

تعريف بالدكتور جوتليب

لم يكن مصير فرانك أولسون سوى لمحة صغيرة فى برنامج وكالة الاستخبارات المركزية السرى لبحث طرق تعديل العقل وضبطه. وقد أعطى المشروع كله الاسم الكودى MK-ULTRA وكان يدار من قسم الخدمات الفنية بالوكالة، وكان يرأسه فى الخمسينيات ويليس جيبونز Willis Gibbons المدير السابق لشركة المطاط الأمريكية US Rubber Company. وكان الباحثون فى معامل القسم وورشه يعملون من أجل التوصل إلى سموم، وآلات مصممة للتعجيز والقتل، وأساليب للتعذيب، وأدوات تحقق أكبر استفادة من هذه الأساليب. وهنا كذلك يبتكرون معدات مراقبة وما شابهها من أدوات مشابهة لمهنة التجسس. وجعلت هذه الأنشطة جميعًا من داخل الخدمات الفنية، كانت مشروعات Mk - ULTRA القسم الكيميائى قسم الخدمات الفنية شريكًا حيويًا لجناح العمليات السرية بالوكالة الذى كان يرأسه من ١٩٥١ حتى ١٩٥٦ الدكتور سيدنى جوتليب، وهو يهودى من نيويورك حصل على الدكتوراه فى الكيمياء من معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا. ولأن جوتليب وُلد بقدم مقوسة ومصابًا بتأتأة شديدة، فقد كان يدفع نفسه للعمل بشراسة لا حد لها. وكان رغم إصابته البدنية مؤديًا متحمسًا للرقصة التربيعية ورقصة البولكا[1]، حيث كان يثب مرحًا فى الكثير من المراقص ويأتى بالمعالجين النفسيين والكيميائيين إلى أماكن تجمع الراقصين حيث يتدارسون خططًا مخيفة لضبط العقل وسط صخب الفرق الموسيقية.

وكان جوتليب وزوجته، المسيحية الأصولية، يعيشان فى مزرعة فى جبال شيناندوه Shenandoah Mountains شمالى فيرجينيا. وكان منزلهما مسكنًا للعبيد فيما مضى، وكان جوتليب يستيقظ كل صباح قبل طلوع الشمس كى يحلب قطيعه من الماعز.

وكما بينا فى قضية أولسون، كان لجوتليب أصدقاء ذوو نفوذ داخل الوكالة، أبرزهم ريتشارد هيلمز، فى الوقت الذى كان فيه نائبًا للمدير للعمليات السرية. وقد أوجد مشروع MK-ULTRA فى ١٣ أبريل ١٩٥٣، حين أقر مدير الوكالة آلن دلاس اقتراح هيلمز بابتكار "الاستخدام السرى" للمواد البيولوجية والكيماوية. وربما كان الاسم الكودى ULTRA صدى للأيام التى أمضاها هيلمز ودلاس فى مكتب الخدمات

---

(١) رقصة مستديرة تتميز بكثرة حركاتها وسرعتها تؤديها أزواج من الراقصين والراقصات وتعود أصولها إلى بوهيميا. **(المترجم)**

الاستراتيجية، حيث كان ULTRA (وهى تجميع للحروف الأولى من الشفرة الألمانية الأصلية) يمثل واحداً من أكبر أسرار الحرب العالمية الثانية.

وقال جوتليب نفسه إن إيجاد MK-ULTRA بإيحاء من تقارير خاصة بضبط العقل فى الاتحاد السوفيتى والصين. وقد حدد المهمة على أنها "تحقيق فى كيفية إمكانية تعديل السلوك الفردى من خلال وسائل خفية". وقد قدم هذا التوصيف فى عام ١٩٧٧ فى جلسات استماع كنيدى، حيث شهد عن طريق سماعة من بعد وهو جالس فى غرفة أخرى. ومضى جوتليب قائلاً: "لقد شعروا أننى ضرورى وذو أهمية قصوى لهيئة استخباراتنا كى أوجد ما هو ممكنًا فى هذا المجال."

وكانت وكالة الاستخبارات المركزية قد تتبعت محاكمة الكاردينال الرومى الكاثوليكى المجرى يوسف ميندزنتى Josef Mindszenty فى بودابست عام ١٩٤٩ وانتهت إلى أن اعتراف الكاردينال النهائى قد وُجِّه من خلال "قوة ما غير معروفة". وفى البداية كان الاعتقاد أن ميندزنتى نُوِّم مغناطيسياً، وخطر ببال ضباط وكالة الاستخبارات المركزية ـ الذين جذب الأمر اهتمامهم ـ أنه قد يمكنهم استخدام نفس الأساليب على الناس حين استجوابهم. وابتكر مكتب الأمن بالوكالة، وكان على رأسه فى ذلك الوقت شيفلد إدواردز Sheffield Edwards، مشروع تنويم مغناطيسى اسمه Bluebird [العصفور الأزرق]، الهدف منه جعل الفرد "ينفذ أوامرنا ضد إرادته، بل وضد قوانين الطبيعة الأساسية وغريزة حفظ الذات".

وأُجريت أولى عمليات العصفور الأزرق فى اليابان فى أكتوبر من عام ١٩٥٠، ويقال إن ريتشارد هيلمز شهدها. فقد أعطى خمسة وعشرين أسيراً كورياً جرعات متعاقبة من مضادات الاكتئاب والمنبهات. وحقن الأسرى بالباربيتورات barbiturates[1]، مما يجعلهم ينامون نوماً عميقاً، ثم يوقظون فجأة بحقنهم بالأمفيتامينات، وينومون مغناطيسياً، ثم يستجوبونهم. وكانت تلك العملية تتعارض تعارضاً تاماً مع البروتوكولات الدولية بشأن معاملة أسرى الحرب. واستمرت استجوابات العصفور الأزرق تلك طوال الحرب الكورية.

---

(١) مركبات دوائية تنتمى لمجموعة البوليدات، مثل الفنوباربيتال والأميتال والسيكونال، وجميعها تستخدم كمسكنات للجهاز العصبى. **(المترجم)**

وفي الوقت ذاته كان الأسرى الأمريكان المحتجزون في كوريا الشمالية يستعرضهم آسروهم مدعين أن الولايات المتحدة تستخدم عناصر كيماوية وبيولوجية ضد الكوريين والصينيين. وانتهت لجنة دولية إلى صدق الاتهامات. ولكن كان رد وكالة الاستخبارات المركزية هو تسريب قصص للصحفيين المحظيين لديها في "تايم" و"شيكاغو تريبيون" و"ميامي هيرالد"، لإعطاء انطباع بأن أسرى الحرب الأمريكيين أجرى لهم آسروهم الشيوعيون غسيل مخ. وكانت لذلك فائدة مزدوجة لإبطال الاتهامات الخاصة بالحرب الجرثومية، وكذلك تبرير برنامج العصفور الأزرق.

والواقع أن الجيش الأمريكي ووكالات الاستخبارات الأمريكية تقوم منذ أكثر من أربعين سنة بأبحاث ضبط العقل على نطاق ضيق. ومن بين أول من أجروا هذه التجارب جورج إستابروكس George H. Estabrooks، وهو باحث نفسي ظل سنوات يدرس في كلية كولجيت Colgate College شمالي نيويورك. وكان إستابروكس باحثًا من رودس تلقى تدريبًا في علم النفس بجامعة هارفارد على يد جاردنر ميرفي Gardner Murphy. وعمل عالم النفس، الذي كان متخصصًا في استخدام التنويم المغناطيسي في العمليات الاستخبارية، متعهدًا مع الاستخبارات البحرية ثم كان مستشارًا لباحثي وكالة الاستخبارات المركزية مثل مارتن أورن Martin Orne وميلتون إريكسون Milton Erickson.

وفي عام ١٩٧١ قدم إستابروكس صورة مرعبة عن حياته العملية في مقال نشر في مجلة "ساينس دايجست" Science Digest بعنوان "التنويم المغناطيسي يشب عن الطوق". فقد كتب إستابروكس: "أحد أروع تطبيقات التنويم المغناطيسي وأخطرها هو استخدامه في الاستخبارات العسكرية. وهذا هو المجال الذي أعرفه من خلال وضع أسس إرشادية للأسلوب الذي استخدمته الولايات المتحدة في حربين عالميتين. فالاتصال في الحرب دائمًا ضرب من وجع الرأس. فالشفرة يمكن حلها. والجاسوس المحترف قد يظل أو لا يظل على ولائه. فرجلك قد لا يكون مشكوكًا في ولائه، ولكن حكمه عرضة للشك على الدوام. ومن ناحية أخرى يمثل المرسال المنوم مغناطيسيًا حلاً فريداً." وروى إستابروكس بتفاصيل واقعية دوره في تنويم ضباط الاستخبارات مغناطيسيًا من أجل القيام بمهمات خطيرة داخل اليابان المحتلة، حيث وصف كيف استطاع من خلال التنويم المغناطيسي "وضع قفل" على المعلومات داخل عقل الجنود دون علمهم، وهي المعلومات التي لا يمكن استعادتها إلا عن طريق إستابروكس وغيره من علماء النفس المكلفين بذلك في الجيش.

أن "العملاء قد يعطون قصصًا للتمويه تحت تأثير التنويم المغناطيسي، بحيث لا يحفظونها غيبًا وحسب، بل يصدقونها كذلك. وكان بالإمكان جعل تفصيلة من التفاصيل ترسخ بقوة. وكان الاقتناع والصدق الواضح الذى يدافع به المرء عن الزيف، الذى أُعطى له تحت تأثير التنويم المغناطيسي، يكاد لا يصدقه عقل".

وفي إحدى التجارب، نومت ضابطة أمن بوكالة الاستخبارات المركزية وأعطيت لها هوية جديدة. وعندما استجوبوها في وقت لاحق "دافعت عن الأمر بحرارة، ناكرة اسمها الحقيقى ومبررة باقتناع حيازتها بطاقات الهوية التى تدل على شخصيتها الحقيقية". وبحث برنامج الخرشوف كذلك استخدام التنويم المغناطيسي لتجنيد العملاء السياسيين رفيعي المستوى وكشف حقيقة الجواسيس والعملاء المزدوجين، وهى فكرة كانت تسيطر على جيمس جيزس أنجلتون، رئيس الاستخبارات المضادة فى وكالة الاستخبارات المركزية.

وتزخر مذكرات الوكالة التى تعود إلى تلك الفترة بشكاوى من المصاعب الخاصة بإيجاد الأشخاص المناسبين لإجراء الأبحاث التجريبية عليهم. وكان "البشر الذين تجرى عليها التجارب" يذكّرون بالعبارة الغامضة "مواد البحث الفريدة". وكانت تجارب وكالة الاستخبارات المركزية تجرى فى أول الأمر على السجناء ومدمنى المخدرات والمصابين بأمراض مستعصية. والتفاصيل قليلة جدًا، لأن هيلمز أمر بتدمير كل سجلات وكالة الاستخبارات المركزية الخاصة بالبرامج. ولكن الكثير من "مواد البحث الفريدة" ظهر على هيئة سجناء فى سجن فوكافيل Vocaville بكاليفورنيا، وإصلاحية ولاية جورجيا، وجهاز السجون فى ولاية تينيسى. إلا أنه كانت هناك مشكلة. ففى تلك الحالات كان لا بد فى كثير من الأحيان من وجود قدر معين من الموافقة عن علم. وكان من الممكن تخفيف أحكام المساجين مقابل الموافقة على المشاركة فى التجارب وكان مدمنو المخدرات يحصلون على ثمن ذلك نقدًا أو مخدرات أو علاجًا. وكانت الموافقة عن علم فى الغالب شرطًا لعلاج أى من ذوى الأمراض المستعصية المساكين. وكان باحثو وكالة الاستخبارات المركزية يرون أن أى نمط من أنماط الموافقة عن علم يتعارض مع مهمة بحثهم، وهى جعل من تجرى عليهم التجارب على كره منهم يتحدثون ويبدون التعاون خفية.

وبحلول عام ١٩٥٢، بدأ علماء وكالة الاستخبارات المركزية اختبار أساليبهم على من وصفتهم مذكرات الوكالة بأنهم "أفراد مشكوك فى ولائهم، وعملاء مشتبه فيهم،

وأشخاص لديهم أسباب معروفة للخداع". وكما أبلغ أحد علماء النفس بالوكالة جون ماركس John Marks مؤلف كتاب The Search for the Manchurian Candidate، وهو تحقيق رائد حول هذه الأنشطة في أواخر السبعينيات، فإن "المرء لم يعط أهمية كبيرة للحقوق المدنية الخاصة بالشخص الذى يمكن أن يكون خائنًا لبلاده". وقد نُقل عميل مزدوج إلى منزل آمن "معزول تمامًا" فى الريف الألمانى تابع لوكالة الاستخبارات المركزية، "حيث عُزل عن الجيران المحيطين به". وقيل للرجل إنه ستجرى عليه بعض الاختبارات الطبية والنفسية الروتينية كشرط لتوظيفه. وطبقًا لما جاء فى الرواية المفصلة الموجودة في ملفات الخرشوف، فقد أجريت العملية بكاملها فى الطابق الثانى من المنزل الآمن، لعدم إثارة اهتمام "العاملين فى البيت وفرد الأمن".

وسُجِّلت الجلسة بـ"جهاز خاص يمكن إخفاؤه بسهولة" وكان يراقبها القسم الطبى بوكالة الاستخبارات المركزية ومحققون من قسم الاستخبارات المضادة فى أنجلتون. وقد جاءوا بهذا الشخص إلى المنزل الآمن فى حوالى الساعة العاشرة والنصف وأجريت معه مقابلة عرضية استمرت حوالى الساعة. ثم قدموا له كأسًا من الويسكى الممزوج بالنيمبوتال. وعلى امتداد الأيام الستة التالية، أُجرى استجواب مكثف لذلك الشخص، بينما أعطاه محققو الوكالة "محاليل فى الوريد" بها عقاقير هلوسة ونوموه مغناطيسيًا. كما أوصلوه بجهاز لكشف الكذب. وحكم علماء الخرشوف على الاستجواب بأنه "مفيد وناجح". كما أشاروا إلى أن إيحاء ما بعد التنويم المغناطيسى جعل الشخص الذى أُجريت عليه التجربة "مشوشًا تمامًا" ويعانى من "صداع حاد" وذاكرة "غير واضحة وخاطئة" فيما يتعلق بالاستجواب.

ومع أن بداية العصفور الأزرق كانت فى قسم الأمن بوكالة الاستخبارات المركزية، فقد أدى حدث غير متوقع فى مركز الوكالة بفرانكفورت بألمانيا إلى نقل هؤلاء الباحثين إلى قطاع العمليات السرية بالوكالة. وفى فرانكفورت، حيث اتخذت الوكالة مقرًا لها فى المكاتب التى كانت تخص شركة إى جى فاربن EG Farben، فإن متعهدًا مدنيًا لدى الوكالة – وهو عالم نفس أمريكى اسمه ريتشارد فنت Richard Wendt – كُلِّف بمهمة اختبار كوكتيل THC والديكسيدرين Dexedrine[1] والسيكونال على خمسة أشخاص رهن الاستجواب يشتبه فى أنهم عملاء مزدوجون أو منشقون مزيفون. وكان فنت يأتى

(١) الاسم التجارى لمادة الدكستروأمفيتامين التى تستخدم كمنبه للجهاز العصبى المركزى. **(المترجم)**

معه بعشيقته إلى جلسات فرانكفورت، وكان يقيم حفلاً كبيراً عندما وصلت زوجته. ووسط ما أعقب ذلك من صخب، هرب رجل وكالة الاستخبارات المركزية إلى قمة برج إحدى الكنائس وهدد بإلقاء نفسه. ووسط تلك الزلات الأمنية، فقد فرع الأمن سيطرته على البحث، الذى انتقل وقتها إلى العمليات السرية، وفى النهاية إلى يد جوتليب.

وبعد أن تلقى جوتليب ٣٠٠ ألف دولار من آلن دلاس، بدأ توزيع العمل على أشخاص مثل الدكتور هارولد ابرامسون، خصم أولسون. وفى عالم ١٩٥٣، مُنح الدكتور ابرامسون ٨٥ ألف دولار. وكان اقتراح منحته يشمل ستة مجالات للبحث، وهى اضطراب الذاكرة، وتشويه السمعة عن طريق السلوك غير الطبيعى، وتعديل الأنماط الجنسية، واستخلاص المعلومات، وتقبل الإيحاء، والتبعية.

وكان من بين من تلقوا أموال جوتليب فى البداية كذلك الدكتور هاريس إزبل Harris Isbell، الذى كان يدير مركز أبحاث الإدمان فى لكسنجتون بولاية كنتاكى Lexington، Kentucky. وقد مرت من مركز إزبل مجموعة أسيرة من فئران التجارب على هيئة مورد لا ينقطع من مدمنى الهيروين السود. وقد وضع إزبل "نظام نقاط" لضمان تعاونهم فى بحثه. فكان يكافئ هؤلاء الأشخاص، الذين كان يفترض أنهم يعالجون من إدمانهم المخدرات، بإعطائهم كميات من الهيروين والمورفين تتناسب مع طبيعة كل مهمة بحثية. وكان من عادة جوتليب وزملائه بوكالة الاستخبارات المركزية العودة إلى فيرجينيا لاختبار كل المواد على أنفسهم، إلا أن أكثر من ٨٠٠ مركب مختلف أُرسلت إلى مركز إزبل كى يجربها المدمنون أولاً.

وربما كانت أشهر تجربة فى لويزفيل Louisville عندما أعطى إزبل عقار LSD لسبعة من مدمنى الهيروين السود لمدة سبعة وسبعين يومًا متصلة. وتشير مذكرات البحث الخاصة بإزبل إلى أنه زاد الجرعات "ضعفين" و"ثلاثة أضعاف" و"أربعة أضعاف". وبعد أن لاحظ إزبل تقبل الأشخاص الواضح لهذه الجرعات المنتظمة غير المعقولة من حمض الليزرجى lysergic acid[١]، أوضح بنبرات تقشعر لها الأبدان أن "هذا النمط من السلوك متوقع من مرضى من هذا النمط". وفى إعادة مرعبة أخرى لتجارب الأطباء النازيين فى داخاو، أمر إزبل بربط تسعة ذكور سود فى الطاولات، وحقنهم بالسيلوسايبن psilocybin[٢]، ووضع الترمومتر فى فتحات الشرج، ووضع

---

(١) مركب مشتق من قلوانيات الإرجون ويمكن أن يولِّد حالة تشبه الذهان، وهو معروف باسم LSD. **(المترجم)**

(٢) مركب يبعث على الهلوسة، ويستخرج من أحد أنواع عيش الغراب. **(المترجم)**

الضوء أمام أعينهم لقياس اتساع حدقة العين، وكانت مفاصلهم تُضرب لقياس ردود الأفعال العصبية. وكانت أموال أبحاث إزبل تبعث بها وكالة الاستخبارات المركزية من خلال المعاهد القومية للصحة.

وقام إزبل كذلك بدور رئيسى كوسيط من أجل حصول وكالة الاستخبارات المركزية على إمدادات المخدرات وعقاقير الهلوسة من شركات الأدوية. وكان للوكالة اهتمامان رئيسيان، هما الحصول على الإمدادات والمركبات الجديدة، واستخدام حق الفيتو على بيع تلك المواد للكتلة الشرقية. فعلى سبيل المثال، أصبحت الوكالة تشعر بالقلق فى عام ١٩٥٣، لأن شركة ساندوز Sandoz السويسرية للأدوية، التى ابتكر لها ألبرت هوفمان عقار LSD، كانت تعتزم طرح العقار فى السوق المفتوحة. ولذلك عرضت الوكالة شراء كل إنتاج ساندوز من LSD مقابل ٢٥٠ ألف دولار. وفى النهاية وافقت ساندوز على مد الوكالة بمائة جرام كل أسبوع، ورفض طلبات من الاتحاد السوفيتى والصين، وكذلك تزويد الوكالة بقائمة منتظمة تضم عملاء ما تنتجه الشركة من عقار LSD.

وفى الوقت نفسه ساعدت وكالة الاستخبارات المركزية فى تعهد جهود شركة إيلى ليلى Eli Lilly لإنتاج عقار LSD المخلق. ونجحت شركة إيلى ليلى ومقرها إنديانابوليس Indianapolis فى ذلك المسعى عام ١٩٥٤. وحيا جوتليب ذلك الانتصار باعتباره إنجازًا مهمًا سوف يمكن وكالة الاستخبارات المركزية من شراء العقار "بالأطنان". ولم تكن تلك الكميات الضخمة مطلوبة بالطبع من أجل الاستجواب؛ بل كان هدف جوتليب هو أن تكون لديه القدرة على تعجيز أعداد ضخمة من الناس والجيوش.

ولم تكن مشروعات MK-ULTRA قاصرة على إجراء أبحاث على البالغين. فقد مولت وكالة الاستخبارات المركزية مشروعًا فى القرية الصيفية الدولية للأطفال. وكان الهدف هو إجراء بحث عن كيفية اتصال الأطفال الذين يتحدثون لغات مختلفة ببعضهم. ولكن وثائق وكالة الاستخبارات المركزية تبين أن الدافع الخفى هو تحديد العملاء الأجانب الواعدين. وكانت المعالجة النفسية الشهيرة لوريتا بيندر Loretta Bender تتلقى هى الأخرى أموالاً من MK-ULTRA. واستخدمت المشرفة على مشروع بيندر-جشتالت Bender-Gestalt الأموال التى حصلت عليها من الوكالة لضخ عقاقير الهلوسة، ومنها LSD، فى أطفال تتراوح أعمارهم بين سبع سنوات وإحدى عشرة سنة. وكثير من الأطفال كانوا يعطون العقاقير لعدة أسابيع فى كل مرة. وفى حالتين استمر "علاج" الدكتورة بيندر بشكل متقطع لأكثر من سنة.

وقدمت وكالة الاستخبارات المركزية منحًا كبيرة لجامعة أوكلاهوما، حيث يعمل الدكتور لويس "جولى" ويست Louis "Jolly" West. وسوف يرأس ويست فيما بعد "مشروع العنف" فى جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس، حيث أجرى هو والدكتور جيمس هاميلتون، وكان زميل جورج وايت فى مكتب الاستخبارات الاستراتيجية ومتلقيًا لمنح الوكالة المالية - بحثًا نفسيًا شمل التعديلات السلوكية على نزلاء سجن فاكافيل الحكومى فى شمال كاليفورنيا. وكان لأموال وكالة الاستخبارات المركزية التى كانت تصب فى جامعة أوكلاهوما فى الخمسينيات غرض مشابه؛ وهو دراسة بنية عصابات الشباب الحضرية وديناميكياتها. وتشير هذه الدراسات إلى أن الوكالة تهتم منذ أوائل أيامها اهتمامًا شديدًا بإيجاد أساليب للضبط الاجتماعى للعناصر المحتمل أن تثير الفوضى والاضطراب فى المجتمع الأمريكى.

ومن المؤكد أن أحد أكثر مشروعات MK-ULTRA شرًا هو بحث "تغيير الأنماط" الذى قام به المعالج النفسى سكوتلندى المولد الدكتور إدوين كاميرون. ولم يكن كاميرون مختفيًا فى غرفة مظلمة؛ فقد كان واحدًا من أكثر المعالجين تقديرًا فى عصره. وكان يرأس كلاً من اتحاد المعالجين النفسيين الأمريكى والاتحاد الدولى للعلاج النفسى، وكان عضوًا فى العديد من مجالس الإدارة، وكان يساهم فى تحرير العشرات من المجلات. كما كانت تربطه علاقة قديمة بوكالة الاستخبارات الأمريكية تعود إلى الحرب العالمية الثانية، حيث جاءوا بألن دلاس إلى نورمبرج للمساعدة فى تقييم مجرمى الحرب النازيين، وأبرزهم رودلف هيس Rudolf Hess[1]. وبينما كان كاميرون فى ألمانيا، قدم هو الآخر خدماته فى وضع دستور نورمبرج الخاص بالأبحاث الطبية.

وبعد الحرب كادت فكرة الشيزوفرينيا تسيطر على تفكيره. وكان يعتقد أن بإمكانه علاج الحالة بأن يحدث أولاً حالة من فقدان الذاكرة التام لدى مرضاه، وبعد ذلك يبرمج وعيهم من خلال عملية أسماها "التحفيز النفسى". وكانت قاعدة عمليات كاميرون هى معهد آلان التذكارى Allan Memorial Institute بجامعة ماكجيل McGill University بمونتريال. وعلى امتداد أوائل الخمسينيات، كان عمل كاميرون يتلقى دعمًا سخيًا من مؤسسة روكفلر Rockefeller Foundation. وفى عام ١٩٥٧ عثر كاميرون على مورد

---

(١) زعيم نازى ألمانى كان ترتيبه الثانى فى تولى القيادة النازية. وقد أُسر فى سكوتلندا عام ١٩٤١، ثم حُكم عليه بالسجن مدى الحياة فى محاكمات نورمبرج عام ١٩٤٦ جزاء ما ارتكبه من جرائم حرب. **(المترجم)**

جديد للمال، وهو حسابات مشروع جوتليب MK-ULTRA. وعلى مدى السنوات الأربع التالية، منحت وكالة الاستخبارات المركزية كاميرون ما يزيد على ٦٠ ألف دولار مقابل عمله في تعديل الوعي وضبط العقل.

وقد استفاد كاميرون من أموال وكالة الاستخبارات المركزية فى بحث رائد عن استخدام أساليب الحرمان الحسي. وفي إحدى المرات حبس امرأة في "صندوق" أبيض صغير لمدة خمسة وثلاثين يومًا، حيث حرمها من كل ضوء وروائح وأصوات. وكان أطباء وكالة الاستخبارات المركزية فى لانجلى يتابعون هذا البحث بشيء من الدهشة، ذلك أن تجاربهم التى استعمل فيها خزان مشابه للحرمان الحسى عام ١٩٥٥ أحدثت ردود أفعال نفسية حادة فى الأشخاص الذين أجريت عليهم التجربة وحبسوا لمدة تقل عن أربعين ساعة.

وكان كاميرون يستخدم نوعية من العقاقير الغريبة فى مرضاه، وفى إحدى المرات أعطى عقار LSD أربع عشرة مرة لامرأة غير مشكوك فيها خلال فترة شهرين. كما بحث الفوائد العملية لإحداث الشلل لبعض مرضاه بحقنهم بالكورار curare[1]، وكانت الجراحات الفصية منطقة أخرى تحظى باهتمام شديد من جانب الدكتور كاميرون، الذى كان يطلب من جرَّاحيه النفسيين إجراء عملياتهم باستخدام تخدير موضعى خفيف. فقد كان يريد أن يكون مرضاه واعين، بحيث يمكنه تحديد التغيرات التى تحدث لوعيهم كلما غاص المشرط أكثر فى فص مخهم الأمامى.

لم يكن هناك ما يرضى كاميرون مثل استخدام العلاج بالصدمات الكهربية، الذى كان يعتقد أن بإمكانه "تنظيف المخ تمامًا"، مما يسمح له بتطهير مرضاه من أمراضهم. ولتحقيق تلك الغاية، ابتكر كاميرون علاجًا فظيعًا. فقد كان فى البداية يجعل مرضاه ينامون نومًا طويلاً بحقنهم يوميًا بخليط من الثورازين Thorazine[2] والنيمبوتال والسيكونال. وكان يوقظ مرضاه ثلاث مرات يوميًا من نومهم بحقنهم بالأمفيتامينات، حيث يجبرون على تلقى العلاج القاسى بالصدمات الكهربية الذى ينطوى على عدد فولتات يزيد أربعين مرة على ما كان يعتبر آمنًا وعلاجيًا فى ذلك الوقت. وكان ذلك

---

(١) خلاصة سامة من نبات مدارى أمريكى تحتوى على أشباه قلويات تؤدى إلى شل العضلات الإرادية، وتستخدم مساعدًا للتخدير فى العمليات الجراحية. **(المترجم)**
(٢) الاسم التجارى لمادة الكلوربرومازين. **(المترجم)**

العلاج يستمر فى بعض المرات لمدة شهرين ونصف إلى ثلاثة أشهر. وبعد ذلك كان كاميرون يبدأ تجربة "التحفيز النفسى". وكانت المغامرة الغريبة فى التكييف السلوكى تنطوى على مهاجمة المرضى برسائل كلامية مشغلة على جهاز تسجيل لا يتوقف لمدة ست عشرة ساعة يومياً؛ وغالباً ما تكون السماعة مخفية تحت الوسادة بقصد توصيل الرسائل دون عتبة الوعى والمريض نائم.

وأجريت تلك التجارب على أكثر من ١٥٠ مريضاً، من بينهم روبرت لوجى Robert Loguey. وكانوا قد أرسلوا لوجى إلى طبيب العائلة، الذى كان يعتقد أن أسباب الألم المستمر، الذى يشكو منه مريضه فى ساقه، نفسية. وعلى الفور شخص كاميرون حالة لوجى على أنها شيزوفرينيا، وهو ما جعله فى الحال فأر تجارب لمشروع كاميرون الخاص بوكالة الاستخبارات المركزية. ويذكر لوجى أن الرسائل السلبية التى كان كاميرون يبثها فى الغرفة لمدة ثلاثة وعشرين يوماً متصلة هى: "لقد قتلت أمك. لقد قتلت أمك". وعندما عاد لوجى إلى البيت، صُدم حين اكتشف أن أمه حية وفى حالة جيدة.

وكانت ليندا ماكدونالد Linda McDonald ضحية تقليدية من ضحايا كاميرون، الذين كان أغلبهم من النساء. وكانت ماكدونالد فى الخامسة والعشرين من عمرها وأماً لخمسة أطفال صغار. وكانت تعانى من حالة خفيفة من اكتئاب ما بعد الوضع ومن ألم مزمن فى ظهرها. وقد نصحها طبيبها بزيارة الدكتور كاميرون فى عيادته بمونتريال. وأكد الطبيب لزوجها أن كاميرون "أفضل شخص" وسوف يعيدها إلى بيتها وقد عوفيت بعد وقت قصيرة جداً». وقالت ليندا ماكدونالد عام ١٩٩٤ فى برنامج شركة الإذاعة الكندية The First Estate: "وهكذا ذهبنا. بل إن ملفى الطبى يقول إننى أخذت جيتارى معى. وكانت تلك نهاية حياتى."

وبعد بضعة أيام من الملاحظة، شخص كاميرون حالة ماكدونالد على أنها شيزوفرينيا حادة، ونقلها إلى غرفة التعذيب الطبى التى يسميها "غرفة النوم". وطوال الستة والثمانين يوماً التالية أبقى على ماكدونالد فى حالة من الغيبوبة باستخدام المخدرات القوية، وكانوا يوقظونها فقط لتلقى صدمات شديدة من جهاز صدمات كاميرون. وعلى امتداد تلك الفترة تلقت ماكدونالد ١٠٢ جلسة علاج بالصدمات الكهربية.

ويقول الدكتور بيتر روبر Peter Roper، وهو أحد زملاء كاميرون الذى لا يزال يدافع عن التجارب: " كان الهدف هو محو أنماط التفكير والسلوك التى تسبب ضرراً

للمريض واستبدالها بأنماط صحية من التفكير والسلوك. وأظن أن ذلك كان بإيحاء من الآثار التي ظهرت على الجنود الأمريكيين الذين شاركوا في الحرب الكورية، وكيف كان يبدو أنه أجريت لهم عمليات غسيل مخ."

وخرجت ليندا ماكدونالد من رعاية كاميرون في حالة أقرب إلى الطفولة. وهي تقول: "كان لا بد من تمريني على استعمال التواليت. كنت إنسانة غبية وسلبية. لم تكن لي شخصية ولا ذاكرة. لم أكن قد عشت في هذا العالم من قبل، كأنني طفل صغير."

أعفي كاميرون من منصبه في مستشفى آلان التذكاري عام ١٩٦٤ وتوفي بسبب نوبة قلبية بينما كان يتسلق الجبال عام ١٩٦٧ وهو في السادسة والستين. ولكن ذلك لم ينه الموضوع. فبعد كشف برنامج MK-ULTRA، رفع ماكدونالد ولوجي وستة آخرون دعوى قضائية ضد وكالة الاستخبارات المركزية. وفي النهاية وافقت الوكالة على التسوية، حيث دفعت ٧٥٠ ألف دولار - إلا أن الوكالة لا زالت تؤكد أنه لا لوم عليها فيما قام به كاميرون.

وشارك الأنثروبولوجيون كذلك في الفصل الخاص ببرنامج MK-ULTRA. وقد أُعطي ريتشارد برينس Richard Prince أموال وكالة الاستخبارات المركزية للبحث عن "دواء شعبي وعلاج للإيمان" بين شعب اليوروبا[1] في نيجيريا. وكان جوتليب مهتماً بالعثور على عقاقير جديدة ممكنة وبأساليب ضبط العقل الخاصة برجال دين اليوروبا. وجلست مارجريت ميد Margret Mead مع إيوين كاميرون في مجلس التحرير الخاص بمطبوعة تمولها وكالة الاستخبارات المركزية اسمها Reseach in Mental Health Newsletter [نشرة أبحاث الصحة العقلية] كانت تناقش استخدام العقاقير المثيرة لاضطرابات الإدراك لإحداث الشيزوفرينيا والعلاج منها، وقد أعطى هارولد ابرامسون زوج ميد السابق، وهو عالم الأنثروبولوجية الطبية جريجوري بيتسون Gregory Bateson، عقار LSD الذي اشترته وكالة الاستخبارات المركزية، وأعطى بيتسون بعضه لصديقه الشاعر جنسبرج Ginsberg[2]، وكان كنز بيتسون من عقار LSD هو الذي وجد طريقه فيما بعد

(١) يعيش هؤلاء في جنوب غربي نيجيريا. **(المترجم)**

(٢) شاعر أمريكي من مواليد عام ١٩٢٦ وكانت أشعاره تعبيراً عن حركة ثقافية (beat) مضادة ظهرت بين الشباب الأمريكي إبان الحرب العالمية الثانية واستمرت حتى الخمسينيات والستينيات، وتميزت تلك النزعة بميل نحو السلوك المارق والغرابة في شكل الملابس والتعبير عن المشاعر بجموح. **(المترجم)**

إلى التجارب التى أجراها الدكتور ليو هوليستر Leo Hollister على الطلاب، وكان أحد الذين أجرى تجاربه عليهم طالبا مبدعا فى الكتابة بستانفورد اسمه كين كيسى Ken Kesey، وهو الذى أصبح المؤيد الرئيسى للعقار فى ثقافة الستينيات المضادة.

وفى أوائل الستينيات ساعدت وكالة الاستخبارات المركزية كذلك فى إنشاء شركة لمسح منطقة الأمازون بحثًا عن عقاقير جديدة محتملة باسم شركة الأمازون للعقاقير الطبيعية Amazon Natural Drug Company، وكان يدير تلك الشركة الخاصة من الناحية الاسمية رجل قديم من رجال الوكالة اسمه ج.ك. كنج J.C.King الذى سبق أن رأس قسم نصف الكرة الغربى بالوكالة إبان أزمة خليج الخنازير ونُقل رسميًا من الوكالة بعد ذلك بوقت قصير. وبينما كان كنج يعمل من عوامته، كان يشرف على شبكة من رجال قبائل الأمازون والأنثروبولوجيين وعلماء النبات، كى يأتوا بمركبات سامة، منها عقار قوى يسبب الهلوسة تستخدمه قبيلة يانومامو.

وفى عام ١٩٥٤، وضع جوتليب وزملاؤه فى قسم الخدمات الفنية خطة لإضافة عقار LSD إلى أوانى الشراب فى حفل الكريسماس الذى تقيمه الوكالة. وهى فكرة عجيبة، إذا أخذنا فى الاعتبار أن حركة غريبة كهذه أدت قبل ذلك بعام إلى وفاة فرانك أولسون. وجاء ذكر مشروع طموح فى إحدى مذكرات وكالة الاستخبارات المركزية كما يلى: "فكرنا فى إمكانية وضع بعض من [عقار LSD] فى شبكة مياه المدينة وجعل المواطنين يتجولون فى حالة من السعادة بصورة أو بأخرى، ولا يهتمون اهتمامًا كبيرًا بالدفاع عن أنفسهم".

وكان من الخطورة بالتأكيد فى ذلك الوقت أن يتواجد المرء فى أية مناسبة عامة يحضرها الدكتور جوتليب ورفاقه. وفى وسط أبحاث MK-ULTRA، انتهت وكالة الاستخبارات المركزية إلى أنه بما أن السجناء لهم محامون قد يبدون وجوههم القبيحة، فليس من الحكمة استغلالهم كفئران تجارب بشرية. وفى البداية قللوا هامش الخطر بإعطاء عقاقير الهلوسة المختلفة لأنفسهم، حيث كانوا يقومون برحلات منتظمة إلى منازل ومؤسسات الوكالة الآمنة مثل جناح وكالة الاستخبارات المركزية فى جورجتاون وطابق الدكتور ابرامسون بمستشفى جبل سيناء. إلا أن الرحلات كانت تنقصها الطموحات التى تزيد الوعى التى تميز بها جيل ليرى. وكما قال جون ماركس، فإن "مجربى وكالة الاستخبارات المركزية لم يكونوا يرحلون من أجل التجربة ذاتها، أو بلوغ

الانتشاء، أو تجربة واقع جديد. لقد كانوا يجربون سلاحًا جديدًا؛ وربما ذهبوا كذلك إلى معمل للقذائف، من أجل تحقيق أغراضهم." ولكن كارثة أولسون حدت من تحمسهم للتجريب الذاتي، وكذلك كان أثر حادث سيئ آخر وقع حين تناول أحد ضباط الوكالة دون أن يعلم جرعة LSD دُسَّت في قهوته داخل مكاتب الوكالة في المول بواشنطن العاصمة. واندفع الرجل خارج المبنى، الواقع على جانب الشارع المقابل لنُصُب واشنطن Washington Monument ونُصُب لنكولن Lincoln Memorial، حيث أخذ يهذي بقوله إن وحوشًا ذات عيون ضخمة تهاجمه. وعلى الفور طارده زملاؤه بالوكالة فهرب عبر كوبري فوق حي بوتوماك، وفي النهاية ضيقوا الخناق عليه ووجدوه نائمًا على الأرض في الوضع الجنيني بالقرب من جبانة أرلنجتون القومية.

وفي أعقاب تلك الأحداث السيئة، أصبح جوتليب مقتنعًا بأن أفضل سبيل هو فقط اختبار عقاقير الهلوسة على أساس عشوائي في التجمعات العامة، أو اختيار أناس من الشارع وإقناعهم بابتلاع كمية صغيرة من العقار الذي تجرى تجربته في ذلك الوقت.

وفي أواخر عام ١٩٥٣ أخذ جوتليب حقيبته السوداء، حيث قام في أحد الاجتماعات الجماهيرية السياسية بإعداد كأس الماء الخاص بالمتحدث الذي كانت وكالة الاستخبارات المركزية ترغب في جعله أضحوكة. ويبدو أن التخريب النفسي كان نجاحًا كبيرا، وشجع جوتليب كثيرًا فيما يتعلق بدس جرعات مماثلة للشخصيات اليسارية الكاريزمية في أنحاء العالم. وحينذاك أعطى جوتليب الضوء الأخضر لضباط وكالة الاستخبارات المركزية في مانيلا وأتسوجي باليابان كي يبدءوا الاستخدام العملياتي لعقار LSD.

ومن أجل استمرار التجريب، قرر جوتليب البدء في اختبار واسع المدى على مساكين المدن؛ وهم المتشردون والعاهرات وغيرهم من غير المرغوب فيهم. وكان لديهم سببان لذلك؛ فقد كان من غير المحتمل أن يتقدموا بشكاوى، كما كان يعتقد أن هناك احتمالاً أكبر لأن يتعامل هؤلاء الناس مع الآثار الجانبية غير المرغوب فيها. ولكي يراقب جوتليب هذه العملية، لجأ إلى جورج هنتر وايت الذي سبق أن التقينا به وهو يختبر عقار الماريوانا الذي يكشف الصدق على رجل المافيا القوى أوجستو ديل جراشيو. وكان وايت قد عاد في ذلك الوقت إلى العمل في مكتب المخدرات بنيويورك وكان شخصًا غريبًا إلى حد ما، وزنه ٢٠٠ رطل وطوله ٥ أقدام و٧ بوصات[1] وأصبح

---

(١) ١٦٧ سنتيمترًا. **(المترجم)**

الرأس. وزعم وايت أنه خبير فى القتال البدنى، حتى أنه قتل عميلاً يابانيًا فى اشتباك بالأيدى. كما كان سكيرًا يفضل شرب الـچن الصرف.

وطلب جوتليب من وايت إقامة منزل آمن لوكالة الاستخبارات المركزية فى نيويورك، ودعوة أشخاص مناسبين لحضور الحفلات، وإعطاءهم المخدر دون علمهم، ثم مراقبة سلوكهم. وأجر وايت شقتين متصلتين ببعضهما فى رقم ٨١ شارع بدفورد Bedford فى جرينتش فيليدج Greenwich Village[1]. وكان يضمن عملية مكتب المخدرات اتفاقا يمكن بمقتضاه للمكتب استخدام الشقتين لعمليات المخدرات السرية أثناء وقت الوكالة الضائع. وقد ضمنوا لوايت مددًا لا ينقطع من الشراب، كان جوتليب يدفع ثمنه كله. وأصبح ذلك المنزل الآمن معملاً لقسم الخدمات الفنية بوكالة الاستخبارات المركزية، وثُبِّتت فيه مرآتان يمكن لمن وراءهما أن يرى الواقف أمامهما دون أن يراه، وأجهزة استماع، وكاميرا خفية. والواقع أن المنزل أصبح نموذجًا لمنشآت الاستجواب اللاحقة الخاصة بالوكالة.

واعتبارًا من خريف ١٩٥٣ وحتى أواخر ربيع العام التالى، استضاف وايت سلسلة من الحفلات، حيث دعا سيلاً من أهداف وكالة الاستخبارات المركزية الذين لا يشكون فى شىء إلى شارع بدفورد، ومزج طعامهم وشرابهم بكيماويات مثل صوديوم البنتوتال sodium pentothal[2]، والنيمبوتال، وTHC، وبالطبع ما كان وايت يفضل أن يسميه "مفاجأة LSD". وكان مشرف وايت المباشر فى نيويورك هو ريتشارد لاشبروك، الرجل الذى شارك فرانك أولسون الغرفة ليلة سقوطه على الأرض.

وتسجل مذكرات وايت أن لاشبروك زار الشقة فى مناسبات عديدة، حيث كان يسلم المخدرات ويراقب فئران التجارب البشرية من خلال المرآتين الكاشفتين. ولا بد لخبراء أكاذيب وكالة الاستخبارات المركزية أن يدرسوا أداء لاشبروك فى عام ١٩٧٧، حين استجوبوه أثناء التحقيق الذى قام به السناتور تيد كنيدى. فرغم أن لجنة كنيدى الفرعية كانت تحت أيديها سجلات وايت، التى كانت توثق زيارات لاشبروك لشارع بدفورد، فلم يواجه لاشبروك أى تحد من اللجنة الفرعية حين أصر على أنه لم يذهب إلى مكان بالقرب من منزل الوكالة الآمن. ولم تكن بحوزة اللجنة الفرعية مذكرات وايت

(١) حى الفنانين والكُتَّاب فى مانهاتن بمدينة نيويورك. **(المترجم)**
(٢) الاسم التجارى لصوديوم الثيوبنتال. **(المترجم)**

وحسب، بل كان لديها كذلك توقيع لاشبروك على إيصالات خاصة بنفقات وايت الأساسية فى نيويورك.

وفى عام ١٩٥٥، نقل مكتب المخدرات وايت إلى سان فرانسيسكو. ولم ينه ذلك دوره كعميل فى برنامج MK-ULTRA. فقد استأجر منزلاً آمنًا جديداً فى تيلجراف هيل Telegraph Hill وجهزه بأحدث المعدات من الخدمات الفنية. وفى تلك المرة كان مركز مراقبة وايت حماما صغيرا، حيث كانت هناك مرآة تسمح له بأن يرى من ورائها الغرفة الرئيسية. وكان وايت يجلس فى الحمام وفى يده المارتينى martini[1]، ويراقب العاهرات وهن يعطين المخدرات التى تحددها وكالة الاستخبارات المركزية لزبائنهن الذين لا يشكون فى شىء. وأطلق وايت على ذلك المشروع العملية "ذروة منتصف الليل" Operation Midnight Climax. وقد جمَّع زمرة من المومسات، كثيرات منهن من مدمنات المخدرات السوداوات اللائى كان يدفع لهن أجورهن مخدرات، كى يجتذبن زبائنهن إلى جلسات المخدرات والجنس التى ترعاها وكالة الاستخبارات المركزية. وكانت تلك النسوة - المعروفات لدى شرطة سان فرانسيسكو بفتيات جورج - محميات من القبض عليهن.

ولتحقيق قدر أكبر من العمل العلمى، أرسل جوتليب كبير علماء النفس بالوكالة، جون جيتنجر John Gittinger، لتقييم العاهرات من خلال اختبارات الشخصية، وكذلك لتدريبهن على أساليب التحاور، حيث إن جزءًا من البحث خاص بتقييم استغلال الجنس كوسيلة لاستخلاص المعلومات. ومما لا يدعو للاستغراب أنه سرعان ما اكتُشف أن احتمال تحدث الزبائن يزداد بعد النشاط الجنسى. وكثيراً ما كان مضمون أحاديثهم على مشاكل البيت والعمل - وهو الشىء الذى ربما كان بإمكان العاهرات أن تبلغه لوكالة الاستخبارات المركزية بدون أى استثمار لأموال دافعى الضرائب.

وقد صورت كل جلسات سان فرانسيسكو تلك سينمائيًا وسجلت على أشرطة صوتية، فى تشابه غريب آخر مع الأبحاث النازية؛ فقد أوصى هيملر الأطباء الذين كانوا يجرون التجارب فى داخاو على الغمر فى المياه الباردة بأن الذين تجرى عليهم التجارب يمكن إفاقتهم بـ"الدفء الحيوانى"، ويقصد العاهرات المحجوزات فى مبنى خاص بداخاو. وكانت الجلسات العلاجية تصور سينمائيًا وتنقل إلى هيملر لمشاهدتها.

(١) شراب مُسْكِر عبارة عن كوكتيل من الجن أو الفودكا والفيرموت. **(المترجم)**

ولم يمض وقت طويل قبل أن يحمل باحثو وكالة الاستخبارات المركزية تحقيقاتهم إلى ما وراء المنزل الآمن فى تيلجراف هيل. فقد كان رجال الوكالة يذهبون إلى حى الرذيلة ويرتادون البارات ويدسون عقاقير الهلوسة فى شراب الرواد. كما كانوا يقدمون سجائر مشبعة بالمخدرات. وهكذا كان المئات من الأشخاص يعطون جرعات مخدرة دون علمهم، وما من سبيل لمعرفة مقدار الصدمات النفسية والبدنية التى تتحمل وزرها وكالة الاستخبارات المركزية. وكانت الوكالة تعرف العديد من ضحايا الاختبار الذين ذهبوا بأنفسهم إلى المستشفيات فى منطقة سان فرانسيسكو، أو كان هناك من ذهب بهم. ولكنها لم تساعد قط فى التشخيص ولا فى دفع فواتير المستشفى، ولم تتحمل أدنى مسئولية عما ارتكبته. والواقع أنه كان من مصلحة الوكالة أن تشخص حالات هؤلاء على أنها إدمان للمخدرات أو ذهان. وكانت بعض العقاقير التى تعطى بتلك الطريقة الخفية شديدة الخطورة. وقال أحد رجال قسم الخدمات الفنية بالوكالة فى وقت لاحق: "إذا خفنا تجربة أى عقار على أنفسنا، كنا نرسله إلى سان فرانسيسكو."

ونظم رجال وكالة الاستخبارات المركزية حفلاً فى نهاية الأسبوع فى منزل آمن آخر تابع للوكالة فى مقاطعة مارين Marin الواقعة إلى الشمال من سان فرانسيسكو. وكان من المخطط دعوة حشد من رواد الحفلات ثم رش الغرف بتركيبة بخاخة من عقار LSD أعدت فى معمل جوتليب. ولكنه اتضح أنه يوم شديد الحرارة وأبقى رواد الحفل النوافذ مفتوحة، مما يسمح بالنسيم الآتى من المحيط الهادى بدخول الغرفة، مما يبدد عقار LSD. وفى حالة من الإحباط، حبس عالم النفس بالوكالة جيتنجر نفسه فى الحمام ورش العقار بغضب وأخذ يستنشقه بأعمق ما يمكن.

واستمر برنامج المنزل الآمن فى كل من نيويورك وسان فرانسيسكو حتى عام ١٩٦٣، حين عرف المفتش العام الجديد بالوكالة، جون إيرمان، بأمر المشروع بالصدفة. وكان أكثر ما أغضب إيرمان هو قائمة النفقات المفصلة، التى كانت تتضمن ٤٤ دولاراً لشراء تليسكوب، و١٠٠٠ دولار ثمن ما شربه وايت من خمر خلال بضعة أيام، و٣١ دولاراً دفعت لسيدة من سكان المنطقة صدم وايت سيارتها. وبحث إيرمان أكثر وأكثر، حيث كشف النقاب عما انتهى على الفور إلى أنه مشروع غير قانونى، بل وإجرامى. وجمّع اكتشافاته وواجه بها جوتليب وهيلمز.

كان هيلمز يعرف أنه فى مكان يسوده التوتر. ولم يكن قد أبلغ مدير الوكالة الجديد جون ماكون John McCone بالبرنامج، وقد خدع إيرمان بخصوص وعده بأن يخبر ماكون. وفى النهاية كتب إيرمان تقريراً من ٢٤ صفحة لماكون انتقد فيه بشدة برنامج اختبار العقاقير المخدرة، الذى قال إنه "عرَّض حقوق ومصالح كل الأمريكيين للخطر". ودافع هيلمز وجوتليب بشراسة عن برنامج MK-ULTRA أمام ماكون، حيث لوَّح هيلمز بشبح الفجوة الكيماوية السوفيتية، زاعماً أن ذلك التجريب واسع النطاق كان ضرورياً لملاحقة التقدم السوفيتى. وأبلغ هيلمز ماكون أن "القدرة العملياتية الإيجابية لاستغلال المخدرات تتلاشى بسبب نقص التجريب الواقعى".

وأوقف ماكون التجريب الذى ترعاه وكالة الاستخبارات المركزية فى المنازل الآمنة، إلا أنها ظلت مفتوحة أمام استخدام جورج وايت - حيث تدفع الوكالة الفواتير - حتى عام ١٩٦٦، حين تقاعد وايت. وبينما كان وايت يوشك على الموت بسبب تليف الكبد، كتب إلى راعيه القديم سيدنى جوتليب قائلاً: "لقد كدحت كدحاً شديداً فى الكروم لأن ذلك كان ممتعاً، ممتعاً، ممتعاً. ففى أى مكان سواها يمكن لشاب أمريكى روحه وثابة أن يقتل ويكذب ويغش ويسرق ويغتصب ويسلب بحماية الأعلى وبطلب منه."

وكان زملاء جوتليب فى استخبارات الجيش يجرون تجاربهم على عقار LSD، تحت اسم "العملية الفرصة الثالثة" Operation Third Chance. وفى عام ١٩٦١، اتُّهم جيمس ثورنويل James Thornwell، وهو رقيب أسود بالجيش الأمريكى كان يعمل بمكتب حلف شمال الأطلنطى أورليان Orleans فى فرنسا، بالاستيلاء على ملفات محظورة. واستجوب ثورنويل ونُوِّم مغناطيسياً ووضع على جهاز كشف الكذب وأُعطى مصل الصدق. وفشلت كل تلك المحاولات لإجباره على الاعتراف، ولكن رجال الاستخبارات العسكرية ظلوا على اقتناعهم بأنه مذنب. بل إنهم وضعوا سيناريو غريباً يشمل الشرطة الفرنسية، التى أفسحت الطريق لسيارة ثورويل وأشهرت بنادقها وفتحت عليه النيران وهو يسرع هارباً.

وأبلغ الضباط زملاء ثورنويل كذلك أن الرجل الأسود كان ينام مع زوجاتهم وصديقاتهم؛ وقد أوسع العديد من هؤلاء ثورنويل ضرباً بدافع من غضب الغيرة. وفى النهاية لجأ ثورنويل إلى ضباط الاستخبارات طالباً مساعدتهم فى الهرب من هذا التحرش. وعلى الفور عرضوا وضع الرقيب تحت الحراسة الحمائية فى طاحونة مهجورة،

وهناك ظل محققو الجيش ووكالة الاستخبارات المركزية يعطون ثورنويل عقار LSD سـراً لعدة أيام، أُجبر خلالها على الخضوع لاستجواب شديد العدوانية، يزخر بالإهانات العنصرية. وعند نقطة ما هدد مستجوبوه بـ"توسيع الحالة إلى ما لا نهاية، ولو إلى حالة دائمة من الجنون". وقد نفذوا ذلك الوعد. فقد عاش ثورنويل أزمة عقلية كبيرة لم يشف منها قط. وفى عام ١٩٨٢، عُثِر عليه غارقًا فى حمام سباحته فى ميريلاند. ولم يكن هناك أى دليل على أن لثورنويل أية علاقة بأوراق حلف الأطلنطى الضائعة.

ولم يكن المقصود فى يوم من الأيام أن يكون برنامج MK-ULTRA بحثًا صرفًا. فقد كان يقصد به على الدوام أن يكون برنامجًا عملياتيًا. وبحلول أوائل الستينيات كانت تلك الأساليب قد نشرت نشراً تامًا فى الميدان، وفى بعض الأحيان فى مواقف تنافس فى شرها جهود العلماء النازيين فى معسكرات الاعتقال الألمانية. والكل يعرف رحلة الدكتور سيدنى جوتليب إلى الكونغو، حيث كانت حقيبته السوداء الصغيرة تحتوى على سم حيوى من ابتكار الوكالة كان من المقرر وضعه على فرشاة أسنان باتريس لومومبا. والأقل شهرة هو المنديل المسموم الذى أرسل إلى عقيد عراقى. وهناك وصفات لا حد لها أرسلت إلى فيدل كاسترو، من عقار LSD الذى رغبت الوكالة فى رشه فى كابينته الإذاعية إلى قلم الحبر المسموم الذى أُعد لكاسترو وسلمه رجل وكالة الاستخبارات المركزية إلى رولاندو كوبيلا Rolando Cubela فى باريس فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣.

والأقل شهرة كذلك مهمة فى عملية فينيكس فى فيتنام فى أواخر الستينيات. ففى يوليو ١٩٦٨، أقام فريق من وكالة الاستخبارات المركزية معملاً فى سجن بيان هوا خارج سايجون، حيث كان يحجز المشتبه فيهم من الفيت كونج بعد تجميعهم من خلال برنامج فينيكس. وباتت وكالة الاستخبارات المركزية فى حالة من الإحباط الشديد لعجزها عن استخلاص معلومات من قادة الفيت كونج المشتبه فيهم باستخدام وسائل الاستجواب والتعذيب التقليدية. وكانوا قد خدروا ضباط الفيت كونج بعقار LSD على أمل أنه يمكنهم بتحفيز السلوك غير العقلانى كسر صمود أسراهم الذى يبدو غير قابل للكسر، وحينئذ يبدأ النزلاء الآخرون فى الكلام. وانتهت التجارب بالفشل، ليصبح الأسرى أكثر قليلاً من المواد المعملية الخاصة بالتجارب.

وفى إحدى تلك التجارب، خُدِّر الأسرى؛ وفتحت جماجمهم وزرع أطباء وكالة الاستخبارات المركزية أقطابًا كهربية فى أماكن مختلفة من أدمغتهم. ثم أفاقوا المرضى

ووضعوهم فى غرفة بها سكاكين. وكان المعالجون النفسيون بالوكالة ينشطون الأقطاب الكهربية ويراقبونهم سراً. فقد كان هناك أمل فى أنهم ربما يدفعون بهذه الطريقة إلى مهاجمة بعضهم البعض. وفشلت التجربة، وأزيلت الأقطاب الكهربية، وأطلقت النار على المرضى وأحرقت جثثهم. وكان ذلك ينافس أى شىء جرى فى داخاو.

وأصبح تجريب وكالة الاستخبارات المركزية للعقاقير ومغامرات ضبط العقل موضوعًا لأربعة تحقيقات كشفت الكثير؛ وهى كتاب جون ماركس The Search for the Manchuian Candidate (١٩٧٩)، وكتاب والتر بووارت Operation Mind Control (١٩٧٨)، وكتاب آلان شيفلن the Mind Manipulators (١٩٧٨)، وكتاب مارتن لى وبروس شلين Acid Dreams (١٩٨٥). ولكن بالإضافة إلى تلك الأعمال الرائدة، كيف تعاملت الصحافة الأمريكية ومؤرخو وكالة الاستخبارات المركزية مع تلك القصة المدهشة، التى فقد فيها رجل مثل أولسون حياته، وأخذ الآلاف من الناس قسراً ودون علم منهم جرعات من العقاقير الخطيرة وغير المجربة، التى لم يجرؤ كيميائيو الوكالة على تجربتها على أنفسهم؟ تلك القصة التى ظلت فيها وكالة الاستخبارات المركزية أكثر من عشرين سنة تتحمل نفقات تلك الأنشطة غير المشروعة، وتحمى المجرمين من إلقاء القبض عليهم، وتدع الآخرين يعانون دون تدخل منها، وحاولت تدمير كل ما يدل على جرائمها. وعندما انكشفت القصة فى جلسات استماع كنيدى عام ١٩٧٧، طالعتنا صحيفة "واشنطن بوست" بهذا العنوان الموجز "العصابة التى لم تحسن الرش" مصحوبًا بقصة تافهة قُصد بها التهوين من فضيحة MK-ULTRA. وتغاضى توم باورز Tom Powers كاتب سيرة راعى MK-ULTRA وحاميه ريتشارد هيلمز عن البرنامج فى كتابه الذى يضم ٣٥٠ صفحة بعنوان The Man Who Kept the Secrets.

ويقول آلان شيفلن: "ظننت فى عام ١٩٧٨ حين ظهرت كتبنا، وحين كنا نقوم بعمل إعلامى فى كل أنحاء العالم، أننا سنذيع القصة، وسيجرى تطهير الأقبية، وستعرف الضحايا هوياتها، وستصبح القصة جزءًا من التاريخ، وسوف يسعى من أضيروا للحصول على تعويض. ولكن ما حدث هو خواء كبير. فما إن ظهرت القصة فى الصحف حتى صارت خبراً بائتًا، وانتظرنا وطال انتظارنا لعقد جلسات استماع حقيقية فى الكونجرس، وتوقعنا إعلان قوائم بأسماء الأشخاص الذين كانوا ضحايا، ولم يحدث أى شىء من هذا."

■ ■ ■

Broad, William ."Pentagon Is Said to Focus on ESP for Wartime Use." New York Times, Jan.10 1984.

Brennan, Patricia ."Solving Mysteries, Finding Felons." Washington Post, Oct 11 .1994.

Chavkin, Samuel .The Mind Stealers .Houghton Miflin, 1978.

Cohen, Sidney .The Beyond Within: The LSD Story .Atheneum, 1972.

Collins, Larry ."Mind Control ".Playboy, Jan.1990.

Cookson, John, and Judith Nottingham .A Survey of Chemical and Biological Warfare .Monthly Review Press, 1969.

Corson, William .Armies of Ignorance: The Rise of the American Intelligence Empire .Dial Press, 1977.

Cox, Bob ."Brainwash Victims to Receive $100,000.,' Canadian Press Wire Service .Nov 18 1992.

Ebon, Martin .Psychic Watfare: Threat or Illusion? McGraw-Hill, 1983.

Estabrooks, George .Hypnotism .EP Dutton & Company, 1945.

Estabrooks, George, and Richard Lockridge .Death in the Mind .EP Dutton & Company, 1946.

Hersh, Seymour M .Chemical and Biological Watfare: America's Hidden ArsenaL Doubleday, 1969.

Hockstader, Lee ."Victims of 1950s Mind-Control Experiments Settle with CIA." Washington Post, Oct .18,1992.

Lasby, Charles .Project Paperdip: German Scientists and the Cold War .Atheneum, 1971.

Lee, Martin A., and Bruce Schlain .Acid Dreams: The Complete Social History of LSD .Grove Press, 1992.

Levine, Art, Steven Emerson and Charles Fenyvesi ."The Twilight Zone in Washington." US-News and WorldReport, Dec .5,988.

Lilly, John .The Scientist: A Novel Autobiography .Lippincott, 1978.

London, Perry .Behavior Control .New American Library, 1977.

Lovell, Stanley .Of Spies and Strategems .Prentice Hall, 1963.

Marks, John .The Sea rch for the Manchurian Candidate .Times Books, 1979.

"The CIA Won't Quite Go Public." Rolling Stone, July 18, 1974.

McIntyre, Linden ."MK-ULTRA's Dr .Ewen Cameron: Psychiatrist and Torturer." Transcript. Ftfth Estate .Canadian Broadcasting Company, Jan .6 1998.

McRae, Ronald .Mind Wars: The True Story of Government Research into the Military Potential of Psychic Weapons .St .Martin's Press, 1984

Mitscherlich, Alexander, and Fred Mielke .Doctors of Infamy .Schuman, 1949.

Mooar, Brian ."1953 CIA Death Draws Scrutiny." Washington Post, Sept .8,1997.

Morris, Wayne, interviewer ."Mind Control Series: Interviews with Walter Bowart, Alan Scheflin and Randy Noblitt." Transcript .CKLN-FM Radio .1995.

Orth, Maureen ."Memoirs of a CIA Psychiatrist." New Times, June23 .1975

Reuters ."Carter Says Psychic Found Lost Plane for CIA." The Oregonian. Sept . ٢. 1995.

Roth, Melissa ."Frank Olson File: The CIA's Bad Trip." George, Oct .1997 .Ross, Cohn .Multiple Personality Disorder .Wiley, 1989.

"The CIA and Military Mind Control Research." Lecture at 9th Annual Western Clinical Conference on Trauma and Dissociation, April 18, 1996.

Scheflin, Alan W., and Edward M .Opton, Jr .The Mind Manipulators .Paddington Press. 1978

Schnable, Jim .Remote Viewers: The Secret History of America's Psychic Spies .Dell Publishing, 1997.

Schrag. Peter .Mind Control .Pantheon, 1978.

Schwartz, Stephen ."Deep Quest." Omni, March 1979.

Squires. Sally ."The Pentagon's Twilight Zone." Washington Post, April 17, 1988.

Thomas. Gordon .Journey into Madness: The True Story of Secret CIA Mind Control and Medical Abuse .Bantam, 1989.

US Congress .House .Committee on Un-American Activities .Communist Psychological Wafare (Thought Control) .Government Printing Office .9158.

Subcommittee on Oversight of the Permanent Select Committee on Intelligence.

The CIA and the Media .Government Printing Office, 1978.

US Congress Senate .Select Committee (Church Committee) to Study Governmental Operations with Respect to Intelligence Activities .Alleged Assassination Plots Involving Foreign Leaders: An Interim Report .Government Printing Office .1975.

Select Committee (Church Committee) to Study Governmental Operations with Respect to Intelligence Activities .Ninety-fourth Congress .Final Report .Government Printing Office, 1976.

Joint Hearing Before the Subcommittee on Health of the Committee on Labor and Public Welfare and the Subcommittee on Administrative Practice and Procedure of the Committee on the Judiciary .Biomedical and Behavioral Research .Government Printing Office, 1975.

Subcommittee on Health and Scientific Research of the Committee on Human Resources. Human Drug Testing by the CIA .Government Printing Office, 1977.

Select Committee on Intelligence and the Subcommittee on Health and Scientific Research of the Committee on Human Resources .Project MK- ULTRA: The CIA's Research in Behavior Modification .Government Printing Office, 1977

Select Committee to Study Governmental Operations with Respect to Intelligence Activities (Church Committee) .Unauthorized Storage of Toxic Agents .GovernmentPrinting Office: 1975

US, Executive Office of the President, Commission on CIA Activities .The Rockefeller Report to the President on CIA Activities .Government Printing Office, 1975.

West. Louis Jolyon ."Dissociative Reaction." Chapter in Comprehensive Textbook of Psychiatry .Williams and Wilkins, 1967

Wilhelm. John ."Psychic Spying." Washington Past, August 2, 1977.



حروب الأفيون الأمريكية: الصين وبورما ووكالة الاستخبارات المركزية

لن تجد له نجماً تذكارياً على حائط الأبطال الذين سقطوا فى الميدان فى مقر وكالة الاستخبارات المركزية بلانجلى، ولكنه أحد أول ضحايا الوكالة فى حربها الخفية ضد صين ماو، كان رجلاً اسمه جاك كيلمان Jack Killman. وكان قائد إحدى طائرات شركة "سيفيل إير ترانسبورت" Civil Air Transport (كات CAT) التى تملكها الوكالة، وهى سلف شركة "إير أميركا" Air America الشهيرة التى شاركت مشاركة كبيرة فى أنشطة الوكالة فى فيتنام ولاوس وكمبوديا. وكانت مهمة كيلمان هى نقل السلاح والإمدادات لقاعدة الوكالة فى بانكوك بتايلاند، وإلى المعسكرات الجبلية الخاصة بالجنرال لى مى فى ولايات شان ببورما. وكان لى مى الصينى الأصل قائداً لقوات صينية قوامها ١٠ آلاف رجل كانوا لا يزالون على ولائهم لقائد عام القوات جيانج كاى شيك، الذى طردته قوات ماو من البر الصينى وكان قد استقر حينذاك فى تايوان.

وبتوجيه من وكالة الاستخبارات المركزية، كان جيش لى مى يخطط لتوجيه ضربة عبر حدود بورما الشمالية إلى إقليم هونان الصينى. ولكن قوات لى مى لم تكن مجرد محاربين من أجل القضية الصينية؛ فقد كانت تسيطر كذلك على أكبر مزارع الخشخاش الذى يستخرج منه الأفيون فى آسيا. وكان طيارو "كات" الذين يعملون لمصلحة الوكالة ينقلون حمولات من أفيون مى لى فى رحلات العودة إلى بانكوك، حيث كان يُسَلَّم إلى الجنرال باو سيانان، رئيس الشرطة السرية التايلاندية وعميل وكالة الاستخبارات المركزية القديم.

وقُتل جاك كيلمان عام ١٩٥١ حين فسدت واحدة من رحلات الذهاب والإياب تلك، ودفن شيرمان جوست Sherman Joost رئيس مركز الوكالة فى بانكوك جثمانه فى قبر بلا شاهد.

وكان جيش كوو مين تانج KMT الخاص بلى مى كذلك من أملاك وكالة الاستخبارات المركزية، مثل شركة سيفيل إير ترانسبورت، ذلك الجيش وُضع فى بورما،

كانت وكالة الاستخبارات المركزية هى التى تسلحه، وهى التى تطعمه، وهى التى تدفع أجوره، وفى عمليات لاحقة فى لاوس وكمبوديا وفيتنام، استخدمته الوكالة كمصدر للعمالة. وفى ظل تلك الرعاية والحماية، كان جيش كوو مين تانج قادراً على بدء عمليات الأفيون الخاصة به فى المنطقة المعروفة بالمثلث الذهبى Golden Triangle فى جنوب شرقى آسيا.

ونتيجة لذلك، أصبح كوو مين تانج قوة محورية فى تجارة الأفيون الآسيوية. واستفادة بالبنية الأساسية الخاصة بالممرات النائية والطائرات التى وضعتها وكالة الاستخبارات المركزية، كان كوو مين تانج قادراً على تصدير محصول الأفيون من ولايات شان فى بورما وجبال لاوس إلى تجار الجملة الدوليين. ومن ناحيتها، كانت الوكالة فى شدة الرضا لرؤية قوات كوو مين تانج التى يدعمها مدد ثابت من عائدات الأفيون لا تتأثر بنزوات الكونجرس أو القادمين الجدد إلى البيت الأبيض. وبحلول منتصف السبعينيات كان كوو مين تانج يسيطر على أكثر من ثمانين بالمائة من سوق الأفيون فى المثلث الذهبى. وكان ذلك موقفاً جعل وكالة مكافحة المخدرات التى أنشئت حديثاً فى نزاع مع أمراء الأفيون التابعين لوكالة الاستخبارات المركزية. وكانت وكالة مكافحة المخدرات تخرج دوماً من النزاعات مهزومة.

وفى عام ١٩٨٨، أجرت صحفية اسمها إلين شانون Elain Shannon مقابلات مع عشرات من عملاء وكالة مكافحة المخدرات فى كتاب بعنوان Desperados [المتهورون] عن تجارة المخدرات الدولية. وقد أبلغها العملاء أن مهربى المخدرات من جنوب شرقى آسيا ووكالة الاستخبارات المركزية "حلفاء طبيعيين"، وكتبت شانون تقول: إن "عملاء وكالة مكافحة المخدرات الذين كانوا يقومون بالخدمة فى جنوب شرقى آسيا فى أواخر السبعينيات والثمانينيات ذكروا أنهم اكتشفوا مراراً أنهم يقتفون أثر مهربى الهيروين الذين كانت أسماؤهم ضمن كشوف رواتب وكالة الاستخبارات المركزية".

وبحلول السبعينيات، كان نيكسون يقامر بمزيد من رأس ماله السياسى بشنه الحرب على المخدرات، وكان على وكالة الاستخبارات المركزية أن تتكيف مع الوضع الجديد، وبدلاً من السماح لكوو مين تانج باستخدام طائراتها لشحن الأفيون للخارج، اشترت الوكالة ٢٦ طناً من الأفيون مقابل مليون دولار وأعدمتها. وكان ذلك مجرد جزء بسيط من إجمالى إنتاج كوو مين تانج، ولكن ميزة الصفقة أنها حالت دون انتقاد

الجهات الحكومية الأخرى ووضعت أموال دافعى الضرائب فى جيوب مرتزقته. وفى منتصف السبعينيات، اقترحت وكالة مكافحة المخدرات شراء الحكومة الأمريكية لكل محصول بورما من الأفيون بمبلغ ١٢ مليون دولار. وفى تلك المرة تدخلت وزارة الخارجية الأمريكية ووكالة الاستخبارات المركزية، حيث قالتا إن برنامج الشراء هذا قد يضع المال فى أيدى "المتمردين الشيوعيين ضد الحكومتين الصديقتين فى بورما وتايلاند" ونجحتا فى معارضة الخطة. وفى وقت لاحق، استغلت وكالة الاستخبارات المركزية ووزارة الخارجية الحرب ضد المخدرات كتعليل لنقل قدر أكبر من السلاح إلى أيدى حكومة بورما الدكتاتورية العسكرية[1]. وكانت تلك الأسلحة تستخدم لقمع المعارضة الداخلية، وقد استخدمت الدكتاتورية فى بورما مبيدات الحشائش، التى كان من المقرر استخدامها فى حقول الخشخاش، ضد المعارضين الريفيين ومحاصيلهم الغذائية. وبحلول عام ١٩٩٧ أصبحت بورما أكبر منتج للأفيون الخام والهيروين عالى الجودة فى العالم.

ونبات الخشخاش الذى يستخرج منه الأفيون ليس موطنه جنوب شرقى آسيا، بل أدخله التجار العرب فى القرن السابع. ولم تتمكن عادة تدخين الأفيون من الناس حتى القرن السابع عشر، حين نشرها الأسبان والهولنديون الذين كانوا يستخدمون الأفيون علاجًا للملاريا. وأصبح البرتغاليون أول من يستفيد من جلب الأفيون إلى الصين من حقول الخشخاش فى مستعمراتها بالهند. وبعد معركة بلاسى Plassey[2] عام ١٧٥٧، احتكرت شركة الهند الشرقية البريطانية الأفيون وسرعان ما وجدت أنه مصدر لا يقاوم للربح. وبحلول عام ١٧٧٢ كان الحاكم البريطانى الجديد وارين هستينجز War-ren Hastings يجرى مزادات على امتيازات تجارة الأفيون ويشجع صادراته إلى الصين. وكانت تلك الصادرات تدر ٥٠ ألف جنيه إسترلينى فى السنة، رغم الاعتراضات الشديدة من جانب الحكومة الإمبراطورية الصينية. وكان الإمبراطور الصينى يونج تشينج قد أصدر فى عام ١٧٢٩ مرسومًا يجرِّم تدخين الأفيون. وكانت

---

(١) بزعامة يو نى وين الذى أسس دكتاتورية عسكرية عام ١٩٦٢ وتولى رئاسة الوزراء ثم أصبح رئيسًا مدنيًا للبلاد. وقد اضطر للتنحى فى عام ١٩٨٨أمام السخط الذى عم البلاد، بسبب الانهيار الاقتصادى الذى تسببت فيه سياساته الانعزالية والاشتراكية. **(المترجم)**

(٢) وقعت فى قرية بلاسى شمال شرقى الهند. وأدى انتصار البارون كلايف فى هذه المعركة إلى السيطرة البريطانية على الهند. **(المترجم)**

عقوبات من يكررون المخالفة صارمة؛ فقد كان الكثير منهم تشق شفاههم. وفى عام ١٧٨٩، جرمت الصين كلاً من استيراد الأفيون وزراعته محلياً، ونفذت حكم الإعدام فى المخالفين. ولم يُجْدِ ذلك كثيراً.

وما فعله ذلك الحظر فى داخل الصين أنه جعل تجارة الأفيون تجرى فى السر وحسب، مما جعلها هدفاً لتحقيق النفع بالنسبة للجمعيات السرية الصينية، مثل عصابة "الدوائر الخضراء" ذات النفوذ القوى التى خرج من بين صفوفها جيانج كاى شيك فيما بعد. ولم يردع ذلك الحظر البريطانيين الذين ظلوا يشحنون الأفيون بالأطنان إلى ميناءى كانتون وشنغهاى، مستخدمين ما سيصبح تعليلاً مبتذلاً: "من الواضح أنه لا يمكن للصينيين أن يعيشوا بدون تعاطى الأفيون، وما لم نمدهم بحاجاتهم الضرورية، فسوف يمدهم بها الأجانب."

وازدادت صادرات الأفيون البريطانية إلى الصين فيما بين عامى ١٨٠٠ و١٨٤٠ من ٣٥٠ طناً إلى ما يربو على ٢٠٠٠ طن سنوياً. وفى عام ١٨٣٩، بعث الإمبراطور الصينى تاو كوانج بمفوضه التجارى لين تسى سو إلى كانتون لإغلاق الميناء أمام سفن الأفيون البريطانية. وأخذ لين مهمته مأخذ الجد، حيث أعدم أطناناً من الأفيون البريطانى على أرصفة ميناء كانتون، مما أشعل نار حرب الأفيون فى الفترة من ١٨٣٩ حتى ١٨٤٢ وفى ١٨٥٦. وفى تلك الحملات الدموية، أجبر البريطانيون الصين على فتح تجارة الأفيون، بينما كانوا يذبحون مئات الآلاف من الصينيين؛ وهى المذبحة التى ساعدت عليها حقيقة أنه بحلول عام ١٨٤٠ كان هناك ١٥ مليون مدمن أفيون فى الصين ــ أو ٢٧ بالمائة من عدد السكان البالغين ــ بينهم الكثير من العسكريين الصينيين، وبعد حرب الأفيون الأولى، وفى إطار معاهدة نان جينج[١]، كان على الصين أن تدفع للحكومة البريطانية ٦ ملايين جنيه إسترلينى تعويضاً عن الأفيون الذى أعدمه لين فى كانتون. وبعد ذلك أصبحت شنغهاى مستعمرة غربية فى كل المناحى الأساسية. وفى عام ١٨٥٨، اعترفت الصين رسمياً بمشروعية بيع الأفيون وتعاطيه. وزاد البريطانيون من صادرات الأفيون الهندى إلى الصين، التى بلغت ٦٥٠٠ طن بحلول عام ١٨٨٠، وهى تجارة تحقق أرباحاً طائلة كانت أساس ثروات تلك البيوت التجارية الشهيرة فى هونج كونج مثل جاردين Jardine وماثيسون Matheson.

---

(١) عقدت فى عام ١٨٤٢ بين الصين وبريطانيا فى مدينة نان جينج الواقعة شمال غربى شنغهاى. **(المترجم)**

وفى الوقت نفسه بدأت العصابات الصينية برنامجًا لاستبدال المستورد، حيث زرعت محاصيل الخشخاش الخاصة بها، وبالذات فى إقليمى سيتشوان وهونان. وكانت العمالة وفيرة وكانت زراعة الخشخاش سهلة ونقله رخيصاً، وكانت الزهور تزيد فى قيمتها كمحمول نقدى ثلاث مرات عن الأرز والقمح. ولم يتعامل البريطانيون برفق مع ذلك التحدى المحلى لشحناتهم الهندية، وبعد سحق تمرد الملاكمين Boxer Rebellion(١) عام ١٩٠٠، أجبروا الحكومة الصينية على بدء برنامج للقضاء على المحصول المحلى، وهو البرنامج الذى قضى تمامًا على زراعة الأفيون فى كل إقليم هونان بحلول عام ١٩٠٦.

وذلك هو الوقت الذى نقلت فيه العصابات الصينية زراعة الأفيون الخاصة بها إلى ولايات شان فى بورما وإلى الهند الصينية، مع عمل الترتيبات اللازمة مع الإدارة الاستعمارية الفرنسية التى كانت تحتكر زراعة الأفيون هناك وقد أوكلت عملية الزراعة للقبائل الجبلية فى الهند الصينية وبورما، بينما كانت العصابات تتولى التجارة والتوزيع.

وأدت حملة القمع التى قامت بها الحكومة الصينية إلى زيادة الطلب على منتجات الأفيون المصنعة، كالمورفين والهيروين. وكان المورفين قد أدخله البر الصينى منذ وقت قريب المبشرون المسيحيون الذين كانوا يستخدمون هذا المخدر لكسب من يعتنقون المسيحية، وكانوا يشيرون بامتنان إلى ما معهم من مورفين على أنه أفيون يسوع، كما كانت هناك كذلك فائدة اقتصادية واضحة تتحقق من بيع الهيروين والمورفين، اللذين كانت تكلفة إنتاجهما رخيصة، وبالتالى يكون هامش الربح أعلى بكثير من الأفيون.

ورغم تزايد الغضب الدولى، استمرت الحكومة البريطانية فى إغراق الصين بالأفيون حتى العقدين الأولين من القرن العشرين. وكان المدافعون عن التجارة يقولون إن تدخين الأفيون "أقل ضررًا" على صحة المدمنين الصينيين من المورفين، الذى كانت شركات الأدوية الألمانية واليابانية تلح به على الصين، كما أشار المسئولون بحدة. كما جند أباطرة الأفيون البريطانيون الدراسات العلمية لدعم مزاعمهم. وادعى بحث كتبه

---

(١) هذه هى التسمية التى أطلقتها الصحافة الأجنبية على انتفاضة الصينيين لتخليص بلادهم من الأجانب والنفوذ الأجنبى. وترجع هذه التسمية إلى أن طليعتها كانت وحدات ميليشيا فى الشمال تسمى "إى هو تشو أن" ومعناها "قبضات الوئام العادل". **(المترجم)**

الدكتور هـ. مويسان H. Moissan والدكتور ف. براون F. Brown بيان أن تدخين الأفيون ينتج كمية "ضئيلة جداً من المورفين وحسب" وهو ليس أكثر خطورة من استنشاق دخان التبغ.

وبعد أن بلغت حروب الأفيون خاتمتها الدموية، وفتحت الصين على مصراعيها للتجارة الأوروبية، أصبحت مدينة شنغهاى الساحلية بسرعة عاصمة التصدير والاستيراد فى الصين وأكثر مدنها تغرباً. وأنشئ احتكار أفيون محلى عام ١٨٤٢، مما سمح بتأجير العشرات من أوكار تدخين الأفيون بالمدينة للتجار البريطانيين، وظل هذا الوضع قائماً حتى عام ١٩١٨، حيث خضعت بريطانيا فى نهاية المطاف لضغط من جانب حكومة صن يان سن وتخلت عن إيجاراتها.

وكان لذلك التنازل أثر قليل فى ضرب سوق المخدرات فى شنغهاى، التى وقعت على الفور فى أيدى الجمعيات السرية الصينية مثل عصابة الدوائر الخضراء الشهيرة، التى سيطرت تحت قيادة تو يويه شينج على تجارة المخدرات فى شنغهاى طوال الثلاثين سنة التالية، مما أكسب زعيم العصابة لقب "ملك الأفيون". وأصبح تو يتذوق معدات وملابس رجال العصابات الأمريكيين، وفى النهاية اشترى سيارة آل كابونى، التى كان يطوف بها متفاخراً شوارع نان جينج وهونج كونج.

وكان تو يتميز بمهارته كبلطجى وكمستثمر. فعندما شنت السلطات غارة من غاراتها الدورية على تدخين الأفيون فى شنغهاى، رد تو بتسويق "حبوب منع الأفيون" بكميات ضخمة. وكانت تلك عبارة عن أقراص حمراء بها هيروين. وعندما اتخذت الحكومة إجراء لحظر استيراد الهيروين، انتهز تو الفرصة لبناء مصانع هيروين خاصة به، وبحلول عام ١٩٣٤، كان تعاطى الهيروين فى شنغهاى قد فاق تدخين الأفيون باعتباره الشكل الأكثر شعبية لتعاطى المخدرات. وكانت معامل تو على قدر كبير من الكفاءة لدرجة أنه بدأ فى تصدير هيروين عصابة الدوائر الخضراء إلى المتعاطين الصينيين فى سان فرانسيسكو وسياتل.

وارتبط صعود تو إلى قمة عالم الإجرام الصينى ارتباطاً وثيقاً بوصول أمير الحرب الوطنى الصينى جيانج كاى شيك إلى السلطة. فالواقع أن الرجلين كانا عضوين فيما يسمى "الجيل الحادى والعشرين" لعصابة الدوائر الخضراء. وثبتت فائدة تلك الصلات عام ١٩٢٦ حين كانت قوات حملة جيانج الشمالية تحاول اجتياح وسط الصين

وشمالها. فبينما كانت قوات جيانج تقترب من شنغهاى، هبت النقابات العمالية والمنظمات الشيوعية فى سلسلة من الإضرابات والمظاهرات التى قُصد بها تسهيل سيطرة جيانج على المدينة. إلا أن جيانج أوقف مسيرته خارج شنغهاى، حيث أجرى محادثات مع مبعوثين من كبار رجال الأعمال ومن عصابة تو. وطلب ذلك التحالف من قائد عام القوات أن يبقى قواته خارج شنغهاى، إلى أن تتمكن العصابات الإجرامية، التى تعمل بتنسيق مع قوة الشرطة التى يحتفظ بها رجال الأعمال الأجانب، من سحق اليسار.

وعندما دخل جيانج المدينة فى النهاية، داس على جثث العمال الشيوعيين. وسرعان ما احتفل بتحالفه مع تو بأن جعله جنرالاً فى جيش كوو مين تانج. وكما يقول المؤرخ الصينى ى.ك. وانج، فإن ترقية تو إلى رتبة الجنرال كانت شهادة على النزعة الإجرامية المتوطنة فى جيانج كاى شيك وجيش كوو مين تانج: "ربما كانت تلك هى المرة الأولى فى تاريخ الصين التى يحظى فيها عالم الإجرام باعتراف رسمى فى السياسة والوطنية." وأصبحت عصابة الدوائر الخضراء هى قوة الأمن الداخلى لجيش كوو مين تانج، التى كانت تعرف رسميًا باسم مكتب التحقيقات الإحصائى، وكان يرأس تلك الوحدة تاى لى الرفيق المقرب من تو.

وبتوجيه من تو وتاى لى، أصبحت مبيعات الأفيون مصدرًا أساسيًا من مصادر عائدات كوو مين تانج. وفى ذلك العام نفسه ـ ١٩٢٦ ـ أقر جيانج كاى شيك مشروعية تجارة الأفيون لمدة اثنى عشر شهرًا؛ وكانت الضرائب المفروضة على تلك التجارة تأتى بأموال كوو مين تانج الضخمة. وبعد انتهاء مهلة العام، تظاهر جيانج بأنه اعترف بالاحتجاجات ضد إعطاء المشروعية وأنشأ مكتب حظر الأفيون، الذى شرع على الفور فى عملية وقف نشاط كل منافسى كوو مين تانج فى تجارة المخدرات.

وفى عام ١٩٣٣، غزت اليابان الأقاليم الشمالية من الصين، وسرعان ما عقدت اتفاقًا مع كوو مين تانج تشترى بمقتضاه كميات كبيرة من الأفيون من الجنرالين تو وتاى لى، حيث تتولى تحويله إلى هيروين وتوزعه على الصينيين من خلال ٢٠٠٠ صيدلية فى أنحاء شمالى الصين، ممارسة بذلك إشرافًا إمبراطوريًا من خلال إدمان الشعب الصينى. وكانت شراكة الأفيون الخاصة بالجنرال تو مع المحتلين اليابانيين تتمتع بحماية جيانج كاى شيك، طبقًا لما ذكره تقرير معاصر لتلك الفترة صادر عن

استخبارات الجيش الأمريكي، وأشار إلى أنها كانت تتلقى دعمًا من خمسة بنوك صينية كبرى "يصل إلى ١٥٠ مليون دولار صيني"، وبررت قيادة كوو مين تانج تلك العلاقة بأنها فرصة ممتازة للتجسس، حيث كان بإمكان رجال «توكان» التحرك بحرية في أنحاء الأقاليم الشمالية أثناء نقلهم الأفيون.

وفي عام ١٩٣٧، ذهبت زوجة القائد العام، مدام جيانج، إلى واشنطن، حيث جندت جنرالاً في سلاح الجو بالجيش الأمريكي اسمه كلير شينولت Claire Chennault لتولي الإشراف على القوات الجوية المؤقتة، ثم أشرف على مجموعة من الطيارين الإيطاليين أعارهم موسوليني. وكان شينولت من كاجون Cajun[١] لويزيانا ولديه أفكار غير تقليدية عن القتال الجوي كان يرفضها بشدة كبار قادة الجيش، إلا أن تعصبه الشديد ضد الشيوعية أكسبه صداقات بين أقصى اليمين في الكونجرس ودوائر الاستخبارات المركزية.

واستقال شينولت من عمله، وانضم إلى كشف رواتب كوو مين تانج، وأعد عمليات في نان جينج، حيث كان يعمل إلى جانب جيانج كاي شيك وتاي لي. وطوال أربع سنوات تقريبًا كانت قوة شينولت الجوية الصغيرة كامنة على حد ما، حيث تركت فضاء الصين للقوات الجوية الإمبراطورية. ثم كان قصف بيرل هاربر Pearl Harbor[٢] في ٧ ديسمبر ١٩٤١. وسارع شينولت بالسفر إلى واشنطن وعرض فكرة أن الاستخدام الحكيم للقوة الجوية في الصين ضد اليابانيين سيكون مساهمة ممتازة في المجهود الحربي. وعلى الفور أمدوه بمائة من مقاتلات P-40 وسُمح له بتجنيد طيارين من الجيش والبحرية والقوات البرية. وأطلق شينولت على عمليته اسم جماعة المتطوعين الأمريكيين، ولكنهم سرعان ما مُنحوا لقب النمور الطائرة.

وأُبلغ مجندو قوة شينولت أن مهمتهم سرية ولا ينبغي البوح تحت أي ظرف من الظروف بأنهم موجودون في الصين بعلم من الحكومة الأمريكية. وعندما سُمح للنمور الطائرة بالاشتباك مع اليابانيين، حققوا على الفور رقمًا قتاليًا قياسيًا رائعًا بإسقاطهم

---

(١) جماعة تعود أصولها إلى المستعمرين الفرنسيين الذين نفوا من أكاديا في شرقي كندا في القرن الثامن عشر، وهي تعيش الآن في جنوب لويزيانا. **(المترجم)**

(٢) هاجمت الطائرات اليابانية قاعدة بيرل هاربر البحرية الأمريكية على ساحل هاواي ودمرت ١٩ سفينة و٢٠٠ طائرة، مما جعل الولايات المتحدة تدخل الحرب في اليوم التالي. **(المترجم)**

حوالى ٥٠٠ طائرة مقاتلة يابانية. إلا أنه بسبب الوفاق بين جيانج والمحتلين اليابانيين، وجد الطيارون أنفسهم ينقلون معظم فترة الحرب بضائع شخصية محرمة خاصة بقادة كوو مين تانج - عبارة عن أفيون وذهب وغيرها من السلع القيمة.

أثار إحجام جيانج عن محاربة اليابانيين غضب الجنرال جوزيف "فينيجار جو" ستيلويل Joseph "Vinegar Joe" Stilwell. ولم يكن ستيلويل يحترم جيانج "حيث كان ينعته بـ "الدكتاتور التافه" ويصف نظام كوو مين تانج الحاكم بأنه يقوم "على الخوف والمحسوبية فى يدى رجل جاهل ومستبد وعنيد". وكان ستيلويل ينتقد بشدة كذلك استراتيجية شينولت. وكان شينولت قد أقنع القادة الأمريكيين فى واشنطن بأن من الممكن الانتصار فى المعركة التى تجرى فى الصين بقوة النفوذ الجوى والعمل السرى فقط. وكان ستيلويل محقًا فى الحكم على ذلك بأنه عبث، ولكنه خسر المعركة أمام النفوذ فى واشنطن وازداد عزلة لأن شينولت حشد التأييد لموقفه.

وفى خريف ١٩٤٢ عين مكتب الاستخبارات الاستراتيجية الكابتن ميلتون "مارى" مايلز Milton "Mary" Miles بالبحرية الأمريكية رئيسًا لعملياته فى الصين. ولم يضيع مايلز أى وقت فى إقامة تحالف مع تاى لى، مشيراً إلى ذلك المجرم المحترف وأمير الأفيون على أنه "زعيم نقابة عمالية لطيف". وكان تاى شديد الوحشية فى خدماته كرئيس لقوة الأمن الداخلى التابعة لجيانج، حيث كان يدير العشرات من معسكرات الاعتقال التى كان يحتجز فيها الآلاف من معارضى جيانج كاى شيك السياسيين. واشتهر تاى باستخدام السم، حيث كانت لديه كمية ضخمة من الزرنيخ الذى كان يصنع بحيث يبدو كالأسبرين الذى تنتجه شركة باير Bayer وأقــراص Little Liver Pills التى تنتجها شركة كارتر. وفى عام ١٩٤١، ألقى البريطانيون القبض على تاى فى هونج كونج، حيث اتهموه بإدارة "هيئة استخبارات على غرار الجستابو الألمانى"، ثم أطلق سراحه بعد تدخل جيانج كاى شيك الشخصى.

وكان تاى لى يتباهى بامتلاكه جيشا من العملاء السريين المنتشرين ليس فقط فى أرجاء الصين، بل كذلك فى كل مدينة كبيرة من مدن العالم بها مقيمون من الصينيين يمكن أن يدعموا الزعيم الشيوعى الصينى ماو تسى تونج. وقد حث ستيلويل واشنطن على إنهاء الارتباط بتاى لى، واصفًا إياه بأنه "هاينريش هيملر الصين"، ومرة أخرى تجاهلوا نصيحته، ودخلت الولايات المتحدة وتاى لى فى علاقة تحظى بالحماية الرسمية

بموافقة من مكتب الاستخبارات الاستراتيجية، وهى ما أسماه تاى لى "خطة الصداقة"، وإن كانت تعرف رسميًا باسم المنظمة التعاونية الصينية الأمريكية Sino-American Cooperative Organization أو SACO، وتولى تاى لى مسئولية الشبكة الجديدة وكان الجنرال مايلز نائبًا له، حيث كانت المهمة فى مجملها أعمال التجسس والتخريب ضد اليابانيين فى الصين، وكان على الصينيين توفير القوة البشرية، بينما تقدم الولايات المتحدة التدريب والمال والسلاح. بل إن مكتب الاستخبارات الاستراتيجية أنشأ مدرسة لمكتب التحقيقات الفدرالى فى نان جينج لتدريب الشرطة السرية التابعة لتاى على استخدام الكلاب البوليسية، وأجهزة كشف الكذب، وأمصال الصدق. وكان من أبرز المعلمين وفد لتنفيذ القانون من ميسيسيبى على هيئة وكلاء نيابة وثمانية من قوات شرطة الولاية لنقل معرفتهم المحلية الخاصة باستخدام الكلاب البوليسية.

وكان ستيلويل يعتقد على الدوام أن جيانج ليس مهتمًا بمحاربة اليابانيين وأن عمليات منظمة التعاون الصينية الأمريكية كانت تُستغل فى مساعدة مشروعات كوو مين تانج الإجرامية، ويقول ستيلويل فى مذكراته: "كان الصينيون يعرفون من أين يأتى المال." وأضاف أن رجل مكتب الاستخبارات الاستراتيجية مايلز "كان على ما يبدو يحصل على الكثير منه." وكان ستيلويل يفضل التحالف الأمريكى مع ماو، لأن قواته كانت تحظى بقدر كبير من الإعجاب، وقد وصفها بأن "المعارك جعلت عودها صلبًا، كما أنها منظمة ومدربة تدريبًا جيدًا فى حرب العصابات وتحركها كراهية شديدة تجاه لليابانيين".

وفى عام ١٩٤٤، أرسل ستيلويل، الذى كان وقتها متمركزًا فى نان جينج، وفدًا من ضباط أركانه لمقابلة الزعيمين الشيوعيين ماو تسى تونج وشو إين لاى. وقد استُقبل الأمريكيون بترحاب وشاركهم الشيوعيون الصينيون المعلومات الاستخبارية، وأخذوهم فى جولة لزيارة مواقعهم فى كهوف يونان وسمحوا لهم باستجواب ١٥٠ من الأسرى اليابانيين.

ولم يسلم رأى ستيلويل القائل أن الصين ستكون أفضل حالاً فى ظل قيادة الشيوعيين من الهجوم المضاد الشرس من جانب تاى لى وضابط مكتب الاستخبارات الاستراتيجية مايلز. وكان تاى قد وضع عملاء منظمة التعاون الصينى الأمريكى فى منزل ستيلويل وكان على علم تام بآراء الجنرال. وبعد وقت قصير إلى حد ما، طلب

جيانج من روزفلت إقصاء ستيلويل عن القيادة لأنه "يعمل مع الشيوعيين". وامتثل روزفلت للطلب ورحل الجنرال على الفور. وكانت الكلمة العليا لمجرمي كوو مين تانج، ومعهم إحدى الهيئات الاستخبارية الأمريكية التى فى خدمتهم، وهو ما كانت له عواقبه الوخيمة.

وعندما أوشكت الحرب على وضع أوزارها، أجلت الولايات المتحدة شن هجمات على اليابانيين شمالى الصين ضمن خطة لتدمير الشيوعيين. ووصف هارى ترومان هذه الاستراتيجية فى مذكراته بقوله: "كان واضحًا لنا كل الوضوح أنه إذا طلبنا من اليابانيين إلقاء سلاحهم على الفور والاتجاه صوب البحر، فسوف تقع البلاد كلها فى أيدى الشيوعيين. ولذلك كان علينا اتخاذ الخطوة المعتادة الخاصة باستخدام العدو كحامية لحين تمكننا من نقل القوات الصينية الوطنية جوًا إلى جنوب الصين وإرسال مشاة البحرية (المارينز) لحماية الموانئ."

وبعد الحرب، رحب جيانج وتاى لى فى صفوفهم بالعشرات من أمراء الحرب الذين تعاونوا من قبل مع اليابانيين وهؤلاء الرجال عملوا إلى جانب مكتب الخدمات الاستراتيجية ومشاة البحرية الأمريكيين فى الحرب ضد ماو. ولم يترك الجيش الأمريكى الصين حتى عام ١٩٤٧، بعد نقل ما قيمته ٣ مليارات دولار من الأسلحة والمساعدات العسكرية لجيانج، وأتاحت تلك المساعدات تقديم الدعم الأمريكى السرى لشركة كلير شينولت التى تأسست حديثًا باسم Civil Air Transport أو CAT. وكان شريك شينولت فى هذا المشروع رجلا تربطه علاقات قديمة بوكالات الجواسيس الأمريكية، وهو ويليام ويلاور William Willauer. (وقد ظهر بعد ذلك فى أمريكا الوسطى سفيراً للولايات المتحدة فى هُندوراس، حين كانت وكالة الاستخبارات المركزية تعد لانقلاب ضد حكومة ياكوبو أربينث Jacobo Arbenz اليسارية المعتدلة[1]، مستغلة فى ذلك طائرات "كات" وطياريها).

وأعطت الحكومة الأمريكية شينولت وويلاور أسطولاً من طائرات الشحن الفائضة من طرازى C-46 وC-47 بأسعار مخفضة، وبالنسبة للطيارين، استأجر شينولت هؤلاء الذين سبق لهم العمل فى عملية النمور الطائرة. وفى نان جينج، عاش هؤلاء الطيارون فى منزل أزرق يعرف باسم "وكر الأفيون". وفى ذلك الوقت كانت "كات"، من الناحية

(١) وقع الانقلاب فى عام ١٩٥٤ وكان بقيادة كارلوس كاستيلو أرماس. **(المترجم)**

الاسمية على الأقل، مشروعًا خاصًا، وإن كانت تتلقى دعم الحكومة الأمريكية فى صورة طائرات رخيصة وعقود أمريكية لنقل الإمدادات إلى قوات جيانج، التى كانت لا تزال تقاتل ماو، وذهب شينولت إلى واشنطن والتقى بالكولونيل ستيلويل، الذى كان يرأس العمليات السرية فى قسم الشرق الأقصى بوكالة الاستخبارات المركزية. وقال شينولت إن شركة الطيران الخاصة به كان تعانى من ضائقة مالية شديدة، ومع ذلك استطاعت أن تقوم بدورها الحيوى فى العمليات السرية ضد ماو. وبناء على ذلك، أقر ستيلويل ونائبه ديزموند فيتزجيرالد Desmond FitzGerald ما كان من الناحية العملية شراء وكالة الاستخبارات الأمريكية لشركة Civil Air Transport. ودفعت الوكالة ٥٠٠ ألف دولار نقدا لشينولت وبدأت استخدام الشركة كواجهة لعملياتها فى أنحاء الشرق الأقصى.

وكانت إحدى أولى عمليات "كات" فى الصين التى تشرف عليها وكالة الاستخبارات المركزية لمساعدة الحملة سيئة الحظ التى قام بها ضد ماو الجنرال ما بو فانج، الذى سحق جيش التحرير الشعبى جيشه الذى يضم ٢٥٠ ألفًا من المسلمين شمالى الصين. وأنقذت طائرات "كات" الجنرال ما وثروته التى تقدر بـ ١,٥ مليون دولار من سبائك الذهب، وكان قد جمع جزءًا كبيراً منها من سيطرته على تجارة الأفيون فى المنطقة. وفى عام ١٩٥٠، بدأت طائرات "كات" فى إسقاط الطعام والبنادق لقوات قائد كوو مين تانج الجنرال لى تسون ين جنوبى الصين. ولم تغير المساعدات مجرى الأحداث، وبدأت قوات الجنرال فى الهرب جنوبًا إلى داخل بورما، ونُقِل لى نفسه جوًا على "كات" إلى تايوان، حيث كان جيانج كاى شيك قد أقام حكومته.

وعند سفر الجنرال لى إلى واشنطن، بدأ الترويج لفكرة أن قواته فى بورما يمكنها ـ بدعم أمريكى مناسب ـ العودة إلى الصين وشن حرب ضد الشيوعيين واستعادة إقليم هونان. وعلى الفور وقَّع ترومان الأوامر التى تصرح لوكالة الاستخبارات المركزية باتخاذ تدابير سرية على البر الصينى، بميزانية مقدارها ٣٠٠ مليون دولار. وبما أن ماو ألقى بجيش التحرير الشعبى وراء الكوريين الشماليين ودفع بقوات الجنرال ماكارثر إلى جنوب الجزيرة، فقد أصبحت تسيطر على ترومان فكرة فتح ما يسمى بالجبهة الجنوبية للتحرش بجنوب غربى الصين من بورما. وهكذا بدأ التخطيط فى فبراير ١٩٥١ للعملية "ورق" Operation Paper؛ وهى غزو الصين بقوات كوو مين تانج

من ولايات شـان، حيث يفترض أن ذلك كله يجرى بدون علم حكومة بورما، أو وزارة الخارجية الأمريكية، أو السفارة الأمريكية فى بورما، أو نائب مدير وكالة الاستخبارات المركزية للمعلومات الاستخبارية روبرت أرمورى Robert Armory الذى كـان أقل تحمسًا بشأن أية علاقة مع جيانج أو كوو مين تانج.

ومع أن الجنرال لى تسو ين أبلغ ترومان أن هناك ١٧٥ ألفًا من جنود كوو مين تانج مستعدين لإلقائهم فى الغزو، كان العدد الفعلى لقوات كوو مين تانج فى بورما لا يزيد على ٥ آلاف، وكانوا تحت قيادة الجنرال لى مى الذى التقينا به من قبل عند بداية هذا الفصل. وكانت قواته قد طوردت إلى خارج الصين قبل عام، فى يناير ١٩٥٠، وكانت تشغل نفسها منذ ذلك الوقت بالإغارة على قبائل الكارين الجبلية فى ولايات شان، وسرعان ما كان لها الكلمة العليا واستغلت ذلك النصر لفرض الضرائب على مزارعى الأفيون.

وحينذاك توفرت مقومات النموذج التقليدى لوكالة الاستخبارات المركزية والمخدرات. واعتبارًا من ٧ فبراير ١٩٥١، بدأت طائرات الوكالة فى نقل الأسلحة والمعدات من بانكوك إلى قوات لى مى شمالى بورما، حيث اتخذ ذلك فى البداية شكل إسقاط من الجو خمس مرات فى الأسبوع، ثم بالهبوط فى مونج هسات، وهو مطار أقامته الوكالة على بعد خمسة عشر ميلاً من الحدود التايلاندية. وبالنسبة لرحلة العودة، كان كثيرًا ما يعاد تحميل طائرات الوكالة بالأفيون الخام، الذى كان ينقل جوًا إلى بانكوك أو جيانج ماى شمالى تايلاند ويباع للجنرال باو سيانان رئيس الشرطة التايلاندية. وكان الجنرال باو قد عُيِّن مديرًا لشرطة تايلاند الوطنية فى أعقاب انقلاب ساندته وكالة الاستخبارات المركزية عام ١٩٤٨ بقيادة الميجور جنرال بين تشو هانان. وعلى الفور بدأت قوة الشرطة التابعة لباو، وعددها ٤٠ ألف فرد وتسمى فرسان الشرطة، حملة اغتيالات لأعداء بين وباو السياسيين. وسيطرت تلك القوات كذلك على تجارة الأفيون المربحة فى تايلاند. وطبقًا لبيانات مكتب الجمارك البريطانى، فقد جعلت واردات الأفيون الرخيص من ولايات شان، التى كانت فى يدى باو الماهرتين بانكوك مركز تجارة الأفيون فى جنوب شرقى آسيا. وكانت سيطرة باو على تجارة الأفيون تلقى دعمًا مباشرًا من وكالة الاستخبارات المركزية، التى كانت قد ضخت مساعدات مقدارها ٣٥ مليون دولار. وستصبح تايلاند بعد ذلك قاعدة عمليات الوكالة الأساسية فى المنطقة.

وفى الخمسينيات، ساندت وكالة الاستخبارات المركزية الجنرال باو فى صراع مع جنرال تايلاندى آخر من أجل احتكار السيطرة على تجارة أفيون وهيروين تايلاند. وقد تفوق باو بسهولة على منافسه، باستخدام المدفعية والطائرات التى أمدته بها شركة Overseas Supply Company التابعة للوكالة ومركزها بانكوك، وفرض على الفور سيطرة شبه تامة على حكومة تايلاند والمشروعات الإجرامية فى البلاد. وبمساعدة من فرق مستشارى الوكالة، شرع باو فى مهمة تحويل تايلاند إلى دولة بوليسية. وزج بالبارزين من المنشقين وأساتذة الجامعات فى السجن، وكانت وحدات البحث والتحرى التابعة للشرطة تجوب البلاد، وكان ضمن ما تقوم به جباية إتاوة من قوافل الأفيون. وإضافة إلى السيطرة على تجارة الأفيون والهيروين، ضيق باو كذلك الخناق على سوق الذهب فى البلاد، وكان له دور أساسى فى مجالس إدارة أكبر عشرين شركة فى البلاد، كما فرض إتاوة على مديرى الشركات ورجال الأعمال، وكان يدير بيوت دعارة وأوكار قمار. ونشأت صداقة قوية بين باو وبيل دونوفان، وكان وقتها سفير أمريكا فى تايلاند. وبلغ حب دونوفان لباو أن رشحه لنيل وسام الاستحقاق، وهو الشخص الذى وصفه دبلوماسى تايلاندى بأنه "أسوأ رجل فى تاريخ تايلاند الحديثة كله".

وقد نُفِّذ الجانب العسكرى من المشروع بقدر أقل من الفاعلية. ذلك أن قوات لى مى شنت ثلاث غارات داخل الصين. كانت الأولى فى يونيو ١٩٥١، واستمرت أسبوعاً واحداً فقط، وكانت الثانية فى يوليو، وانتهت بكارثة خلال شهر، حيث قُتِل ٩٠٠ بينهم العديد من مستشارى وكالة الاستخبارات المركزية، أما الأخيرة فكانت فى أغسطس وكان حظها من السوء مثل سابقتيها.

وكانت الأسلحة التى تذهب إلى قوات كوو مين تانج تقدمها شركة واجهة لوكالة الاستخبارات المركزية اسمها Overseas Supply، وكان يديرها محام بالوكالة اسمه بول هيليويل Paul Helliwell، وهو خبير بشئون آسيا كان يعمل فى الصين وبورما مع مكتب الخدمات الاستراتيجية. وكان هيليويل يتباهى فيما بعد بأنه كان يدفع لمرشديه الآسيويين أجرهم "قوالب لزجة من الأفيون".

وكان من المتعمد إبعاد عملية الوكالة فى بورما عن السفير الأمريكى فى رانجون، ويليام سيبالد William Sebald، الذى كان قد واجه وابلاً من الشكاوى من الحكومة البورمية. وواجه سيبالد وزير الخارجية جون فوستر دلاس بالاتهامات المستمرة التى

تشير إلى أن الوكالة كانت تساعد قوات كوو مين تانج شمالى بورما، حيث أكد له بما لا يقبل الشك أنها لم تتورط فى ذلك. وبعد تلقى سيبالد تلك التأكيدات، نقل ذلك إلى رئيس هيئة الأركان البورمى الجنرال نى وين. وقاطع نى وين الدبلوماسى قائلاً: "سيدى السفير، إن لدى معلومات مؤكدة. ولو كنت مكانك لالتزمت الصمت وحسب."

وذهبت بورما بشكواها إلى الأمم المتحدة، حيث نقلت كذلك أخبار ضبط مخابئ الأسلحة التى وردتها وكالة الاستخبارات المركزية. وكان الرد الأمريكى على تلك الاتهامات هو أن جيش كوو مين تانج كان يشترى السلاح من السوق المفتوحة بأموال جناها من تجارة الأفيون. وفى النهاية، وبعد ضغط دولى متزايد، وافقت الولايات المتحدة فى عام ١٩٥٣ على إجلاء كوو مين تانج. وأشرف على تلك العملية بيل دونوفان ورئيس تايلاند الجنرال باو. ولم يسمح الجنرال باو لأى ممثلين للحكومة البورمية بحضور الانسحاب. والواقع أن أغلبية من جرى ترحيلهم كانوا من النساء والأطفال والجنود الجرحى، حيث خلفوا وراءهم ما يربو على ٥ آلاف جندى مسلح تسليحاً جيداً استمروا فى تأكيد السيطرة على زراعة الأفيون وتجارته. كما انضموا إلى القبائل الجبلية المتمردة فى حربها ضد الجيش البورمى.

وكان أحد أهداف وكالة الاستخبارات المركزية الاستراتيجية هو تحريض الصين على شن هجوم عبر الحدود البورمية رداً على الغزوات التى قام بها كوو مين تانج. إلا أن تلك الخطة أخطأت الهدف. وفى عام ١٩٦١، قام الصينيون بالفعل بالتوغل فى ولايات شان، ولكن بناء على طلب من الحكومة البورمية للتعامل كوو مين تانج بشكل قاطع. وطارد جيش التحرير الشعبى فلول كوو مين تانج إلى تايلاند، حيث استقروا خارج جيانج ماى. وبعد تلك العملية، اكتشف الجيش البورمى مخبأ جديداً للأسلحة والإمدادات فى قاعدة كوو مين تانج السابقة، وكانت لا تزال فى صناديق تحمل اسم الولايات المتحدة، وكان يحتوى على أكثر من خمسة أطنان من الذخيرة ومئات البنادق والمدافع الرشاشة. كما اكتشف كذلك أكثر من اثنى عشر معملا لتصنيع الأفيون.

وكان ضابط الاتصال التابع لوكالة الاستخبارات المركزية لدى كوو مين تانج فى مقره الجديد فى تايلاند هو ويليام يانج William Young، وهو ابن مبشر معمدانى. وكان يانج قد انضم إلى الوكالة فى عام ١٩٥٨ وسرعان ما أثبت جدارته ليصبح واحداً من أكثر عملاء الوكالة كفاءة، وأحد رجال الوكالة القليلين الذين يحظون باحترام

زعماء القبائل، وكان يانج قد ولد في ولايات شان واستغل معرفته الوثيقة بالثقافة وإتقانه لغات المنطقة الجبلية الصعبة في تجنيد رجال القبائل المحليين كمحاربين بديلين في عمليات الوكالة في أنحاء جنوب شرقي آسيا، وكان يانج على استعداد تام لإقحام مرتزقة القبائل الجبلية التابعين له في تجارة الأفيون بدعوى أنه "ما دام هناك أفيون في بورما، فلا بد من وجود من يسوِّقه".

وفي عام ١٩٦٣، جند يانج جنود كوو مين تانج في قوة مغيرة شنت هجمات على القرى الواقعة شمالي لاوس التي كان يعتقد أنها متعاطفة مع باتيت لاو[1] الشيوعية، وفي الفترة من ١٩٦٢ حتى ١٩٧١، نفذ مرتزقة يانج أكثر من خمسين مشروعاً عبر الحدود الصينية، حيث كانوا يرصدون حركة الشاحنات ويتنصتون على خطوط التليفونات، وكان وراء تلك البعثات خوف وكالة الاستخبارات المركزية من احتمال تدخل الصين في لاوس وفيتنام، وكانت الشرطة السرية التايلاندية تدرب مجنديه الذين كان يأخذهم على مونج هكان، وهي قاعدة تابعة للوكالة تقع على مقربة من الحدود البورمية الصينية، ومن مونج هكان إلى داخل الصين مستغلاً قوافل الأفيون كغطاء، وكانت البغال التي تَحْمِل الأفيون تُحَمَّل كذلك أجهزة اللاسلكي ومعدات المراقبة.

وكانت إحدى جماعات حرب العصابات التي تساندها الوكالة تسمى "الفرسان الستة عشر"، وكان يدير تلك القوة يو با تين، وهو ثوري بارز من ثوار ولايات شان ظل سنوات طويلة يمول حربه ضد الحكومة البورمية من مبيعات الأفيون، وكان قد سبق له العمل مع الاستخبارات البريطانية إبان الحرب العالمية الثانية، وفي عام ١٩٥٨ انضم بقواته إلى جنار خام ليشكلا جيش شان الوطني، ومن أجل تمويل عملياتهم، عقد يو با تين صفقة أفيون مع الجنرال كوان راتيكون عميل وكالة الاستخبارات المركزية الذي كان يرأس جيش لاوس. وكان لكوان اتجاه آخر في العمل. فقد كان يشرف على إدارة الأفيون السرية الحكومية، التي كانت تحقق ملايين الدولارات سنوياً للطغمة الحاكمة في لاوس. وكان لدى كوان ترسانة ضخمة من السلاح أمدته بها الوكالة بسخاء، وكان يقايضها بشحنات الأفيون إلى يو با تين.

---

(١) منظمة ثورية يسارية أسسها سوبانوفونج في لاوس عام ١٩٥٠، وقد أصبحت بعد ذلك حزباً سياسياً شارك في ائتلاف حاكم انهار عام ١٩٥٩. وعقب انقلاب وقع عام ١٩٧٥ أصبح زعيم باتيت لاو رئيساً للنظام الشيوعي الذي يحكم لاوس. **(المترجم)**

واشترت ولايات شان الأسلحة الآلية، والمدافع الرشاشة، والصواريخ وأجهزة اللاسلكى، وخلال عام أو عامين تكدس لديها ما يكفى من الإمدادات لتجهيز جيش مكون من ٥٠٠ رجل والسيطرة على أكثر من ١٢٠ ميلاً مربعًا من الأراضى، وأبلغ يو با تين المؤرخ آل ماكوى Al McCoy فى أوائل السبعينيات أن عميل وكالة الاستخبارات المركزية ويليام يانج "كان على علم بذلك الترتيب، وكان يرى الأفيون والسلاح أثناء تبادلهما ولم يتخذ قط أى إجراء لمنع ذلك". وفى نمط مألوف كان لا بد أن تستغل الوكالة الجنرال كوان وسيطًا فى مشروع لتسليح الوطنيين فى شان، وبذلك تقلل إلى حد ما خطر انتقاد الحكومة البورمية لها انتقاداً مباشراً.

وفى عام ١٩٦٤، تلقى جيش شان الوطنى ووكالة الاستخبارات المركزية ضربة خطيرة حين نجح جنار خام زعيم جيش شان الشعبى بقوة شخصيته فى لم شمل التحالف العنيد، ودخل فى نزاع على صفقة أفيون وقتل بإطلاق النار على رأسه فى هوى كراى، وهى نقطة متقدمة على درب الأفيون الذى يربط حقول الخشخاش فى بورما بمعامل الهيروين الخاصة بالجنرال كوان فى لاوس.

وكانت عمليات وكالة الاستخبارات المركزية السرية فى بورما تمول كذلك واحداً من أشهر أمراء الهيروين فى العالم، وهو خون سا، الذى ولد فى قرية صغيرة فى ولايات شان بالقرب من الحدود الصينية. وكان والده جنديًا فى جيش كوو مين تانج، وفى عام ١٩٦٣ عينته الحكومة البورمية رئيسًا لقوة دفاع محلية لمواجهة متمردى شان. وبدلاً من أن تدفع الحكومة البورمية المال أو المؤن، منحته امتيازًا لاستغلال الطرق والمنشآت الحكومية فى تجارة المخدرات. وسرعان ما مثلت تجارة سان للأفيون، بمساعدة من الحكومة البورمية، خطراً على احتكار كوو مين تانج، مما أدى إلى نشوب حرب أفيون فى عام ١٩٦٧. وكان خون سا قد أرسل ٥٠٠ رجل و٣٠٠ بغل تحمل ١٦ طنًا من الأفيون الخام عبر ٢٠٠ كيلومتر من المدقات الجبلية لتسليمها إلى مصنع الهيروين الخاص بالجنرال كوان فى بلدة الأخشاب الصغيرة بان خوان على نهر ميكونج، وكانت قوات كوو مين تانج تتبع قافلة خون سا ونصبت كمينًا لها على بعد خمسين ميلاً من بان خوان. ورد تجار شان على الهجوم، وهربوا عبر نهر ميكونج وأقاموا موقعًا دفاعيًا بالبلدة. وفى ذلك الوقت قال الجنرال كوان إن على قوات شان وكوو مين تانج أن تغادر لاوس وإلا واجهت هجومًا من رجاله. وطالبت قوات كوو مين تانج بمبلغ ٢٥٠ ألف دولار

كى تنسحب. وطلب خون سا من قواته البقاء فى مكانها إلى أن تتلقى ٥٠٠ ألف دولار مقابل شحنة الأفيون. وفى صباح اليوم التالى، حلقت ست قاذفات تابعة لقوات لاوس الجوية، وكانت وقتها تخضع لوكالة الاستخبارات المركزية، فوق القرية وألقت قنابل زنة ٥٠٠ رطل على قوات كل من كوو مين تانج وخون سا. واستمر القصف يومين. وفى النهاية فرت قوات كوو مين تانج شمالاً، على عمق لاوس، بينما اتجهت قوات خون سا عبر النهر، مخلفة وراءها معظم الأفيون - الذى أرسل الجنرال كوان على الفور رجاله لإحضاره.

وجعلت حرب المخدرات كوان أغنى مما كان، وجرت خون سا إلى حالة من الضعف احتاج عشر سنوات كى يبرأ منها، وأتاحت لقوات كوو مين تانج السيطرة على ٨٠ بالمائة من سوق الأفيون فى بورما، طبقاً لاستطلاع لتجارة الأفيون طلبت وكالة الاستخبارات من ويليام يانج إجراءه عام ١٩٦٨. وأبلغ الجنرال توان شى وين صحفياً فى "لندن ويكند تليجراف" London Weekend Telegraph أن "الضرورة لا تعرف القانون. ولا بد أن نظل نقاتل شر الشيوعية، ولكى تقاتل لا بد لك من جيش، ولا بد للجيش من سلاح، ولكى تشترى السلاح لا بد لك من المال". وفى أواخر عام ١٩٦٠، كان الأفيون البورمى يباع بسعر ٦٠ دولاراً للكيلو فى جيانج ماى، فى حين كان سعر قطعة M-16 هو ٢٥٠ دولاراً.

عاد خون سا فى أوائل الثمانينيات بعد عقده تحالفًا مع متمردى شان الذين كانت الحكومة البورمية فيما مضى تدفع له أجراً من المخدرات كى يقضى عليهم. وكان يدير إمبراطورية الأفيون الجديدة الخاصة به من قرية جبلية صغيرة فى وان هو مونج، على بعد عشرة أميال من الحدود التايلاندية. وبحلول أواخر الثمانينيات كان قد شكل قوة متمردة قوامها ٢٠ ألف رجل تسمى جيش مونج تاى، كما جمَّع مبلغًا ضخمًا من المال من سيطرته على حوالى ٣٠٠ ألف فدان من الأراضى فى ولايات شان خصصت لزراعة خشخاش الأفيون. وكان هناك عشرون مصنعًا للهيروين تحت سيطرته، وأشارت "نيوزويك" إلى أن إجمالى عائداته بلغ ١.٥ مليار دولار فى السنة، حيث تبقى له الكثير من المدخرات، حتى وإن زعم أن تكلفة إمدادات وتغذية جيشه بلغت ٥٠٠ ألف دولار شهرياً.

وفى عام ١٩٨٨، تولى الحكم فى بورما مجلس إعادة القانون والنظام. ولكى يمول المجلس نظام حكمه الجديد، وضع هدفًا لمضاعفة صادرات الأفيون. وبحلول عام ١٩٩٠

كانت بورما تنتج أكثر من ٦٠ بالمائة من واردات العالم من الهيروين، وهو ما كان يقدر بأكثر من ٤٠ مليار دولا فى العام. واستخدم المجلس عائدات هذه التجارة لشراء ما قيمته ٢.١ مليار دولار من المعدات العسكرية، طبقًا لبيانات صندوق النقد الدولى. وأشارت السفارة الأمريكية فى رانجون صراحة إلى أنه "يبدو أن صادرات الأفيون تساوى كل الصادرات المشروعة مجتمعة"، وكانت البنوك فى رانجون - ولا تزال عند الكتابة - تقدم خدمات غسيل الأموال مقابل عمولة قدرها ٤٠ بالمائة. وكانت أرباح خون سا وغيره من أمراء الأفيون تغسل بخلطها بالعائدات الضخمة التى تأتى من شركتى البترول الأثيرتين لدى مجلس إعادة القانون والنظام، وهما "يونوكال" UNOCAL (الأمريكية) وتوتال Total (الفرنسية).

وفى عام ١٩٩٢، بدأ يو سو لو، زعيم قبيلة وا فى ولايات شان، حملة تسعى إلى إبعاد الزراعة فى المنطقة عن إنتاج الأفيون. وقد أبلغ عملاء من وكالة مكافحة المخدرات أن ممارسات تهريب الأفيون الخاصة بالميجور تان آى، ضابط الاستخبارات التابع لمجلس إعادة القانون والنظام. وسرعان ما وصلت أخبار ذلك البلاغ إلى عملاء المجلس الذين ألقوا القبض على يو سو لو وبدءوا ستة وخمسين يومًا من التعذيب المخيف، حيث كان يعلق من قدميه ويضرب بالسلاسل، وكانت توصل الأسلاك الكهربية بأعضائه التناسلية، بينما يلقون فى وجهه بدلاء من البول. وكان يشرف على تعذيب لو الميجور تان آى، وهو نفسه الرجل الذى أبلغت بأمره وكالة مكافحة المخدرات. وكان تان يعتزم قتل زعيم وا، الذى أُنقذت حياته فقط بعد تهديد زعماء آخرين من وا بحمل السلاح ضد نظام مجلس إعادة القانون والنظام.

وعندما استرد يو سو لو عافيته، لم يستسلم. بل إنه أعد خطة مفصلة لإحلال محاصيل أخرى محل الأفيون فى منطقة وا. وكان عنوان التقرير هو "عبودية الأفيون - عذاب شعب وا، اقتراح وخطة".

وفى عام ١٩٩٣، قدم زعيم وا خطته لعميل وكالة مكافحة المخدرات فى رانجون ريتشارد هورن Richard Horn. وكان هورن يعمل منذ ٢٣ سنة مع وكالة مكافحة المخدرات وكان يرى أن تعيينه رئيسًا لمكتب الوكالة فى رانجون هو "الوظيفة التى يحلم بها". واعتبر هورن أفكار يو سو لو فرصة رائعة وبدأ دعمه هو ورفاقه من وا. إلا أن مدير مركز وكالة الاستخبارات المركزية فى رانجون حصل على نسخة من تقرير لو

وسربه إلى أصدقائه فى استخبارات مجلس إعادة القانون والنظام، وحاول المجلس القبض مرة أخرى على لو، إلا أنه تراجع بعد تدخل هورن. وساعتها دفع هورن نفسه ثمن دس أنفه في مثل تلك الأمور الخاصة بالدولة. وحسبما جاء فى دعوى قضائية رفعها فى وقت لاحق ضد وكالة الاستخبارات المركزية، فإن أول تلميح تلقاه يدل على عداء الوكالة هو ما فهمه على أنه محاولة جعله هدفًا للاغتيال. كما كشف كذلك أن خطوط تليفوناته كانت مراقبة، وأن محادثاته مع رؤسائه فى مقر وكالة مكافحة المخدرات فى واشنطن ينقلها فرانكلين هادل Franklin Huddle، الرجل الثانى فى السفارة الأمريكية برانجون، حرفيًا فى اتصالاته بوزارة الخارجية. ولم تثر ثائرة هورن بسبب ذلك التحرش الشخصى، بل لأن وكالة الاستخبارات المركزية كانت لا تزال تقدم المعلومات الاستخبارية والتدريب لقوة الأمن الداخلى التابعة لمجلس إعادة القانون والنظام، حتى وإن خربت محاولاته لدعم خطط يو سو لو المضادة للأفيون. وفى النهاية استدعت وكالة مكافحة المخدرات هورن حيث كلفته بالعمل فى نيو أورليانز New Orleans. وقد رفع دعوى قضائية ضد وكالة الاستخبارات المركزية فى عام ١٩٩٤ بشكل فردى، ثم مرة أخرى في عام ١٩٩٦ ضمن دعوى جماعية رفعها عملاء وكالة مكافحة المخدرات ادعوا فيها أنهم تعرضوا للتحرش والترهيب والتجسس من جانب وكالة الاستخبارات المركزية. ووثائق المحكمة المتصلة بهذه الدعوى محظور الاطلاع عليها.

وفى عام ١٩٩٦ عقد مجلس إعادة القانون والنظام صفقة مع خون سا. فقد أدانت وزارة العدل الأمريكية أمير الحرب، إلا أن المجلس أعلن أنه لن يرسله إلى الولايات المتحدة ولن توجه له أية تهم فى بلده. بل إنه منح امتياز شركة سيارات أجرة تعمل بين بورما وتايلاند وقطعة أرض مساحتها ٤٤ فدانًا خارج رانجون، حيث يعتزم ابنه بناء مجمع للقمار والتسوق. وتوقع خون سا ألا تنهى صفقته مع المجلس تجارة الأفيون فى ولايات شان: "بل على العكس من ذلك، سيكون هناك المزيد. فشعبى بحاجة إلى زراعة الأفيون من أجل لقمة العيش، ولولا مجىء الأمريكان والأوروبيين إلى هنا لما كانت هناك تجارة مخدرات."

■ ■ ■

المصــادر

يقوم وصفنا لتجارة الأفيون البريطانية إلى حد كبير على ثلاثة كتب لم تكن شافية بالحد الكافى، وهى كتاب مايكل جرينبرج British Trade and the Opening of China وكتاب ديفيد أوين الصـادر منذ ٦٥ سنة British Opium Plicy and India وكتاب أرثر ويلى The Opium War Through Chinese Eyes، وتمثل كتابات جوزيف ستيلويل أفضل مرشد إلى تجربته المحبطة فى الصين. وكتاب هاريس سميث عن مكتب الاستخبارات الاستراتيجية ممتاز فيما يتعلق باتخاذ القرار الذى أدى إلى كارثة من جانب المعادين للشيوعية فى أمريكا فى الأيام الأخيرة من الحرب فى آسيا. ويتفوق كتاب سميث عن مكتب الخدمات الاستراتيجية إلى حد كبير على أى كتاب مشابه عن وكالة الاستخبارات المركزية. واعتمدت صورة تو يويه شينج التى قدمناها اعتماداً كبيراً على مقالات كتبها إ.ك. وانج وجوناثان مارشال . ويقدم ويليام كورسون وديفيد وايز روايتين مفيدتين عن مغامرات وكالة الاستخبارات المركزية، المبكرة فى بورما التى أغفلت، وكما هو دائماً، كان كتاب آل ماكوى Politics of Heroin خريطة لا يمكن الاستغناء عنها لمنطقة تجارة المخدرات المحيرة فى جنوب شرقى آسيا، وعلى امتداد العامين الماضيين، كتب دينيس برنستاين وليزلى كين مقالات جيدة عن الرعب الذى تشهده بورما المعاصرة. وكان على نفس القدر من المعلومات سلسلة Frontline عن تجارة الأفيون فى بورما وكتبها أدريان كاويل، وكتب بيرتل لينتنر تقارير صحفية عن بورما وولايات شان تتسم بنفس القدر من الروعة فى Far Eastern Economic Review.

Anderson, Martin Edwin. "Spy Agency Rivalries." Washington Times, Dec.19, 1994.

Associated Press. "DEA Agent Sues CIA over Mission." Washington Times. Oct.28, 1994.

Bernstein, Dennis, and Leslie Kean. '~Peop1e of the Opiate; Burma's Dictatorship Touches Everything,
Even the CIA." Nation, Dec.16, 1996.

Berrigan. Darrell. "They Smuggle Dope by the Ton." Saturday Evening Post, May 5. 1956.

Boyle, John Hunter. China and Japan at War, 1937-1945. Stanford Univ. Press, 1972.

Brown. Richard Harvey. "Drug Policies and Politics in Comparative Perspective. The Case of Opium in India, China, Britain and the United States." Paper presented at Drug Policy seminar at Columbia University, Feb.1993.

Chennault, Claire. Way of a Fighter: The Memoirs of Claire Chennault Putnam. 1949.

Colby, Gerard, and Charlotte Dennett. Thy Will Be Done. HarperCollins, 1996.

Corson, William. The Armies of Ignorance. Dial, 1977.

Cowell. Adrian. "The Opium Kings." (Transcript) Frontline[WGBH, May20. 1997.

Faligot, Roger. Ivisible Empire: The Overseas Chinese. Putnam, 1995.

Gravel. Mike, ed. The Pentagon Papers: The Defense Depar.'ment History of US Decision-making on Vietnam. Beacon, 1971.

Greenberg, Michael. British Trade and the Opening of China, 1800-42. Cambridge Univ. Press, 1951.

Isikoff, Michael. "International Opium Crop Production up 8 Percent Last Year; Dcspite US Efforts Against Poppy Crop, Concern Grows Ahoot Expanding Heroin Market." Washington Post. March 1,1992.

Kean, Leslie, and Dennis Bernstein. "Burma-Singapore Axis: Globali7ing the Heroin Trade." Covert Action Quarterly, Spring 1998.

Kerry, John. The New War: The Web of Crime that Threatens America's Securty. Simoo and Schuster, 1996.

Kleinl:necht, William. The New Ethnic Mobs: The Changing Face of Organized Crime in America. Free Press, 1996.

Kohn, Marek. Narcomania: On Heroin. Faber and Faber, 1987.

Kwitny, Jonathan. The Crimes of Patriots: A True Tale of Dope, Dirty Money and the CIA. Norton, 1987.

Lamour, Catherine, and Michel Lamberti. The international Connection: Opium from Growers to Pushers. Pantheon, 1974.

Latimer, Dean, and Jeff Goldberg. Flowers in the Blood: The Story of Opium. Frankim Watts, 1981.

LaGesse, David and George Rodriguez. "Drug War Often Finds CIA at Odds with DEA." Dallas Morning News, Feb.16, 1997.

Liu, Melinda. "Burma's Money Tree." Newsweek, May 15, 1989.

McAllister, J. F. "Getting in the Way of Good Policy." Time, Nov. 7, 1994.

Marshall, Jonathan. "Opium and the Politics of Gangsterism in Nationalist China, 1927-1945." Bulletin of Concerned Asian Scholars. JulylSept. 1976.

Drug Wars. Cohan and Cohen, 1991. Miles, Milton. A Different Kind of War. Doubleday. 1967.

Morley, Jefferson, and Malcolm Byrne. "The Drug War and 'National Security.'" Dissent, Winter 1989.

Musto, David. The American Disease: The Origins of Narcotics Control. Yale Univ. Press, 1973.

Owen, David. British Opium Policy in China and india. Yale Univ. Press, 1934.

Robinson, Jeffrey. The Laundrymen. Arcade, 1996.

Rush, James. Opium to Java. Cornell, 1990.

Shannon, Eileen. Desperados: latin Drug Lords, US lawmen, and the War America Can't Win. Viking, 1988.

Smith, R. Harris. OSS: The Secret History of America's First Central Intelligence Agency. Univ. of California Press, 1972.

Stares, Paul. Global Habit: The Drug Problem in a Borderless World .Brookings Institute, 1997.

Stilwell, Joseph. The Stilwell Papers. Sloane, 1948.

Tuchman, Barbara. Stilwell and the American Experience in China. Macmillan, ~971. US Congress. House. Committee on Foreign Affairs. Justice Department Treatment of

Criminal Cases Involving CIA Personnel and Claims of National Security. Government Printing Office, 1975.

Select Committee on Narcotics Abuse and Control. Opium Production, Narcotics Financing, and Trafficking in Southeast Asia. Goverument Printing Office, 1977.

Committee on International Relations. Proposal.to Control Op ium from the Golden Triangle and Terminate the Shan Opiun~ Trade. Government Prinfing Office,

1975.

US Office of the Comptroller General, General Accounting Office. Drug Control: US Support Efforts in Burma, Pakistan and Thailand. Government Printing Office, Feb.

1988.

US State Department. Intenaational Narcotics Strategy. Government Printing Office,

1996.

Vest, Jason. "Drug Official Cites Burma Problem." Washington Post, June 17, 1994.

Waley, Arthur. The Opium War Through Chinese Eyes. Macmillan, 1958.

Wang, Y. C. "Tu Yueh-sheng (1888-1951) A Tentative Political Biography." Journal of Asian Scholars. May 1967.

Washington Post, editorial. "Burma's Drug Lords." Washington Post. March 18, 1988.

White, Peter. "The Poppy." National Geographic, Feb.1985.

Wise, David, and Thomas Ross. The Invisible Government. Random House, 1964.

10

التحالف الأسود

وكالة الاستخبارات المركزية
والمخدرات والصحافة

جيوش ومدمنون:
فيتنام ولاوس

فى الساعة السابعة والنصف من صباح يوم ١٦ مارس عام ١٩٦٨ نزلت حملة باركــــر Task Force Barker قرية ماى لاى الصغيرة فى إقليم قوانج ناى بفيتنام الجنوبية. وقد حاصرت فرقتان القرية، بينما دخلتها فرقة ثالثة يقودها اللفتنانت ويليام كـالى William Calley يصحبها ضباط استخبارات الجيش الأمريكى، وأخذت تذبح السكان. وعلى امتداد الثمانى ساعات التالية، قتل الضباط الأمريكيون، وبشكل منظم، ٥٠٤ من الرجال والنساء والأطفال. وقال الراحل رون ريدناور Ron Ridenhour، وهـو أول من كشف أمر المذبحة، بعد سنوات لمؤلف على قيد الحياة: "كانت تحلق فوق ماى لاى طائرة هليكوبتر تحمل قيادة أركان اللواء والفرقة وقوة العمل بكاملها. كانت كل فئات التسلسل القيادى الثلاث تحلق بالفعل فوق المكان بينما كانت المذبحة تجرى. واحتاج الأمر وقتًا طويلاً لقتل ٦٠٠ شخص. ويمكنك القول إنها مهمة قذرة. كان هؤلاء الأشخاص يحلقون منذ الساعة السابعة والنصف صباحًا، حين نزلت الوحدة وبدأت دخول تلك القرى. وبقوا هناك ساعتين على الأقل، على ارتفاع ٥٠٠ قدم، و١٠٠٠ قدم، و١٥٠٠ قدم."

وبدأ التعتيم على تلك العملية منذ البداية تقريبًا. ولم تكن المشكلة هى المذبحة ذاتها؛ فقد أظهرت استطلاعات الرأى بعد الحدث مباشرة أن ٦٥ بالمائة من الأمريكيين يوافقون على الإجراء الأمريكى، بل كان التعتيم لإخفاء حقيقة أن ماى لاى كانت جزءًا من برنامج القتل الخاص بوكالة الاستخبارات المركزية المسمى بالعملية فينكس. وكما يقول دوجلاس فالنتاين Douglas Valentine فى كتابه الرائع The Phoenix Program، فإن "مذبحة ماى لاى كانت نتيجة لفينكس، ذلك البرنامج 'الواهى' المضاد للإرهاب الذى كان بمثابة منفذ للمخاوف المكبوتة والغضب فى نفوس رجال قوة العمل باركر المرعوبين. وفى ظل القضاء على البنية التحتية، أصبح الرجال كبار السن والنساء

والأطفال أعداء. فقد جعلت فينكس من السهل إطلاق النار على طفل فيتنامى، وكأنك ترمى عصفوراً على الشجرة. وكانت الحجة معلومة استخبارية خاطئة قدمها عملاء سريون فى نفوسهم ضغائن – انتهاكًا للاتفاق على عدم إعطاء الشرطة معلومات استخبارية تتعلق بتعداد السكان. وكان المحرك هو القائمة السوداء."

ومن حيث المبدأ، وضع فكرة عملية ماى لاى رجلان، هما عميل وكالة الاستخبارات المركزية بول رامسديل Paul Ramsdell والكولونيل خى إن رئيس إقليم قوانج ناى وبينما كان رامسديل يعمل تحت غطاء وكالة التنمية الدولية الأمريكية US Agency for International Development، كان يرأس برنامج فينكس فى إقليم قوانج ناى، حيث كانت مهمته إعداد قوائم بأسماء المشبوهين من زعماء جبهة التحرير الوطنى (التى يطلق عليها الأمريكيون "فيت كونج") ومنظميها والمتعاطفين معها. وقد نقل رامسديل تلك القوائم لوحدات الجيش الأمريكى التى كانت تنفذ أعمال القتل. وفى حالة ماى لاى، أبلغ رامسديل ضابط استخبارات حملة باركر الكابتن كوتاك Qoutac أن "كل إنسان فى تلك المنطقة يعتبر متعاطفًا مع الفيت كونج، لأنهم لا يمكن أن يقيموا فى المنطقة ما لم يكونوا متعاطفين."

وكان رامسديل قد حصل على ذلك التقدير من الكولونيل خى إن، الذى كانت له أجندته الخاصة. فمن ناحية، كانت عائلته قد تعرضت للضرب الشديد فى هجوم تيت الذى شنته جبهة التحرير الوطنى فى وقت سابق من ذلك العام، كما أن الجبهة كانت قد أربكت مشروعاته التجارية. وكان خى إن مشهوراً بأنه أحد أكثر زعماء فيتنام الجنوبية فساداً، وبأنه ضابط يضع يده فى كل شىء من التلاعب فى كشوف الرواتب إلى الدعارة. ولكن يبدو أن خى إن حقق ثروته الضخمة فى واقع الأمر من بيع الهيروين للجنود الأمريكيين.

وبالنسبة لوكالة الاستخبارات المركزية، أصبحت الحاجة إلى التغطية على تورطها فى مذبحة ماى لاى شديدة فى أغسطس ١٩٧٠، حين حوكم الرقيب ديفيد ميتشل David Michell، وهو أحد أفراد حملة باركر، لقتله عشرات الفيتناميين فى ماى لاى. وزعم ميتشل أن عملية ماى لاى كانت تدار بإشراف من وكالة الاستخبارات المركزية. ونجح محامى الوكالة جون جرينى John Greaney فى منع محامى ميتشل من استصدار طلب مثول أمام المحكمة بالنسبة لأى من العاملين فى الوكالة. ولكن رغم كل

تلك المناورات، كان ضباط وكالة الاستخبارات المركزية والجيش قلقين من احتمال تسرب الحقيقة، ولذلك كلف الجنرال ويليام بيرز William Peers من استخبارات الجيش الأمريكى بمهمة تصليح الأثاث – أو هكذا قيل. وكان بيرز من رجال الوكالة السابقين وله علاقة بعملياتها فى جنوب شرقى آسيا تعود إلى الحرب العالمية الثانية، حين كان يشرف على حملة مكتب الخدمات الاستراتيجية Detachment 101 فى بورما، التى كثيراً ما كانت تعمل تحت غطاء تجارة أفيون شان. كما عمل بيرز كذلك رئيسًا لمركز الوكالة فى تايوان فى أوائل الخمسينيات، حين كانت الوكالة تساند قائد كوو مين تانج، جيانج كاى شيك، ومساعده لى مى.

وكان بيرز قد ساعد فى وضع استراتيجية التهدئة الخاصة بفيتنام الجنوبية وكان صديقًا مقربًا من إيفان باركر Evan Parker ضابط وكالة الاستخبارات المركزية الذى كان يرأس تنسيق واستغلال المعلومات الاستخبارية ICEX، وهى الهيكل القيادى الذى كان يشرف على فينكس وغيرها من عمليات القتل السرية، وليس مستغربًا إذن أن تحقيق بيرز لم يعثر على أية بصمات للوكالة على المذبحة، بل إنه ألقى باللوم على الأفعال الحماسية التى قام بها المجندون وصغار الضباط فى حملة باركر.

أظهرت استطلاعات الرأى وعقب ماى لاى مباشرة موافقة ٦٥ بالمائة من الأمريكيين، ولكن ليس من المعروف إن كان ذلك الحماس الوقتى ظل موجوداً بعد الحقائق الوحشية التى تنطوى عليها العملية فينكس أم لا. وشهد بارت أوزبورن Bart Osborn، ضابط استخبارات الجيش الأمريكى الذى كان يجمع أسماء المشتبه فيهم ضمن برنامج فينكس، أمام الكونجرس عام ١٩٧٢ بقوله: " لم أعرف قط أثناء كل تلك العمليات أن أى معتقل ظل على قيد الحياة بعد استجوابه، فقد ماتوا جميعًا. ولم يكن هناك قط أى أساس معقول لحقيقة أن أيا من هؤلاء الأشخاص كان يعمل فى الواقع مع الفيت كونج، ولكنهم جميعًا ماتوا، بينما عُذِّب الآخرون حتى الموت أو حدثت لهم أشياء مثل إلقائهم من الطائرات الهليكوبتر."

وكان أحد المساعى الأكثر غرابة لحماية المحرضين الحقيقيين على ماى لاى خلال جلسات استماع الكونجرس فى عام ١٩٧٠ التى أدارها السناتور توماس دود Thomas Dodd (والد السناتور الأمريكى عن كونيتيكت حاليًا). وكان دود يحاول إلقاء اللوم فيما يتعلق بماى لاى على تعاطى الجنود الأمريكيين للمخدرات، وكان قد تمسك بهذه

الفكرة بعد رؤيته لفقرة إخبارية على شبكة "سى بى سى" CBC تبين جنديًا أمريكيًا يدخن الماريوانا فى الغابة عقب تبادل لإطلاق النار. وعلى الفور دعا إلى عقد جلسات استماع فى لجنته الفرعية حول جنوح الأحداث، واتصل العاملون معه برون ريديناور، الرجل الذى كان أول من كشف أمر المذبحة، قبل أن يكشف سيمور هيرش أمرها فى الصحافة. وكان ريديناور قد جعل مسعاه منذ فترة طويلة هو بيان أن ماى لاى كانت مخططة من أعلى، ولذلك وافق على أن يدلى بشهادته، شريطة ألا يضطر للتعامل مع أى حمق بشأن إلقاء اللوم فيما يتصل بقتل ٥٠٠ شخص على المخدرات.

ولكن ما إن قدم ريديناور نفسه فى قاعة الاستماع حتى أخذ دود يصدر تصريحات عن خواص الماريوانا، كانت من الغرابة بحيث كان من الممكن أن يوافق عليها هارى آنسلينجر نفسه. ولم يصل ريديناور إلى أى شىء، وانتقد وقائع الجلسة، واحتج خارج القاعة قائلاً إن "دود يرتب الأدلة ترتيبًا. فلم يذكر أحد المخدرات فى ماى لاى بعد وقوعها، وكان لا بد أن يبحثوا عن عذر. إن الكثيرين والكثيرين من الأمريكيين يبحثون عن أى سبب غير قرار الإدارة".

ومع أن دود كان يريد وحسب إلقاء اللوم فيما يتعلق بماى لاى على المخدرات ثم ينطلق من هذه النقطة، ذلك أن الصحافة فى ذلك الوقت أخذت تهتم بمسألة تعاطى القوات الأمريكية فى فيتنام للمخدرات بكاملها. ودفع ذلك الاهتمام وفدًا من الكونجرس يرأسه النائب الديمقراطى عن كونيتيكت روبرت ستيل Robert Steele والنائب الديمقراطى عن إلينوى مورجان ميرفى Robert Murphy إلى السفر إلى فيتنام. وقد أمضوا شهرًا فى فيتنام يتحدثون مع الجنود وأفراد الخدمات الطبية وعادوا بنتيجة مرعبة. فقد قال ستيل: "الجندى الذى يذهب إلى فيتنام يكون احتمال أن يصبح مدمنًا للهيروين أكبر بكثير من أن يصبح ضمن خسائر القتال"، وقد قدروا أن حوالى ٤٠ ألف جندى فى فيتنام يدمنون الهيروين. وأشار تحقيق متابعة قامت بها "نيويورك تايمز" إلى أن الرقم قد يكون أعلى من ذلك - حيث قد يصل إلى ٨٠ ألفًا.

وبالطبع كان البنتاجون يفضل رقمًا أقل، حيث جعل إجمالى عدد مدمنى الهيروين يتراوح بين ١٠٠ و٢٠٠، ولكن فى ذلك الوقت كان الرئيس نيكسون قد بدأ يفقد الثقة فى الأرقام الصادرة عن وزارة الدفاع وأرسل رئيس مجلس السياسة الداخلية بالبيت الأبيض إيجيل كروخ الأب .Egil Krogh Jr إلى فيتنام لإلقاء نظرة أخرى. ولم يمض

كروخ أى وقت مع الجنرالات، بل اتجه إلى الميدان، حيث شاهد الجنود وهم يشعلون لفائف الماريوانا علنًا ويتباهون بنقاوة أصناف الهيروين الذى يتعاطونه. وعاد كروخ بأخبار مفادها أن ٢٠ بالمائة من الجنود الأمريكيين يتعاطون الهيروين. وكان للرقم وقع شديد على ريتشارد نيكسون الذى قدَّر على الفور أنه مع احتمال استعداد الأمريكيين لرؤية أبنائهم يموتون على خطوط الجبهة وهم يحاربون الشيوعية، فإنهم قد يكونون أقل تحمسًا بكثير لرؤية نفس الأبناء وهم يعودون إلى الوطن مدمنى هيروين.

وفيما يُعَد إلى حد ما ردًا على تلك الاكتشافات، جند نيكسون وكالة الاستخبارات المركزية لخوض معركته ضد المخدرات. وكان الرجل الذى اختارته الوكالة لتجعله منسقًا مع البيت الأبيض هو لوسيان كونين Lucien Conein الذى سبق له العمل فى مركز الوكالة فى سايجون، حيث شارك فى انقلاب ١٩٦٣ الذى شهد اغتيال رئيس فيتنام الجنوبية نجو دن دى إم وشقيقه نجو دن نهو. (وكان الرئيس كنيدى ومستشاروه يرون الأخوين دى إم غير قويين بما يكفى لمتابعة الحرب. وما اقترحته وكالة الاستخبارات المركزية، رتبه الجنرالات الفيتناميون الجنوبيون المحليون، ومات الأخوان دى إم بوابل من رصاصات المدافع الرشاشة). وكان نهو عند موته واحداً من أكبر سماسرة الهيروين فى فيتنام الجنوبية. وكان مورده شخصا كورسيكيا يقيم فى لاوس اسمه بونافنتورى فرانشيزى Bonaventure Francisi.

وكان لوسيان كونين نفسه من أصل كورسيكى، وكان يحتفظ ضمن عمله الاستخباراتى بعلاقات مع رجال العصابات الكورسيكيين فى جنوب شرق آسيا وفى مرسيليا. ويبدو أن دوره فى حرب المخدرات التابع للبيت الأبيض لم يكن هو التقدم بإجراء فعال لمنع واردات المخدرات، بقدر ما كان حماية عملاء وكالة الاستخبارات المركزية المتصلين بتجارة المخدرات. فعلى سبيل المثال، كان من بين أولى توصيات الوكالة – وهو ما كان رد فعل غريزيا فى الواقع – شن "حملة اغتيالات" ضد أمراء المخدرات العالميين. وقالت الوكالة إن هناك حفنة قليلة فقط من أمراء الهيروين الذين يمكن التخلص منهم جميعًا بسهولة. وتسجل مذكرة سياسات خاصة بالبيت الأبيض تعود إلى عام ١٩٧١ نصيحة الوكالة هذه: "بتنفيذ ١٥٠ اغتيالاً أساسيًا يمكن إحداث فوضى فى صناعة تكرير الهيروين." وكان على تلك القائمة لاعبون لم يمض عليهم وقت طويل فى الملعب إلى جانب من ليست لهم أية علاقة بقوات كوو مين تانج التى تدعمها

الوكالة وتتحكم فى خطوط الإمدادات المهمة التى تخرج من ولايات شان، ولم يكن ذلك الحرص بجديد، حيث كان هناك اتفاق بين مكتب المخدرات والعقاقير الخطيرة الذى يرأسه أنسلينجر (وهو سلف وكالة مكافحة المخدرات) ووكالة الاستخبارات المركزية على عدم وضع أى من عملاء أنسلينجر فى جنوب شرقى آسيا، خشية أن يربك ذلك ترتيبات الوكالة القائمة فى المنطقة.

وكان التكتيك الآخر الذى تقدم به كونين هو تلويث واردات الكوكايين الأمريكية بالميثيدرين، methedrine[1]، وكانت نظريته فى ذلك هى أن رد فعل المتعاطين سيكون عنيفًا عند تعاطيهم تلك الجرعة وسيكونون عنيفين مع مورديهم. وليس هناك من دليل على أن أيًا من هاتين الخطتين – أى الاغتيال وإضافة الميثيدرين – نُفِّذَت. ولكن الوكالة استطاعت إقناع حكومة نيكسون بأن جهودها للقضاء على المخدرات لا بد أن توجه إلى تركيا وليس جنوب شرقى آسيا، حيث انتهت تلك الجهود بمحاولة لاستبدال الصادرات، وجرت مساعدة مزارعى الأفيون فى الأناضول على إقامة مصنع لإنتاج الدراجات.

وكانت وكالة الاستخبارات المركزية على علم تام بأن تركيا توفر فقط ما بين ٣ و٥ بالمائة من واردات العالم من الأفيون الخام فى ذلك الوقت. والواقع أن الوكالة كانت قد أعدت استطلاعًا داخليًا قدر أن ٦٠ بالمائة من الأفيون الموجود فى السوق العالمية يأتى من جنوب شرقى آسيا وأشار إلى الأماكن المحددة التى يوجد بها أربعة من أكبر معامل الهيروين فى المنطقة، وهى فى قرى بلاوس وبورما وتايلاند. وسُرب ذلك التقرير لصحيفة "نيويورك تايمز" التى نشر صحفى فيها النتائج الأساسية، دون أن يدرك أن تلك القرى جميعها كانت بجوار مراكز وكالة الاستخبارات المركزية حيث كان يديرها أشخاص أسماؤهم على كشوف رواتب الوكالة.

وفى أبريل ١٩٧١، أثارت صلات وكالة الاستخبارات المركزية بملوك الأفيون فى جنوب شرقى آسيا مواجهة عالمية كبرى، وكان ولى العهد سوبسايسانا قد عُيّن سفيرًا للاوس فى فرنسا. وعند وصول الأمير إلى باريس أعلن بغضب ضياع بعض من حقائبه الكثيرة، ووبخ موظفى المطار الذين وعدوه بلطف أن يستعيدوا ممتلكاته. والواقع أن الجمارك الفرنسية استولت على حقائب الأمير بعد وصول إخبارية عن حمل

---

(١) الاسم التجارى للميثامفيتامين، وهو مشتق أمينى من مشتقات الأمفيتامين. **(المترجم)**

سوبسايسانا لهيروين عالى الجودة؛ وكانت الحقائب تحتوى على ٦٠ كيلوجرامًا من الهيروين قيمتها ١٣٫٥ مليون دولار، وكانت تلك أكبر كمية مخدرات تضبط في تاريخ فرنسا. وكان الأمير يعتزم إرسال شحنة المخدرات إلى نيويورك. وأقنع مركز وكالة الاستخبارات المركزية في باريس الفرنسيين بالتكتم على الأمر، وإن لم تُعَدْ للأمير مخدراته. ولم يكن ذلك مهمًا. إذ عاد سوبسايسانا بعد أسبوعين إلى فيين تيان[١] من أجل إمدادات لا آخر لها من المخدرات.

فلماذا تهتم وكالة الاستخبارات المركزية بحماية أكبر تاجر يضبط على أرض فرنسا؟ كان الأفيون المستخدم فى صناعة مخدرات الأمير يزرع فى مرتفعات لاوس. وكان يشتريه جنرال من الهمونج[٢] اسمه فانج باو وكان يدير قاعدة جوية سرية تابعة للوكالة فى لاوس، حيث كان يحول إلى هيروين رقم ٤ عالى الجودة فى معامل على بعد مبنى واحد من مقر الوكالة. وكان الهيروين يرسل بعد ذلك إلى فيتنام على متن طائرات شركة طيران فانج باو الخاصة التى تمتلك طائرتين من طراز C-47 أعطتهما الوكالة له.

وكان فانج باو قائد قوة تشرف عليها وكالة الاستخبارات المركزية قوامها ٣٠ ألف رجل من الهمونج، وكانت فى عام ١٩٧١ تتكون فى معظمها من المراهقين وكانت تقاتل قوات باتيت لاو الشيوعية. وكان الهمونج يشتهرون بالشراسة، التى تعود إلى حد ما إلى قرن من الصراع مع الصينيين الذين طردوهم فى القرن التاسع عشر إلى لاوس بعد الاستيلاء على حقول الأفيون فى هونان. وقال أحد أفراد الهمونج لكريستوفر روبنز Christopher Robbins مؤلف كتاب Air America: "يقولون إننا شعب يحب القتال، وإننا شعب قاس وعدو للجميع، ونغيِّر على الدوام أرضنا، حيث لا نجد السعادة فى أى مكان. إذا أردت أن تعرف حقيقة شعبنا، اسأل الدب الذى جُرِح لماذا يدافع عن نفسه، واسأل الكلب الذى رُكِل لماذا ينبح، واسأل الغزال الذى يطارَد لماذا يغيِّر الجبال"، وكان الهمونج يمارسون زراعة القطع والحرق[٣] بمحصولين - هما الأرز والأفيون، حيث يقيم الأول أودهم ويستخدم الثانى لأغراض علاجية وتجارية.

---

(١) عاصمة لاوس. **(المترجم)**

(٢) شعب يعيش فى المناطق الجبلية الواقعة جنوبى الصين والمناطق المتاخمة فى فيتنام ولاوس وتايلاند. **(المترجم)**

(٣) شكل قديم من أشكال الزراعة يمارس فى عدة أماكن من العالم بينها جنوب شرق آسيا، حيث يقطع المزارعون الأشجار والحشائش ثم يحرقونها ليصبح الرماد سمادًا للأرض التى يرغبون فى زراعتها، وبعد أن تقل خصوبة الأرض بعد بضع سنوات، يتركونها ويكررون نفس العملية فى منطقة جديدة. **(المترجم)**

وفانج باو مواليد عام ١٩٣٢ بقرية لاوسية اسمها نونج هيت. وعمل فانج وهو فى الثالثة عشرة مترجماً للقوات الفرنسية التى كانت تحارب اليابانيين حينذاك، وبعد ذلك بعامين كان يحارب غزوات فيت مين[1] للاوس فى حرب الهند الصينية الأولى، وقد تلقى تدريباً للضباط فى الأكاديمية العسكرية الفرنسية بالقرب من سايجون، ليصبح صاحب أعلى رتبة بين الهمونج فى القوات الجوية اللاوية الملكية، وفى عام ١٩٥٤ قاد فانج باو مجموعة قوامها ٨٥٠ جندياً من الهمونج فى مهمة غير ناجحة لفك حصار الفرنسيين المطوقين أثناء محنتهم فى ديان بياو فو[2] بفيتنام.

ونُظِّم الهمونج لأول مرة فى صورة جيش بديل على يد كولونيل فرنسى اسمه روجيه ترنكييه Roger Trinquier كان يواجه أزمة فى الميزانية الفرنسية بالنسبة للعمليات السرية المحلية والاستخبارات بطريقة كانت تغطى أكثر من هدف. وكتب فيما بعد قائلاً: "كان المال الناتج عن الأفيون يمول فرق المقاومة [أى المرتزقة الهمونج] فى لاوس. وكان يُبعث به إلى كامب سان جاك Cp. St. Jacques [قاعدة جوية على بعد ستين ميلاً جنوبى سايجون] فى فيتنام بطائرة DC-3 ويباع. وكان المال يوضع فى حساب ويستغل لتغذية جيش من رجال حرب العصابات. وأضاف ترنكييه بتهكم أن التجارة "كانت تخضع لإشراف صارم رغم تجريمها". وكان يشرف على التسويق فى سايجون المدير الفرنسى المحلى للمكتب الثانى Deuxieme Bureau الكولونيل أنطوان سافانى Antoine Savani، وكان سافانى، الكورسيكى الذى تربطه صلات بعصابات المخدرات فى مارسيليا، هو الذى نظم عصابة نهر بن شو ين على الجزء الأسفل من نهر ميكونج لإدارة معامل الهيروين، وإدارة أوكار الأفيون، وبيع الفائض إلى عصابة المخدرات الكورسيكية. وكان ذلك المشروع يسمى العملية إكس Operation X واستمر من ١٩٤٦ حتى ١٩٥٤.

وجعل هو شى مين معارضة تجارة الأفيون ملمحاً أساسياً من ملامح حملته لإخراج الفرنسيين من فيتنام، وقال قائد الفيت مين بدقة شديدة إن الفرنسيين يفرضون الأفيون على الناس فى فيتنام كوسيلة للضبط الاجتماعى، وأضاف هو أن الشعب المخدَّر أقل احتمالاً لأن يهب ويتحرر من الطاغية.

---

(١) الجيش الفيتنامى الذى ألحق هزائم باليابانيين فى الفترة من ١٩٤١ و١٩٥٤، والاسم اختصار لعبارة "فيت نام دوك لاب دونج مين هوى" ومعناها اتحاد فيتنام من أجل الاستقلال. **(المترجم)**

(٢) دام حصار قوات فيت مين للقاعدة الفرنسية فى ديان بياو فو ٥٦ يوماً قبل أن تسقط فى أيديهم فى ٧ مايو ١٩٥٤، وينتهى بذلك الوجود الفرنسى فى الهند الصينية. **(المترجم)**

وإبان الحرب العالمية الثانية، أقام ضباط مكتب الاستخبارات الاستراتيجية الذين كانوا يعملون على إخراج اليابانيين من جنوب شرقى آسيا علاقة ودية مع هو شى مين، حيث وجدوا أن قائد فيت مين يتحدث الإنجليزية بطلاقة وكان على معرفة جيدة بالتاريخ الأمريكى، وكان يحفظ غيباً مقتطفات من بيان الاستقلال Declaration of Independence، وكان يعنف عملاء الاستخبارات، مشيراً إلى أن الوطنيين الفيتناميين يطلبون من الرؤساء الأمريكيين منذ لنكولن أن يساعدوهم على إلقاء الاستعماريين الفرنسيين خارج بلادهم. وكما كان الحال بالنسبة لقوات ماو فى الصين، أدرك عملاء مكتب التحقيقات الاستراتيجية فى فيتنام أن قوات هو المدربة تدريباً جيداً حليف مهم، وأنها أكثر قدرة وأقل فوضى من جيش كوو مين تانج الخاص بجيانج كاى شيك والقوات الموالية للفرنسيين فى الهند الصينية. وعندما مرض هو بالملاريا، أرسل مكتب الخدمات الاستراتيجية أحد عملائه، وهو بول هيلويل، الذى سيصبح فيما رئيساً لشركة Overseas Supply Company التابعة لوكالة الاستخبارات المركزية، لعلاج الشيوعى العليل. وتشابهًا مع رأى ستيلويل فى ماو، أوصى كثيرون من رجال الجيش ومكتب الخدمات الاستراتيجية بضرورة مساندة الولايات المتحدة لهو بعد إخراج اليابانيين.

وبعد وصول الجنرال فيليب جالاجرPhillip Galagher بالجيش الأمريكى إلى فيتنام عام ١٩٤٥، طلب من مكتب الخدمات الاستراتيجية تجميع خلفية مفصلة عن هو. وحصل عميل بالمكتب اسمه لى شوان ـ الذى سيعمل فيما بعد مع وكالة الاستخبارات المركزية أثناء حرب فيتنام، على ملف عن هو من وطنى فيتنامى منشق، ودفع لى شوان للرجل أجره كيساً من الأفيون ـ وأوضح الملف لوكالات الاستخبارات المركزية أن هو سبق له الإقامة لفترات طويلة فى الاتحاد السوفيتى، وهى المفاجأة المذهلة التى قضت على أية مساعدة كان يمكن أن يقدمها الأمريكيون فى المستقبل لقضيته. وسوف ينقلب لى شوان على وكالة الاستخبارات المركزية فيما بعد، حيث يظهر فى باريس عام ١٩٦٨ ويكشف خدماته للوكالة وينتقد سياساتها الإجرامية فى فيتنام.

وفى عام ١٩٥٣، اكتشف الكولونيل إدوين لانسديل، وكان وقتها المستشار العسكرى لوكالة الاستخبارات المركزية فى جنوب شرقى آسيا، أمر شبكة العملية إكس الخاصة بترينكييه. وزعم لانسديل فيما بعد أنه اعترض على ذلك الدور الفرنسى فى تجارة الأفيون، ولكنهم نصحوه بأن يمسك عن الكلام، لأن فى كلامه فضحا لـ"العملية سوف يسبب إحراجًا كبيراً لحكومة صديقة"، والواقع أن مدير وكالة الاستخبارات

المركزية آلن دلاس تأثر بشدة بعملية ترينكييه. وانتظاراً منه للوقت الذى تتولى فيه السيطرة على المنطقة بعد الفرنسيين، أخذ يمد جيش الهمونج التابع لترينكييه بالمال والسلاح.

وتنص اتفاقات ما بعد ديان بيان فو، الموقعة فى جنيف عام ١٩٥٤، على أن تكون لاوس محايدة، ولا تدخلها كل القوات الأجنبية. وكانت نتيجة ذلك فتح لاوس أمام وكالة الاستخبارات المركزية، التى لم تعتبر نفسها قوة عسكرية. وأصبحت الريادة التى لا منازع عليها فى كل التدابير الأمريكية داخل لاوس للوكالة. وما أن باتت الهيمنة للوكالة حتى لم تعد تتغاضى عن أى تدخل من جانب البنتاجون. ونقل هذا الموقف للوطن الملحق العسكرى فى لاوس الكولونيل بول بيتيجرو Paul Pettigrew، الذى نصح من حل محله فى فيين تيان عام ١٩٦١ قائلاً: "أرجوك ألا تعارض وكالة الاستخبارات المركزية، وإلا وجدت نفسك طافياً على وجهك فى نهر ميكونج."

ومنذ لحظة توقيع اتفاقات جنيف والحكومة الأمريكية عاقدة العزم على نسفها وعمل كل ما فى وسعها لمنع تولية هو شى مين رئاسة فيتنام، وإن أظهرت الانتخابات بوضوح أنه اختيار معظم الفيتناميين، كما اعترف الرئيس دوايت أيزنهاور Dwight D. Eisenhower. كما قرر أيزنهاور ومستشاروه ضرورة القضاء على وضع لاوس المحايد. وكان ذلك على أرض الواقع يعنى ضرورة القضاء على حكومة رئيس الوزراء سافونا فوما المحايدة، التى كانت تربطها بباتيت لاو علاقات ودية – على يد وكالة الاستخبارات المركزية التى كان عميلها المفضل هو الجنرال نوسافان فوومى. ورتبت الوكالة الانتخابات فى عام ١٩٦٠ فى مسعى لإضفاء الشرعية على حكمه. وفى عام ١٩٦٠ كذلك، بدأت الوكالة مسعى أكثر استمراراً لبناء فانج باو وجيشه، حيث زودته بالبنادق ومدافع الهاون والصواريخ والقذائف.

وعقب انتصار جون كنيدى عام ١٩٦٠، نصحه أيزنهاور بأن أرض المعركة المقبلة فى جنوب شرق آسيا ليست فيتنام وإنما لاوس. وكان لنصيحته أثرها، وإن نظر كنيدى إلى لاوس بتعال فى البداية، لأنها "بلد لا يستحق أن يشغل اهتمام القوى العظمى". وكان كنيدى ينطق اسم هذا البلد فى العلن L-A-Y-o-s، ظنًا منه أن الأمريكيين لن يحتشدوا لقضية خاصة بمكان يُنطق اسمه louse [قمل]، وفى عام ١٩٦٠ لم يكن جيش فانج باو يضم سوى ألف رجل. وبحلول عام ١٩٦١ كان L'Arme Clandestine

[الجيش السرى] قد بلغ قوامه ٩ آلاف. وعند اغتيال كنيدى فى عام ١٩٦٣، كان فانج باو على رأس جيش من ٣٠ ألف رجل. وكان ذلك الجيش وقوته الجوية بتمويل كامل من الولايات المتحدة بلغ ٣٠٠ مليون دولار صرفتها وأشرفت عليها وكالة الاستخبارات المركزية.

وكان ضابط الوكالة المسئول عن فانج بو فى البداية هو ويليام يانج، المبشر المعمدانى الذى صار ضابطًا بوكالة الاستخبارات المركزية والتقينا به فى الفصل السابق. ولم تكن ليانج أية مشكلة مع تجارة الأفيون الخاصة بقبائل الهمونج. وبعد نقل يانج خارج المنطقة فى عام ١٩٦٢، طلبت الوكالة من الفرنسى ترينكييه العودة كمستشار عسكرى لقبائل الهمونج. وكان ترينكييه قد انتهى للتو من جولة له فى الكونغو الفرنسى ووافق على القيام بتلك الوظيفة لبضعة أشهر لحين وصول أحد أشهر الشخصيات فى هذه القصة، وهو أمريكى يسمى أنتونى بوسيفنى Anthony Posephny المعروف دائمًا بتونى بو Tony Poe.

وكان بو ضابطًا بوكالة الاستخبارات المركزية، ومن قبلها كان أحد أفراد مشاة البحرية الأمريكية وجرح فى ايوو جيما[1]، وفى أوائل الخمسينيات كان يعمل مع الوكالة فى آسيا، حيث بدأ بتدريب رجال قبائل خامبا التبتية فى كولورادو (وقد خالف بذلك القانون الذى يمنع أنشطة وكالة الاستخبارات المركزية داخل الولايات المتحدة)، قبل أن يرجع بهم لإعادة الدلاى لاما. وفى عام ١٩٥٨ ظهر فى إندونيسيا فى مسعى مبكر لخلع سوكارنو[2]. وفى عام ١٩٦٠ كان يدرب قوات كوو مين تانج من أجل شن غارات داخل الصين؛ وكانت يده اليمنى فى ذلك الوقت قد بترت بسبب عدم حرصه فى التعامل مع سير مروحة السيارة. وفى عام ١٩٦٣ أصبح بو الضابط المسئول عن فانج باو، وعلى الفور أوجد حوافز جديدة لإثارة إخلاص الهمونج لقضية الحرية، حيث أعلن أنه سوف يدفع جائزة مالية مقابل كل زوج من آذان الباتيت لاو يُسلَّم له، وكان يحتفظ بكيس من البلاستيك على مدخله حيث توضع الآذان، ونَظَّم مجموعته فى خيط على الشرفة. ولكى يقنع بو رؤساءه فى وكالة الاستخبارات المركزية الذين يخالجهم الشك ـ

(١) أكبر جزر اليابان البركانية شمال غربى المحيط الهادى، وكانت مسرحًا لقتال ضار فى الحرب العالمية الثانية. **(المترجم)**

(٢) ظل سوكارنو رئيسًا لإندونيسيا منذ عام ١٩٤٩ حتى عام ١٩٦٧، حين استولى سوهارتو على السلطة بانقلاب عسكرى قاده ضده **(المترجم)**

ونعنى فى تلك الحالة تيد شاكلى Ted Shackley فى فيين تيان - بأن ما ذكره عن أعداد القتلى صحيح، دبّس ذات مرة زوجًا من الآذان فى تقرير وبعث به إلى القيادة.

ولم يكن ذلك التذكار من الطرق القديمة لعد القتلى من سكان أمريكا الأصليين مأمونًا كما كان بو يتصور. فقد وصف هو نفسه كيف أنه ذهب إلى الريف ووجد صبيًا صغيرًا بلا أذنين، ثم قيل له إن والد الطفل قطعهما "كى يحصل على نقود من الأمريكان". وجعل بو حافزه مقابل رؤوس الباتيت لاو الكاملة، حيث زعم أنه يحفظها فى الفورمالين داخل غرفة نومه.

وهذا الرجل الذى وصفه رفيق له بأنه "سيكوباتى ودود"، كان يدير عمليات على نمط فينكس داخل قرى لاوس بالقرب من حدود فيتنام، وكان الاسم الرسمى للفرق هو "وحدات الدفاع الداخلى"، وإن وصفها بو بصراحة أكثر بأنها "فرق الصيادين القتلة". وزعم بو فيما بعد أنه طُرِد من لونْج تيينج لأنه اعترض على تغاضى وكالة الاستخبارات المركزية عن تجارة المخدرات التى يمارسها فانج باو، إلا أن ما ذكره يوحى أكثر بغيرته من الأسلوب الفرنسى الخاص بالإشراف المباشر على تجارة الأفيون. وفى مقابلة تلفزيونية مصورة فى بيت بو شمالى تايلاند عام ١٩٨٧، قال: "لا يمكن أن تتركهم يجرون دون أن تربطهم بسلسلة، إنهم مثل أى نوع من الحيوانات، أو الطفل الصغير، لا بد أن تسيطر عليهم. وكان فانج باو الشخص الوحيد الذى فى قدميه زوج من الأحذية حين قابلته. فلماذا يحتاج إلى مرسيدس وفنادق وبيوت ولم يكن لديه ذلك من قبل؟ لماذا تعطوها له؟ إنه كان يكسب الملايين. وكانت له طريقته فى بيع الهيروين، وكان يضع أمواله فى حسابات ببنوك أمريكية وسويسرية. وقد حاولنا رصدها، وكنا نسيطر على كل الطيارين. وكنا نقدم له رحلات مجانية إلى تايلاند، وكانوا ينقلونها [أى شحنات الأفيون] إلى دانانج، حيث كان يتولى تعبئتها الرجل الثانى بعد تيو [وكان وقتها رئيس فيتنام الجنوبية]. كانت كلها علاقة تعاقدية. مجرد مافيا. مافيا كبيرة منظمة."

وفى الوقت الذى غادر فيه بو هذه المنطقة من لاوس عام ١٩٦٥، كان الوضع كما وصفه بعد عشرين سنة. فقد كان جيش وكالة الاستخبارات المركزية العميل يجمع الأفيون ويشحنه على طائرات الوكالة، التى كانت تطير فى ذلك الوقت تحت العلم الأمريكى.

وقال نيل هانسون Neal Hanson الطيار فى شركة إير أمريكا، فى مقابلة مصورة فى أواخر الثمانينيات: "نعم رأيت القوالب اللزجة وهى تصعد إلى متن الطائرة، ولم يعترضها أحد، كانت تبدو وكأنها أملاكهم الخاصة. وكنا شركة طيران مجانية. وكنا نطير بمن يضعونه على طائرتنا أيًا كان. وكانت الطائرة الأصغر حجمًا هى التى تزور أساسًا القرى النائية وتعود به [الأفيون] إلى لونج تيينج. وكانوا إذا وضعوا شيئًا على الطائرة وقالوا لك لا تنظر إليه، فلا تنظر إليه."

وقامت عملية إير أمريكا بدور رئيسى فى توسيع سوق الأفيون، فقد ذهبت أموال وكالة الاستخبارات المركزية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية إلى بناء أكثر من ١٥٠ ممرا قصيرا لهبوط الطائرات، يسمى ليما LIMA، فى الجبال القريبة من حقول الأفيون، وبذلك فتحوا تلك البقاع النائية أمام تجارة التصدير كما ضمنوا كذلك أن تذهب تلك الصادرات إلى فانج باو. وفى وقت لاحق قال رئيس الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية فى المنطقة فى ذلك الوقت رون ريكينباك Ron Rickenbach: "كنت مسئولاً عن ممرات الطائرات، وكان رجالى مسئولين عن تموين الطائرات، وكنت فى مناطق يزرع فيها الأفيون، وقد شاهدته بنفسى وهو يوضع على طائرات إير أمريكا. ونحن لم نخلق منتج الأفيون، إلا أن وجودنا جعله يزداد بسرعة كبيرة جدًا." وفى عام ١٩٥٩ كانت لاوس تنتج حوالى ١٥٠ طنًا. وبحلول عام ١٩٧١ كان الإنتاج قد ارتفع إلى ٣٠٠ طن. وهناك زيادة أخرى فى إنتاج الأفيون - الذى ذهب جزء كبير منه فى النهاية إلى عروق الأمريكيين الذين كانوا يحاربون فى ذلك الوقت فى فيتنام - أمكن تحقيقها بتقديم الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية الأرز للهمونج، مما سمح لهم بالتوقف عن زراعة هذا المحصول الغذائى الرئيسى واستغلال الأرض فى زراعة الخشخاش الذى يستخرج منه الأفيون.

وكان فانج باو يسيطر على تجارة الأفيون فى منطقة سهل الجرار فى لاوس. وبشراء الجنرال للمحصول القابل للبيع، كان يكسب ولاء القبائل الجبلية ويزيد حسابه فى البنوك. فقد كان يدفع ٦٠ دولارا للكيلو، بزيادة عشرة دولارات عن السعر السائد، وكان يشترى محصول القرية، إن هى قدمت فى المقابل مجندين لجيشه. ويقول زعيم إحدى القرى: "كان ضباط ميو [أى الهمونج] بثلاثة أو أربعة أشرطة يفدون من لونج تيينج لشراء الأفيون. وكانوا يأتون على هليكوبتر أمريكية تتركهم هنا عدة أيام، وكانوا

يذهبون إلى القرى سيراً على الأقدام، ثم يعودون إلى هنا ويتصلون لاسلكيًا بلونج تيينج كى يرسلوا لهم هليكوبتر أخرى للعودة بالأفيون."

وفى ذلك الوقت كان المصور الفوتوغرافى الأسترالى جون إيفرينجهام John Everingham مقيمًا فى لاوس وزار قرية لونج بوت التابعة للهمونج؛ وقال فى أواخر الثمانينيات: "أعطونى سرير الضيوف فى منزل زعيم القرية، وانتهى الأمر إلى أن شاركنى فيه شخص عسكرى، اكتشفت فيما بعد أنه قائد فى جيش فانج باو. وقد استيقظت على فوضى من الناس وضجة أسفل السرير، حيث كانت هناك عبوة بها مادة لزجة سوداء على أوراق البامبو. وكان زعيم القرية يزنها ويدفع مبلغًا كبيراً من المال. وتكرر ذلك لعدة أيام فى الصباح. وكان الأفيون يذهب إلى لونج تيينج بطائرات الهليكوبتر، وكانت تابعة لشركة إير أمريكا المتعاقدة مع وكالة الاستخبارات المركزية. وأعلم على سبيل الحقيقة أنه بعد وقت قصير من تشكيل جيش فانج باو، سيطر ضباط الجيش على تجارة الأفيون. ولم يساعدهم ذلك على جنى الأموال وحسب. بل ساعد كذلك القرويين الذين كانوا بحاجة إلى نقل أفيونهم، حيث كانت تلك مهمة صعبة فى وقت الحرب. ومن الواضح أن الضباط كانوا يدفعون سعراً مجزيًا إلى حد كبير، لأن القرويين كانوا حريصين على بيعه لهم."

وفى أوائل الستينيات، كانت سلسلة التجارة من لونج تيينج كما يلى: يشحن الأفيون إلى فيتنام على طائرات خطوط لاوس التجارية، وهى شركة طيران يشترك فى إدارتها نجو دن نهو والكورسيكى بونافينتورى فرانشيزى. وكان نهو، شقيق رئيس فيتنام الجنوبية دى إم، يشرف على عدد ضخم من حانات الأفيون فى سايجون كى يمول عملية أمنه الخاص. ولكن بعد اغتيال شقيق دى إم، بدأ المارشال نجوين كاو كاى، وهو الرجل الذى اختارته وكالة الاستخبارات المركزية زعيمًا جديداً لفيتنام الجنوبية، فى جلب الأفيون من لونج تيينج على طائرات القوات الجوية الفيتنامية. (وكان كاى قبل ذلك رئيسًا للقوات الجوية الفيتنامية.) وشهد رجل من وكالة الاستخبارات المركزية اسمه سام موستارد Sam Mustard بهذا الترتيب فى جلسات استماع الكونجرس عام ١٩٦٨.

وعلى الطرف اللاوى، كان الجنرال فوومى قد جعل قوان راتيكون مسئولاً عن كافة عمليات الأفيون، وكانت تعاملاته تسفر عن حوالى طن من الأفيون ينزلونه كل شهر فى

سايجون. إلا أن راتيكون كان يحصل مقابل تلك الخدمات على حوالى ٢٠٠ دولار شهرياً من فوومى البخيل. وبمساعدة من وكالة الاستخبارات المركزية، تمرد راتيكون وقام بانقلاب عام ١٩٦٥ ضد فوومى، وطرد رئيسه السابق إلى المنفى فى تايلاند.

فى ذلك الوقت أراد راتيكون فسخ التعاقد مع شركة إير لاوس Air Laos التى يملكها الكورسيكى، وكانت لا تزال تعمل رغم تغيير المارشال كاى. وكانت خطة راتيكون هى استخدام القوات الجوية اللاوية الملكية، التى كانت تمول بالكامل من وكالة الاستخبارات المركزية. وأشار إلى شحنات الأفيون على القوات الجوية الوطنية على أنها requisitions militaires [مطالب عسكرية]. إلا أن جاك دراموند Jack Drum-mond آمر الجو بالوكالة اعترض على ما قال إنه استخدام غير كفء من الناحية اللوجيستية لطائرات القوات الجوية اللاوية الملكية من طراز T-28 وقرر بدلاً من ذلك أن تقدم وكالة الاستخبارات المركزية طائرة C-47 لتهريب الأفيون "إن هم تركوا طائرات T-28 فى حالها".

هذا هو ما حدث على وجه الدقة. وبعد عامين، أى فى عام ١٩٦٧، اشترت وكالة الاستخبارات المركزية والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية طائرتين من طراز C-47 لفانج باو الذى افتتح شركة النقل الجوى الخاصة به، أسماها Xieng Khouang Air وكان الجميع يعرفونها باسم Opium Air.

وفى الوقت الذى قررت فيه وكالة الاستخبارات المركزية إعطاء فانج باو شركة الطيران الخاصة به، كان رئيس مركز الوكالة فى فيين تيان هو تيد شاكلى Ted Shackley، وهو رجل كانت بدايته فى مشروع الوكالة "مشبك الورق" الخاص بتجنيد العلماء النازيين، وقبل وصول شاكلى إلى لاوس كان قد رأس مركز الوكالة فى ميامى حيث كان ينظم الغارات الإرهابية المتكررة والاغتيالات ضد كوبا، وكان يتعاون مع المهاجرين الكوبيين المحليين، حيث كانوا هم أنفسهم مشاركين بقوة فى تجارة المخدرات. وكان شاكلى متحمساً فى عرضه لفكرة شراء ولاء عملاء وكالة الاستخبارات المركزية عن طريق سياسة المساعدة الاقتصادية، حيث دعا ذلك "الخيار الثالث". ولذلك كان التغاضى – وهو دعم إيجابى فى واقع الأمر – استراتيجية عسكرية ودبلوماسية محضة. كما عُرف عنه أنه يفضل العمل مع فريق من المساعدين طويلى المدى الذين ينشرهم فى المواقع الصحيحة. ولذلك يمكننا تتبع فريق شاكلى، على مر عشرات

السنوات، من ميامى إلى لوس أنجلوس، إلى فيتنام (حيث أصبح فيما بعد رئيس مركز وكالة الاستخبارات المركزية فى سايجون) إلى عملياته التجارية الخاصة فى أمريكا الوسطى. وعندما كان شاكلى فى فيين تيان، كان مساعده توماس كلاينز Thomas Clines يتولى العمل فى لونج تيينج. وكان أحد رجال وكالة الاستخبارات المركزية الآخرين، وهو إدوين ويلسون Edwin Wilson، يسلم معدات التجسس إلى شاكلى فى لاوس. وكان ريتشارد سيكورد Richard Secord يشرف على عمليات الوكالة، وبالتالى يشارك فى برنامج لتفجير القنابل أحدث بين الفلاحين ورجال حرب العصابات فى سهل الجرار من التفجيرات الشديدة أكثر مما أحدثته الولايات المتحدة فى ألمانيا واليابان طوال الحرب العالمية الثانية. وسوف يظهر كلاينز وسيكورد ويوجين هازينفوس Eugene Hasenfus المسئول عن شحنات إير أمريكا فى موضع لاحق من القصة فى أمريكا الوسطى، ومرة أخرى وسط مشاركة نشطة لوكالة الاستخبارات المركزية فى تجارة المخدرات.

وفى الوقت الذى انتقل فيه شاكلى إلى سايجون عام ١٩٦٨، كانت الحرب قد صارت فى غير مصلحة فانج باو. إذ صارت الغلبة للباتيت لاو. وعلى مر السنوات الثلاث التالية كانت قصة الهمونج سيراً قسرياً وإحدى الهزائم العسكرية. وبينما كانت الحرب البرية تسير سيراً سيئاً، لجأت وكالة الاستخبارات المركزية إلى حملة التفجيرات التى قتلت المزيد من الهمونج. وكتب إدجار "بوب" بيويل Edgar "Pop" Buell، المبشر الذى كان يعمل فى الجبال، مذكرة إلى الوكالة فى عام ١٩٦٨ يقول فيها: "منذ فترة قصيرة جمعنا ٣٠٠ مجند جديد [من الهمونج]، وكان ٣٠ بالمائة منهم فى سن الرابعة عشرة. و٣٠ بالمائة آخرون فى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة، أما الأربعون بالمائة الباقية ففى الخامسة والأربعين أو أكثر. فأين بقية الأعمار؟ سأقول لكم - لقد ماتوا جميعاً."

وبانتهاء الحرب فى لاوس كان ثلث إجمالى السكان فى البلاد قد أصبحوا لاجئين. وتكبد الهمونج فى سيرهم القسرى ٣٠ بالمائة من معدلات الخسائر، حيث كان على الأطفال الصغار أن يخرجوا آباءهم المنهكين - الذين خارت قواهم أثناء تحركهم - مما هم فيه من بؤس. وبحلول عام ١٩٧١ كانت وكالة الاستخبارات المركزية تمارس سياسة الأرض المحروقة فى منطقة الهمونج ضد قوات باتيت لاو التى دخلتها. فكانت الأراضى

تشبع بمبيدات الحشائش التى تقتل محصول الأفيون وتسمم الهمونج كذلك. وفى وقت لاحق، حين حكى اللاجئون الهمونج فى معسكرات اللاجئين التايلاندية عن هذا "المطر المنخفض جداً"، نشر الصحفيون الذين ترعاهم وكالة الاستخبارات المركزية القصة على أنها تجربة شيوعية فى الحرب البيولوجية. ونشرت افتتاحية "وول ستريت جورنال" حملة دعائية موسعة عن القضية فى السنوات الأولى من حكم ريجان. وانتهى الحال بفانج باو فى ميسولا بولاية مونتانا Missoula, Montana. وذهب الجنرال قوان راتيكون إلى منفاه فى تايلاند.

وأوجد الأفيون الذى تنقله وكالة الاستخبارات المركزية معدل إدمان بين المجندين الأمريكيين فى فيتنام بلغ ٣٠ بالمائة، حيث كان الجنود ينفقون ٨٠ مليون دولار سنوياً فى فيتنام على الهيروين. وفى أوائل السبعينيات كان بعض من هذا الهيروين نفسه يهرب إلى الولايات المتحدة فى أكياس المجندين الموتى، وعندما حاول عميل وكالة مكافحة المخدرات مايكل ليفين ضبط العملية، حذره رؤساؤه بأن ذلك قد يؤدى إلى كشف خط الإمداد من لونج تيينج.

وفى عام ١٩٧١ التقى تلميذ فى الصف الثانى بجامعة يل اسمه ألفريد ماكوى Al-Fred McCoy بالشاعر آلن جنسبرج فى مظاهرة من أجل بوبى سيل Bobby Seale فى نيو هيفن New Haven. ووجد جنسبرج أن ماكوى قد علم الكثير عن تجارة المخدرات ويعرف العديد من لغات جنوب شرق آسيا وكذلك تاريخ المنطقة السياسى. شجع جنسبرج ماكوى على بحث الادعاءات الخاصة بمشاركة وكالة الاستخبارات المركزية فى تجارة المخدرات. وانتهى ماكوى من تقديم أبحاث الفصل الدراسى وسافر إلى جنوب شرق آسيا عام ١٩٧١، حيث شرع فى تحقيق شجاع وواسع أسفر عن نتائج رائعة. فقد أجرى مقابلات مع الجنود والضباط فى سايجون، والتقى هناك كذلك جون إفرينجهام، المصور الذى كان قد شهد تعاملات الأفيون فى لاوس. وعاد به فرينجهام إلى لاوس حيث القرية ذاتها. وأجرى ماكوى مقابلات مع الهمونج، القرويين الزعماء. وتتبع الجنرال قوان راتيكون فى تايلاند. وأجرى مقابلة مع بوب بيويل وعميل كالة الاستخبارات المركزية ويليام يانج.

وهناك فى لولايات المتحدة، وبحلول ربيع ١٩٧٢، كان ماكوى قد انتهى من المسودة الأولى للكتاب الذى سيكون فاتحة الطريق The Politics of Heroin in Souteast

Asia. وفى يونيو من العام نفسه، دعاه السناتور ويليام بروكسماير William Proxmire للشهادة أمام الكونجرس. وبعد تلك الشهادة اتصلت دار النشر هاربر أند رو Harper & Row تطلب منه الحضور إلى نيويورك لمقابلة رئيس الشركة وينثروب نولتون Win-throp Kowlton. وأبلغ نولتن ماكوى أن كورد ماير Cord Meyer، وهو ضابط كبير فى وكالة الاستخبارات المركزية، زار صاحب هاربر، كاس كانفيلد Cass Canfield، وأبلغه أن كتاب ماكوى يعد خطراً على الأمن القومى، وطلب ماير من هاربر أند رو إلغاء التعاقد. ورفض كانفيلد، إلا أنه وافق على السماح للوكالة بمراجعة الكتاب قبل نشره.

وبينما كان ماكوى يفكر فيما يفعله، تسرب خبر اتصال وكالة الاستخبارات المركزية إلى سيمور هيرش، وكان وقتها يعمل فى صحيفة "نيويورك تايمز". وعلى الفور نشر القصة. وكما كتب ماكوى فى تقديمه لكتابه الذى نشر عام ١٩٩٠، فإن "وكالة الاستخبارات المركزية التى أهينت فى الحلبة العامة، لجأت إلى التحرش الخفى. ففى الشهور التالية، كانت منحتى الفدرالية محل بحث، وكانت تليفوناتى مراقبة، وروجعت ضريبة دخلى وروعت مصادرى". كما هددوا بعض مترجميه بالاغتيال.

نشرت هاربر أند رو الكتاب على الفور فى عام ١٩٧٢. ووسط انزعاج الكونجرس، أبلغت وكالة الاستخبارات المركزية لجنة الاستخبارات المشتركة أنها تعمل على الانتهاء من مراجعة داخلية يجريها المفتش العام بالوكالة. وأرسلت الوكالة اثنى عشر محققًا إلى الميدان، حيث أمضوا أسبوعين فى مقابلات، ولم ينشر التقرير كاملاً، ولكن هذه هى الخلاصة:

> ليس هناك ما يدل على أن الوكالة أو أى مسئول كبير بالوكالة سمح بتهريب المخدرات أو رعاه، باعتبار تلك سياسة متبعة. كما لم نجد كذلك أدنى قدر من الشك - ناهيك عن الأدلة - فى أن أى ضابط بالوكالة أو أحد العاملين فيها أو مصادرها شارك فى يوم من الأيام فى تجارة المخدرات. وفيما يتصل بشركة إير أمريكا، وجدنا أنها كانت تمنع دوما - باعتبار تلك سياسة متبعة - نقل البضائع المحظورة. ونحن نعتقد أن جهاز التفتيش الأمنى بها الذى تستخدمه شركة النقل الجوى المتعاونة كذلك، يقوم الآن مقام مانع إضافى لتجار المخدرات.
>
> والمجال الوحيد فى نشاطنا فى جنوب شرقى آسيا الذى يشغلنا بعض الشىء يتعلق بالعملاء والموظفين المحليين الذين نحن على اتصال بهم وكانوا، أو لا يزالون يشاركون

بطريقة أو بأخرى فى تجارة المخدرات. ونحن لا نشير هنا إلى هؤلاء العملاء الذين زرعناهم داخل صناعة المخدرات ليجمعوا لنا المعلومات الاستخبارية عن الصناعة، بل نعنى هؤلاء الذين نحن على صلة بهم فى عمليات أخرى. وماذا عسانا نفعله مع هؤلاء الناس لأمر شديد الإزعاج بالنظر إلى تضمينات بعض عملياتنا، وخاصة فى لاوس. إلا أن نواياهم الحسنة ـ إن لم يكن تعاونهم المشترك ـ يسهل إلى حد كبير الأنشطة العسكرية للمقاتلين غير النظاميين الذين تدعمهم الوكالة.

واعترف التقرير بأن "الحرب تأتى بكل وضوح على رأس أولوياتنا فى جنوب شرقى آسيا، ثم تأتى بعد ذلك سائر القضايا". كما رأى التقرير أنه لم يكن هناك حافز مادى لتورط الطيارين فى إير أمريكا فى تهريب المخدرات، حيث إنهم "يكسبون مبالغ كبيرة".

وكانت عروض كتاب ماكوى معادية له، حيث رأت أن مئات الصفحات من المقابلات جيدة المصدر والتقارير هى من قبيل ترويج تآمرى للشائعات يقوم به معارض راديكالى للحرب. وقد رفضت اتهامات ماكوى فى جلسات استماع تشرش عام ١٩٧٥، التى انتهت إلى أن ادعاءات تهريب عملاء وممتلكات وكالة الاستخبارات المركزية للمخدرات "لا أساس لها".

ولخص ماكوى نفسه الموضوع عام ١٩٩٠، بكلمات لا شك فى أنها تلمس وتراً حساساً فى قلب جراى وِب بقوله: "رغم فوزى فى الاشتباك الأول من الحرب الإعلامية الخاطفة، فقد فازت وكالة الاستخبارات المركزية فى المعركة البيروقراطية الطويلة. فعن طريق إسكات الوكالة لمصادرى وإعلانها بغضها للمخدرات، أقنعت الكونجرس ببراءتها من المشاركة فى تجارة المخدرات فى جنوب شرقى آسيا والتواطؤ معها."

■ ■ ■

المصـــادر

هناك كتابان كانا بمثابة مصدرين مهمين لأصول حرب المخدرات التى شنها نيكسون، وهما كتاب إدوارد جاس إبستين The Agency fo Fear وكتاب دان باوم Smoke and Mirrors. وقدم لنا رون ريدناور رواية مذبحة ماى لاى قبل أشهر من وفاته. والمعلومات الخاصة بمشرع اغتيالات فيتنام الخاص بوكالة الاستخبارات المركزية مصدره أحاديث مع دوجلاس فالنتاين، ومن كتابه The Phoenix Program الذى يعد أحد أفضل الكتب عما حدث بالفعل فى فيتنام. ويظل كتاب كريستوفر روبنز Air America الرواية الكلاسيكية عن شركة طيران وكالة الاستخبارات المركزية، وكتابه المتابع Ravens مرشد مفيد إلى حرب الوكالة الجوية فى لاوس. وليس هناك ما يوفى كتاب ألفريد ماكوى The Politics of Heroin in Souteast Asia حقه من الكلام. فهذه رواية موثقة توثيقًا جيدًا عن كيفية تغاضى الوكالة عن إنتاج الهمونج للأفيون وتشجيعها له، كما سمحت بتحويله إلى هيروين، وساعدت فى نقله إلى فيتنام حيث يستهلكه الجنود الأمريكيون. والمقابلة التى أجراها أندرو وليزلى كوكبرن مع عميل الوكالة الأسطورى تونى بو صورة مذهلة تبين نوعية الناس الذين كانوا يديرون العرض فى جنوب شرقى آسيا.

Adams, Nina S., and Alfred McCoy, eds. Laos: War and Revolution. Rnndorn House. 1970.

Adams, Sarn. "Vietnam Cover-up: Playing War with Numhers." Harper's, May I 975. War of Numbers: An Intelligence Memoir. Steerforth Press. 1994.

Andrade, Dale. Ashes to Ashes: The Phoenix Program and the Viemam Il'ar. Lexineton Books, 1990.

Ashley, Richard. Heroin: The Myth and Facts. St. Martin's Press, 1972.

Brecher, Edward. Licit and Illicit Drugs. Little, Brown, 1972.

Branfman, Fred, ed. Voices from the Plain of Jars: Life Under an Air War. Harner & Row, 1972.

Breckinridge, Scott. CIA and the Cold War: A Memoir. Praeger, 1993. Brun, Dan. Smoke and Mirrors. Little, Brown, 1996.

Castle, Timothy. At War in the Shadow of Viet,tam: United States Military Aid to the Royal Lao Government. Columbia Univ. Press, 1993.

Cockburn, Andrew, and Leslie Cockbutn. "Guns, Drugs and the CIA." Transcript. Frontline, WGBH-Boston, 1988.

Com, David. Blond Ghost: Ted Shackley and the CIA 's Crusades. Simon and Schuster, 1994.

Dai, Bingham. Opium Addiction in Chicago. Patrerson Smith, ~970.

DeSilva, Peer. Sub Rosa: The CIA and the Uses of Intelligence. Times Books, 1978.

Dommen. Arthur 3. Conflict in Laos: The Politics of Neutralization. Praeger, 1971.

Laos: Keystone of Indochina. Westview, 1985.

Drury, Richard. My Secret War. St. Martin's Press, 1986.

Epstein, Edward Jay. "Against the Poppies." Esquire. Dec.1974. Agency of Fear. Versa, 1990.

Everingham, John. "Let Them Eat Bombs." Washington Monthly, Sept. 1972.

Haldeman, H. R. The Haldeman Diaries: Inside the Nixoit White House. Putnam, 1994.

Hamilton-Merritt, Jane. Tragic Mountains: The Hmong. the Americaits and the Secret Wars-for Laos,] 942-1992. Indiana Univ. Press. 1993.

Hannah. Norman. The Kev to Failure: Laos and the vietnam War. Madison Books. 1987.

Harris. David. "Ex-Narc Tells Tales." Rolling Stone, Dec. 5,1974. Hersh, Seymour. Cover-Up. Random House. 1972.

The Price ofPoit.er: Kissi'tger in t/te Nixon White House. Summit Books, 1983. Hood. Charles. "Vang Pao Guerilla General." The Missoubait, Nov. 21,1976.

Isaacs, Aruold. Wit/tout Honor: Defeat in Viemam and Cambodia. Johns Hopluns Univ. Press. 1983.

Johnson, Lloyd. Drugs and American Youth. Institute for Social Research. 1973.

Johnson. Ralph. Phoenix/Phung Hoang: Planned Assassination or Legitimate Conflict Management? American Univ. Press, 1982.

Lamour, Catherine, and Michel Lamberti. The International Connection: Opium frotit Grot~'ers to Pus/ters. Pantheon, 1974.

Lansdale, Edward. In the Midst of Wars: An America it '5 Mission to Southeast Asia. Harper & Row, 1972.

Leary, William. Perilous Missions: Civil Air Transport and CIA Covert Operatioins to Asia. University of Alabama, 1986.

McCoy, Alfred with Catherine Read and Leonard Adams II. The Politics of Heroin in Southeast Asia. Harper and Row, 1972.

McCoy, Alfred. The Politics of Heroin: The Complicits of the CIA in the Global Drug Trade. Lawrence Hill, 1991.

"A Correspondence with the CIA." New York Review ofBooks. Sept.21. 1972.

Mc Gehee, Ralph. Deadly Deceits: Mv 25 Years in t/te CIA. Sheridan Square Publications, 1983.

Musto, David. The American Disease. Yale Univ. Press, 1973.

Nighswonger, William A. Rural Pacificatioin in Vietitam. Praeger, 1966.

Rantala, Judv. Laos: A Personal Portrait from the Mid-1970s. McFarland, 1993.

Robbins, Christopher. Air America. Putnam, 1979 The Ravens. Crown, 1987.

Secord, Richard and Jay Wuttz. Honored and Betrayed. Wiley, 1992.

Smith, Joseph. Portrait of a Cold Warrior. Putnam, 1976.

Snepp, Frank. Decent Interval. Random Rouse, 1987.

Stieglitz. Perry. In a Little Kingdom. M. E. Sharpe, 1990.

Stein, Jeffrey, and Michael Klare, "From the Ashes: Phoenix." Commonweal, April 20,1975.

Thee, Marek. Notes of a Witness.' Laos and the Second Indochina War . Random House, 1973.

Valentine, Douglas. The Phoenix Program. Morrow, 1990.

Warner, Roger., Backlire: The CIA 's Secret War in Laos and Its Link to the War in Vietnam. HarpeCollins. 1995.

Welch, David. 'Pacification in Vietnam." Ramparts, Oct.1967.

Yang Dao. Hmong at the Turning PoinL Worldbridge, 1993.

US Congress. House. Committee on International Relations. The Norcotics Situation in Southeast Asia: The Asian Connection. Government Printing Office, 1975.

Select Committee on Alcoholism and Narcotics. Staff Report on Drug Abuse io the Military. Government Printing Office, 1971.

US Executive Office of the President. Office for L)rng Ahuse Prevention. ihe I Drug User Returns: Final Report. Government Printing Omee, 1974.

US Office of the Comptroller, General Accounting Office. Federal Efforts to Combat Drug Abuse. Government Printing Officc, 1972.

11

تأمين أفغانستان من أجل الأفيون

الصورة الأولى لحرب أفغانستان التى لا تنمحى من ذاكرة الكثير من الأمريكيين هى تلك التى يظهر فيها معلق شبكة "سى بى إس" دان راذر Dan Rather وقد لُف برداء المجاهدين الفضفاض، حيث كان يبدو أحد أقارب لورانس العرب (وإن بدا شعره وكأنه جُفِّف للتو بالسشوار، كما أشار الكثير من المشاهدين على الفور). وقد أفرغ راذر من موقعه الجبلى "فى مكان ما من جبال هندكوش" على مشاهديه حمولة عربة يد من الكلام الفارغ عن الصراع فقد أسرَّ لهم راذر بطريقة لا يكاد يصدقها أحد أن السوفييت رصدوا جائزة لمن يأتى برأسه "قيمتها آلاف الدولارات". ومضى يقول: "إنها أكبر مجاملة كان يمكنهم تقديمها لى. وكان رصد ثمن لرأسى ثمنًا رخيصًا مقابل الحقائق التى نقلناها لكم عن أفغانستان."

لقد اتضح أن كل ملاحظة من تلك الملاحظات زائفة كل الزيف. فقد وصف راذر حكومة حفيظ الله أمين بأنها "نظام ألعوبة وضعته موسكو فى كابول". ولكن أمين كانت تربطه بوكالة الاستخبارات المركزية صلات أوثق من تلك التى تربطه بالكى جى بى KGB[1]. ووصف راذر المجاهدين بأنهم "مقاتلو الحرية الأفغان ... الذين خاضوا قتالاً وطنيًا شديد الوطنية حتى الموت من أجل الوطن والبيت". ولم يكن المجاهدون يقاتلون من أجل الحرية بالمعنى الذى كان يروق لراذر، بل من أجل فرض صنف من أشد صنوف الأصولية الإسلامية التى عرفها العالم قسرًا وقهرًا وتتسم بالبربرية والجهل والقسوة الواضحة على المرأة.

---

(١) الحروف الأولى من الاسم الروسى للجهاز المسئول عن كل أنشطة الشرطة والاستخبارات والاستخبارات المضادة فى اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية الذى أنشئ عام ١٩٥٤، وهو بالروسية Komitet Gosudarstvennoy Bezopasnosti ومعناه "لجنة أمن الدولة". **(المترجم)**

و"الحقيقة" التى أعلنها راذر هى أن السوفييت استخدموا الأسلحة الكيماوية ضد القرويين الأفغان. وكان ذلك ادعاء روجت له حكومة ريجان، التى ساقت اتهاماً شديد الدقة بأن ٣٠٤٢ أفغانياً لقوا مصرعهم بسبب ذلك المطر الكيماوى الأصفر، وهو المادة التى حققت انتصارات دعائية مجيدة فى تجليها بلاوس قبل بضع سنوات، عندما اتضح أن المطر الأصفر فضلات نحل محمل بكثير من حبوب اللقاح. وأشار فرانك برودهيد Frank Brodhead فى صحيفة "جارديان" Guardian اللندنية إن "مكوناتها كالآتى: جزء واحد من فضلات النحل، إضافة إلى أجزاء كثيرة من معلومات وزارة الخارجية المضللة مخلوطة بالسذاجة الإعلامية".

وزعم راذر أن المجاهدين لديهم أقل القليل من المعدات، حيث يبذلون أقصى ما يمكنهم ببنادق الكلاشينكوف التى استولوا عليها من الجنود الروس القتلى. والواقع أن المجاهدين كانوا مجهزين تجهيزاً جيداً جداً، حيث كانوا يتلقون أسلحة تقدمها لهم وكالة الاستخبارات المركزية فى أكثر الحروب السرية التى تحملت الوكالة نفقتها تكلفة. صحيح أنهم كانوا يحملون أسلحة روسية، ولكنها جاءت بفضل وكالة الاستخبارات المركزية. كما عرض راذر لقطة إخبارية زعم أنها تبين قاذفات قنابل سوفييتية تقصف القرى الأفغانية العزلاء. وهذه اللقطة الإخبارية مفبركة، إذ كانت "قاذفة القنابل السوفييتية" فى حقيقة أمرها طائرة تابعة للقوات الجوية الباكستانية فى مهمة تدريبية فوق شمال غربى باكستان.

وزعمت "سى بى إس" أنها اكتشفت فى المناطق التى قصفها السوفييت حيوانات محشوة بالمتفجرات السوفييتية، التى قصد بها تفجير الأطفال الأفغان ليتقطعوا أوصالاً. وكانت تلك اللعب المفخخة قد صنعها المجاهدون خصيصاً لأخبار "سى بى إس" الخادعة، كما أوضح مقال مُسَلٍّ فى صحيفة "نيويورك بوست" New York Post فى وقت لاحق.

وشق راذر طريقه ببطولة إلى يونس خالص، الذى وصفه بأنه قائد المحاربين الأفغان. وفى نبرات تتسم بالرهبة يدخرها عادة لأعاصير خليج المكسيك، يقول راذر فى كتابه The Camera Never Blinks Twice: "قد يكون الإيمان بأن 'الحق' يوجد 'القوة' قد تلاشى من أنحاء أخرى من العالم. أما فى أفغانستان فكان حياً وفى أحسن حال، وكان يضرب السوفييت." وكان خالص جزارا لا يعرف الرحمة، حيث كانت قواته

تتباهى بقتل ٧٠٠ من أسرى الحرب. وكان يقضى جل وقته فى القتال. إلا أن الحروب لم تكن فى المقام الأول مع السوفييت. بل كان خالص يقاتل جماعات متمردة أفغانية أخرى، وكان القتال يدور حول السيطرة على حقول الخشخاش والطرق والمدقات التى بين هذه الحقول ومعامل الهيروين السبعة التى يملكها بالقرب من مقر قيادته فى بلدة رباط العلى. وكان ٧٠ بالمائة من أفيون أفغانستان يزرع فى وادى هلمند الذى وفرت الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية بنية الرى الأساسية فيه.

وتحدث راذر فى برقياته من على الجبهة عن تجارة الأفيون المحلية، ولكن بطريقة غير صريحة إلى حد كبير. إذ قال: "حول الأفغان درًّا إلى بلدة منتعشة اقتصادياً، حيث تبيع الأفيون المزروع محلياً بأفضل سلاح متاح، ثم يعودون إلى داخل أفغانستان ليقاتلوا."

وكانت درًّا فى ذلك بلدة تقع شمال غربى باكستان أقامت بها وكالة الاستخبارات المركزية مصنعًا لتصنيع أسلحة على النمط السوفييتى كانت تعطيه لكل الوافدين الأفغان. وكان المصنع يدار بتعاقد مع الاستخبارات الباكستانية ISI. وكان جزء كبير من الأفيون الذى ينقله المجاهدون إلى درًّا من أفغانستان يباع إلى حاكم المنطقة الشمالية الغربية من باكستان الفريق فضل الحق. وكان الهيروين يستخلص من هذا الأفيون فى معامل فى درًّا موضوعة على شاحنات تابعة للجيش الباكستانى، ثم ينقل إلى كراتشى، وبعد ذلك يُشحن إلى أوروبا والولايات المتحدة.

وقلل راذر من شأن رد فعل حكومة كارتر تجاه الانقلاب الذى سانده السوفييت عام ١٩٧٩[١]، متهمًا رد كارتر بالفتور والبطء. والواقع أن الرئيس كارتر كان قد رد بسلسلة من الإجراءات يحسده عليها صقور ريجان الذين هاجموه بعد عامين باعتباره رجل الحرب الباردة الضعيف. فلم يسحب كارتر الولايات المتحدة من دورة الألعاب الأولمبية التى أقيمت عام ١٩٨٠ وحسب، بل خفض مبيعات الحبوب للاتحاد السوفييتى، مما أغضب مزارعى الغرب الأوسط؛ وأوقف معاهدة سالت ٢ Salt II[٢]؛ وتعهد بزيادة ميزانية الدفاع الأمريكية بنسبة ٥ بالمائة سنوياً إلى أن ينسحب السوفييت من أفغانستان؛ وكشف النقاب عن مبدأ كارتر الخاص بالاحتواء فى جنوب شرقى آسيا،

(١) الذى جاء إلى السلطة ببابراك كارمل الماركسى. (المترجم)

(٢) معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية بين الاتحاد السوفييتى وأمريكا. (المترجم)

الذى يقول مؤرخ وكالة الاستخبارات المركزية جون دانلو إنه جعل كارتر يقر "عمليات سرية لوكالة الاستخبارات المركزية أكثر من تلك التى أقرها ريجان فيما بعد".

واعترف كارتر فى وقت لاحق فى مذكراته بأن غزو أفغانستان هزه أكثر من أى حدث آخر وقع فى فترة رئاسته، بما فى ذلك الثورة الإيرانية. وأقنعت وكالة الاستخبارات المركزية كارتر أنه قد يكون بداية اندفاع للروس تجاه الخليج الفارسى؛ وهو السيناريو الذى حدا بالرئيس إلى أن يفكر جديًا فى استخدام الأسلحة النووية التكتيكية.

وبعد ثلاثة أسابيع من دخول الدبابات السوفييتية كابول، كان وزير الدفاع فى حكومة كارتر، هارولد براون Harold Brown، فى بكين يرتب لنقل الأسلحة من الصينيين إلى القوات الأفغانية التى تدعمها وكالة الاستخبارات المركزية التى جُمِّعت فى باكستان. ووافق الصينيون - الذين كوفئوا بسخاء على الصفقة - على إرسال مستشارين عسكريين. وأعد براون ترتيبًا مشابهًا مع مصر لشراء ما قيمته ١٥ مليون دولار من الأسلحة. وقال أنور السادات قبل وقت قصير من اغتياله: "اتصلت بى الولايات المتحدة، وقالت 'نرجوك أن تفتح لنا مخازنك كى يمكننا أن نعطى للأفغان ما يحتاجونه من سلاح ليقاتلوا'. وأعطيتهم السلاح. وبدأ نقل السلاح من القاهرة على طائرات أمريكية."

إلا أن قليلين فى حكومة كارتر هم الذين كانوا يعتقدون أن المتمردين لديهم أية فرصة لإخراج السوفييت. ففى معظم السيناريوهات، كان يبدو أن الحرب ستكون حتمًا مذبحة، حيث يدفع المدنيون والمتمردون ثمنًا فادحًا. وكان هدف مبدأ كارتر أكثر تشاؤمًا. فقد كان استنزاف السوفييت، أملاً فى الإيقاع بهم فى مستنقع على نمط فيتنام. ولم يكن المستوى المرتفع من الخسائر المدنية يشغل بال مهندسى التدخل السرى الأمريكى. ويقول مدير وكالة الاستخبارات المركزية فى عهد كارتر، ستانفيلد تيرنر: "قررت أن أعيش مع ذلك."

وقبل الغزو السوفييتى، لم تكن أفغانستان مسجلة كموضوع يحظى باهتمام الصحافة القومية، حيث كانت تطفو على السطح فى عدد قليل جداً من القصص الإخبارية السنوية فى الصحف. وفى ديسمبر ١٩٧٣، حين كان الوفاق[1] قريبًا من ذروته، نشرت "وول

---

(١) يشير هذا المصطلح إلى الاسترخاء الذى طرأ على توترات الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى اعتبارًا من أواخر الستينيات. وتجلى الوفاق فى محاولات الحد من الأسلحة بين البلدين وزيادة التبادل التجارى والثقافى بينهما. ويرتبط الوفاق بصورة خاصة بالفترة من ١٩٦٩ حتى ١٩٧٤ التى كان فيها ريتشارد نيكسون موجوداً فى البيت الأبيض. **(المترجم)**

ستريت جورنال" قصة إخبارية نادرة على صدر صفحتها الأولى عن ذلك البلد بعنوان "هل الروس يرغبون فى أفغانستان؟ إذا كان الأمر كذلك، فمن الصعب معرفة السبب." وكتب بيتر كان Peter Kann الصحفى بالجريدة، الذى سيصبح فيما بعد رئيس مجلس إدارتها وناشرها، يقول إن "استراتيجيات القوى الكبرى تميل إلى التفكير فى أفغانستان على أنها أشبه بمحور ارتكاز يقوم عليه توازن القوى العالمى. ولكن عند النظر إلى أفغانستان عن قرب فإنها غالبًا ما تبدو أقل شبهًا بمحور الارتكاز أو قطعة دومينو أو مرتقى منها إلى مساحات شاسعة من الصحراء القاحلة التى بها بضع أسواق يكثر فيها الذباب، وعدد لا بأس به من القبائل المتنازعة، والكثير من الفقراء شديدى الفقر".

وبعد غزو الاتحاد السوفييتى، اكتسبت على الفور تلك الأرض اليباب وضع الجائزة الجيوبوليتيكية الثمينة. وقال صحفى فى "وول ستريت جورنال" فى أعقاب استيلاء السوفييت على أفغانستان إنها "أكثر أهمية من مجرد كونها مرتقى." ورداً على ذلك، طالب بتمركز الجنود الأمريكيين فى الشرق الأوسط، وزيادة النفقات العسكرية، وبالعمليات السرية الموسعة، وإعادة تسجيل المجندين. و فى يناير ١٩٨٠، تقدم درو ميدلتون Drew Middleton ـ وكان وقتها مراسل "نيويورك تايمز" بوزارة الدفاع ـ بتحليل مهزوز أعقب الغزو قال فيه: "المعلومة المتفق عليها فى البنتاجون هى أن وضع الروس مقارنة بالولايات المتحدة – من الناحية العسكرية المحضة – أفضل بكثير من وضع هتلر أمام بريطانيا وفرنسا عام ١٩٣٩."

وبدأت آلة الدعاية فى البنتاجون ووكالة الاستخبارات المركزية العمل بكل طاقتها؛ ففى ٣ يناير ١٩٨٠، كتب جورج ويلسون George Wilson فى "واشنطن بوست" أن القادة العسكريين تمنوا أن "يمحو الغزو عبارة 'لن يتكرر ذلك أبدا' التى لا يزال الجمهور الأمريكى يرددها بعد فيتنام". وقالت "نيوزويك" إن "الاقتحام السوفييتى" يمثل "تهديداً شديداً" لمصالح الولايات المتحدة؛ "فسوف تجعل السيطرة على أفغانستان الروس على بعد ٣٥٠ ميلاً من بحر العرب، شريان حياة الغرب واليابان النفطى. إذ يمكن للطائرات السوفييتية المتمركزة فى أفغانستان قطع شريان الحياة متى شاءت". وأقرت "نيويورك تايمز" دعوة كارتر إلى زيادة الإنفاق العسكرى وأيدت برنامجى صواريخ كروز Cruise وترايدنت Trident، و"إجراء أبحاث أسرع على صاروخ إم إكس MX أو أى صاروخ أرض أرض متحرك"، وإنشاء قوة للانتشار السريع للتدخل فى العالم الثالث، وصفتها بأنها "استثمار للدبلوماسية".

باختصار، ثبت أن أفغانستان حملة مجيدة لكل من وكالة الاستخبارات المركزية ووزارة الدفاع، فهو الهجوم المبهر الذى أرسلت فيه موجات من الصحفيين السذج والمطيعين للترويج للفرضية المضحكة التى تقول إن الولايات المتحدة تتعرض لتهديد عسكرى. وفى الوقت الذى تولى فيه ريجان السلطة، رأى هو ومدير وكالة الاستخبارات المركزية فى حكومته ويليام كيسى تأييداً لخطتهما المكثفة الخاصة بأفغانسان من مصدر غير محتمل، وهو الكونجرس الذى تسيطر عليه أغلبية ديمقراطية، وكان يسعى لمضاعفة الإنفاق على الحرب. وقال أحد العاملين فى الكونجرس لصحيفة "واشنطن بوست": "جاءت من السماء [لحكومة ريجان]. فقد كانت تواجه معارضة شديدة لعملية سرية فى أمريكا الوسطى، وفى هذه الحالة يساعد الكونجرس على صب الأموال عليها، واضعاً المال فى طريقها قائلاً 'من نحن حتى نعترض؟'"

وبينما زادت وكالة الاستخبارات المركزية من دعمها للمجاهدين (بلغت ميزانية أفغانستان بالوكالة فى نهاية الأمر ٣,٢ مليار دولار، وهو ما يعنى أنها أكثر العمليات السرية تكلفة فى التاريخ)، أبلغ عضو بالمجلس الاستراتيجى لإساءة استعمال المخدرات بالبيت الأبيض، ديفيد موستو David Musto، الحكومة أن قرار تسليح المجاهدين سيكون له أثر عكسى. كما قال: "أخبرت المجلس أننا ندخل أفغانستان لدعم زُرَّاع الأفيون. ألا ينبغى أن نتحاشى ما فعلناه فى لاوس؟ ألا ينبغى أن نحاول دفع المال للزُرَّاع إن هم قضوا على إنتاجهم من الأفيون؟ وكان السكوت هو الرد."

وبعد إصدار موستو لذلك التحذير، ظل هو وزميله فى المجلس جويس لوينصن Joyce Lowinson يشكان فى السياسة التى تتبعها الولايات المتحدة، ولكنهما وجدا أن وكالة الاستخبارات ووزارة الخارجية يحولان دون التأكد من صحة شكوكهما. وبعد أن أصابهما الإحباط، اتجها إلى صفحة الرأى فى "نيويورك تايمز" وكتبا فى ٢٢ مايو ١٩٨٠: "نحن نشعر بالقلق من زراعة رجال القبائل للأفيون فى أفغانستان أو باكستان، وهؤلاء الناس هم خصوم القوات السوفييتية الأساسيون فى أفغانستان. فهل نحن مخطئون فى مصادقتنا لهذه القبائل كما أخطأنا فى لاوس، حين كانت إير أمريكا (التى استأجرتها وكالة الاستخبارات المركزية) تساعد فى نقل الأفيون الخام من مناطق قبلية بعينها؟" إلا أن موستو ولوينصن قوبلا مرة أخرى بالصمت، ليس فقط من

الحكومة، بل من الصحافة كذلك. فقد كان من التجديف الشك فى التدخل السرى فى أفغانستان.

وفى وقت لاحق من عام ١٩٨٠، أجرى هوج ليفنز Hoag Levins الذى كان يكتب لمجلة "فيلادلفيا مجازين" Philadelphia Magazine مقابلة مع رجل عرَّفه بأنه "مسئول رفيع المستوى لتنفيذ القانون فى وزارة العدل بحكومة كارتر، حيث نقل ما قاله: "إن الحكومة تسير على أطراف أصابعها حول هذا وكأنه لغم أرضى. إن قضية الأفيون قضية متفجرة ... وفى خطاب حالة الاتحاد، ذكر الرئيس إساءة استعمال المخدرات ولكنه كان شديد الحرص على تجنب ذكر أفغانستان، وإن كانت أفغانستان هى المكان الذى تقع فيه هذه الأمور الآن ... لماذا لا ننظر نظرة أكثر نقدية إلى السلاح الذى نشحنه الآن إلى عصابات مهربى المخدرات ومن الواضح أنهم سوف يستخدمونه لزيادة كفاءة عملية تهريب المخدرات التى يقومون بها؟"

وكانت وكالة مكافحة المخدرات على علم كذلك بأن المتمردين المجاهدين متورطون تورطًا كبيرًا فى تجارة الأفيون. وأوضح تقرير الوكالة فى عام ١٩٨٠ أن غزوات المتمردين الأفغان من القواعد الموجودة فى أفغانستان للقواعد التى يسيطر عليها الروس "تحددها إلى حد ما زراعة الأفيون ومواسم الحصاد." وكانت الأرقام شديدة الوضوح ومثيرة للفزع. فقد تضاعف إنتاج الأفيون الأفغانى ثلاث مرات فيما بين ١٩٧٩ و١٩٨٢. وكانت هناك أدلة على أنه بحلول عام ١٩٨١ كان منتجو الهيروين الأفغان قد استولوا على ٦٠ بالمائة من سوق الهيروين فى غرب أوروبا والولايات المتحدة (وهذه هى أرقام الأمم المتحدة ووكالة مكافحة المخدرات).

وفى عام ١٩٧١، وأثناء ذروة تورط وكالة الاستخبارات المركزية فى لاوس، كان هناك حوالى ٥٠٠ ألف مدمن هيروين فى الولايات المتحدة. وفى الفترة من منتصف السبعينيات حتى آخرها، هبط الرقم إلى ٢٠٠ ألف. ولكن فى عام ١٩٨١ـ ومع سيل الأفيون الأفغانى الجديد وما تبعه من انخفاض فى الأسعار ـ ارتفع عدد مدمنى الهيروين إلى ٤٥٠ ألفًا. وفى مدينة نيويورك وحدها، وفى عام ١٩٧٩ فقط (وهو العام الذى بدأ فى تدفق الأسلحة إلى المجاهدين)، زاد عدد وفيات المخدرات التى لها علاقة بالهيروين بنسبة ٧٧ بالمائة. والخسائر الأمريكية الوحيدة التى اعترف بها علنًا فى ميادين المعارك فى أفغانستان كانت بعض المسلمين السود الذين سافروا إلى

هندوكوش من الولايات المتحدة، للقتال باسم النبى. أما خسائر المخدرات داخل الولايات المتحدة الناجمة عن حرب وكالة الاستخبارات المركزية السرية فى الأحياء الفقيرة، فقد كانت بالآلاف، إلى جانب ما لم يعلن عنه من البلاء والمعاناة على المستوى الاجتماعى.

ومنذ القرن السابع عشر وخشخاش الأفيون يزرع فيما يسمى الهلال الذهبى، حيث تجتمع مرتفعات أفغانستان وباكستان وإيران كلها. وكانت تلك هى السوق الداخلية طوال أربعة قرون تقريبًا. وبحلول الخمسينيات كانت كمية قليلة جداً من الأفيون تنتج إما فى أفغانستان أو باكستان، وربما كانت المساحة المزروعة فى البلدين ٢٥٠٠ فدان. وفى الأصل، كانت حقول أفغانستان الخصبة فى وادى هلمند، التى قامت عليها زراعة مكثفة لخشخاش الأفيون بحلول الثمانينيات، تغطيها الكروم وحقول القمح وزراعات القطن.

وكان الوضع فى إيران مختلفًا اختلافًا بيِّنًا فى أوائل الثمانينيات، فقد كان ذلك البلد الذى تسيطر عليه شركات البترول ووكالات الاستخبارات البريطانية والأمريكية ينتج ٦٠٠ طن أفيون سنويًا، وكان به ١.٣ مليون مدمن أفيون، مما يجعله يحتل المرتبة الثانية بعد الصين، حيث كان إمبرياليو الأفيون الغربيون لا يزالون مسيطرين فى الوقت نفسه. وفى عام ١٩٥٣، فاز محمد مصدق، الوطنى الإيرانى المقابل لصن يان سن فى الصين، فى الانتخابات وتحرك على الفور لقمع تجارة الأفيون. وبعد بضعة أسابيع كان وزير الخارجية الأمريكى جون فوستر دلاس يصف مصدق بالجنون، وأرسل شقيق دلاس، آلن مدير وكالة الاستخبارات المركزية، كيرمت روزفلت Kermit Roosevelt لتنظيم انقلاب ضده. وفى أغسطس ١٩٥٣ أُقصى مصدق عن الحكم، ونصَّبت وكالة الاستخبارات المركزية الشاه[1]، وأصبحت حقول البترول والأفيون من جديد فى أيد صديقة. واستمر الإنتاج بلا انقطاع إلى أن تولى السلطة آية الله الخمينى عام ١٩٧٩، وهى اللحظة التى عانت فيها إيران من مشكلة أفيون خطيرة فيما يتعلق بإدمان سكانها. فعلى عكس زعماء المجاهدين، كان آية الله متشدداً فى تطبيق

---

(١) الشاه محمد رضا بهلوى، الذى كانت القوات البريطانية والروسية قد خلعته عن عرش إيران عام ١٩٤١. **(المترجم)**

الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بالمخدرات؛ وكان المدمنون والتجار يواجهون عقوبة الإعدام. وهبط إنتاج الأفيون فى إيران هبوطًا شديدًا.

وفى أفغانستان فى الخمسينيات والستينيات، كانت العائلة المالكة، وعلى رأسها الملك محمد ظاهر، هى التى تسيطر على تجارة الأفيون الضعيفة نسبيًا. وكانت إقطاعياتها الكبيرة كلها حقول أفيون، لتغذية الاستهلاك المحلى للمخدرات فى المقام الأول. وفى أبريل ١٩٧٨ أطاح انقلاب شعبى بنظام محمد داود(١)، الذى كان قد أقام تحالفًا مع شاه إيران. وبعث الشاه مبالغ كبيرة من المال إلى داود – ذكر أحد التقارير أنها مليارا دولار – وكان يؤتى بالشرطة السرية الإيرانية، السافاك، لتدريب قوى الأمن الداخلى التابعة لداود. وكانت الحكومة الأفغانية الجديدة بقيادة نور محمد تراقى، واتجهت حكومة تراقى إلى الإصلاح الزراعى، ومن ثم شنت هجومًا على إقطاعيات زراعة الأفيون. وذهب تراقى إلى الأمم المتحدة، حيث طالب هناك بقروض لإحلال محاصيل محل الأفيون فى حقول الخشخاش.

كما تشدد تراقى فى الضغط على إنتاج الأفيون فى المناطق الحدودية التى يسيطر عليها الأصوليون، الذين كانوا يستغلون عائدات الأفيون فى تمويل الهجمات على الحكومة المركزية الأفغانية، التى كانوا يعتبرونها تجسيداً خبيثًا للمدنية التى سمحت للمرأة بالذهاب إلى المدارس وجرّمت زواج المتعة وثمن العروس.

وبحلول ربيع ١٩٧٩ كان طابع أبطال دان راذر ـ وهم المجاهدون ـ قد بدأ فى الظهور كذلك. وذكرت "واشنطن بوست" أن المجاهدين يحبون "تعذيب ضحاياهم بجدع أنوفهم أولاً، تليها آذانهم، ثم أعضاؤهم التناسلية، ثم يسلخون الطبقة تلو الأخرى من جلودهم". وعلى مدار ذلك العام أبدى المجاهدون عداءً خاصًا تجاه الغربيين، حيث قتلوا ستة من ألمانيا الغربية وسائحًا كنديًا وضربوا ملحقًا عسكريًا أمريكيًا ضربًا مبرحًا. ومن المفارقات كذلك أن المجاهدين فى ذلك العام كانوا لا يحصلون على المال من وكالة الاستخبارات المركزية وحدها، بل كذلك من الرئيس الليبى معمر القذافى الذى أرسل إليهم ٢٥٠ ألف دولار.

---

(١) محمد داود خان هو ابن عم الملك محمد ظاهر شاه الذى أطاح به عام ١٩٧٣ عقب فشل تجربة الملك الإصلاحية. وحكم داود أفغانستان رئيسًا للجمهورية حتى عام ١٩٧٨. **(المترجم)**

وفى صيف ١٩٧٩، أى قبل ما يزيد على ستة أشهر من دخول السوفييت، أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية مذكرة توضح الطريقة التى ترى بها المخاطر، بغض النظر عما قد يكون لتراقى من عقلية حديثة، أو ما للمجاهدين من عقلية إقطاعية. وجاء فى المذكرة:"قد يخدم مصلحة الولايات المتحدة الكبرى ... انتهاء نظام تراقى أمين، رغم كل النكسات التى يمكن أن يعنيها ذلك بالنسبة للإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية المستقبلية فى أفغانستان." ومضى التقرير قائلاً: "إن إسقاط جمهورية أفغانستان الديمقراطية قد يبين لسائر دول العالم، وخاصة العالم الثالث، أن رؤية السوفييت للنهج الاشتراكى على أنه حتمى ليست دقيقة."

وعندما ضيقت القوى المحافظة فى أفغانستان الخناق على تراقى، استنجد بالسوفييت الذين لم يقدموا له العون، على أساس أن ذلك هو ما ينتظره أعداؤهم المشتركون.

وفى سبتمبر ١٩٧٩ قُتل تراقى فى انقلاب قام به ضباط الجيش الأفغانى، وعين حفيظ الله أمين رئيساً، وكانت لديه أوراق اعتماد غربية سليمة؛ حيث درس فى جامعة كولومبيا بنيويورك وجامعة ويسكونسن. وكان أمين قد تولى رئاسة اتحاد الطلاب الذى كانت تموله مؤسسة آسيا Asia Foundation، وهى أحد منافذ أو واجهات وكالة الاستخبارات المركزية. وبعد الانقلاب، أخذ أمين يلتقى بمسئولى السفارة الأمريكية بانتظام، فى الوقت الذى كانت الولايات المتحدة تسلح المتمردين الإسلاميين فى باكستان. وخوفاً من قيام نظام أصولى تسانده الولايات المتحدة يضغط على حدوده، غزا الاتحاد السوفييتى أفغانستان بكل قوته فى ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩.

وحينذاك بدأ حشد وكالة الاستخبارات المركزية الذى استهله كارتر وأزعج خبير المخدرات فى البيت الأبيض ديفيد موستو. وفى تكرار لما حدث فى أعقاب الانقلاب الذى ساندته الوكالة فى إيران، سرعان ما عادت إقطاعيات إلى إنتاج الأفيون وتوقف برنامج استبدال المحصول.

ولأن باكستان لديها برنامج نووى، فرضت الولايات المتحدة حظراً على المساعدات الخارجية المقدمة لها، وسرعان ما رُفع ذلك الحظر حين بات شن حرب بالوكالة فى أفغانستان هو السياسة الأفضل. وبعد وقت قصير إلى حد ما، وبدون أى إبطاء ملحوظ فى برنامجها النووى، أصبحت باكستان ثالث أكبر متلق للمساعدات الأمريكية فى العالم، بعد إسرائيل ومصر. وانهمرت الأسلحة على كراتشى من الولايات المتحدة

وكانت تشحنها إلى بيشاور الخلية اللوجستية الوطنية، وهى وحدة عسكرية تسيطر عليها الاستخبارات الباكستانية ISI. ومن بيشاور، كانت تلك الأسلحة التى تباع لأى زبون كان (اشترى الإيرانيون ١٦ من صواريخ ستينجر Stinger، استُخدم أحدها ضد طائرة هليكوبتر فى الخليج) توزعها الاستخبارات الباكستانية على الفصائل الأفغانية.

ومع أن الصحافة الأمريكية، وفى مقدمتها دان راذر، صورت المجاهدين على أنهم قوة موحدة من مقاتلى الحرية، فقد كانت الحقيقة (التى لم تكن مفاجئة لأى إنسان على علم بتاريخ أفغانستان) هى أن المجاهدين يتكونون من سبع فصائل متحاربة على الأقل، حيث تتقاتل جميعها على الأرض والسيطرة على تجارة الأفيون. وأعطت السرية الباكستانية جل السلاح - وهو يبلغ ٦٠ بالمائة فى أحد التقديرات - إلى شخص بعينه يتسم بالأصولية المتعصبة وكراهية النساء اسمه غُلْبُ الدين حكمتيار، الذى ظهر لأول مرة بشكل علنى فى جامعة كابول من خلال قتله طالبًا يساريًا. وفى عام ١٩٧٢، فر حكمتيار إلى باكستان حيث أصبح عميلاً للاستخبارات الباكستانية. وكان يحث أتباعه على إلقاء حمض الكبريتيك على النساء اللائى لا يرتدين النقاب، وكان يخطف القادة المنافسين، وحشد ترسانة سلاح قدمتها وكالة الاستخبارات المركزية استعدادًا لليوم الذى يرحل فيه السوفييت وتندلع فيه بحق الحرب من أجل السيطرة على أفغانستان.

وبينما كان حكمتيار يستخدم سلاحه للسيطرة على حقول الأفيون، كان يحث هو ورجاله الفلاحين تحت تهديد السلاح على زيادة الإنتاج. وكانوا يجمعون الأفيون الخام ويذهبون به إلى مصانع حكمتيار الستة فى بلدة كوهى سلطان. وكان أحد كبار منافسى حكمتيار بين المجاهدين، وهو المُلاَّ نسيم، يسيطر على حقول خشخاش الأفيون فى وادى هلمند، حيث ينتج ٢٦٠ طن أفيون فى العام. وكان شقيقه محمد رسول يدافع عن مشروعه الزراعى بقوله "لا بد أن نزرع الأفيون كى نجاهد ضد الكفرة الروس". ورغم هذا التصريح المحسوب بدقة، فقد كانوا يقضون وقتهم كله تقريبًا فى محاربة إخوانهم المؤمنين، مستخدمين السلاح الذى قدمته لهم وكالة الاستخبارات المركزية كى تكون لهم الغلبة فى ذلك الاقتتال. وفى عام ١٩٨٩، شن حكمتيار هجومًا على نسيم، فى محاولة منه للسيطرة على وادى هلمند. ورد نسيم الهجوم، ولكن حكمتيار نجح بعد بضعة أشهر فى تدبير اغتيال نسيم حين كان يتولى منصب نائب وزير الدفاع فى الحكومة الأفغانية التى أعقبت خروج السوفييت. وحينذاك سيطر حكمتيار على حقول الأفيون فى وادى هلمند.

وكان عملاء وكالة مكافحة المخدرات الأمريكية على علم تام بتهريب المجاهدين للمخدرات بالتنسيق مع الاستخبارات الباكستانية والقادة العسكريين الباكستانيين. وفي عام ١٩٨٣ قال ضابط اتصال الوكالة في الكونجرس ديفيد ميلوتشيك David Melocik لإحدى لجان الكونجرس: "يمكنكم القول إن المتمردين يكسبون أموالهم من بيع الأفيون. وهذا لا شك فيه. فهؤلاء المتمردون يعملون على بقاء قضيتهم حية من خلال الأفيون." ولكن الحديث عن "القضية" اعتماداً على مبيعات الأفيون كلام فارغ في تلك اللحظة. فقد كانت وكالة الاستخبارات المركزية تدفع ثمن كل شيء مهما كان. وكان الحال ينتهي بعائدات الأفيون في حسابات بالخارج في بنك حبيب، وهو أحد أكبر البنوك الباكستانية، وبنك "بي سي سي آي" الذي أسسه أغا حسن عبيدي الذي بدأ حياته المصرفية في بنك حبيب. وفي الوقت نفسه كانت وكالة الاستخبارات المركزية تستخدم "بي سي سي آي" لتعاملاتها السرية.

وكان لدى وكالة مكافحة المخدرات أدلة على أن ما يربو على الأربعين من عصابات الهيروين كانت تعمل في باكستان في منتصف الثمانينيات إبان الحرب الأفغانية، وكانت هناك أدلة على أن أكثر من ٢٠٠ معمل هيروين تعمل في شمال غربي باكستان. ومع أن إسلام أباد تؤوي واحداً من أكبر مكاتب الوكالة في آسيا، فلم يتخذ عملاء وكالة مكافحة المخدرات أي إجراء قط ضد أي من تلك العمليات. وأبلغ ضابط في الإنتربول الصحفي لورانس ليفشولتز Lawrece Lifschultz أن "من الغريب جداً أن الأمريكيين، بكل ما لديهم من موارد، وما لهم من نفوذ سياسي في باكستان، لم يتمكنوا من وقف حالة واحدة. ولا يمكن أن يفسر ذلك بعدم وجود العمل البوليسي الصحيح. فإن لديهم بعض الرجال الممتازين الذين يعملون في باكستان." ولكن كان يعمل في نفس المكتب الذي يعمل فيه عملاء وكالة مكافحة المخدرات خمسة من ضباط وكالة الاستخبارات المركزية كانوا، كما قال أحد عملاء وكالة مكافحة المخدرات في وقت لاحق لصحيفة "واشنطن بوست"، يأمرونهم بسحب عملياتهم من أفغانستان وباكستان من أجل استمرار الحرب.

وكان وكلاء وكالة مكافحة المخدرات على علم تام بأن إحدى الشركات التي تستخدمها وكالة الاستخبارات المركزية لتوصيل المال للمجاهدين، وهي شركة شَكَرجي التجارية، ملوثة بالمخدرات. وكانت تلك الشركة التي يملكها لبنانيون موضع تحقيق

طويل تقوم به وكالة مكافحة المخدرات عن غسيل الأموال. وكان أحد عملاء شَكَرجى الرئيسيين ياسر موصولولو، الذى ضُبِط ذات مرة وهو يسلم شحنة وزنها ٨,٥ طن من الأفيون الأفغانى إلى أفراد عصابة جامبينو Gambino الإجرامية فى مدينة نيويورك. وأشارت إحدى مذكرات وكالة مكافحة المخدرات إلى أن شَكَرجى كان يخلط "أموال مهربى الهيروين وقاعدة المورفين والحشيش بأموال الصاغة الذين يشترون الذهب من السوق السوداء وتجار السلاح فى الشرق الأوسط".

وفى مايو ١٩٨٤، سافر نائب الرئيس جورج بوش George Bush إلى باكستان لإجراء محادثات مع الجنرال ضياء الحق وغيره من كبار الشخصيات فى النظام الحاكم فى باكستان. وفى ذلك الوقت كان بوش يرأس الجهاز القومى لمنع دخول المخدرات الذى أنشأه الرئيس ريجان. وفى تلك المهمة، كان أحد أول إجراءات بوش هو توسيع دور وكالة الاستخبارات المركزية فى عمليات المخدرات. فقد حمَّل الوكالة مسئولية أساسية فى استخدام مرشدى المخدرات والسيطرة عليهم. وكان الرئيس العملياتى لتلك الحملة هو الأميرال المتقاعد دانييل ميرفى Daniel J. Murphy. وسعى ميرفى للحصول على معلومات استخبارية عن عصابات المخدرات، ولكنه شكا من أن وكالة الاستخبارات المركزية كانت تتعمد الإبطاء. وقال فى وقت لاحق لصحيفة "نيويورك تايمز": "لم أتلق ما كنت أريده من مشاركة وكالة الاستخبارات المركزية الفعالة." وذكر عضو آخر فى الحملة الأمر بقدر أكبر من الصراحة حين قال: "قد تكون وكالة الاستخبارات المركزية ذات قيمة، ولكن المرء بحاجة إلى تغيير للقيم والمواقف. وأنا لا أعرف شيئًا واحدًا قدموه لنا وكان مفيدًا".

ومن المؤكد أن بوش كان يعلم علم اليقين أن باكستان قد أصبحت مصدرًا لمعظم الهيروين عالى الجودة الذى يدخل غرب أوروبا والولايات المتحدة، وأن الجنرالات الذين كان يتعاون معهم كانوا متورطين تورطًا شديدًا فى تجارة المخدرات. ولكن نائب الرئيس الذى قال فيما بعد "لن أساوم تجار المخدرات على أرض الولايات المتحدة أو فى الخارج"، استغل رحلته إلى باكستان لمدح نظام ضياء الحق على دعمه الثابت للحرب على المخدرات. (ويمكن القول إنه وجد وسط تلك الرحلات الخطابية الوقت لأن يحصل من ضياء الحق على عقد لشراء ما قيمته ٤٠ مليون دولار من توربينات الغاز التى تصنعها شركة جنرال إلكتريك General Electric.)

وكما هو متوقع، قطعت حكومتا ريجان وبوش فى الثمانينيات أشواطًا كبيرة فى إلقاء اللوم فى زيادة إنتاج الهيروين الباكستانى على الجنرالات السوفييت فى كابول. فقد قال النائب العام فى حكومة ريجان، الجنرال إدوين ميز Edwin Meese، خلال زيارته لإسلام أباد فى مارس ١٩٨٦: "يبدى النظام لا مبالاة مطلقة تجاه أية إجراءات للحد من الخشخاش. ونحن نعتقد اعتقادًا قويًا أن هناك بالفعل تشجيعًا ـ خفيًا على الأقل ـ لزراعة خشخاش الأفيون."

وما يعلمه ميز أكثر. فوزارة العدل التى يعمل بها كانت تتعقب واردات المخدرات من باكستان منذ عام ١٩٨٢ على الأقل، وكانت على علم تام بأن التجارة يسيطر عليها المتمردون الأفغان والجيش الباكستانى. وبعد بضعة أشهر من الكلمة التى ألقاها ميز فى باكستان، ضبط مكتب الجمارك الأمريكى رجلاً باكستانيًا اسمه عبد الولى وهو يحاول تفريغ ما يزيد على طن من الحشيش وكمية أقل من الهيروين فى الولايات المتحدة فى ميناء نيوآرك بولاية نيوجيرزى Newark, new Jersey. وأبلغت وزارة العدل الصحافة أن عبد الولى يرأس منظمة تضم ٥٠ ألفًا شمال غربى باكستان – إلا أن وكيلة النائب العام كلوديا فلين Claudia Flynn رفضت الإفصاح عن الجماعة. وأبلغ مسئول فيدرالى آخر وكالة "أسوشيتد بريس" أن عبد الولى كان قائدًا كبيرًا من قادة المجاهدين.

كما كان معروفًا للمسئولين الأمريكيين أن الأشخاص الذين على وفاق مع الرئيس ضياء كانوا يكونون ثروات من تجارة الأفيون. وكلمة "ثروات" هنا ليست من قبيل المبالغة، حيث إن أحد مساعدى ضياء كان لديه ٣ مليارات دولار فى بنك "بى سى سى آى". وفى ١٩٨٣، أى قبل عام من زيارة جورج بوش لباكستان، ألقى القبض على أحد أطباء الرئيس ضياء، وهو معالج يابانى بالأعشاب اسمه هيسايوشى ماروياما، فى أمستردام وهو يحمل معه ١٧,٥ كيلو من الهيروين عالى الجودة المصنع فى باكستان من الأفيون الأفغانى. وكان ماروياما متنكرًا فى هيئة كشاف حين ألقى القبض عليه.

وعند تحقيق عملاء وكالة مكافحة المخدرات مع ماروياما بعد القبض عليه، قال إنه مجرد مرسال لمرزا إقبال بايج، وهو الرجل الذى وصفته الجمارك الباكستانية بأنه "أنشط تاجر مخدرات فى البلاد". وكان بايج على علاقة طيبة بعائلة ضياء وغيره من كبار المسئولين فى الحكومة. وكان مرتين هدفًا لوكالة مكافحة المخدرات، التى أُبلغ

عملاؤها ألا يتابعوا التحرى عنه بسبب صلاته بحكومة ضياء. وصرَّح محام باكستانى كبير اسمه سيد سانى أحمد لإذاعة "بى بى سى" BBC أن ذلك كان إجراء قياسيًا فى باكستان. كما قال: قد تكون لدينا أدلة ضد شخص بعينه، ومع ذلك لا يمكن لوكالاتنا الخاصة بتنفيذ القانون أن تضع يدها على هؤلاء الأشخاص، لأن رؤساءهم يمنعونهم من ذلك. وبصراحة، فهم يتمتعون بنوع ما من الحصانة."

وكان بايج أحد أباطرة التجارة والصناعة فى لاهور، حيث كان يمتلك دور العرض والمراكز التجارية والمصانع وأحد مصانع النسيج. ولم يتهمه أحد بتجارة المخدرات حتى عام ١٩٩٢، بعد سقوط نظام ضياء الحق، حين اتهمته محكمة فيدرالية أمريكية فى بروكلين بتجارة الهيروين. وأخيرًا مارست الولايات المتحدة القدر الكافى من الضغط على باكستان كى تلقى القبض عليه فى عام ١٩٩٣؛ وفى ربيع ١٩٩٨ كان نزيل السجن فى باكستان.

وكان من بين شركاء بايج (كما جاء فى مجلة "نيوزويك") فى تجارة المخدرات الحاج أيوب أفريدى، وهو أحد حلفاء الرئيس ضياء المقربين، وكان قد سبق له العمل فى المجلس العام الباكستانى. وكان أفريدى يقيم على بعد خمسة وثلاثين ميلاً من بيشاور فى مجمع كبير يحيط به سور ارتفاعه ٢٠ قدمًا [٦ أمتار] تعلوه الأسلاك الشائكة اللولبية والدفاعات التى تشمل المدافع المضادة للطائرات وجيشًا خاصًا من رجال القبائل. وقيل إن أفريدى مسئول عن شراء الأفيون الخام من أمراء المخدرات الأفغان، بينما كان بايج يرعى الإمداد والنقل والشحن إلى أوروبا والولايات المتحدة. وفى عام ١٩٩٣ قيل إن أفريدى تعاقد على قتل أحد عملاء وكالة مكافحة المخدرات العاملين فى باكستان.

وشملت قضية أخرى وثيقة الصلة بحكومة ضياء الحق القبض على حميد حسنين نائب رئيس أكبر بيت للمال فى باكستان، وهو بنك حبيب، بتهم تتعلق بالمخدرات. وأصبح إلقاء القبض على حسنين لب فضيحة عرفت باسم "قضية العُصْبَة الباكستانية". والذى تحرى عن عصابة المخدرات محقق نورييجى مثابر اسمه أوليفند أولسن Olyvind Olsen. ففى ١٣ ديسمبر ضبطت الشرطة النرويجية ٣٫٥ كيلو من الهيروين فى مطار أوسلو فى عفش شخص باكستانى اسمه رضا قريشى. ومقابل صدور حكم مخفف على قريشى، وافق على ذكر أسماء من يمدونه بالهيروين لأولسن،

محقق المخدرات. وبعد وقت قصير من تلك المقابلة مع قريشي، طار أولسن إلى إسلام أباد للكشف عن أفراد آخرين في عصابة المخدرات. وظل أولسن يضغط على وكالة التحقيقات الفدرالية الباكستانية للقبض على ثلاثة رجال أرشد عنهم قريشي، وهم طاهر بط، ومنوّر حسين، وحسنين، وجميعهم كانوا شركاء لبايج وضياء. ولم تتخذ الوكالة أي إجراء قبل تهديد أولسن بتوجيه الاتهام علنًا لسلوك الوكالة. وأخيرًا ألقت وكالة التحقيقات الفدرالية القبض على الرجال الثلاثة في ٢٥ أكتوبر ١٩٨٥. وعندما ألقى العملاء الباكستانيون القبض على حسنين تلقوا وابلاً من التهديدات. وتحدث حسنين عن "عواقب وخيمة" وزعم أنه "بمثابة الابن" للرئيس ضياء. واكتشف عملاء الوكالة داخل حقيبة حسنين سجلات لحسابات بنكية هائلة للرئيس ضياء الحق، إلى جانب حسابات زوجة ضياء وابنته.

وفور علم زوجة ضياء، ـ التي كانت موجودة في مصر في ذلك الوقت ـ بالقبض على حسنين اتصلت برئيس وكالة التحقيقات الفدرالية. وطلبت زوجة الرئيس بعنجهية إطلاق سراح "مصرفي العائلة الشخصي". واتضح أن حسنين لم يكن يتولى فقط مسئولية الشئون المالية الخاصة بعائلة الرئيس، بل كذلك كبار الجنرالات الباكستانيين الذين كانوا يحصلون على الأموال من واردات السلاح من وكالة الاستخبارات المركزية وكسبوا الملايين من تجارة الأفيون. وبعد بضعة أيام التي تأتي بها اتصال زوجة الرئيس، كان الرئيس ضياء نفسه على الخط مع وكالة التحقيقات الفدرالية، حيث طلب أن يوضح المحققون الظروف المحيطة بالقبض على حسنين. وعلى الفور رتب ضياء إطلاق سراح حسنين بكفالة لحين محاكمته. وعندما وقف قريشي، المرسال، للشهادة ضد حسنين، هدد المصرفي وزميلاه المتهمان الشاهد بالموت داخل المحكمة، مما دفع المحقق النرويجي إلى الاعتراض والتهديد بالانسحاب من إجراءات الدعوى.

وفي النهاية، أحكم القاضي سيطرته على الجلسة وألغى كفالة حسنين وأصدر عليه حكمًا قاسيًا بالسجن بعد إدانته. ولكن حسنين كان مجرد سمكة صغيرة دخلت السجن، بينما الجنرالات المذنبون أحرار. وأبلغ منير باتي الصحفي لورانس ليفشولتز أنه "كان كبش فداء. وقد أفسدت وكالة الاستخبارات المركزية القضية؛ فقد شوهت الأدلة. ولم يكن هناك أي مبرر للتسامح مع الجناة الحقيقيين ومنهم شخصيات كبيرة في هذا البلد. فقد كانت هناك أدلة في هذه القضية تحدد هوية هؤلاء الأشخاص".

وكان هؤلاء هم الأشخاص الذين كانت وكالة الاستخبارات المركزية تدفع لهم ٣,٢ مليار دولار لإدارة الحرب الأفغانية. وليس هناك من هو أفضل تجسيداً لهذه العلاقة من الفريق فضل الحق، الذى كان يشرف على العمليات العسكرية فى شمال غربى باكستان لمصلحة الجنرال ضياء الحق، بما فى ذلك تسليح المجاهدين الذين كانوا يستخدمون المنطقة للإعداد لغاراتهم. فقد كان فضل الحق هو الذى يضمن تلقى الحليف حكمتيار للجزء الأكبر من شحنات أسلحة وكالة الاستخبارات المركزية، وهو كذلك الذى كان يشرف على تشغيل ٢٠٠ معمل هيروين داخل دائرة اختصاصه ويحميها. وقد عرَّف الإنتربول فضل الحق عام ١٩٨٢ على أنه فاعل أساسى فى تجارة الأفيون الباكستانية الأفغانية. وكانت المعارضة الباكستانية تشير إليه على أنه نورييجا باكستان. وكان ضياء الحق ووكالة الاستخبارات المركزية يحميانه من تحقيقات المخدرات، وكان يتباهى فى وقت لاحق بأنه أفلت "من القتل بطريقة غير لائقة".

وكشأن غيره من جنرالات المخدرات فى نظام ضياء الحق الحاكم، كان فضل الحق كذلك على صلة وثيقة بأغا حسن عبيدى رئيس بنك "بى سى سى آى". وكان عبيدى وفضل الحق وضياء الحق يتناولون العشاء معًا مرة كل شهر تقريبًا، وكانوا يجرون العديد من المحادثات مع مدير وكالة الاستخبارات المركزية فى حكومة ريجان، ويليام كيسى. وكان لفضل الحق حساب فى "بى سى سى آى" مقداره ٣ ملايين دولار. وعقب اغتيال ضياء الحق فى ١٩٨٨ بقنبلة زُرِعَت (ربما زرعها كبار ضباط الجيش) فى طائرة الرئاسة الخاصة به، فقد فضل الحق بعض الحماية الرسمية، وسرعان ما ألقى القبض عليه لإصداره أمراً بقتل أحد رجال الدين الشيعة.

وبعد إقصاء رئيسة الوزراء بينظير بوتو، أخرج إسحاق خان، الذى حل محلها، فضل الحق من السجن على الفور. وفى عام ١٩٩١ أردى فضل الحق قتيلاً، فيما قد يكون انتقامًا لموت رجل الدين. وأقيمت لجنرال الأفيون جنازة رسمية، حيث نعاه إسحاق خان قائلاً إنه "جندى عظيم ومدير كفء قام بدور جدير بالثناء فى تقدم باكستان الوطنى".

وكانت بينظير بوتو قد جاءت إلى السلطة بفوز ساحق فى الانتخابات عام ١٩٨٨ وسط تعهدات قوية بتطهير باكستان من الفساد المشبع بالمخدرات، ولكنه لم يمض وقت طويل حتى بات نظامها نفسه هدفًا لاتهامات خطيرة. ففى عام ١٩٨٩ توصلت وكالة

مكافحة المخدرات الأمريكية إلى معلومات مفادها أن زوج بينظير، عاصف على زادارى، ربما يمول شحنات كبيرة من الهيروين من باكستان إلى بريطانيا العظمى والولايات المتحدة. وكلفت الوكالة أحد عملائها، وهو رجل يدعى جيمس بانكس James Banks، بالعمل سراً فى باكستان. وكان بانكس مرتزقًا بريطانيًا سابقًا عمل من قبل سراً لمصلحة سكوتلنديارد Scotland Yard فى قضايا مخدرات عالمية كبيرة.

ويزعم بانكس أنه أثناء وجوده فى باكستان كان يتخذ هيئة فرد من أفراد المافيا، وأنه التقى ببوتو وزوجها فى بيتهما بإقليم السند. بل إنه يزعم أنه سافر مع زادارى إلى إسلام أباد، حيث سجل سراً خمس ساعات من الأحاديث بين زادارى وجنرال بالقوات الجوية الباكستانية، وأحد رجال البنوك الباكستانيين. وقد ناقش الرجال كيفية نقل الهيروين إلى الولايات المتحدة وبريطانيا. وقال بانكس عام ١٩٩٦: "تحدثنا عن الطريقة التى سيشحنون بها المخدرات إلى أمريكا داخل قارب معدنى تابع لإحدى السفن وأبلغونى أن المملكة المتحدة منطقة أخرى يشحنون إليها الهيروين والحشيش بشكل منتظم." وكان مكتب الجمارك البريطاني يرصد هو الآخر زادارى فيما يتعلق بتهريب المخدرات. وقال ضابط جمارك بريطانى متقاعد لصحيفة "فاينانشال تايمز": "تلقينا معلومات استخبارية من حوالى ثلاثة أو أربعة مصادر بشأن تورطه المزعوم كممول. وهذا هو كل ما أبلغت به الاستخبارات البريطانية." ويقول مسئول الجمارك إن حكومته لم تستجب لهذا التقرير. وبالمثل يؤكد بانكس أن وكالة الاستخبارات المركزية أوقفت تحرى وكالة مكافحة المخدرات عن زادارى. وظهر كل ذلك حين سقطت حكومة بوتو للمرة الثانية عام ١٩٩٦، حيث وجهت لها تهم بالفساد انصبت فى المقام الأول على زادارى، الذى كان وقتها فى السجن بتهمة قتل صهره مرتضى. واتهُم زادارى كذلك باختلاس ما يزيد على مليار دولار من أموال الدولة.

ويقول نواز شريف إنه فى عام ١٩٩١ حين كان رئيساً للوزراء، عرض عليه جنرالان باكستانيان - هما أسلم بك رئيس هيئة الأركان بالجيش، وأسعد دورّانى رئيس الاستخبارات الباكستانية - خطة لتمويل عشرات العمليات السرية من خلال بيع الهيروين. وقال شريف لجون وارد أندرسون John Ward Anderson الصحفى فى "واشنطن بوست" عام ١٩٩٤: "قال لى الجنرال دورانى 'لدينا خطة جاهزة لأن تقرها'. دهشت بشدة من ذلك، وأكد كل من أسلم بك ودورانى على أن اسم باكستان لن يأتى

على لسان أحد فى أى مكان لأن العملية كلها ستنفذها أطراف ثالثة موثوق بها. ومضى دورانى بعد ذلك فى عد سلسلة من العمليات العسكرية السرية التى هى فى أمسِّ الحاجة إلى المال." وذكر شريف أنه رفض الخطة، ولكنه يعتقد أنها نفذت حين تولت بوتو السلطة.

وكان أثر حرب أفغانستان على معدلات الإدمان فى باكستان أكثر منه على زيادة إدمان الهيروين فى الولايات المتحدة وأوروبا. فقبل أن يبدأ برنامج وكالة الاستخبارات المركزية، كان عدد مدمنى الهيروين فى باكستان يقل بعض الشىء عن ٥ آلاف شخص. وبحلول عام ١٩٩٦، وطبقًا لما ذكرته الأمم المتحدة، كان هناك ما يزيد على ١.٦ مليون مدمن. وفى عام ١٩٩٣، ذكر ممثل باكستان فى لجنة المخدرات التابعة للأمم المتحدة، رءوف على خان، أنه "ليس هناك فرع من فروع الحكومة لم ينتشر فيه فساد المخدرات". والمثال الذى ذكره لبيان تلك الحقيقة هو أن باكستان تنفق ١.٨ مليون دولار فقط سنويًا على جهود مكافحة المخدرات، مع تخصيص ألف دولار لشراء بنزين لشاحناتها السبع.

وبحلول عام ١٩٩٤ كانت قيمة تجارة الهيروين فى باكستان ضعف قيمة ميزانية الحكومة. وذكر دبلوماسى غربى لصحيفة "واشنطن بوست" ذلك العام أنه "عندما تصل مرحلة يكون فيها لدى تجار المخدرات أموال أكثر مما لدى الحكومة، فإن الأمر يحتاج إلى جهود ضخمة وأشخاص رائعين لتعديل الوضع." وحجم الالتزام المطلوب تبينه حادثتان. ففى عام ١٩٩١ جرت أكبر مداهمة للمخدرات فى التاريخ على الطريق من بيشاور إلى كراتشى، وقد ضبط ضباط الجمارك الباكستانيون ٣.٥ طن من الهيروين و٤٤ طنًا من الحشيش. وبعد عدة أيام اختفى نصف الهيروين والحشيش ومعه الشهود. كما أن المتهمين، الذين تربط أربعة منهم صلات بالاستخبارات الباكستانية، "هربوا بطريقة غامضة" حسبما قاله أحد ضباط الجمارك الباكستانيين. وفى عام ١٩٩٣، ضبط حرس الحدود الباكستانى ٨ أطنان من الحشيش و١.٧ طن من الهيروين. وعندما عرضت القضية على المجلس الباكستانى للحد من المخدرات، وقام كل الأعضاء بإجازة لتحاشى المشاركة فى التحقيق. ولم يعاقب أحد، ولا حتى ناله شىء من الإزعاج، وخرج منها تجار المخدرات دون أية عقوبة. بل إن وكالة الاستخبارات المركزية اضطرت فى النهاية إلى الاعتراف فى تقرير قدمته عام ١٩٩٤ للكونجرس بأن الهيروين أصبح "قوام حياة الاقتصاد الباكستانى والنظام السياسى الباكستانى".

وفي فبراير ١٩٨٩ سحب ميخائيل جورباتشوف Mikhail Gorbachev القوات السوفييتية من أفغانستان، وطلب من الولايات المتحدة الموافقة على فرض حظر على تزويد السلاح لأى من فصائل المجاهدين الأفغان الذين كانوا يعدون لمرحلة جديدة من الاقتتال من أجل السيطرة على البلاد. ورفض الرئيس بوش هذا الطلب، ليضمن بذلك فترة من البؤس والرعب الدائمين في معظم أفغانستان. وكانت الحرب قد حولت نصف السكان إلى لاجئين، وخلفت ٣ ملايين جريح، وأودت بحياة ما يزيد على المليون شخص. وتوضح ميول المجاهدين في تلك الفترة حكايتان. فقد نقل مراسل "فار إيسترن إيكونوميك ريفيو" Far Eastern Economic Review في كابول عام ١٩٨٩ الطريقة التي عامل بها المجاهدون الأسرى السوفييت بقوله: "قُتلت مجموعة وسُلخت جلودها وعلقت في محل للجزارة. ووجد أحد الأسرى نفسه مركز الاهتمام في مباراة للبوزكاشي، وهي شكل خشن وغير منظم من لعبة البولو الأفغانية التي تكون الكرة فيها عادة عنزة مقطوعة الرأس. واستخدم الأسير بدلاً من العنزة، وهو حي. وقد قطعوه إربًا، بالمعنى الحرفي للكلمة." كما كان لدى وكالة الاستخبارات المركزية كذلك أدلة على أن مقاتليها الأحرار خدَّروا أكثر من ٢٠٠ جندي سوفيتي بالهيروين وحبسوهم في أقفاص الحيوانات، حيث ذكرت "واشنطن بوست" عام ١٩٩٠ أنهم كانوا يحيون "حياة من الرعب لا يوصف".

وفي سبتمبر ١٩٩٦ استولت طالبان، وهم أصوليون نشأوا في باكستان حيث صنعتهم الاستخبارات الباكستانية ووكالة الاستخبارات المركزية، على السلطة في كابول، وأعقب ذلك إعلان زعيمهم المُلا عمر تغيير كل القوانين التي لا تتفق مع الشريعة الإسلامية. وأجبرت النساء على ارتداء التشادور[1] والبقاء في البيت، مع فصل تام للجنسين، وعدم ذهاب المرأة للمستشفيات والمدارس والحمامات العامة. وظلت وكالة الاستخبارات المركزية على تأييدها للمتعصبين الذين ينتمون للعصور الوسطى، الذين وصفتهم إيما بونينو Ema Bonino مفوضة الاتحاد الأوروبي للشئون الإنسانية بأنهم يرتكبون "إبادة نوعية" gender genocide.

---

(١) هو رداء أسود فضفاض يستر جسم المرأة كله من رأسها حتى أصابع قدميها، ما عدا الوجه. وهذا هو التشادور الذي ترتديه المرأة الإيرانية. أما في أفغانستان، فالتشادور مختلف الألوان ويزيد على الإيراني في أنه يغطي حتى الوجه. **(المترجم)**

والقانون المخالف للشريعة الذى لم يكن لدى طالبان اهتمام واضح بتغييره هو نهى النبى عن المُسْكرات. فالواقع أن طالبان كانت تشجع مزارعيها الأفغان على زيادة إنتاجهم من الأفيون. وقال أحد زعماء طالبان، وهو "قيصر المخدرات" عبد الرشيد: "إذا حاولنا منع هذا [زراعة الأفيون] سيقف الناس ضدنا." وبحلول نهاية عام ١٩٩٦، كان إنتاج الأفيون الأفغانى قد بلغ، طبقًا لما ذكرته مصادر الأمم المتحدة ـ ٢٠٠٠ طن مترى. ويقدر عدد الأسر التى تعمل فى تجارة الأفيون فى أفغانستان بـ ٢٠٠ ألف أسرة. وكان طالبان يسيطرون على ٩٦ بالمائة من كل الأراضى التى تزرع أفيونًا فى أفغانستان وتفرض ضريبة على إنتاج الأفيون ورسوم طريق على الشاحنات التى تحمل المحصول.

وفى عام ١٩٩٧، رد أحد مزارعى الأفيون الأفغان ردًا ساخرًا على قلق جيمى كارتر بشأن استخدام الأسلحة النووية كجزء من الرد على الغزو السوفيتى لأفغانستان عام ١٩٧٩. فقد قال أمهود جُل لصحفى من "واشنطن بوست": "إننا نزرع هذا [أى الأفيون] ونصدر هذا كالقنبلة الذرية." وكان لتدخل وكالة الاستخبارات المركزية مفعوله السحرى من جديد ـ فبحلول عام ١٩٩٤ كانت أفغانستان ـ طبقًا لما ذكره برنامج الأمم المتحدة للمخدرات، قد فاقت بورما باعتبارها المورد رقم واحد للأفيون فى العالم.

■ ■ ■

المصـــادر

حتى يومنا هذا، لا تزال الحرب الأفغانية هي أكثر تدابير وكالة الاستخبارات السرية تكلفة، ولكنها حظيت بقدر ضئيل من التمحيص النقدى. وهذا ليس مذهلاً إلى حد كبير. فمنذ البداية وأفغانستان مغامرة يشارك فيها الحزبان. ولم يكتب أحد فى الصحافة الأمريكية الكثير من أى شيء عن أفغانستان حتى الغزو الأفغاني. وفجأة بدت أفغانستان وكأنها أصبحت فيتنام السوفييت وقفز الجميع على السطح. واليوم تنشر الصحف من حين لآخر قصة ما عن قرار قمعى جديد أو إجراء صارم من إجراءات طالبان. ولكن هذه القصص لا تذكر أبداً من أين جاء طالبان وكيف حصلوا على سلاحهم. وفى ربيع ١٩٩٨، امتلأت الصحافة الأمريكية بتقارير عن الطبيعة المتمردة للحكومة فى باكستان، التى أجرت مؤخراً سلسلة من التجارب النووية تحت الأرض رداً على تجارب مماثلة أجرتها جارة باكستان، الهند. ومرة أخرى نظرت بعض القصص الإخبارية وراء النص الرسمى لكشف الطبيعة الحقيقية لعلاقة الولايات المتحدة مع الجيش الباكستانى والشرطة السرية الباكستانية.

ومن المؤكد أن دان راذر لم يكن الدمية الإعلامية الوحيدة التى تحركها وكالة الاستخبارات المركزية، إلا أنه نقل مشروعها الخاص بأفغانستان إلى وقت الذروة. فقد نشر راذر رواية عن مغامرته المثيرة للضحك فى هندوكوش عام ١٩٩٤. ورغم مرور أكثر من عشر سنوات، لا يبدو أن راذر لم يقرأ أى شيء عن أفغانستان فى تلك الفترة. فبعد المذابح، وتهريب المخدرات والسلاح، وإساءة معاملة النساء، كان راذر لا يزال يرى أصدقاءه من المجاهدين على أنهم مقاتلو الحرية الورعون المراعون للأخلاق الذين كانوا فيما مضى. وقيادة راذر لفريق المشجعين يكاد يقابلها فى الصحافة المكتوبة الصحفى جون بيرنز بصحيفة "نيويورك تايمز"، الذى كتب مقالا يخلو بشكل غريب من أى إحساس بالمفارقة التاريخية فى "نيويورك تايمز مجازين" بعنوان " الأفغان: إنهم يلومون أمريكا الآن". وكانت هناك بعض التقارير الصحفية الممتازة عن أفغانستان والسياق الحقيقى للحرب، وعلى الأخص ما كتبه تيم وينر ولورانس ليفشولتز. والإشارة إلى احتجاج خبير سياسات المخدرات ديفيد موستو على سياسة كارتر الخاصة بأفغانستان منقولة عن آل ماكوى، الذى يضم كتابه قسماً موجزاً، وإن كان

زاخرًا بالمعلومات، عن تجارة الأفيون فى الهلال الذهبى, ويصف كتاب بوب وودورد Veil استراتيجية ويليام كيسى الخاصة بأفغانستان. كما حلل مارتن لى ومورمان سولومون التقارير الصحفية المنحازة أثناء المراحل الأولى من الحرب فى كتابهما Unreliable Sources. وكثيرًا ما لجأنا كذلك إلى كتاب بيتر ترويل ولارى جوروين False Profits أفضل رواية عن فضيحة "بى سى سى آى".

Adams. James Ring, and Douglds Frantz. A Full Service Bank. Pocket Books, 1992.

Ali Tariq. Con Pakistan Survive? Penguin. 1983.

Anderson. John Ward and Kamran Khan. "Heroin Plan by Top Pakistanis Alleged. Former Prime Minister Says Drug Deals Were to Pay for Covent Military Operations." Washington Post, Sept. 12, 1994.

Associated Press. 'Taliban Religious Police Jail Seven Singers." Washington Post, Nov.30, 1997

"Evidence Found of Mass Killings in Afganistan." Washington Post , Dec. 14, 1997.

Bhutto, Benazir. Doughter of the East. Hamish Hamilton. 1988.

Blum, William. Killing Hope. Common Courage, 1995.

Boustany, Nora. "A Visit from the Men (Only) Who Now Rule Afganistan. Washington Post, Feb.26, 1997.

Bradsher, Henry. Afghanistan and the Soviet Invasion. Duke Univ. Press, 1985.

Brister, Robert. "Afghanistan in Perspective." Churchman, March 1980.

Burns, John. "Afghans: Now They Blame America." New York Times Magazine, Feb. 4, 1990.

Carter. Jimmy. Keeping Faith: Memoirs of a President. Bantam, 1982.

Cooper, Kenneth. "Afghanistan's Neighbors Wary of Taliban Militia." Washington Post, May31, 1997

"For Afghan Rivals, Warrior Traditions Complicate Unity." Washington Post, June 4, 1997.

"Afghans Cultivate Islamic State, But Ignore Illicit Harvest." Washington Post, May 11,1997

Evans. Kathy. "The Tribal Trail." Newsline, Dec.1989.

Galster. Steven. "Biography: Hekmatyar, Gulbuddin." National Security Archives, 1990.

Hammond, Thomas. Red Flag overAfghanistan. Westview, 1984.

Hammer. Joshua. "Poppy Fight." Newsweek, Sept. 18, 1989.

Harrison, Selig. "The Shah, Not the Kremlin, Touched Off the Afghan Coup." Washington Post, May 13,1979.

"Did Moscow Fear an Afghan Tito?" New York Times, Jan.13, 1980. Hirst. David, and Irene Bacon. Sadat. Faber and Faber, 1981.

Hussain, Zahid. "Narcopower: Pakistan's Parallel Government." Newsline, Dec.1989. Isikoff, Michael. "International Opium Crop Production up 8 Percent Last Year; Despite US Efforts Against Poppy Crop, Concern Grows About Expanding Heroin Market." Washington Post, March 1, 1992.

Kamm, Henry. "Afghan Guerrillas Hijack Convoy of UN Aid for Rival Rebel Area." New York Times, Dec. 1, 1988.

Khan, Afzal. "Afghanistan's Holy War." National Review, Feb.1980.

LaGesse, David and George Rodriguez. "Drug War Often Finds CIA at Odds with DEA." Dallas Morning News, Feb.16, 1997.

Lee. Martin A., and Norman Solomon. Unreliable Sources: A Guide to Detecting Bias in the Media. Lyle Stuart, 1990.

Levins. Hoag. "The Kabul Connection." Philadelphia Magazine. March 1980.

Lifschultz. Lawrence. "Dangerous Liaison: The CIA-ISI Connection." Newslinc, Nov. 1989.

McCoy, Alfred. The Politics of Heroin: CIA Complicity' in the Global Drug Trade. Lawrence Hill, 1991.

Morgan. Dan, and David Ottaway. "Women's Fury Toward Taliban Stalls Pipeline; Afghan Plan Snagged in US Political Issues." Washington Post, Jan. 11,1998.

Naylor. R. T. Hot Money. Simon and Schuster, 1987.

Pear, Robert. "Thirty Afghan Rebels Slain by Rival Band." New York Times, July 18. 1989.

Prados, John. The Presidents'Secret Wars. Ivan R. Dee, 1996.

Rather. Dan and Mickey Hershkowitz. The Camera Never Blinks Tsvice. Morrow, 1994.

Roy, Oliver. Islam and Resistance in Afghanistan . Cambridge Univ. Press, 1989.

Reuters. "Afghans' Executions Described by UN Official." Washington Post, Dec.17. 1997.

Rupert. James, and Steve Coll. "US Declines to Probe Afghan Drug Trade; Rebels. Pakistani Officers Implicated." Washington Post, May 13, 1990.

Shawcross. William. "Where the Music has Died and the Women Walk Softly." Washington Post, Nov.23, 1997.

Thornton. Mary. "Sales of Opium Repontedly Fund Afghan Rebels." Washington Post, Dec. 17, 1983.

Timmerman, Kenneth. The Death Lobby. Houghton Miflin, 1991.

Witkin, Gordon, and Jennifer Griffin. "The New Opium Wars." US News and World Report. Oct.10, 1994.

US Congress. Senate. Committee on Foreign Affairs. The BCCI Affair: Final Report. Government Printing Office, 1992.

US Depaatment of State. International Narcotics Control Strategy Report. Govdrnment Printing Office, 1984.

Intentational Narcotics Control Strategy Report. Government Printing Office.1986.

International Narcotics Control Strategy Report. Government Printiuc Office. 1990.

International Narcotics Control Strategy Report. Government Printing Office. 1995.

US Office of the Comptroller General. General Accounting Office. Drug Control: US Support Efforts in Burma, Pakistan and Thailand, Government Printing Omec. Feb. 1988.

Vornberger, William. "Afghan Rebels and Drugs." Covert Action Information Bulletin. Summer 1987.

Weiner. Tim. Blank Check. Warner Books, 1990.

Woolridge. Mike. "Afghanistan's Opium Harvest." (Transcript) BBC News, May 9, 1998.

Yousai, Mohammed, and M. Adkin. The Beartrap: Afghanistan 's Untold Story. Coo per. 1992 Adams. James Ring,

وكالة الاستخبارات المركزية والمخدرات وأمريكا الوسطى

أوليفر نورث والمخدرات وسباق مجلس الشيوخ الكبير

ظهرت أطول قصة إخبارية نشرتها صحيفة "واشنطن بوست" حتى الآن عن ادعاءات شحنات المخدرات والأسلحة، التي تشمل فيما تشمل مقاتلى كونترا (باستثناء الهجمات التى شنتها على جارى وِب)، فى اللحظات الأخيرة من مساعى أوليفر نورث Oliver North للوصول إلى مجلس الشيوخ عام ١٩٩٤ فى فيرجينيا. فقد كانت "واشنطن بوست" تكره نورث كراهيتها لوِب، وربما أكثر. وبما أن أفضل طريقة لضرب المرشح نورث هى القول بأنه غض الطرف عن تهريب مقاتلى كونترا للمخدرات، فقد أقرت "واشنطن بوست" قصة تهريب مقاتلى الكونترا للمخدرات، وهو على العكس تماماً مما فعلته حين كانت تضرب جارى وِب بعد ذلك بعامين. وكان يمكن أن يشعر المرء بالأسى على نورث وسط هذه التغيرات العشوائية للاتجاه التى تحددها النزوات من جانب "واشنطن بوست"، لولا ذلك النقص الشديد فى اللطف الذى يعانى منه الكولونيل المغرور ولكن فى الوقت نفسه، لم يكن نورث يطيع توجيهات رئيسه بعدم الخضوع لإرادة الكونجرس وحسب، بل حث كذلك الصحف الكبرى مثل "واشنطن بوست"، التى كانت تريد رؤية مقاتلى ساندينستا "مضغوطين"، وتشن عليهم الغارات، ويخرّبون، وفى النهاية ييأسون من موقفهم - بكل ما هو واجب من حصافة وحكمة.

وطوال جزء كبير من الثمانينيات، كان هناك تظاهر من جانب صحافة المؤسسة بأن هناك وسائل مشروعة إلى حد ما لمعاقبة نيكاراجوا دون توجيه فرق القتلة التى دربتها وكالة الاستخبارات المركزية إلى إزهاق أرواح المعلمين والمنظمين الحضريين. ولكن عندما اتضح أن وسائل الضغط الفعالة غير مشروعة فى ظل القوانين القومية والدولية، أغمضت صحافة المؤسسة أعينها إلى حد كبير عما يجرى.

حرية المعلومات. كما استخدمت الجريدة كذلك مذكرات مرسلة إلى نورث من روبرت أوين Robert Owen، وكان همزة الوصل بين نورث ومقاتلى كونترا فى أمريكا الوسطى. ففى ١٥ أبريل ١٩٨٥، على سبيل المثال ـ كتب أوين مذكرة مطولة إلى نورث يعبر فيها عن قلقه من أن العديد من الرجال الذين اختارهم أدولفو كاليرو، قائد تنظيم كونترا، "إف دى إن"، كى يرأسوا فرقة جديدة من فرق كونترا فى كوستاريكا "متورطون فى تهريب المخدرات". وكتب أوين عن خوسيه روبيلو قائلاً: "تورط محتمل فى تهريب المخدرات وبيع السلع التى تقدمها الحكومة الأمريكية." وحذَّر أوين من شخص آخر، هو سيباستيان جونثاليس، قائلاً: "هو الآن متورط فى تهريب المخدرات من بنما" "هؤلاء هم بعض الأشخاص الذين يجب على شمعة الاحتراق [الاسم الكودى الذى أعطاه أوين لأدولفو كاليرو] وغيره أن يحذروهم." وكان جونثاليس مساعداً لنورين مينيسيس.

وفى ١٢ يوليو ١٩٨٥، يسجل دفتر نورث محادثة مع ريتشارد سيكورد الذى كان نورث قد جنده لإدارة عملية توريد أسلحة كونترا (ولنتذكر أن سيكورد كان قد سبق له العمل فى عملية وكالة الاستخبارات المركزية فى جنوب شرقى آسيا التى كان يديرها تيد شاكلى). وكان الحديث عن مخزن الأسلحة فى هُندوراس الذى كان مقاتلو كونترا يشترون منه السلاح، ويقول سيكورد لنورث إن "١٤ مليوناً لتمويل [السلاح] جاءت من المخدرات".

وفى ٩ أغسطس، يشير نورث إلى محادثة مع روبرت أوين عن طائرة يستخدمها ماريو كاليرو، شقيق أدولفو، وكذلك رئيس الإمداد والتموين الخاص بمقاتلى كونترا. وكان أوين قد أبلغ نورث أن كاليرو يستخدم الطائرة المتمركزة فى نيو أورليانز لشحن الإمدادات لمعسكرات كونترا فى هُندوراس. وتقول مذكرات نورث: "من المحتمل أن تكون الطائرة الهُندوراسية DC-6 المستخدمة للنقل من نيو أورليانز مستخدمة كذلك للتهريب إلى داخل الولايات المتحدة."

وفى ١٠ فبراير ١٩٨٦، يرسل أوين لنورث مذكرة تتحدث عن طائرة تستخدم للمساعدات الإنسانية إلى مقاتلى كونترا استخدمت كذلك لتهريب المخدرات. وكانت الطائرة مملوكة لشركة تدعى "فورتكس" Vortex، يديرها مايكل بالمر Michael Palmer، وهو أحد أكبر مهربى الماريوانا فى الولايات المتحدة.

وبعد أن أوردت "واشنطن بوست" تلك المقاطع، روت من جديد شهادة نورث أمام الكونجرس أثناء تحقيقات إيران/كونترا، التى زعم فيها أنه سلم وكالة مكافحة المخدرات

كل الأدلة على تهريب كونترا للمخدرات. ووصفت أدامز الصحفية بالجريدة كيف اتصلت بوكالة مكافحة المخدرات وقيل لها إنه لا يوجد بالمرة أى سجل يفيد بأن نورث أجرى مثل تلك الاتصالات. وقالت وكالة مكافحة المخدرات فى رد غير معتاد على الجريدة: "ليست هناك أية أدلة على أنه تحدث بالفعل مع أى شخص. فنحن لم نعثر على أى شخص تحدث إليه، إن كان قد تحدث إلى أحد. فليس هناك أى سجل للشخص الذى تحدث إليه."

كما اتصلت "واشنطن بوست" كذلك بجاك لون Jack Lawn رئيس وكالة مكافحة المخدرات فى ذلك الوقت، الذى قال صحيح إنه تحدث مع نورث مرات عديدة فى عامى ١٩٨٥ و١٩٨٦، ولكن "أولى Ollie لم يقدم لى أية معلومات استخبارية" عن تهريب كونترا للمخدرات. وجاءت تصريحات مشابهة على لسان رئيس وكالة مكافحة المخدرات الجديد روبرت برايدين Robert Bryden؛ ورئيس نورث السابق فى مجلس الأمن القومى، روبرت ماكفرلين. وقال روبرت دوملينج Robert Duemling، وهو موظف قديم بوزارة الخارجية كان مسئولاً عن منظمة المساعدات الإنسانية النيكاراجوية التى كانت تتعاقد مع الطيارين وتوصل المساعدات إلى مقاتلى كونترا، إن نورث حثه على العمل مع أشخاص كان يعرف أنهم متورطون فى المخدرات. وأضاف دوملينج: "كان يريدنى أن أعمل مع ماريو [كاليرو]."

كما نقلت الصحيفة كذلك كلام رئيس الجمارك الأمريكية السابق ويليام فون روب William von Robb، الذى زعم أنه كان "مذهولاً إلى أقصى حد" مما كشفت عنه مذكرات نورث. وتحدث رجل وكالة الاستخبارات المركزية روبرت جيتس إلى "واشنطن بوست" بلغة مشابهة. فقد قال: "كان لا بد أن يكون رد فعل الشخص الطبيعى قوياً." ولكى تستكمل الصحيفة تعبيرات الدهشة المسرحية تلك، حامت حول إليوت ابرامز Eli-ot Abrams الموظف السابق بوزارة الخارجية، الذى سبق أن اتهمه محقق إيران/كونترا، لورانس والش، بالتزوير، وقد قال ابرامز بكل حرص إنه "من الناحية القانونية لم يكن [تهريب مقاتلى كونترا ومورديهم للمخدرات] من شأننا".

وبالطبع كانت كل تلك الاعتراضات على خداع نورث المفترض يخدم المصالح الذاتية، تماماً مثل حرص "واشنطن بوست" المفاجئ على نشر الادعاءات الخاصة بتهريب مخدرات كونترا. وعلى سبيل المثال، قال جيتس إنه كان يتوقع أن يقوم نورث فور عثوره على أدلة على تهريب مقاتلى كونترا للمخدرات بإبلاغها على الفور لفون روب

أو وكالة مكافحة المخدرات. ولكن جيتس ـ باعتباره كبير ضباط وكالة الاستخبارات المركزية ـ كان قد رأس تحقيقات أجريت عام ١٩٨٨ حول اتهامات تهريب كونترا للمخدرات فى أعقاب جلسات استماع كيرى. وحينذاك كانت لديه مثل ما لدى نورث من معلومات عن مقاتلى كونترا ومتعهديهم. وكذلك الحال بالنسبة لفون روب، ولكن أياً منهما لم يقل شيئًا فى ذلك الوقت.

واللعبة هى تعليق كل شىء فى رقبة نورث. ولعبت "واشنطن بوست"، الحريصة على إزاحته كمرشح لمجلس الشيوخ، لعبتها. وربما ساهمت القصة الإخبارية فى هزيمة نورث بفارق ضئيل فى معركة انتخابات مجلس الشيوخ فى فيرجينيا بعد أسبوعين. ولكن رغم استحقاق نورث للوم بكل تأكيد – أكثر مما ادعته "واشنطن بوست" بكثير فى الواقع – فقد سبقت وكالة الاستخبارات المركزية الكولونيل الشاب المغرور بسنوات فى تواطئها مع تهريب كونترا للمخدرات.

ولنأخذ على سبيل المثال قضية "سيتكو" SETCO، وهى شركة طيران هُندوراسية كانت فى الفترة من ١٩٨٣ حتى ١٩٨٥ الشركة الرئيسية المستخدمة فى نقل الإمدادات والسلاح من الولايات المتحدة إلى معسكرات كونترا فى هُندوراس. وفى تلك السنوات نقلت طائرات سيتكو وحدها ما يزيد على مليون دفعة من الذخيرة، وكان الذى يدير الشركة هو خوان مَتّى باليستيروس Juan Matta Ballesteros، وهو أحد أكبر تجار المخدرات فى أمريكا اللاتينية ورجل له صلات مفيدة بوكالة الاستخبارات المركزية والبنتاجون. وكان قد ألقى القبض على باليستيروس عام ١٩٧٠ لجلبه ٢٦ كيلو مخدرات إلى مطار دلاس الدولى، خارج واشنطن العاصمة. ولكن سوء الحظ هذا لم يؤد إلى سجنه مدى الحياة فى الولايات المتحدة لكونه صديقًا لوكالة الاستخبارات المركزية، بل إلى مجرد الترحيل إلى هُندوراس، حيث أقام فى ١٩٧٥ شراكة مع تاجر المخدرات المكسيكى الكبير فيليكس جالارادو Felixgallaradi. وفى عام ١٩٧٨ استغل مَتّى أرباحه من المخدرات لتمويل إقصاء الرئيس الهُندوراسى خوان ألبرتو ميلجار كاسترو Juan Alberto Melgar Castro، وبذلك دفع إلى السلطة بالجنرال بوليكاربو باث جارثيا Policarpi Paz Garcia. واهتمت وكالة الاستخبارات المركزية اهتمامًا وثيقًا ووديًا بانتقال السلطة هذا، فقد كان باث، على عكس الرجل المخلوع، مؤيدًا قويًا للرئيس النيكاراجوى سوموثا.

وفى ظل نظام باث الحاكم بدأ الجيش وجهاز الاستخبارات فى هندوراس الحصول على حصة من تهريب مَتّى للمخدرات، مقابل حماية عملياته المزدهرة، وكانت هُندوراس فى ذلك الوقت فى سبيلها لأن تكون نقطة أساسية للترانزيت بالنسبة للكوكايين والماريوانا المتجهين شمالاً من كولومبيا.

وكانت همزة الوصل بين مقاتلى كونترا وراعيهم المشترك، وكالة الاستخبارات المركزية، رجلا يسمى ليونيديس توريس آرياس Leonides Torres Arias، رئيس الاستخبارات العسكرية فى هُندوراس. ومنذ انقلاب ١٩٧٨ الذى قام به باث جارثيا، كان توريس يحصل على إتاوة الكوكايين من مَتّى، حسبما جاء فى تحقيق أجراه مجلس الشيوخ الأمريكى. وعندما سُحب الضباط الأرجنتينيون الذين كانوا يدربون مقاتلى كونترا عند نشوب حرب الفوكلاند، أخذ الرجل الأول لوكالة الاستخبارات المركزية فى أمريكا اللاتينية، ديوى كلاريديج، يعتمد أكثر وأكثر على شركة توريس وخوان مَتّى باليستيروس فى دعم مقاتلى كونترا حتى بدأ المال الذى خصصه الكونجرس يتدفق جنوبًا.

وفى عام ١٩٨٣ حصلت سيتكو على أول عقد من عقود التوريد لنقل الأسلحة من الولايات المتحدة إلى مقاتلى كونترا. وقد منح العقد رغم علم أجهزة تنفيذ القانون الأمريكية ووكالة الاستخبارات المركزية أن الشركة يملكها مهرب المخدرات المشهور مَتّى وأن شركة طيرانه معروفة فى سجلات وكالة مكافحة المخدرات والجمارك الأمريكية بتاريخها الخاص بتهريب المخدرات. وأعلن تقرير لهيئة الجمارك صادر فى عام ١٩٨٣ أن "الحروف SETCO ترمز إلى Services Ejecturizox Touristas Commander [هكذا] ويرأسها خوان رامون مَتّى باليستيروس، وهو مخالف من الفئة ١ لوكالة مكافحة المخدرات".

وأشارت هيئة الجمارك كذلك إلى موجز عن الشركة لدى وكالة مكافحة المخدرات يشير إلى أن مَتّى كان يستغل سيتكو لتهريب الكوكايين إلى الولايات المتحدة، وكان من بين شركاء مَتّى فى سيتكو طيار أمريكى اسمه فرانك موس Frank Moss. وطار موس فى أكثر من اثنتى عشرة مهمة إمداد لكونترا لمصلحة سيتكو، وفى عام ١٩٨٥ أنشأ شركة الإمداد الخاصة به وأسماها "هندوكاريبى" Hindu-Caribe. وقد وصمت وكالة مكافحة المخدرات موس نفسه بأنه تاجر مخدرات منذ عام ١٩٧٩. وطبقًا لتعديل بولاند

الذى أقرّ فى خريف ١٩٨٤، كانت المساعدة الوحيدة المسموح به إلى مقاتلى كونترا هى ما تسمى الإمدادات "الإنسانية". وحصلت سيتكو على أحد عقود نقل تلك الإمدادات، وحصل موس على حصته من العملية، وكل ذلك تحت مظلة حماية وكالة الاستخبارات المركزية.

وكانت طائرات هندوكاريبى تستخدم لنقل السلاح المشترى من مصنع أمريكى يسمى "آر أند إم ايكويبمنت" R&M Equipment كان له مستودع كبير فى تيجوثيجالبا بهُندوراس ملئ بالأسلحة، وقد أسماه أوليفر نورث "السوبرماركت" آر أند إم. وكان رون مارتن Ron Martin العميل السابق بوكالة الاستخبارات المركزية يمتلك جزءًا من آر أند إم. وكان شريكه جيمس ماكوى، الذى سبق له العمل ملحقًا عسكريًا للولايات المتحدة لدى نظام سوموثا. وأصبح آر أند إم منافسًا فى بيع السلاح لمشروع ريتشارد سيكورد، إنتربرايز Enterprize. وكان مستودع آر أند إم هو الذى يناقشه سيكورد مع نورث فى تلك الفقرة فى دفتره بتاريخ يوليو ١٩٨٥ الذى يسجل تسديد ثمن ما قيمته ١٤ مليون دولار من الأسلحة بأموال المخدرات، ويزعم مارتن أن ادعاء أموال المخدرات كان تشويهًا زرعه المنافسون.

وكانت شركة موس تمتلك طائرتى شحن طراز DC-4، كانت إحداهما معروفة لدى وكالة مكافحة المخدرات بطائرة المخدرات. وقد شاهد أحد ضباط الجمارك طائرة أخـرى من طراز DC-4 تابعة لهُندوكاريبى تلقى حمولتها فى المياه المقابلة لساحل فلوريدا الغربى. وحين هبطت الطائرة فى النهاية فى مطار بورت شارلوت Port Charlotte، احتجزتها هيئة الجمارك. واكتشف العملاء على متنها مفكرة تتضمن أرقام تليفونات زعماء كونترا ورجل أوليفر نورث، روبرت أوين. ومن بين الوثائق الأخرى التى سحبتها الجمارك الأمريكية دليل على ملكية ماريو كاليرو لجزء من هُندوكاريبى.

وفى العام التالى شهد آلان فيرز Alan Fiers، رجل وكالة الاستخبارات المركزية الذى اختير ليحل محل ديوى كلاريدج كرئيس لحملة وكالة الاستخبارات الأمريكية الخاصة بأمريكا اللاتينية فى عام ١٩٨٣ ، أمام الكونجرس بأن "كل شخص حول باستورا Pastora كان متورطًا فى الكوكايين". وكان إيدن باستورا عنصراً من عناصر تحالف كونترا لا يمكن التنبؤ بما يفعله، وفى ذلك الوقت كانت وكالة الاستخبارات المركزية، التى ملت عناده، حريصة على التخلص منه (على أقل تقدير). وكان فيرز

يوحي في شهادته بأن صنيعته، منظمة "إف دى إن"، لم تكن بالمثل تزدحم بمهربي المخدرات. إلا أنه كانت هناك شركة طيران لتهريب المخدرات يمتلك جزءا منها شقيق القائد المدنى لمنظمة "إف دى إن" أدولفو كاليرو، وكان ماريو نفسه مسئولاً عن عمليات "إف دى إن" اللوجيستية.

ولم يمكن لوكالة مكافحة المخدرات ادعاء الجهل بما كان يجرى. ففى عام ١٩٨١، افتتحت الوكالة أول مكتب لها فى العاصمة الهندوراسية تيجوثيجالبا، وكلفت توماس ثيبيدا Thomas Zepeda بالعمل كعميل مقيم. وسرعان ما توصل ثيبيدا إلى النتيجة الدقيقة التى مفادها أن الحكومة الهندوراسية بكاملها متورطة تورطًا شديداً فى تجارة المخدرات. وقد حال وقوف وكالة الاستخبارات المركزية فى وجه محاولاته دون التحرى عن كبار المسئولين الهندوراسيين الذين كان يعتقد أنهم على كشوف رواتب المخدرات الخاص بمَتّى. ونحن نعرف ذلك لأنه نُقل عن ثيبيدا قوله ذلك فى قصة إخبارية جيدة فى "لوس أنجلوس تايمز" فى ١٣ فبراير ١٩٨٨، ويبدو أن من كتبوا هجمات الصحيفة فيما بعد ضد جارى وب أغفلوها. وفى مايو ١٩٨٣، بدأ ثيبيدا تحقيقًا عن ستيكو. وبعد شهر أوقف التحقيق. وسُحب ثيبيدا إلى خارج هُندوراس، وأُغلق مركز وكالة مكافحة المخدرات هناك. وكان الرجل المسئول عن ذلك الانسحاب هو إد هيث Ed Heath رئيس عمليات وكالة مكافحة المخدرات فى أمريكا اللاتينية، وكان يقيم فى مكسيكو سيتي وكان كثيرون من عملاء وكالة مكافحة المخدرات يشكون فى أنه على علاقة طيبة جداً بوكالة الاستخبارات المركزية، ووصف عميل وكالة مكافحة المخدرات السابق مايكل ليفين هيث بأنه "رجل لا يثق فيه عملاء الشوارع الذين يعملون معه فى المكسيك إلى حد أنهم كانوا يقومون بعمليات لتنفيذ القانون دون إبلاغه.

وفى عام ١٩٨٥، طُلب من مكتب المحاسبة العام بحث إغلاق مكتب وكالة مكافحة المخدرات فى هندوراس. وقد ألغى مجلس الأمن القومى ووكالة الاستخبارات المركزية هذا التحقيق كذلك.

مقاولـون من الباطن

فى عام ١٩٨٥، أجاز الكونجرس إنشاء هيئة مساعدات نيكاراجوا الإنسانية، المعروفة اختصاراً بنهاو NHAO لتقديم ما قيمته ٢٧ مليون دولار من "المساعدات الإنسانية لمقاتلي كونترا". وأمّن أوليفر نورث وإليوت ابرامز تعيين روبرتو دوميلينج،

الذى كان طوال حياته موظفًا بوزارة الخارجية، ورأى الاثنان أنه قادر على معالجة العمل الدقيق الخاص بتقديم المساعدة العسكرية تحت راية المساعدات الإنسانية. وكانت نهاو تعمل تحت رعاية وزارة الخارجية، وكان يشفق عليها الثلاثي نورث وابرامز ورجل وكالة الاستخبارات المركزية آلان فيرز. كما أن نورث وضع روبرت آوين داخل نهاو.

وسبق لأربع من الشركات التى كانت تتلقى منح نقل "المساعدات الإنسانية" أن تورطت، أو كانت متورطة بالفعل، فى تجارة المخدرات، وهى "دياكسا" DIACSA، شركة الطيران التى تتخذ من ميامى مقراً لها وسحبت ٤١١٢٠ دولاراً ضمن عقود وزارة الخارجية تلك؛ وسيتكو/هندوكاريبى؛ وفريجوريفيكوس دى بونتاريناس/أوشين هنتر Frigorificos de Puntarenas/Ocean Hunter، وهى شركة للأطعمة البحرية من كوستاريكا؛ وفورتكس إير انترناشونال Vortex Air International، وهى شركة طيران مركزها ميامى تلقت ٣١٧٤٢٥ دولاراً من نهاو.

وأجرت ليزلى كوكبرن مقابلة مع دوملينج عندما كانت تعد فيلمها الوثائقى البديع لشبكة "سى بى إس" عن تهريب الشركات التى تتلقى عقوداً من نهاو للمخدرات. وقد أبلغها أنه لا علم له بخلفيات تلك الشركات وأنها جميعًا من اختيار وكالة الاستخبارات المركزية. وكان زعم دوملينج تسانده مذكرة كتبها أوليفر نورث لأوين فى ١٠ فبراير ١٩٨٦ وجاء فيها: "إنك لا شك تعرف أن طائرة DC-4 التى حصل عليها فولى Foley كانت تستخدم فى يوم من الأيام لتهريب المخدرات، وبعض أفراد طاقمها لهم سجلات إجرامية. مجموعة لطيفة اختارها الأولاد. كما أن الشركة هى إحدى الشركات التى كان ماريو [كاليرو] يشارك فى استخدامها فى الماضى، إلا انهم غيروا الاسم على عجل. إن العجز يسود." وعرف فيما بعد أن فولى هو بات فولى Pat Foley صاحب شركة "صاميت أفييشن" Summit Aviation من ميدل تاون بولاية ديلاوير Middle-town, Delaware. أما "الأولاد" فهو الاسم الكودى الذى يستخدمه روبرت أوين لوكالة الاستخبارات المركزية.

وكان هناك اعتقاد لدى محققى الكونجرس بأن شركة فولى، صاميت أفييشن، من أملاك وكالة الاستخبارات المركزية. وطائرة DC-4 التى حصل عليها فولى من أجل عقد العمل مع نهاو قدمتها له فورتكس التى يديرها مايكل بالمر. وفى الوقت الذى تلقت فيه

فورتكس عقدها مع نهاو، كانت وكالة مكافحة المخدرات تعتبر بالمر واحداً من أكبر مهربي الماريوانا في الولايات المتحدة وطوال الثمانينيات كان بالمر يحظى بمعاملة تتسم بقدر غير عادي من التسامح من جانب جهاز تنفيذ القانون الأمريكية، فعلى سبيل المثال، أصاب عطب محرك إحدى طائرات بالمر أثناء واحدة من رحلات نهاو واضطرت إلى الهبوط في جزيرة سان أندرياس San Andreas قبالة ساحل كولومبيا، وهي نقطة مفضلة لنقل شحنات المخدرات. واحتجزت الشرطة في كولومبيا الطائرة، وسرعان ما اكتشفت أنها مسجلة في ملفاتهم باعتبارها متورطة في عمليات تهريب مخدرات. كما اكتشفوا أن طاقم الرحلة لديه سجلات إجرامية. ولكن أفراد الطاقم اشتكوا بأنهم يقومون بمهمة خاصة بالحكومة الأمريكية وطالبوا بالإفراج عنهم، وعن طائرتهم معهم. واتصلت الشرطة الكولومبية بوزارة الخارجية الأمريكية للسؤال عما ينبغي عمله بشأن هذا الموقف. واتصل فرانك ماكنيل Frank McNeil، الذي كان يعمل في قسم الاستخبارات بوزارة الخارجية، بوكالة الاستخبارات المركزية التي أخبره المسئولون فيها بأن طائرة فورتكس كانت بالفعل في مهمة حكومية، وطلبوا الإفراج عنها وعن طاقمها. وقال مسئول بالوكالة لماكنيل: "إنه سوء حظ، ولكن من الصعب جداً العثور على أشخاص يقومون بهذا الصنف من العمل."

وكان بالمر ينقل الماريوانا بالطائرات من كولومبيا منذ عام ١٩٧٧، وشهد شريكه لي ريتش Leigh Ritch أمام الكونجرس بأن عملهما "حقق المليارات". وقد ألقي القبض على بالمر نفسه في كولومبيا في أوائل الثمانينيات، إلا أنه أفرج عنه في ظروف غامضة. وذكرت قصة نشرتها صحيفة "بوسطن جلوب" Boston Globe في فبراير ١٩٨٨ أن إحدى طائرات فورتكس أوقفت في ميامي لإجراء تفتيش الجمارك، وعندما وصل بالمر إلى المطار للإفراج عن طائرته، أدخلت الجمارك اسمه على الكمبيوتر الخاص بها وأظهرت السجلات أنه اتهم مراراً بتهريب الماريوانا. وأكد بالمر أنه هو وطائراته يعملون مع وكالة الاستخبارات المركزية. واتصلت الجمارك بالوكالة، وقيل لهم مرة أخرى إن بالمر صادق فيما يقول. وعلى الفور أفرج عن الطائرة وعملت الترتيبات من أجل رحلات فورتكس في المستقبل. وطبقاً لما جاء في سجل الجمارك، فإن "إجراءات الجمارك العادية بالنسبة للرحلات القادمة تتم على عجل."

وامتدت معاملة بالمر الودية حتى أواخر الثمانينيات. وقد اتهم في ديترويت عام ١٩٨٦ بتهريب الماريوانا، وفي مرة أخرى وجهت له في لويزيانا تهم جلب ١٥٠ طن

ماريوانا إلى الولايات المتحدة. واستخدم بالمر صلاته بوكالة الاستخبارات المركزية كدفاع. وأسقطت التهمتان، وفى ديترويت قال ممثل الادعاء إن مكتبه يعمل "لمصلحة العدل"، وفى لويزيانا، قال ممثل الادعاء الفدرالى هوارد باركر Howard Parker إنه لم يصدر قرار الاتهام ضد بالمر لأنه أراد "تجنب وقوع حدث ثانوى". وتتعارض معاملة بالمر، شاحن الماريوانا الكبير، تعارضًا شديدًا مع معاملة ريك روس، تاجر كوكايين التدخين الذى حكموا عليه بالسجن مدى الحياة. وفى إطلالة على منعة بالمر، يعلق رجل وزارة الخارجية الأمريكية ماكنيل بمرارة فى حديثه إلى "واشنطن بوست" عام ١٩٩٤ بقوله: "الأمر برمته أحط من أن تعبر عنه الكلمات. إنه فصل غير سعيد من فصول التاريخ الأمريكى."

وفى مايو وسبتمبر من عام ١٩٨٦ قدمت وزارة الخارجية ما يزيد على ٤٠ ألف دولار أخرى من عقود نهاو لشركة أخرى تسمى "دياكسا" تعمل فى كوستاريكا، وكانت فى وقت لاحق إحدى الشركات التى استخدمها أوليفر نورث لغسيل الأموال بالنسبة لمقاتلى كونترا. وكانت دياكسا اختيارًا لافتًا للانتباه فيما يتصل بهذا النمط من العمليات، ذلك أنه قبل ستة أشهر من حصولها على عقد وزارة الخارجية، وجهت لاثنين من كبار المسئولين فيها، وهما ألفريدو كاباليرو Alfredo Caballero وفلويد كارلتون كاسكيريس Floyd Carlton Casceres تهمتا تهريب ٩٠٠ رطل من الكوكايين إلى الولايات المتحدة وغسيل ٢.٦ مليون دولار من أرباح المخدرات. وكان كاباليرو، رئيس دياكسا، ممن شاركوا فى خليج الخنازير وصديقًا لماريو كاليرو، وعرَّفته دانييل موريتز Daniel Mo-ritz بوكالة مكافحة المخدرات فى يناير ١٩٩٥ بأنه يستخدم دياكسا واجهة لتجارة الكوكايين التى يمارسها. وكتب موريتز إن الشركة كانت بمثابة "موقع لتخطيط مشروعات التهريب، ولتجميع وتوزيع العائدات النقدية الضخمة من صفقات المخدرات، ولإجراء المكالمات التليفونية لدعم مشروعات التهريب."

وكان شريك كاباليرو فى مشروع الكوكايين هذا، فلويد كارلتون، هو طيار المخدرات الأثير لدى الجنرال مانويل نورييجا، وأصبح شاهد ملك لتوجيه الاتهام فى محاكمة نورييجا عام ١٩٩١ فى ميامى. وطبقًا لما قاله مساعد نورييجا، خوسيه بلاندون، كان كارلتون يعمل مع اتحاد كالى، حيث كان نقل له العديد من شحنات الكوكايين فى عامى ١٩٨٥ و١٩٨٦، وهى نفس الفترة التى كان يقوم فيها بمهمات لإعادة إمداد كونترا.

وفى عام ١٩٨٧، اتصل كارلتون، الذى كان مختبئًا فى كوستاريكا، بوكالة مكافحة المخدرات ليعرض عليها المساعدة فى محاسبة نورييجا مقابل العفو عنه هو وتوفير الحماية لأسرته. وقال كارلتون إنه قدم لوكالة مكافحة المخدرات التفاصيل الخاصة بنورييجا التى تتعلق بـ "غسيل الأموال والمخدرات والأسلحة والفساد والاغتيال"، وبعد بضعة أشهر سلم كارلتون نفسه. وقد وجهت له تسع تهم تتعلق بتهريب الكوكايين وغسيل الأموال كان يمكن أن يصدر ضده بموجبها أحكام جملتها ١٤٥ سنة. إلا أنه حُكم عليه بالسجن ٩ سنوات وأُفرج عنه بعد أربع سنوات ونصف. وقد دُفع له مبلغ ٢١١ ألف دولار مقابل شهادته، وكذلك لشريكه كاباليرو.

مانويـل نورييـجا

فى ١٢ يونيو ١٩٨٦، نشر سيمور هيرش قصة إخبارية على الصفحة الأولى فى صحيفة "نيويورك تايمز" كشف فيها ارتباط الجنرال مانويل نورييجا الذى دام عشرين عامًا باتحادات المخدرات الكولومبية، وظهر البيان بينما كان نورييجا فى واشنطن لتسلم وسام الشرف من مجلس دفاع الدول الأمريكية، وادعى المقال أن نورييجا متورط فى غسيل أموال، وتجارة سلاح، واغتيالات سياسية، منها أعمال تعذيب وقتل معارضه الليبرالى الدكتور أوجو سبادافورا Hugo Spadafora بقطع رأسه. واتهم المقال، الذى اعتمد فى مصادره على وكالة استخبارات الدفاع، نورييجا كذلك ببيع التكنولوجيا الأمريكية للكوبيين ودول الكتلة الشرقية.

ونقل هيرش فقرات من تقرير لجنة الشئون الخارجية بمجلس النواب لعام ١٩٨٥ الذى وصف بنما بأنها "نقطة إعادة تصدير للكيماويات والمخدرات ومركز لغسيل أموال المخدرات". ودفع التحقيق ذاته الأدميرال جون بويندكستر John Poindexter مـن مجلس الأمن القومى للسفر إلى بنما وكانت له جلسة مع نورييجا، يزعم بويندكستر أنه طلب خلالها من الجنرال قصير القامة أن "يوقف نشاطه". ولكنه لم يمض وقت طويل حتى أقال إليوت ابرامز مساعد وزير الخارجية نورييجا من عثرته بالتدخل فى جدل سياسى داخل حكومة ريجان بإصراره على ضرورة تأجيل التفكير فى فرض أية عقوبات خطيرة على نورييجا إلى ما بعد الانتهاء من معالجة مسألة مقاتلى ساندينستا. وكان نورييجا مكونًا مهمًا من مكونات حرب وكالة الاستخبارات المركزية ضد نيكاراجوا. وكان قد ساهم بناء على طلب حكومة ريجان بأكثر من ١٠٠ ألف دولار

لمقاتلى كونترا العاملين فى كوستاريكا، كما قدم فى عام ١٩٨٥ "خبير إمداد وتموين" لعملية خططها نورث لتفجير مستودع عسكرى لساندينستا فى ماناجوا.

وبعد الانتباه غير المرغوب فيه الذى أثاره مقال هيرش، اتصل نورييجا بأوليفر نورث يطلب منه المشورة فيما يتعلق بتحسين صورته، ووافق نورث على مقابلة مبعوث نورييجا فى ٢٣ أغسطس ١٩٨٦، وسجل المقابلة فى رسالة بالكمبيوتر إلى بويندكستر أعلن عنها أرشيف الأمن القومى:

تذكر على مر السنين أنه قامت بينى وبين ومانويل نورييجا صداقة جيدة إلى حد ما. ونورييجا هو الذى أبلغنى أن بنما على استعداد لقبول [فرديناند] ماركوس [الرئيس الفليبينى السابق المنفى] ... وفى الليلة الماضية اتصل بى نورييجا وسألنى إن كان من الممكن أن ألتقى برجل يثق فيه – وهو أمريكى كوبى محترم – ورئيس كلية فى فلوريدا، وقد جاء إلى هنا بالطائرة هذا الصباح وعرض على اقتراح نورييجا: فمقابل وعد منا بـ"المساعدة على تنظيف صورته [أى نورييجا]" والتزام برفع حظر المبيعات العسكرية الخارجية، سوف يتولى عنا "رعاية" قيادة ساندينستا. وقد أبلغت الرسول أن مثل هذه التدابير ممنوعة بحكم القانون الأمريكى ورد هو بأن لدى نورييجا العديد من العملاء الموجودين فى نيكاراجوا الذين يمكنهم إنجاز أمور كثيرة ضرورية [لـ] انتصار كونترا. كلام لافت للانتباه. وإحساسى هو أنه من المحتمل أن يكون ذلك سبيلاً مفيداً جداً، ولكنه سبيل لا بد من التعامل معه بحرص شديد. ولا يمكن عقد اجتماع مع نورييجا على أرضه – فاحتمال تسجيل هذه المعلومات كبير جداً ... وتذكر أنه كان رئيس استخبارات بى دى إف PDF [قوات الأمن البنمية] قبل أن يصبح قائداً عاماً. وكان آخر لقاء لى مع نورييجا على مركب فى البوتوماك ...وكثيراً ما يسافر نورييجا إلى أوروبا فى هذا الوقت من العام ويمكن ترتيب اجتماع يتزامن مع إحدى رحلاتى الأخرى. وإحساسى أن هذا العرض صادق، وأن نورييجا لديه بالفعل القدرات المطلوبة، وأن التكلفة يمكن أن يتحملها المشروع ديمقراطية Project Democracy (المبلغ المذكور هو مليون دولار) ...ويبدو العرض جيداً بالنسبة لى وأعتقد أنه يمكننا عمل الترتيبات اللازمة من أجل [الأمن العملياتى] OPSEC وإمكانية الإنكار. أرجو النصح.

وبعد لحظات كان بويندكستر قد رد على اقتراح نورث بالإبقاء على هذا البلطجى القاتل ومهرب المخدرات بتكلفة مقدارها مليون دولار للمساعدة فى حرب كونترا. وكتب

الأدميرال يقول: "إنى أتساءل عما يعنيه بمساعدته فى تنظيف عمله. فإذا كان جاداً بالفعل فيما يقول، فإن علينا أن نكون مستعدين لأن نفعل ذلك بلا مقابل تقريباً. أما إذا كان يريد أن نكون مدينين له وحسب، لكى يبتزنا من أجل أن نكف عن مضايقته، فأنا لا يعنينى الأمر. وإذا كان له بالفعل مصادره فى الداخل، فإن هذا سيكون مفيداً إلى حد كبير، ولكننا لن (وأكرر لن) نتورط فى أية مؤامرة أو اغتيال. أما المزيد من التخريب فمسألة أخرى. وقد يكون من المفيد لك أن تتحدث إليه مباشرة لتكتشف على وجه الدقة ماذا يدور فى رأسه فيما يتعلق بتنظيف عمله."

مهَّد نورث للاجتماع مع وزير الخارجية جورج شولتز George Shultz ومساعده ابرامز ثم توجه إلى لندن، حيث أقام فى أحد الفنادق مع نورييجا وراجع خطط شن هجوم على مقاتلى ساندينستا، ضد إرادة الكونجرس المعلنة. كما راجعا خطط إجراء تفجيرات فى مطار ماناجوا، وهجمات على خطوط التليفون ومحطات الكهرباء وتدمير معمل لتكرير البترول. كما تعهد نورييجا بإقامة معسكرات لمقاتلى كونترا والمجاهدين الأفغان، وذلك بلا شك مع دورات متقدمة فى المحاسبة، والممارسات المصرفية الدولية، والحركة السرية للمخدرات والأموال.

وفى المقابل وافق نورث على توقيع نورييجا عقدا مع إحدى شركات العلاقات العامة فى نيويورك. وفى كتابه Panama: The Whole Story ينقل كيفن بكلى Kevin Buckley ما ذكره مصدر أمريكى شاهد نورث ونورييجا معا: "كان نورييجا بالنسبة لنورث أستاذ تجسس، ومديراً للعمليات، ورجلاً يجعل الأمور تسير. وكان نورث يرى أن نورييجا أشبه ببراندو Brando وهو فى أعالى النهر فى فيلم Apoclypse Now. ليست هناك قواعد. وكان نورييجا يظن أن نورث لا قيمة له."

وإذا كان نورث يجل نورييجا، فإن راعى نورث ويليام كيسى مدير وكالة الاستخبارات المركزية كان يقدر ببراجماتية شديدة نفع البنمى. فقد كان كيسى ينظر إلى بنما على أنها مفتاح للعمليات الأمريكية فى أنحاء أمريكا اللاتينية، ليس فقط ضد نيكاراجوا، بل كذلك ضد كوبا. وقد وصف ساعد نورييجا الأيمن خوسيه بلادون علاقة كيسى بنورييجا لمخرجى الأفلام الوثائقية ليزلى وأندرو كوكبرن قائلاً: "كان لدى الولايات المتحدة معلومات عن تورط نورييجا فى تجارة المخدرات لمدة ثمانى سنوات على الأقل. نعم، كانوا يعرفون ذلك. ولكن البيت الأبيض ـ أى حكومة ريجان ـ كان

يرى أن لمقاتلي الكونترا أهمية تجعل المخدرات تأتي في المقام الثاني. كانت هناك علاقة شديدة الخصوصية بين كيسي ونورييجا. فقد جاء مالا يقل عن ٣ ملايين دولار تأييداً من نورييجا. ومتى كان هناك تحقيق خاص بنورييجا، أوقفه كيسي."

كانت الولايات المتحدة تعلم بالفعل أمر تجارة مخدرات نورييجا منذ أواخر الستينيات على الأقل، وكان هناك تاريخ على مدى ثلاثة عقود تقريبًا لحماية الوكالات العسكرية والاستخباراتية الأمريكية لنورييجا من التحقيق الجنائي. وكانت وكالة استخبارات الدفاع قد جندته عام ١٩٥٩ وبدأ العمل مع وكالة الاستخبارات المركزية عام ١٩٦٧. وحين حاول مكتب المخدرات والعقاقير الخطيرة اتهام نورييجا عام ١٩٧١ بتجارة المخدرات، تدخلت وكالة الاستخبارات المركزية لحماية رجلها في بنما. وظل المكتب يفكر في طرق للتخلص من نورييجا، بما في ذلك إجراء يوصف تأدبًا بأنه "تعطيل تام وكامل". ولكن وكالة المخدرات غُلبت على أمرها في النهاية وأمرت بالعمل مع مهرب المخدرات. واستمر نجم نورييجا في الصعود خلال الثمانينيات. وفي عام ١٩٧٦، على سبيل المثال، دفعت وكالة الاستخبارات المركزية ١٠٠ ألف دولار لنورييجا مقابل عمله نيابة عن الوكالة. وكان مدير الوكالة في ذلك الوقت هو جورج بوش. وبحلول عام ١٩٨٥، وفي ذروة حرب كونترا، ارتفع راتب نورييجا من الوكالة إلى ٢٠٠ ألف دولار سنويًا.

وفي ٥ أكتوبر ١٩٨٦، وبعد بضعة أسابيع من اللقاء الذي جرى في لندن، انهارت الخطط الجريئة التي بحثها نورث ونورييجا في أعقاب سقوط مفاجئ كذلك لطائرة تنقل السلاح من إلوبانجو في السلفادور إلى معسكرات كونترا داخل نيكاراجوا. فبينما كان أويجينه هازينفوس، الذي سبق له المشاركة في عملية إير أمريكا الخاصة بوكالة الاستخبارات المركزية في لاوس، يلقي بالإمدادات من خلف طائرة من طراز C-123K، أصابها مدفعي من الساندينستا إصابة مباشرة ونجح هازينفوس وحده بالقفز بالمظلة ليحتل اسمه العناوين الرئيسية في الصحف، مما قدم دليلاً لا سبيل لإنكاره على شحنات حكومة ريجان غير المشروعة، ومن بين أرقام التليفونات التي كانت في مفكرة هازينفوس رقم مكتب جورج بوش.

وعلى الفور فقد مؤيدو نورييجا المتحمسون داخل حكومة ريجان حظوتهم. ثم توفي ويليام كيسي، وأخذ نجم نورييجا في الأفول. لقد أصبح عبئا على جورج بوش، ولم

يمض وقت طويل حتى بات هدفًا للغزو الأمريكي لبنما في ٢٠ ديسمبر ١٩٨٩. وقد نجحت المهمة التي أطلق عليها اسم غير معقول هو "العملية القضية العادلة" Operation Hust Cause في قتل الكثير من المدنيين البنميين وليس نورييجا، الذي وجد له ملاذًا آمنًا في منزل بابال نونثيو Papal Nuncio. وأخيرًا استسلم نورييجا عشية عيد الميلاد، وعلم في قاعة إحدى محاكم ميامي عام ١٩٩٠ معنى الطرد من النعمة. وحُكم على الشخص الذي ظل اسمه زمنًا طويلاً على كشوف رواتب وكالة الاستخبارات المركزية، ونقل ألف شحنة مخدرات لم يحاسب عليها، حُكِم عليه بالسجن لمدة ٤٥ عامًا يقضيها في ولاية فلوريدا. ولم تحظ مذكراته المسلية America's Prisoner وتفاصيل علاقته بوكالة الاستخبارات المركزية بعروض كثيرة في الصحافة الأمريكية.

وأعظم المفارقات هي أنه في عهد خلف نورييجا الذي جاءت به الولايات المتحدة، جييرمو إندارا Guillermo Endara، أصبحت بنما إقليم اتحاد كالي، الذي اندفع إليها بعد خروج اتحاد ميديين Medellin مع نورييجا. وبحلول بداية التسعينيات كان دور بنما في تجارة المخدرات في أمريكا اللاتينية وطرق النقل فيها أكثر أهمية من أي وقت مضى.

سيليرينو كاستيلو..

رجل وكالـــة مكافحة المخدرات الذي أحسن عمله

في أواخر الثمانينيات كان سيليرينو كاستيلو الثالث أحد كبار عملاء وكالة مكافحة المخدرات، حيث تولى تنسيق المداهمات الكبرى في نيويورك وبيرو وجواتيمالا، ولكن عندما وصل إلى السلفادور في ذروة حرب كونترا وكتب تقريرا يفيد بأن العملاء الأمريكيين الذين يخضعون لعملية مجلس الأمن القومي الخاصة بأوليفر نورث يهربون المخدرات، أبلغه رؤساؤه أنه إذا استمر على ذلك فإنه سيطرد من الخدمة. وقال لنا كاستيلو في أواخر صيف ١٩٩٧: "قيل لي إن حياتي العملية سوف تنتهي، لأنني أتعدى على عملية خاصة بالبيت الأبيض. كتبت عشرات التقارير، ولكنها اختفت في ثقب أسود في مقر وكالة مكافحة المخدرات." وفي النهاية، سُحب كاستيلو من أمريكا الوسطى وأُخضع لتحقيق داخلي؛ وأخيرًا ترك وكالة مكافحة المخدرات ممتعضًا.

وسيليرينو كاستلو من مواليد جنوب تكساس. وكان والده قد حاز النجمة البرونزية والقلب القرمزي لما أبداه من بطولة في الحرب العالمية الثانية بعد أن أطلقت عليه النار

ست مرات فى الفليبين، وحصل "سيلى" Cele، كما يطلق هو على نفسه، على النجمة البرونزية أثناء جولة الواجب التى قام بها فى فيتنام، وهى الجولة التى شجعته على متابعة العمل فى مجال مكافحة المخدرات. والذى دفعه إلى اتخاذ هذا القرار هو منظر الكثير من رفاقه وقد أنهكهم الهيروين. ويقول كاستيلو: "كل أسبوع كنا ترسل إلى الوطن ضحية جديدة من ضحايا الجرعات الزائدة داخل كيس أخضر. وإذا كان الجندى محبوبًا إلى حد كبير، كان شخص ما يطلق رصاصة على جسده، وكان يقال للعائلة إنه مات ميتة الأبطال. أما إذا كان هناك إجماع على أن الجندى المتوفى شخص بغيض، فكان يرسل إلى الوطن وليس فيه سوى ثقوب الإبر التى فى ذراعيه."

وبعد فترة محدودة من العمل فى تكساس ضمن فرقة المخدرات بإدارة شرطة إيدنيرج Edinberg، وُظِّف كاستيلو فى وكالة مكافحة المخدرات عام ١٩٧٩. وأصبح أول أمريكى من أصل مكسيكى يعمل فى مكتب الوكالة بنيويورك، وكان وقتها أكبر مركز تابع لوكالة مكافحة المخدرات فى الولايات المتحدة. ويذكر كاستيلو أن العنصرية كانت منتشرة فى أنحاء الوكالة، التى كانت توظف عددًا قليلاً جداً من ذوى الأصول الأسبانية أو غيرهم ممن يتحدثون الأسبانية، حتى وإن كانت تداهم أمريكيين لاتينيين بشكل يومى وهو يقول: "وقع كل عميل من أصل أسبانى فى نفس الفخ، وكان يكلف برصد التنصت على المكالمات التليفونية، والترجمة، والمراقبة. وكنا نعمل ساعات طوالا فى إعداد القضايا ضد أبناء الدومينيكان وبويرتو ريكو، وكنا نقف فى الظل بينما يحظى البيض الذين يقدمون التقارير بالتقدير."

اخترق كاستيلو الكثير من تلك الحواجز حيث نسق هو وشريكه الأمريكى اللاتينى واحدة من أكبر ضبطيات الهيروين فى تاريخ نيويورك، وكانت شحنة قيمتها ٢٠ مليون دولار من الهيروين عالى الجودة مصدرها الأساسى حقول الخشخاش فى أفغانستان. وأدت تلك المداهمة إلى تكليف كاستيلو من جديد بسلسلة من الغارات أشبه بالعمليات الفدائية على معامل الكوكايين فى غابات بيرو. وأسفرت إحدى تلك العمليات عن ضبط ٤ أطنان من معجون الكوكا، وثلاث طائرات، ومعمل كبير لتكرير الكوكايين، ولكن بعد عام فى بيرو، كُشف أمر كاستيلو. ويقول كاستيلو: "أُخذت صورة لى أثناء إحدى العمليات وظهرت فى كل صحف أمريكا الجنوبية. فغادرت بيرو وكلفت بالعمل فى جواتيمالا." وفى عام ١٩٨٥، كان مركز وكالة مكافحة المخدرات يديره روبرت ستيا

Robert Stia، الذى كان يشرف كذلك على عمليات الوكالة فى بيليثى Belize[1]، والسلفادور وهُندوراس. وتولى كاستيلو مسئولية السلفادور، وكان تكليفه المرة الأولى التى تقوم فيها الوكالة بعملية فى ذلك البلد. وقدم ستيا نصيحتين أساسيتين لكاستيلو: "واحد، احذر الوقوع فى مشاكل مع الوطنيين. اثنان، لا تجعل الولايات المتحدة تبدو سيئة."

وبعد ذلك عرض ستيا موضوعًا حساسًا - مشروع إمدادات كونترا الذى يديره رجال أوليفر نورث من قاعدة إلوبانجو الجوية بالقرب من سان سلفادور، وقال ستيا لكاستيلو: "كن حريصًا فيما تقوم به هناك. لا تتدخل فى عملياتهم." كما أخبره بالتقارير الدائمة عن تهريب مقاتلى كونترا للمخدرات، وعن الطيارين الذين يمدونهم بالسلاح. ولكن ستيا أكد أن هؤلاء المرتبطين بالعملية خارج حدود وكالة مكافحة المخدرات.

ورد كاستيلو بأنه لن يتردد فى التحرى عن مقاتلى كونترا والمتعاونين معهم. وقال لستيا: "لو تلقيت معلومات استخبارية تفيد بأن عمل كونترا هو التجارة، سوف أتحرى وأبلغ عن ذلك." وضحك ستيا وأبلغه أنه سرعان ما سيلقى به خارج أمريكا اللاتينية إن هو تدخل فى مجهود إعادة إمداد كونترا.

ولم يمض وقت طويل حتى عثر كاستيلو على أدلة على أن هؤلاء المتعاونين مع مهام كونترا يشاركون كذلك فى تهريب الكوكايين. وجاءته أولى المعلومات القائمة على حقائق من كوبى يعيش فى المنفى اسمه سقراطيس أمورى صوفى بيريث Socrates Amaury Sofi-Perez، وهو ممن شاركوا فى خليج الخنازير وكان عميلاً حرًا يعمل مع الشرطة السرية فى جواتيمالا ومع وكالة الاستخبارات المركزية. وكان صوفى بيريث يدير كذلك شركة جمبرى فى جواتيمالا سيتى، اكتشف كاستيلو أنها تستغل لغسيل أموال مقاتلى كونترا. وطبقًا لما قاله كاستيلو، فإن الكوكايين القادم كولومبيا كان يسلَّم إلى مصنع صوفى بيريز، حيث كان يعبأ مع الجمبرى المجمد، ومن ثم يشحن إلى ميامى. وكان صوفى بيريث قد أمَّن مدخلاً سهلاً إلى الولايات المتحدة عن طريق رشوة الجمارك الأمريكية وقال صوفى بيريث لكاستيلو فى أوائل عام ١٩٨٦: "لا بد أن ندعم مقاتلى كونترا دعمًا تامًا. لا بد من تحرير نيكاراجوا من مقاتلى ساندينستا بأى ثمن، وإذا

(١) إحدى دول أمريكا الوسطى وتقع على البحر الكاريبى. **(المترجم)**

كانت تجارة المخدرات هى الوسيلة التى تحقق ذلك، فلتكن " ومضى صوفى بيريث قائلاً إن عمليته تهون إلى جانب ما يجرى فى إلوبانجو تحت سمع وبصر شخص آخر ممن شاركوا فى خليج الخنازير، وهو فيليكس رودريجيز، أو ماكس جوميث.

وكان رودريجيز يرتبط فى بعض المناطق الساخنة الكبرى بوكالة الاستخبارات المركزية، ابتداء من خليج الخنازير إلى بوليفيا (حيث حضر إلقاء القبض على تشى جيفارا وإعدامه فى الستينيات، إلى جنوب شرقى آسيا فى أوائل السبعينيات، وكان رودريجيز كذلك بين رجال وكالة الاستخبارات المركزية الذين شاركوا مشاركة قوية فى تخطيط العمليات ضد مقاتلى ساندينستا. وفى مارس ١٩٨٢، كتب اقتراحًا لإنشاء فرقة تكتيكية متنقلة، هى فى المقام الأول فرقة اغتيالات. ووجدت تلك الفكرة قبولاً كبيراً لدى كل من الوكالة ومجلس الأمن القومى. وفى وقت لاحق من عام ١٩٨٢، كُلِّف رودريجيز بالإشراف على مجهود إمدادات كونترا فى السلفادور، وهو ما قام به من ١٩٨٢ حتى ١٩٨٦.

وكانت لرودريجيز صلات عديدة بتجار المخدرات، ربما كان أشهرهم جيرار لاتشينيان Gerard latchinian، وهو تاجر سلاح دولى. وفى عام ١٩٨٣، دخل رودريجيز ولاتشينيان فى عمل تجارى معًا عبارة عن شركة معروفة باسم "جيرو أفييشن كوربوريشن" Giro Aviation Corporition مركزها الرئيسى فى فلوريدا. وبعد عام، وفى ١ نوفمبر ١٩٨٤، ألقى مكتب التحقيقات الفدرالى القبض على لاتشينيان وهو على مدرج أحد المطارات جنوبى فلوريدا لدوره فى صفقة كوكايين قيمتها ١٠ ملايين دولار. وكان من المقرر أن يستغل المبلغ الناتج عن بيع الكوكايين لتمويل اغتيال رئيس هندوراس المنتخب حديثًا روبرتو سواثو كوردوبا Roberto Suazo Cordoba. وكان شريك لاتشينيان فى هذا المشروع الجنرال خوسيه بويسو روسا Jose Bueso Rosa، وهو رجل كان قد ساعد وكالة الاستخبارات المركزية فى إقامة قاعدة لتدريب مقاتلى كونترا فى هُندوراس.

وفى عام ١٩٨٦، ألقى القبض على بويسو روسا فى الولايات المتحدة، وأدين كما أدين لاتشينيان قبل ذلك بعامين، إلا أن الحكومة الأمريكية تدخلت فى صورة مجلس الأمن القومى ووكالة الاستخبارات المركزية لتخفيف الحكم الصادر ضد بويسو روسا. وجاء فى المذكرة التى قدمها نيابة عن بويسو روسا الجنرال روبرت شفايتزر Robert

Schweitzer من مجلس الأمن القومي: "كان الجنرال بويسو روسا على الدوام حليفًا له قيمته للولايات المتحدة. وساند بصفته رئيس هيئة أركان القوات المسلحة الهُندوراسية مصلحة الولايات المتحدة القومية فى أمريكا الوسطى. وهو مسئول فى المقام الأول عن النجاح المبكر الذى حققه الوجود العسكرى الأمريكى فى هُندوراس. وقد منحه رئيس الولايات المتحدة وسام الاستحقاق، وهو أعلى وسام يمنح لضابط أجنبى، تقديرًا لهذه الخدمة."

بعبارة أخرى، كان نورث ووكالة الاستخبارات المركزية يسعيان لإنقاذ حياة مهرب مخدرات وقاتل محتمل، وشريك لرجل عمل طويلاً مع الوكالة كان على علاقة وثيقة بمدير وكالة الاستخبارات المركزية السابق، وفيما بعد رئيس البيت الأبيض، جورج بوش. وتقول مذكرة نورث حين النظر فى مساعدة بويسو روسا: "انظر إلى الخيارات: العفو، أو الرأفة، أو الترحيل، أو الحكم المخفف. والهدف هو الحيلولة دون أن يفشى بويسو الأسرار." ورد بويندكستر على نورث برسالة على البريد الإلكترونى بقوله: "يمكن أن تنصح كل من يهمهم الأمر بأن الرئيس يريدهم أن يقدموا ما يستطيعون من مساعدة لتسوية هذه المسألة." وانتهى الأمر ببويسو روسا بأن قضى فترة عقوبة قصيرة فى سجن الأمن الأدنى بقاعدة إلجين الجوية Elgin Air Force Base فى فلوريدا، والمعروف باسم Club Fed.

ولنمض مع الدائرة البغيضة الخاصة بفيليكس رودريجيز، رجل وكالة الاستخبارات المركزية الذى يتعامل معه كاستيلو الآن، وكان أحد مجندى فيليكس رودريجيز الرئيسيين فى السلفادور رجلا آخر له ماض رائحته تزكم الأنوف اسمه لويس بوسادا كاريليس Luis Posada Carriles، وكان بوسادا، مثل رودريجيز، كوبيًا يعيش فى المنفى سبق أن دربته وكالة الاستخبارات المركزية فى الإرهاب المضاد لكاسترو. وقد فاتته المشاركة فى الهجوم على خليج الخنازير، ذلك أن لواءه المضاد لكاسترو لم يغادر نيكاراجوا للقيام بالمهمة، إلا أنه هرَّب فى أوائل الستينيات السلاح إلى خلايا مناوئة لكاسترو فى كوبا، وأشرف على تخريب السفن الكوبية، وخطط لشن هجمات إرهابية على السفارات الكوبية فى أمريكا اللاتينية. وخلال الستينيات كان يعمل مع يمينى كوبى آخر، هو أورلاندو بوش Orlando Bosch.

وبحلول أواخر الستينيات، كانت وكالة الاستخبارات المركزية قد وضعت بوسادا فى الشرطة السرية الفنزويلية DISIP. وقد استطاع بهذه الصفة مساعدة النظامين

العسكريين فى شيلى والأرجنتين فى بعض أكثر أعمال القمع دموية فى تلك الفترة، وفى عام ١٩٧٦، استدعى بوسادا إلى اجتماع للكوبيين المعارضين لكاسترو دعا إلى عقده أورلاندو بوش فى جمهورية الدومينيكان. وأعقبت ذلك مباشرة موجة جديدة من الإرهاب المضاد لكوبا، بلغت ذروتها فى ٦ أكتوبر حين دمرت قنبلة طائرة مدنية كوبية فى الجو، وكان على متنها ثلاثة وسبعون راكبًا بينهم فريق من الرياضيين الكوبيين وعلى الفور ألقت الشرطة القبض على رجلين كانا قد نزلا من على الطائرة فى آخر محطة توقفت فيها قبل أن تنفجر. واعترف أحدهما بأنه زرع القنبلة وأنه يعمل مع بوسادا. وعندما داهمت الشرطة الفنزويلية منزل بوسادا فى كاراكاس، عثرت على أدلة تربطه بالتفجير، ومنها جداول مواعيد شركة الطيران.

وألقى القبض على بوسادا ولكنه نجح فى تحاشى الترحيل، وفى النهاية دفع رشوة ليخرج من السجن فى عام ١٩٨٥. واتجه بوسادا إلى أروبا Aruba[1]، حيث اتصل برفيقه القديم فيليكس رودريجيز. وعلى الفور أمر رجل وكالة الاستخبارات المركزية بنقله جوًا إلى السلفادور، وأعطاه اسمًا جديدًا هو رومان ميدينا Roman Medina، وزوده بأوراق مزورة، وحدد له راتبًا شهريًا مقداره ٣ آلاف دولار. وكانت الوظيفة الجديدة لهذا القاتل بالجملة الهارب هى رئيس الإمداد والتموين فى قاعدة إلبانجو الجوية فى عملية إمداد مقاتلى كونترا.

ورتب بوسادا منازل آمنة للطيارين الذين كانوا ينقلون السلاح إلى قواعد كونترا ويعودون شمالاً بالمخدرات على الولايات المتحدة، وكان يدفع رواتب الطيارين من النقد الذى يأتى من بنوك فى ميامى وبنما، وكان يشرف على تخزين الأسلحة ونقلها، وأثناء ترتيب شحنات النقد والسلاح، كان بوسادا يعمل مع رجل كوبى آخر ذى خبرة، هو لويس رودريجيز Luis Rodriguez، الذى كان يدير شركة للأطعمة البحرية فى كوستاريكا اسمها "فريجوريفيكوس دى بونتاريناس" Frigorificos de Puntarenas. وتلقت تلك الشركة أكثر من ٢٦٠ ألف دولار من أموال وزارة الخارجية لتقديم مساعدات إنسانية لمقاتلى كونترا، رغم علم الحكومة الأمريكية منذ عام ١٩٨٣ أن الشركة لا تزيد إلا قليلاً عن كونها واجهة لتجارة الكوكايين الخاصة بلويس رودريجيز. والواقع أنه فى عام ١٩٨٤، أبلغ مكتب التحقيقات الفدرالى وكالة مكافحة المخدرات ووزارة الخارجية اعتقاده بأن رودريجيز يرسل أرباح الكوكايين إلى مقاتلى كونترا.

---

(١) جزيرة تابعة لهولندا تقع وسط جزر ليوورد شمال ساحل فنزويلا. **(المترجم)**

وعندما بدأ رودريجيث ـ باعتباره رجل وكالة مكافحة المخدرات ـ تجميع تقارير عن تهريب الكوكايين فى السلفادور، أتيحت له فرصة غير متوقعة لتنبيه نائب الرئيس جورج بوش إلى ما يجرى. ووصل بوش إلى جواتيمالا سيتى فى ١٤ يناير ١٩٨٦، وكان كاستيلو من بين من كانوا فى حفل الاستقبال الذى أقيم فى السفارة، وعندما لمح بوش شارة كاستيلو سأله عما يقوم به، فرد كاستيلو بأنه يتحرى عن تهريب المخدرات فى السلفادور. وقد نصحه نائب الرئيس بأن "هناك أشياء غريبة تجرى مع مقاتلى كونترا فى إلوبانجو". ويقول كاستيلو إن بوش ابتسم له ابتسامة العالم بالأمر وابتعد عنه.

وبعد زيارة بوش، جمع كاستيلو مذكراته عن تهريب كونترا للمخدرات وسلمها لرئيسه روبرت ستيا قائلاً: "هذا موضوع كبير جداً، وسوف يرتد ويعضنا فى مؤخرتنا إن نحن لم نبلغ عنه." ووقع ستيا على مضض التقارير وأرسلها إلى واشنطن. ومضت شهور دون أن يأتى رد من مقر وكالة مكافحة المخدرات. وظل كاستيلو يحفر وصار لديه مرشد مفيد جداً فى شخص أوجو مارتينيث Hugo Marinez، الذى كان مسئولاً عن وضع خطط الرحلات لمهمة إعادة تمويل كونترا. وأبلغ مارتينيث كاستيلو أن معظم الطيارين الذين ينقلون السلاح من إلوبانجو إلى معسكرات كونترا فى هُندوراس وكوستاريكا متورطون فى تجارة المخدرات. كما قال إن الطيارين يتباهون بحقيقة أنهم يعملون مع وكالة الاستخبارات المركزية وأنه لا يمكن لأحد مسهم بسوء. وكان مارتينيث يحتفظ بقائمة تضم أسماء كل الطيارين الذين يعتقد أنهم يهربون المخدرات فى مهمات كونترا. وعندما راجع كاستيلو القائمة على كمبيوتر وكالة مكافحة المخدرات صدمته النتائج. ويقول كاستيلو: "كان لكل منهم ملف."

وفى أبريل ١٩٨٦، تلقى كاستيلو برقية من بوبى نيفز Bobby Nieves، وهو أحد رجال وكالة مكافحة المخدرات فى كوستاريكا. وأبلغ نيفز كاستيلو اعتقاده بأن الكوكايين يُهرَّب من مزرعة كبيرة يملكها جون هال John Hull على الجانب الكوستاريكى من الحدود مع نيكاراجوا إلى السلفادور. ونصح كاستيلو بالتحرى عما يجرى فى العنبرين ٤ و٥ فى إلوبانجو. وانتهت البرقية بهذا: "إننا نعتقد أن مقاتلى كونترا متورطون فى تجارة المخدرات."

وعقب ذلك مباشرة اتصل بكاستيلو روبرت شافيز Robert Chavez، القنصل العام بوزارة الخارجية فى السلفادور، وشرح شافيز الورطة التى هو فيها. فيما أن الرجل

مسئول عن إصدار تأشيرات دخول الولايات المتحدة، فقد نصحته وكالة الاستخبارات المركزية بمنح تأشيرة لطيار نيكاراجوى اسمه كارلوس ألبرتو أمادور Carlos Alberto Amador. ولكن شافيز يقول إنه عند فحص الملفات وجد أن أمادور لديه سجل لتهريب المخدرات. فماذا عساه أن يفعل؟ فهو إن لم يصدر التأشيرة، فستكون الوكالة على رقبته. وأخبره كاستيلو أن عليه أن يرفض منح التأشيرة بالطبع. وفى النهاية فعل شافيز ذلك. وعندما أبدت الوكالة على الفور اعتراضًا شديداً، قال شافيز إنه فعل ذلك بناء على أوامر من كاستيلو. ويقول كاستيلو إنه عندما يعود بالزمن إلى الوراء بشأن المسألة برمتها، فإنه يجد أن تلك هى اللحظة التى بدأت عندها الوكالة فى ملاحقته بشكل جاد.

ولم يكن قد مضى وقت طويل بعد ذلك حين زار جون مارتش John Martsh رئيس عمليات مكتب مكافحة المخدرات فى أمريكا اللاتينية كاستيلو وقال له: "يا سيلى، إنهم يلاحقونك بسبب موضوع كونترا والتقارير التى كتبتها. وهم يحاولون التخلص منك، ولكنهم سيفعلون ذلك بحكمة شديدة." لم يعدل كاستيلو عما فى رأسه. فقد مضى فى تجميع الملفات عن طائرات كونترا وطياريها. وكان مصدره فى إلوبانجو، أوجو مارتينيث، قد أبلغه عن أحد طيارى كونترا اسمه فرانتشيسكو "تشيكو" جيرولا Francisco "Chico" Guirola نقل مراراً نقداً إلى حسابات كونترا فى بنوك البهاما. كما كان مارتينيث يعتقد كذلك أنه كان يحمل الكوكايين إلى القواعد الجوية فى فلوريدا وتكساس. وألقى القبض على جيرولا فى عام ١٩٨٥ جنوبى تكساس ومعه ٥ . ٥ مليون دولار من أموال كونترا، من المفترض أنها أرباح المخدرات. ويقول كاستيلو: "كانت تلك إحدى عمليات كونترا. ولم يوضع فى السجن؛ فكل ما حدث أنهم رحلوه وأعادوا له المال." واستمر جيرولا يعمل مع مقاتلى كونترا فى السلفادور.

وطيار كونترا الآخر الذى كانت عين كاستيلو عليه هو كارلوس كابيثاس Carlos Cabezas. ودور كابيثاس كمهرب مخدرات لمقاتلى كونترا عرضه بالتفصيل الرجل ذاته فى تقرير المفتش العام بوكالة الاستخبارات المركزية المنشور فى آخر يناير ١٩٩٨. وفى ذلك التقرير يقول كابيثاس ـ الذى يقيم فى نيكاراجوا الآن ـ إنه حضر اجتماعًا عقد فى ديسمبر ١٩٨١ فى فندق بسان خوسيه فى كوستاريكا. وأبلغ كابيثاس العاملين مع المفتش العام أنه فى ذلك الاجتماع وضعت خطة جمع أموال لمقاتلى كونترا عن طريق

بيع الكوكايين، وكان حاضراً ترويلو سانتشيث Trulio Sanchez، وهوراتيو بيريرا Ho-ratio Pereira، وخوليو ثابالا Julio Zavala، وزوجة ثابالا، دورا سانتشيث Sanchez، كابيثاس نفسه.

ويقول كابيثاس إن سانشيث وبيريرا طرحا فى البداية فكرة بيع الكوكايين فى كاليفورنيا، وإعادة جزء من الأرباح إلى مقاتلى كونترا فى كوستاريكا، للمناقشة. ووافق ثابالا، الرجل الذى سيعاد له فيما بعد مبلغ ٣٦٨٠٠ دولار فى قضية "فروجمان" Frog-man فى سان فرانسيسكو، على الخطة وطلب من كابيثاس أن يكون الوسيط، حيث يحصل الأموال من موزعى الشوارع فى سان فرانسيسكو ويعود بها إلى أمريكا الوسطى. ويقول كابيثاس إن أول رحلة لجمع المال لكونترا كانت فى أوائل عام ١٩٨٢. فقد سافر بالطائرة إلى سان بدرو سولا فى هُندوراس، حيث التقى ببيريرا. ويشير كابيثاس إلى أنهم التقوا بعد يومين بشخص من بيرو أعطاهم عدة كيلوجرامات من الكوكايين. وعاد كابيثاس بالكوكايين إلى سان فرانسيسكو ووزعه على شبكته من موزعى الشوارع الذين باعوه خلال بضعة أيام. وبعد أسبوع عاد كابيثاس إلى هُندوراس وأعطى بيريرا ١٠٠ ألف دولار نقداً لتوزيعها على مقاتلى كونترا.

وبعد رحلة جمع الأموال تلك، أنشأ كابيثاس شبكة من "بغال" كونترا لجلب الكوكايين إلى الولايات المتحدة، وكان مراسيل كابيثاس فى العادة من العاملين فى شركة الطيران الذين يحملون كيلوجراماً فى المرة الواحدة، وكانوا يخفونه فى سلال من البوص، وكان كابيثاس يجمع السلال فى المطار، ويفتحها بسكين إجزاكتو Exacto ويستخرج منها الكوكايين ويسلمه للموزعين، ثم يجمع الأموال من المبيعات. ويذكر كابيثاس أنه خلال عام ١٩٨٢ وحده قام بأكثر من عشرين رحلة إلى كوستاريكا وهُندوراس، وهو يقدر أنه سلم ما بين مليون ومليون ونصف دولار نقداً لسانشيث وبيريرا.

ثم قال كابيثاس لمحققى وكالة الاستخبارات المركزية بعد خمس عشرة سنة إنه فى أواخر ١٩٨٢، طلب منه سانشيث تسليم شحنة من النقد لشقيقه أريستيدس Aristides فى ميامى، وكان أريستيدس أحد زعماء "إف دى إن"، وأبلغ كابيثاس محققى المفتش العام أن أريستيدس كان "من المؤكد على علم بأن المال جاء أرباح المخدرات"، ويقول كابيزاس إنه ذهب فى أوائل عام ١٩٨٤ إلى دانلى Danli، وهو أحد معسكرات كونترا

أمريكية الصنع، بينها بنادق M-16، وقذائف صاروخية، وأجهزة رؤية ليلية، وصندوق متفجرات C4. وقال كاستيلو: "كان ذلك الشخص مدنياً، ولم يكن من المفترض أن يكون لديه هذا الشيء. غير أننا وجدنا كذلك أن مركباته كانت تحمل لوحات خاصة بالسفارة الأمريكية."

وكتب كاستيلو أمراً بالقبض على جراسهايم، ولكن هناك من أخبر هدفه بذلك ولم يعد إلى السلفادور قط. وذهب كاستيلو، وقد غضب غضباً شديداً لمقابلة السفير الأمريكى إدوين كور Edwin Corr، وطلب كاستيلو معرفة سبب تقديم السفارة تلك المعدات لمهرب مخدرات، فقال كور لكاستيلو: "هذه عملية سرية. إنها عملية خاصة بالبيت الأبيض، فابتعد عنها."

وبعد ذلك الاتصال مباشرة، ظل كاستيلو موقوفاً لمدة ثلاثة أيام ووجه له لوم شديد. وأبلغ جون مارتش من وكالة مكافحة المخدرات كاستيلو أنه أصبح "أقرب من اللازم" من مرشديه. كما وبخ كاستيلو لعدم مراعاة القواعد اللغوية عند كتابة تقاريره وقال إنه إذ أرسل تقارير أخرى تتناول تهريب كونترا للمخدرات، فلا بد أن يستعمل كلمة "المزعومة" عند الإشارة إلى تلك الأنشطة.

وكان كاستيلو لا يزال بوكالة مكافحة المخدرات فى أمريكا الوسطى حين بدأ السناتور جون كيرى تحقيقه الخاص بالادعاءات الخاصة بتورط وكالة الاستخبارات المركزية فى تهريب المخدرات. ورغم طابور من الشهود، بينهم موزعو مخدرات أدينوا ومساعدو غيدن باستورا ومانويل نورييجا، فقد حظيت جلسات استماع كيرى بقدر قليل من الاهتمام فى صحافة التيار العام. وذكر كاستيلو عام ١٩٩٧ أنه يعتقد أنه من السهل على المدافعين عن وكالة الاستخبارات المركزية فى الصحافة أن يقللوا من قيمة تحقيق كيرى، لأن الكثير من مصادره موضع شك بسبب سجلاتهم الإجرامية."إنهم لم يأتوا قط بأشخاص مثلى للإدلاء بشهادتهم. فقد كنت العميل الخاص المسئول عن السلفادور. وقد قمت بكل التحريات، ولم يتصلوا بى قط."

وبالمثل، يقول كاستيلو إن أحداً من محققى لجنة إيران/كونترا لم يتحدث إليه. إلا أنه التقى سراً فى عام ١٩٩١ بمايك فوستر Mike Foster، وهو عميل بمكتب التحقيقات الفدرالى استأجروه كمحقق لدى محامى إيران كونترا المستقل لورانس والش Lawrence Walsh. وروى كاستيلو لفوستر بالتفصيل ما يعرفه عن عمليات

تهريب المخدرات الخاصة بكونترا ويذكر أن فوستر قال له بعد أول مقابله: "سيلى، إذا أثبتنا أن كونترا وأوليفر نورث كانا متورطين بشدة فى تهريب المخدرات، فسيكون ذلك بمثابة الهدف الذهبى." وتقدم فوستر بما يعرف فى مكتب التحقيقات الفيدرالى بالتقرير رقم ٢، مسجلاً مقابلته مع كاستيلو. وكتب فوستر: "يعتقد كاستيلو أن نورث وعملية عادة إمداد مقاتلى كونترا فى إلوبانجو كانا يهربان المخدرات لمصلحة مقاتلى كونترا."

وبعد ثلاثة أيام من تقديم تقرير فوستر، اتصل مسئولون كبار بوكالة مكافحة المخدرات بمكتب والش وحاولوا تشويه سمعة كاستيلو. وطُلب من فوستر إعادة تقييم مصداقية كاستيلو. وبعد ذلك كتب رجل مكتب التحقيقات الفدرالى مذكرة أخرى إلى كريج جيلين Craig Gillen الذى كان مسئولاً عن الجزء الخاص بـ"التحريات المستمرة" فى تحقيق والش. وكتب والش فى المذكرة المؤرخة فى ١٠ أكتوبر ١٩٩١: "يقدم كاستيلو الكثير من معلومات الخلفية الجديدة وبعد الأدلة المهمة التى أظن أنه ينبغى تتبعها." ولكن أحداً لم يتتبع الأدلة، وقرر مكتب والش أن ادعاءات تجارة المخدرات خارج اختصاص المستشار المحامى المستقل.

وبالنسبة لسيلى كاستيلو، كان فشل تحقيق والش هو القشة التى قصمت ظهر البعير. فاستقال من وكالة مكافحة المخدرات فى ديسمبر عام ١٩٩١، حيث سماها "وكالة فساد". وفى تكساس، وبعد سبع سنوات، كان يحاول الكشف عن تقاريره القديمة إلى وكالة مكافحة المخدرات عن طريق مقاضاة الوكالة بموجب قانون حرية المعلومات.

بارى وبارجر يفشيان القصة

أول قصة إخبارية كبرى تربط مقاتلى كونترا بتهريب المخدرات كتبها صحفيا وكالة "أسوشيتد بريس" روبرت بارىRobert Parry وبرايان بارجر Brian Barger. وقد رأت القصة الضوء بالصدفة. فقد كان الصحفيان يعملان فى القصة منذ شهور، مما أربك رؤساءهما. وبعد اجتياز العقبات التحريرية المعتادة - إعادة الكتابة المستمرة، والتنقيحات، والتوضيحات وهلم جرا - كانت القصة جاهزة للخروج، ولكن ما حجزها حينذاك هو الحظر المفروض من كبار المسئولين فى الوكالة. وبعد ذلك ترجم محرر يكتب باللغة الأسبانية القصة، وتجاهل الحظر، وبثها ضمن خدمة الوكالة فى أمريكا اللاتينية. وفى ٢٠ ديسمبر ١٩٨٦، ظهرت القصة على الصفحات الأولى من الصحف التى تصدر باللغة الأسبانية فى أنحاء العالم.

وبعد ثلاثة أيام، ظهرت نسخة مخففة على خدمة "أسوشيتد بريس" باللغة الإنجليزية، وسط عطلة عيد الميلاد، التى قد تكون أبطأ الأيام فى الأخبار، ويكون معدل قراءة الصحف أقل منه فى أى وقت من السنة، وحملت "واشنطن بوست" ما وصفها روبرت بارى فيما بعد بأنها نسخة مختصرة من القصة أضافت الصحيفة إليها تكذيبات من حكومة ريجان.

ومع ذلك، فقد غطت القصة المدمجة معظم الأسس وكانت عملاً صحفيًا جميلاً. وقد بدأ بارى وبارجر بقولهما: "شارك المتمردون النيكاراجويون الذين يعملون فى كوستاريكا فى تجارة المخدرات فى جزء من حربهم ضد الحكومة اليسارية فى نيكاراجوا، وذلك بناء على ما ذكره محققون أمريكيون ومتطوعون أمريكيون للعمل مع المتمردين"، وربطت القصة تهريب المخدرات بكل من مجموعة كونترا "إيه آر دى إى" ARDE التابعة لإيدن باستورا وتنظيم "إف دى إن" الذى أنشأته وكالة الاستخبارات المركزية من خلال أدولفو كاريرو وإنريكى بيرموديث. وروت القصة كذلك أن زعيم كونترا سيباستيان جونثاليس مينديولا Sebastian Gonzales Mendiola، رئيس جماعة منفصلة معروفة باسم M-3، وجهت له فى كوستاريكا تهم تتعلق بالمخدرات.

وكان بارى وبارجر قد حصلا كذلك على معلومات تفيد بأن الكثير من تهريب الكوكايين فى كوستاريكا المتصل بكونترا يشرف عليه أعضاء فى جماعة "اللواء ٢٥٠٦" التى تضم كوبيين مهاجرين، والمعروف فى ميامى أن وكالة الاستخبارات المركزية تدعمها لشن هجوم على كاسترو. واستشهدت القصة الإخبارية بتقرير الاستخبارات القومية المحظور الذى أعدته وكالة الاستخبارات المركزية ويتهم إيدن باستورا بشراء طائرة هليكوبتر وأسلحة قيمتها ٢٧٠ ألف دولار من أرباح المخدرات. وأخيراً ذكر بارى وبارجر أن عضواً من الاتحاد الكولبى تبرع بمبلغ ٥٠ ألف دولار لمقاتلى كونترا لمساعدتهم له فى إيجاد ممر آمن لشحنة زنتها ١٠٠ كيلو من الكوكايين. وتتبع بارى وبارجر هذه القصة بسلسلة من التقارير عن تهريب المخدرات، والمخالفات المالية، والفساد السياسى خلال موسمى شتاء وخريف ١٩٨٦.

أغضبت القصص الإخبارية حكومة ريجان التى لم تضيع وقتًا فى محاولة فصل التيار عن ذلك الضوء المسلط على أنشطتها غير القانونية. ففى أوائل ١٩٨٦ اتصل مبعوث من البيت الأبيض ببارى وأبلغه أن شريكه بريان بارجر مسئول خفى عن

الدعاية لمقاتلى ساندينستا . ولم يتأثر بارى بذلك. وبعد فشل ذلك التكتيك، تعقب إليوت ابرامز بارى. فقد اختار سكرتير ابرامز الصحفى، جريجورى لاجانا Gregory Lagana عدداً من صحفيى واشنطن وشوه سمعة بارى لديهم باعتباره صحفياً متحيزاً يوشك أن يقضى على مقاتلى الحرية فى كونترا. بل كانت هناك اتهامات بأن بارى وبارجر سمما كلب نورث. (برأ محققو إيران/ كونترا ساحة الاثنين بالنسبة لاتهام قتل الكلب. فالواقع أن كلب نورث مات بسبب إصابته بالسرطان).

واتضح أن نورث نفسه كان متورطًا تورطًا شديداً فى مساعى تشويه سمعة الصحفيين. وقال آلان فيرز، رجل وكالة الاستخبارات المركزية المسئول عن أمريكا اللاتينية، فى شهادته التى أدلى بها لمحققى إيران/كونترا إن نورث جنَّد أوليفر "باك" ريفيل Oliver "Buck" Revell من مكتب التحقيقات الفدرالى للتحرش ببارى. وأفرج عن ملخص المحققين الخاص بتحقيقهم فى عام ١٩٩٦:

> النشاط الوحيد الذى يعلمه فيرز عن أى شخص فى الحكومة لكى يؤثر بأى شكل من الأشكال على هذه القضية هو إبلاغ نورث له [أى فيرز] أنه [أى نورث] سوف يتصل بأوليفر "باك" ريفيل فى مكتب التحقيقات الفدرالى كى يجعله "يقوم بأشياء". ويذكر فيرز أن نورث أبلغه فى مناسبتين أو ثلاث مناسبات أنه إما سيجعل ريفيل يفعل شيئًا، أو لا يفعل شيئًا. ويظن فيرز أن إحدى مكالمات نورث لريفيل كانت حول قلق نورث من مطاردة بوب بارى الصحفى له [أى نورث].

وعندما اتصل بارى بفيرز بشأن هذا التصريح به فى عام ١٩٩٧، قال له فيرز: هذا صحيح. فقد كنت العدو."

ولم يسلم بارجر من التحرش. ففى ربيع ١٩٨٦، اكتشف هذا الصحفى أن منزله فى واشنطن كان تحت المراقبة على مدار الساعة. وقد أبلغ شرطة واشنطن العاصمة بأمر المراقبة، فأكدوا له أنه مراقب، ولكنهم لم يفصحوا عن الجهة التى تراقبه.

وحتمًا كان هناك ضغط من كبار المسئولين فى "أسوشيتد بريس". ففى أواخر ١٩٨٦، ذهب بارى إلى رئيس مكتب واشنطن، تشارلز ليويس Charles Lewis، يطلب منه تصريحًا لكتابة سلسلة من القصص الإخبارية عن نورث ومقاتلى كونترا والمخدرات. وخلط ليويس الفكرة قائلاً، حسب رواية بارى: "[مقر أسوشيتد بريس الرئيسى فى] نيويورك لا تريد سماع المزيد عن قصة المخدرات، ولا نظن أنه ينبغى

عليك عمل المزيد بخصوص هذا الموضوع." وبعد بضعة أسابيع مد ليويس حظره ليشمل أية تغطية يقوم بها بارى وبارجر لحرب كونترا نفسها. ويتذكر بارى ليويس وهو يقول: "لم تعد نيكاراجوا قصة إخبارية." وكان ذلك أشبه برئيس ديسك فى ميامى يبلغ أحد الصحفيين أن كوبا لم تعد قصة إخبارية، قبل خليج الخنازير بخمسة أشهر. وفى أكتوبر من ذلك العام، أسقطت طائرة أويجينه هازينفوس وانكشفت فضيحة إيران/كونترا.

لم يمض وقت طويل حتى ترك بارى الوكالة وعمل فى مجلة "نيوزويك". والتحق بارجر بشبكة "سى بى إس". ولكن أى صحفى يحرج حكومة ريجان بشأن حرب كونترا كانت تقابله مشاكل دائماً، وقابل بارى صعوبات مشابهة فى "نيوزويك". وكان النصر المؤزر الذى حققه الاثنان هو نشر قصة ديسمبر الأصلية تلك ضمن خدمة الوكالة.

تقرير كيرى

كانت النتيجة الأساسية لقصص بارى/بارجر هى تحقيق الكونجرس الذى بدأه السناتور جون كيرى من ماساتشوستس فى أبريل ١٩٨٦، وكان حتى ذلك الوقت أقوى تحقيق أُجرى فى الثمانينيات عن تواطؤ الحكومة الأمريكية فى تجارة المخدرات فى أمريكا اللاتينية. واختار كيرى جاك بلوم **Jack Blum** كبيراً لمحققيه، وكانت له خبرة بعض سنوات فى هذا النوع من العمل مع اللجنة متعددة الجنسيات الفرعية برئاسة السناتور فرانك تشرش التى عقدت جلسات استماع مهمة عن نصب الشركات فى أواخر السبعينيات، وكانت أشهرها فضيحة رشوة لوكهيد **Lockheed**.[(١)]

واستمر تحقيق كيرى عامين ونصفا واستمع إلى عشرات الشهود؛ وانتهى التحقيق بإصدار تقرير من ٤٠٠ صفحة مع ملحق يضم ٦٠٠ صفحة أخرى من التوثيق المدعم للتقرير، وكانت النتيجة الأساسية التى توصل إليها التحقيق لا لبس فيها: "من الواضح أن الأفراد الذين كانوا يقدمون الدعم لمقاتلى كونترا تورطوا فى تهريب المخدرات. فقد استغلت منظمات تهريب المخدرات، وعناصر من مقاتلى كونترا أنفسهم، كانت تتلقى المساعدات المالية والمادية من تجار المخدرات، شبكة إمداد مقاتلى كونترا."

---

(١) أكبر شركة لصنع الطائرات فى الولايات المتحدة، وهى التى تنتج طائرات بوينج بطرزها المختلفة. **(المترجم)**

من مقابلة مع آلان فيرز، رئيس مهمة وكالة الاستخبارات المركزية فى أمريكا الوسطى فى منتصف الثمانينيات، وكما تشير مذكرة خاصة بمقابلة أجراها أحد محققى والش، فإن "فيرز كان ... يحصل على معلومات خاصة بتحقيق السناتور كيرى عن نشاط المرتزقة فى أمريكا الوسطى من أشخاص فى الشئون القانونية بوكالة الاستخبارات المركزية الذين كانوا يرصدونه". كما لفقت حكومة ريجان تحقيقًا أخلاقيًا لكيرى بسبب تشويهه سمعة مقاتلى كونترا. وسوف يذكر الناس أن ريجان كرَّم هؤلاء القتلة فى يوم من الأيام، حين وصفهم بأنهم "المقابل الأخلاقى للآباء المؤسسين".

كما وصف جاك بلوم الطريقة التى حاولت بها وزارة الخارجية فى حكومة ريجان التقليل من قدر تحقيق كيرى. وكان الفاعل الرئيسى هنا هو وكيل النائب العام ويليام ويلد William Weld، وكان منافسًا سياسيًا قديمًا لكيرى من ماساتشوستس. وشهد بلوم أمام الكونجرس فى ٢٣ أكتوبر ١٩٩٦، أثناء جلسات الاستماع الخاصة بالصلات بين وكالة الاستخبارات المركزية وكونترا والمخدرات، التى أدت إليها سلسلة جارى وب، بقوله: "كان ويلد يقيم سدًا شديد الخطورة أمام أى جهد نقوم به للحصول على المعلومات. كان هناك تلكؤ وتعطيل. كان هناك رفض للتحدث معنا، ورفض لتسليم البيانات." وشهد بلوم بذلك قبل حوالى عشرة أيام من انتخابات مجلس الشيوخ فى ماساتشوستس، حيث كان ويلد مشتبكًا فى معركة مع كيرى ضمن سباق خسره ويلد فى النهاية بفارق بسيط.

وكان أحد الموضوعات التى يريد كيرى وبلوم معلومات عنها يتعلق بقضية "فروجمان" فى سان فرانسيسكو، حيث أقنعت وكالة الاستخبارات المركزية – كما يذكر القارئ من فصل سابق – وزارة العدل بإعادة مبلغ ٣٦٨٠٠ دولار كانت قد ضبطت فى مداهمة مخدرات، على أساس أن النقود التى عُثر عليها فى غرفة نوم أحد أفراد عصابة مينيسيس كان مقررًا إرسالها إلى كونترا. ورفض مكتب ويلد تسليم الملفات.

وحاول محامو الحكومة كذلك منع شاهد ملك من شهود كيرى من الإدلاء بشهادته. وكان جورج موراليس George Morales كولومبى المولد من سكان ميامى أدين بالاتجار فى الكوكايين وحُكِم عليه بالسجن ستة عشر عامًا، وعرض محامو وزارة العدل على موراليس تخفيف الحكم إن هو أغلق فمه بشأن صلاته بمقاتلى كونترا، ورفض موراليس العرض وأبلغ قصته لكيرى وللِيزلى كوكبرن من أجل فيلم "سى بى

إس" التسجيلى. وقال موراليس إنه فى عام ١٩٨٤ عرضت عليه وزارة العدل تعليق إدانته بالاتجار فى المخدرات إن هو ساهم بمليون دولار كل عام لمقاتلى كونترا وقدم طائرات من شركة الطيران الخاصة به، الموجودة فى مطار أوبا لوكا Opa-Loka بفلوريدا. وأوضح موراليس أن مقاتلى كونترا كانوا يعانون من نقص فى الأموال فى ذلك الوقت، ووجهت له دعوة لحضور اجتماع لزعماء كونترا فى بيت مارتا هيلى Marta Heale فى ميامى. وحضر ذلك الاجتماع أوكتابيانو سيثار Octaviano cezr (عميل لوكالة الاستخبارات المركزية) وأدولفو "بوبو" كاموررو Adolfo "Popo" Chamorro، الزوج السابق لهيلى وفى الوقت ذاته ابن شقيق بيوليتا تشامورو Violetta Chamorro رئيس نيكاراجوا فيما بعد. وكان تشامورو وسيثار يعملان على فتح جبهة ثانية فى كوستاريكا، بهدف الاستيلاء على العمليات من إيدن باستورا الذى لا يمكن السيطرة عليه. وفى اجتماع ميامى طلبوا من موراليس مساعدتهم فى مسعاهم بتقديم الطائرات والسلاح والمال. وقال كل من سيثار وتشامورو بعد ذلك إن وكالة الاستخبارات المركزية هى التى كانت قد أعدت الاجتماع مع موراليس. فقد قال تشامورو: "اتصلت بمصدرنا فى وكالة الاستخبارات المركزية، طبعًا اتصلت. والحقيقة هى أننا كنا لا نزال نحصل على بعض المال من الوكالة من تحت الطاولة. وقالوا إن [موراليس] لا بأس به." ومضى سيزار قائلاً إن عميل الوكالة أبلغه أنه لا مانع من الدخول فى تعامل مع موراليس "مادمنا لم نتعامل فى البودرة".

وروى موراليس لمحققى لجنة كيرى كيف قدم لكونترا ما لا يقل عن ٣ ملايين دولار من أموال المخدرات، على مدى العامين أو الثلاثة أعوام التالية. كما ذكر رحلة قام بها إلى البنك الذى يتعامل معه فى جزر البهاما فى أكتوبر ١٩٨٤؛ فقد سحب موراليس ٤٠٠ ألف دولار نقداً من هناك وأعطاها لسيزار، الذى سجل المبلغ على مستند الجمارك الأمريكية.

وأيد قصة موراليس اثنان من طياريه. فقد شهد جارى بيتزنر Gary Betzner، وهو طيار سابق فى البحرية الأمريكية من أركانسو، أمام محققى كيرى أنه تلقى مكالمة من موراليس عام ١٩٨٤ يطلب فيها مساعدة بيتزنر فيما يتعلق باتهامه، وقال بيتزنر فى شهادته أمام الكونجرس عام ١٩٨٧: "قال [موراليس] إنه عقد صفقة مع وكالة الاستخبارات المركزية لإمدادهم [مقاتلى كونترا] بالمال وبالمساعدات، وكان يريد منى

أن أنقل بالطائرة بعض السلاح والذخيرة وأشياء من هذا القبيل إلى مقاتلى كونترا."
ويقول بيتزنر إنه قام بالعديد من الرحلات فى عام ١٩٨٤ من فورت لودرديل إلى ممرين فى كوستاريكا، أحدهما فى مزرعة جون هال، والآخر على مقربة منه. ولم تكن أى من تلك الرحلات تتطلب الأوراق المرتبطة بأى رحلة دولية. وكانت الطائرة تحمّل بمدافع M-16 ورشاشات M-60 ومتفجرات C-4. ويقول بيتزنر إنه كان يفرغ الأسلحة ثم يضع على الطائرة "سبعة عشر كيسًا من قماش الدافيل وخمسة أو ستة صناديق طول الواحد منها ستة أقدام وعرضها قدمان مملوءة بالكوكايين". ويذكر بيتزنر أنه لم يكن يشغل نفسه بمسألة إلقاء القبض عليه، لأن موراليس أخبره أن رحلاته "مغطاة". وقال: "تعلم أنه إذا تبعتنى الجمارك أو وكالة مكافحة المخدرات وأنا أهبط بالطائرة لن تقابلنى أية مشكلة، أقصد أنهم لن يسببوا أى إزعاج."

وأبلغ بيتزنر الكونجرس عن طيارين آخرين كانا يقومان بمهمات لنقل المخدرات والسلاح لموراليس وكونترا، وهما جيرالدو دوران Geraldo Duran وماركوس أجوادوMarcos Aguado اللذان قاما كذلك ببعض الرحلات - كما أورد جارى وب - لصلحة نوروين مينيسيس. وزعم أجوادو أنه رئيس قوات كونترا الجوية على جبهة كوستاريكا. وأكد فيما بعد أنهم خدعوه كى يعمل مع تجار المخدرات، حيث قال إن أشخاصًا مثل موراليس "يخدعون الناس. ومما يؤسف له أن هذا النوع من النشاط، الذى هو من أجل تحرير شعب، يشبه تمامًا أنشطة تجار المخدرات". وكان دوران من طيارى كونترا من ١٩٨٢ حتى ١٩٨٥. وفى أوائل ١٩٨٦ ألقى القبض عليه فى كوستاريكا، لنقله الكوكايين إلى داخل الولايات المتحدة.

وهناك الكثير من التأكيدات الأخرى لاستغلال وكالة الاستخبارات المركزية لموراليس. فقد أبلغت كارول برادو Carol Prado، المتحدث الرئيسى باسم إيدن باستورا، جوناثان كويتنى Jonathan Kwitny الصحفى فى جريدة "وول ستريت جورنال" أنه يفهم أن أوكتابيانو سيثار وأدولفو تشامورو أبلغا موراليس بالفعل أن وكالة الاستخبارات المركزية يوف تساعده فى مشكلته القانونية مقابل تقديمه المال والإمدادات. بل إن رجل أوليفر نورث فى أمريكا الوسطى، روبرت أوين، شهد أثناء جلسات استماع إيران/كونترا بأنه أبلغ نورث باعتقاده أن برادو وأجوادو ودوران أنفسهم متورطون جميعًا فى تجارة المخدرات. فهم ضالعون فى التجارة مثل موراليس.

ولكن بعض أكثر المعلومات إدانة جاء من أحد طيارى موراليس الآخرين، وهو فابيو كاراسكو Fabio Carrasco. ففى ٦ أبريل ١٩٩٠، استدعى كاراسكو كشاهد حكومى لصلحة وزارة العدل فى محاكمة مخدرات فى تولسا بولاية أوكلاهوما Tulsa, Oklahoma. وبدأ الدفاع ببحث خلفية كاراسكو. ورغم الجهود المحمومة من جانب المحقق الفدرالى لقمع إجابات كاراسكو، فقد خرجت الحقائق التالية.

فقد شهد كاراسكو بأنه فيما بين ١٩٨٤ و١٩٨٥ قام بأكثر من خمس مهام طيران لمصلحة موراليس، حيث كان يحمل ما بين ٣٠٠ و٤٠٠ كيلو من الكوكايين إلى داخل الولايات المتحدة فى كل رحلة. كما شهد بأنه كان يقود رحلات إعادة إمداد كونترا مع جارى بيتزنر إلى كوستاريكا، حيث كانت الأسلحة تفرغ وتوضع المخدرات على متن الطائرة عند العودة إلى فلوريدا. وذكر كاراسكو أنه يعتقد أن الرحلات كانت بتصريح من وكالة الاستخبارات المركزية، وأن الكوكايين الذى كان يحمل على الطائرات ملك لقائدى كونترا أوكتابينو سيثار وماريو كاليرو، وشهد كاراسكو كذلك أن جورج موراليس قدم "عدة ملايين من الدولارات لسيزار وتشامورو"، كما يذكر من ثلاثين إلى أربعين مرة سلمت فيها نقود إلى قادة كونترا فى مختلف "الفنادق والمطاعم وفى منزل موراليس".

والخطوط العامة لقصتى موراليس وبيتزنر منشورة منذ ١٩٨٧، ولكن "نيويورك تايمز" و"واشنطن بوست" سخرتا منهما باعتبارهما شهادتين من مرتكبى جرائم مخدرات. ووبخت "نيوزويك" السناتور كيرى باعتباره "متحمساً شبقًا للمؤامرات" لتنقيبه عن تلك المادة. ونشر والتر بينكص ودوجلاس فاراه مقالاً فى "واشنطن بوست" عام ١٩٩٦ مستغلين شهادة كاراسكو فى تولسا التى مضى عليها ست سنوات، وإن لم يدفع هذا صحفيى "واشنطن بوست" إلى الاعتراف بأن التحقيقات السابقة التى أجراها كيرى وبعض الصحفيين الآخرين كانت بالكامل على المستوى المطلوب. وهؤلاء الذين يشكون فى الطبيعة النفعية لمهنة الصحافة كما تمارس فى كثير من الأحيان قد يهتمون بدراسة وقاحة صحفيى "واشنطن بوست" الهادئة، وهم يكتبون فى ٣١ أكتوبر ١٩٩٦ أن قصص صلات وكالة الاستخبارات المركزية بمهربى المخدرات "مثارة منذ أكثر من عشر سنوات"، ولكن تحقيق الكونجرس الذى يقوم به السناتور كيرى منذ عامين "آثار قليلاً من الحركة حين نشر تقريره"، وقد دفنته "واشنطن بوست"، التى كان

يعمل بها والتر بينكص حين نُشر تقرير كيرى سنة ١٩٨٩، فى قصة ساخرة كتبها مايكل إيسيكوف Michael Isikoff على بعد عشرين صفحة داخل العدد.

ولم تزعج "نيويورك تايمز" نفسها بنشر تقرير كيرى بالمرة. وبينما كان تحقيق كيرى مازال مستمرًا، كتب كيث شنايدر مقالاً يتسم بالخنوع يقول فيه إنه لا ينبغى تصديق شهادة تجار المخدرات الذين يتطلعون لأحكام مخففة. ومن الصعب فهم هذا المنطق. فلماذا تتساهل وزارة العدل فى حكومة ريجان مع مرتكبى جرائم المخدرات الذين يشهدون ضد الحكومة أمام لجنة يشرف عليها الديمقراطيون؟ فقط حين صار نورييجا هدفًا لحكومة بوش بدأت الصحافة ـ وخاصة "واشنطن بوست" ـ فجأة تأخذ شهادة موراليس وغيره مأخذ الجد.

وبعد جلسات الاستماع الخاصة بصلات وكالة الاستخبارات المركزية وكونترا والمخدرات، لم يسع الصحفيون لمقابلة كيرى كى يتحدث حول هذا الموضوع حتى سأله صحفى فى "إيه بى سى نيوز" عن رأيه فى أعقاب سلسلة جارى وب. وكان رد كيرى هو أنه "ليس فى ذهنى أى شك فى أن الأشخاص الذى لهم صلة بوكالة الاستخبارات المركزية كانوا متورطين فى تجارة المخدرات وهم يدعمون مقاتلى كونترا. كانت لدينا أدلة مباشرة على أن ما بين ١٠ ملايين و١٥ مليون دولار كانت تذهب إلى مقاتلى كونترا. وأنا على ثقة تامة من أن ذلك كان الجزء الظاهر من جبل الثلج. فقد كان مقاتلو كونترا فى أمس الحاجة إلى المال. ولذلك فهم إلى حد ما حصلوا على قرض مكمل ممن هو متاح لهم، وكان أمراء المخدرات هم الأشخاص الذين أتيح لهم أن يأخذوا منهم ما يريدون.

الرجل القادم من اتحـــاد ميديين

كان رامون ميليان رودريجيث كبير المحاسبين فى اتحاد ميديين، حيث كان يتعامل مع ٢٠٠ مليون دولار من أرباح البترول شهريًا، بينما يتنقل بين بنما وميامى وكولومبيا. وكان رامون منفيًا كوبيًا آخر بدأ حياته فى سياسة المخدرات المعادية لكاسترو بالعمل مع مانويل أرتيمى Manuel Artime، الإرهابى الذى تسانده وكالة الاستخبارات المركزية. ويقول ميليان رودريجيث إن أولى مهامه الكبرى كانت تسليم ٢٠٠ ألف دولار نقدًا من أرتيمى إلى بعض الكوبيين الذين شاركوا فى السطو على ووترجيت الذى نظمه البيت الأبيض فى عهد نيكسون عام ١٩٧٢. وقد قال فى مقابلة تليفزيونية مع ليزلى وأندرو

كوكبرن: "بدأت بفضيحة وانتهيت بفضيحة"، ويقول ميليان رودريجيث إن وكالة الاستخبارات المركزية طلبت منه فى منتصف السبعينيات توصيل أكثر من ٢٠ مليون دولار لحكومة أنستاسيو سوموثا لدعم نظامه الحاكم، الذى كان يواجه وقتها انتفاضة ساندينستا. "إذا كان لديك أشخاص مثلى فى المكان المناسب، فهذا شىء رائع، والوكالة لديها أعمال لا بد لها من القيام بها ولا تعترف بها أبداً لأى لجنة مراقبة، وهى محقة فى ذلك. والطريقة الوحيدة التى يمكنهم بها تمويل هذه الأشياء هى من خلال أموال المخدرات أو أية أموال غير مشروعة أخرى يمكنهم التوصل إليها."

وفى عام ١٩٨٢، اتصل بميليان رودريجيث، وكان وقتها المدير المالى لاتحاد ميديلين، رفيقه القديم المعادى لكاسترو، ورجل وكالة الاستخبارات المركزية، فيليكس رودريجيث، لتجنيد الاتحاد فى قضية كونترا. ويقول ميليان رودريجيث إن رجل وكالة الاستخبارات المركزية طلب منه المساهمة بعشرة ملايين دولار تسلم على الفور "حسب الحاجة" من ١٩٨٢ حتى ١٩٨٥. وكان السؤال الذى طرح هو: هل كانت وكالة الاستخبارات المركزية ومقاتلو كونترا يعرفون مصدر أموال ميليان رودريجيث؟ قال ميليان رودريجيث لكوكبرن وزوجته، اللذين كانا يصوران فيلماً وثائقياً لمحطة "بى بى إس" فى بوسطن WGBH: "لم يكن فلاحو كونترا يعرفون. ولكن الرجال الذين كانوا يتصلون بى كانوا يعرفون. وكنت فى ذلك الوقت مهتماً. ولكن وطنياً كبيراً مثل فيليكس رودريجيث يجد فجأة أن قواته ينقصها المال، لشراء الطعام، ولشراء الدواء، ولشراء الإمدادات. وأظن أن الأمر بالنسبة لفيليكس كان مبعثه اليأس، فقد كان على استعداد لأن يحصل عليه من أى مصدر كى يستمر فى حربه."

وعندما ألقى القبض فى نهاية الأمر على ميليان رودريجيث عام ١٩٨٥، ضبط مكتب التحقيقات الفدرالى أوراقه المالية، ومنها كشف نفقات عام ١٩٨٢. وكان الكشف يتضمن عموداً بعنوان "وكالة الاستخبارات المركزية" ويسجل مبلغ ٣.٦٩ مليون دولار مدفوعات. وكانت إحدى الوسائل التى يستخدمها ميليان رودريجيز لتوصيل المال إلى مقاتلى كونترا تلك الشركة التى سبق أن التقينا بها فى هذا الفصل، وهى شركة الجمبرى المجمد "أوشن هنتر" ومقرها ميامى، وتملكها بالكامل شركة "فريجوريفيكوس دى بونتاريناس" ومركزها كوستاريكا ولديها عقد مع وزارة الخارجية لتقديم المساعدات الإنسانية لمنظمة "إف دى إن".

ويقول محاسب الكوكايين إنه كان ينقل حوالى ٢٠٠ ألف دولار شهريًا من خلال أوشن هنتر فى تلك الفترة. ويشير ميليان رودريجيث إلى أن دوافع زعماء اتحاد ميديلين كانت غاية فى البساطة. فقد كان أمراء المخدرات الكولومبيون يقدمون المال مقابل الحصول على الحماية من وكالة مكافحة المخدرات، وكذلك الممر الآمن للكوكايين الخاص بهم إلى السوق الأمريكية المزدهرة، بما فى ذلك عمليات مينيسيس/بلاندون فى سان فرانسيسكو ولوس أنجلوس.

ويقول ميليان إن الصفقة التى تمت مع اتحاد ميديلين وأقرتها وكالة الاستخبارات المركزية كانت مربحة بالنسبة للكولومبيين، فقد رأوا أن تحريات وكالة مكافحة المخدرات قلت إلى حد كبير. وزادت كمية الكوكايين التى تتدفق على الولايات المتحدة زيادة كبيرة. فطبقًا لما ذكرته وكالة مكافحة المخدرات، زادت واردات الكوكايين بمقدار ٥٠ بالمائة فيما بين ١٩٨٢ و١٩٨٥، وأصبح الكوكايين المخدر غير المشروع الأكثر ربحًا فى السوق الأمريكية. وقدرت وكالة مكافحة المخدرات إجمالى الأرباح من هذه الواردات بثلاثين مليار دولار. وكان اتحاد ميديلين وحده يحقق مبيعات سنوية تصل إلى ١٠ مليارات دولار، مما دفع مجلة "فوربس" Forbes إلى وضع اثنين من زعمائه – هما بابلو إسكوبار Bablo Escobar وخورخى أوتشوا Jorge Ochoa – ضمن قائمتها الخاصة بأغنى أغنياء العالم فى عام ١٩٨٨. وعلى الطرف الآخر من الوفرة كان تجار كوكايين التدخين فى ساوث سنترال وغيرها من الأحياء الفقيرة.

وأثناء ذروة حرب كونترا، وافقت مجلة "تايم" على إرسال مندوبها لورانس زوكرمان Lawrence Zuckerman إلى أمريكا الوسطى لعمل تحقيق عن قصة المخدرات، وعاد زوكرمان محملاً بروايات موثقة عن تهريب كونترا للمخدرات. وقتلتها "تايم" جميعها، ويذكر زوكرمان أن محرره قال له إن "المعروف أن تايم تؤيد مقاتلى كونترا. ولو كانت تلك القصة عن مقاتلى ساندينستا والمخدرات، لما وجدت مشكلة فى نشرها فى المجلة".

■ ■ ■

المصــادر

رغم مضى أكثر من عقد، فمن غير المحتمل وجود ما يفوق كتاب ليزلى كوكبرن Out of Control كعمل يتضمن تحقيقًا أصيلاً عن تهريب كونترا للمخدرات. ويزخر تسجيل جلسات استماع لجنة كيرى بالتفاصيل البغيضة عن تواطؤ وكالة الاستخبارات المركزية مع تجارة كونترا للمخدرات وكان مصدراً مهمًا لهذا الفصل. وكتاب جوناثان مارشال وبيتر ديل سكوت Cocaine Politics مسح غنى بالتوثيق للعلاقة بين تجار المخدرات ومنظمات الاستخبارات فى أنحاء أمريكا اللاتينية، وهو كتاب رجعنا إليه كثيراً. وكتاب عميل وكالة مكافحة المخدرات السابق سيليرينو كاستيلو Powderburns عمل يتميز بالشجاعة وغزارة المعلومات. ويعتمد الجزء الخاص بكاستيلو فى هذا الفصل على تلك الرواية والمقابلة التى أجريت معه.

أفضل عمل عن تلك الفترة من عهد نورييجا كجنرال المخدرات فى بنما هو كتاب كيفن بكلى Panama: The Whole Story. كما أن تقرير مايكل إيسيكوف عن محاكمة نورييجا سجل مفيد كذلك، وإن بدا أن صحيفته، "واشنطن بوست"، قد نسيته. وكتاب نورييجا نفسه ممتع وزاخر بالمعلومات. والطريقة التى عومل بها برايان براجر وروبرت بارى من قبل محرريهما فى وكالة "أسوشيتد بريس" مروية فى كتاب مارك هيرتسجارد On Bended Knee. وفى سلسلة من الكتب، وضع بيتر كورنبلوه وتوم بلانتون من أرشيف الأمن القومى أفضل سجل عن الحرب الأمريكية فى نيكاراجوا، كما فعلا الكثير لاقتحام التاريخ السرى لتلك الحرب، بما فى ذلك دفاتر أوليفر نورث ورسائل البريد الإلكترونى من مجلس الأمن القومى فى حكومة ريجان التى تحمل الإدانة فى طياتها. ويستمر روبرت بارى كذلك فى كشف الجوانب الأكثر غموضاً من سياسة ريجان/بوش تجاه أمريكا الوسطى فى نشرته The Consortium. وكتاب لورانس والش Firewall رواية رائعة لمدى صعوبة الوصول إلى حقيقة الجرائم التى ارتكبت أثناء قضية إيران/كونترا - رغم وجود فريق من عملاء مكتب التحقيقات الفدرالى والمحققين الفدراليين وسلطة الاستدعاء للشهادة.

Adams, Lorraine. "North Didn't Relay Drug Tips; DEA Says It Finds No Evidence Reagan Aide Talked to Agency." Washington Post; Oct.22, 1994.

Albert, Steve. The Case Against the General. Scribners, 1993. Andreas, Peter. "Drug War Zone." Nation, Dec.11, 1989.

Anderson, Jon Lee. "Loose Cannons." New Outlook, Feb. 1989.

Associated Press. "Noriega's Lawyer Claims 7 CIA Chiefs Sought Gun Deals." Was ington Post, August 23, 1991.

Barger, Brian. "CIA Officer Linked to Surveillance on Two Reporters." AP Wire, Feb. 12, 1988.

Barger, Brian, and Robert Parry. "Nicaraguan Contras and Drugs." AP Wire, Dec.12, 1985.

Bellamy, Christopher. "CIA Was Embroiled in Contra Drug Fund." Independent, Dec. 12, 1996.

Berger. Roman. "The Media's Double Standard: Who Deals Drugs?" Secret Action Information Bulletin, Summer 1987

Bernstein, Dennis, and Row ard Levine. "Snowblind." Tucson Weekly. Nov.21, 1997.
Bernstein, Dennis, and Robert Knight. "DEA Agent's Decade Long Battle to Expose.

CIA-Contra-Cocaine Story." Pacifjc News Service, Oct. 4, 1996. Bielski, Vince, and Dennis Bernstein. "NSC, CIA and Drugs: The Cocaine Connection." Covert Action Information Bulletin, Summer 1987.

Blanton, Tom, ed. White House E-Mails: Top Secret Computer Messages the Rca gan/Bush White House Tried to Destroy. The New Press, 1996.

Bradlee, Ben, Jr. Guts and Glory.' The Rise and Fall of Oliver North. Donald Fine, 1988. Brinkley, Joel. "Contra Arms Crews Said to Smuggle Drugs." New York Times, Jan.20.

1987.

Brooke, James. "Crackdown Has Cali Drug Cartel on the Run." New York Times, June 27, 1995.

Buckley, Kevin. Panama: The Whole Story. Simon and Schuster, 1991.

Carey, Peter. "Money Smuggling Charges Dropped Against Pilot," Miami Herald, June 13, 1985.

Castillo, Celerino III, and Dave Harmon. Powderburns. Mosaic Press, 1994.

Chamorro, Edgar. Packaging the Contras. Institute for Media Analysis, 1987.

Clar'ridge, Duane R., and Digby Diehl. A Spy for All Seasons.' My Lfe is? the CIA. Scribners, 1997

Cockburn, Andrew, and Leslie Cockburn. Dangerous Liaisons: The Inside Story of the US-Israeli Covert Relationship. HarperCollins, 1991.

Cockburn, Leslie. Out of Control: The Story of the Reagan Administration's Secret War in Central America and the Contra-Drug Connection. Atlantic Monthly Press.

1989.

"Flights ofFancy." (Letter) Nation, Sept.1987.

Collier, Robert. 'Honduras Drug Traffic Quietly Overlooked." Pacivic News Service. May20, 1988.

Corn, David. "Kerty's Drug Hearings: Can the CIA Lift the Veil?" Nation, April 30, 1988.

"From Contra War to Drug War." Nation, June 10, 1991. "A Nod's as Good as a Wink." Nation, August 13/20,1990.

-. Blond Ghost: Ted Shackley and the CIA's Crusades. Simon and Schuster, 1994. Corn, David, and Jefferson Morley. "Beltway Bandits." Nation, March 15.1989.

-. "Arias Strikes Back." Nation, April 1,1989.

Cruz, Arturo. Memoirs ofa Counter-Revolutionary. Doubleday, 1989.

Dillon, John, and Jon Lee Anderson. "Who's Behind Aid to the Contras?" Nation, Oct. 6,1984.

Dinges, John. Our Man in Panama. Random House, 1990. Draper, Theordore. A Very Thin Line. Simon and Schuster. 1991

Emerson, Steve. Secret Warriors.' Inside the Covert Military Operations of the Reagan Era. Putnam, 1988.

Engleberg, Stephen. "The US and Panama: Drug Arrest Disrupted CIA Operations ii Panama." New York Times, Jan.14, 1990.

"US Forgoes Trial of Panamanian." New York Times, Feb. 13,1990.

Farah, Douglas. "Traffickers Said to Buy Contras' Arms; Colombia Also Probes Re ported Deal Between Drug Lords, Europeans." Washington Post, Sept.18, 1990.

"Drug Dealer Depicted as Contra Fund-Raiser." Washington Post, Oct. 4, 1996. "CIA, Contras and Drugs: Questions on Links Linger." Washington Post, Oct.31

1996.

Gerth, Jeff. "The CIA and the Drug War: A Special Report; CIA Shedding Its Reluc tance to Aid in Fight Against Drugs." New York Times, March24, 1990.

Greve, Frank. "Some Latin Politicians Cashing In on Cocaine Smuggling Profits." Mi ami Herald, April 29, 1985.

Gutman, Roy. Banana Diplomacy. Touchstone, 1988.

Hatch, Richard. "Drugs, Politics and Disinformation." Covert Action Information Bulle tin, Summer 1987.

Hersh, Seymour. '~Pan ama Strongman Said to Trade in Drugs, Arms and Illicit Money. New York Times, June 12, 1986.

"Our Man in Panama." Lije, March 1990.

Hertsgaard, Mark. On Bended Knee: The Press and the Reagan Presidency. Farrar Straus and Giroux. 1988.

Hitchens, Christopher. "Minority Report." Nation, June20, 1987.

"Minority Report." Nation, Dec.18, 1989.

Hoffman, David. "Noriega Drug Questions Ignored, Report Says." Washington Post April 9, 1989.

Honey, Martha. Hostile Acts. Univ. of Florida Press, 1994.

"Oh What a Tangled Web We Weave When First We Practice to Deceive." Baltimore Sun. Dec. 8,1996.

Howard, Lucy, and Ned Zeman. "The Drug War: A Bad Report Card." Newsweek. Jan 27, 1992.

Isikoff, Michael, and George Lardner, Jr. "Inquiry Sought in CIA's Alleged Use Ot Drug Ranch." Washington Post, July 6, 1990.

Isikoff, Michael. "Noriega Defense Tearn Vows to Detail Secret US Deals: Trial on Drug Charges Set to Begin Thursday." Washington Post, Sept. 3' 1991.

"US Witness Admits Contra Flights; Noriega Lawyers Begin Laying Groundwork for Defense." Washington Post, Oct. 1, 1991.

"Drug Cartel Gave Contras $10 Million, Court Told; Prosecution Witness Startles Noriega Trial." Washington Post, Nov.25, 1991.

"Witness: Noriega Moved $19.3 Million Via BCCI; Funds Were Shifted After Drug Indictments." Washington Post, Dec.10, 1991.

"US May Widen Anti-Drug Drive in the Caribbean; Pentagon Would Suppi' Copters to Combat Cocaine Traffickers." Washington Post, June 1, 1992.

"Noriega's Lawyers Seek Delay to Study Fresh DEA Documents." Washington Post, Dec.16, 1991.

"US Probes Narcotics Unit Funded by CIA." Washington Post, Nov.20, 1993.

Johnson, Haynes. "The Contradictions of Panama." Washington Post, Dec.22, 1989.

Kagan, Robert. A Twilight Struggle. Free Press, 1996.

Kempe, Frederick. "The Noriega Files." Newsweek, Jan.15, 1990.

Klare, Michael. "Scenario for Disaster: Fighting Drugs with the Military." Nation, Jan. 1, 1990.

Kornbluh, Peter. Nicaragua: The Price of Intervention. Institute for Policy Studies. 1987

ed. "Contras, Cocaine and Covert Operations" (document packet). National Securitv Ar chive, 1997

Kornbluh, Peter,' and Malcolm Byrne. The Iran-Contra Scandal: The Declassified History. National Security Archive, 1993.

Kruger, Henrik. The Great Heroin Coup. South End Press, 1989.

Kurtz, Howard. "Question of Conflict at AP: Editor Had Met with North over Anderson." Washington Post, Dec. 14,1991.

Kwitny, Jonathan. "Money, Drugs and the Contras." Nation, August 29, 1987.

"Kwitny Replies." (Letter) Nation, Sept.1987.

The Crimes of Patriots.. A True Tale of Dope, Dirty Money and the CIA. Norton, 1987.

Landau, Saul. "General Middleman." Mother]ones, Feb/March, 1990.

Lee, Martin A.. and Norman Solomon. Unreliable Sources: A Guide to Detecting Bias in the Media. Lyle Stuart, 1990.

LeMoyne, James.. "Military Officers in Honduras Are Linked to the Drug Trade." New York Times, Feb.12, 1988.

Lindsay, Sue. "Man Citing Betrayal by CIA, Tells Story." Rocky Mountain News. March 1, 1987.

McAllister, Bill. "From Shriner to Smuggler; Witness Says He Made Millions Flying Drugs." Washington Post, April 8, 1988.

McNeil, Francis. War and Peace in Central America. Scribners, 1988.

Marquis Gonztilez, Amida. "Aristides Sanchez Dies." Miami Herald. May23. 1983.

Marshall, Jonathan, Peter Dale Scott and Jane Hunter. The Iran/Contra Connection.-Secret Teams and Covert Operations in the Reagan Era. South End Press, 1987.

Marshall, Jonathan. "Nicaraguans Arrest Ex-Bay Man Linked to Cocaine, Contras." San Francisco Chronicle, Dec.16, 1991.

Massing, Michael. "US Drug Policy on Trial: Noriega in Miami." Nation, Dec. 2.1991.

Meldon, Jerry. "CIA's Latin Assets Cross the Cocaine Line." I.F. Magazine, July/Au-gust 1997.

Menges, Constantine. Inside the National Security Council: The True Story of the Makmg and Unmaking ofReagan '5 Foreign Pobry. Simon and Schuster, 1988.

Millman, Joel. "Narco-Terrorism: A Tale of Two Sources ". Colombia Journalism Review, Oct.1986.

Morley, Jefferson. "Dealing with Noriega." Nation, August27, 1988.

Mower, Joan. "Owen Criticizes Use of Plane, Crew with Shady Connections." AP Wire, May 19,1987.

Moyers. Bill. The Secret Government: The Constitution in Crisis. Seven Locks Press. 1988.

Nairn, Alan. "The Eagle Is Landing." Nation, Oct, 3, 1994.

Nordland, Rod. "Is There a Contra Drug Connection?" Newsweek, Jan. 26.1987.

Noriega, Manuel, and Peter Eisner. America's Prisoner: The Memoirs of Manuel Nonega. Random House, 1997.

North, Oliver, and William Novak. Under Fire: An American Story. HarperCollins. 1991.

Noyes, Dan, and Ellen Morris. "The Trouble with Father Dowling: The Strange Tale of San Francisco's Contra Priest." Image, Nov. 8, 1987.

Ostrow. Ronald. "Three Seized in Miami Cocaine Smuggling Linked to Nicaraguan Interior Minister." LosAngeles Times, July 19, 1984.

Parry, Robert. "Dole Nearly Cited in Iran-Contra Report." The Consortium, Nov.11, 1996.

"The Kerry-Weld Cocaine War." The Consortium, Nov.11, 1996.

"CIA and Perception Management. The Consortium, Dec. 9, 1996.

"ContraCocaine: Big Media's Big Mistakes." LF. Magazine, July/August 1997.

—Lost History: Contras, Cocain'e and Other Crimes. The Media Consortium. 1997.

Parry, Robert and Peter Kornbluh. "Iran/Contra's Untold Story." Foreign Policy, Fall 1988.

Perry, Mark. Eclipse.- The Last Days of the CIA. Morrow, 1992.

Rasky. Susan. "North Urged Leniency for Honduran Linked to Assassination Plot." New York Times, Feb. 23,1987.

Ridgeway, James. The Haiti Files: Decoding the Crisis. Essential Books, 1994.

Robinson, W. A Faustian Bargalli.- US Intervention in Nicaraguan Flections and American Foreign Policy in the Post-Cold War Era. Westview, 1992.

Rosenfeld, Seth. "Nicaraguan Exile's Cocaine-Contra Connection." San Francisco Esamber, June23. 1986.

Satterfield, David. "Even Latest Fraud Trial Has Contra Tie." Miami Herald, Sept. 2, 1987.

Scott, Peter Dale, and Jonathan Marshall. Cocaine Politics.' Drugs, Armies and the CIA in CentralAmerica. Univ. ofCalifornia Press, 1991.

Shackley, Jacqueline. "True North." Nation, June 13, 1994.

Shannon, Elaine. "Confidence Games: How Venezuelan Traffickers Allegedly Colluded with the CIA to Smuggle Coke into the US." Newsweek, Nov. 29,1993.

Sheehan, Daniel. "A Liberal's Dose of Facts." (Letter) Nation, Sept.19, 1987.

Spannaus, Edward, and Jeffrey Steinberg. Would a President Bob Dole Prosecute Drug Super-kingpin George Bush? EIR News Service, 1996.

T,ento, Susan. Power House. St. Martin's Press, 1992.

Uhrich, Kevin. "Contras Crop Up in LA Courts." LA Weekly, Oct. 4, 1996.

Umhoefer, Dave. "Fugitive Holds Key to Contra-Coke Mystery." Milwaukee Journal Sentinel, Dec.22, 1996.

UPI. "Contra Accuses Other Rebels of Cotruption, Drug Trafficking." UPJ Wire, April 26, 1986.

—"Report: CIA Received Cocaine Cartel Cash." Washington Times, June 30, 1987.

US Congress. Joint Select Committee on Iran/Contra. Final Report. Government Printing Office, 1987.

US Congress. House. Committee on Foreign Affairs. US Narcotics Control Fragrao Oierseas: An Assessment. Government Printing Office, 1985.

US Congress. Senate. Subcommittee on Security and Terrorism of the Committee o~ the Judiciary. Hearings on DEA Oversight and Budget Authorizationfor Fiscal Year 1986. Government Printing Office, March 19,1985.

—Subcommittee on Narcotics, Terrorism and International Operations. Drugs, Lao

Enforcement and Foreign Policy. Committee Staff Report, Dec. 1988 -

—Subcommittee on Narcotics, Terrorism and International Operations. Drugs, Law Enforcement and Foreign Policy Volume I, The Report. Government Printing Office, April 13, 1989.

—Subcommittee on Narcotics, Terrorism and International Operations. Drugs, Law Enforcement and Foreign Policy Volume II, The Exhibits. Government Printing Office, April 13, 1989.

—Subcommittee on Narcotics, Terrorism and International Operations. Drugs, Lao

Enforcement and Foreign Policy: Hearings Transcripts, Part I: May 27, July 1 and Oct, 30,1987. Government Printing Office, 1988.

Subcommittee on Narcotics, Terrorism and International Operations. Drugs, La Enforcement and Foreign Policy. Hearings Transcripts, Part IP Feb. 8, 9, 10 an 1]; 198& Government Printing Office, 1988.

Subcommittee on Narcotics, Terrorism and International Operations. Drags, La Enforcement and Foreign Policy. Hearings Transcripts, Part III: April 4, 5, 6 and; 19S8. Government Printing Office, 1988.

-' Subcommittee on Narcotics, Terrorism and International Operations. Drags, La~. Enforce-

ment and Foreign Policy.' The Cartel, Haiti and Central America. Hearing Transcripts, Part IV.

Committee on Foreign Relations. Report on Panama. Staff delegation report, Dec 8,1987.

Subcommittee on Investigations of the Committee on Government Operations.

Drugs and Money Laundering in Panama. Government Printing Office, 1988.

US District Court for the District of Colombia. United States of America -'. Oli-er North. (Stipulation of Facts.) 1988.

Walsh, Lawrence. The Final Report of the Independent Counsel for Iran/Contra Matters. Times Books, 1994.

Firewall: The Iran/Contra Conspiracy and Cover-up. Norton, 1997

Washington Times, editorial. "Smearing William Weld." Washington Times, Oct.25. 1996,

Weinstein, Henry. "Informant Put CIA at Ranch of Drug Agent's Killer." Los Angeles Times, July 5, 1990.

Worthington, Rogers. "Nicaraguan Woman Gets Three Years in Cocaine Case." Chicago Tribune, August26, 1987.

Zaine, Maitland. "Cocaine Seized from Frogman at San Francisco Pier." San Francisco Chronicle, Jan.18, 1983.



همزة وصل أركانسو:
مينا

فى ١٦ مارس من عام ١٩٨٦، ظهر الرئيس رونالد ريجان على التليفزيون القومى ليلقى كلمة مهمة يعلن فيها إعادة مساعدات الكونجرس لمقاتلى كونترا فى نيكاراجوا. ولم تكن تلك الحرب على وجه التحديد تحظى فى يوم من الأيام بشعبية بين الأمريكيين، الذين ظلوا غير عابئين بالسيناريوهات المرعبة التى يعرضها المُبَلِّغ العظيم وتقول إن مقاتلى ساندينستا قد يجتاحون جواتيمالا والمكسيك ليهددوا تكساس. ولذلك استخدم ريجان تكتيكًا جديدًا، حيث انتقد مقاتلى ساندينستا باعتبارهم نظامًا متورطًا فى تجارة المخدرات.

وطوال الشهور الستة السابقة، كان أوليفر نورث وزملاؤه فى مجلس الأمن القومى ووكالة الاستخبارات المركزية يسربون قصصًا إلى صحافة واشنطن تتهم قيادة حكومة نيكاراجوا، وتشمل وزير الدفاع أومبرتو أورتيجا Humberto Ortega، بأنها متحالفة مع اتحاد ميديين ومع فيدل كاسترو فى شبكة لتجارة الكوكايين تمتد عبر نصف الكرة. وفى ذلك المساء من شهر مارس، عرض ريجان مجموعة من الصور الفوتوغرافية مدعيًا أنها تبين مسئولى ساندينستا وهم يحمِّلون أكياسًا من قماش الدافيل التى تحتوى على الكوكايين على طائرة نقل عسكرية طراز C-123K متجهة إلى ميامى بولاية فلوريدا.

وقال ريجان: "أعلم أن كل ولى أمر أمريكى مهتم بمشكلة المخدرات سوف يغضبه سماع أن كبار المسئولين الحكوميين فى نيكاراجوا متورطون بشدة فى تجارة المخدرات. وهذه الصورة، التى التقطت سرًا فى أحد المطارات العسكرية خارج ماناجوا، تبين فريدريكو فون Fredrico Vaughn، وهو كبير مساعدى أحد التسعة الذين يحكمون نيكاراجوا، وهو يحمِّل إحدى الطائرات بمخدرات غير قانونية متجهة إلى الولايات المتحدة."

وكما قال ذلك المحرر فى مجلة "تايم" لمندوبه لورانس زوكرمان، كان ذلك على وجه الدقة هو نوع قصص المخدرات الذى ينتهى به الحال على الصفحات الأولى من الصحف الأمريكية. ولكن اتضح فيما بعد أنها قصة ملفقة، وجزء من عملية سرية مدبرة من تخطيط أوليفر نورث، ووكالة الاستخبارات المركزية، وحملة جورج بوش الخاصة بالمخدرات، وشخص مدان بتهريب المخدرات اسمه باريمان أدلر سيل Barri-man Adler Seal. وكان سيل هو الذى قاد الطائرة المزودة بكاميرات وضعتها وكالة الاستخبارات المركزية إلى ذلك الممر النيكاراجوى وجلب الكوكايين إلى قاعدة هومستيد الجوية فى فلوريدا Homestead Air Force Base. وتلقى سيل مقابل خدماته مبلغًا يزيد على ٧٠٠ ألف دولار وخُفف الحكم الصادر ضده لإدانته بتهريب المخدرات التى كانت المحكمة تنظرها.

وبعد عدة سنوات اعترفت وكالة مكافحة المخدرات بأن مهمة سيل التى كانت ترعاها وكالة الاستخبارات المركزية هى المهمة الوحيدة لنقل المخدرات بالطائرة المتعلقة بمقاتلى ساندينستا التى لديها معلومات عنها. ويظل فريدريكو فون حتى اليوم شخصية يحيط بها الغموض، حيث لا يعلم أحد من هو على وجه اليقين أو من الذى كان يعمل لمصلحته. ولم يُعثر على سيل كذلك كى يجيب عن أية أسئلة. وقبل بضعة أسابيع من الكلمة التى ألقاها ريجان على شاشة التليفزيون، أُردى سيل قتيلا بينما كان يخضع لبرنامج فدرالى لحماية الشهود فى باتون روج بولاية لويزيانا Baton Rouge, Louisia-na – وكان ضحية لما سربه أوليفر نورث للصحافة.

وكان قد سبق العمل لبارى سيل فى كل من تجارة المخدرات وأعمال الاستخبارات. وكان سيل المولود فى باتون روج ضخم الجسم ورياضيًا وله حضور ساحر، كان طوله ٥ أقدام و٧ بوصات [١٦٧.٥ سم]، ويزن ٢٥٠ رطلاً [١٠٠ كيلوجرام] وله سالفان كثيفان على خديه، وكان يهوى السيارات والنساء وشوكولاتة سنيكرز Snickers، وإن لم يكن يدخن ولا يشرب الخمر ولا يتعاطى الكوكايين.

وكان أول اتصال لسيل بوكالة الاستخبارات المركزية فى الستينيات حين كان يعمل طيارًا فى فرقة القوات الخاصة بالجيش الأمريكى، وقد ترك الجيش عام ١٩٦٥ ليصبح وهو فى السادسة والعشرين من عمره طيارًا فى شركة ترانس ورلد إيرلاينز TWA،

ومن الواضح أن سيل ظل على صلته بالوكالة أثناء عمله مع شركة الطيران. وفى عام ١٩٧٢ ألقت هيئة الجمارك الأمريكية القبض عليه لمحاولته تهريب ١٤ ألف رطل من متفجرات C-4 إلى داخل المكسيك. وكانت المادة التى تدخل فى صناعة القنابل مرسلة إلى خلية من الكوبيين المعادين لكاسترو الذين تدربهم وكالة الاستخبارات المركزية. وفقد سيل وظيفته فى TWA، إلا أنه لم توجه له أية تهمة حين تدخلت وكالة الاستخبارات المركزية. فقد أبلغت الوكالة مكتب النائب العام أن المحاكمة سوف "تهدد مصالح الأمن القومى".

ولم يمض وقت طويل حتى حوَّل سيل مهاراته الضخمة كطيار ومستثمر إلى السوق السوداء الناشئة للمخدرات والسلاح فى أمريكا اللاتينية. وفى منتصف السبعينيات، اشترى سيل أسطولا صغيراً من الطائرات، وجند شبكة من الطيارين والميكانيكيين ذوى الخبرة (كثير منهم شاركوا فى الحرب فى فيتنام ولاوس) وأقام علاقات مع قيادة اتحاد مخدرات ميديلين.

وباعترافه هو، صار سيل همزة الوصل الرئيسية بين اتحاد ميديلين وأسواق الكوكايين فى جنوب شرقى الولايات المتحدة، وشهد سيل فى المحكمة الفدرالية - باعتباره شاهد الحكومة فى محاكمة مخدرات - بأنه كسب أكثر من ٥٠ مليون دولار من تهريب الكوكايين والماريوانا. ولكن من المؤكد أن هذا الطيار كان شديد التواضع. فقد أبلغ المحققون فى إدارة شرطة أركانسو ووزارة العدل أنهم يعتقدون أن مشروع سيل حقق له ما بين ٣ مليارات و٥ مليارات دولار منذ أواخر السبعينيات حتى موتته الدموية عام ١٩٨٦. وأظهرت سجلات سيل البنكية فى عام ١٩٨١ أنه كان يودع يومياً مبلغ ٥٠ ألف دولار فى بنكه المفضل فى جزر البهاما. وكانت أموال المخدرات يعاد استثمارها فى العديد من المشروعات، من الفنادق وكازينوهات القمار إلى شبكة تليفزيون وشركة أدوية.

وفى عام ١٩٨٢، نقل سيل قاعدة عملياته من نيو أورليانز إلى بلدة صغيرة اسمها مينا Mena فى جبال كواتشيتا Quachita غربى أركانسو. وكان ذلك فى نفس العام الذى اتصل فيه من جديد بأصدقائه فى وكالة الاستخبارات المركزية، الذين كانوا حريصين على استغلال أسطول سيل لنقل إمدادات إلى معسكرات كونترا فى

هُندوراس وكوستاريكا. فقد كانت خطط الطيران الخاصة بمشروع سيل للمخدرات الغطاء المناسب لمهام إعادة الإمداد السرية، وكان على طائرات سيل أن تطير من مينا إلى ممرات اتحاد ميديلين على جبال كولومبيا وفنزويلا، وتتوقف للتزود بالوقود فى هُندوراس، ثم تعود إلى مينا، حيث تسقط الطائرات أكياساً من قماش الدافيل المحملة بالكوكايين والمربوطة فى مظلات على مزارع يسيطر عليها سيل بالقرب من مينا، وكان رجال سيل يستعيدون المخدرات بالشاحنات الصغيرة ويسلمونها لموزعى الاتحاد فى نيو أورليانز وميامى ونيويورك. وكانت كل رحلة تحمل ما بين ٢٠٠ و٥٠٠ كيلو من الكوكايين، وهى حمولة يبلغ سعرها فى الشارع فى ذلك الوقت حوالى ١٣ مليون دولار. وبحلول أوائل الثمانينيات، كانت طائرات سيل تقوم بعدة رحلات فى الأسبوع.

وفى عام ١٩٨٢، اتصلت وكالة الاستخبارات المركزية بسيل بشأن إضافة عنصر جديد إلى خطط رحلاته. فقد كانت تريده أن يحمل شحنات من الإمدادات والسلاح على رحلاته إلى أمريكا الوسطى. ويبدو أن المقابل كان كافيًا إلى حد كبير بالنسبة لسيل؛ ذلك أنه إذا وافق على مساعدة وكالات الاستخبارات الأمريكية، فإنها سوف تقوم من جديد بدور الحماية، حيث تمنع الجمارك الأمريكية ووكالة مكافحة المخدرات من التحرش بطائراته. كما وافقت وكالة الاستخبارات المركزية على تزويد سرب طائراته بأحدث إلكترونيات الطيران من التكنولوجيا المتقدمة. وكانت وكالة الاستخبارات المركزية تعرف على الأقل بعض طائرات سيل ـ التى كانت بينها فى ذلك الوقت طائرة من طراز ليرجيت Learjet، والعديد من طائرات الهليكوبتر، وبعض طائرات الشحن الكبيرة ـ لأن الكثير منها كان قد اشتُرى من شركات تملكها الوكالة، مثل إير أمريكا وساذرن إير ترانسبورت Soutern Air Transport. وبدا أن الصفقة مجزية بالنسبة لسيل. وفى أوائل الثمانينيات، تراجعت هيئة الجمارك الأمريكية عن إجراء تحقيق مع أحد طيارى سيل. ففى مذكرة إلى رؤسائه، قال أحد عملاء الجمارك: "يعمل جو [سحب اسم العائلة] مع سيل ولا يمكن مسه لأن سيل يعمل مع وكالة الاستخبارات المركزية."

وكان بعض الأسلحة التى تنقلها طائرات سيل إلى معسكرات كونترا يصنعها صانع أسلحة فى فاييتفيل Fayetteville بولاية أركانسو اسمه ويليام هولمز William Holmes. وكان هولمز متخصصاً فى إنتاج مسدسات آلية مزودة بكاتم صوت، وهو

سلاح تختاره وكالة الاستخبارات للتدابير التنفيذية. وشهد هولز، الذى كان يصنع السلاح لوكالة الاستخبارات المركزية منذ منتصف الخمسينيات، فى قضية بمحكمة دستورية، بأن الوكالة طلبت منه صنع ٢٥٠ قطعة سلاح لسيل. وفى وقت لاحق وصف سيل بأنه "المشرف على صفقة سلاح مينا".

وفى عام ١٩٨٣، بدا أن حظ سيل مع تنفيذ القانون قد نفد. فقد ألقت وكالة مكافحة المخدرات القبض عليه بتهمة تهريب ٢٠٠ ألف قرص كوالود Quaalude[1] إلى داخل مطار فورت لودرديل Fort Lauderdale، كجزء من عملية سرية اسمها Operation Screamer. وبعد توجيه التهمة لسيل، اتصل بوكالة مكافحة المخدرات وعرض خدماته كمرشد. ولكن الوكالة خذلته، وأدين سيل فى شهر فبراير ١٩٨٤ وواجه احتمال قضاء السنوات العشر التالية فى السجن الفدرالى. ولحرص سيل الشديد على الاحتفاظ بحريته، ويبدو أنه بناء على نصيحة معارفه فى وكالة الاستخبارات المركزية، أجرى اتصالاً تليفونيًا أخيراً، وكان الاتصال تلك المرة بحملة نائب الرئيس جورج بوش للمخدرات. وعلى الفور حدد موعد لمهرب المخدرات مع بوش، فأدار محركات طائرته الليرجيت وطار إلى واشنطن العاصمة، حيث التقى بأحد العاملين مع بوش واسمه جيم هاول Jim Howell. وأجرى هاول، وكان عميلاً سابقًا فى الجمارك الأمريكية، مقابلة مع سيل ثم أخذه لمقابلة عميل بوكالة مكافحة المخدرات اسمه كينيث كنيدى Kenneth Kennedy. وقدم هاول الضمانات لسيل، واشتكى سيل مر الشكوى من أن عملاء وكالة مكافحة المخدرات فى فورت لودرديل عاملوه بخشونة لأسباب شخصية. ومع أن الموقف الرسمى لوكالة مكافحة المخدرات هو أن سيل عرض مساعدة الوكالة فى الحصول على معلومات بشأن اتحاد ميديين، فإن كنيدى يذكر أن سيل كان يتباهى كذلك بأن بإمكانه مساعدة حكومة ريجان فى كشف دور مقاتلى ساندينستا فى تجارة المخدرات. وأبلغ كنيدى إحدى لجان الكونجرس أن سيل ذكر له فى أول اجتماع لهما أن "المسئولين فى حكومة نيكاراجوا متورطون فى تجارة المخدرات إلى الولايات المتحدة، وبشكل خاص مقاتلو ساندينستا." وقال كنيدى إن سيل وعده بأن يسافر إلى نيكاراجوا ويعود بحمولات من الكوكايين إلى الولايات المتحدة."

---

(١) اسم تجارى كان يستعمل من قبل للميتاكوالون metaqualone ، وهو مهدئ يمكن أن يدمنه الشخص إذا تناوله لفترات طويلة. **(المترجم)**

وأحال كنيدى سيل إلى اثنين من عملاء وكالة مكافحة المخدرات المقيمين فى ميامى، هما إرنست جاكوبسن Ernest Jacobson وروبرت جورا Robert Joura. وقال جاكوبسن فى شهادته أمام اللجنة القضائية بمجلس النواب عام ١٩٨٩: "بعد استجوابه فى واشنطن، أجرى اتصالا تليفونيا بالمجموعة السادسة فى فرقة ميامى الميدانية. وقد أبلغونا أن بارى سيل موجود فى واشنطن العاصمة ويريد أن يتعاون، وسألونى إن كنت أريد أن أعمل مع مستر سيل أم لا؛ فقلت إننى سأعمل معه."

طار سيل إلى ميامى فى اليوم التالى، حيث التقى مع جورا وجاكوبسن وستيف لوكلير Steve LeClair المحامى بوزارة العدل الأمريكية. وأبلغ سيل رجال وكالة مكافحة المخدرات أنه يمكنه بسهولة الإعداد لتسليم ٣ آلاف كيلو من الكوكايين من عملية خورخى أوتشوا فى كولومبيا. وبعد ذلك الاجتماع، وقع سيل رسميًا على أن يكون مرشدًا سريًا لوكالة مكافحة المخدرات؛ وكان رقم بطاقة هويته فى وكالة مكافحة المخدرات هو SGI-84-0028. ووافقت الوكالة على أن تدفع له سنويًا ٨٠٠ ألف دولار مقابل خدماته وأجلت إصدار الحكم عليه لإدانته بتهريب الكوالود.

وبعد بضعة أيام اتصل سيل برجلين من كبار عملاء اتحاد ميديين فى ميامى، وهما فيليكس ديكسون باتس Felix Dixon Bates وكارلوس "ليتو" بوستامانتى Carlos "Lito" Bustamante، لإبلاغهما بعودته إلى العمل، وكان بوستامانتى يشرف على توزيع كوكايين ميديين فى الولايات المتحدة. وكان باتس طيارًا قديمًا فى شبكة أوكوا تخصص فى تهريب الحيوانات الغريبة إلى مزرعة خورخى أوتشوا فى كولومبيا. وأبلغ بوستامانتى سيل أن أوتشوا يريد منه نقل طائرة من طراز Titan 404 من ميامى إلى ميديين. ووافق سيل على قيادة الطائرة، وفى ٤ أبريل طار هو وباتس إلى كولومبيا. وكان بعض ما حدث فى ذلك الاجتماع على وجه الدقة مثار بعض الجدل. فعميلا وكالة الاستخبارات المركزية جورا وجاكوبسن يزعمان أن موضوع نيكاراجوا أثير لأول مرة فى هذه الجلسة. وهما يقولان إن أوتشوا أبلغ سيل أن الاتحاد سينقل معظم عملياته إلى نيكاراجو بسبب تزايد الضغط عليهم فى كولومبيا. ويبدو هذا السيناريو غير مقبول لعدة أسباب ليس أقلها أنه من الواضح أن الاتحاد فى ذلك الوقت كان يعمل تحت ما

يشبه الحصانة فى كولومبيا وبنما وهُندوراس وكوستاريكا. وكان التحالف مع مقاتلى ساندينستا سيغضب الحكومة الأمريكية، التى كان الاتحاد يحاول بشدة استرضاءها.

والقصة الأكثر احتمالاً هى أن سيل وأوتشوا استغلا ذلك الاجتماع للتخطيط لعملية سرية ضد مقاتلى ساندينستا قصد بها إبقاء سيل خارج السجن ليضمنا أن تظل لاتحاد ميديين الحظوة لدى وكالات الاستخبارات وجهات تنفيذ القانون الأمريكية.

وعلى امتداد الأسبوع التالى، زار سيل بنما وجواتيمالا قبل العودة إلى ميامى، حيث التقى ببوستامانتى وغيره من ممثلى اتحاد ميديين فى أمريكا. وقد أعدوا الخطط لسلسلة من رحلات المخدرات من كولومبيا وبنما إلى ميامى، ودعا سيل الكولومبيين إلى أن يذهبوا معه إلى مينا لمعاينة الطائرات التى سيستخدمها فى رحلات المخدرات. وفى اليوم التالى أقل سيل أربعة كولومبيين إلى مينا، حيث دعا تجار المخدرات إلى غداء من طعام الكاجون وأخذهم فى جولة بطائرته الجديدة من طراز لوكهيد لودستار Lockheed Lodestar. وكان إعجاب الكولومبيين شديداً وأعطوا الضوء الأخضر لبدء رحلات المخدرات.

وفى اليوم التالى أبلغ سيل الخطط لعميل وكالة مكافحة المخدرات جاكوبسن الذى حصل على موافقة من الحكومة الكولومبية لسيل كى يدخل البلاد لنقل حمولة الكوكايين. وقبل أن يقلع سيل متجهًا إلى كولومبيا، انتهز الفرصة لعمل رحلتين إلى بنكه فى جزر البهاما حيث أودع عدة مئات من آلاف الدولارات نقداً.

وقبل أسبوع من الموعد المحدد لسفر سيل إلى ميديين، احترق منه محرك فى طائرته ليرجيت أثناء رحلة تجريبية. ودفعت وكالة مكافحة المخدرات تكلفة إصلاح الطائرة. وفى ذلك الوقت نقل عميل بوكالة مكافحة المخدرات اسمه س.ب. بيلبو S.B. Billbough زعم سيل أن منظمة أوتشوا تعد لنقل قاعدة عملياتها إلى نيكاراجوا. وطبقًا لما جاء فى مذكرة أعدها عميل وكالة مكافحة المخدرات جورا، عبرت وكالة الاستخبارات المركزية عن "اهتمام شديد" بعملية سيل.

وبينما كانت طائرة سيل الليرجيت لا تزال فى عنبر الإصلاح، طار هو إلى بنما سيتى فى ١٨ مايو لمقابلة ما يشبه مجلس إدارة اتحاد ميديين، وحضر الجلسة

خورخى أوتشوا وشقيقه فابيو وبابلو إسكوبار وباتس وجونثالو رودريجيث جاتشا Gonzalo Rodiregez Gacha، ورتب سيل مقايضة إحدى طائرات الهليكوبتر الخاصة به ،التى كانت مملوكة من قبل لإحدى شركات الواجهة التابعة لوكالة الاستخبارات المركزية، بطائرة من طراز ميرلين ٣ بى Merlin 3B يملكها الاتحاد. وكانت تلك هى الجلسة التى قال سيل إنه جرى فيها تعريفه بالشخصية الغامضة فرديريكو فون.

وسوف تزعم وكالة الاستخبارات المركزية فى وقت لاحق أن فون كان "على تعاون وثيق" بوزير داخلية ساندينستا توماس بورخى Thomás Borge ولكن كان هناك شك منذ مدة طويلة فى أن فون تربطه صلات بوكالة الاستخبارات المركزية. وكان ابن عمه بارنى فون يعمل فى البنك الشعبى والشركة الائتمانية اللتين كان يملكهما دكتاتور نيكاراجوا أنستاسيو سوموثا. وكانت وكالة الاستخبارات المركزية وعملية أوليفر نورث تستغلان البنك كذلك لنقل الأموال إلى مقاتلى كونترا. كما اتضح أن رقم تليفون، زعم سيل فيما بعد أنه رقم منزل فون فى ماناجوا هو خط كان عملاء الاستخبارات الأمريكية تستعملونه من ١٩٨١ حتى ١٩٨٦. وزعم مقاتلو ساندينستا أن فون كان يعمل مديراً مساعداً لشركة تصدير واستيراد فى العاصمة بعد الثورة، ولكنه غادر نيكاراجوا إلى بنما عام ١٩٨٣.

وذكر سيل أنه هو وفون سافرا فى اليوم التالى على متن إحدى طائرات شركة كوبا Copa Airlines إلى ماناجوا، حيث أرى فون الطيار ممر لوس براسيليس Los Bra-siles البالغ طوله ٣ آلاف قدم [ألف متر] ويقع شمال غربى ماناجوا. وقال سيل إن فون أشار كذلك إلى موقع مدافع ساندينستا المضادة للطائرات المتمركزة فى أنحاء العاصمة. وأمضى سيل الليل فى منزل فون وعاد إلى فلوريدا فى اليوم التالى، فى الموعد المناسب لجلسة الاستماع، التى طال تأجيلها للنطق بالحكم عليه، فى فورت لودرديل بتهمة تهريب الكوالود.

وحُكم على سيل بالسجن عشر سنوات، إلا أن الحكم خفف بسبب تعاونه فى عملية المخدرات إلى مراقبة لمدة ستة أشهر، وقد امتدح القاضى الفدرالى نورمان روتتنجر Norman Roettinger المحافظ فى دفاعه عن النظام والقانون - الذى تلقى خطابات بالنيابة عن سيل من وكالة مكافحة المخدرات ووكالة الاستخبارات المركزية - سيل للعمل الذى قام به لتقويض نظام ساندينستا الحاكم.

وبعد أن ألقى بارى سيل تلك المشاكل وراء ظهره، سُمح له بالقيام بأول عملية تهريب للكوكايين بإذن من وكالة مكافحة المخدرات. ففى يوم ٢٨ مايو أقلع سيل ومساعده إميل كامب Emile Camp من مطار مينا الجبلى الإقليمى بطائرة سيل لوكهيد لودستار المجددة المتجهة إلى كولومبيا. وقد وصلا إلى ممر صغير فى الجبال خارج ميديين وسط عاصفة ممطرة شديدة حولت الممر الترابى إلى شريط من الطين، وكاد سيل يسقط بالطائرة أثناء الهبوط حين انزلقت الطائرة خارج الممر لتسقط فى أحد الخنادق. أصيبت الطائرة بأضرار فى جهاز الهبوط، واضطر سيل إلى الطيران بطائرة أصغر حجماً يملكها اتحاد ميديين. وكانت تلك هى نفس طائرة تيتان ٤٠٤ التى كان سيل وباتس قد سلماها لميديين قبل ذلك بشهر. وطبقًا لما قاله سيل، فإن كبير مسئولى الاتحاد كارلوس ليدر Carlos Lehder كان عند الممر لمقابلة طائرته. ومن على ظهر حصان عربى أبيض، كان ليدر يراقب فريقًا من الهنود يحملون الطائرة بأكثر من طن من الكوكايين.

وزعم سيل أن مدى الطائرة الأصغر حجمًا المحدود اضطره للهبوط فى نيكاراجوا للتزود بالوقود. إذ هبط فى مطار لوس براسيليس، حيث رحب به فردريكو فون هو وكامب. وزودت الطائرة بالوقود بسرعة وأقلعت إلى ميامى. ولكن بعد ذلك مباشرة - على وجه التقريب - أبلغ سيل المسئولين عنه بوكالة مكافحة المخدرات أن طائرته أطلقت عليها نيران المدافع المضادة للطائرة واضطر للهبوط فى مطار ماناجوا. ووصل أحد مساعدى فون فى سيارة على الطراز العسكرى وأخذ الكوكايين لحفظه فى مكان آمن. واعتقلت شرطة نيكاراجوا سيل وكامب طوال الليل، ومرة أخرى، ذكر سيل فى روايته شديدة الغرابة لهذا الحدث، أن فون جاء لإنقاذهما، حيث رتب الإفراج عنهما من محبسهما وزودهما بطائرة جديدة للعودة إلى فلوريدا. وزعم سيل أن تلك الطائرة كانت تخص بابلو إسكوبار. وأكد فون لسيل أنه سوف يحرس الكوكايين حتى يمكنه العودة لأخذه.

وعاد سيل إلى ميامى وروى حكايته المدهشة لجورا وجاكوبسن. وقال سيل لرجال وكالة مكافحة المخدرات إن تلك لم تكن كارثة بحال من الأحوال، ذلك أنها خلقت فرصة عظيمة للتحرك ضد مقاتلى ساندينستا وعلى الفور وضعت وكالة مكافحة المخدرات

ووكالة الاستخبارات المركزية الخطط لرحلة العودة إلى نيكاراجوا. وكان حصول سيل على طائرة جديدة يأتى فى المقام الأول من حيث الترتيب، وفى ١٠ يونيو قايض سيل طائرته Merlin 3B، التى كان قد حصل عليها قبل وقت قصير من خورخى أوتشوا، بطائرة شحن عسكرية يملكها أحد متعهدى وكالة الاستخبارات المركزية، إلا أن الطائرة، وهى من طراز C-123K ـ كانت بحاجة إلى إصلاحات هيكلية وعمرة محرك. ورتب عميل وكالة مكافحة المخدرات جاكوبسن شحن البنتاجون الطائرة إلى قاعدة ريكينباكر الجوية Rickenbacker Air Force Base خارج كولمبس بولاية أوهايو Columbus, Ohio، حيث قام ميكانيكيو القوات الجوية بعمل قيمته ٤٠ ألف دولار لطائرة سيل مجانًا. وبعد الانتهاء من الإصلاحات، قام الفنيون بتركيب كاميرتين خفيتين، إحداهما فى الجزء المخروطى من مقدمة الطائرة، والأخرى فى حيز الشحن الخلفى؛ وجُهزت الكاميرتان بحيث يمكن لسيل استخدام زر ريموت كونترول خفى فى جيبه لالتقاط ما يشاء من الصور.

وفى صباح يوم ٢٥ يونيو، هبط سيل وكامب وميكانيكيهما بيتر إيفرسون بالطائرة C-123K على ممر لوس براسيليس. ورغم إشارة الرئيس ريجان إلى لوس براسيليس على أنه قاعدة حربية، فقد كان فى واقع الأمر ممرا مدنيا تستخدمه فى الأساس طائرات رش المحاصيل وغيرها من الطائرات الزراعية. وزعم سيل أنه كان فى استقبال الطائرة فريدريك فون وبابلو إسكوبار جونثالو جاتشا وبعض الجنود النيكاراجويين، الذين ساعدوا فى حمل ما يزيد على ١٢٠٠ رطل من الكوكايين المحشو فى أكياس من قماش الدافيل من أحد العنابر إلى داخل مؤخرة الطائرة. والتقط سيل مجموعة من الصور السيئة فنيًا وغير المميزة لنقل المخدرات.

وأقلعت الطائرة بعد حوالى ساعة، بعد أن تزودت بحوالى ٢٠٠٠ جالون من الوقود. وفى الصباح التالى هبط بطائرته C-123K، وكنيتها "السيدة السمينة"، فى قاعدة هومستيد الجوية، حيث وضعت وكالة مكافحة المخدرات يدها على الكوكايين ودفع عملاء وكالة الاستخبارات المركزية بالفيلم لتحميضه فى معامل التصوير الخاصة بالوكالة.

وبعد وقت قصير من عودة سيل إلى فلوريدا، تلقى رون كافرى Ron Caffery، رئيس مكتب الكوكايين بوكالة مكافحة المخدرات فى واشنطن العاصمة، مكالمة من رئيسه

ديفيد ويستريت David Westrate، مساعد مدير وكالة مكافحة المخدرات، وأصدر ويستريت توجيهاته إلى كافرى بإبلاغ أعضاء مجلس الأمن القومى ووكالة الاستخبارات المركزية بمهمة سيل. وفى اليوم التالى التقى كافرى بأوليفر نورث وعميل وكالة الاستخبارات المركزية ديوى كلاريدج Dewey Claridge فى المبنى التنفيذى القديم المجاور للبيت الأبيض. وعرض كافرى على نورث كلاريدج صوراً مكبرة للقطات التى أخذها سيل وتعرفوا على صور سيل وكامب وفون وإسكوبار. ولكن كافرى دُهش لاكتشافه أن كلاً من نورث وكلاريدج سبق لهما رؤية الصور. ويذكر كافرى أنه لم يكن إلى حد ما على علم بخلفية فون، ولكنه لاحظ أن كلاريدج كان يعد ملفًا للرجل. وقال كافرى لإحدى لجان الكونجرس التى كانت تبحث مسألة سيل: "أبلغنى ممثل وكالة الاستخبارات المركزية أنه [أى فون] كان متعاونًا مع مسئول حكومى، من حكومة نيكاراجوا، وهو ما كان خبراً جديداً بالنسبة لى."

وسرعان ما تحول النقاش بين نورث وكلاريدج ورجل وكالة مكافحة المخدرات إلى التخطيط لعملية سرية جديدة تشمل سيل. فقد قرروا ضرورة إرسال سيل إلى نيكاراجوا ومعه ١.٥ مليون دولار نقداً من أموال وكالة مكافحة المخدرات، إلى جانب "ألعاب" منوعة لإسكوبار وفون، لترتيب صفقة مخدرات جديدة. وفى تلك اللحظة، رأى أوليفر نورث أنه ربما أمكن سيل ترتيب صفقة خارج نيكاراجوا، كى يمكن إلقاء القبض على فون وإسكوبار ويحول المليون ونصف مليون دولار إلى مقاتلى كونترا. وأبلغ كافرى نورث أن مكتب النائب العام الأمريكى لن يوافق على تلك الفكرة أبداً. وحينذاك رأى نورث أنه ربما يكون الوقت قد حان لوكالة مكافحة المخدرات كى تنشر صور سيل فى الوسائل العامة. وقال نورث لكافرى إنه "كان هناك تصويت مهم يجرى التشاور بشأنه على مشروع قانون اعتمادات لتمويل مقاتلى كونترا" وأن تلك المعلومات عن تجارة مخدرات ساندينستا قد تقلب التصويت لمصلحة الحكومة.

ومرة أخرى ينتقد كافرى فكرة نورث بشدة. فقد قال لنورث إن نشر أية معلومات عن رحلة نيكاراجوا قد يلحق ضرراً، فتحرياتهم عن اتحاد ميديين ويُعَرِّض حياة سيل للخطر. ولكن المعلومات كانت قد بدأت تتسرب بالفعل كجزء من حملة حكومة ريجان الدعائية لإظهار مقاتلى ساندينستا على أنهم شياطين. وفى ٢٧ يونيو، ألقى الجنرال

بول جـورمــان Paul Gorman، رئيس القيادة الجنوبية فى البنتاجون، كلمة معادية لساندينستا فى اجتماع استضافته غرفة التجارة الأمريكية فى السلفادور. وزعم جورمان أن لديه ما يثبت أن قيادة ساندينستا متورطة فى تجارة المخدرات.

إلا أن ذلك الكشف لم يمنع وكالة مكافحة المخدرات من إرسال سيل مرة أخرى إلى نيكاراجوا من أجل شراء المزيد من الكوكايين فى ٧ يوليو. ويبدو أن الصفقة أجهضت فى اللحظة الأخيرة، حيث حذروا سيل من أن مقاتلى ساندينستا علموا بأمر المهمة.

وفى ذلك الوقت كان مجلس الأمن القومى ووكالة الاستخبارات المركزية يسربان أعمال سيل البطولية فى نيكاراجوا لأصدقائهما فى صحافة واشنطن. ففى عدد صحيفة "واشنطن بوست" الصادر فى ١٧ يوليو ١٩٨٤، كانت القصة الإخبارية فى الصفحة الأولى التى كتبها إدموند جاكوبى هى الأولى التى تكتب عن "أدلة" تهريب ساندينستا للمخدرات. إلا أن مذكرات أوليفر نورث تكشف أن صحفيين آخرين كانا متحمسين للقصة. وكان من بين أول من اندفعوا نحو الطُعْم دويل ماكمانوس، الكاتب فى صحيفة "لوس أنجلوس تايمز" الذى شن هجوماً شرساً ضد جارى وب. وفى مادة يوم ١٧ يوليو، كتب نورث: "يقول ماكمانوس فى 'لوس أنجلوس تايمز' أن مصادر مجلس الأمن القومى تزعم أن البيت الأبيض لديه صور لبورخى وهو يُحَمِّل الكوكايين فى نيكاراجوا." وكان مصدر ماكمانوس مخطئا كل الخطأ بطبيعة الحال، فبورخى لم يكن موجوداً بالقرب من طائرة سيل.

وخلال أسابيع كانت الصحف والمجلات الإخبارية الكبرى تنشر قصصاً، تنقل كلاماً عن مصادر "رفيعة المستوى" فى الحكومة الأمريكية تزعم أن لديها أدلة على أن قيادة ساندينستا كانت "تشارك مشاركة فعالة" فى تجارة المخدرات. والاسمان اللذان وردا أكثر من غيرهما فى القصص هما بورخى ووزير الدفاع أومبرتو أورتيجا، شقيق رئيس نيكاراجوا دانييل أورتيجا.

وفى ٧ سبتمبر، حيث كان التصويت على مساعدات كونترا يقترب بسرعة، عقدت السناتور بولا هوكينز Paula Hawkins، وهى جمهورية يمينية من فلوريدا، مؤتمراً صحفياً فى واشنطن، هاجمت فيه مقاتلى ساندينستا باعتبارهم "نظاماً متوحشاً تموله

تجارة المخدرات". وكشفت هوكينز النقاب للصحافة عن أربع صور غامضة أُخذت فى مهمة سيل فى ٢٥ يونيو. كما عرضت صورة التقطت من على ارتفاع لـ"القاعدة الجوية العسكرية" فى لوس براسيليس التقطتها طائرة تجسس أمريكية من طراز U-2. ولم تسلم الصور للصحافة، إلا أن مؤتمرها الصحفى وضع القصة على الصفحة الأولى من جديد.

فى ذلك الوقت كان غطاء بارى سيل كعميل مخدرات سرى قد سقط بالكامل، وعاد إلى ما يتقنه، وهو تهريب المخدرات والسلاح. ومن حسن حظ سيل أن الكونجرس لم يُقْنَع بتجديد تمويل كونترا فى خريف ١٩٨٤، وأقر بدلاً من ذلك تعديل بولاند الذى يحظر توجيه أية مساعدات عسكرية. وكان ذلك يعنى أن سيل لا يزال لديه عمل لنقل السلع المحظورة المميتة لشبكة نورث من مينا إلى السلفادور وهُندوراس ونيكاراجوا. وكتب ضابط شرطة من أركانسو كان يتحرى عن عملية سيل فى أغسطس ١٩٨٥ فى تقريره: "كل مرة ينقل فيها بارى سيل حمولة من المخدرات بالطائرة لمصلحة الحكومة الأمريكية، تقابلها مرتان لمصلحته هو."

وفى أواخر ديسمبر عام ١٩٨٤، ألقى القبض على سيل وهو يحمل فى طائرته شحنة ماريوانا إلى لويزيانا. وقد أفرج عنه فى اليوم التالى بعد دفع كفالة مقدارها ٢٥٠ ألف دولار نقداً. واتصل سيل بأصدقائه فى وكالة مكافحة المخدرات، وفى ٧ يناير أجرى العميل الخاص ديل هان Dale Hahn من مكتب التحقيقات الفدرالى مقابلة معه. وطبقًا لما جاء فى مذكرات هان، فقد عرض سيل أن يشهد ضد أعضاء على مستويات دنيا فى اتحاد ميديين مقابل الاعتراف بأنه مذنب والحكم المخفف بالنسبة لتهم تهريب الماريوانا. وعلى مدى السنة التالية شهد سيل فى ثلاث قضايا مخدرات كبرى، حيث ساعد مكتب التحقيقات الفدرالى على ضمان صدور قرارات الاتهام. وفى النهاية حُكم على سيل بإيداعه مركز تأهيل لمدة ستة أشهر فى باتون روج.

وعقب إلقاء القبض على سيل بوقت قصير فى لويزيانا، توفى صديقه القديم ومساعده الطيار إميل كامب، حين اصطدمت طائرته من طراز Seneca المزودة بأحدث معدات الملاحة الجوية فى أحد الجبال بالقرب من مينا. ويعتقد كثيرون من رفاق كامب

أن طائرته خُرِّبت، ويشيرون إلى أنه كان واحداً من القلائل الذين شهدوا الكثير من أنشطة سيل لمصلحة وكالة الاستخبارات المركزية ووكالة مكافحة المخدرات.

وفى صيف ١٩٨٥، قرر سيل بيع طائرة الشحن C-123K بمبلغ ٢٥٠ ألف دولار. وكان المشترى هو نفس متعهد وكالة الاستخبارات المركزية، هارولد دون Harold Doan، الذى كان سيل اشترى الطائرة منه قبل ذلك بعام. وانتهى الحال بالطائرة فيما بعد فى خدمة برنامج أوليفر نورث لإعادة التمويل ودخلت تاريخ الطيران فى ٣ أكتوبر ١٩٨٦، حيث أُسقطت فى المجال الجوى النيكاراجوى، ووضع مقاتلو ساندينستا أويجينه هازينفوس ناقل حمولتها تحت التحفظ، وعرضوه أمام العالم باعتباره دليلاً حيًا على الحرب التى تشنها حكومة ريجان ضد بلدهم.

ومع أنه من المفترض أن سيل كان يخضع لبرنامج حماية الشهود، فقد اعتبر نفسه "صحن رماية".[1] وفى النهاية تعقبه فريق من القتلة يعملون لمصلحة خورخى أوتشوا وبابلو إسكوبار، وفى ١٩ فبراير ١٩٨٦، اخترقت جسد سيل مئات الرصاصات بينما كان جالسًا فى سيارته الكاديلاك البيضاء خارج مركز جيش الخلاص Salvation Arm[2] فى باتون روج.

وبعد وفاة سيل، فحصت هيئة الإيرادات الداخلية سجلات البنوك، قررت أن أملاكه مدينة بأكثر من ٨٦ مليون دولار ضرائب متأخرة، ولكن الأمر انتهى بإعفائه من جزء كبير من الدين، بناء على "توظيف وكالة الاستخبارات المركزية ووكالة مكافحة المخدرات" لسيل.

وبحلول منتصف الثمانينيات، كانت أركانسو مركزًا مهمًا لحشد القوات والمعدات فى حرب كونترا ضد نيكاراجوا التى تدار من واشنطن. ويبدو أن إحدى خطط الحفاظ على غطاء لشبكة أوليفر نورث قد وضعت فى مقر الحاكم فى ليتل روك بولاية أركانسو Little Rock, Arkansas، وكان يشغله وقتها الشاب بيل كلينتون.

---

(١) يسمى كذلك "حمامة من طين"، وهو قرص من الصلصال يقذف فى الهواء ليكون هدفًا للرماية. **(المترجم)**

(٢) منظمة دينية وخيرية أنجليكانية أنشأها وليام بوث فى إنجلترا فى القرن التاسع عشر لنشر المسيحية ومساعدة المستضعفين والمشردين. **(المترجم)**

ومن بين من كانوا يشغلون ذلك المقر بادى يانج Buddy Young ، الرجل المسئول عن أمن كلينتون. وطبقًا لما جاء فى وثائق المحكمة المقدمة من تيرى ريد Terry Reed، وهو عميل سابق بوكالة الاستخبارات المركزية شارك فى مجهود إعادة إمداد كونترا الخاص بنورث، فقد كان يانج شخصية محورية فى القضية التى قُصِد بها إيداع ريد السجن، بعد وقت غير طويل من خروج ريد من عملية للسلاح والمخدرات فى جوادالاخارا Guadalajara بالمكسيك، حيث كان يعمل مع رجل الوكالة فيليكس رودريجيث.

ويعود دور أركانسو فى حرب كونترا وفى شبكة توريد السلاح مقابل المخدرات إلى أوائل الثمانينيات والمطار الذى فى مينا، وأثبت تحقيق أجرته شرطة ولاية أركانسو أن بارى سيل كان قد عدَّل طائراته فى مينا من أجل إسقاط المخدرات، ودرب الطيارين هناك، وغسل أرباحه غسيلاً جزئيًا من خلال المؤسسات المالية فى أركانسو. وكان سيل فى ذلك الوقت على صلة وثيقة بنورث، الذى اعترف بالعلاقة فى دفاتره ومذكراته.

وكان من بين من جنَّدهم نورث – وهو ما أكده الرجل فى أوراق المحكمة – تيرى ريد، الذى كان يعمل من قبل فى شركة إير أمريكا فى تاهيتى. ويقول ريد إنه كان يعمل مع نورث عام ١٩٨٣. وأوصل نورث ريد بسيل، وبحلول عام ١٩٨٤ كان ريد قد أقام قاعدة فى قرية نيا Nella الواقعة على بعد عشرة أميال من مينا فى غابة أواتشيتا Ouachita القومية. وهناك كان يجرى تدريب مقاتلى كونترا النيكاراجويين وغيرهم من المجندين من أمريكا اللاتينية على مهام إعادة الإمداد، والهبوط الليلى، ودقة الإسقاط، وما شابه ذلك من مناورات. ويؤكد ريد ـ الملم بشئون مينا التجارية ـ أن مبالغ كبيرة من المال كانت تُغسل من خلال سماسرة سندات بارزين فى أركانسو، وهو ادعاء كان أحد المحققين الفدراليين يبحثه حين أنهيت أبحاثه فجأة.

وكان أحد الأشخاص الذين يتصل بهم ريد فى شبكة نورث هو ويليام كوبر William Cooper، وهو شخص آخر ممن سبق لهم العمل فى إير أمريكا، وكان حينذاك يعمل فى شركة ساذرن إير ترانسبورت. وكان كوبر يقود الطائرة C-123K التى كان يملكها سيل فى يوم من الأيام وأسقطها أحد جنود ساندينستا فى أكتوبر ١٩٨٦. وكان قد سبق لتلك الطائرة الخدمة فى مينا. وتوفى كوبر فى الحادث. أما أويجينه هوسيفوس، أحد أفراد طاقمه ـ فقد نجا.

وكان كوبر قد اقترح فى عام ١٩٨٥ على ريد أن يذهب إلى المكسيك ويعد عملية تُوَسِّع شبكة الإمدادات. ووافق ريد وسافر إلى بيرا كروث Vera Cruz لإجراء مناقشات مع فيليكس روجريجيث، وفى شهر يوليو ١٩٨٦، أنشأ شركة واجهة فى جوادالاخارا باسم "ماشينرى انترناشونال" Machinery International.

ومات كوبر بعد ذلك بثلاثة أشهر وعرض مقاتلو ساندينستا هاسينفوس أمام الصحافة فى ماناجوا. ويقول ريد إن عمل ماشينرى انترناشونال، وهو "معدات إعادة الشحن دعماً لسياستنا الخارجية"، ظل قائماً حتى يناير ١٩٨٧، وهو الوقت الذى كانت فيه جهود التغطية على فضيحة إيران/كونترا تمضى بقوة فى واشنطن. ويقول ريد إنه بعد سبعة أشهر أصبح على علم بأن المخدرات كانت جزءاً من الرحلات بين مقر ماشينرى انترناشونال وجوادالاخارا، وأنه هو نفسه مرشح محتمل لأن يكون كبش فداء إذا انفلتت الأمور.

ويقول ريد إنه التقى برودريجيث وأبلغه أنه سيترك الشركة. وبحلول أوائل سبتمبر ١٩٨٧ كان قد عاد إلى الولايات المتحدة. وبعد شهر كان رئيس أمن الحاكم كلينتون، بادى يانج، يحرك – من داخل مقر الحاكم – سلسلة من الأحداث التى يبدو أنه قُصِد بها إدخال ريد، الذى يحتمل أن يسبب المشاكل، السجن.

وكانت الأداة التى تحت يده طائرة يملكها ريد.

وفى ٢٤ مارس ١٩٨٣، استولوا على طائرة ريد من ورشة إصلاح فى جوبلين بولاية ميزورى Joplin, Missouri (موطن ريد). ويقول ريد إنه قبل ذلك طلب منه أوليفر نورث المساهمة بهذه الطائرة ذاتها فى «المشروع ديمقراطية»، وهى الخطة التى يسمح بمقتضاها الأفراد لطائراتهم وسفنهم المؤمن عليها تأميناً شاملاً بأن "تختفى" لمصلحة المناوئين للثورة فى نيكاراجوا. ويزعم ريد أنه رفض الطلب. وعلى أية حال فقد نقلت الطائرة بينما ريد كان خارج المدينة. وعلى الفور أبلغ ريد شركة التأمين بالسرقة وحصل على التعويض. وهو يقول إنه فى عام ١٩٨٥ اتصل به رجال نورث فى مينا وأبلغوه أن طائرته ستعاد بعد أن ظلت فى أمريكا الوسطى لمدة عامين، وطلبوا منه عدم التبليغ عن عودتها لأنهم قد يضطرون إلى "استعارة" الطائرة مرة. ووافق ريد، وخزَّن

الطائرة فى عنبره فى مطار نورث ليتل روك North Little Rock Airport واتجه بعد ذلك بقليل إلى جوادالاخارا.

ويقول تومى بيكر Tommy Baker، وهو ضابط سابق بشرطة ولاية أركانسو وصديق قديم لبادى يانج، إنه تصادف مروره فى ٨ أكتوبر ١٩٨٧ من عند عنبر ريد حين فتحت ريح قوية الباب وكشفت عن الطائرة. وقال بيكر إنه رأى أن الطائرة "مريبة" ولذلك اتصل بصديقه يانج فى مقر الحاكم. وزعم يانج فى وقت لاحق فى شهادته أنه اتصل بالمركز القومى لمعلومات الجريمة لمعرفة إن كان رقم تسجيل الطائرة موجوداً على قائمة الطائرات المسروقة أم لا، ولم يجد ما يدل على ذلك فى السجلات، ومن ثم طلب من بيكر التأكد مما إذا كانت علامات الطائرة قد غُيِّرت أم لا، وهى ممارسة شائعة فى سرقات الطائرات (وهى كذلك ممارسة معتادة فى مينا ومشروع ديمقراطية الخاص بنورث). وأكد بيكر أنها غُيِّرت. ويزعم الاثنان أنهما أحالا القضية فى ٢١ أكتوبر إلى مكتب التحقيقات الفدرالى.

وبعد التمحيص، لم تثبت صحة تسلسل الأحداث كما رواها بيكر ويانج. وطبقًا لأوراق رسمية قدمها ريد، فقد اتصل يانج فى ٥ أكتوبر، أى قبل هبوب الريح القوية التى فتحت باب العنبر ـ بوالدى ريد مدعيًا أنه صديق قديم لابنهما. وكان يانج قد أعطى رقم التسجيل الصحيح الخاص بالطائرة للمركز القومى لمعلومات الجريمة يوم ٧ أكتوبر ـ طبقًا لسجلات المركز ـ أى قبل أن تقع عينا بيكر، حسب روايته، على الطائرة (وقبل أن يبلغ يانج عن الرقم المعدل). وفى ذلك المساء نفسه اتصل يانج بجوبلين للاستعلام عن اختفاء الطائرة لأول مرة. وفى يونيو ١٩٨٨ وجهت لريد تهمة التلاعب فيما يتصل بأحقيته فى الحصول على التأمين على الطائرة عام ١٩٨٣.

واتهم ريد كلاً من يانج وبيكر بإعداد وتقديم أدلة مزورة بغرض إصدار قرار اتهام زائف. وهذا الأمر واضح. وفى مساعٍ لتشويه سمعة شخص ملم بعملية مينا، كان بادى يانج يجرى مكالماته من مقر كلينتون. واعترف يانج وبيكر بدخول عنبر ريد ثلاث مرات دون إذن رسمى. وطبقًا لما تشير إليه مستندات المحكمة، فقد قدما بياناتهما الزائفة بعد ذلك إلى هيئة محلفين كبرى فدرالية أيضًا، فى أكثر من مناسبة، وفى جلسات استماع تتصل بكتاب United States v. Reed. وأخيراً أخفى الدليل الذى

ريما كان سيساعد قضية ريد فى مكتب يانج بمقر كلينتون، بينما كان من المفترض وجوده فى المحكمة الفدرالية. وأعلن قاض فدرالى اسمه فرانك ثييس Frank Theis شارك فى القضية أن بيكر ويانج تصرفا "برعونة دون مراعاة للحقيقة. وبُرِّئَ ريد حين قررت المحكمة أن الحكومة ليس لديها الدليل الشرعى الذى يدينه.

وقبل ثلاثة شهور من اغتياله، ذكر بارى سيل فى شهادة بعد القَسَم لمحققى الولاية والمحققين الفدراليين سلسلة متصلة من ممرات هبوط الطائرات، والشركات الواجهة، وشركات أركانسو "المشروعة"، والبنوك، المشاركة فى شحن المخدرات وغسيل أرباح المخدرات. وكان محققاه – وهما عميل هيئة الإيرادات الداخلية بيل دنكان Bill Dun-can وراسل ويلش Russel Welch من شرطة ولاية أركانسو – يأملان فى رسم تفاصيل صورة أكبر شيئًا فشيئًا، ولكنهما أحبطا فيما سعيا إليه حين أعيد ريد إلى ولاية لويزيانا، التى أدين فيها بتهمة تتعلق بالمخدرات. وحين قُتل، بات أحد السبل المهمة فى اتجاه كشف عملية إعادة إمداد كونترا فى أركانسو معتمًا.

ومع ذلك فقد عقد دنكان وويلش العزم على الاستمرار فى تحقيقهما لمتابعة الآثار التى تخرج من مينا إلى سائر الولاية. ولم يتمكن المحققان قط من اكتشاف أين ينتهى أثر المال، لأن تحقيقهما أوقف فجأة، وكان غسَّال أموال مزعوم، بارز فى عالم السياسة والمال فى أركانسو ويجنى الأرباح من مشاركته فى أعمال الولاية – طبقًا لما ذكره مصدر ثبتت صحة معلوماته فيما سبق – يتلقى مبالغ ضخمة من المال من سيل. وفى النهاية أعد دنكان وويلش ملفًا من ٣ آلاف صفحة يوثق غسيل الأموال وتهريب المخدرات على نطاق واسع. وأعد دنكان قرار اتهام من خمس وثلاثين صفحة للنائب العام الأمريكى، ولكنه لم يعمل بهما، وفى عام ١٩٨٨ بدأت شرطة ولاية أركانسو فرم ملفات مينا، ومنها كل الوثائق التى تربط أوليفر نورث بسيل وزميله تيرى ريد.

وهناك كان ما يدل على أن الكثير من الأنشطة السرية التى تربط وكالات الاستخبارات بمهربى المخدرات استمرت حتى التسعينيات. ويشير تقرير لهيئة الإيرادات الداخلية صادر فى خريف ١٩٩١، أى بعد ثلاث سنوات من ترك دنكان للوكالة، إلى أن "وكالة الاستخبارات المركزية لها عمليات متواصلة من مطار مينا بولاية أركانسو ... وإحدى العمليات التى تجرى فى المطار هى غسيل الأموال".

وكُلِّف دنكان، العميل الخاص بالقسم الجنائى بهيئة الإيرادات الداخلية، بإجراء التحريات الخاصة بمينا فى عام ١٩٨٣. وفى عام ١٩٨٩، استُدعى للشهادة أمام اللجنة القضائية بمجلس النواب بشأن أحداث مينا. وقد اجتمعت اللجنة للتحقيق فى الاتهامات الجنائية والعبث المحتمل فى التحقيقات من جانب وكالة الاستخبارات المركزية والعاملين مع الحاكم كلينتون فى ليتل روك. وكانت الجهة الحكومية الأخرى التى تخضع للتمحيص هى مكتب النائب العام الأمريكى، الذى مُنِح سلطة جمع هيئة محلفين كبرى وإصدار الاتهامات الخاصة بهذه القضية، ولكنه لم يفعل ذلك.

وكان دنكان قد علم برشوة مزعومة دفعها متهمون فى تحقيق مينا للنائب العام الأمريكى إد ميز. وطلب منه محامو هيئة الموارد الداخلية أن ينكر أمام محققى الكونجرس أن لديه أى علم بهذا الادعاء وأن يذكر أنه "لا رأى" له بشأن تردد النائب العام الأمريكى فى دعوة هيئة المحلفين الكبرى إلى الاجتماع، فرفض. وبعد ذلك بوقت قصير نُقل دنكان من هيئة الموارد الداخلية إلى منصب فى لجنة فرعية عن الجريمة تابعة للجنة القضائية بمجلس النواب، حيث استمر فى بحث مسألة مينا. وفى وقت لاحق من ذلك العام، ألقى القبض على دنكان فى مبنى الكابيتول[1] فى واشنطن لحيازته سلاحًا مخفيًا (مسدس الخدمة الخاص به) بينما كان يحاول دخول مكتبه. وأرسلت القضية إلى مكتب النائب العام، حيث طواها النسيان لأكثر من عام، مما منع دنكان بشكل فعال من متابعة قضية مينا. وترك دنكان اللجنة القضائية بمجلس النواب ليعمل فى مكتب النائب العام فى أركانسو.

وعانى راسل ويلش كذلك من حياة عملية مليئة بالصعوبات أشبه بحياة دنكان. فقد كان محققًا جنائيًا فى شرطة ولاية أركانسو وعمل عن قرب مع دنكان فى قضية مينا منذ عام ١٩٨٣. وعندما أوقفت الحكومة الفدرالية تحقيقها، كان مصير ويلش هو الآخر إبعاد رؤسائه له عن القضية. ويزعم ويلش أنه كانت هناك محاولة لقتله عام ١٩٩١ بينما كان يلتقى بدنكان فى ليتل روك.

(١) المبنى الذى يضم الكونجرس الأمريكى بمجلسيه، الشيوخ والنواب، وقد أخذ اسمه من تل كابيتول الذى يقع فى أعلى جزء منه. **(المترجم)**

وفى عام ١٩٩٢ سُئلت المتحدثة باسم كلينتون، ماكس باركر Max Parker، عن السبب فى عدم استجابته لطلب وكيل المدعى تشارلز بلاك Charles Black تشجيع إجراء بحث عن "مجموعة كبيرة بعض الشىء من الأنشطة غير المشروعة" تتركز فى مطار مينا. وشك بلاك، الذى تدخل مينا ضمن منطقة اختصاصه، فى وجود تغطية فدرالية على أنشطة تجرى هناك. وزعمت باركر أن بلاك مجرد مرؤوس فى مكتب المدعى، وأن كلينتون يتجه مباشرة إلى القمة. كما قالت أن كلينتون أبلغ قائد شرطة الولاية، تومى جودوين Tommy Goodwin، أنه سيسمح بصرف مبلغ ٢٥ ألف دولار لكبير المحققين فى منطقة بلاك، جو هارداجرى Joe Hardagree. وقالت باركر إن هارداجرى رفض عرض كلينتون الخاص بالاعتمادات كما اقترحه جودوين، ربما (كما تقول باركر) لأن مبلغ ٢٥ ألف دولار ليس كافيًا لإجراء مثل ذلك التحقيق.

ولكن هذا الزعم يتناقض مع ما قاله هارداجرى فى خطاب مؤرخ فى عام ١٩٩٢ بعث به إلى مارك سوانى Mark Swaney رئيس لجنة أركانسو، وهى جماعة من المواطنين تبحث قضية مينا: "أثناء فترة عملى وكيلاً للنيابة، لم أتلق ٢٥ ألف دولار من أموال الولاية، أو أى جزء من هذا المال، كما لم أسمع أى شىء يتعلق بهذه الأموال الحكومية، من الكولونيل جودوين أو من أى شخص فى شرطة ولاية أركانسو أو أى شخص فى مكتب الحاكم. والتحقيق الوحيد الذى أعلم أنه أنفق أموالاً أو موارد كان تحقيق هيئة المحلفين الكبرى الخاص بالمحكمة الفدرالية للمنطقة الغربية من أركانسو."

وفى أكتوبر ١٩٩١، خصص الكونجرس الأمريكى ٢٥ ألف دولار أخرى بناء على تدخل من نائب أركانسو بيل الكسندر Bill Alexander. وبقى المبلغ فى مقر شرطة الولاية دون أن يستخدمه أحد. وذكر باركر أن الأمر كان مجرد استكمال بعض الأوراق وأن جودوين سوف يوضح كل شىء بخصوص ذلك.

ولكن جودوين لم يكن متاحًا كى يتحدث عن المسألة فى مقابلة أجريت أثناء موسم انتخابات ١٩٩٢. وبينما كان رجل الشرطة متحمسًا فى يوم من الأيام بشأن استئناف التحقيق، هاهو يقول إنه ليس متأكدًا من أنه ستكون له أية "جدوى"، وأضاف أنه حتى لو بدأ تحقيق مينا، فإن كبير المحققين دنكان - الذى كان رؤساؤه فى مكتب النائب العام قد منعوه فى ذلك الوقت من الرد على استفسارات الصحفيين - لن تكون له سلطة الاستدعاء للشهادة.

وقال هارداجرى إن الأمر بدا وكأن ضغطًا سياسيًا مورس على جودوين. وقال جودوين: "هؤلاء جميعًا رجال طيبون، ولكنهم غارقون فى السياسة. وأظن أنه ليس عالم تومى جودوين، ولكن شخصًا ما ضغط عليه."

وفى مرحلة حرجة من حرب كونترا، قدمت صنيعة الحاكم بيل كلينتون الشخصية، هيئة تمويل التنمية بأركانسو Arkansas Development Finance Authority، أول قروضها للتنمية الصناعية. وكان العام هو ١٩٨٥، ومتلقى القرض هو بارك أون ميتر انكوربوريشن .Park on Meter, Inc وتعرف اختصارًا بـ"بوم" POM، وهى شركة لتصنيع عدادات مواقف السيارات تقع فى راسلفيل بولاية أركانساس Russelville, Arkansas. وزعم مايكل ريكونوسكيوتو Michael Riconosciuto، خبير الكمبيوتر الذى كان يقضى عقوبة السجن بتهم تتعلق بالمخدرات فى ولاية واشنطن، أن بوم كانت متعاقدة على صنع مكونات أسلحة كيماوية وبيولوجية بدائية كى يستخدمها مقاتلو كونترا، إلى جانب معدات خاصة بطائرات النقل C-130. وكانت تلك الطائرات تنقل فى ذلك الوقت المخدرات والأسلحة من وإلى مينا، الواقعة على بعد بضعة أميال فقط غربى أركانسو. وبذلك كانت ولاية كلينتون حلقة مهمة فى سلسلة إمدادات كونترا، فى وقت كان يحظر فيه الكونجرس تقديم مساعدات عسكرية لمقاتلى كونترا.

وعلى بعد ميل تقريبًا إلى الشمال من مطار راسلفيل، وعلى الطريق السريع رقم ٣٣١، يقع المقر الرئيسى لبوم ومصنعها داخل مبنى منخفض مصنوع من الصلب المضلع. وبدأت بوم صنع عدادات مواقف السيارات فى هذا الموقع عام ١٩٧٦. وباستثناء بعض التعديلات السطحية، فإن مقرها هو نفسه الذى كانت تشغله فى يوم من الأيام شركة الإنتاج الحربى العملاقة روكويل انترناشونال Rockwell Internation-al. وعندما اشترت بوم الموقع من روكويل، كانت أملاكها تغطى مساحة تزيد قليلاً على ستة وثلاثين فدانًا. ولكن فيما بين ١٩٧٦ و١٩٩٢، أدت بعض التعاملات العقارية المعقدة (حيث تسجل محكمة المقاطعة خمسة عشر رهنًا أو صك تنازل تتعلق بهذه الأملاك على امتداد تلك الفترة) إلا أن بوم نفسها صارت تمتلك حوالى ثمانية أفدنة وحسب. فقد تنازلت بوم عن المساحة الباقية لشركة اسمها "بى إم فى جى" BMVG، وفى عام ١٩٩٠، أجَّر أحد الشركاء فى "بى إم فى جى"، وهو رجل يسمى ماك فان

هـورن Mac Van Horn، قطعة من هذه الأملاك لجيش الاحتياط الأمريكى. وكانت قطعة أرض شمال غربى أملاك بوم تقوم عليها الشركة الكيماوية الرابعة بعد الثلاثمائة والخمسين Chemical Company التابعة لقيادة جيش الاحتياط الثانى بعد المائة والعشرين.

وبينما كان مارك سوانى رئيس لجنة أركانسو يتفحص الموقع، رأى شاحنتين مموهتين بهما مقطورتان محملتان بما يشبه مولدات لعمل ستائر دخان، على جانب بعض شاحنات النقل العسكرية وعدد من البراميل الصناعية. وتحدث سوانى مع بعض الجنود هناك، حيث أخبروه أنها جزء من "وحدة دخان". وبعد بضعة أيام ذهب محقق هيئة الإيرادات الداخلية السابق بيل دنكان فى رحلة إلى راسلفيل. ورأى دنكان البراميل واقفة بجوار مخزنين من الصلب المضلع لا نوافذ لهما ولا يحملان علامات من أى نوع. كما رأى دنكان ما وصفه بأنه "شاحنات فناطيس كيماوية" فى موقع جيش الاحتياط. باختصار، ففى هذا الركن المهمَل من راسلفيل، كان هناك ما يشبه الموقع العسكرى الصناعى، وهو موقع مناسب لحكايتنا.

وإلى الجنوب الغربى من راسلفيل، هناك موقع عسكرى صناعى آخر، وهذا الموقع واد تكثر فيه الأشجار يحيط بمينا. حتى الآن وعن مينا باعتبارها مركزاً للعمليات السرية التى تشمل تدريب كونترا ومهام إعادة إمدادها، وكذلك تهريب المخدرات وغسيل الأموال. كما كانت مينا مهمة فى الوقت ذاته باعتبارها قاعدة لصيانة الطائرات وإضافة معدات جديدة إليها.

ونصل الآن إلى مايكل ريكونوسكيوتو، وهو موظف متعاقد سابق فى وكالة الاستخبارات المركزية يقول إنه عمل فى مينا على فترات متقطعة فيما بين ١٩٨٠ و١٩٨٩، وألقى القبض على ريكونوسكيوتو بتهم تتعلق بالمخدرات بعد وقت قصير من إعلانه شاهداً فى قضية إنسلو كوروبوريشن Inslaw Corporation ضد الحكومة الأمريكية، لاستغلالها برنامج الكمبيوتر PROMIS بدون تصريح، وهو البرنامج الذى كتبه ريكونوسكيوتو لإنسلو. ويزعم ريكونوسكيوتو أن التهمة لُفِّقت له، وهو الآن فى السجن بولاية واشنطن.

وطبقًا لما قاله ريكونوسكيوتو، فقد كانت مينا جزءًا من شبكة قواعد تطورت بمرور الزمن، حيث كانت أهميتها تزداد وتقل مع تغير احتياجات العمليات السرية الأمريكية. وهو يقول إنه فى الوقت الذى كان متورطًا فيه، كانت مينا تتسم بالأهمية بسبب موقعها المتوسط نسبيًا بين غيرها من القواعد، وبسبب منشآتها الخاصة بتركيب المعدات الجديدة والصيانة، وبسبب دورها كمركز إدارى للعمليات. وأخيرًا يقول إن مينا كانت النقطة الرئيسية لإسقاط شحنات المخدرات، حيث كانت القواعد الأخرى بمثابة نقاط توزيع أو "منشآت إيواء" للطائرات، فى المقام الأول لأسطول يضم حوالى ثلاثين طائرة نقل من طراز C-130.

وبذلك يكون ريكونوسكيوتو ثالث شخص يخطو إلى الأمام فى اتجاه تفاصيل العمليات العسكرية وعمليات المخدرات السرية فى مينا، مؤيدًا المعلومات التى سبق أن قدمها بارى سيل وتيرى ريد. ولكن على عكس ريد، الذى كان مهرب مخدرات فى المقام الأول، وريد، الذى كان يشرف على تدريب الطيارين وشارك فى عمليات إعادة الإمداد، عمل ريكونوسكيوتو بصفة فنية وإدارية أتاحت له الاطلاع على صورة أشمل للعملية ككل. فقد جاء إلى مينا بخلفية من تكنولوجيا الكمبيوتر والبرمجة وكذلك خبرة استخباراتية، اكتسبها من العمل مع واكينهات كوربوريشن Wackenhut Corpora-tion، وهى شركة أمن خاصة معروفة بتداخلها مع عالم الاستخبارات. وفى مينا، أشرف ريكونوسكيوتو على إعادة شحن معدات التكنولوجيا الفائقة (ومنها مناظير البنادق تحت الحمراء وأجهزة الرؤية الليلية) إلى مقاتلى كونترا، وتولى صيانة شبكة الكمبيوتر الإدارية، وابتكر برنامج محاسبة لتسهيل التحويلات الإلكترونية للأموال إلى جانب غسيل الأموال من العملية.

ويقول ريكونوسكيوتو إنه حسبما يعلم لم تفرغ مخدرات فى مطار مينا نفسه. فكما هو الحال فى أسلوب عمل سيل فى لويزيانا، كانت الطائرات التى تطير على ارتفاع منخفض تستخدم المظلات فى إسقاط حاويات المخدرات فى المناطق الريفية المحيطة. وفى بعض الأحيان كانت المخدرات تسقط فى أماكن خالية من الأشجار فى غابة أواتشيتا الوطنية، وفى أغلب الأحيان كانت طائرات الهليكوبتر أو الشاحنات تلتقط المخدرات وتأخذها إلى مناطق التحميل، التى ترسل منها إلى نقاط التوزيع بإحدى

الشاحنات أو طائرة ذات محركين، ووصف ريكونوسكيوتو مجموعة من المنشآت المعينة خاصة بشحن المخدرات وبتصنيع أجزاء الطائرات. وكان لابد من وجود مصادر مستقلة لقطع الغيار لضمان وجود إمداد جاهز من المعدات دون لفت الانتباه الذى لا داعى له ولتوفير المعدات التى لا يمكن تتبعها بسهولة فى حال سقوط طائرة أو الاستيلاء عليها.

وتتطابق رواية ريكونوسكيوتو عن هذه المنشآت المعينة، فى كثير من تفاصيلها، مع تلك الأدلة التى جمعها محققو الولاية والمحققون الفدراليون الذين كانوا يتعقبون عملية مينا من ١٩٨٣ حتى ١٩٨٨، ولكن كما أن قصته أضافت المزيد إلى الصورة المستمدة مما قاله سيل وريد، فهى تطيل كذلك طابور الفاعلين المدعمين الموجودين خارج منطقة مينا. الأمر الذى يعيدنا من جديد إلى مقر بوم الرئيسى.

فطبقًا لما قاله ريكونوسكيوتو، لم تكن بوم مجرد مشروع لصنع عدادات مواقف السيارات. وهو يقول إنه اعتبارًا من ١٩٨١ كانت الشركة تصنع كذلك خزانات سقوط لطائرات النقل - وهى علب وقود إضافية - لاستخدامها فى طائرات C-130. وليست خزانات السقوط فى الأساس إلا حاويات معدنية تحرك بالهواء، تدخل كذلك ضمن القدرات الإنتاجية لشركة أنشئت لصنع عدادات مواقف السيارات. وهذه الخزانات التى تعلق بأبراج على الأجنحة وتلقى بعد أن تفرغ، ضرورية لإمداد مهام النقل بعيدة المدى بالوقود. وبينما تعد هذه الخزانات قياسية على طائرات C-130 وغيرها من الطائرات الحربية، فهى غير معروفة فى الاستخدام المدنى.

وحتى الآن تركزت مناقشتنا لمينا على تسليم الأسلحة التقليدية والتدريب التقليدى بصورة أو بأخرى. إلا أن ريكونوسكيوتو يشير إلى تكتيكات أخرى أشد شرًا بدأت تتشكل فى أركانسو. فهو يقول إنه بحلول عام ١٩٨٣ بات واضحًا للاستخبارات الأمريكية أن قوات كونترا عاجزة عن إلحاق الضرر بقوات ساندينستا، وأنها بحاجة إلى تفوق تكتيكى؛ إما من خلال استخدام أسلحة ومعدات التكنولوجيا الفائقة، مثل أجهزة الأشعة تحت الحمراء والرؤية الليلية التى سبق ذكرها، أو عن طريق الأسلحة غير التقليدية. ولتحقيق هذه الغاية، يقول ريكونوسكيوتو إن بوم جُنِّدت فى المشروع مع معامل ستورمونت Stormont Labs فى وودلاند بولاية كاليفورنيا Woodland,

California وواكينهات كوربوريشن لابتكار أسلحة بيولوجية يمكن استخدامها في حرب العصابات. وكُلِّفت بوم بمهمة إنتاج الذخيرة نفسها.

ولنذكر الشكل العام على الأرض في ذلك الركن من راسلفيل الذي سبق وصفه. فطبقًا لما ذكره ريكونوسكيوتو، كان لدى وحدة الجيش الكيماوية ترتيب لتزويد بوم بعوامل كيماوية بمجرد أن تصبح النماذج الأولية متقدمة بالقدر الذي يسمح باختبارها. وكان المقصود بتلك النماذج الأولية أن تكون أجهزة بسيطة إلى حد ما - قذيفة تمسك باليد، أو قذيفة هاون، أو قنبلة صغيرة - يمكن إنتاجها جميعًا بآلات متوفرة لدى بوم.

وأكدت ستورمونت في عام ١٩٩٢ أن واكينهات اتصلت بها في أوائل الثمانينيات بشأن ابتكار أسلحة بيولوجية، ولكنها أنكرت تجاوز أي شيء لمرحلة الكلام. وأنكرت واكينهات أية مشاركة مع ستورمونت أو بوم أو ريكونوسكيوتو. وعندما سُئل "سكيتر" وورد "Skeeter" Ward رئيس بوم عام ١٩٩٢ عن ادعاءات ريكونوسكيوتو الخاصة بصنع بوم لخزانات السقوط واشتراكها في صنع ذخائر بيوكيماوية، قال باستخفاف لبرايس هوفمان Bryce Hoffman من صحيفة "نيشن": "بكل تأكيد لا. فما نصنعه هو مخروط المقدمة الكار[1] الخاص بالرؤوس النووية التي تركَّب على صواريخ MX وفوهات لمحركات الصواريخ." كما قال: "حصلنا على عقد من ماكدونل دوجلاس McDonnel Douglas لصنع أجزاء الطائرات، ولكني لا أعرف حتى تفاصيل هذا. و"سكيتر" وورد هو صهر ويبستر هابل Webster Hubbell مساعد النائب العام سيئ السمعة في حكومة كلينتون. والذي أسس بوم هو سيث وورد الأب .Seth Ward Sr، والد زوجة هابل، سوزي Suzie. وعندما كان هابل محاميًا في مكتب روز للمحاماة Rose Law، وجه طلب بوم الذي جعلها أول شركة تتلقى قرضًا للتنمية الصناعية من هيئة أركانسو لتمويل التنمية، وقد عُجِّل بإنهاء إجراءات ذلك القرض، وقيمته ٧٥.٢ مليون دولار، في الساعات الأخيرة من عام ١٩٨٥.

وظهرت هيئة أركانسو لتمويل التنمية إلى الوجود في أبريل من ذلك العام كجزء من مبادرة كلينتون للتنمية الاقتصادية الشاملة. فقد جددت ما كانت تعرف من قبل باسم

---

(١) مخروط أمامي مصمم خصيصًا لاستعماله أثناء العودة (الكرور) إلى الغلاف الجوي الوفْر. **(المترجم)**

وكـالة تنمـيـة الإسـكان في أركـانسـو Arkansas Housing Development Agency، وكانت تقدم قروضًا منخفضة الفائدة للإسكان العائلي، لتصبح نوعًا من المؤسسة المالية متكاملة الخدمات التي تجتذب رأس المال إلى الولاية بغرض التنمية الصناعية وخلق فرص العمل والتنمية الزراعية، بل والزراعية المائية. وقد أعلنت عن نفسها باعتبارها وكالة تعين بصورة خاصة الشركات الصغيرة "التي جرت العادة على استبعادها من سوق السندات عن طريق تكاليف الإصدار ورسوم الخدمات المرتفعة" ولكن يمكنها تحت مظلة إصدارات السندات الخاصة بهيئة أركانسو لتمويل التنمية تقليل تلك النفقات.

والملمح الأساسي لمهمة هيئة أركانسو لتمويل التنمية هو مد الشركات بقروض طويلة الأجل تمول من خلال بيع سندات معفية من الضرائب، وكان على الشركات التي هي بحاجة إلى رأس مال أن تذهب إلى هيئة أركانسو لتمويل التنمية، التي ترتب بدورها لإصدار سند من حامل سندات خاص، تعرضه الهيئة حينذاك للبيع. (ولم تكن ولاية أركانسو بها تلك السندات، ولكن بموجب مشاركة هيئة أركانسو لتمويل التنمية تحصل السندات وضع الإعفاء من الضرائب) وعند بيع السندات، كانت الهيئة تسلم السندات وسجل مالكي السندات للبنك، الذي يصبح وصيًا على الصفقة. وكانت الهيئة بذلك تقوم بدور الوسيط في الصفقة التي تتم بين وكيل الوصي والشركات. وكان وكيل الوصي يتحمل مسئولية تحصيل المدفوعات على القرض والفائدة، كما كان مسئولاً كذلك عن دفع الأرباح - وفي النهاية أصل القرض - إلى حاملي السندات. وكان يسمح للبنك الوصي بدوره باستثمار المال الذي يحصل عليه من إصدار السندات في سندات الخزانة، أو شهادات الإيداع، أو حسابات سوق النقد، أو حتى حسابات الوديعة لأجل في بنوك أخرى.

وكان وكيل الوصي يتمتع بحرية كبيرة في تحديد مكان استثمار تلك الأموال. وطبقًا لعقد هيئة أركانسو لتمويل التنمية القياسي، كان وكيل الوصي مقيداً فقط بالشرط الذي ينص على أنه بغض النظر عن المكان الذي تستثمر فيه الأموال، فلا بد أن تضمنها الحكومة الأمريكية بطريقة أو بأخرى. إلا أن هذا الشرط لم يكن يحترم دائمًا. وهناك سجلات لصفقة استثمر فيها وكيل الوصي في فرع بنك فوجي Fuji Bank في جزر كيمان الكبرى Grand Cayman Islands، وهو مستودع مفضل لتجار المخدرات.

وكان كثيرون من المستفيدين من صفقات هيئة أركانسو لتمويل التنمية تفوح منهم رائحة الدائرة الخاصة بكلينتون، وتبرز شركة ستيفنز إنكوربوريشن .Stephens Inc، وساعد رئيس الشركة جاكسون ستيفنز Jackson Stedphens وابنه وارن Warren كلينتون بأكثر من ١٠٠ ألف دولار في حملة انتخابات الرئاسة لعام ١٩٩٢. وفي يناير من ذلك العام، قدم البنك الذى يملك فيه ستيفنز حصة مسيطرة، وهو بنك ورذن -Worth en Bank، تسهيلات ائتمانية قدرها مليونا دولار. وكان اسم بنك ورذن ويمثله مكتب محاماة روز، الذى تعمل فيه هيلارى رودام كلينتون Hillary Rodham Clinton، قد ظهر فى مناسبات عديدة ضمن مؤسسات كان لها من حين لآخر حقوق قانونية على بوم.

وكان الاسم المألوف الآخر فى إصدارات السندات شركة لا وجود لها الآن اسمها لازاستر أند كومباني .Lasaster and Co. ودان لازاستر Dan Lasaster الذى كان يرأس الشركة صديق قديم لكلينتون وأخيه روجر Roger. وكان كل من روجر كلينتون ولازاستر قد أدينا بتهم تتعلق بالكوكايين.

وهكذا كانت هيئة أركانسو لتمويل التنمية فى موضع القلب من التعاملات المالية التى كانت مبالغ كبيرة منها تنقل بسهولة، وفى السر على ما يبدو. ولأن الهيئة لم تكن موضع مراقبة تشريعية - حيث كانت خاضعة فقط لإشراف مكتب الحاكم - وبسبب القيود الفضفاضة المفروضة على البنك الوصى، فقد فتحت كذلك باباً لتعاملات مالية مشكوك فيها وربما كانت غير مشروعة. وكما أوضح رجل هيئة الإيرادات الداخلية بيل دنكان، فإن السندات من الناحية النظرية يمكن إصدارها لتقديم قرض لإحدى الشركات المتورطة فى غسيل أرباح المخدرات. وكان القرض يمثل مالاً نظيفاً. وكان بالإمكان كذلك رد القرض بأرباح المخدرات، ببطء وبزيادات بسيطة. وبهذه الطريقة أمكن إدخال أموال المخدرات بنجاح فى النظام المالى المشروع. وإذا لم تفعل الشركة المشار إليها بالقرض سوى إيداعه فى حسابها البنكى، ففى هذه الحالة لا تفقد شيئاً، ولكنها تحصل على أموال نظيفة. وبذلك كانت هيئة أركانسو لتمويل التنمية تقوم مقام الغسالة؛ حيث كان الأموال القذرة تغسل بمجرد مرورها عبر نظامها. وكان دنكان يرى أنه من المحتمل كذلك أن عملاء هيئة أركانسو لتمويل التنمية لم يكونوا يردون القرض وأن المال كان يدوّر وحسب من خلال الطرف الاستثمارى للترتيب الخاص بالوصى.

وفى حالة بوم، كانت السجلات الخاصة بقرض مقداره ٢.٧٥ مليون دولار غير كاملة بصورة غريبة. فقد جاء فى أحد مستندات هيئة أركانسو لتمويل التنمية أنها أوجدت أربعا وعشرين فرصة عمل؛ بينما ذكر مستند آخر أن إجمالى الأجور المدفوعة هو ٢.٥٦ مليون دولار. ولم تتوفر سجلات سداد خاصة ببوم فى عام ١٩٩٢، حين محصنا عمليات الهيئة، وإن قال مسئولو الهيئة إن بوم سددت القرض فى عام ١٩٩١، أى قبل عامين من الموعد المحدد.

واكتسبت قصة مينا أهمية فى ربيع ١٩٩٢، وسط محاولة كلينتون للفوز بترشيح الحزب الديمقراطى له فى انتخابات الرئاسة. وكانت الشبكات الكبرى تميل إلى عمل تحقيقات كبيرة. وتحت عنوان رئيسى هو "تشريح حملة تشنيع" ناقشت مجلة "تايم" قصة مينا فى عددها الصادر فى ١٥ أبريل ١٩٩٢، فقد احتاج مندوبها ريتشارد بيهار Richard Behar لصفحة كاملة ليقول إن القصة فى مجملها كلام فارغ وأن الحاكم بيل كلينتون أُضير بغير وجه حق.

ولو تركنا جانبًا دوافع بيهار للحظة، سنجد أن قصة "تايم" مثيرة للضحك، حيث تزعم أن كل تقارير إعادة إمداد كونترا وأنشطة وكالة الاستخبارات المركزية فى غربى أركانسو كان مصدرها ادعاءات تيرى ريد، الطيار السابق، ومدرب مقاتلى كونترا، وشريك صديق جورج بوش، فيليكس رودريجيث. وطبقًا لما ذكره بيهار، فقد قال ريد إن "مشروع" المخدرات والسلاح "أشرف عليه بنفسه" كلينتون. ولم يكن ريد قد قال ذلك لأحد. وفى ملف قصاصات ضخم عن مينا، يضم الكثير من القصص الإخبارية فى صحافة أركانسو التى يعود تاريخها إلى عام ١٩٨٧، لا يمكن العثور على أى أثر لهذا الادعاء، ولو فى صورة تكذيبات أو تأكيدات من السخافة بحيث لا يمكن التعامل معها بجدية.

ولكن مقال "تايم" حقق نجاحًا كبيرًا. ففى تلك الأسابيع المهمة، ابتعدت الشبكات عن القصة. وفى وقت لاحق، عُيِّن أحد كبار محررى "تايم"، وهو ستروب تالبوت Strobe Talbot، فى منصب رفيع فى وزارة خارجية كلينتون. كما حصلت زوجة تالبوت، بروك شيرر Brooke Shearer، هى الأخرى على وظيفة فى الحكومة.

ولم ينته حجب قصة مينا بانتخاب بيل كلينتون. ففى عام ١٩٩٤، وبينما كان محرر التحقيقات روجر موريس Roger Morris، يجمع مادة كتاب عن بيل وهيلارى كلينتون، عثر على تل من المعلومات عن مينا، بينها كراسات بارى سيل، وأشرطة فاكس، وسجلات بنوك. وكان موريس فيما سبق مستشار أمن قومى لريتشارد نيكسون واستقال احتجاجًا على غزو كمبوديا. وأخذ بعد ذلك يكتب سيرة حياة نيكسون، إلى جانب كتب لاذعة عن هنرى كيسنجر والكسندر هيج.(١)

ولكى يتتبع موريس قصة مينا، انضم إلى محررة تحقيقات أخرى، هى سالى دينتون Sally Denton. ودينتون هى مؤلفة كتاب The Bluegrass Conspiracy، وهو رواية مثيرة للفساد السياسى وتجارة المخدرات فى كنتاكى. وبحلول خريف ١٩٩٤، كان موريس ودينتون قد جمَّعا ملفًا يضم ألفى صفحة عن سيل وكلينتون ومينا. وبعد أن كتبا جزءًا من القصة سلماها لصفحة الرأى فى صحيفة "نيويورك تايمز"، حيث رفضت القصة على الفور. وعندما سأل موريس محرر الصفحة، مايكل ليفيتاس Michael Levitas، عن سبب رفض الصحيفة للمقال، رد ليفيتاس بأنها "من نوع القصص التى تنشرها وول ستريت جورنال"، وأشار ليفيتاس كذلك إلى أن فريق الأخبار فى "نيويورك تايمز" كان قد اطلع على مينا ورفض تغطيتها.

وبذلك أخذ موريس ودينتون مقالهما إلى قسم "وجهة نظر" فى صحيفة "واشنطن بوست"، التى قبل نائب رئيس تحريرها، جيفرى فرانك Jeffrey Frank، القصة، مادحًا الكاتبين على كتابتهما مقالاً رائعًا وغير عادى، ولكن القصة مرت بعقبات لا حصر لها، فعلى امتداد الأحد عشر أسبوعًا التالية حُرِر المقال، وأعيد تحريره، وراجع الفريق القانونى بالصحيفة ما فيه من حقائق، وكان موريس ودينتون عرضة لأسئلة مفصلة من مندوبى ومحررى قسم الأخبار فى "واشنطن بوست". أخيرًا، بدت القصة فى ٢٥ يناير ١٩٩٥ وكأنها ستنشر. فقد أُعدت ألواح الطباعة، ووقعت العقود، وتقرر نشر القصة فى ٢٩ يناير ١٩٩٥.

---

(١) كان الأول وزيرًا للخارجية (١٩٧٣-١٩٧٧) فى حكومة نيكسون، وكان الثانى وزيرًا للخارجية (١٩٨١-١٩٨٢) فى حكومة ريجان. **(المترجم)**

وعندما أرسل قسم "وجهة نظر" إلى المطبعة، اتصل جيفرى فرانك بموريس، حيث ترك له رسالة على جهاز الأنسرماشين مفادها أن مدير تحرير "واشنطن بوست"، روبرت كايزر Robert Kaiser، منع نشر القصة. واتصل موريس بكايزر يستوضحه الأمر، ولكن محرر "واشنطن بوست" رفض تلقى مكالمته. وقالت سكرتارية كايزر للكاتب الغاضب: "إنه لا يريد التحدث إليك."

فلماذا منع كايزر نشر المقال؟ موريس لا يعرف السبب. ولكن أحد العاملين السابقين فى "واشنطن بوست" يقول لنا إن والتر بينكص، الذى ظل فترة طويلة محرر الاستخبارات بالصحيفة، رفض القصة باعتبارها "قمامة". وكان المحررون فى "واشنطن بوست" قد سربوا جوهر قصة موريس ودينتون لكل من البيت الأبيض ووكالة الاستخبارات المركزية، التى أنكرتها بغضب.

وفى النهاية ظهر مقال موريس ودينتون الممتاز فى مجلة "بنتهاوس" Penthouse ولم يلق ذلك الاستقبال الحار الذى يستحقه مقال كهذا. وكان مصير مشابه ينتظر كتاب موريس عن كلينتون وزوجته، Partners in Power، الذى استقبله كتَّاب العروض فى صحافة التيار العام بخليط من اللامبالاة والعداء.

ومن جانبه، تعمد كلينتون تحاشى الموضوع، حيث ذكر مينا بشكل علنى مرة واحدة فقط منذ انتخابه رئيساً. وجاء تصريحه رداً على سؤال طرحته فى مؤتمر صحفى عُقد فى أكتوبر ١٩٩٤ مراسلة وكالة "أسوشيتد بريس" فى البيت الأبيض، هيلين توماس Helen Thomas، التى سألت الرئيس إن كان لديه علم عن استغلال مينا كمركز متقدم لمهربى السلاح والمخدرات الذين تربطهم صلات بحرب كونترا، فرد كلينتون بقوله: "لم يخبرونى بهذا الأمر، فالولاية لم يكن لديها شىء يذكر عنه. وأجرى المحقق المحلى تحقيقاً بناء على الاختصاصات التى يمنحها القانون للولاية. أما باقى الأمر فيدخل ضمن اختصاصات نواب العموم للولايات المتحدة الذين عينتهم الحكومات السابقة تباعاً. ولم يكن لنا أى علاقة - بالمرة - بهذا الموضوع."

ولكن ادعاء كلينتون الجهل لم يكن يبدو صحيحاً. فقد لفت أحد محققى ولايته، وهو تشارلز بلاك Charles Black، نظر كلينتون إلى القضية عام ١٩٨٨، حيث أكد على دورها كهمزة وصل لعمليات المخدرات الدولية. وقبل خمس سنوات من بدء تحقيق فدرالى بشأن غسيل أموال المخدرات فى مينا - وهو التحقيق الذى انضمت إليه شرطة ولاية كلينتون نفسه. وكجزء من ذلك التحقيق، جُمعت هيئة محلفين كبرى فدرالية. وفى النهاية صرفت هيئة المحلفين الكبرى تلك، ونقلت الصحافة المحلية تقارير تفيد بأن أعضاء اللجنة منعوا من رؤية أدلة مهمة، وسماع شهود مهمين، بل ورؤية مسودة قرار اتهام تضمن ٢٩ تهمة بشأن غسيل الأموال وضعها محام فى "العملية ورقة النقد" Operation Greenback التابعة لوزارة العدل. وفى عام ١٩٨٩ تلقى كلينتون التماسات من مواطنى أركانسو يطلبون فيها منه دعوة هيئة محلفين كبرى للولاية واستمرار التحقيق. وجعل وينستون برايانت Winston Bryant من مينا إحدى قضايا حملته الناجحة لتولى منصب النائب العام[1] عام ١٩٩٠، وقبل ذلك بعام، تصفح برايانت ملفات الولاية الخاصة بمينا، إلى جانب التماسات من ألف مواطن لمحقق إيران كونترا، لورانس والش. وفى وقت لاحق من ذلك العام، وفى ١٢ أغسطس ١٩٩١، كتب مستشار كلينتون للعدل الجنائى إلى أحد المواطنين المهتمين أن كلينتون يدرك مسألة النشاط الإجرامى فى مينا التى يدرسها برايانت ووالش ونائب أركانسو، بيل الكسندر. ولم يكن من سلطة النائب العام فى الولاية إجراء تحقيق، ولكن محققى الولاية كان من سلطتهم ذلك. وعندما حث تشارلز بلاك كلينتون على تخصيص اعتمادات لمثل هذا التحقيق، رفض كلينتون طلبه. وقد أُبعدت شرطة أركانسو عن القضية وفُرمت ملفاتها.

ولا يتفق إعلان كلينتون جهله بالأمر كذلك مع القصة التى رواها صديق سابق من أصدقاء كلينتون وأحد ضباط شرطة أركانسو، وهو ل.د. براون L.D. Brown. وكان براون يعمل فى مفرزة الأمن الخاصة بكلينتون فى الثمانينيات. وهو يقول إنه فى عام ١٩٨٤ شجع كلينتون الضابط ابن التاسعة والعشرين على التقدم بطلب للحصول على وظيفة فى وكالة الاستخبارات المركزية، ويزعم براون أن كلينتون ساعده كذلك فى إعداد نموذج كتابة لمصاحبة طلبه إلى وكالة الاستخبارات. وكانت الورقة تحليلاً للحركات

---

(١) النائب العام فى النظام الأمريكى يرأس وزارة العدل، وهو عضو من أعضاء مجلس الوزراء. **(المترجم)**

الماركسية فى السلفادور ونيكاراجوا. ويقول براون إن المقالة اتخذت اتجاهًا ريجانيًا متشدداً ولم تبد أى تعاطف مع قضايا مقاتلى ساندينستا والثوار السلفادوريين.

وفى قضية نُظرت عام ١٩٩٥، شهد براون بأن وكالة الاستخبارات المركزية اتصلت به فى أكتوبر ١٩٨٤ وطلبت منه مقابلة بارى سيل فى مطعم "كاجون وارف" Cajun Wharf خارج ليتل روك. وفى ذلك اللقاء، طلب سيل من براون السفر معه جواً فى مهمة إلى أمريكا الوسطى. وشهد براون بأنه وسيل غادرا مطار مينا فى ٢٣ أكتوبر على متن طائرة نقل سيل طراز C-123، وأسقطا صناديق مدافع M-16 على قواعد كونترا، وهبطا للتزود بالوقود على ممر فى هُندوراس. وذكر براون أنه رأى سيل هناك يحمل على متن الطائرة اثنى عشر كيسًا من قماش الدافيل، ألقيت من الطائرة على حقول بالقرب من مينا فى رحلة العودة. وعلم براون فيما بعد أن تلك الأكياس كانت مملوءة بالكوكايين.

ويقول براون إنه بعد رحلتين أو أكثر من تلك الرحلات الجوية، واجه كلينتون بعملية سيل. وشهد براون أن كلينتون لم يبد أية دهشة، حيث قال للضابط، الذى كان معجبًا بجورج بوش: "إن بطلك بوش يعلم بالأمر." وعن دخول الكوكايين مينا، شهد براون بأن كلينتون قال بحدة: "تلك صفقة لازاستر"، ويبدو أن الإشارة كانت إلى صديق كلينتون الحميم القديم دان لازاستر Dan Lasaster، صاحب النفوذ الضخم فى مجال السندات الذى يتخذ من ليتل روك مركزًا له وكان أحد أكبر المساهمين فى حملة كلينتون الانتخابية. وكان لازاستر قد أدين كذلك بتوزيع الكوكايين، واشتبه، طبقاً لرواية روجر موريس، فى أنه يستغل صفقاته مع هيئة أركانسو لتمويل التنمية لغسيل بعض أرباحه من المخدرات.

وكشأن كلينتون، حرصت وكالة الاستخبارات المركزية على عدم لفت الانتباه خلال عقد من الجدل حول مينا، وأنكرت الوكالة مراراً وجود أية أنشطة فى مينا، مدعية فى الغالب أنها "عملية مارقة لوكالة مكافحة المخدرات". وفى عام ١٩٩٥، وكان الجمهوريون قد صارت لهم الغلبة حديثًا فى الكونجرس، استغل النائب جيم ليتش Jim Leach من أيوا منصبه كرئيس للجنة البنوك بمجلس النواب لبدء تحقيق جديد حول غسيل الأموال، وتهريب المخدرات، وعمليات الاستخبارات فى مينا وكان يأتى فى مقدمة أعمال ليتش

طلب مراجعة المفتش العام بوكالة الاستخبارات المركزية، فردريك هيتز Frederick Hitz، لملفات الوكالة وإعداد تقرير عن مينا.

واستُكمل التقرير فى نوفمبر ١٩٩٦، وهو لا يزال محظوراً، إلا أن ليتش نشر ملخصًا له. ومع أن تقرير المفتش العام يخفى العيوب، فهذه هى المرة الأولى التى يُعترف فيها بأن وكالة الاستخبارات المركزية كان لها وجود مستدام فى مينا طوال الثمانينيات وأوائل التسعينيات. وطبقًا لما جاء فى تقرير هيتز، فقد مارست وكالة الاستخبارات المركزية "أنشطة مصرحا بها ومشروعة فى المطار". وشملت تلك الأنشطة عقوداً لـ"خدمات روتينية تتعلق بالطيران". كما شملت كذلك "عملية تدريب مشتركة مع وكالة فدرالية أخرى" لا تزال سرية للغاية. ويكاد يكون من المؤكد أن الوكالة الأخرى هى مجلس الأمن القومى، الذى يزعم تقرير المفتش العام أنه كان يعالج "التفاعل مع المسئولين المحليين". كما أكد التقرير كذلك مزاعم ل.د. براون بأنه تقدم بطلب للحصول على وظيفة فى وكالة الاستخبارات المركزية عام ١٩٨٤.

وحظى الاعتراف الذى استخرجه ليتش فى نهاية الأمر من وكالة الاستخبارات المركزية، فيما يتعلق بعملياتها فى مينا، بقدر ضئيل من اهتمام الصحافة، حيث غطت "وول ستريت جورنال" وحدها التقرير تغطية مفصلة. وكتب والتر بينكص فى "واشنطن بوست" موضوعًا قصيراً عن التقرير، وكان يردد بصدق اتجاه الوكالة بأنها لم تتورط فى "غسيل الأموال، أو تجارة المخدرات، أو تهريب السلاح".

ويذكر كريستوفر ريد Christopher Reed، الصحفى فى صحيفة "جارديان" سؤاله شخصية إخبارية كبيرة فى "لوس أنجلوس تايمز" إن كانت الصحيفة قد حققت فى ادعاءات تهريب المخدرات والسلاح فى مينا، وكان رد ذلك المسئول على ريد هو: "نعم. ولكن ليس هناك من يؤكده فى السلطة."

وسمحت مثل هذه السلبية من جانب الصحافة لوكالة الاستخبارات المركزية وبيل كلينتون أن يصوروا فضيحة مينا على أنها "أسوأ مياه خلفية لنظريات التآمر اليمينية"، حسب كلمات المتحدث بلسان البيت الأبيض مارك فابيانى Mark Fabiani.

■■■

المصــادر

يأتى الجزء الكبير من خلفية هذا الفصل من سلسلة مقابلات أجراها المؤلفان وزميلاهما برايس هوفمان وجوان وايبيفسكى. وكان من بين من أجريت معهم المقابلات بيل دنكان، ولارى نيكولاس، وراسل ويلش، وتيرى ريد، ومايكل ريكونوسكويتى، ومارك سوانى، وسكيتر وورد، وتشارلز بلاك، وجو هارداجرى، وتومى جودوين، والنائب بيل الكسندر، وديفيد أور. وجاءت معظم خلفية قصة سيل، كمهرب وكعميل لوكالة مكافحة المخدرات ووكالة الاستخبارات المركزية خلال الثمانينيات، من عرض تاريخى لتحركات سيل أعدته وكالة مكافحة المخدرات لجلسات استماع النائب ويليام هيوز حول سيل. وجاءت قصة كيفية استئجار سيل كمرشد من شهادة أدلى بها المسئولون عنه بوكالة مكافحة المخدرات أمام لجنة هيوز. وكانت قصة روجر موريس وسالى دينتون وكتاب موريس بمثابة مصدر رئيسى لحياة سيل ومغامراته فى أركانسو. ويقدم مقالهما فى "بنتهاوس" كذلك تفاصيل عن مقابلاتهما مع "نيويورك تايمز"، وقصة جوناثان كويتنى من "واشنطن بوست" المبكرة فى "وول ستريت جورنال" تكشف بفاعلية محاولة حكومة ريجان استغلال سيل لربط مقاتلى ساندينستا بتجارة المخدرات. وقد أعيدت رواية حياة دنكان العملية المضطربة فى هيئة الإيرادات الداخلية فى جلسات استماع الكونجرس التى كانت تحقق فى العمليات الانتقامية التى قام بها كبار الضباط فى الوكالة.

Allen, Charles F., and Jonathan Pottis. Bill Clinton: Comeback Kid. Carol, 1992.

Anderson. Jack, and Dale Van Atta. Intrigue in the Ozarks." Washington Post, March 1.1989.

Legacy of a Slain Drug Infonner." Washington Post, Feb. 28.1989.

"Medellin Cartel Targets DEA Agents." Washington Post, Sept. 16,1988. "Kings of the Medellin Cartel." Washington Post, August 24, 1988.

Arbanas. Michael. "Hutchinson Knew in '83 of Seal Probe. Ex-IRS Agent Says." Arkansas Gazette, Sept.19, 1990.

"Troth ori Mena. Seal Shrooded in Shady Allegations ". Arkansas Gazette, Dec. 22, 1990.

"FBI Apparently Investigating Mena, Seal."Arkansas Gazette, May 24, 1991.

Bowers, Rodney. "Slain Smuggler Used Airport." Arkansas Gazette, Dec.14. 1987.

"House Investigators Open Mena Probe." Arkansas Gazette, Dec.17. 1987. Byrd, Joann.

'Pot on Hold." Washington Post, Feb.12, 1995.

Cockburn, Alexander. "Say It with Flowers." Nation, Feb.10, 1992.

"Chapters in the Recent Histoty of Arkansas." Nation, Feb., 24, 1992.

"The Secret Life of a Parking Meter Manufacturer." Nation, April 6,1992.

"Clinton Cocaine Scares." Nation, April 20.1992.

"Time's Attack on Nation," May 4, 1992.

Cockbum. Leslie. Out of Con trol. Atlantic Monthly Press, 1987.

Crudele. John. "Drugs and the CIA - A Scandal Unravels in Arkansas." New York Post. April21. 1995.

"Bombshell in Arkansas Investigations Brings Both Parties the Jitters." New York Post. August 14. 1995.

Eddy, Paul. Hugo Sabogal and Sara Walden. The Cocaine Wars. Norton, 1988.

Epstein, Edward Jay. "On the Mena Trail." The Wall Street Journal. April20. 1994.

Evans-Pritchard. Ambrose. "Airport Scandal Set to Crash into White Hoose." Daily Telegraph. March 27, 1995.

Gutman, Roy. "The World That Made Cocaine." Washington Post, May 21,1989.

Haddigan, Michael. "'Fat Man's Key to Mystery." Arkansas Gazette, June 26,1988.

"The Kingpin and His Many Connections." Arkansas Gazette, June 27,1988.

Henson, Maria. "Testimony Reveals Leak in Drug Probe: Cost Seal His Life Witness Says." Arkansas Gazette, July 29,1988.

Isikoff. Michael. "Noriega Lawyer Scores Prosecution." Washington Post, April 12, 1992.

"Dispatches from the Drug Front." Washington Post, July 1.1990.

Kwitny. Jonathan. "Dope Story: Doubts Rise on Report Reagan Cited in Tying Sandinistas to Cocaine." Wall Street Journal, April 22, 1987.

Lardner. George. "Ex-CIA Airline Tied to Cocaine." Washington Post, Jan.20, 1987.

Lewis, Charles, Alejandro Benes and Meredith O'Brien. The Buying of the President. Avon Books, 1996.

Maranis, David. First in His Class: The Biography of Bill Clinton. Simon and Schuster, 1995.

Mermelstein, Max. The Man Who Made It Snow. Simon and Schuster, 1990.

Morris. Roger. Partners in Power The Clintons and TheirAmerica. Henry Holt, 1996.

Morris. Roger. and Sally Denton, "The Crimes ofMena." Penthouse, Feb.1995.

Morris, Scott. "Clinton: State Did All It Could in Mena Case." Arkansas Gazette, Sept. 11.1991.

Morrison, Micah. "Mena Coverup? Razorback Columbo to Retire." Wall Street Journal. May 10, 1995.

"Mysterious Mena." Wall Street Journal, June29, 1994.

"Mysterious Mena: CIA Discloses, Leach Disposes." Wall Street Journal, Jan.29, 1997.

Nabbefeld, Joe. "Evidence on MenalCIA Ties to Go to Walsh." Arkansas Gazette, Sept.

10,1991.

Norman, Jane. "Arkansas Airstrip Under Investigation." Des Moines Register, Jan.26, 1996.

North, Oliver, and William Novak. Under Fire: An American Story. HtrpeCollins. 1991.

Parry, Robert. Fooling America: How Washington Insiders Twist the Truth and Manufacture the Conventional Wisdom. Morrow, 1992.

Pincus, Walter. "Hitz Says Arkansas Town Not a Secret CIA Base." Washington Post, Nov. 9, 1996.

Reed, Terry, and John Cummings. Compromised: Clinton, Bush and the CIA. Shapolsky Publishers, 1994.

Robinson, Deborah. "Unsolved Mysteries in Clinton Country." In These Times, Feb. 12-18, 1992.

Sharkey, Jacqueline. "True North." Nation, June 13, 1994.

Snepp, Frank. "Clinton and the Smuggler's Airport." Village Voice, April 14, 1992.

Starr, John Robert. Yellow Dogs and Dark Horses: Thirty Years on the Campaign Beat. August House Books, 1987.

Tyrell, R. Emmett Jr. "The Arkansas Drug Shuttle." American Spectator, August 1995.

US Central Intelligence Agency. Inspector General's Report on CIA Activities at Mena, Arkansas (Declassified Surnmary). Central Intelligence Agency, Nov.1996.

US Congress. House. Subcommittee on Crime of the Committee on the Judiciary (Hughes Committee). Enforcement of Narcotics, Firearms, and Money Laundering Laws. Appendix L Chronology of Seal's Role as Drug Trafficker and Confidential Informant for the Drug Enforcement Administration. Government Printing Office, 1989.

Subcommittee on Crime of the Committee on the Judiciary (Hughes Committee). Enforcement of Narcotics, Firearms, and Money Laundering Laws. Testimony of Ernst Jacobsen. Drug Enforcement Field Agent. Ron Caffery, Chief of the Cocaine Desk in 1984, DEA; Frank Monastero. Former Assistant Administrator DEA; and Dave Westrate, Assistant Administrator DEA. Government Printing Office, 1989.

Commerce, Consumer and Monetary Affairs Subcommittee of the Committee on Government Operations. Continued Investigations of Senior-Level Employee Misconduct and Mismanagement at the Internal Revenue Service. Government Ptinting Office, 1991.

US Executive Office of the President. "Transcript of Questions Asked of President Wi'liam J. Clinton." White House Press Office, Oct. 7, 1994.

14

التحالف الأسود

وكالة الاستخبارات المركزية
والمخدرات والصحافة

الحياة الخفية للتجارة الحرة: المكسيك

عالج الجزء الأكبر من هذا الكتاب التواطؤ بين وكالة الاستخبارات المركزية ومنتجى المخدرات وتجارها . وقد بيَّنا كيف أن الضرورة السياسية الخاصة بالوكالة قادتها منذ اللحظة الأولى لإنشائها إلى الدخول فى ارتباطات إجرامية. ولكن كما سبق وأكدنا، فإنه من الخطأ اعتبار وكالة الاستخبارات المركزية "وكالة مارقة" بصورة أو بأخرى؛ فالوكالة بتجنيدها العلماء النازيين، أو بإنقاذها مجرمى حرب مثل كلاوس باربى من حبل المشنقة، أو بدعمها لمحاصيل المخدرات فى جنوب شرقى آسيا، أو بحمايتها لنقل المخدرات من أمريكا اللاتينية شمالاً، كانت على الدوام تتبع سياسة أمن قومى حددتها الحكومة الأمريكية. ولا تبين القصة المكسيكية ودور البنوك الأمريكية مجرد تواطؤ وكالة تجسس مع تجارة المخدرات، بل تواطؤ الصناعة المصرفية الأمريكية ككل. فلم يكن نهب المكسيك، ولا فساد مؤسساتها، بالأمر البعيد. إنه شىء غامض غموض الفساد السياسى فى بانكوك. فحتى لو بدت الدولة المكسيكية كياناً بلا قانون، مثل شيكاغو عام ١٩٢٨، وحتى حين كانت موجة عاتية من المخدرات وأمواج المخدرات تتجه شمالاً، فقد كانت الحكومة الأمريكية، تدعمها الصحافة الأمريكية كافة، تمتدح بصوت عال الحكم الفاسد الذى تديره عائلة ساليناس Salinas[1] باعتباره "ذا توجه إصلاحى"، بل وتحث على توثيق العلاقات معه أكثر وأكثر.

ومع أن هذا الكتاب فى أغلبه عن وكالة الاستخبارات المركزية، فإنه من الظلم بالنسبة للوكالة ألا نؤكد على امتداد رعاة تجارة المخدرات وميسِّريها ومن يمدون لها يد العون إلى داخل المؤسسات الأمريكية التى تكد وكالة الاستخبارات المركزية لتحقيق

(١) تولى كارلوس ساريناس دى جورتارى رئاسة المكسيك فى ديسمبر ١٩٨٨، بعد انتخابات كانت نتيجتها مثار جدل بسبب ادعاءات تتعلق بالتلاعب فيها. **(المترجم)**

مصلحتها – على المدى الأبعد. وعلى الوجه الآخر من العملة، نجد أن الحكومة الأمريكية التى تدعم مليارديرات المخدرات، تساعد كذلك بدأب فى قمع حركات المقاومة الشعبية، كما سنبين فيما يلى.

فى الساعة الثانية عشرة من ظهر ٧ فبراير ١٩٨٥، أغلق إنريكى "كيكى" كامارينا Enrique "Kiki" Camarena كبير عملاء وكالة مكافحة المخدرات فى المكسيك، درج مكتبه على شارته ومسدسه وغادر المكتب الموجود فى القنصلية الأمريكية متجهًا إلى موعد غداء مع زوجته جنيبا Geneva. انتظرت الزوجة ساعتين فى المطعم، ولكن كامارينا لم يأت. ولم تبلغ عن غيابه حتى صباح اليوم التالى؛ ظنًا منها أنهم احتجزوه فى العمل. وفى وقت لاحق من ذلك اليوم، تلقى مكتب وكالة مكافحة المخدرات فى جوادالاخارا مكالمة تليفونية من مجهول يقول فيها إن كامارينا اختطفه اتحاد مخدرات يرأسه مجيل فيليكس جالاردو Miguel Felix Gallardo و إرنستو فونسيكا كاريو Ernesto Fonseca Carello ورفاييل كارو كينتيرو Rafael Caro Quintero، وكان هؤلاء هم أنفسهم تجار المخدرات الذين كان كامارينا يتحرى عنهم طوال العامين السابقين.

وأفاد شاهدان جىء بهما أنه بينما كان كامارينا يغادر القنصلية الأمريكية أحاط به خمسة رجال مسلحون وألقوا به فى المقعد الخلفى لسيارة كانت تنتظر وقال الشاهدان إن الرجال المسلحين بدوا وكأنهم من الشرطة السرية المكسيكية DFS. وأفاد مرشد آخر وكالة مكافحة المخدرات بأنه سمع كلامًا عن أن اتحاد جالاردو - كينتيرو كان يخطط لقتل "رجل قانون".

وبعد يومين علمت وكالة مكافحة المخدرات أن رفاييل كارو كينتيرو موجود فى مطار جوادالاخارا استعدادًا لركوب طائرته الخاصة متجهًا إلى مكسيكو سيتى. اتصل العملاء بالشرطة القضائية الفدرالية المكسيكية وتجمعوا فى المطار، وكان يحيط بالطائرة عشرة رجال مسلحون بمدافع AK-47، وذهبت مدير الشرطة أرماندو بافون Armando Pavón إلى كارو كينتيرو، وما أدهش عملاء وكالة مكافحة المخدرات أن بافون وكارو كينتيرو تصافحا وتحدثا بود، وسُمح للطائرة بالإقلاع. وأبلغ بافون العملاء الأمريكيين أن كل شىء تحت السيطرة، لأن الحراس المسلحين كانوا بالفعل عملاء من

الشرطة السرية المكسيكية الذين كلفهم وزير الداخلية بحماية كارو كينتيرو. وعلمت وكالة مكافحة المخدرات فيما بعد أن كارو كينتيرو قدم لبافون ٣٠٠ ألف دولار كى يسمح لطائرته بالإقلاع.

وبالشكل الذى أعادت به وكالة مكافحة المخدرات فيما بعد تصور وقوع الأحداث ، فقد أُقْتيد كامارينا ودليله الفريدو ثابالا أباليريس Alfredo Zavala Avaleres، الذى أُسر كذلك، إلى مزرعة نائية يملكها فيليكس جالاردو. وطوال الثلاثين ساعة التالية تعرض الرجلان لضرب مبرح، حيث حاول أمراء المخدرات معرفة مدى علم وكالة مكافحة المخدرات بمشروعهم. كما حقنوا كامارينا عدة مرات بالأمفيتامينات، لإبقائه واعيًا طوال الجلسة. وقد سجلت عصابة المخدرات وأعوانها من الشرطة السرية المكسيكية الاستجواب والتعذيب.

وكان كامارينا، الذى كان من المقرر تجديد تكليفه فى شهر مارس من ذلك العام، قد أصبح خطرًا كبيرًا على اتحاد جوادالاخارا. وكان قد شن فى الشهور السابقة غارات مذهلة على اثنتين من أكبر مزارع الماريوانا. ولكن الأمر الأكثر إزعاجًا هو أن كامارينا كان قد بدأ كذلك كشف الصلات التى تربط الاتحاد بالشرطة السرية المكسيكية وبكبار الساسة المكسيكيين فى الحزب الثورى المؤسسى PRI.

وأخيرًا، وفى وقت ما من يوم ٩ فبراير، قُتل كامارينا وثابالا. ومن الواضح أن كامارينا مات حين دُفع مفك صليبة بقوة فى جمجمته. وبعد شهر عُثر على جثتيهما فى حفرة غير عميقة بمزرعة بولاية ميتشواكان Michoacán، وكانت الجثتان ملفوفتين بالبلاستيك ومقيدتى اليدين والقدمين. وقررت وكالة مكافحة المخدرات فيما بعد أن الجثتين ألقيتا فى المزرعة بعد مداهمة غريبة قامت بها الشرطة السرية المكسيكية وقتل أثناءها أربعة من أمراء المخدرات. كما خمنت أن تكون الجثتان تركتا فى ميتشوالان لتوريط السياسى اليسارى جواوتيموك كارديناس Guauhtmoc Carden فى جريمتى القتل.

وكان اتحاد جوادالاخارا يسيطر على أكبر عملية ماريوانا ويعمل بصورة خفيفة فى إنتاج الأفيون. ولكن أكثر مشروعات الاتحاد ربحية هو خط إمداده المباشر من الكوكايين

الكولومبى. فبعد زيادة جهود المنع فى جنوب فلوريدا فى أوائل الثمانينيات، لجأ الكولومبيون إلى المكسيك كنقطة إعادة تصدير لما ينتجونه من كوكايين للأسواق الأمريكية. وبدلاً من مجرد الحصول على أتعاب نقل الكوكايين عبر الحدود، كان اتحاد جوادالاخارا يحصل على حصة من الهيروين، كانت تصل فى كثير من الأحيان إلى ٥٠ بالمائة. وجعلهم ذلك بعد وقت قصير فاعلين كبارا فى تجارة الكوكايين وجاء لهم بفيض من الأموال. وطبقًا لبعض الحسابات، فإن شبكة فيليكس جالاردو وفونسيكا وكارو كينتيرو كانت تحقق مليار دولار فى السنة. وفى عام ١٩٨٢، علمت وكالة مكافحة المخدرات أن فيليكس جالاردو نفسه كان ينقل ٢٠ مليون دولار شهريًا من خلال حساب واحد فى بنك أوف أمريكا Bank of America فى سان دييجو. وطلبت وكالة مكافحة المخدرات العون من وكالة الاستخبارات المركزية فى التحرى عن خطة غسيل الأموال، ولكن الأخيرة رفضت.

والواقع أن وكالة مكافحة المخدرات اقتنعت بعد وقت قصير بأن القوى التى وراء مقتل كامارينا كانت تتعدى بكثير مهربى المخدرات والشرطة المكسيكية الفاسدة لتشمل وكالة الاستخبارات المركزية نفسها. ومازال بعض العملاء فى وكالة مكافحة المخدرات يعتقدون أنه ربما تكون وكالة الاستخبارات المركزية قد تجسست على تعذيب كامارينا.

وظهرت الدلائل المبكرة على أن هناك مشاركة أوسع حين عثر المحققون على شاهدين قالا إنهما كانا حاضرين فى الاجتماعات التى خطط فيها زعماء الاتحاد وأفراد من جهاز الأمن المكسيكى DFS لخطف كامارينا وقتله. وحضر تلك الجلسات كذلك خوان متّى باليستروس، ملك المخدرات الهُندوراسى الذى تربطه صلات بوكالة الاستخبارات المركزية وسبق لنا الالتقاء به فى فصل سابق.

وكان أحد الشاهدين، وهو إيكتور سربانتيس سانتوس Hector Servantes Santos، حاضراً اجتماعًا عقد فى أكتوبر ١٩٨٤، حين ناقش زعماء الاتحاد كيفية التعامل مع كامارينا. وذكر سربانتيس أنه كان واضحًا له أن الاتحاد لديه معرفة مفصلة إلى حد ما بتحركات كامارينا ومصادر معلوماته الأساسية. وانتهت وكالة مكافحة المخدرات إلى أنه إما أن الاتحاد له عين داخل مكتب جوادالاخارا، أو أنهم يتنصتون على المكتب. ويذكر سربانتيس أنه فى وقت ما أثناء الاجتماع، اقترح متّى ضرورة أسر كامارينا وقتله. وقال متّى: "السكوت من ذهب."

وكان متَّى همزة الوصل الرئيسية ببارونات كولومبيا. وكان قد قدم سلف فيليكس جالاردو، البرتو سيثيليا فالكون Alberto Sicilia-Falcon، لأكبر تاجر كوكايين بالجملة في كولومبيا، وهو سانتياجو أوكامبو Santiago Ocampo، وأوكامبو هو مؤسس اتحاد كالي، وقالت وكالة مكافحة المخدرات إنه العقل المدبر لـ «أكبر عملية لتهريب الكوكايين في تاريخ الولايات المتحدة» وكان متَّى، وهو كيميائي هُندوراسي ويتمتع بمهارة كبيرة في النقل، يشرف على شبكة الإمداد والتموين والرشاوى السياسية في بنما وهُندوراس والمكسيك والولايات المتحدة، ووصف أحد عملاء وكالة مكافحة المخدرات بأنه "على نفس مستوى حكام اتحاد ميديين".

وكما سبق وبيَّنا في فصل مضى، فإنه في نفس اللحظة التي كان فيها متَّى يخطط لخطف كامارينا وقتله، كانت شركته، سيتكو إنكوربوريشن، واحدة من شركات نقل كونترا الأساسية، فقد استأجر مقاتلو كونترا سيتكو، مستغلين أموال وكالة الاستخبارات المركزية لنقل الأسلحة والجنود والمعدات إلى معسكرات في هُندوراس وكوستاريكا. وحتى بعد توجيه إصبع الاتهام إلى متَّى في قضية كامارينا، ظلت شركاته تتلقى تمويلاً من وزارة الخارجية الأمريكية، حيث حصلت على ١٨٦ ألف دولار مقابل نقل مساعدات "إنسانية" إلى مقاتلي كونترا.

ويقول شاهد آخر من شهود وكالة مكافحة المخدرات، وهو إنريكي بلاسينثيا أكيلا Enrique Plascencia Aquila، إنه رأى متَّى في اجتماع في منزل إرنستو فونسيكا في ديسمبر ١٩٨٤، حيث مُررت صورة كامارينا على الجالسين في الغرفة. وهو يشير كذلك إلى مراجعة أمراء المخدرات لملف عن كامارينا جمَّعته الشرطة السرية المكسيكية، وطبقًا لما ذكره بلاسينثيا، فقد خُطط لخطف كامارينا في هذا الاجتماع.

وهكذا علم ضباط وكالة مكافحة المخدرات الذين كانوا يحققون في مقتل كامارينا أن مصرع عميل المخدرات كان عملية مشتركة بين اتحاد المخدرات والشرطة السرية المكسيكية، وهي جهة تربطها صلات وثيقة بوكالة الاستخبارات المركزية. وقال عميل وكالة مكافحة المخدرات المتقاعد جيمس كويكندال James Kuykendall، الذي سبق له العمل إلى جانب كامارينا في المكسيك: "لم يكن يعني وكالة الاستخبارات المركزية

سوى كوبا والاتحاد السوفيتى. ولا بد أن تتحمل [وكالة الاستخبارات المركزية] بشكل غير مباشر بعض اللوم."

ويزعم كويكندال أن وكالة الاستخبارات المركزية ظلت عشرات السنين تحمى الشرطة السرية المكسيكية، حتى مع علمها بإفساد تجار المخدرات لهذه الجهة الأمنية. وقال كويكندال: "لم يكونوا يريدون لصلتهم بالشرطة السرية المكسيكية أن تنقطع فى يوم من الأيام، وكانت الشرطة السرية المكسيكية قد فلت زمامها"، ومن بين كبار عملاء الشرطة السرية الذين رُبِط بينهم وبين مقتل كامارينا، ميجيل ألدانا Miguel Aldana وسيرخيو إسبينو بيردن Sergio Espino Verdin، وكان لدى وكالة مكافحة المخدرات كذلك أدلة تربط مسئولين مكسيكيين آخرين رفيعى المستوى باختطاف كامارينا، وهما مانويل ايبارا Manuel Ibarra مدير الشرطة القضائية الفدرالية، وروبن ثونيو أرثى Ruben Zuño، صهر لويس ايتشيبيريا Luis Echeverra رئيس المكسيك السابق.(١)

وكان جزء كبير من معلومات وكالة مكافحة المخدرات عن صلات المسئولين المكسيكيين رفيعى المستوى بخطف كامارينا مصدره تقارير استجواب لأمير المخدرات رفاييل كارو كوينتيرا قام به سابيدرا فلوريس Saavedra Flores، المساعد الخاص لمانويل ايبارا. وكان سافيدرا كوبيًا يعيش فى المنفى يعتقد عملاء وكالة مكافحة المخدرات أنه تربطه صلات بجماعات مناوئة لكاسترو، تدعمها وكالة الاستخبارات المركزية، تعمل فى المكسيك. وقبل أن يصبح سابيدرا الذراع اليمنى لإيبارا فى الشرطة القضائية المكسيكية، كان رتبة كبيرة فى الشرطة السرية المكسيكية. وبعد إلقاء القبض على كارو كوينتيرو مباشرة، حظى بمعاملة طيبة من المكسيكيين وسُمح له بالاستمرار فى إدارة إمبراطورية المخدرات الخاصة به من خلال تليفون محمول فى زنزانته. وتحت ضغط متزايد من الولايات المتحدة، استجوب سايدرا كارو كينتيرو بخصوص مقتل كامارينا، ولكى يجبر سايدرا تاجر المخدرات على الكلام، استخدم أسلوب تعذيب يسمى el tehuacanazo، وهو اسم ماركة مياه فوارة مشهورة فى المكسيك فكان سافيدرا يدفع بالمياه المشبعة بغاز ثانى أكسيد الكربون والمضافة إليها الشطة فى أنف

---

(١) من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٦. **(المترجم)**

كينتيرو. ولم يكن تاجر المخدرات بحاجة إلى وقت طويل حتى يخرج ما فى جوفه، حيث كشف أسماء كبار المسئولين المكسيكيين الموجودة أسماؤهم على كشوف رواتب الاتحاد. وبرز بين تلك الأسماء التى قدمها كارو كينتيرو اسم خوسيه أنطونيو ثوريلا بيريث José Antonio Zorrilla Pétez، قائد الشرطة السرية المكسيكية. وكغيره من رؤساء الشرطة السرية المكسيكية، كان ثوريلا يتمتع بتدليل وكالة الاستخبارات المركزية.

ومع أن ثوريلا لم توجه له أية تهمة فى قضية كامارينا، فقد ألقى القبض عليه عام ١٩٨٩ لاشتراكه فى مايو ١٩٨٤ فى قتل الكاتب الصحفى المكسيكى البارز مانويل بويندیا Manuel Buendia. وحين أُردى بويندیا قتيلاً، كان يقوم بتحقيق حول الصلات بين الشرطة السرية المكسيكية واتحادات المخدرات. وكان اغتيال بويندیا وما أعقبه من تغطية، جزءًا من مشروع للشرطة السرية المكسيكية اسمه "العملية أخبار".

ومن الواضح أن صلات كارو كينتيرو بكبار قادة الشرطة السرية المكسيكية أقنعت سافيدرا بأنه قد يكون من الحكمة تغيير الأماكن. وفى الحال انضم إلى تغطية قضية كامارينا، حيث ساعد متّى باليستروس فى تحاشى القبض عليه فى المكسيك والهرب إلى ملاذ آمن فى لهارتاخينا Cartagena فى كولومبيا. وسرعان ما غادر سابيدرا المكسيك إلى لوس أنجلوس، حيث حصل على وظيفة ذات راتب محترم فى شبكة التليفزيون المكسيكية "تليبيسيا" Televisia، وكانت تليبسيا، التى كانت فى ذلك الوقت تكاد تتمتع باحتكار سوق التليفزيون المكسيكية، تربطها صلة وثيقة بالحزب الثورى المؤسسى الحاكم ويديرها "أغنى رجل فى المكسيك"، وهو الميارديرإميليو أثكاراجا Emilio Azcaraga. وتعقبت وكالة مكافحة المخدرات سابيدرا عام ١٩٨٨ وطلبت منه التعاون فى قضية كامارينا. وبعد بضعة أيام، اختفى سابيدرا وعائلته.

ولم يكن سابيدرا الشاهد المفقود الوحيد. فقد قُتل ما لا يقل عن ثلاثة عشر شخصاً لهم صلة بقضية كامارينا أثناء التحقيق، بينهم ثلاثة من المتهمين الاثنين والعشرين والعديد من مخبرى الشرطة السريين. وهناك شهود آخرون محتملون جمعتهم الشرطة السرية المكسيكية والشرطة القضائية المكسيكية واحتجزتهم، كى تسكتهم حسب اعتقاد وكالة مكافحة المخدرات.

وكان أحد أبرز الشهود أحد أبناء كاليفورنيا اسمه لورانس هاريسون. وهاريسون طالب سابق بجامعة كاليفورنيا في باركلي، حيث انخرط في السياسة اليسارية وساعد على تنظيم الاجتماعات المناوئة للحرب، قبل أن يتوجه إلى المكسيك في أوائل السبعينيات. وهناك حصل هاريسون في النهاية على وظيفة اختصاصي اتصالات في الشرطة السرية المكسيكية ومكتب التحقيقات السياسية والخاصة بوزارة الداخلية. ويقول هاريسون عن عمله: كان تركيب أنظمة التنصت الإلكترونية فائقة التكنولوجيا لمصلحة وكالتي الاستخبارات هاتين.

وكان ذلك الكاليفورني الأشقر البالغ طوله ٦ أقدام و٧ بوصات [١٩٧.٥ سم] معروفًا بين زملائه المكسيكيين باسم Torre Blanca أي البرج الأبيض، وهو يقول إنه علم في أوائل الثمانينيات بالعلاقة الوثيقة بين الشرطة السرية المكسيكية واتحاد جوادالاخارا، وطبقًا لما يقوله هاريسون، فقد كانت الشرطة السرية المكسيكية، في واقع الأمر، بمثابة جيش خاص للاتحاد يحميه من الاعتقال والعمليات المنافسة التي تعوق نشاطه. ويقول هاريسون إن رؤساءه في الشرطة السرية المكسيكية طلبوا منه في عام ١٩٨٣إعداد نظام اتصالات ومراقبة متطور من أجل اتحاد جوادالاخارا.

وفي محاكمتين في لوس أنجلوس، شهد هاريسون أنه أمضى الفترة من يوليو حتى يناير ١٩٨٤ في منزل جوادالاخارا الخاص بتاجر المخدرات الكبير إرنستو فونسيكا، حيث ركَّب وأدار عملية التنصت. ومن بين مهامه الأخرى، يزعم هاريسون أنه ابتكر نظامًا لمراقبة مكتب كامارينا في وكالة مكافحة المخدرات.

وهو يقول إنه سجل مئات المحادثات بين تجار المخدرات وأعوانهم في الشرطة السرية المكسيكية في مكسيكو سيتي. وقال هاريسون في شهادته: "باعتباري مهندس أنظمة، كنت أستمع إلى النظام وأراقبه مراقبة تامة ٢٤ ساعة يوميًا طوال الفترة التي ركبته وشغلته فيها."

ويذكر هاريسون محادثة مع فيليكس جالاردو أبلغه فيها تاجر المخدرات أن عمليات الاتحاد في الولايات المتحدة تتمتع بدرجة عالية من الحماية، لأنهم يرسلون أسلحة وأموالاً إلى مقاتلي كونترا النيكاراجويين. ويشير تقرير لوكالة مكافحة المخدرات يعود

إلى عام ١٩٨٩ إلى أن هاريسون أبلغ المحققين كذلك أن مزرعة فيليكس جالاردو القريبة من بيرا كروث كانت تستخدمها وكالة الاستخبارات المركزية لتدريب القوات الجواتيمالية. ويورد التقرير قول هاريسون إن "ممثلى الشرطة السرية المكسيكية - التى كانت الواجهة لمعسكر التدريب - كانوا فى واقع الأمر يعملون بالاتفاق مع كبار أمراء المخدرات لضمان تدفق المخدرات عبر المكسيك إلى الولايات المتحدة". ويذكر التقرير أن مزرعة فيليكس جالاردو كانت هدفًا لإحدى مداهمات الماريوانا فى أوائل الثمانينيات التى قامت بها الشرطة القضائية الفدرالية المكسيكية، التى واجهتها قوات جواتيمالية - على غير ما هو متوقع - وقتلتها. ويمضى التقرير فيقول: "قُتل نتيجة للمواجهة ١٩ من عملاء الشرطة القضائية الفدرالية المكسيكية، وظهرت على الكثير من الجثث آثار التعذيب. وقد سُحِلَت الجثث وقُطِّعت إلى أربعة أجزاء."

وبطبيعة الحال، أنكرت وكالة الاستخبارات المركزية على الفور أنها استخدمت مزرعة بيرا كروث كساحة تدريب. ولكن هاريسون حى يرزق، وقد شهد أثناء محاكمات المتهمين فى قضية كامارينا بأن عملاء وكالة الاستخبارات المركزية زاروا زعماء الاتحاد. فقد قال هاريسون إنه بينما كان يعمل فى منزل فونسيكا، جاء أمريكيان للترتيب لصفقة مخدرات. ويقول هاريسون إنه حذرهما كى ينتبها وهما عائدان بالمخدرات عبر الحدود الأمريكية. إلا أن الرجلين ضحكا وقالا إنه ليس هناك ما يقلقهما كثيرًا لأن تهريب المخدرات تحميه وكالة الاستخبارات المركزية. كما قالا لهاريسون: "نحن نعمل مع مقاتلى كونترا."

وعرَّف هاريسون كذلك زائرًا أمريكيًا آخر لمنزل فونيسكا بأنه تيودور كاش Theodore Cash، الطيار السابق فى إير أمريكا. وفى قضية مخدرات منفصلة، أدلى كاش بشهادته باعتباره شاهدًا حكوميًا، واعترف بأنه عمل مع وكالة الاستخبارات المركزية لمدة عشر سنوات. ومن الواضح أن كاش كان يهرِّب المخدرات والسلاح لاتحاد جوادالاخارا، بما فى ذلك العديد من المرات التى أسقط فيها سلاحًا لمعسكرات كونترا فى هُندوراس.

وكان محامو المتهمين فى قضية كامارينا يعتقدون أن هاريسون نفسه كان مصدرًا من مصادر وكالة الاستخبارات المركزية، وهو الشك الذى شارك فيه العديد من عملاء

وكالة مكافحة المخدرات، فقد قال جريجورى نيكولايسن Gregory Nicolaysen، وهو أحد محامى المتهمين: "من الواضح أن وكالة الاستخبارات المركزية كانت تنمى علاقاتها بشبكة شديدة القوة والكفاءة لنقل السلاح من خلال الاتحاد. فهى لم تكن ترغب فى أن تفسد لها وكالة مكافحة المخدرات الخطة." ووصف نيكولايسن هاريسون بأنه "ضابط الاتصال بين الوكالة والاتحاد".

وغادر هاريسون المكسيك عام ١٩٨٨، ودخل كشوف رواتب وكالة مكافحة المخدرات باعتباره مرشداً. أما متّى باليستيروس فقد تعقبوه فى كولومبيا وأُلقى القبض عليه وأدين بتهمة التآمر بسبب دوره فى خطف كامارينا وقتله. وحوكم فيليكس جالاردو وكارو كوينتيرو وأكثر من اثنى عشر آخرين وأدينوا فى المكسيك.

وتعود صلات وكالة الاستخبارات الأمريكية بأمراء المخدرات فى المكسيك إلى ما قبل قضية كامارينا. فقد ظل مركز مكسيكو سيتى فترة طويلة أهم قاعدة من قواعد عمليات وكالة الاستخبارات المركزية فى أمريكا اللاتينية. ورغم العلاقة الخشنة بعض الشىء مع الساسة المكسيكيين، فقد كانت الوكالة تحتفظ دائماً بعلاقة ودية مع الجيش وجهاز الأمن الداخلى فى المكسيك وتعمل على تنميتها. والواقع أن الشرطة السرية المكسيكية - التى تأسست عام ١٩٤٦ - كانت إلى حد كبير صنيعة وكالة الاستخبارات المركزية، التى ساهمت بجزء كبير من ميزانية هذه الهيئة منذ الخمسينيات وتضع الكثير من كبار ضباطها على كشوف رواتبها.

وكانت وكالة الاستخبارات المركزية تنظر إلى الشرطة السرية المكسيكية على أنها مكون مهم من مكونات شبكة الاستخبارات الأمريكية. فقد كانت بمثابة مصدر للمعلومات الخاصة بأنشطة السوفييت والكوبيين ومسئولى الكتلة الشرقية فى المكسيك، وكانت تقدم معلومات استخبارية عن الثورات الشعبية فى أنحاء أمريكا اللاتينية، وتحمى بعض أكثر أعوان وكالة الاستخبارات المركزية إشكالية، وبالأخص الكوادر النامية من الكوبيين المعارضين لكاسترو. وأحد الكوبيين ممن يعيشون فى المنفى ويتمتع بتدليل الشرطة السرية المكسيكية هو ألبرتو سيثيليا فالكون. وكان سيثيليا فالكون يتسم بالجرأة والقسوة. وبحلول منتصف السبعينيات، اعتُبر ذلك الكوبى مهرب مخدرات بارزا فى نصف الكرة الغربى، وهى الشهرة التى أكسبته إياها أفضال الكثير

من الساسة المكسيكيين رفيعي المستوى، ومنهم ماريا إيستر ثونيو دى اتشيفيريا Maria Ester Zoño de echeverria، زوجة الرئيس المكسيكى لويس اتشيبيريا، وكانت لعائلة السنيورا اتشيبيريا صلاتها بتجارة المخدرات، بما فى ذلك صلاتها بعمليات الهيروين الأوروبية، وسوف يدان شقيقها روبين Robin فيما بعد لاشتراكه فى قتل إنريكى كامارينا.

وفر سيثيليا فالكون من كوبا عقب الثورة فى عام ١٩٥٩، لينزل فى ميامى. وهو يقول إن وكالة الاستخبارات المركزية فى ميامى دربته من أجل القيام بالعديد من الغارات الليلية على كوبا، لتسليم السلاح للقوات المناوئة لكاسترو على الجزيرة. وفى أواخر الستينيات، انتقل سيثيليا فالكون إلى المكسيك وشارك فى تجارة الماريوانا. وقد دخل تجارة الكوكايين فى أوائل السبعينيات بعد أن عرَّفه خوان متَّى باليستيروس على أميرى كوكايين كالى سانتياجو أوكامبو وبنيامين إيريرا ثويلتا Benjamin Herrera Zuelta المعروف بـ "بابا الكوكايين الأسود".

وسرعان ما أصبح سيثيليا فالكون مليارديراً يعيش فى مجمع محصن خارج تيخوانا يسمى المنزل المستدير. وكانت تحرس المقر قوات الشرطة السرية المكسيكية المحلية المسلحة بمدافع Ak-47. ومن داخل المنزل المستدير، كان سيثيليا فالكون يشرف على مشروع المخدرات الخاص به الذى يتعامل فى ٥ مليارات دولار فى العام، وشبكة تهريب سلاح، وفريق من البلطجية جاهز لاستخدامه ضد منظمات المخدرات المنافسة أو رجال الشرطة الذين لا يمكن إفسادهم.

ومن أقرب أعوان سيثيليا فالكون عميل دربته وكالة الاستخبارات المركزية وشارك فى عملية خليج الخنازير اسمه خوسيه إيجوثى بيخار José Egozi Bejar، وهو خبير مالى يعيش فى العالم الغامض حيث تتقاطع وكالات الاستخبارات، والجيوش الخاصة، والجريمة المنظمة كما أنه أعار مواهبه الضخمة للشرطة السرية المكسيكية، وكان يحتفظ بعلاقات ودية مع رجال المافيا فى لاس فيجاس.

وأجرى عملاء وكالة مكافحة المخدرات أثناء تحريهم عن سيثيليا فالكون مع إيجوثى. وقد اعترف لهم بأنه عرَّف سيثيليا فالكون على «مصادر سياسية» فى النخبة

المكسيكية، وساعده على إقامة شبكة من الحسابات المصرفية لغسل إيراداته من المخدرات، وأعطى أمير المخدرات ذات مرة كتالوج أسلحة خاصا بوكالة الاستخبارات المركزية. كما عملا معًا فى محاولة لتمويل البندقية المتطورة مورجان Morgan، وهى سلاح فائق القوة تصنعه شركة مركزها لوس أنجلوس كانت وكالة الاستخبارات المركزية تريد وضعه فى يد جيوشها السرية فى أمريكا اللاتينية. وفى عام ١٩٧٤، رتب إيجوثى وسيثيليا فالكون شحنة سلاح قيمتها ٢٥٠ ألف دولار لمحاولة انقلاب تدعمها وكالة الاستخبارات المركزية ضد البرلمان الاشتراكى المنتخب حديثًا فى البرتغال.

وتمثلت صلة سيثيليا فالكون الأخرى بوكالة الاستخبارات المركزية فى شخص ميجيل ناثار آرو Miguel Nazar Haro رئيس الشرطة السرية المكسيكية منذ منتصف السبعينيات حتى عام ١٩٨٢، وبعد إلقاء الشرطة المكسيكية ووكالة مكافحة المخدرات القبض على سيثيليا فالكون فى عام ١٩٧٦، تدخل ناثار، حيث حال دون تعذيب التاجر الكوبى أثناء الاستجواب. وبالطبع منع تدخل ناثار الحكيم سيثيليا فالكون كذلك من كشف صلاته بالساسة المكسيكيين ووكالات الاستخبارات.

وكان ناثار على كشف رواتب وكالة الاستخبارات المركزية منذ سنوات، وكان يرأس فريقًا مضادًا للانتفاضات تموله الوكالة يحمل اسم Guardias Biancas، أى اللواء الأبيض، ويعرف بقمعه الدموى للانتفاضات الشعبية. وامتدت اهتمامات رئيس الأمن كذلك إلى مشروع إجرامى أكثر تقليدية. فقد حصلت وكالة مكافحة المخدرات على شهود فى محاكمتى مخدرات فى الثمانينيات أشاروا إلى أن ناثار كان يأمر قوات الشرطة السرية المكسيكية بالعمل كمفارز أمن لكبار تجار المخدرات فى المكسيك. كما شهد الشهود بأن ناثار نفسه حقق ثروة من تجارة المخدرات.

وفى عام ١٩٧٩، حقق مكتب التحقيقات الفدرالى مع ناثار لاتهامه بإدارة عصابة لسرقة السيارات من مكتبه فى مكسيكو سيتى. وطبقًا لما ذكره المكتب، كان لصوص السيارات يسرقونها من لوس أنجلوس وسان دييجو، ويقودونها عبر الحدود ويتركونها عند مكتب الشرطة السرية المكسيكية فى تيخوانا. وبعد ذلك يأتى عملاء الشرطة السرية المكسيكية فيقودون السيارات المسروقة إلى مكسيكو سيتى ليتفحصها ناثار بنفسه، ثم تباع بعد ذلك. ولم تكن تلك بحال من الأحوال عملية

قصيرة الأجل؛ فقد قدر مكتب التحقيقات الفدرالى عدد السيارات التى سرقتها تلك العصابة بما يزيد على ٤ آلاف سيارة.

وأدانت هيئة محلفين كبرى فى سان دييجو ناثار وبعض أعوانه. ولكن وكالة الاستخبارات المركزية هبت لإنقاذ ذلك المكسيكى الذى يحظى برعايتها؛ إذ صدرت تحذيرات إلى وزارة العدل مفادها أن ناثار "مصدر معلومات مهم، نكرر مهم، لمركز وكالة الاستخبارات المركزية فى مكسيكو سيتى". وأكدت الوكالة أن توجيه الاتهام إلى ناثار سيكون "ضربة مأساوية" لأمن الولايات المتحدة". وزعمت الوكالة أن ناثار "أهم مصدر فى المكسيك وأمريكا الوسطى" بالنسبة لها.

وحصلت وكالة الاستخبارات المركزية على ما أرادت. وتدخل وكيل النائب العام لويل جنسن Lowell Jensen لمنع إصدار قرار اتهام ضد ناثار، وأغضب ذلك الإجراء ويليام كنيدى William Kennedy رئيس النيابة فى سان دييجو، الذى أفشى لأحد الصحفيين تكتيكات الوكالة القمعية فى قضية ناثار. وعلى الفور فُصل رونالد ريجان كنيدى بسبب ذلك العمل غير اللائق.

أما ضابطا الشرطة السرية المكسيكيان الآخران اللذان أُدينا فى قضية سرقة السيارات دون أن يحاكما، وهما خوبينتينو براد أورتادو Juventino Prado Hurtado وراؤول بيريث كارمونا Raúl Pérez Carmona، فقد أُلقى القبض عليهما فى وقت لاحق فى المكسيك لاشتراكهما عام ١٩٨٤ فى قتل الصحفى المكسيكى مانويل بوينديا. وفى النهاية حُلت الشرطة السرية المكسيكية عام ١٩٨٥، عقب اكتشاف التورط رفيع المستوى فى قضية كامارينا. إلا أن الكثيرين من الفاعلين الرئيسيين فيها انتقلوا إلى جهات أخرى، حيث انتهى بهم الحال فى مناصب فى الشرطة القضائية الفدرالية - التى هى على نفس القدر من الفساد والوحشية أو الجيش. وبالنسبة لناثار، فقد اختفى لبعض الوقت ثم عاد وظهر ثانية عام ١٩٨٩، حين اختاره الرئيس المكسيكى الجديد كارلوس ساليناس دى جورتارى Carlos Salinas de Gortari ليرأس إدارة استخبارات الشرطة التى استحدثها.

النافتا وكارلوس ساليناس
وظهور الاتحادات الاحتكارية المكسيكية

اختير كارلوس ساليناس دى جورتارى مرشحًا للحزب الثورى المؤسسى لانتخابات الرئاسة المكسيكية عام ١٩٨٨. وكان خبير الاقتصاد الذى تعلم فى هارفارد يتمتع بدعم متحمس من الحكومة والصحافة الأمريكيتين. وينتمى ساليناس إلى النخبة الحاكمة فى المكسيك؛ فقد تولى أبوه راؤول ساليناس لوثانو Raúl Salinas Lozano منصب وزير الصناعة والتجارة لفترة طويلة. ومنذ عام ١٩٨٢ وكارلوس ساليناس مهندس الاقتصاد المكسيكى، حيث كان يشرف على تعويمات البيزو التى لا يحدها شىء من موقعه كسكرتير مجلس الوزراء للبرامج والميزانيات.

ولم يفقد الحزب الثورى المؤسسى الحاكم سيطرته على الرئاسة فى المكسيك لأكثر من سبعين سنة. ولكن فى انتخابات ١٩٨٨ كان ينافس ساليناس المرشح الشعبى اليسارى جواوتيموك كارديناس. وبعد ظهور النتائج الأولية لفرز الأصوات، بدا أن كاريناس سيفوز. وهنا أمر وزير الداخلية بارتليت دياث Bartlett Diaz بوقف الفرز. وزعم بارتليت، وهو سمسار نفوذ قديم فى الحزب الثورى المؤسسى سبق اتهامه بالاشتراك فى خطف كامارينا، أن نظام الكمبيوتر الخاص بالانتخابات تعطل. وبعد عشرة أيام أُعلن أن ساليناس هو الفائز بحصوله على ٥٢ بالمائة من عدد الأصوات. وعلى مدى الشهر التالى، وجد أن كشوف الأصوات الرسمية عُدِّلت بوضع أصفار إضافية فى خانة حزب ساليناس الثورى المؤسسى. وعُثر على ٢٠ ألف صوت مؤيد لكارديناس فى أكوام النفايات الطافية على الأنهار. وكان التقدير المحايد للتصويت هو حصول كارديناس على ٤٢ بالمائة مقابل ٣٦ بالمائة لساليناس.

وأسعد واشنطن انتصار ساليناس . وفى ١٣ أبريل ١٩٨٩، كانت افتتاحية "واشنطن بوست" مطابقة لذلك النوع من الاستقبال الذى حظى به ساليناس فى الصحافة الأمريكية: "عندما تولى الرئيس المكسيكى كارلوس ساليناس دى جورتارى السلطة فى ديسمبر الماضى، كان معروفًا بصفته موظفًا حاصلاً على درجة علمية من هارفارد ومهتمًا بالاقتصاد – وليس على وجه الدقة كشخص تزيده الشدائد تألقًا وبريقًا. ويبدو

أن هذا، بالإضافة إلى الفارق الضئيل الذى فاز به فى الانتخابات، يشير إلى أسلوب قيادة يتسم بالتحفظ والحرص. إلا أن مستر ساليناس يسن القوانين، وليس من قبيل الصدفة أنه يؤكد سلطة الرئاسة بقوة لم تعهدها المكسيك طوال جيل كامل."

وكان مشروع نظام ساليناس الكبير هو خصخصة الاقتصاد المكسيكى. فقد ألغيت مبادرات الإصلاح الزراعى فى الريف المكسيكى وقطعت أوصال ميراث الثورة بلا رحمة. وانتقل ساليناس وبطانته بسرعة إلى قمع الحركة العمالية المكسيكية، وكان أول أعماله ما قام به ضد خواكين إيرنانديث جاليثيا Joaqún Hernndes Galicia، رئيس نقابة عمال البترول القوية، الذى خاض معركة الانتخابات باسم كارديناس. وبعد أقل من ثلاثة أسابيع من توليه السلطة، أمر ساليناس بالقبض على إيرنانديث باتهامه زوراً بأنه يخزن السلاح. وفى وقت لاحق من ذلك العام، أرسل ساليناس ٥ آلاف من القوات شبه العسكرية لسحق إضراب فى منجم كانانيا Cananea للنحاس فى سونورا Sonora، وأبدت السفارة الأمريكية إعجاباً خاصاً بوزير العمل فى حكومة ساليناس، أرسينيو فاريل Arsenio Farrell الذى لم تأخذه شفقة فى قمع النقابات العمالية والعمال المضربين. وذكر تقرير للسفارة الأمريكية عن اتجاهات العمال فى ظل حكومة ساليناس بابتهاج: "مازال فاريل محتفظاً بشهرته كخصم رهيب للعمال. ومازال يضغط على القطاع العمالى فى مسعى منه لإغلاق الباب فى وجه المطالبة بزيادة الأجور. ولم يتردد فاريل فى إعلان عدم مشروعية عدد من أعمال الإضراب، وبذلك يقلل احتمال نجاحهم."

وفى عام ١٩٩٢، رد ساليناس على المخاوف التى أبداها أصحاب مصنع أمريكى يمارسون عملهم شمالى المكسيك من أن أجابيتو جونثاليس Agapito Gonzáles زعيم نقابة عمال اليومية والعمال الصناعيين فى ماتاموراس Matamoras البالغ من العمر ٧٦ سنة، يجعل الحياة صعبة بإثارة أعمال العنف من أجر رفع الأجور. وأمر ساليناس بالقبض على جونثاليس بتهمة التهرب من الضرائب، وهو ما ثبت عدم صحته فيما بعد.

وفى الوقت الذى فتح فيه ساليناس المكسيك أمام سيل من الاستثمارات الأجنبية، دخل كذلك فى أكبر عملية للتخلص من الأعمال المملوكة للحكومة فى تاريخ المكسيك. وخلال السنوات الست التى قضاها ساليناس فى السلطة، باع ٢٥٢ شركة مملوكة

للدولة - منها شركة التليفونات الوطنية وأكبر ثمانية عشر بنكًا فى البلاد - بمبلغ ٢٣ مليار دولار عائدات للعليمين ببواطن الأمور فى الحزب الثورى المؤسسى والمقربين من ساليناس، الذين كان بمقدورهم من قبل تحقيق أرباح من نهب الأصول العامة فى المكسيك. وأدى الرخاء إلى ظهور مجموعة جديدة من المليارديرات. ولم يكن هذا الكرم والجود بلا تقدير. ففى فبراير ١٩٩٣، حين أخذت خزائن الحزب الثورى المؤسسى فى النضوب وكانت المعارضة اليسارية تزداد قوة، اجتمع الاثنا عشر مكسيكيًا - وهم أكبر مليارديرات البلاد - من أجل جمع الأموال، حيث أهاب بهم كارلوس ساليناس أن يمدوا أيديهم فى جيوبهم. ومع نهاية الاجتماع كان رجال الأعمال الاثنا عشر قد دفعوا ٧٥٠ مليون دولار. ودفع إميليو أثكاراجا رئيس شبكة التليفزيون المكسيكية "تليفيسا" وحده ٥٠ مليون دولار.

وتوج ساليناس فترة حكمه بمفاوضاته الناجحة الخاصة باتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية "نافتا" NAFTA، وعمل ساليناس عن قرب مع كل بوش وكلينتون لتمرير الاتفاقية لدى المعارضين على جانبى الحدود. وأغدقت الولايات المتحدة المال على المكسيك لحشد تأييد الجمهور المكسيكى على اتفاقية التجارة. وبعثت "المنحة القومية من أجل الديمقراطية" ما يزيد على مليون دولار إلى المكسيك فى عام ١٩٩٠ لزيادة التأييد للنافتا. وبالطبع عاد بعض المال إلى الولايات المتحدة كجزء من الملايين التى أنفقتها المكسيك لحشد تأييد أعضاء الكونجرس الذين ترددوا فى تأييد أية اتفاقية قد تشجع المزيد من الشركات الأمريكية على نقل فرص العمل الأمريكية إلى المكسيك.

لقد نُحِّيت جانبًا الأسئلة المتعلقة بحقوق الإنسان والبيئة وغسيل الأموال وتجارة المخدرات. والواقع أن حكومتى بوش وكلينتون منعتا كلاً من وكالة مكافحة المخدرات وهيئة الجمارك الأمريكية من إثارة موضوع المخدرات أثناء مفاوضات النافتا. وقالت كارول هالين Carol Hallen مفوضة الجمارك الأمريكية أثناء رئاسة بوش: "قالوا إننا لا يمكن أن نجعل المخدرات جزءًا من النقاش. وأظن أنها كانت غلطة فظيعة ألا نربط الأمرين ببعض."

كان عمل ذلك ليس بالأمر الصعب، فقد حجبت الحكومة الأمريكية أدلة تورط الشرطة والجيش المكسيكيين فى تجارة المخدرات أثناء وضع شروط النافتا. وعندما

أردى سبعة من عملاء المخدرات المكسيكيين قتلى فى كمين نصبه لهم ١٠٠ من أفراد الجيش المكسيكى كانت أسماؤهم على كشف رواتب اتحاد المخدرات، استنكر السفير الأمريكى المذبحة باعتبارها «حادثًا مؤسفًا. وكانت وكالة مكافحة المخدرات قد سجلت المذبحة على شريط فيديو من طائرة أخرى، تعرضت هى الأخرى لهجوم بالمدافع المضادة للطائرات من إحدى وحدات الجيش.

وذكر روبرت نيفز الرئيس السابق للعمليات الدولية فى وكالة مكافحة أن وكالته لم تتمكن قط من أن تجد أذنًا مصغية لمخاوفها من مدى فائدة النافتا لتجار المخدرات. وقال نيفز: "لم تكن المخدرات فى يوم من الأيام القضية رقم واحد فيما يتصل بالمكسيك. فهى تحتل مرتبة تأتى بعد اتفاقية التجارة الحرة لدول أمريكا الشمالية، والإنقاذ من المصاعب الاقتصادية، وغير ذلك من قضايا التجارة الثنائية."

ولكن عملاء المخدرات كانت لديهم أسباب وجيهة للقلق، حيث شهدت فترة حكم ساليناس توسعًا مذهلاً لتجارة المخدرات المكسيكية. فبحلول عام ١٩٩٠، كان أكثر من ٧٥ بالمائة من إجمالى الكوكايين الذى يدخل الولايات المتحدة يأتى عبر المكسيك. وظلت المكسيك مصدراً أساسيًا للهيروين ومشتقات الأمفيتامينات. وقدرت الحكومة المكسيكية نفسها ما تأتى به تجارة المخدرات بثلاثين مليار دولار سنويًا. وقدرت بعض الاستطلاعات الأخرى المبلغ بما يقرب من ٥٠ مليار دولار.

وكان يسيطر على تجارة المخدرات فى المكسيك أربعة اتحادات تملك مليارات الدولارات. فقد انقسم اتحاد جوادلاخارا القديم، الذى أسسه سيثليا فالكون، إلى عمليتين بعد إلقاء القبض على فيليكس جالاردو عام ١٩٨٩، أحدهما يتخذ من سينالوا Sinaloa مقراً له، ويتمركز الآخر فى تيخوانا. وكان يدير اتحاد تيخوانا الأخوان أريانو ـ فيليكس Arellano-Félix العنّيفان، اللذان كانا وراء أكثر من ٢٠٠ جريمة قتل بسبب المخدرات فى تيخوانا عام ١٩٩٢ وحده. وكانا الكثير من الضحايا يعذبون وتقطّع أطرافهم. وفى عام ١٩٩٣، أمرت عصابة أريانو ـ فيليكس باغتيال الكاردينال خوان خيسوس بوساداس كامبو Juan Jesus Posadas Campo فى مطار جوادالاخارا. فقد أحاط أربعة مسلحين بسيارة الكاردينال، وفتحوا الباب، وملأوا جسمه بالطلقات. وبعد ذلك دخل القتلة المطار، وأظهروا شارات تثبت أنهم أفراد فى الشرطة القضائية

الفدرالية، ثم استقلوا طائرة "أيروميكس" AeroMex إلى تيخوانا. وبما أن هذا الدليل الدامغ على عنف وفساد المخدرات قد يكون له أثر عكسى على مناقشات النافتا، فقد روجوا للقتل على أنه لغز، وغريب على أسلوب المكسيك الطبيعى فى التعامل مع الأشياء.

وفى عام ١٩٩٦، ربطت وحدة أخرى من وحدات الشرطة القضائية الفدرالية التى تعمل لحساب عصابة أريانو - فيليكس بجريمتى قتل راح ضحيتهما اثنان من كبار محققى المخدرات فى تيخوانا، هما إرنستو ايبارا سانتيس Ernesto Ibarra Santes وخورخى جارثيا بارجاس Jorgé García Vargas. فقد أُردى ايبارا سانتيس قتيلاً بعد شهر من تطهير وحدته من ٧٠٠ ضابط شرطة فاسد، وفى نفس الوقت تقريباً، اختطف رئيس مكافحة المخدرات فى تيخوانا، جارثيا بارجاس وهو فى مطار مكسيكو سيتى، ثم عُذِّب وخُنق، وعُثر على جثته المشوهة فى شنطة إحدى السيارات.

وربما كان اتحاد خواريث Juárez الذى رأسه أرمادو كاريو فوينتيس Armado Carillo Fuentes حتى وفاته فى ٤ يوليو ١٩٩٧ بسبب مضاعفات ما بعد جراحة تجميل، أكثر مشروعات المخدرات المكسيكية تحقيقًا للربح. وأظهرت بعض التقديرات أن عملية كاريو تأتى بأكثر من ٢٠ مليار دور سنويًا من مبيعات الكوكايين، ونقل كاريو، وهو قريب لعائلة أوتشوا، كميات ضخمة من الكوكايين من ميديين وكالى فى كولومبيا على أسطول الاتحاد من طائرات بوينج ٧٤٧؛ وقد أصبح يعرف بـ"سيد السموات".

وكان مشروع المخدرات الأقرب إلى حكومة ساليناس هو اتحاد الخليج، الذى يتخذ مقرًا له فى تاموليباس Tamaulipas وكان يرأسه خوان جارثيا أبريجو Juan García Abrego حتى إلقاء القبض عليه فى منتصف السبعينيات وهو يصدر الماريوانا المكسيكية إلى تكساس ولويزيانا وفلوريدا. وفى أوائل الثمانينيات، تحول جارثيا أبريجو إلى الكوكايين. وكان التجديد الكبير الذى أحدثه هو تغيير الشروط التى يتلقى على أساسها مراسيل الكوكايين المكسيكيون أجرهم من الاتحادات الكولومبية. فبدلاً من قبول ١٥٠٠ دولار عن كل كيلو كأتعاب نقل، طالب جارثيا أبريجو بحصة مقدارها ٥٠ بالمائة من شحنات الكوكايين الخاصة بالكولومبيين. وسمح له ذلك أن يقيم شبكة

التوزيع الخاصة به ويزيد أرباحه ونفوذه السياسى زيادة ضخمة، وقدر تقرير صادر عن وكالة مكافحة المخدرات فى عام ١٩٩٤ عائدات أبريجو من الكوكايين بأكثر من ١٠ مليارات دولار سنوياً.

وبحلول عام ١٩٩٠ كان ذلك السيل من أموال المخدرات قد شبَّع حكومةَ ساليناس، وزعمت صحيفة "إل فيناثيرو" El Finacero المكسيكية أنه أثناء فترة ساليناس كان اتحاد المخدرات يرشو حوالى ٩٥ ممن يعملون فى مكتب النائب العام. وليس هناك مثال أفضل من خابيير كويّو تريخو Javier Coello Trejo الذى كان يشير إلى نفسه على أنه المحقق الحديدى، الذى امتدحته الولايات المتحدة على إجراءاته الصارمة. ولكن طبقًا لما قاله إدواردو بالى Eduardo Valle المحقق فى إدارة كويو تريخو، فإن النائب العام كان على كشف رواتب جارثيا أبريجو، حيث كان يتقاضى ما يزيد على مليون دولار سنوياً. وكان من بين مساعدى كويو تريخو حقق وحده ٥٠ مليون دولار من تجارة المخدرات، كما يقول بالى، وكانت عمليات مكافحة المخدرات التى يقوم بها المكتب تميل فى الغالب إلى التركيز على منافسى اتحاد الخليج.

وفى عام ١٩٩٤، شهد فرانتشيسكو بيريث مونروى Francisco Pérez Munroy، ابن عم جارثيا أبريجو وشريكه فى تجارة المخدرات، محاكمة مخدرات بتكساس بأنه سلم بنفسه أموالاً وهدايا غالية الثمن للنائب العام وزوجته. وقال بيريز فى شهادته: "كانت البدل والأموال من الكثرة بحيث لم يكن يشغل باله بحركة المخدرات."

ويبدو أن تحالف النائب العام مع تجار المخدرات لم يكن يهم ساليناس ولا الحكومة الأمريكية. ولكن كويو تريخو وقع فى ورطة حين أدين أربعة من حرسه الخاص باغتصاب تسع نساء فى مكسيكو سيتى. وتحت ضغط من الجماعات الدينية، استقال كويو تريخو تصحبه تعبيرات الحزن والأسى من السفارة الأمريكية. وقال مسئول بوزارة الخارجية لصحيفة "لوس أنجلوس تايمز": "كان عظيماً. هذه ضربة موجعة."

ولكن كويو تريخو لم يبق كثيراً فى طوابير البطالة دون أن يلتفت له أحد. فسرعان ما عينه ساليناس فى منصب المدعى الفدرالى لشئون المستهلك. وفى عام ١٩٩٥ أوردت صحيفة "لا ريفورما" La Reforma الصادرة فى مكسيكو سيتى أن كويو تريخو يعمل

مستشاراً لجهاز أمن داخلى جديد، هو Coordinaícon de Seguridad Pública de la Nacíon [تنسيق الأمن العام للأمة].

وفعلت حكومة كلينتون كل ما فى وسعها للتغطية على الإجرام الذى استشرى فى جهاز الدولة المكسيكى. وفى أكتوبر ١٩٩٦، لجأ البيت الأبيض وعلى رأسه كلينتون إلى امتياز تنفيذى لمنع تحويل مذكرة كتبها فى أبريل ١٩٩٥ مدير مكتب التحقيقات الفدرالى لويس فريه Louis Freeh ومدير وكالة مكافحة المخدرات توماس قنسطنطين Thoms Constantine إلى الكونجرس. فقد انتقدت المذكرة بشدة سياسة الحكومة الخاصة بالمخدرات، وخاصة فيما يتعلق بالمكسيك. وطبقاً لما جاء فى تقرير نشرته صحيفة "نيويورك تايمز"، فإن فريه وقنسطنطين اتهما سياسة كلينتون الخاصة بالمخدرات بأنها "لا هدف لها ولا اتجاه" و"تفتقر إلى أية قيادة حقيقية" وقد خربتها الجهات المتنافسة، ومنها وكالة الاستخبارات المركزية، ووزارة التجارة، ومجلس الأمن القومى.

وتوصلت مذكرة داخلية بوزارة الخارجية كتبت بعد عامين من الموافقة على النافتا إلى نفس النتيجة. فقد عرفت المكسيك بأنها «واحدة من أهم مراكز غسيل الأموال فى نصف الكرة الغربى» وقالت إنها «طريق الترانزيت الأساسى للكوكايين الذى يدخل الولايات المتحدة». وانتهى التقرير إلى أنه «ليست هناك دولة من دول العالم تشكل خطراً مباشراً من ناحية المخدرات على الولايات المتحدة أكثر من المكسيك».

سقوط أسرة ساليناس

أنهت نيران البنادق فترة رئاسة كارلوس ساليناس للمكسيك التى دامت ست سنوات. وفى ٢٣ مارس ١٩٩٤، قُتل خليفة ساليناس الذى اختاره بنفسه، لويس دونالدو كولوسيو Luís Donaldo Colosio، برصاصة فى رأسه عند توقفه فى تيخوانا أثناء جولته الانتخابية. ورغم قرب كولوسيو من ساليناس، فقد أغضب قبل ذلك بقليل المتشددين داخل الحزب الثورى المؤسسى بتعهده بتطهير الحكومة من المسئولين الفاسدين واتخاذ التدابير اللازمة ضد اتحادات المخدرات. وكان قتل كولوسيو قبل يومين من الموعد المحدد للقائه مع محققى المخدرات المكسيكيين الذين يحققون فى

الصلات بين اتحاد الخليج وحكومة ساليناس. وكان كوليسيو قد أمر قبل بضعة أيام من مصرعه بحذف اسم أومبرتو جارثيا أبريجو Humberto García Abrego ، شقيق خوان وأحد مديرى اتحاد الخليج، من قائمة الحاضرين فى مناسبة لجمع أموال للحزب، وهو إجراء أغضب أمراء المخدرات.

وقال إدواردو بالى، الرئيس السابق لحملة المخدرات المكسيكية التى كانت تستهدف عملية جارثيا أبريجو: "ليس لدى شك فى أن كولوسيو قتله ساسة المخدرات أو تجار المخدرات الساسة." وكان كارلوس ساليناس قد حبس تقرير بالى، وفر بالى ناشداً الأمان فى الولايات المتحدة عام ١٩٩٤.

وأنحت حكومة ساليناس باللائمة فيما يتعلق باغتيال كولوسيو على رجل مسلح مختل عقلياً اسمه ماريو أبورتو مارتينيث Mario Aburto Martínez. ولكن الشرطة المكسيكية عثرت على أدلة تفيد بأن كثيرين آخرين قد يكونون وراء قتل كولوسيو، ومنهم اتحادات المخدرات وأعضاء حكومة ساليناس، وكانت الشرطة تشك إلى حد ما فى أن ضابطاً فى مركز التحقيق والأمن القومى (وهى وكالة مخترقة تماماً من اتحاد الخليج) قد يكون هو الذى ساعد أبورتو فى قتل كولوسيو. وفى النهاية، أفرج مكتب النائب العام عن كل المشتبه فيهم إلا أبورتو، بناء على أوامر من كارلوس ساليناس، حسبما قيل.

وبعد وفاة كولوسيو، اختار ساليناس إرنستو ثيديو بونثيه دى ليون Ernesto Zedillo Ponce de Léon مرشحًا من الحزب الثورى المؤسسى لانتخابات لرئاسة. وكان الحزب يعد ثيديو منذ فترة مبكرة فى حياته. فقد أرسل للدراسة فى إنجلترا وجامعة ييل، حيث حصل على الدكتوراه فى الاقتصاد، وعمل لبعض الوقت فى أحد البنوك. وفى عام ١٩٨٨ عينه ساليناس فى منصب وزير التخطيط والميزانية المهم، وبعد الإشراف على خطة الخصخصة التى وضعها ساليناس، أصبح ثيديو وزيراً للتعليم. ووصف تقرير نفسى لوكالة الاستخبارات المركزية فى عام ١٩٩٥ ثيديو بأنه «بارد وصعب وقاس ولا يميل للمزاح».

ولكى يساعد ساليناس ثيديو فى المعركة الانتخابية، لجأ إلى صديق قديم وصهر سابق، وهو خوسيه "بيبيه" رويث ماسيو Jusé "Pepé" Ruiz Massieu. وكان رويث ماسيو قد عُيِّن سكرتيراً عاماً جديداً للحزب الثورى المؤسسى، واختير زعيماً للأغلبية

فى الكونجرس المكسيكى. ولكن ماسيو كان صديقًا مقربًا من كولوسيو واستغل منصبه فى إجراء تحقيق أكثر دقة عن اغتيال المرشح القتيل. كما بدأ ماسيو كذلك تبنى حديث كولوسيو غير المشجع على الإصلاح، وقد ألقى كلمات أوضح فيها أن الوقت قد حان لإحداث ثورة فى قيادة الحزب الثورى المؤسسى، والحد من علاقاته بنخبة رجال الأعمال المكسيكيين، والعمل على وضع أجندة أكثر تقدمية.

وفى ٢٨ سبتمبر ١٩٩٤، دخل رويو ماسيو سيارته الواقفة خارج فندق كاسابلانكا Casablanca فى وسط مكسيكو سيتى. تحرك عامل زراعى فى الثامنة والعشرين من عمره اسمه دانييل أجيلار Daniel Aguilar نحو السيارة وأطلق عليه النار من مدفع رشاش عوزى فأصابه فى رقبته. ومات رويث ماسيو بعد ساعة من ذلك. وألقى حارس موجود فى مسرح الجريمة القبض على أجيلار ولم يُضيِّع وقتًا طويلاً قبل أن يبلغ الشرطة أن فرناندو رودريجيث Fernando Rodrgez استأجره لقتل رويث ماسيو. وكان رودريجيث من كبار مساعدى مانويل مونيوث روتشا Manuel Muoz Rocha، وهو أحد سياسيى الحزب الثورى المؤسسى من تاموليباس، التى هى مقر اتحاد جارثيا أبريجو. وأفاد رودريجيث بأن مونيوث روتشا وأحد أعوان جارثيا أبريجو، وهو أبراهام روبيو كاناليس Abraham Rubio Canales، أمراه بترتيب الاغتيال.

ولإزالة أى شك فى وجود تغطية حكومية أخرى، عيَّن كارلوس ساليناس شقيق بيبيه رويث ماسيو، ماريو Mario، ليقود التحقيق حول موته. وكان ماريو رويث ماسيو مساعداً للنائب العام ومعروف بأنه مصلح سياسى ومحارب للفساد، وكانت وكالات الاستخبارات الأمريكية قد ظلت سنوات تعرف عنه غير ذلك، ولكن يبدو أنه لا وكالة الاستخبارات المركزية ولا وكالة استخبارات الدفاع أبلغتا أيًا من مسئولى تنفيذ القانون المكسيكيين بأن اسم وكيل النائب العام موجود على كشف رواتب اتحاد الخليج حتى بعد فرار ماريو من المكسيك إلى الولايات المتحدة، حيث أخفى ٧ ملايين دولار فى تكساس كوميرس بانك Texas Commerce Bank. وبالإضافة إلى مراقبة وكالة الاستخبارات المركزية الروتينية لأنشطة ماسيو، أبلغ البنك عملاء مكتب التحقيقات الفدرالى بإيداعات المحقق المشبوهة فى مارس ١٩٩٤. ولم يتخذ أى إجراء إلى أن ظهر رويث ماسيو فى نيو جيرزى فى يناير من عام ١٩٩٥.

وبدلاً من أن يحقق ماريو رويث ماسيو فى القوى التى وراء مقتل شقيقه، يبدو أنه غطى على تورط شقيق الرئيس المكسيكى، راؤول ساليناس، وأعوانه فى اتحاد الخليج فى قتل بيبيه. واتضح أن الشاهد الرئيسى فى القضية، فرناندو رودريجيث، أشار إلى راؤول باعتباره «العقل المفكر» وراء اغتيال بيبيه، بل إن الأمر الأكثر غرابة هو تأكيد رودريجيث على أن كارلوس ساليناس نفسه كان حاضراً فى اجتماع مارس ١٩٩٣ الذى خطط فيه راؤول ساليناس ومونيوز روتشا لاغتيال بيبيه رويث ماسيو.

وألقى القبض على راؤول ساليناس بتهمة القتل فى ٢٨ فبراير ، أما شقيقه كارلوس، الذى كان موضع فخر واعتزاز، فكرموه بإعطائه مقعداً فى مجلس إدارة شركة داو جونز، الشركة الأم لأكبر المعجبين بساليناس، صحيفة "وول ستريت جورنال" ، وكانوا يروجون له باعتباره المرشح المفضل لرئاسة منظمة التجارة العالمية، فقد فر من المكسيك ليعيش حياة رحال يتحرك فى السر، مهرولاً بين مجمع كوبى وضيعة فى أيرلندا.

أموال راؤول القذرة

بينما كان راؤول ساليناس ينزل فى أحد السجون المكسيكية - حيث ظل فيه حتى ربيع ١٩٩٨ - ألقت سلطات مكافحة المخدرات السويسرية القبض على زوجته باولينا كاستانيون Paulina Castañon وهى تحاول سحب أموال من أحد الحسابات المصرفية كان فيه لراؤول مالا يقل عن ٩٠ مليون دولار باسم خوان جييرمو جوميث جوتييريث Guillermo Gómez Gutierrez.

وظهرت رواية لافتة للانتباه عن عادات راؤول ساليناس المصرفية على الصفحة الأولى من "نيويورك تايمز" فى عددها الصادر فى ٤ يونيو ١٩٩٦ فى قصة إخبارية كتبها أنطونى دى بالما Anthony de Palma وبيتر ترويل Peter Truell. وعلى فرض أن معلومات مندوبى "نيويورك تايمز" تقوم على معلومات من محققين حكوميين مكسيكيين ومن مصادر بالحزب الثورى المؤسسى حول الرئيس إرنستو زيديو المحصن - الذى لم يكن أى حب لعائلة ساليناس - فقد روى الصحفيان كيف كان راؤول يحظى بمعاملة خاصة من سيتيبانك Citibank بينما كان يقوم بتحويل مبالغ ضخمة من المكسيك إلى

حسابات سرية فى الخارج. والجانب الغريب من القصة المثيرة إلى أكبر حد هو أنه فى مقال من ٤٢٠٠ كلمة استخدمت عبارة "غسيل الأموال" مرتين فقط، ولم تكن لأى منهما صلة بسيتيبانك. وبالمثل كانت كلمة "مخدرات" غير ملحوظة كذلك، فى لغة تتسم بالحرص من الصحفيين الشجاعين كى يوحى ذلك بأنه كانت هناك "شائعات، ولكن دون وجود لأدلة" على ما أسماه المحققون المكسيكيون "الإثراء الذى لا تفسير له" الذى حدث لراؤول جاء من تجارة المخدرات. وأشار دى بالما وترويل إلى أن "القوانين الأمريكية تمنع البنوك من قبول الأموال عن قصد، أو غض الطرف عن جرائم مثل تجارة المخدرات".

وكان راؤول ساليناس، الذى يتقاضى راتبًا رسميًا مقداره ١٩٠ ألف دولار سنوياً، قد وصل إلى الوحدة المصرفية الخاصة التابعة لسيتيبانك، التى وصفتها «نيويورك تايمز» بأنها «بنك داخل بنك مخصص للأثرياء جداً». وهنا وضع ساليناس نفسه وثروته فى يدين قادرتين لامرأة أمريكية من أصل كوبى اسمها إيمى إليوت Amy Elliot، وهى نائب رئيس سيتيبانك المسئولة عن الحسابات الخاصة.

وكانت إليوت تدلل الثرى المكسيكى، حيث كانت تقوم بما بين عشر رحلات واثنتى عشرة رحلة سنوياً إلى المكسيك لتقديم استشارات بشأن كيفية توجيه سيل أموال راؤول - التى يبدو أنها لم تشك قط فى مصدرها - إلى حسابات الأوفشور فى جزر كيمان والبهاما وما شابهها من ملاذات آمنة سرية، قبل أن ينتهى بها المطاف إلى مرفأ سويسرا الهادئ. وذكرت إليوت فيما بعد أن التقصى عن مصدر ملايين ساليناس "يشبه سؤال أفراد عائلة روكفلر Rockfellers من أين جاءوا بأموالهم". واعتبارًا من ١٩٩٢، كانت هناك تقارير وفيرة فى الصحافة المكسيكية عن كيفية تجميع راؤول لثروته الإجرامية. وشملت أساليبه ابتزاز المقاولين، وبيع إمكانية الوصول إلى شقيقه، وشراكة اتحادات المخدرات المكسيكية والكولومبية، التى كان يعرف لديها باسم مهين، هو "العَلَقة".[1]

ولكن إيمى إليوت لم تكن موظفة مارقة فى سيتيبانك. وقال محقق مصرفى فدرالى لصحيفة "ميامى هيرالد" فى عام ١٩٩٦: "لم تفعل إليوت أى شىء من تلقاء نفسها. فقد

(١) دودة طفيلية تعيش على ما تمتصه من دم. **(المترجم)**

كانت قيادة سيتيبانك العليا وراء كل ما فعلته." وأبلغت هى المحققين أن رئيسها، إدوارد مونتيرو Edward Monero، ومحامية سيتيبانك ساندرا لوبيز بيرد Sandra Lopez Bird أقرا حساب ساليناس والتحويلات إلى سويسرا. وشهدت إليوت أمام محققين فدراليين بأنه بعد القبض على راؤول ساليناس، أصدر لها مونتيرو توجيهات بإعطاء المعلومات الخاصة بحسابه لشقيقه كارلوس، الذى كان ينتظر داخل سيارة خارج مكتب سيتيبانك الموجودة فيه إليوت بنيويورك.

وكانت أموال راؤول ساليناس تأتى أحيانًا من بانكو كريمى Banco Cremi فى مكسيكو سيتى، حيث تحول إلى حساب سيتيبانك، وهو كذلك فى مكسيكو سيتى، ومن ثم ترسل مباشرة على إحدى وحدات سيتيبانك فى زيورخ اسمه كونفيداس Confidas. وهناك كان العديد من السبل الأخرى، ولكنها كانت جميعها تشير إلى الشىء نفسه؛ وهو أن شقيق الرئيس المكسيكى كان يحصل على مبالغ ضخمة من الأموال غير المشروعة ويخفيها فى الخارج، وفيما بعد أبلغ راؤول المحققين السويسريين أنه كان يخفى أمواله فى حسابات الأوفشور لتحاشى "الفضيحة السياسية".

لقد كانت قيمة مقالة "نيويورك تايمز" هى أنها أظهرت دقائق إجراءات غسيل الأموال؛ فيمكن أن نتخيل أى نهّاب من العالم الثالث، أو من العالم الأول فيما يتعلق بهذا الأمر، يدرس النص ثم يلتقط بعد تفكير سماعة التليفون ليدردش مع سيتيبانك. وما لم يفعله مقال "نيويورك تايمز" هو أنه لم يضع عمليات راؤول فى سياق نشاطاته ككل بالمكسيك، أو يوحى بأن العمليات المذكورة بمثل هذه الدقة قد تلقى ما يفيد من الضوء على الصلات بين الصناعة المصرفية الأمريكية والتجارة الدولية فى الهيروين والكوكايين.

ولم يقدم صحفيا "نيويورك تايمز" ما يوضح المكان الذى ربما تكون التسعون مليون دولار جاءت منه. والواقع أن مبلغ ٩٠ مليون دولار نفسه يقلل إلى حد كبير جدًا من حجم عملية أشارت السلطات المكسيكية أنها عادت على راؤول بما يزيد على مليار دولار خلال السنوات الست التى قضاها شقيقه فى السلطة.

وكان راؤول ساليناس - الذى كان يعرف كذلك بمستر عشرة بالمائة - يستمد نفوذه ويجنى أمواله من حقيقة أنه كان رئيس شبكة توزيع الأغذية المملوكة للدولة، كوناسوبو

Conasupo، وكان راؤول كذلك شريكًا فى ملكية مصنع لتعليب التونة فى إنسيناداد Ensenadad، فإذا وضعت هذه البيانات إلى جانب الحقيقة المعروفة جيداً، وهى أن إحدى طرق تهريب الكوكايين والهيروين الأساسية شمالاً من كولومبيا وفنزويلا تتم فى قوارب التونة، لأمكن تفسير جزء من ثروة راؤول.

وبحلول عام ١٩٩٣، كان الصحافة المكسيكية تقدم بالتفصيل الطريقة التى كانت تستغل بها كوناسوبو - تحت إشراف راؤول - شبكة التوزيع للمخدرات غير المشروعة، وكنقطة انطلاق لعمليات غسيل أموال المخدرات التى دامت زمنًا طويلاً. وأغرق راؤول الشعب المكسيكى الذى عانى طويلاً بالحليب الملوث بالإشعاع، ويبدو أن بعضه اتجه شمالاً إلى تلاميذ المدارس الأمريكيين، فقد استغل قروض الأغذية الأمريكية لشراء الحليب البودرة الذى لوثه الإشعاع الناتج عن كارثة تشيرنوبل Chernobyl النووية. وأشارت كذلك صحيفة "لا ريفورما" إلى أن راؤول ساليناس كان مشتبهًا فى أنه "حول الذرة الأمريكية عالية الجودة، التى اشتُريت بقروض المساعدات الخارجية الأمريكية وكانت موجهة إلى فقراء المكسيك، كى تباع فى محال السوبرماركت الأمريكية فى صورة أقراص التورتيا tortillas[1]. وبدلاً من دقيق الذرة، كان ساليناس يقدم للفقراء المكسيكيين طعام الحيوانات. ويقدر أن عمليات الغش هذه وحدها أدخلت أكثر من عشرين مليون دولار فى حسابات راؤول المصرفية الخاصة.

وصدرت تقديرات عن الصحيفة المكسيكية «إل فيناثيرو" El Fiancero ووكالة مكافحة المخدرات الأمريكية لمبالغ تجار المخدرات التى رُشى بها مسئولو الحزب الثورى المؤسسى على أنها نصف مليار دولار سنويًا فى عام ١٩٩٥. وذكرت "إل فيناثيرو» أنها تظن أن مبلغًا مماثلاً يتجه شمالاً كل عام إلى مسئولين أمريكيين فاسدين وأشخاص يعملون لحساب أنفسهم.

ويكفى هذا القدر عن راؤول، الذى هو مجرد واحد من عشرات الآلاف من أصحاب النفوذ فى أنحاء العالم الذين يستولون على موارد الدول الفقيرة ويكسبون الملايين من

---

(١) أقراص رقيقة من الخبز غير الخامر تصنع من دقيق الذرة وتخبز على سطح ساخن، وتقدم عادة وقد لفت بها الفاصوليا أو اللحم المفروم أو الجبن. **(المترجم)**

تجارة المخدرات. ولنتجه الآن إلى صناعة المصارف الأمريكية. فخلال الأربعة عشر عامًا من الحرب ضد المخدرات التى بدأت فى ولاية ريجان الأولى، يبدو أنه لم يخطر ببال المحررين ومندوبى الصحف الأمريكيين أن صناعة المصارف الأمريكية لا تعى حقيقة أنها تتعامل فى مبالغ ضخمة من الأموال غير المشروعة. وتظن وكالة مكافحة المخدرات أن ٣٠ مليون دولار من أرباح المخدرات الآتية من المكسيك وحدها تدخل الولايات المتحدة.

ولكن من المؤكد أن ذلك خطر ببال بعض الساسة الأمريكيين. فقد عقد هنرى جونزاليس، الشعبى المتحمس من تكساس، الذى كان حتى عام ١٩٩٥ الرئيس الديمقراطى للجنة المصرفية بمجلس النواب، جلسات استماع عن غسيل الأموال وتهريب المخدرات فى عام ١٩٩٤. وكان من بين الأدلة فى تلك الجلسات قائمة وزارة الخارجية الأمريكية التى تضم الدول التى تتعامل فى أموال المخدرات - وخاصة المبالغ الضخمة. وتبدأ القائمة من أوربا مرورًا بجزر كيمان وكولومبيا وهونج كونج ونيجيريا وسويسرا وفنزويلا وتنتهى بالولايات المتحدة. والنموذج المحلى الذى ذكره جونزاليس هو فرع بيفرلى هيلز Beverly Hills التابع لبنك أمريكان إكسبريس American Express، حيث اتهم موظفان بمساعدة خوان جارثيا أبريجو شريك راؤول ساليناس بغسل ١٠٠ مليون دولار. ودفع البنك غرامة قدرها ٩٥٠ ألف دولار لبنك الاحتياط الفدرالى، إلا أن جونثاليس أشار ساخرًا إلى أن رجال البنوك ربما لا يزالون يحققون مكاسب من هذا النوع من التعامل.

وأثبتت جلسات استماع جونزاليس كذلك أن الفروع الخارجية للمؤسسات المصرفية متعددة الجنسيات، مثل سيتيبانك، لم لا تعتبر نفسها مرتبطة بالقوانين الأمريكية بشأن غسيل الأموال، بل بقوانين البلاد التى تعمل فيها، ومضى التقرير قائلاً: "بل إن قوانين حماية البنوك والخصوصية والبيانات فى بعض تلك الدول [وعلى الأخص سويسرا وفرنسا والمكسيك] تعمل على منع المنظمين الأمريكيين من إجراء الفحوص الموضعية فى فروع البنوك الأمريكية داخل حدودها". ولا شك فى أن هذا هو السبب فى إعطاء سيتيبانك اسم كونفيداس لفرعه السويسرى.

وانتهت جلسات استماع جونزاليس وما تبعها من تحقيقات أشرف عليها خلفه رئيس اللجنة المصرفية بمجلس النواب الجمهورى جيم ليتش Jim Leach من أيوا، إلى أن "البنوك داخل البنوك" - مثل عملية سيتيبانك التى ذكرتها "نيويورك تايمز" - قنوات للأموال غير المشروعة، التى تأتى فى المقام الأول من تجارة المخدرات.

ويكفى هذا القدر عن "الحرب على المخدرات". فقد كانت شديدة الفاعلية، كوسيلة من وسائل الضبط الاجتماعى والتخريب السياسى، فى التخلص من بعض الفقراء المشاغبين وإعطاء الأموال الفدرالية للوبى السجون. وفى الوقت نفسه، لم تكن هناك أدنى محاولة للتدخل فى عمل المؤسسات المالية الأمريكية الكبيرة وصاحبة النفوذ التى تتعامل فى الأرباح، التى يحول جزء منها بانتظام إلى الساسة الأمريكيين، على هيئة مساهمات من صناعة المصارف الأمريكية.

وفى عام ١٩٨٧ أجرى أندرو كوكبرن مقابلة مع رامون ميليان رودريجيث فى إصلاحية باتنر الفدرالية فى نورث كارولينا، وكان مليان رودريجيث يقضى فترة عقوبة مدتها اثنتان وأربعون سنة، حيث ألقت القبض عليه حملة جنوبى فلوريدا بينما كان يحمل ٥ ملايين دولار على إحدى الطائرات، وهو المال الذى وصفه عرضًا - بينما كان يعمل مع اتحادات المخدرات الكولومبية - بأنه النقد "الجوال" أو الإكراميات. وأبلغ ميليان رودريجيث كوكبرن أن كل البنوك الأمريكية الكبرى لها "ممثلون خاصون" يرحبون بأناس مثله عندما يتجهون شمالاً، ويقدمون الترفيه والنساء والمال الخفى مقابل شهادات إيداع قيمتها الاسمية ١٠٠ مليون دولار.

وهنا سأله أندرو: "من كانوا يظنونك؟"

فرد ميلان رودريجيث وهو يضحك من كل قلبه: "غسَّال أموال كبير بطبيعة الحال»

وفى جلسات استماع كيرى عن المخدرات ومقاتلى كونترا، شهد ميليان رودريجيث بأنه قدَّم ١٠ ملايين دولار لمقاتلى كونترا بناء على طلب من عملاء حكومة ريجان والواقع أن دفاتر حساباته، التى ضبطها مكتب التحقيقات الفدرالى عند إلقاء القبض عليه، أظهرت ذلك. وأثناء شهادته، أبلغه أحد أعضاء الكونجرس أنه «يجب أن يكون فى منتهى الذكاء»، فرد رودريجيث: "دفع فيرست بوسطن First Boston [المتورط

فى تهم غسيل الأموال ويمتلك بنك كريدى سويس Credit Suisse جزءاً منه حالياً] غرامة قدرها ٢٥ ألف دولار وأنا أقضى عقوبة مدتها اثنتان وأربعون سنة. فمن تظنه الأكثر ذكاءً؟"

وفى ٦ يونيو ١٩٩٦، ذكرت وكالة رويترز Reuters الإخبارية البريطانية أنه تم التعرف على حساب مصرفى سويسرى آخر خاص براؤول ساليناس. وكان مودعاً بهذا الحساب مبلغ ٢٤٠ مليون دولار. ويتضح الآن أن راؤول ساليناس كان له أكثر من سبعين حساب أوفشور مختلف، وظل سيتيبانك - الذى كان كبار المسئولين فيه يعلمون علمًا تامًا ذلك الحجم الضخم من معاملات بنكهم مع ساليناس، وما من شك فى أنهم كانوا كذلك يشعرون بالاحتمال الغالب بأن ملايينه جاءت من طريق إجرامى - على تعاملهم مع السجين المتهم بالقتل بعد القبض عليه، حيث نشر راؤول أمواله من حسابات خلال سيتيبانك مستعملاً التليفون من داخل زنزانته.

وبعد عشرة أشهر من إلقاء القبض على ساليناس، بدأت آن ويكستون Ann Wexton، المحققة الداخلية فى سيتيبانك المسئولة عن رصد المعاملات النقدية "المشكوك فيها"، الاهتمام بالمخالفات المحتملة فى التعامل مع حساب ساليناس، وذُكر فى وقت لاحق أن تحقيقها أوقفه كبار المسئولين فى البنك على الفور، وتركت ويكستون سيتيبانك وذهبت للعمل فى وحدة رأس المال بشركة جنرال إلكتريك.

ولكن قد لا تكون ملايين راؤول ساليناس سوى الطبقة الخارجية الظاهرة. فبحلول عام١٩٩٦، كانت الصحف المكسيكية تنشر تقارير مفادها أن الرئيس السابق كارلوس ساليناس جمع أثناء فترة حكمه التى دامت ست سنوات ثروة تقدر بخمسة مليارات دولار، وبذلك تضعه على القائمة "أ" الخاصة بنهابى العالم الثالث. والواقع أن عائلة ساليناس تحتل موقعاً فريداً بالنسبة للسرقة على نطاق واسع، وإن كان من الضرورى ملاحظة أن كارلوس ساليناس - على عكس أخيه - لم يتهم بأية جريمة.

وخلال فترة هيمنة المكسيك السياسية كان هناك سيلان من المال يتدفقان عليها. فمن الشمال كانت تأتى الملايين فى صورة قروض أمريكية، وشراء أسهم، ورشاوى من الشركات للحصول على أغنى الشركات التى يجرى تخصيصها. وفجأة كانت هناك

الملايين التى تتدفق على المكسيك أكثر من تلك التى تدخل كندا، وفى الوقت نفسه أصبحت المكسيك منطقة التجميع الأولى لشحنات المخدرات المرسلة شمالاً من اتحادى كالى وميديين، حيث تنعش الملايين من أموال المخدرات النخب المكسيكية. وقد وضع سيتيبانك فى موضع فريد للتمتع بفوائد منطقة التجمع هذه، ومنذ الأربعينيات وحتى معظم الثمانينيات، كان هو البنك الأمريكى الوحيد الذى له فروع فى المكسيك، وكان مديروه - الذين قادوا المفاوضات فى دورتين لإنقاذ المكسيك ماليًا - يمضون الكثير من الأمسيات فى السُكْر والمجون مع كارلوس ساليناس وأعوانه.

وفى ١٤ أبريل ١٩٩٨، أُعلن عن أكبر اندماج للأعمال التجارية فى العالم؛ وهو الاتحاد المقترح بين سيتيكورب Citicorp ومجموعة ترافيلرز Travellers Group، وهى شركة تأمين مركبة، وقدِّرت قيمة ذلك الكيان بـ٧٦ مليار دولار، وكان العاملان الوحيدان اللذان يهددان إتمام مراسم الزواج بهدوء هما قانون جلاس-ستيجال Glass-Steagall لعام ١٩٩٣، الذى يحظر الملكية المزدوجة بين صناعتى المصارف والأوراق المالية، والتحقيق الجنائى الذى تقوم به وزارة العدل عن سيتيبانك، التابع لسيتيكورب، لغسيله الأموال.

وبدأت وزارة العدل هذا التحقيق الخاص بالتعامل فى أموال راؤول ساليناس فى عام ١٩٩٦، ولكن كان هناك تأكيد فى أخبار اندماج سيتيبانك وترافيلرز على أن بنك الاحتياط الفدرالى لن يدخل السلوك الإجرامى المحتمل من جانب أحد الشريكين فى الزواج ضمن تقديره بعبارة أخرى، فإن مليارات المخدرات يمكن أن تتدفق بسهولة ويسر على سيتيبانك دون صراخ منظم الأعمال المصرفية الرئيسى.

وكانت تلك هى النقطة التى وضعت يدها عليها ماكسين ووترز، النائبة الأمريكية من ساوث سنترال لوس أنجلوس. ووترز هى التى كانت أشرس منتقدة لوكالة الاستخبارات المركزية فى أعقاب سلسلة جارى وب فى "سان هوزيه ميركورى نيوز". وفى الكلمات التى ألقتها داخل قاعة الكونجرس فى أبريل من عام ١٩٩٨، لم تتحد ووترز وكالة الاستخبارات المركزية وأمراء المخدرات وحسب، بل كذلك بيوت الصيرفة الدولية التى تحقق مكاسب من التعامل فى أعمالهم. وكانت ووترز تدرك أن تلك الاندماجات الضخمة ليست مفيدة للأشخاص العاديين. بل سيكون من الأصعب على

الفقراء الحصول على خدمات مصرفية بأسعار منافسة، وسوف يتدفق الائتمان القليل المتاح فى المناطق الحضرية الفقيرة إلى سوق المال فى وول ستريت، الذى يتزاحم على فرص الاستثمار بملايين المخدرات الإجرامية التى جُمِعت من استغلال أسواق مثل ساوث سنترال لوس أنجلوس.

زيديّو والسلاح والمال

رغم افتقار حكومة إرنستو زيديليو، الذى سحق جواوتيموك كارديناس فى انتخابات الرئاسة فى عام ١٩٩٤ - تفتقر إلى وهج نظام ساليناس، فقد واصلت الأجندة الاقتصادية والسياسية الليبرالية الجديدة الخاصة براعيها، حيث باعت الأعمال العامة، وفتحت المكسيك أكثر وأكثر للشركات الأجنبية وبيوت المال، وعاقبت المنشقين، فى الوقت الذى أبدت فيه تساهلاً مع تجارة المخدرات المكسيكية التى تقدر بخمسة وثلاثين مليار دولار سنوياً.

وظهر تقرير فى الصحافة المكسيكية يشير إلى أن اتحاد كالى كان متحمساً لزيديو لدرجة أنه ساهم بسبعين مليون دولار فى ميزانية الحملة الانتخابية الخاصة بالحزب الثورى المؤسسى. وأعقبت هذه القصة رواية نشرتها "لا ريفورما" فى فبراير من عام ١٩٩٧ عن شريط فيديو سجله المحققون المكسيكيون سراً لأحد محامى كارلوس ساليناس يتباهى فيه بأن المصرفى الهارب كارلوس كابال بينيشيه Carlos Cabal Peniche ساهم بأربعين مليون دولار فى حملة زيديّو، وتشتبه السلطات المصرفية الأمريكية والسويسرية فى أن كابال بينتشيه استخدم بنوكه فى غسيل أموال المخدرات.

ووصل زيديّو إلى الحكم وهو يعد بالإصلاح، فقد قال إنه يريد أن يجعل من المكسيك "دولة قوانين". وكانت هناك اعتقالات على مستوى كبير فى بداية عهده، شملت القبض على خوان جارثيا أبريجو ولكن اتحادات المخدرات ظلت فى الغالب على انتعاشها فى ظل تدليل الحكومة. وقال ريكاردو كورديرو أونتيبيروس Ricardo Cordero Ontiveros، محقق المخدرات السابق فى مكتب النائب العام المكسيكى: "إنها نكتة بالنسبة للشعبين المكسيكى والأمريكى اللذين يعتقدان أن المكسيك تحارب المخدرات. فالحرب الوحيدة التى يخوضونها هى العمل على جعلها تختفى من على صفحات الجرائد."

وأشار كورديرو إلى أنه نقل إحباطه إلى النائب العام الجديد فى المكسيك، أنطونيو لوزانو Antonio Lozano، وطلب لوثانو من كورديرو أن يكف عن الشكوى، وقال النائب العام: "إنه هناك من هو على استعداد لدفع ٣ ملايين دولار للحصول على وظيفتك."

وكان بيل كلينتون كذلك يرى الأمور بصورة تختلف عما يراها بها كورديرو، ففى ظل الضغوط المتزايدة لسحب الشهادة بأن المكسيك محارب يقظ ضد تجارة المخدرات، امتدح كلينتون حكومة زيديّو. إذ قال الرئيس الأمريكى: "إنهم يخطون نحو معالجة المشكلة التى ورثوها. وسوف نساعدهم بكل طريقة ممكنة." وأحد الجوانب الواضحة فى هذه الملاحظة هو اعتراف كلينتون الهادئ - بعد عامين التكذيبات الغاضبة - بحقيقة أنه كانت هناك مشكلة مخدرات فى ظل حكومة ساليناس.

واتهم منتقدو كلينتون الرئيس بازدواجية المعايير فيما يتعلق بالمكسيك. فقد أشاروا إلى أن كلينتون فرض فى عام ١٩٩٦ عقوبات اقتصادية شديدة ضد كولومبيا بعد سحب الشهادة بأنها تحارب المخدرات، مع أن سجل المكسيك على نفس القدر من السوء. وقال بيتر حكيم، مدير الحوار الأمريكى Inter-American Dialogue، وهو مركز سياسات فى واشنطن: "هو بالطبع ازدواج معايير. فتخيل أنك تسحب شهادتك من شريك فى النافتا، بعد عام واحد فقط من إقراضك إياه مبلغ ١٣ مليار دولار للمساعدة فى الخروج من الأزمة الاقتصادية."

والملمح الرئيسى لاستراتيجية زيديّو المناوئة للمخدرات هو استغلال ادعاءات الفساد لنقل الكثير من أعمال مكافحة المخدرات (وميزانيتها) من الشرطة إلى الجيش المكسيكى. ولتعزيز هذا التعديل، اختار زيديّو الجنرال خيسوس جوتييريث ريبولو Jesús Gutierrez Rebollo رئيساً لوحدة مكافحة المخدرات الجديدة التى أنشأها. وكان الجنرال جوتييريث ريبيلو، وهو قائد عسكرى يحظى باحترام من ولاية خاليسكو Jalisco، قد خضع لفحص دقيق من وكالة الاستخبارات المركزية وتلقى تدريباً فى الجيش الأمريكى. وفى أول شهرين له فى منصبه الجديد، التقى الجنرال كثيراً بضباط استخبارات أمريكيين للمشاركة فى المعلومات الخاصة بتجارة المخدرات المكسيكية، وكان الجنرال بارى ماكافرى، قيصر المخدرات الأمريكى، يعرف جوتييريث ريبيلو من الفترة التى كان فيها ماكافرى رئيساً للقيادة العسكرية الجنوبية الأمريكية، وأعلن

وأشار كورديرو إلى أنه نقل إحباطه إلى النائب العام الجديد فى المكسيك، أنطونيو لوزانو Antonio Lozano، وطلب لوثانو من كورديرو أن يكف عن الشكوى، وقال النائب العام: "إنه هناك من هو على استعداد لدفع ٣ ملايين دولار للحصول على وظيفتك."

وكان بيل كلينتون كذلك يرى الأمور بصورة تختلف عما يراها بها كورديرو، ففى ظل الضغوط المتزايدة لسحب الشهادة بأن المكسيك محارب يقظ ضد تجارة المخدرات، امتدح كلينتون حكومة زيديّو. إذ قال الرئيس الأمريكى: "إنهم يخطون نحو معالجة المشكلة التى ورثوها. وسوف نساعدهم بكل طريقة ممكنة." وأحد الجوانب الواضحة فى هذه الملاحظة هو اعتراف كلينتون الهادئ - بعد عامين التكذيبات الغاضبة - بحقيقة أنه كانت هناك مشكلة مخدرات فى ظل حكومة ساليناس.

واتهم منتقدو كلينتون الرئيس بازدواجية المعايير فيما يتعلق بالمكسيك. فقد أشاروا إلى أن كلينتون فرض فى عام ١٩٩٦ عقوبات اقتصادية شديدة ضد كولومبيا بعد سحب الشهادة بأنها تحارب المخدرات، مع أن سجل المكسيك على نفس القدر من السوء. وقال بيتر حكيم، مدير الحوار الأمريكى Inter-American Dialogue، وهو مركز سياسات فى واشنطن: "هو بالطبع ازدواج معايير. فتخيل أنك تسحب شهادتك من شريك فى النافتا، بعد عام واحد فقط من إقراضك إياه مبلغ ١٣ مليار دولار للمساعدة فى الخروج من الأزمة الاقتصادية."

والملمح الرئيسى لاستراتيجية زيديّو المناوئة للمخدرات هو استغلال ادعاءات الفساد لنقل الكثير من أعمال مكافحة المخدرات (وميزانيتها) من الشرطة إلى الجيش المكسيكى. ولتعزيز هذا التعديل، اختار زيديّو الجنرال خيسوس جوتييريث ريبولو Jesús Gutierrez Rebollo رئيساً لوحدة مكافحة المخدرات الجديدة التى أنشأها. وكان الجنرال جوتييريث ريبيلو، وهو قائد عسكرى يحظى باحترام من ولاية خاليسكو Jalisco، قد خضع لفحص دقيق من وكالة الاستخبارات المركزية وتلقى تدريبًا فى الجيش الأمريكى. وفى أول شهرين له فى منصبه الجديد، التقى الجنرال كثيراً بضباط استخبارات أمريكيين للمشاركة فى المعلومات الخاصة بتجارة المخدرات المكسيكية، وكان الجنرال بارى ماكافرى، قيصر المخدرات الأمريكى، يعرف جوتييريث ريبيلو من الفترة التى كان فيها ماكافرى رئيسًا للقيادة العسكرية الجنوبية الأمريكية، وأعلن

ماكافرى عن ثقته التى لا تتزعزع فى قدرة الجنرال، قائلاً: "إنه شخص لا مجال للشك فى سلامته."

وكانت المساهمة الأمريكية الرئيسية فى أسلوب زيديلو وجوتييريث العسكرى الجديد هو تقديم الدعم والتدريب العسكريين للمكسيك، وفى صيف ١٩٩٦، بدأ البنتاجون برنامجًا قيمته ٢٨ مليون دولار لتدريب ما يزيد على ١١٠٠ جندى مكسيكى سنويًا فى القواعد الأمريكية. وفى الوقت ذاته، شرعت وكالة الاستخبارات المركزية فى تنفيذ خطة لإحضار تسعين ضابط مخدرات مكسيكيين إلى الولايات المتحدة للتدريب فى لانجلى وفى وحدة الاستخبارات بقاعدة بولنج الجوية Bolling Air Force Base بالقرب من واشنطن العاصمة، وأعقب ذلك زيادة مساعدات مكافحة المخدرات التى تقدمها الولايات المتحدة للمكسيك من ١٠ ملايين دولار إلى ٧٨ مليون دولار فى عام ١٩٩٧. وكان الجيش المكسيكى يحصل على النصيب الأكبر بين القوات الأجنبية التى تتلقى تدريبًا عسكريًا فى الولايات المتحدة.

وحددت سبع عشرة قاعدة عسكرية أمريكية لفصول التدريب، منها مدرسة الأمريكيتين School of the Americas فى فورت بيننج بولاية جورجيا Ft. Benning, Georgia، ومدرسة الهليكوبتر فى فورت رَكَر بولاية ألاباما Ft. Rucker, Alabama. وأرسل ضباط قوة مكافحة المخدرات المكسيكية الجديدة، وهو وحدة اسمها القوات الخاصة المنقولة جوًا، أو "جافى" GAFE، إلى فورت براج بولاية نورث كارولينا Ft. Bragg, North Carolina، حيث تلقوا دورة مكثفة مدتها أسبوعان قدمتها مجموعة القوات الخاصة السابعة الأمريكية US 7th Special Forces Group، وهى وحدة فى الجيش متخصصة فى العمليات السرية. وكانت قوات جافى تدرب على أساليب الهجوم بالهليكوبتر، وصنع القنابل، وعمليات مكافحة الانتفاضات، وتقنيات التجسس.

وزعم البنتاجون أن المقصود من برنامج تدريب جافى هو فقط أغراض عمليات مكافحة المخدرات ولم يكن الغرض منه دعم قدرة الجيش المكسيكى الخاصة بمكافحة الانتفاضات بل أكد الجيش الأمريكى أن الجلسات التدريبية التى كانت تقدمها وحدة القوات الخاصة كانت تشمل "مكونا أساسيا خاصا بحقوق الإنسان".

ماكافرى عن ثقته التى لا تتزعزع فى قدرة الجنرال، قائلاً: "إنه شخص لا مجال للشك فى سلامته."

وكانت المساهمة الأمريكية الرئيسية فى أسلوب زيديلو وجوتييريث العسكرى الجديد هو تقديم الدعم والتدريب العسكريين للمكسيك، وفى صيف ١٩٩٦، بدأ البنتاجون برنامجًا قيمته ٢٨ مليون دولار لتدريب ما يزيد على ١١٠٠ جندى مكسيكى سنويًا فى القواعد الأمريكية. وفى الوقت ذاته، شرعت وكالة الاستخبارات المركزية فى تنفيذ خطة لإحضار تسعين ضابط مخدرات مكسيكيين إلى الولايات المتحدة للتدريب فى لانجلى وفى وحدة الاستخبارات بقاعدة بولنج الجوية Bolling Air Force Base بالقرب من واشنطن العاصمة، وأعقب ذلك زيادة مساعدات مكافحة المخدرات التى تقدمها الولايات المتحدة للمكسيك من ١٠ ملايين دولار إلى ٧٨ مليون دولار فى عام ١٩٩٧. وكان الجيش المكسيكى يحصل على النصيب الأكبر بين القوات الأجنبية التى تتلقى تدريبًا عسكريًا فى الولايات المتحدة.

وحددت سبع عشرة قاعدة عسكرية أمريكية لفصول التدريب، منها مدرسة الأمريكيتين School of the Americas فى فورت بيننج بولاية جورجيا Ft. Benning, Georgia، ومدرسة الهليكوبتر فى فورت رَكَر بولاية ألاباما Ft. Rucker, Alabama. وأرسل ضباط قوة مكافحة المخدرات المكسيكية الجديدة، وهو وحدة اسمها القوات الخاصة المنقولة جوًا، أو "جافى" GAFE، إلى فورت براج بولاية نورث كارولينا Ft. Bragg, North Carolina، حيث تلقوا دورة مكثفة مدتها أسبوعان قدمتها مجموعة القوات الخاصة السابعة الأمريكية US 7th Special Forces Group، وهى وحدة فى الجيش متخصصة فى العمليات السرية. وكانت قوات جافى تدرب على أساليب الهجوم بالهليكوبتر، وصنع القنابل، وعمليات مكافحة الانتفاضات، وتقنيات التجسس.

وزعم البنتاجون أن المقصود من برنامج تدريب جافى هو فقط أغراض عمليات مكافحة المخدرات ولم يكن الغرض منه دعم قدرة الجيش المكسيكى الخاصة بمكافحة الانتفاضات بل أكد الجيش الأمريكى أن الجلسات التدريبية التى كانت تقدمها وحدة القوات الخاصة كانت تشمل "مكونا أساسيا خاصا بحقوق الإنسان".

وهذه التأكيدات يختلف عليها محلل الدفاع المكسيكى راؤول بينيتيث Raúl Benitez. فقد قال بينيتيث لصحيفة «جارديان»: «إن قوات جافى ليست فقط من أجل حرب المخدرات. إنها من أجل كل شيء».

وحتى الآن، ليس لدى خريجى جافى من فورت براج الكثير مما يدللون به على ما تعلموه فى أمريكا. ولم يحدد تقرير صدر فى عام ١٩٩٧ عن مكتب ماكافرى عملية ضبط كوكايين كبيرة واحدة، أو إلقاء للقبض على أحد كبار بارونات المخدرات، قامت بها وحدات القوات الخاصة. ولا يعنى هذا القول بأن وحدة جافى كانت غير إيجابية عند عودتها إلى المكسيك. ففى سبتمبر من عام ١٩٩٧، أُلقى القبض على ثمانية عشر فردًا من قوة مكافحة المخدرات المكسيكية الجديدة وهم يقودون طائرة عسكرية محملة بالكوكايين من تشيباس إلى مكسيكو سيتى. وكان الطياران المتورطان فى الجريمة قد أنهيا للتو التدريب فى الولايات المتحدة.

والأمر الأكثر إزعاجًا هو ذلك التبليغ المستمر عن التعذيب والاغتيال الذى تقوم به فرق جافى. ففى ولاية خاليسكو، سُجن ثمانية وعشرون من ضباط جافى لاشتراكهم فى خطف وتعذيب ستة شبان. وقد ضُرِب أحد الصبيان، واسمه سلبادور خيمينيث لوبيث Salvador Jiménez Lopez، وخُلِع لسانه، وفى النهاية قتله أفراد جافى. وفى وقت لاحق اعترف البنتاجون بأن بعض الضباط الذين شاركوا فى تعذيب خيمينيث وقتله تلقوا تدريبهم فى سانت براج، نافيًا أن "بعض الجنود كانوا يسعون للانتقام لسرقة ساعة يد".

ووقع حدث آخر فى سبتمبر ١٩٩٧، حين اختطف ستة شبان من كولونيا بوينوس أيريس Colonia Buenos Aires، وهو حى فقير من أحياء مكسيكو سيتى، وقُتلوا، ونقلت الصحيفة المكسيكية "لا خورنادا" La Jornada عن مصادر الشرطة قولها إن أفراد جافى هم الذين نفذوا القتل.

واعترفت حكومة كلينتون بقلة مراجعة كيفية إنفاق مساعدات مكافحة المخدرات الأمريكية، أو ما تفعله القوات التى تلقت تدريبًا فى الولايات المتحدة، أو انعدام تلك

المراجعة. ولم تخدش تقارير إساءة استغلال السلطة والفساد إيمان قيصر المخدرات ببرنامج المكسيك. فقد قال: "لا ينبغى أن يكون عملى هو كيفية تنظيم الدول الأجنبية لاستراتيجية مكافحة المخدرات الخاصة بها."

وكان حكم ماكافرى أقل مصداقية إلى حد ما فى مثل هذه الأمور. ففى أواخر شهر يناير من عام ١٩٩٧، دعا ماكافرى زميله المكسيكى، الجنرال جوتييريث ريبيلو، إلى واشنطن العاصمة. وقام الجنرال المكسيكى بجولة فى العاصمة، والتقى بأعضاء الكونجرس، وزار البنتاجون، وتناول الغداء فى البيت الأبيض. وفى حفلة البيت الأبيض، ساند ماكافرى الجنرال القادم من مكسيكو سيتى. فقد قال: "يشتهر الجنرال جوتييريث ريبولو بأنه رجل أمين وقائد ميدانى جاد بالجيش المكسيكى أُرسل الآن ليجعل قوات الشرطة على نفس القدر من الجرأة والسمعة الطيبة التى كان يتمتع بها فى الجيش. ونحن غير غافلين عن التقدم الذى أحرزوه بالتضحيات الشخصية الضخمة".

ولكن الرجل الذى امتدحه ماكافرى بطريقة غير عادية كان لديه مفهوم أكثر تميزًا للتضحية. فبعد خمسة أيام، أُلقى القبض على الجنرال جوتييريث لاتهامه بقبول أكثر من مليون دولار من أمير المخدرات أمادو كاريو فوينتيس، وأصبح محققو وزارة الدفاع المكسيكية فى شك بشأن الجنرال بعد اكتشاف أنه يعيش فى شقة باهظة الثمن فى حى من أحياء مكسيكو سيتى مقصور على سكانه. والذى أجر الشقة عضو رفيع المستوى فى اتحاد كاريو فوينتيس. وليست هذه هى الخدمة الوحيد التى تلقاها الجنرال. فقد قُدمت كذلك شقة لعشيقته، إلى جانب العديد من السيارات، وسيارة جيب، وتليفون مشفر يسمح له بالاتصال متى شاء برعاة اتحاد المخدرات، والعديد من الرجال الذين يعتمد عليهم.

عبرت الولايات المتحدة عن صدمتها من هذا المنعطف فى الأحداث، وإن قال كلينتون إنه لا يزال واثقًا فى أن الجيش المكسيكى "ترياق وثقل موازن" جيد لمشكلة فساد المخدرات. وزعم إرنستو ثيديّو أنه كان «مخدوعًا تمامًا» فى الجنرال، ووصف القبض عليه بأنه "أصعب وأحزن وأمَرّ لحظة من لحظات حكومتى".

إلا أنه لا عذر للولايات المتحدة ولا ثيديّو. فكل منهما كان لديه الكثير من التحذيرات المبكرة بشأن الجنرال. والواقع أن النائب العام فى حكومة ثيديّو، أنطونيو لوثانو، أشار إلى أنه حذر ثيديّو بشكل شخصى من صلات جوتييريث ريبولو باتحاد خواريث قبل تعيين الجنرال رئيساً للمعهد القومى لمحاربة تجارة المخدرات الذى أنشأه ثيديّو.

وبينما أعدت وكالة الاستخبارات المركزية تقارير مجاملة عن جوتييريث دعته فيها "الجندى كما ينبغى أن يكون الجندى"، جمّعت وكالة مكافحة المخدرات تقديراً يختلف كثيراً عن الجنرال. فقد تجمعت لديها أدلة تبين أن ضرباته لمنع المخدرات كادت تقتصر على صغار التجار، أو على منافس كاريو فوينتيس البغيض، عصابة أريانو - فيليكس التى تتخذ من تيخوانا مقراً لها.

ومن داخل زنزانته فى مكسيكو سيتى، كانت للجنرال المسجون بضع مفاجآت خاصة به، فقد زعم أن لديه أدلة على صلة "مسئولين حكوميين وأقاربهم على أعلى مستويات السياسة المكسيكية" بتجارة الكوكايين، وقال جوتييريث إن من بين المستفيدين من تجارة المخدرات "الرؤساء السابقين، وعائلة الرئيس الحالى، وكبار المسئولين بوزارة الدفاع". ولدعم هذا الادعاء، أبرز الجنرال مكالمات تليفونية مسجلة تدل على أن هناك صلة بين أفراد اتحاد فرناندو بيلاثكو سيلبا Fernando Velazco Silva، والد زوجة إرنستو ثيديّو، نيلدا باتريثيا بيلاثكو.

حرب المخدرات تضرب تشيباس

عقب عيد الشكر لعام ١٩٩٦ بوقت قصير، شُحنت أول عشرين طائرة من صفقة طائرات الهليكوبتر هيوى Huey الثلاث والسبعين المتفق عليها على متن طائرات الشحن القادمة من قاعدة جودفيلو الجوية Goodfellow Air Force Base فى سان أنجيلو بولاية تكساس San Angelo, Texas،. وكان طائرات هيوى ضمن حزمة أسلحة وطائرات استطلاع قيمتها ٥٠ مليون دولار، وهى المعدات العسكرية المقدمة من حكومة كلينتون للقوات المسلحة المكسيكية على سبيل البيع أو الإقراض أو الهبة. وكانت الحجة الرسمية هى استخدام تلك الأسلحة فى الحرب على المخدرات ومكافحة الهجرة غير المشروعة.

أما الغرض الحقيقي فيعود إلى توصية شهيرة مقدمة من بنك تشيس Chase Bank في عام ١٩٩٤ فيما يتعلق بالخطر الذي تمثله انتفاضة هنود المايا Mayan[1] في جنوب المكسيك. ففي ذلك الوقت كان نائب رئيس البنك يعمم على عملاء البنك نصيحة تقول إنه "لا بد من القضاء على مقاتلي ثباتيستا Zapatistas". ومع أن بنك تشيس المحرج تخلى فيما بعد عن الرأي نفسه الذي كان قد أعلنه من قبل، لم تجد حكومة كلينتون ضرورة للتراجع عن هذه الحاجة الملحة. فأي تهديد للنخب الحاكمة في المكسيك هو بالتبعية تهديد للمصالح الأمريكية. فالثورة في المكسيك هي دائمًا أكثر الهموم إلحاحًا بالنسبة لحكومة الولايات المتحدة.

وأوضح دونالد شولتز Donald E. Schulz أستاذ الأمن القومي في الكلية الحربية التابعة للجيش الأمريكي الأمر كما يلي: "أية حكومة معادية يمكن أن تُعَرِّض الاستثمارات الأمريكية [في المكسيك] للخطر، وتهدد الوصول إلى البترول، وينتج عنها سيل من اللاجئين السياسيين، والمهاجرين الاقتصاديين إلى الشمال، وفي ظل هذه الظروف، تشعر الولايات المتحدة بأنها مضطرة لعسكرة الحدود الجنوبية."

والواقع أنه طوال العقد الأخير كان هناك دأب على عسكرة الحدود الجنوبية. فمنذ ١٩٨٨، أي قبل انطلاق مقاتلي ثباتيستا من غابة لاكاندون Lacandón في تشيباس في يوم رأس السنة من عام ١٩٩٤، والبنتاجون يرسل السلاح وطائرات الاستطلاع إلى الجنوب من الحدود، مستغلة نفس عذر القضاء على المخدرات، وهو المبرر ذاته الذي صاحب الشحنات المرسلة إلى الجيش الكولومبي، وساعدت وكالة مكافحة المخدرات في العملية، حيث أرسلت اثني عشر عميلاً إلى تشيباس، مع أن المنطقة ليست منطقة تجارة رئيسية.

وخلال فترة رئاسة بوش، شحنت الولايات المتحدة ما قيمته ٢١٢ مليون دولار من الإمدادات العسكرية إلى المكسيك، وهي مساعدات عسكرية تزيد عما تلقته المكسيك في

---

(١) أول شعب من شعوب العالم الجديد يحتفظ بسجلات تاريخية مكتوبة، حيث يبدأ تاريخهم المدون منذ عام ٥٠ ق.م. وهناك ٤ ملايين من المايا يتحدثون ٣٠ لغة أو أكثر ويحتفظون بعاداتهم القديمة. ويعيش معظم المايا في المناطق الريفية التي عاش فيها أجدادهم الأقدمون. **(المترجم)**

الأعوام الثلاثين السابقة مجتمعة، وسوف يزداد هذا الرقم أكثر وأكثر مع نهاية عهد كلينتون، فبالإضافة إلى طائرات هيوى الثلاث والسبعين، قدمت الولايات المتحدة فى السبع سنوات الماضية للمكسيك أربع طائرات استطلاع طراز C-26، و٥٠٠ ناقلة جنود مضادة للرصاص، وما قيمته عشرة ملايين دولار من معدات الرؤية الليلية ومعدات السيطرة والتحكم والاتصال، ومعدات تحديد المواضع باستخدام القمر الاصطناعى، وأجهزة الرادار، وقطع الغيار لثلاث وثلاثين طائرة هليكوبتر، ومدافع رشاشة، وبنادق نصف آلية، وقذائف، وذخيرة، وقاذفات لهب، وأقنعة غاز، وعصيا مضيئة، وملابس عسكرية، وأغذية، وقاربين هجوميين من طراز نوكس Knox.

ومع أن المبرر هو القضاء على المخدرات، فإن الأسلحة السابق ذكرها لها غرض أوسع من ذلك. ويقدم تقرير صادر فى يونيو ١٩٩٦ عن مكتب المحاسبة العام بعنوان "السيطرة على المخدرات: الجهود المضادة للمخدرات فى المكسيك" أدلة على أن الحكومة المكسيكية استغلت السلاح الأمريكى، المقرر رسميًا استخدامه فى عمليات مكافحة المخدرات، فى قمع الانتفاضات. ويقول التقرير: "أثناء انتفاضة ١٩٩٤ فى ولاية تشيباس المكسيكية، استخدم العديد من الطائرات الهليكوبتر المقدمة من الولايات المتحدة لنقل أفراد الجيش المكسيكيين إلى منطقة الصراع، مما يعد انتهاكًا لاتفاقية النقل." وقتل أكثر من ١٥٠ من السكان المحليين فى تلك العمليات.

وألقى مكتب المحاسبة العام باللوم فى هذا على الحكومة الأمريكية، التى رأى أنها متواطئة فى سوء الاستغلال. "فسفارة الولايات المتحدة [فى مكسيكو سيتى] تعتمد اعتمادًا كبيرًا على التقارير نصف الشهرية المقدمة من الحكومة المكسيكية التى تتكون فى العادة من خريطة لسجلات عملياتية محددة - ولا يمكن للأمريكيين أن يعرفوا إلى حد كبير إن كانت طائرات الهليكوبتر تستخدم استخدامًا صحيحًا فى أغراض مكافحة المخدرات، أم أنه يساء استغلالها. وأبلغنا موظفو السفارة أن السجلات العملياتية الخاصة بطائرات الهليكوبتر طُلبت وتم الحصول عليها فى مناسبة واحدة فقط خلال الشهور الثمانية الماضية [أى من نوفمبر ١٩٩٥ حتى يونيو ١٩٩٦]." كما استغلت طائرات الهليكوبتر أمريكية الصنع كذلك فى قمع الفلاحين فى جنوب المكسيك الذين كانوا يحتجون على انخفاض أسعار الذرة بسبب النافتا.

وطبقًا لما جاء فى قصة إخبارية نشرت عام ١٩٩٦ فى صحيفة "لا خورنادا" التى تصدر فى مكسيكو سيتى، فقد أكدت وزارة الخارجية الأمريكية لنظام زيديّو أنه ليس بالضرورة أن يقتصر استخدام شحنات السلاح على عمليات مكافحة المخدرات. وأبلغت وزارة الخارجية الحكومة المكسيكية أن يفتش "مستشارو الطيران" لديها عن موقع وظروف طائرات الهليكوبتر مرة واحدة فقط وأن يقدموا إعلانًا مسبقًا دائمًا فى كل الأحوال عن موعد رحلاتهم.

وخلال صيف ١٩٩٦، دفعت انتفاضة الجيش الثورى الشعبى EPR فى ولاية جيريرو Guerrero السفير الأمريكى فى المكسيك والرئيس السابق لبورصة نيويورك، جيمس جونز James Hones، إلى الإعلان فى مؤتمر اتصالات فى كانكون Cancún فى ٩ سبتمبر ١٩٩٦، أن الولايات المتحدة على استعداد لتقديم المزيد من المساعدات العسكرية، والمعلومات الاستخبارية، والتدريب للمكسيك، كى تقاتل المتمردين. وأضاف جونز: "مهما كان ما يحتاجونه، فإن الولايات المتحدة لديها خبرة كبيرة فى تعقب الميليشيات اليمينية، حيث يمكن أن تفيد المكسيك فائدة جمة، فكما هو حال الميليشيات المسلحة، فإن [الجيش الشعبى الثورى] لديه قدرات من الأسلحة والذخيرة، والجماعات الإرهابية تعمل إلى حد كبير بنفس الطريقة فى كل مكان."

وتحدث الكولونيل وارين هول Warren D. Hall، كبير مساعدى الجنرال بارى ماكافرى حين كان رئيسًا للقيادة الجنوبية الأمريكية، بصراحة عن طبيعة الاستخدام المزدوج لمساعدات مكافحة المخدرات الأمريكية، وقال هول: "ليس من الواقع أن ننتظر من الجيش أن يقصر استخدامه للمعدات على العمليات المضادة لتجار المخدرات، إذ يمكن استغلال مهارات المشاة الخفيفة التى تعلمتها قوات العمليات الخاصة الأمريكية أثناء تدريب مكافحة المخدرات فى مكافحة الانتفاضات كذلك."

وامتد التواطؤ على جانبى الحدود - بالقدر الكافى بالطبع - إلى وكالة الاستخبارات المركزية ومكتب التحقيقات الفدرالى. وفى فبراير ١٩٩٥، تباهت وكالة الاستخبارات المركزية أمام أصدقائها فى الصحافة الأمريكية بأنها قدمت مساعدات مهمة لجهود كشف حقيقة زعيم مقاتلى ثاباتيستا، القائد ماركوس. ويحتفظ مكتب التحقيقات

الفدرالى بقوة حدود ضخمة وواحد من أكبر مكاتبه الخارجية فى مكسيكو سيتى، حيث يدرب قوات الشرطة والاستخبارات المكسيكية.

كما أنفق الجيش الأمريكى كذلك مئات الملايين من الدولارات على مدى الخمس سنوات السابقة فى زيادة المراقبة فى المكسيك مما حقق نتائج كبيرة فيما يتصل بوقف تدفق المخدرات، طبقًا لتقرير نُشر مؤخرًا كتبه المفتش العام لوزارة الدفاع عام ١٩٩٤، وانتهى التقرير إلى أنه "بالرغم من أن البنتاجون وسع مجال المراقبة الأمريكية لمهربى الكوكايين والتحرى عنهم بصورة كبيرة، فإن هذه القدرة الموسعة كان ثمنها غاليًا، ولابد أن تقلل تدفق الكوكايين إلى الشوارع الأمريكية. «كما جاء فى التقرير» عن نسبة ميزانية المخدرات الفدرالية التى خصصت للمراقبة أنها ضوعفت أربع مرات خلال السنوات الخمس الماضية، دون أن تكون هناك أهداف أو نتائج كبيرة تبين أن الزيادات كان لها ما يبررها ... فحقيقة أن الكوكايين لا يزال بالإمكان شراؤه ولا يزال متاحًا بسهولة فى الولايات المتحدة، توحى بقوة أن المراقبة لا تحقق النتائج التى تتماشى مع تكاليفها."

ولكن من المؤكد أن الجيش الأمريكى يستفيد من المعلومات التى توفرها المراقبة. فالواقع أن هناك أدلة كثيرة على أن البنتاجون يعد نفسه للتدخل فى المكسيك فى المستقبل القريب، حيث وضع محللو وزارة الدفاع سيناريوهات لأسوأ الظروف، وفى عام ١٩٩٤، وهو العام الذى انتهى بانهيار البيزو المكسيكى، انتهت ورقة أعدها البنتاجون وأفرج عنها طبقًا لقانون حرية المعلومات، إلى أنه "من المتوقع أن يقابل نشر القوات الأمريكية فى المكسيك بالقبول إن كانت الحكومة المكسيكية تواجه خطر الإقصاء نتيجة للفوضى الاقتصادية والاجتماعية. وفى هذا السيناريو قد تتعاون جهات الاستخبارات والأمن لتحديد الأخطار التى تهدد الاستقرار الداخلى فى المكسيك."

وكما قال وزير دفاع كلينتون السابق، ويليام بيرى William Perry، فى كلمة ألقاها فى أكتوبر من عام ١٩٩٥، فإنه "عندما يتعلق الأمر بالاستقرار والأمن، فإن مصيرينا مرتبطان ببعضهما ارتباطًا لا انفصام له".

وفى ٢٢ ديسمبر ١٩٩٧، نفذت القوات المكسيكية شبه العسكرية، مستخدمة أسلحة أمريكية الصنع، حملة وحشية على معسكر أكتيال Acteal للاجئين فى تشيباس، حيث

ذبحت خمسة وأربعين من هنود التسوتيل Tsotzil معظمهم من النساء والأطفال، وجاءت المذبحة المنظمة للغارة على غرار نفس النمط الذى اتبعه الجيش الجواتيمالى الذى تدعمه وكالة الاستخبارات المركزية وفرق الإعدام المتحالفة معه، عامًا بعد عام، بمحو القرى الهندية التى كان يشتبه فى أنها تتعاطف مع المتمردين.

وعقب أعمال القتل مباشرة، ردت الحكومة المكسيكية على الاحتجاج الشعبى فى أنحاء المكسيك باستنكار المذبحة وإلقاء القبض على بعض المشاركين الفعليين (وإن لم يكن بينهم أحد من "مدبرى" الجريمة). ولكن مع بداية العام الجديد ووجود وزير داخلية جديد، هو فرانتشيسكو لاباستيدا أوتشا Francisco Labastida Ocha، استمرت القوات المكسيكية فى تقدمها، حيث حاصرت فى النهاية معاقل مقاتلى ثاباتيستا، وهددت قوات الجيش بنزع سلاح المتمردين بالقوة، وإن كان المتمردون لم يستعملوا سلاحهم منذ وقف إطلاق النار فى ١٢ يناير ١٩٩٤، بعد أقل من أسبوعين من التمرد الذى بدأ بالاستيلاء على بلدة سان كريستوبال San Cristóbal فى يوم رأس السنة الجديدة.

والتمس لاباستيدا، الرجل الجديد بوزارة الداخلية، العذر لتحركات تلك القوات ضد مقاتلى ثاباتيستا بزعمه أن الخطة كانت نزع سلاح ولاية تشيباس، ولكن القوات لم تتحرك ضد القوات شبه العسكرية، كما أنها لم تكن تعمل بالمنطقة حين وقعت المذبحة. بل إنها ابتعدت مسيرة ثمانى ساعات عن منطقة أكتيال فى اتجاه قاعدة مقاتلى ثاباتيستا الرئيسية فى غابة لاكاندون.

ولم يكن هناك شك قط فى أن حكومة الحزب الثورى المؤسسى ومستشاريها الدوليين كانت لديهم رغبة قوية منذ البداية لتخليص أنفسهم من مقاتلى ثاباتيستا، مما يعد إهانة تتسم بالوقاحة للدولة المكسيكية والبرنامج الاقتصادى الليبرالى الجديد برمته، (هذا البرنامج نفسه كان فيه دمار المجتمعات الزراعية الهندية جنوبى المكسيك، وهو السبب الأول وراء تمرد مقاتلى ثاباتيستا) ومنذ الأيام الأولى مُنعت الحكومة من شن هجوم عسكرى كاسح، بسبب الاهتمام الجماهيرى القوى فى المكسيك وفى أنحاء العالم، حيث كان ينظر إلى مقاتلى ثاباتيستا على أنهم شرارة مضيئة من الأمل فى

البيئة السياسية الموحشة، وكان ذلك هو السبب فى اختيار الحكومة المكسيكية، بتشجيع من الولايات المتحدة، لاستراتيجيتها منخفضة الكثافة الخاصة بتسليح وتدريب الجماعات شبه العسكرية التى تحرشت بالقرويين الهنود الذين رأوا أنهم موالون لمقاتلى ثاباتيستا وقتلتهم فى بعض الأحيان، حتى أن أماكن مثل أكتيال أصبحت بالفعل معسكرات لاجئين. وكانت النخب المحلية فى تشيباس، التى رأت أن نفوذها معرض للخطر وأراضيها ستؤخذ منها، أن المذبحة التى ساعدت فى ترتيبها ستبقى، ليس كذكرى مرعبة، ولكن كدرس مستفاد للطريقة التى ينبغى بها التعامل مع التمرد فى الريف. وليس هذا تدريبًا على المبالغة لاستحضار شبح برنامج إذلال الهنود على الطريقة الجواتيمالية وعلى أى الأحوال، فإن قبائل المايا على الجانب المكسيكى من الحدود ليسوا مختلفين عن المايا على الجانب الجواتيمالى.

وقالت سيثيليا رودريجيث المتحدثة باسم مقاتلى ثباتيستا فى الولايات المتحدة: "لقد استخدم الجيش المكسيكى فى الماضى طائرات الهليكوبتر المقدمة من الولايات المتحدة للهجوم على السكان العزل. واتهم مراقبو حقوق الإنسان القوات المسلحة المكسيكية بارتكاب أعمال قتل، وإخفاء، وخطف ، واغتصاب. ورغم ذلك فقد استجيب لطلباتهم الخاصة بالمعدات العسكرية والخبرة المرة بعد الأخرى. وبدعوى محاربة تجار المخدرات، عززت الولايات المتحدة الحكومة المكسيكية الفاسدة والمعادية للديمقراطية بقائمة من المعدات العسكرية فائقة التكنولوجيا التى استخدمت لانتهاك أبسط حقوق الإنسان الخاصة بشعب المكسيك."

هكذا تبدو المعركة ضد المخدرات على الأرض. فكما يعلم هنود تشيباس علم اليقين، وكما يعلم فقراء ساوث سنترال لوس أنجلوس كذلك علم اليقين، فإن "حرب المخدرات" هو الاسم الكودى للضبط الاجتماعى والقمع.

■ ■ ■

المصـــادر

ما أوردته الصـحيفتان المكسيكيتان "لا خورنادا" و"لا ريفورما" غير عادى وأعلى بكثير من أية تغطية للعلاقات المكسيكية الأمريكية داخل الولايات المتحدة، وأثبتت كتابات أندرو ريدينج أنها مرشد مفيد فى مياه السياسة المكسيكية الخادعة والمتغيرة. وكتابا عميل وكالة مكافحة المخدرات السابق مايكل ليفن The Big White Lie وDeep Cover يقدمان رواية شخص عليم ببواطن الأمور لما يمكن أن يكون عليه العمل فى المكسيك ضد تجار المخدرات والساسة الفاسدين والبيروقراطيين ووكالة الاستخبارات المركزية. وقد ساعدنا فرانك بارديك وسيثيليا رودريجيث بصورة أكبر فى تقييم القوى التى وراء تمرد مقاتلى ثباتيستا وما أعقب ذلك من انتقام من الجيش المكسيكى المدعوم من الولايات المتحدة فى تشيباس. وكان كتاب أندريس أوبنهايمر Bordering on Chaos وما كتبه لصحيفة "ميامى هيرالد" مصادر قيمة. كما قام العديد من مندوبى الصحف القومية بعمل جيد عن المكسيك. ومن التقارير المفيدة بصورة خاصة ما كتبه سام ديلون فى "نيويورك تايمز"، ودوجلاس فاراه فى "واشنطن بوست"، ولورى هيز فى "وول ستريت جورنال". ومقال تيم جولدن الذى نشره عام ١٩٩٧ فى "نيويورك تايمز" عما كانت تعرفه وكالات الاستخبارات الأمريكية عن اختراق المخدرات لنظامى ساليناس وزيديّو كان يحتوى على قدر كبير من المعلومات، وإن لم يبرز جولدن تواطؤ وكالة الاستخبارات المركزية فى فساد الاستخبارات وجهاز الأمن فى المكسيك. ولا بد من توجيه الشكر لمكتب الشئون العامة بوكالة مكافحة المخدرات على توفير معلومات خلفية عن حياة ووفاة إنريكى كامارينا.

Americas Watch. Human Rights in Mexico: A Policy of Impunity. Americas Watch, 1990.

Anderson, John Ward. "Mexico Fires AntiDrug Czar in Bribe Probe." Washington Post, Feb.19, 1997.

Anderson, John Ward, and William Branigan. "Flood of Contraband Hard to Stop." Washington Post, Nov. 2, 1997.

Baker, Peter. "White House Claims Executive Privilege on Drug Memo. "Washington Post, Oct. 2, 1996.

Bardacke, Frank. ed. Shadows of Tender Fury: The Letters and Communiqués of Suhcomandante Marcos. Anderson Valley Advertiser broadsheet edition and Monthly Re view Press, 1995.

Barker, Jeff. "US Failing to Halt Drugs, Key Aide Says." Arizona Repuhuc, Nov.23, 1997.

Bennet, Jatnes. "Clinton Says Mexico's Firmness Is Bright Side of Drug Scandal." New York Times, Feb. 17, 1997.

Brnnigan, Williasn. "Trial in Catnarena Case Shows~DEA Anger at CIA." Washington Post, July 16, 1990.

"Mexican Writer's Death Isaid to Ex-Police Chief." Washjngton Post, June 13, 1989.

Casnp, Roderic. Who's Who in Mexico Today. Westview Prt'ss, 1993.

The Zedillo Cabinet: Continuiry, Change or Revolution? Center for Strategic Studies, 1995.

Castañeda, Jorgé. The Mexican Shock: Its Meaning for the US. New Irress, 1995.

Cordoba, José. "In Mexico, General Says Top Officers Got Bribes." Wall Street Journal, Oct. 2, 1997.

"Miathi Trial Probes Cocaine Links Between Cali Canel and Mexico." Wall Street Journal, May 30, 1997.

Crawford, Leslie. "Mexico Adsaits Drug Traffickers Bought Bank." Financial Times, March 17, 1998.

Dettner, Jarnie. "Border Wars." Insight, May 17, 1997.

Dillon, Sarn. "Mexico Drug Dealer Tried to Buy Way Out, General Says." New York Times, Sept.20, 1997.

"A Fugitive Lawrnan Speaks: How Mexico Mixes Narcotics and Politics." New York Times, Dec.23, 1996.

Dillon, Sara, and Cnaig Pyes. "Court Files Say Drug Baron Used Mexican Military." New York Times, May24, 1997.

Faik, Pamela. "Drugs Across the Border: A War We'ro Losing." Washington Post, Sept. 24, 1997.

Farah, Douglas, and Molly Moore. "Trilateral Suspicion: Mistrust Complicates Case Against Raúl Salinas." Washington Post, Nov.20, 1997.

Farah, Douglas, and Dana Priest. "Mexican Drug Force Is US-Bred." Washington Post, Feb.26, 1998.

Fineman, Mark. "Remains Found at Ranch Owned by Ranl Salinas." Los Angeles Times, Oct.10, 1996.

Golden, Tim. "Mexico and Drugs: Was US Napping?" New York Times, July 11, 1997.

Gunson, Phil. "Mexican Drug Force Linked to Torture." The Guardian, April22, 1998.

Hays, Laurie. "Swiss Interview Witnesses in US About Salinas Case." Wall Street Journal. Nov.26, 1997.

Mexican Cartels Used Citibank Accounts to Launder Drug Money, US Alleges. Wall Street Journal, Sept.26, 1997.

New Testimony Links Rall Salinas to Drugs." Wall Street Journal, March 13, 1998.

Hays, Laurie, Joel Miliman and Cnaig Torres. "Rall Salinas Linked to Big Cash Deposits." Wall Street Journal, May29, 1997.

Hays, Laurie, and Michael Allen. "Mexico Drug Lords Exploit NAF'TA, Report Says." Wall Street Journal, Feb.11, 1998.

Isikoff, Michael. "Mexican Ex-Officer Guilty in Murder of DEA Agent." Washington Post, Sept.23, 1988.

Jones, Robert. "Narcomania Knocks." Los Angeles Times, March 19,1997.

Kerry, John. The New War: The Web of Crime That Threatens America's Security. Simon and Schuster, 1997.

Kiare, Michael, and Cynthia Aruson. Supplying Repression. Institute for Policy Studies, 1981.

Levine, Michael. The Big White Lie. Thunder's Mouth, 1993. Deep Cover. Delaconte Press, 1990.

Lupsha, Peter. Drug Lords and Narco-corruption: The Players Change But the Game Continues. Paper for symposium at University of Wisconsin, 1990.

"Under the Volcano: Narco-Investment in Mexico." Transnational Organized Crime Journal. Spring 1995.

McConahay, J. "Mexico's War on Poppies and Peasants," New Times, Sept. 3,1976.

Marshall, Jonathan. Drug Wars: Corruption, Counterinsurgency and Covert Operations in the Third World. Cohen and Cohen, 1991.

Mills, James. The Underground Empire. Doubleday, 1986.

Oppenheimer, Andres. Bordering on Chaos: Guerrillas, Stockbrokers, Politicians and Mexico's Roadto Prosperity. Little, Brown. 1996.

"Jailed General: Mexican Elite Tied to Drugs." Miami Herald, July 8, 1997.

"Drug Money Hidden in US Banks, Officials Say." Miami Herald, Sept.14, 1997.

"Ratil Salinas Scandal: Grilling His Bankers." Miami Herald, Sept.16, 1996.

Onne, William A., Jr. Continental Shift: Free Trade and the New North America. Washington Post Company, 1993.

Paternostro, Silvana. "Mexico as a Narco-Democracy." World Policy Journal, vol.12, no.3, 1995.

Payne, Douglas. 'Ballots, Nea-Strougmen, Narcos and Impunity." Freedom Review, Feb.1995.

Poppa, Terence. Druglords. Pharos Books, 1990.

Preston, Julia. "US Trying to Smooth Mexico Path for Clinton." New York Times, April 20, 1997.

Pyes, Craig. "Legal Murders," Village Voice, June 4,1979.

Reding, Andrew. Democracy and Human Rights in Mexico. World Policy Papers. World Policy Institute, 1995.

"Mexico Under Salinas: AFacadeofRefoim." World Policy Journal, Fall 1989.

"A Drug Bust That Was Just for Show." Sacramento Bee, Jan.28, 1996.

"Mexico at a Crossroads: The 1988 Election and Beyond." World Policy Journal, Fall 1988.

"How to Steal an Election." Mother Jones, Nov.1988.

Reuter, Paul, and David Ronfeldt. Quest for Integrity: The Mexican/US Drug Issue in the 1980s. Rand Corporation, 1991.

Riding, Alan. Distant Neighbors. Random House, 1984.

Robinson, Jeffrey. The Laundrymen. Arcade. 1996.

Ross, John. Rebellion from the Roots: Indian Uprising in Chiapas. Common Courage Press, 1995.

Schulz, Donald. Mexico in Crisis. Strategic Studies Inst.. US Anmy War College, 1995.

Scott, Peter Dale, and Jonathan Marshall. Cocaine Politics. Univ. of California Press, 1991.

Shannon, Elalne. Desperados: Latin Drug Lords, US Lawmen, and the War America Can't Win. Viking, 1988.

Sheridan, Mary Beth. "Mexico Declares War on Drug Cartel." Los Angeles Times, March 10,1998.

Solis. Dianne. "Mexico Replaces Its Disgraced Drug Czar." Wall Street JournaA March 11,1997.

States, Paul. Global Habit: The Drug Problem in a Borderless World. Brookings Institution, 1997.

Sullivan, Brian. "International Organized Crime." Strategic Forum, May 1996.

Thonıas, Pierre. "US/Mexico Trade May Outweigh Anti-Drug Concerns." Washington Post, Feb.23,1997.

Tonres, Craig. "Mexican Skeleton May Hold Key to Solving a Mystery." Wall Street Journal, Oct.14, 1996.

US Department of State. International Narcotics. Government Printing Office, March 1996.

US Drug Enforcement Administration. "Debriefing Report un Lawrence Harrison," Sept.26, 1989.

Drug Control Along the Southwest Border. Government Printing Office. July 31, 1996.

US House Comrnittee on Foreign Affairs. US Narcotics Control Program Overseas.' An Assessment. 1985.

Select Committee on Narcotics Abuse and Control. Study Mission to Central America and the Caribbean. Government Printing Office, 1989.

Narcotics Control in Mexico. Government Printing Office, 1988.

Wager, Stephen, and Donald Schulz. The Awakening: The Japatista Revolt and Its Implications for Civil-Military Relations and the Future of Mexico. Strategic Studies Institute, US Army War College, 1994.

Walker, William III. Drug Control in the Americas. Univ. of New Mexico Press, 1989.

Washington Post, editorial. "The Mexican Surprise." Washington Post, April 13, 1989.

Weinstein, Henry. "Honduran Guilty of Conspiracy in Camarena Death." Las Angeles Times, July 27, 1990.

Whalen, Christopher. "Narcosistema II: The Salinas Cartel." The Mexico Report, Sept. 3, 1996.

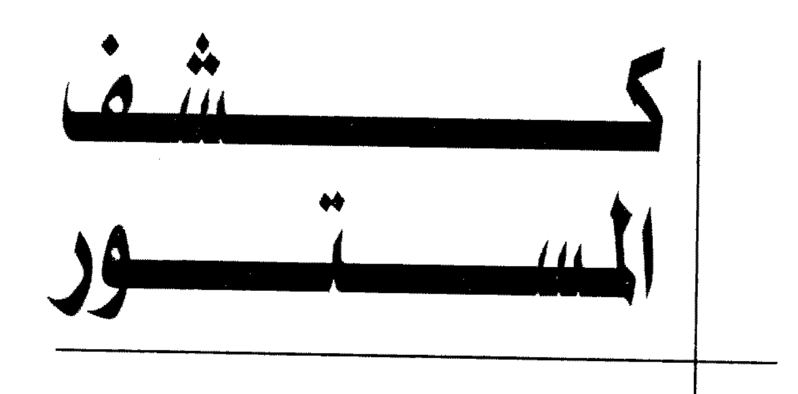
Willson, Brian. "US Military Moves into Mexico." Earth Island Journal, Spring 1998.

Witkin, Gordon, and Linda Robinson. "Drugs, Power and Death." US News and World Report, August 4, 1997.

15

التحالف الأسود

وكالة الاستخبارات المركزية
والمخدرات والصحافة



على مر العقود، اقتربت وكالة الاستخبارات المركزية من الكمال فى فن بعينه، وهو ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح «كشف المستور» ـ وهذه عملية تنكر من خلالها الوكالة فى البداية ـ وبكل الإرجاء الواجب ـ كل التهم الموجهة لها، ثم تعترف بها بنبرة خفيضة تكاد لا تسمع. ومن بين تلك الاتهامات تجنيد الوكالة للعلماء وضباط قوات هتلر الخاصة النازيين؛ وإجراء التجارب على المواطنين الأمريكيين دون علم منهم؛ والسعى لاغتيال فيدل كاسترو؛ والتحالفات مع أمراء الأفيون فى بورما، وتايلاند، ولاوس؛ وبرنامج الاغتيالات فى فيتنام؛ والتواطؤ لقلب نظام سلفادور الليندى فى شيلى؛ وتسليح تجار الأفيون والمتعصبين دينيًا فى أفغانستان؛ وتدريب الشرطة القاتلة فى جواتيمالا والسلفادور؛ والتورط فى نقل المخدرات والسلاح بين أمريكا اللاتينية والولايات المتحدة.

وتتفاوت أساليب كشف المستور المحددة من مثال إلى آخر، ولكن النموذج المثالى ثابت، منذ فرانك وزنر Frank Wisner و"ورلتيزر الجبار" Mighty Wurlitzer الخاص بالمدافعين عن وكالة الاستخبارات المركزية فى الصحافة، فالاتهامات ضد الوكالة تثار. ثم تسرب الوكالة التكذيبات للصحفيين ممن لهم حظوة لديها، حيث يسارع هؤلاء بإبلاغ الجمهور أنه بعد الفحص الذاتى المكثف، اكتشفت الوكالة أن أياديها ناصعة البياض. وعندما تخف الضجة، تصدر الوكالة تقريرًا يكتشف من القارئ المدقق، بعد التنقيب الذى يتسم بالصبر، أن الوكالة حقًا فعلت بصورة أو بأخرى ما اتهمت به بالضبط، وفى العلن، تظل الوكالة على إنكارها لما اعترف به فى تقريرها على استحياء. وفى البداية يشار إلى الاتهامات فى الصحافة المدافعة عن الوكالة على أنها "لا أساس لها" أو "مبالغ فيها" أو "غير مؤكدة" أو "حكاية قديمة" – وهو آخر لوى للحقائق. وبعد تكذيبات الوكالة تصبح "اتهامات مشينة"، وعادة ما يعودون بعد أن يهدأ الجو إلى

الحالة الأولى من الاتهامات "التى لا أساس لها" أو حتى "تتسم بعقد الاضطهاد" التى يتناقلها "مروجو المؤامرات".

والتزامًا من وكالة الاستخبارات المركزية بنموذج "كشف المستور"، أنكرت الوكالة بشدة الادعاءات التى ساقها المحققون، ومنهم جارى وِب، عن تحالفها مع مقاتلى كونترا الذين يهربون المخدرات، ورعايتها وحمايتها لأنشطتهم الخاصة بتهريب الكوكايين إلى داخل الولايات المتحدة. ثم تلت ذلك التعهدات الجادة بإجراء تحقيق مكثف وشامل يقوم به المفتش العام بالوكالة. وفى سلسلة تكذيباته عام ١٩٩٦، وعد مدير الوكالة جون دويتش بأن يقوم مفتش عام الوكالة فردريك هيتز بمراجعة داخلية لكل ملفات الوكالة المتصلة بالقضية ويضع على الفور الحقائق أمام الشعب الأمريكى بسبب «جدية الادعاءات وضرورة حل أية مسائل فى هذا المجال حلاً نهائيًا».

وبدأ المفتش العام هيتز العمل، وفى البداية، تعهد دويتش بأن يقدم هيتز ما يتوصل إليه من نتائج خلال ثلاثة أشهر. وعجز هيتز عن اتباع هذا الجدول الزمنى. وساد الصمت لمدة عام ونصف تقريبًا، ما عدا أخبار متناثرة فى "واشنطن بوست" من تلميذ وكالة الاستخبارات المركزية السابق والتر بينكَص بما يفيد أن تحقيق المفتش العام لم يسفر عن شىء بشأن نوروين مينيسيس.

وبعد ذلك، وفى ١٨ ديسمبر ١٩٩٧، ظهرت القصتان الإخباريتان اللتان كتبهما والتر بينكَص فى "واشنطن بوست" وتيم وينر فى "نيويورك تايمز" فى وقت واحد، لتقولا الشىء نفسه، وهو أن المفتش العام هيتز انتهى من التحقيق، وهو لم يجد صلات "مباشرة أو غير مباشرة" بين وكالة الاستخبارات المركزية وتجار الكوكايين. وكما اعترف بينكَص ووينر فى قصتيهما، فإن أيًا من الصحفيين لم ير بالفعل التقرير الذى ادعيا أنهما يعرضانه على قرائهما. وعلى الفور التقطت شبكات التليفزيون القصتين، وقدمت جميعها عرضًا عظيمًا بالأخبار التى تقول إن الوكالة بريئة. وكانت تلك هى اللحظة التى أعلن عندها جارى وِب أنه الفراق بينه وبين صحيفته "سان هوزيه ميركورى"، بعد المفاوضات.

وبعد ستة أسابيع بالتمام والكمال، أعلن جورج تينيت مدير الوكالة الجديد أنه سينشر تقرير المفتش العام، ولا بد أن أى إنسان يستمع إلى إعلان تينيت استنتج بشكل منطقى

أن وينر وبينكَص كانا دقيقين فى قصتيهما الإخباريتين التوقعيتين. وتفاخر تينيت بأن "ذلك كان أشمل تحقيق يجريه مكتب المفتش العام، حيث تطلب ذلك مراجعة ٢٥٠ ألف صفحة من الوثائق والمستندات وإجراء مقابلات مع ٣٦٥ شخصاً. وأنا مقتنع بأن المفتش العام لم يترك حجراً دون أن يقلبه ليكشف عن الحقيقة. ولا بد أن أعترف بأن زملائى وأنا مهتمون كل الاهتمام بأن الادعاءات المطروحة تركت أثراً فى أذهان الأمريكيين ليس من السهل محوه، وهو أن الوكالة كانت مسئولة بصورة أو بأخرى عن بلاء المخدرات فى أحيائنا الفقيرة. ومما يؤسف له أن أى تحقيق - مهما كان مضنياً - لن يمحو الانطباع الزائف أو يزيل الضرر الذى وقع. فهذا جانب من أسوأ جوانب هذا الأمر كله."

ونقلت تأكيدات تينيت على الفور. ولم يحظ التقرير الفعلى نفسه، الذى نُقل بصوت عال، بأى فحص أو تمحيص. ولكن هؤلاء الذين أمضوا وقتاً فى مراجعة الوثيقة التى تضم ١٤٩ صفحة وجدوا أن المفتش العام هيتز يقدم الاعتراف تلو الآخر.

وأورد التقرير برقية من إدارة العمليات بوكالة الاستخبارات المركزية بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩٨٢، تتحدث عن اجتماع مرتقب بين قادة كونترا فى كوستاريكا من أجل "مقايضة [فى الولايات المتحدة] للمخدرات بالسلاح."

وأصدر مدير العمليات التوجيهات إلى مكتبه الميدانى بعدم النظر فى معاملة السلاح مقابل المخدرات الوشيكة هذه "فى ضوء التورط الواضح لأشخاص أمريكيين فى كل مكان". بعبارة أخرى، كانت وكالة الاستخبارات المركزية تعلم أن مقاتلى كونترا كانوا يخططون لمقايضة المخدرات بالسلاح، وكانت الوكالة مستعدة لأن تجعل الصفقة تتم. فكيف تعامل المفتش العام مع هذه البرقية، التى يؤكد ظاهرها الاتهام الأساسى الذى قدمه المحققون منذ التقارير الأولى لكل من روبرت بارى وبريان بارجر، وليزلى كوكبرن؟

إن القصة مدفونة فى أعماق التقرير، وهى نفسها مكتوبة بلغة مهدئة، وينهى المفتش العام كلامه قائلاً بلهجة المنتصر: إن وكالة الاستخبارات المركزية نفسها كانت تتصرف بشكل سليم، حيث إن أى عمل ضد المواطنين الأمريكيين المشاركين فى اجتماع كوستاريكا سيكون فيه خرق للحظر المفروض على أنشطة الوكالة داخل الولايات المتحدة.

ومن بين الذين كان من المقرر أن يحضروا اجتماع كوستاريكا هذا قادة اثنتين من جماعات كونترا، وهما "إف دى إن" و"يو دى إن"، وتجار السلاح الأمريكيون وريناتو بينيا Renato Peña، وهو من رجال عصابة نوروين مينيسيس التى تستورد الكوكايين من أمريكا اللاتينية إلى الولايات المتحدة وتسوقه على الساحل الغربى. وكان بينيا كذلك المتحدث الرسمى باسم مقاتلى كونترا فى سان فرانسيسكو. وقد أجرى مفتش وكالة الاستخبارات المركزية العام مقابلة مع بينيا، حيث اعترف له بأنه قام بحوالى ثمانى رحلات على كاليفورنيا فيما بين ١٩٨٢ و١٩٨٤، حيث نقل أموالاً ومخدرات من عصابة مينيسيس للكوكايين. وأبلغ مينيا المفتش العام أنه فى كل رحلة كان يحمل ما بين ٦٠٠ ألف ومليون دولار نقداً إلى لوس أنجلوس ويعود إلى سان فرانسيسكو بما يتراوح ما بين ٦ و٨ كيلوجرامات من الكوكايين. وقال مينيا إنه التقى بمينيسيس فى اجتماع عقد فى سان فرانسيسكو عام ١٩٨٢ لـ"إف دى إن". وفى النهاية أصبح بينيا "ممثلاً عسكرياً لـ"إف دى إن" فى سان فرانسيسكو"، وهو المنصب الذى أبلغ بينيا المفتش العام أنه يدين به للعلاقة الوثيقة لنوروين مينيسيس بإنريكى بيرموديث، قائد "إف دى إن" الذى يتلقى أجراً من وكالة الاستخبارات المركزية، بل إن بينيا أبلغ هيتز أن تجار الجملة الكولومبيين قالوا له إن نسبة من أرباح مبيعات مينيسيس من الكوكايين يبعث بها إلى مقاتلى كونترا.

وهكذا أكد بينيا للمفتش العام أن أحد كبار مهربى المخدرات كان كذلك صاحب منصب رفيع فى كونترا، وأن وكالة الاستخبارات المركزية كانت على علم بأن كونترا تقوم بنقل السلاح مقابل المخدرات ولم تفعل هى أى شىء لمنع ذلك.

وإذا مضينا أكثر فى قراءتنا لتقرير المفتش العام سنجد أنه بعد ستة أشهر من برقية وكالة الاستخبارات المركزية المتعلقة باجتماع كوستاريكا، كانت هناك برقية أخرى من مركز قسم أمريكا اللاتينية بالوكالة، تشير إلى مواطن نيكاراجوى مغترب قال فى أكتوبر ١٩٨٢ إنه "يأمل فى الاتصال بصديق اسمه نوربين [هكذا] [مينيسيس] فى ميامى سوف يوجهه على معسكرات تدريب الثورة المضادة فى جنوب فلوريدا وفى النهاية يلتحق بوحدات ميسكيتو Miskito القتالية فى هُندوراس". وبذلك تكشف برقية الوكالة المزيد من الأدلة على أن وكالة الاستخبارات المركزية كانت على علم بالصلات

التى بين نورويين مينيسيس، الذى عُرِّف بأنه مهرب مخدرات منذ ١٩٧٨، ومقاتلى كونترا.

وعندما أجرى العاملون مع هيتز فى نهاية الأمر مقابلة مع مينيسيس نفسه فى سجن نيكاراجوا، حيث كان يقضى فترة عقوبة مدتها أربعون سنة لتهريبه المخدرات، يشير التقرير إلى أن مينيسيس عجَّل بإعلان أنه كان "مُجَنِّدا" لمقاتلى كونترا ولكنه لم يشارك قط فى تجارة الكوكايين. واستغل هيتز هذه العبارة الواضح عدم صدقها كدليل على أن تهريب المخدرات ونشاط كونترا لم يتداخلا قط.

وفيما يتعلق بدانييل بلاندون، الذى كان يورد الكوكايين لريك روس فى لوس أنجلوس، وشريك مينيسيس فى عصابة الكوكايين، فإن المقابلة التى أجراها المفتش العام مع بلاندون، وهو الآن تاجر أخشاب فى نيكاراجوا، تسجل أن بلاندون أعلن أنه دخل تجارة الكوكايين عام ١٩٨١ وأثناء الفترة التى كان فيها تاجر كوكايين بالجملة التقى بقائد "إف دى إن" العسكرى إنريكى بيرموديث أربع مرات على الأقل. وفى كل مرة كان بيرموديث يقول إنه فى حاجة ماسة إلى المال ويحث النيكاراجوى على أن يبذل ما فى وسعه لمساعدة قضية كونترا. ويذكر بلاندون أن قائد كونترا قال له «الغايات تبرر الوسائل»، ويعترف بلاندون بأن بيرموديث كان على علم بتورط مينيسيس فى مشروع إجرامى.

وفى تقليل لمصداقية مينيسيس إلى حد ما، وصف بلاندون اجتماعًا مع بيرموديث فى هُندوراس تم بينما بلاندون ومينيسيس يقومان بعملية تهريب للمخدرات إلى بوليفيا، وقال بلاندون إنه التقى ببيرموديث مرة أخرى فى فورت لودرديل فى أواخر عام ١٩٨٣، ومغزى هذين الاجتماعين هو أن بلاندون - المعترَف بأنه تاجر مخدرات - كانت له علاقة دائمة بقائد عسكرى كبير فى كونترا يتبع وكالة الاستخبارات المركزية.

وأبلغ بلاندون المفتش العام أنه تبرع بحوالى ٤٠ ألف دولار لقضية كونترا فى عامى ١٩٨١ و١٩٨٢ وأن مينيسيس تبرع بمبلغ مماثل. بعبارة أخرى، كان مقاتلو كونترا يحصلون على أموال المخدرات. بل إن المفتش العام يشير إلى أن بلاندون كانت له علاقة أوثق بقائد كونترا إيدن باستورا. أبلغ بلاندون محققى الوكالة أنه سمح لباستورا

بالإقامة «مجانًا في أحد منازله في كوستاريكا من ١٩٨٤ حتى ١٩٨٧»، وهذه هي الفترة التي يعترف بلاندون بأن دخله فيها كان يكاد يقتصر على تجارة الكوكايين وحدها. ويذكر بلاندون لمحققي وكالة الاستخبارات المركزية أن باستورا طلب من كل من اتصل به أن يجمع المال لقضية كونترا. وأشار بلاندون إلى أنه أعطى باستورا ٩ آلاف دولار نقدًا عام ١٩٨٥ وكذلك شاحنتين في عام ١٩٨٦.

وتأكد محققو هيتز من صحة قصة بلاندون من إيدن باستورا، الذي اعترف بكرم بلاندون وباح هو ببعض الأسرار الخاصة به. فقد اعترف باستورا بأنه تلقى ما لا يقل عن ٤٠ ألف دولار وطائرتين، بينهما طائرة شحن من طراز C-47 من تاجر الكوكايين جورج موراليس. واعترف باستورا كذلك بتلقيه طائرتي هليكوبتر و٦٠ ألف دولار من كوبيين في المنفى لهما كذلك صلة بتجارة المخدرات، كما أقر بتلقيه مبلغ ٢٥ ألف دولار آخر من مانويل نورييجا.

بل إن ما يؤكد الاتهامات أكثر وأكثر أن تقرير المفتش العام يكمل الاعتراف بأن الوكالة طلبت من وزارة العدل إعادة مبلغ ٣٦٨٠٠ دولار إلى أحد أعضاء عصابة مخدرات مينيسيس. وكان ذلك هو المبلغ الذي ضبطته وكالة مكافحة المخدرات في "غارة فروجمان" المشهورة على واجهة سان فرانسيسكو البحرية وألقى فيها عملاء المخدرات القبض على رجال مينيسيس وهم يفرغون ٢٠٠ كيلو من الكوكايين. واتجهت الفرقة المغيرة بعد ذلك إلى بيت خوليو ثابالا، وهو أحد رجال مينيسيس الذين ألقي القبض عليهم، وعثرت الشرطة في كومودينو على ٣٦٨٠٠ دولار وصادرت المبلغ باعتباره أحد الأدلة.

وعلى الفور انبرت وكالة الاستخبارات المركزية للقتال باسم ثابالا. وتقول مذكرة استُشهد بها في تقرير هيتز إنه «بناء على طلب المحامي العام بوكالة الاستخبارات المركزية، وافق النائب العام الأمريكي على إعادة المال لثابالا»، وذكر مفتش وكالة الاستخبارات العام أن الوكالة كانت ترغب في إعادة المال "حماية لمصلحة عملياتية قانونية؛ أي مجموعة كونترا المساندة التي لها [أي الوكالة] فيها مصلحة عملياتية".

وفي ٢٢ أغسطس ١٩٨٤، تتحدث مذكرة لوكالة الاستخبارات المركزية - استشهد بها المفتش العام كذلك - عن ضرورة توافر السرية في قضية فروجمان برمتها. وتحت اسم لي

ستريكلاند Lee S. Strickland المحامى العام المساعد لوكالة الاستخبارات المركزية، تقول المذكرة فى جزء منها: "أعتقد أنه يجب إعلام المركز باحتمال حدوث كارثة. فبينما قد تكون الادعاءات [وهى المخدرات مقابل سلاح كونترا] زائفة تمامًا، فهناك ما يكفى من التفاصيل الحقيقية التى قد تلحق ضررًا بصورتنا وبالبرنامج فى أمريكا الوسطى".

وأحد الملامح المألوفة فى نموذج "كشف المستور" هو العبارة التى كثيرًا ما يرددها الصحفيون المدافعون عن وكالة الاستخبارات المركزية، وهى أنه لم يعثر على "دليل دامغ" فى أى تحقيق تجرى مراجعته. والواقع أن طلب الوكالة الذى كلل بالنجاح بإعادة مبلغ ٣٦٨٠٠ دولار إلى عصابة مهربى مخدرات لأن الوكالة لها "مصلحة عملياتية" لهى بكل وضوح دليل دامغ، وإن كان ذلك يقلل من الحقيقة الأكبر وهى أن تقرير المفتش العام هيتز بكامله دليل دامغ.

وإذا كان على المرء أن يبحث عن دليل دامغ بشدة آخر، بالمعنى الضيق للعبارة، فإن رواية كارلوس كابيثاس، طيار المخدرات الذى كان يقوم بعمليات تهريب المخدرات والسلاح بين سان فرانسيسكو وكوستاريكا، هى المرشح المناسب لأن تكون هذا الدليل. وكما أوضحنا فى الفصل الثانى عشر، فإن على تقرير المفتش العام أن يواجه حقيقة أن كابيثاس أبلغ محققى وكالة الاستخبارات المركزية كيف أنه ذهب إلى كوستاريكا فى ربيع ١٩٨٢ بالمال لكونترا، وهناك التقى بهوراتيو بيريرا وتروليو سانتشيث، اللذين كانا من قادة كونترا وكذلك شركاء لمهرب المخدرات والسلاح نوروين مينيسيس. ويذكر كابيثاس أنه كان بصحبة هذين الشخصين رجل أجعد الشعر قال إن اسمه ايفان جوميث Ivan Gomez. وعرف بيريرا جوميث لكابيثاس على أنه "رجل وكالة الاستخبارات المركزية «فى كوستاريكا»، وأبلغ كابيثاس المفتش العام أن جوميث ذكر أنه موجود هناك لـ"ضمان أن أرباح الكوكايين ذهبت إلى مقاتلى كونترا وليس إلى جيب أى شخص".

وفى محاولة من المفتش العام لدفع هذه العبارة الدامغة، اعترف بأنه صحيح أن وكالة الاستخبارات المركزية لها "متعهد فى كوستاريكا يستعمل اسم "إيفان جوميث". ولكن المفتش العام أضاف بشجاعة أن مظهره العام "يختلف بالمرة" عن الواقع، فإيفان جوميث "الحقيقى" أقصر قامة وأنحف مما يتذكره كابيثاس عنه، مع أن وصف كابيثاس

للرجل الذى شاهده مرتين قبل خمسة عشر عامًا كان دقيقاً إلى درجة أن متعهد الوكالة كان بالفعل ذا شعر أجعد.

وبعد ستة أسابيع من نشر تقريره (الذى خضع لرقابة شديدة بصورته التى أفرج بها عنه)، ذهب المفتش العام إلى الكونجرس للإدلاء بشهادته أمام لجنة مجلس النواب. وهناك تقدم باعترافات أكثر ضررًا؛ فلأول مرة يعلن المفتش العام أن وكالته كانت تعلم أن "عشرات الأشخاص وعدداً من الشركات الذين لهم علاقة بصورة أو بأخرى ببرنامج كونترا" كانوا متورطين فى تجارة المخدرات. كما قال إن الوكالة كانت على علم بأن المخدرات كانت تعود عبر خطوط إمداد كونترا إلى الولايات المتحدة، وأضاف قائلاً: "اسمحوا لى أن أكون صريحًا. هناك أمثلة لم تقطع فيها وكالة الاستخبارات المركزية العلاقات بطريقة فعالة ومستمرة مع أفراد يدعمون برنامج كونترا وكانت هناك ادعاءات بأنهم يشاركون فى نشاط تجارة المخدرات، أو تتخذ أى إجراء لتحليل الادعاءات."

بل إن الأكثر ضرراً هو بيان هيتز أن الوكالة فى عام ١٩٨٢ وقعت مذكرة تفاهم مع النائب العام فى حكومة رونالد ريجان، ويليام فرنش سميث William French Smith، تحرر الوكالة من أى التزام بالإبلاغ عن ادعاءات تهريب المخدرات التى تشمل غير العاملين. وطبقًا لما يراه هيتز (الذى رفض نشر المذكرة بالكامل) فقد وصف غير العاملين بأنهم من يتقاضون أجرًا أو لا يتقاضون من "العملاء والطيارين الذى ينقلون الإمدادات لكونترا وكذلك مسئولى كونترا وغيرهم".

وهكذا، فإنه فى عام ١٩٨٢، وبينما كانت وكالة الاستخبارات المركزية توسِّع عمليتها السرية لإمداد كونترا، كان من الواضح أن الوكالة على علم كاف بطبيعة العمل الذى تشرف عليه بحيث تتأكد من أنها لن تضطر للإبلاغ عن أنشطة تجارة المخدرات التى يقوم بها أى من قادة كونترا أو الطيارين المتعاقدين أو رجال الأعمال أو غيرهم ممن تتعامل معهم. وفى عام ١٩٨٦ فقط - وبعد عودة تدفق أموال الكونجرس إلى مقاتلى كونترا - عُدلت الاتفاقية مع وزارة العدل لمطالبة الوكالة بوقف دفع أجور لـ"العملاء" الذين تعتقد أنهم متورطون فى تجارة المخدرات، وانتهى الاتفاق رسمياً فى عام ١٩٩٥.

ويميز هذا الترتيب النسق العقلى الخارج عن القانون لوكالة الاستخبارات المركزية، ويقول ضابط وكالة الاستخبارات المركزية السابق رالف ماكجى: "فى وكالة تستخدم الضغط والأمن القومى' لإخفاء انتهاكات القانون، والحقائق غير المقبولة سياسيًا، والعديد من المحرمات، لا بد أن تكون على أعلى قدر من المحاسبة. فإن ما لديك هو العكس، بغض النظر عن حجم الإثم – وهو نظام يدافع عن نفسه بكل ثمن.

ويكفى هذا القدر عن كشف المستور. وعندما أكملت وكالة الاستخبارات المركزية عامها الخمسين فى سنة ١٩٩٧، حاولت تعريف دورها فى عالم لم يعد فيه الاتحاد السوفيتى. وكان ما توصلت إليه هو خطة لمكافحة شيء كانت تشجعه كثيرًا فى النصف الأول من حياتها، وهو الجريمة الدولية! ومن بين أهداف الوكالة المقترحة للحفاظ على شريحتها من الميزانية، وقدرها ٢٧ مليار دولار، غسيل الأموال، والهجرة غير المشروعة، وتهريب المخدرات، والإرهاب الكيماوى والبيولوجى. وقبل ذلك بثلاث سنوات فقط، كانت الوكالة لاتزال تتمتع بإعفاء من الإبلاغ عن أنشطة المخدرات التى يقوم بها أعوانها، وإذا أُتيح لأشباح لاكى لوتشيانو وماير لانسكى وجيانج كاى شيك وجورج هنتر وايت وبارى سيل وآلاف غيرهم، أن يقرءوا نشرة وكالة الاستخبارات المركزية الخاصة بتوقعات الألفية الثالثة، لضحكوا على تبجح شريكتهم القديمة فى الجريمة.

■ ■ ■

المصـــادر

الموضوع الحساس الخاص بالصحفيين الذين على كشف رواتب وكالة الاستخبارات المركزية تناوله المحققون من حين لآخر. ففى عام ١٩٩٧ هاجم كارل برنستاين الموضوع فى كتابه Rolling Stone الذى انتهى إلى أن أكثر من ٤٠٠ صحفى كان يربطهم شكل ما من أشكال التحالف مع الوكالة من ١٩٥٦ حتى ١٩٧٢. وفى عام ١٩٩٧ أكد ابن أحد كبار رجال الوكالة فى سنواتها الأولى أنه "بالطبع" كان الكاتب الصحفى القوى صاحب التأثير الضار جوزيف ألسوب "كان على كشف الرواتب"، وإن طلب عدم نشر ذلك.

فى الذكرى الخمسين لإنشاء وكالة الاستخبارات المركزية، حدد الرئيس بيل كلينتون الخطوط العريضة لرؤيته الخاصة بمستقبل الوكالة: "إن مهمتنا الأولى هى التركيز على مصادرنا الاستخباراتية فى المناطق الأكثر أهمية لأمننا القومى – وهى كما قال المدير تينيت تلك المناطق التى لا يمكن أن نفشل فيها. ومنذ عامين وضعت أولوياتنا الاستخباراتية ضمن توجيه القرارات الرئاسية. ويأتى على رأس هذه الأولويات دعم قواتنا وعملياتنا، سواء لرد العدوان، أو المساعدة فى تأمين السلام، أو تقديم المساعدات الإنسانية. والأولوية الثانية هى توفير المعلومات الاستخبارية السياسية والاقتصادية والعسكرية الخاصة بالدول المعادية للولايات المتحدة كى يمكننا أن نساعد فى منع الأزمات والصراعات قبل وقوعها، أما الأولوية الثالثة فهى حماية المواطنين الأمريكيين من التهديدات الجديدة المتعدية للقومية مثل تجار المخدرات والإرهابيين والمجرمين المنظمين وأسلحة الدمار الشامل."

فهل تغيرت وكالة الاستخبارات المركزية؟ ليس هناك الكثير مما يدل على ذلك، ففى مارس ١٩٨٨، ردت الوكالة بغضب على إجراء اتخذه الكونجرس للعمل بشروط حماية من يكشفون المخالفات من العاملين بالوكالة، وعلى الفور قال المدير جورج تينيت إن ذلك يشكل تهديدا «خطيرا» للأمن القومى. وبالمثل انتقدت الوكالة فى شهر مايو تشريعًا يقتضى منها فتح ملفاتها عن علاقاتها بعصابات الشرطة القاتلة فى أمريكا اللاتينية. وشهد رجل الوكالة لى ستريكلاند - الذى حاول التغطية على

قضية فروجمان - بأن الوكالة كانت قادرة على أن تقرر بنفسها أى الوثائق التى ينبغى نشرها على الجمهور بدون أى تدخل من الكونجرس.

Beatnish. Rita. "CIA Uses Intelligence Briefing to Tout Role in Battling Drugs." AP Wire, June28, 1995.

Bernstein, Carl. "The CIA and the Media." Rolling Stone, Oct.20, 1977.

Cockbutn, Alexander, and Jeffrey St. Clair. "Crack-Up: The CIA Probe." Counterpunch, Feb. I~I5, 1998.

Honey, Mattha. "Don't Ask, Don't Tell: The CIA's Complicity with Drug Traffickers Was Official Policy." In These Times, May 17, 1988.

Parry, Robert. "Contra-Coke: Bad to Worse." The Consortium, Feb.16, 1998.

Pincus, Walter. "CIA Finds No Link to Cocaine Sales." Washington Post, Dec.18, 1997.

"Probe Finds No CIA Link to L.A. Crack Cocaine Sales." Washington Post, January30, 1998.

"Inspector: CIA Kept Ties With Alleged Traffickers" Washington Post, March 17, 1998.

Tenet, George J. "Statement on Release of Inspector General's Report." USCIA Public Affairs Office, Jan.29, 1998.

US Central Intelligence Agency. Office of Inspector General. Report of Invesngation

Concerning Allegations Between CiA and the Contras in Trafficking Cocaine to the United States. USCIA Inspector General's Office, Jan.29, 1998.

US Executive Office of the President. "Remarks of President William Jefferson Clinton on the 50th Anniversary of the Central Intelligence Agency." White House Press Office, Nov. 4, 1997.

Weiner, Tim. 'Aging Shop of Honrors: The CIA Limps to .50." New York Times, Nov. 16, 1997.

"CIA Says It Has Found No Link Between Itself and Crack Trade." New York Times, Dec.19, 1997.

المترجم في سطور

• يعمل حالياً رئيساً لقسم الترجمة بمجلة «كل الناس» وهو حاصل على ليسانس اللغة الإنجليزية من كلية الآداب جامعة القاهرة (١٩٧٣) ودبلوم الدراسات العليا فى الترجمة من نفس الكلية. وهو عضو اتحاد الكتاب المصرى ونقابة الصحفيين وحاصل على جائزة محمد بدران ١٩٨٨ لأفضل كتاب مترجم عن «طريق الحرير».

• الكتب التى ترجمها:

- «الناس فى صعيد مصر»، وينيفريد بلاكمان، دار عين، ١٩٩٥.
- «طريق الحرير»، ايريك فرانك، ديفيد براونستون، المشروع القومى للترجمة، ١٩٩٧.
- «عالم ماك» بنجامين باربر، المشروع القومى للترجمة، ١٩٩٨.
- «التراث المغدور»، روبرت دنيا، جون فاين، المشروع القومى للترجمة، ١٩٩٩.
- «العولمة»، رونالد روبرتسون (مشاركة مع نورا أمين)، المشروع القومى للترجمة، ١٩٩٩.
- «تشريح حضارة»، بارى كيمب، المشروع القومى للترجمة، ٢٠٠٠.
- «صناعة الثقافة السوداء»، إيليس كاشمور، المشروع القومى للترجمة، ٢٠٠٠.
- «صناعة الخبر فى كواليس الصحف الأمريكية»، جون هاملتون، جورج كريمسكى، دار الشروق، ٢٠٠١.

• له ترجمات فى الدوريات الثقافية ومنها «وجهات نظر»، و«الثقافة العالمية».

الفهرس

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية:

١ - الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

٢ - التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية.

٣ - الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب.

٤ - ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب مع المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين.

٥ - العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة.

٦ - الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة.

المشروع القومى للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه – كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

العنوان	المؤلف	المترجم
٣٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ - واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ - نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ - عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ - اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤ - بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ - التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ - تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ - الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ - مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ - الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ - ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ - لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ - العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانغ رودريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ – السياسي العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلي
٧٣ – نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومي
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ – چاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	ت : سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمري
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوي
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	ت : محمود السيد علي
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالي
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقي	ت : أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العناني
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوي
٩٥ – مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سري محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
٩٨ – الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحي
١٠١ – النص الروائي (تقنيات ومناهج)	بيرنار ڤاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبي	ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣ – قبر ابن عربي يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجني	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوي
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسي	د. ماريا خيسوس روبييرامتي	ت : أشرف علي دعدور
١٠٧ – صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبـة	ت : محمد عبد الله الجعيدي

١٠٨ – ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ – حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ – النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ – المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ – الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ – راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ – مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ – غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ – امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ – المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ – النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ – النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ – الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ – الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ – نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ – الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقولاى ألكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ – الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ – التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ – فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ – إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ – الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ – الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ – الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ – مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ – ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ – الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ – تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ – المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ – فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ – مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	جوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ – عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ – پارسيڤال	ريشارد فاجنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ – حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ – اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ – الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ – قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ – صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان



١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف اليمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديڤيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامپوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ – العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بزرج علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	الڤين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	پول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو–أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ – الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ – الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى – سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ – ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ – بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ – الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ – شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ – فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ – دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ – حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماردينا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ – الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ – مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ – فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ – الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ – ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ – الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ – مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ – العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ – فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ – الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ – نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ – قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ – حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ – لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ – علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ – الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ – أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٣	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الجينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان روافو	ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنونًا	يوربيبدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – رحلة إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوچيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بـوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريـوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت : جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية	خايير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت :كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد	شير لايموفا – زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ – لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ – وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو. إيوجين كليناور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ – عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ – المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ – يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

العنوان	المؤلف	المترجم
٣٣٠ – كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامى صلاح
٣٣١ – عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت : سامية دياب
٣٣٢ – رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٣٣ – الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٣٣٤ – لقطات من المستقبل	آرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمى
٣٣٥ – عصر الشك	ناتالى ساروت	ت : فتحى العشرى
٣٣٦ – متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٣٣٧ – فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٣٨ – نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٣	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ – اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخرى لبيب
٣٤١ – قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمى
٣٤٢ – سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٤٣ – العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ – الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ – الركض خلف الزمن	بونه ندائى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ – سحر مصر	رشاد رشدى	ت : جمال الجزيرى
٣٤٧ – الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو
٣٤٨ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ١	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٤٩ – دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدرون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٣٥٠ – بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٣٥١ – مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٥٢ – قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٣٥٣ – الفن الإسلامى فى الأندلس (هندسية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٤ – الفن الإسلامى فى الأندلس (نباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٥ – التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٥٦ – الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعى
٣٥٧ – متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٣٥٨ – أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت : مصطفى حجازى السيد
٣٥٩ – محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت : حبيب الشارونى
٣٦٠ – أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت : ليلى الشربينى
٣٦١ – التصحر : التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت : عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢ – تلميذ بابنبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٣٦٣ – حركات التحرر الأفريقى	ريتشارد جيبسون	ت : صبري محمد حسن
٣٦٤ – حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٣٦٥ – سأم باريس	شارل بودلير	ت : محمد أحمد حمد
٣٦٦ – نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت : مصطفى محمود محمد

٣٦٧ – القلم الجرىء	نخبة	ت : البرّاق عبد الهادى رضا
٣٦٨ – المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت : عابد خزندار
٣٦٩ – المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت : فوزية العشماوى
٣٧٠ – الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت : فاطمة عبد الله محمود
٣٧١ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ٢	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٧٢ – عاش الشباب	وانغ مينغ	ت : وحيد السعيد عبد الحميد
٣٧٣ – كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٧٤ – اليوم السادس	أندريه شديد	ت : حمادة إبراهيم
٣٧٥ – الخلود	ميلان كونديرا	ت : خالد أبو اليزيد
٣٧٦ – الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت : إدوار الخراط
٣٧٧ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٤	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٧٨ – المسافر	محمد إقبال	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٧٩ – ملك فى الحديقة	سنيل باث	ت : جمال عبد الرحمن
٣٨٠ – حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت : شيرين عبد السلام
٣٨١ – أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت : رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢ – تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت : أحمد محمد نادى
٣٨٣ – هدية الحجاز	محمد إقبال	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٨٤ – القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت : إيزابيل كمال
٣٨٥ – مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٨٦ – دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت : ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧ – أغنيات وسوناتات	چون دن	ت : بهاء چاهين
٣٨٨ – مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٨٩ – من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٩٠ – الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت : عثمان مصطفى عثمان
٣٩١ – الحافلة الليلكية	مايف بينشى	ت : منى الدروبى
٣٩٢ – مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانخا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٣٩٣ – فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت : نخبة
٣٩٤ – القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	ت : هاشم أحمد محمد
٣٩٥ – آلام سياوش	إسماعيل فصيح	ت : سليم حمدان
٣٩٦ – السافاك	تقى نجارى راد	ت :محمود سلامة علاوى
٣٩٧ – نيتشه	لورانس جين	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٨ – سارتر	فيليب تودى	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٩ – كامى	ديفيد ميروفتس	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٤٠٠ – مومو	مشيائيل إنده	ت : باهر الجوهرى
٤٠١ – الرياضيات	زيادون ساردر	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٢ – هوكنج	ج . ب . ماك ايفوى	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٣ – رية المطر والملابس تصنع الناس	تودور شتورم	ت : عماد حسن بكر

العنوان	المؤلف	المترجم
٤٠٤ – تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ت : ظبية خميس
٤٠٥ – إيزابيل	أندريه جيد	ت : حمادة إبراهيم
٤٠٦ – المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٤٠٧ – الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	ت : طلعت شاهين
٤٠٨ – معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	ت : عنان الشهاوى
٤٠٩ – انتصار السعادة	برتراند راسل	ت : إلهامى عمارة
٤١٠– خلاصة القرن	كارل بوير	ت : الزواوى بغورة
٤١١ – همس من الماضى	جينيفر آكرمان	ت : أحمد مستجير
٤١٢ – تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى بروفنسال	ت : نخبة
٤١٣ – أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت : محمد البخارى
٤١٤ – الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	ت : أمل الصبان
٤١٥ – صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	ت : أحمد كامل عبد الرحيم
٤١٦ – مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	ت : مصطفى بدوى
٤١٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج٥	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤١٨ – سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	ت : عبد الرحمن الشيخ
٤١٩ – العصر الذهبى للإسكندرية	جون ماريو	ت : نسيم مجلى
٤٢٠ – مكرو ميجاس	فولتير	ت : الطيب بن رجب
٤٢١ – الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى	روى متحدة	ت : أشرف محمد كيلانى
٤٢٢ – رحلة لاستكشاف أفريقيا جـ١	نخبة	ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٢٣ – إسراءات الرجل الطيف	نخبة	ت : وحيد النقاش
٤٢٤ – لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبد الرحمن الجامى	ت : محمد علاء الدين منصور
٤٢٥ – من طاووس حتى فرح	محمود طلوعى	ت : محمود سلامة علاوى
٤٢٦ – الخفافيش وقصص أخرى من أفغانستان	نخبة	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧ – بانديراس الطاغية	باى إنكلان	ت : ثريا شلبى
٤٢٨ – الخزانة الخفية	محمد هوتك	ت : محمد أمان صافى
٤٢٩ – هيجل	ليود سبنسر وأندرزجى كروز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٠ – كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣١ – فوكو	كريس هيروكس وزوران جفتيك	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٢ – ماكيافلى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٣ – جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	ت : حمدى الجابرى
٤٣٤ – الرومانسية	دونكان هيث وجودن بورهام	ت : عصام حجازى
٤٣٥ – توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ت : ناجى رشوان
٤٣٦ – تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٧ – رحالة هندى فى بلاد الشرق	شيلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨ – بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	ت : عايدة سيف الدولة
٤٣٩ – موت المرابى	صدر الدين عينى	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠ – قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	ت : محمد الشرقاوى

العنوان	المؤلف	المترجم
٤٤١ – رب الأشياء الصغيرة	أروندهاتى روى	ت : فخرى لبيب
٤٤٢ – حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت : ماهر جويجاتى
٤٤٣ – اللغة العربية	كيس نرستيغ	ت : محمد الشرقاوى
٤٤٤ – أمريكا اللاتينية : الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	ت : صالح علمانى
٤٤٥ – حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	ت : محمد محمد يونس
٤٤٦ – التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	ت : أحمد محمود

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٩٦٩ / ٢٠٠٣

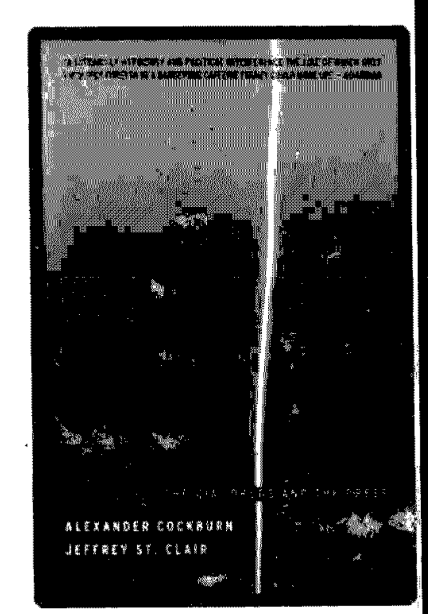


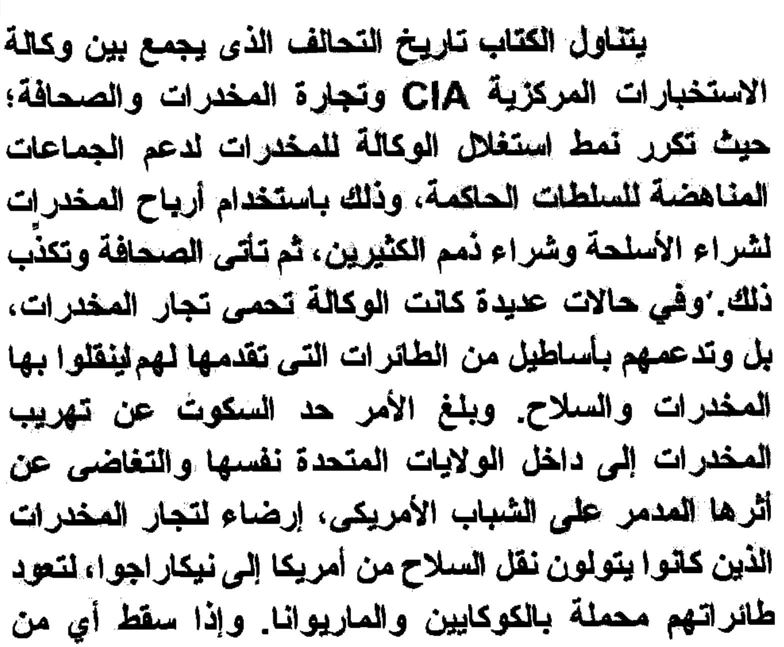


Whiteout

The CIA, Drugs and the Press

ALEXANDER COCKBURN & JEFFREY ST. CLAIR





يتناول الكتاب تاريخ التحالف الذى يجمع بين وكالة الاستخبارات المركزية CIA وتجارة المخدرات والصحافة؛ حيث تكرر نمط استغلال الوكالة للمخدرات لدعم الجماعات المناهضة للسلطات الحاكمة، وذلك باستخدام أرباح المخدرات لشراء الأسلحة وشراء ذمم الكثيرين، ثم تأتى الصحافة وتكذب ذلك. وفي حالات عديدة كانت الوكالة تحمى تجار المخدرات، بل وتدعمهم بأساطيل من الطائرات التى تقدمها لهم لينقلوا بها المخدرات والسلاح. وبلغ الأمر حد السكوت عن تهريب المخدرات إلى داخل الولايات المتحدة نفسها والتغاضى عن أثرها المدمر على الشباب الأمريكى، إرضاء لتجار المخدرات الذين كانوا يتولون نقل السلاح من أمريكا إلى نيكاراجوا، لتعود طائراتهم محملة بالكوكايين والماريوانا. وإذا سقط أي من هؤلاء في أيدى جهة أخرى من جهات تنفيذ القانون فى أمريكا أو خارجها، كانت الوكالة تتدخل على الفور لتحول دون التحقيق معه وإدانته، بحجة أن التحقيق معه يعرض أمن الولايات المتحدة القومي للخطر، بينما هى تخشى فى الواقع فضح ممارساتها غير المشروعة داخل الولايات المتحدة وخارجها.

وكانت الوكالة في كل مرة تنكر الاتهامات الموجهة إليها - من خلال الصحافة الموالية لها طبعًا - حيث تدعى الصحف أن تلك اتهامات "لا أساس لها" أو "مبالغ فيها" أو "غير مؤكدة" أو "حكايات قديمة"، ثم تعود بعد فترة - ولكن بنبرة خفيضة تكاد لا تُسمع - لتعترف بما قيل؛ حدث ذلك فى تجنيدها للعلماء النازيين، وإجراء التجارب على المواطنين الأمريكيين السود، والسعى لاغتيال كاسترو، والتحالف مع أمراء الأفيون فى بورما وتايلاند ولاوس، وبرنامج الاغتيالات في فيتنام، والتواطؤ لقلب نظام حكم سلبادور أيّدى فى شيلي، وتسليح تجار الأفيون فى أفغانستان، وتدريب الشرطة القاتلة فى جواتيمالا والسلفادور، والتورط فى نقل المخدرات والسلاح بين أمريكا اللاتينية والولايات المتحدة. ورغم ذلك يقول أعوان الوكالة فى الصحافة إنهم اكتشفوا أن أيدى الوكالة ناصعة البياض. وفي كل مرة يكررون عبارة أنهم لم يعثروا على "دليل دامغ" فى أي تحقيق اطلعوا عليه. وعندما يتصدى صحفى معارض لهذا التيار - مثل جارى وَب - يكون زملاؤه الصحفيون هم الأدوات التى تشن بها الحرب عليه لتكذيبه والتشهير به، رغم ما لديه من أدلة ومستندات وشهود على قيد الحياة.

تصميم وائل أحمد